

بؤني الحكمة من يشاؤون يؤتوا الحكمة بعدا وهي
غوا كبيرا وما يذكر الا اولو الالباب

المجلد العاشر

١٣١٥

بشر جادي الذين يستترون يقول فينبون أحسن
ارثلك الذين هداهم الله واوكلتهم أوول الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى ومظنوا « كنار الطريق »

﴿ مصر المحرم سنة ١٣٢٥ - آخره الخميس ١٤ مارث (آذار) سنة ١٩٠٧ ﴾

فاتحة السنة العاشرة للمنار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على آلائه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم أنبيائه ،
وعلى آله وصحبه ، وأهل وداده وقربه ، وعلى كل عبد مصطفى ، من جميع
الورى ، أما بعد فإن المنار قد دخل بهذا الجزء في سنته العاشرة ، فقطع مرحلة
الاعداد المفردة ، ووقف بباب الاعداد المركبة ، فكان نموؤ وثباته ،
وتغذيه بما يحفظ عليه حياته ، وقوته على دفع عوارض العلل التي توابه ،
ومقاواته لما يهاضه ويناصبه ، آيات يبنات على انه كأن حي ، يرجى أن يبلغ منتهى
العمر الطيعي ، الذي يكون مثله بالاستمداد الموهوب والمكسوب ، ونوفيق

الله المطلوب، وبإسماعاد محبي الإصلاح الذي يدعو اليه والحق الذي يناضل دونه، وما اسماعادهم الا الدعوة به واليه. والنصيحة له والدفاع عنه، فالدعوة حياة المذاهب في الفلسفة والسياسات والاديان، وكل ما يرتقي به شأن هذا الانسان، « ٣٣ : ٣٨ سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً ».

المنار يدعو جميع المسلمين بكتاب الله. الى سعادة الدارين بتقويم فطرة الله، ومعرفة سنن الله، وبنهاج به عن التفرق في الدين، وياصرهم بالاعتصام بحبله المتين، فالدين والقطرة صنوان، والشريعة والطبيعة شقيقتان، فنزل القرآن، هو منزل الفرقان والميزان، وواضع الشريعة، هو خالق الطبيعة، فالقرآن هداية وعرفان، وعروج بالارواح الى الروح والريحان، بالبودية المؤدية الى رضا الرحمن، والانهاء باضطراب أمواج النزعات البشرية الى مستقر السكينة والاطمئنان، « ١٧ : ٨ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ».

والفرقان عقل يفرق بين الحق والباطيل، ويدرك اسرار الخليفة وفقه التنزيل، فهو المخاطب باقامة الشريعة، وهو المطالب بالتصرف في الطبيعة، فيأخذ منها بقدر اجتهاده، على حسب استعداده، والميزان عدل عام، في الاخلاق والافكار والاحكام، به ينفذ حكم القرآن والفرقان، حتى يلتئم شمل الانسان، فيعطي كل ذي حق حقه، ويوفي كل ذي قسط قسطه، وان لربه عليه حقا، ولنفسه عليه حقا، ولزوجه عليه حقا،

ولا هله عليه حقا ، ولقومه عليه حقا ، ولا مته عليه حقا ، ولجميع الناس عليه حقا ، - فالقرآن يهدي الى الحقوق ويبين ، والفرقان يفرق بين التشابهات ويميز ، وانما القسمة بالميزان ، وبالثلاثة تكمل فطرة الديان ، فالقرآن كتاب مسطور ، وضياء ونور ، والفرقان نقرأ وندرس ، ونجتلي ونقبس ، وبالميزان نعمل بالعلم ، ونقوم بالقسط ، ومن شذ عن هذه الثلاثة فلم يهتد بالنقل والعقل ، ولم يخضع لسلطان العدل ، فقد أنزل الله لعلاج الحديد ، الجامع بين المنافع والبأس الشديد ، فيؤدب بقوة السلاح ، حتى يستقيم أمر الاصلاح ، « ١٧ : ٢٣ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا »

{ ٣ : ٣ } ألم الله لا آله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق - الى قوله - وأنزل الفرقان { ٥٧ : ٢٥ } لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) فهذا بيان للناس بأن بناء معاشهم ومعادهم يقوم على أربعة أركان الكتاب والعقل والعدل والقوة وهي هي القرآن والفرقان والميزان والحديد. وقد هدم التقليد الاربعة الاركان ، واستبدل بها قول فلان وفلان ، أساء سماها المقلدون وآباؤهم ما أنزل الله بهامن سلطان ، فأماركن الكتاب فبزعمهم أن فهمه والاهتداء به خاص بنفريسمون المجتهدين ، وأنهم اقرضوا وقد عمق الزمان عن مثاهم الى يوم الدين ، وأماركن الفرقان فجاء أهملوا من الحكمة العقلية والدينية والعلوم النظرية والعملية . وأماركن الميزان

فبإباحة الاستبداد لذوي السلطان، وتحتيم طاعتهم ولو في الأثم والعدوان، وأما ركن الحديد فبالاعراض عن الأعمال الصناعية، وما يتوقف عليه من الفنون الرياضية والطبيعية، فتى ثبت لشعوبهم ودولهم بنيان، وقد هدموا جميع هذه الأركان، وفسقوا فيها عن هداية القرآن، «١٧ : ١٧»
وإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا *

فالمنار يدعو المسلمين إلى إقامة الأركان الأربعة باسم الإسلام، من حيث ينجون على هدمها بالإسلام، ونما أقامتها أن يكون أمر الأمة بأيدي أهل القرآن العرفاء، وأصحاب الفرقان الحكماء، ومقيمي الميزان في السياسة والقضاء، وحملة الحديد للدفاع الأعداء ومنع الاعتداء، وهؤلاء الأصناف هم أولو الأمر، الذين لم يجب أن يرد إليهم كل أمر، وهم أهل الاجماع، الجديرون بالاتباع، وهم أهل المال والعقد الذين يقضون ويرمون، ويحلون ويعقدون، وهم أهل الشورى الذين يتصبون الخلفاء والأمراء، ويضعون الأحكام في السياسة والإدارة والقضاء، وعلى هذا أراد النبي تربية المؤمنين، واتباعه بقدر الاستعداد الخلفاء الراشدين، وبترك هذا حل ما حل من البلاد بالمسلمين، «أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً» *

بهذه الأركان الأربعة كان الإسلام دين الفطرة، والمهادي بسنن الشريعة إلى كمال سنن الطبيعة، (٣٠: ٣٠) فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس

لا سلمون) فالعلم من يقيم دين الله ، باقامة سنن فطرة الله ، ومن يجمع بين العلم بما أنزل الله ، والعم بما خلق الله ، ويفقه الاتفاق بين قوله { ١٠: ١٤٤ } لا تبدل لكلمات الله) ، وقوله (لا تبدل لخلق الله) ، ومن ذهب الى التفريق بين دين الله وفطرته ، وزعم ان العلم بكتاب الله لا يثيق مع العلم بخليقته ، فقد جهل الخالق والخليقة ، والشرعة والحقيقة ، وكان حجابا دون الايمان ، يصد عنه اولي العلم والعرفان ، فما بال من يزعم ان العلم والدين ضدان ، اولئك اعداء القرآن ، وأوليما الشيطان ، « ١٩: ٤ » وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ١٢٠ يَدْعُهُمْ يُبَيِّنُهُمْ وَمَا يَأْتِيهِمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا

أنحسب هؤلاء الهامون في أودية الأوهام ، ان هذا الشيء الذي يسمونه فقها هو الاسلام ، أليس اصل هذا الاسلام هو القرآن ، أليست السنة من قبيل العمل به والبيان ، فما بالهم قد حصروا الدين فيما لم يحفلوا باكثره الكتاب ، ولم يفصل فيه شيء مما وضعوا له من القصول وأودعوا من الابواب ، أرايتكم كم سورة أو آية نزلت في احكام البيع والايجار ، والكفالة والحوالة والجمالة والاقرار ، والمساقاة والمزارة والشفعة والودية والرهان ، والحجر والصلح والغصب والضمان ، بل اين ما اكثرت من احكام الحيض والاستحاضة والنفاس ، وما اطلمت به من الكلام على الطهارة والماهرات والانجاس ، وما جثمت به في جميع العبادات من الرأي والقياس ؟ هل أنزل الله في ذلك كله عشر معشار ما أنزل من الامر بالنظر في المخلوقات ، واجتلاء آياته في الارض والسموات ، من

تصرف الرياح والبحار ، وتغير الينابيع والانهار ، وإنبات الحدائق والجنات. متشابهات وغير متشابهات، وتسخير الدواب والانعام، والجواري المنشآت في البحر كالاعلام ، ونصب الجبال كالآلات، وبناء السبع الشداد، ورفع السماء ووضع الميزان ، وجعل الشمس والقمر بحسبان ، (٢٥ : ٤٥)
 أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ٤١ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ٤٢ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ٢٧ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ٤٨ لِنُخْرِجَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسَخِّمُ بِهِ مِمَّنْ خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْتَ بِيَ كَثِيرًا)

فكيف محصرون جميع أمور الدين، فيما سكت عنه الكتاب أو أجله أو فوضه الى المستنبطين ، وتعملون ما فصل الارشاد اليه ، وجعل المعول في معرفته تعالى عليه ، هو الذي يأتي بنيانه من القواعد ، ويقتلع أصول أحكامه والمقائد، أليس هذا منتهى التفريط في الكتاب الذي ما فرط الله فيه من شيء (١٦ : ٨٩) وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ، (٢٥ : ٥٠) وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا)

إذا شغلك الفقه عن آيات الله التي بين يديك ، فهل يصح ان يشغلك عن آياته في نفسك التي بين جنبيك ، ألم يرشدك القرآن الى السير في الأرض لاستطلاع العبر ، ألم ينبئك بسنته في نظام البشر ، ألم يهدك الى انه تعالى لا يهلك المصلحين ، وان كانوا في العقيدة مشركين ، وانه لا يقي على الظالمين ، وان العاقبة للمتقين ، فما لك لاتمد من هذا الدين معرفة تواريخ الامم

الغابرة، واختبار أحوال الامم الحاضرة، ومعرفة الاقطار والبقاع، والعلم بشؤون الاجتماع، أليس هذا من إقامة القرآن، واستعمال الفرقان والميزان، أليس قد أنزل الثلاثة لترقية شأن الانسان، فكيف تشنك أحكام حركات الابدان، ومعاملات الاقوان، عن حكم الديان، في الاناسي والاكوان، (٥٣: ٧٥) وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ٥٤ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا *

ألا ليت الذين يجملون هذا «الفقه» معظم الدين، عنوابه بعض عنابة أهل القوانين، فطابقوا بينه وبين مصالح الناس، من جميع الشعوب والاجناس، وقربوه من الافهام، وأبعدوه عن الاوهام، اذا لقي لهم ذكرا وشرفاء، ولم تبح حكاهم عنه منصرفاء، وهانحن أولاء نراهم قد نسخوا أحكامه السياسية والمدنية والجنائية، ولم يتركوا للمسلمين الا ما يتقنون من الاحوال الشخصية، وهل كانت احكام فقهاءهم فيها مرضية، ام تتألم الحكومة منها وتألم الرعية، ألا انهم قد نفروا الناس من الفقه والدين، ولولا الجرايات والمسكرية لا عرض عن ممارسة كتبهم أكثر هؤلاء الشر اذم المقلين. ولو رجعوا الى هداية القرآن، وأقاموا الفرقان والميزان، وتركوا التقليد، وأحسنوا الحديد، لولوا عن هذه الكتب نفورا، وأوتوا الحكمة (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) (٧٨: ٢٠) وَإِذَا زَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نِعَمًا وَمَلَأَ كَيْدًا)

ان بعد رجال الدين عن علوم القرآن والفرقان والميزان والحديد،

وجودهم على ما اوجبه على انفسهم من التقليد ، جعلهم بمنزل من الزعامة ، وحرّمهم مقام الاسوة والامامة ، فلم يبق لهم شيء من الأمر ، والنهي وباتوا لا يقصد اليهم في الاستشارة والرأي ، ولا يستفتون في ادارة المصالح ودرء المفاسد ، ولا يعتمد عليهم في نظام التربية والتعليم في المدارس والمكاتب ، فقلت بعدم الثقة بهم ثقة الناس بالدين ، وكثر الفسق في الجاهلين والكفر في المتعلمين ، انحلت رابطة جامعته الجنسية ، وكادت تنفصم عروة اخوته الروحية . وأنشأت الشعوب تعصب لجنسيتها الجاهلية ، في الانساب واللغات ، والاولاد والجهات ، يتسللون منهواذا ، وبفارقون الجماعة اذاذا ، فسهل على الاجانب تخطفهم شعبا وشعبا واتقاص بلادهم قطرا قطرا (١٧: ٤١) وَلَقَدْ مَرَرْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا

الهم قد ثقلت علينا الاوزار ، فأحاطت بنا النوائب والاختطار ، ولا نكاد نرى فينا علماء يدعون الى القرآن ، ولا حكماء يرفعون شأننا في علوم القرفان ، ولا حكماء يقيمون القسط بالميزان ، ولم نشكر نعمتك بانزال الحديد ، فقاتنا معظم ما فيه من المنافع والبأس الشديد ، بل لم نشكر لك شيئا مما أنزلت علينا ، فأُنزلت بستتك المادلة ما أنزلت بنا ،

الهم انك تعلم أن مثار بلائنا ، ومنشأ ضعتنا وشقائنا ، لا يرجع الى الأجراء والزراع ، والى السوق والصناع ، ولا الى الصماليك والرعا ، اللهم إنك تعلم ان مثاره سادتنا المستبدون ، وكبرائنا المترفون ، « ٣٣ : ٦٧ رَبَّنَا إِنَّا أَعْطَيْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأَصْلُونَا السَّيْلَا ٦٨ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِمْفِينَ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنَا كَبِيرًا » ()

أَلَمْ اَنَا أَطْعَمُكُمْ مَضْطَرِينَ أَوْ جَاهِلِينَ ، لَاحْتَاجِينَ وَلَا مُتَعَمِّدِينَ ، وَقَدْ
أَيَّضْنَا بِلَاؤَكُمْ مِنْ رَقَدَتِنَا ، وَبَهْتَسْتُمْ مِنْ سَنَتِنَا ، فَأَنْشَأْنَا تَهْكَرْفِي إِقَامَةً
مَا أُنْزِلَتْ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى ، وَالشُّكْرُ لَكَ عَلَى مَا آتَيْتَ مِنَ الْمَوَاهِبِ
وَالْقُوَى ، بِإِشْرَادِ الْمُقَلِّدِينَ ، وَإِرْجَاعِ الْمُسْتَبِدِّينَ . « ٦٠ : ٤ » رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا
وَالْيَاكَ ابْتِغَاءً وَبِكَ الْمَصِيرَ . رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا قِتَّةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَافْغَرْ لَنَا
رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » (١٧ : ٨٠) وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ
وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنَ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا .

منشئ المنار ومحرره

السيد محمد رشيد رضا الحسيني

﴿ الدعوة الى تقدم المنار ﴾

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضتان في الدين حافظتان لجميع
القراض ، ومرغبتان في جميع الفضائل ، وتركهما مصيبتان كبيرتان ، مهلكتان
لفسوق والعصيان ، فالمنار يدعو كل من ينظر فيه ، الى انتقاد ما يرون أنه ينتقد
عليه ، ويمد المنتقدين بأنه ينشر ما يرسلونه اليه ، اذا كان مقروناً بالدليل
والبرهان ، ولا يرهان في الدين الا السنة المتبعة والقرآن ، ومن يقبل الفية
بالصحة ، وينصرف عن الهداية الى الفوابة ، فيخوض فيها نكتبه مع الخائضين ،
ويزعم أنه مخالف لهدى الدين ، فهو الذي خالف كتاب الله فترك ما أمر به
وفعل ما نهى عنه ، فانه فرض الصيغة ، وحرم الفية والوقعة ،

﴿ قيمة الاشتراك في السنة العاشرة ﴾

قد جعلنا قيمة الاشتراك على أهل القطرين مصر والسودان سنين قرشاً
صحيحاً وعلى عمال البريد منهم ثلاثين قرشاً وأبقيناها في سائر الأقطار كما كانت

اللائحة الثالثة (ب)

• من لوازم اصلاح التعليم والتربية الدينية للاستاذ الامام
يظهر انه كتبها لاجل اقناع أولي الامر في مصر بالناية بالزينة الدينية بعد
عودته من سوريا وغزو الامير عنه وقد وجدت مسودتها بخطه بعنوان الذي تراها
مفتحة به . وجامع الكتاب وضع سائر العناوانات قال رحمه الله تعالى

• هذا مجمل أفكار فيما يجب الالتفات اليه من نظام التربية بمصر
« ويمكن تفصيله عند ارادة العمل به »

اذا كان الناس في حاجة الى صلاح الحاكم فما حاجة الحاكم الى صلاحهم
بأخف من حاجتهم الى صلاحه فان السلطة سلطتان جيدة وردية فالجيدة ما كانت على
المحكومين المحكومين والردية ما أخذ بها المحكومون لغاية الحاكم وقضاء غرضه الثابت
اما الأولي فان منزلتها من المحكومين منزلة الروح من الجسد لها التدبير وعلى
أعضاء الجسد وظائف العمل وغاية التدبير والعمل حفظ حياة الكائن الحي وهو
مجموع الروح والبدن فكل يستفيد من الآخر ما به بقاؤه ونماؤه . وكما نحتاج
الآلات البدنية الى سلامة الروح من الطل النفسية كالجنون والحدود والجهل ونحو
ذلك نحتاج الروح الى سلامة الآلات البدنية من الآفات التي تعطلها عن الحركة
كالشلل والحدرد والتشنج وما شابه ذلك وما ذا يمكن الروح السليمة أن تأتيه في
بدن تمطت آلاته وفسدت أعضاؤه

وأما السلطة الثانية ف منزلتها منهم منزلة الصانع من آله فصاحب السلطة
صانع والمحكوم آله في الصنع فهو كاتب مثلاً والمحكومون قلبه أو هو حارث والمحكوم
محراثه وكما أن الآلة لا تعمل الا بالعامل ولا يظهر أثرها الا في يده كذلك العامل
لا يمكن له العمل الا بآله . وكما يجب أن تكون اليد العاملة قادرة على ادارة
الآلة يجب أن تكون الآلة وأجزاؤها صالحة للعمل فان قد أحد الامر من امتنع
العمل أوقعت ثمرته - فكل من السلطتين في حاجة الى صلاح المحكوم فكما

(* منقولة من الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام

يطلب المحكوم في كل حال أن يكون حاكمه صالحاً لأن يحكمه كذلك يطلب صاحب السلطة في أي منزلة كان أن يكون المحكوم بحيث ينقاد الى كل ما يحكم به وعلى الصفات التي تنساق به الى الغاية التي يذهب اليها حاكمه

أما ما رسخ في خيال بعض الشرقيين ومن اغتر بحالهم من خالطهم من الأوربيين من أن صاحب السلطة قوته علوية والمحكوم طبيعته سفلية ولا نسبة بينهما إلا أن الأول قاهر وإثاني مقهور وأن الثاني في حاجة الى صلاح الأول ليكون به رَوْفاً رجباً وأن الأول لا حاجة به الى صلاح الثاني لأنه مقهور له على كل حال فذلك منشؤه الغرور والجهل بطبيعة الجمعيات الإنسانية ونظامها الفطري . ولذلك نرى أرباب هذا الاعتقاد من ذوي السلطة لا تدوم لهم دولة ولا يثبت لهم سلطان لشبظهم في سيرهم بمهلهم منزلتهم من محكوميههم وتصرفهم فيهم على خلاف ما يجب أن يصرفهم فيه وتغافلهم عن استطلاع طباعهم بما يؤهلهم للعمل على ما يريدون منهم يقال أن الرعية في كثير من البلاد آلة للحاكم في بلوغ مقاصده في دولته .

فقد يكون ذلك حقاً لكنها آلة ذات شعور وإرادة وماله شعور وإرادة لجميع أعمالها كما تكون عن شعوره وإرادته فتصلح الأعمال بصالح الشعور والإرادة وتفسد بفسادها فلا يمكن أن تكون تلك الآلة صالحة للعمل إلا إذا كان الشعور والإرادة صالحين له، وصالحهما بأن يكون الشعور وجداناً للفرق بين النافع والضار وبين النظام والاختلال ليكون ما يقرره الحاكم من القوانين وأصول الإدارة معروفاً عند أغلب الرعية وأن تكون الإرادة صادرة عن هذا الوجدان حتى يكون النظام منها في مكانة الاحترام . فإذا كان الشعور مخنلاً والإرادة فاسدة كانت الأحلام طائشة والاهواء متحركة ومداخل سوء كثيرة فويل للذي السلطة من تلك الرعية ويهد عليه أن يستقر لسلطانه فيها قرار وكل ما يتخيله إصلاحاً لهم أوله فيودعه في أصول حكومته فهو كالنقش على الماء أو الرسم في الهواء

طبيعة مصر والمصريين

أرض مصر ضيقة عن حاجة أهلها فساحة الصالح منها للسكنى لا تزيد عن حاجة الساكنين وزيادة ينة وهي محاطة من أطرافها بالصحاري الجدية والمياه

المالحة وليس فيها من الغابات ما يموذ به الوحشي من الحيوان فضلا عن الانسان
ولذلك نرى كثيرا من انواع الوحوش التي كنا نراها كثيرة في البلاد من نحو
أربعين سنة كالضباع والثعالب والخنزير قد كادت تفتقر باصلاح الاراضي
الزراعية وانتشار الانسان في اطرافها ونهدا بالزرع والحارة وأهل مصر لا يعرفون
معنى المهاجرة من دار الى دار ولا يمكن أن يتصوروا ذلك ما دام في ارضهم نبات
ينبت فاذا أعمت ارضهم فضلوا الموت فيها على المهاجرة منها وتاريخ الماضي
وشاهد الحال ينطقان بذلك . ولذلك كان أهل مصر سكان ارضهم من آلاف
من السنين وكل قادم اليهم استرجع بهم وغلبت عليه عوائدهم وأطوارهم واتسب
لشبهتهم فصار مصرياً وأحرز جميع خواص المصريين ونسي أصله وغاب عن
أعقابه منشأه . ثم ان طباعهم مرت على الاحتمال وألفت مقاومة القهر بالصبر فلو
أن سيف المتقلب كان اعدى من سيف الممالك وجوره أشد من جور اسماعيل
باشا لما أمكنه أن يفتن من عددهم مقدارا يذكر ، ولا ان يزيلهم عن مواضعهم
مسافة تعتبر ، ولهذا كان المتطلبون يغنون فيهم وهم باقون

أهل مصر قوم سريعون التقليد اذ كيا الاذهان أقوى الاستعداد للمدينة
بأصل الفطرة فما أسر أن فعل الحوادث فيهم فتنبههم الى الاخذ بما يحفظ عليهم
حياتهم في ديارهم من أي الوجوه فلا يبيدون من حاجة فأهل مصر على ذلك هم
رعية حاكمهم ولا يمكن لحاكمهم ان يستبدل بهم رعية اخرى في بلادهم
فما حكمهم اذا كان رأسا فعم بدنه واذا كان عاملا فعم آت فلا بد من
استصلاحهم حتى يستقر سلطانه عليهم زمانا مديدا ترمي اليه أنظار الدول السامية
التام في المدينة

أهل مصر في موقع عرف كل الناس منزلته من الارض وهو مصر أهل المشرق
الى المغرب وأهل المغرب الى المشرق وهو في حلق أوروبا ثلاثي فيه سيادة الامم
فلا توجد بلاد يكثر فيها اختلاط الأمم مثل هذه البلاد

الامم العظيمة الأوروبية يحدد بعضها بعضا على التمكن في أرض مصر والفوز
بأحرار المنافع السياسية أو المالية فيها فالوساوس والدسائس لاتقطع نفثاتها من

أولئك الأحزاب يشونها بين المصريين ليوغروا صدورهم على من علت كلمته فيهم . وأعظم فاعل في نفوسهم (وأغلبهم مسلمون) أن يقال ان صاحب هذه المنفعة ليس من دينكم وانكم مأمورون بيفضه واتهاز الفرص لكشف سلطانه متى أمكنت

أهل مصر شديدو الانفعال بما يلقي اليهم كثيرا والتذكارات ينطبق على أهوائهم فكل كلمة من هذا القبيل مكن من نفوسهم ولكن ربما لا يظهر أثر ذلك لاحتجابه بهجاب الحجز أحيانا ، غير أن طباع المصريين كالكرة المرنّة تتأثر بالضغط فينخفض بعض سطحا قليلا من الزمن ثم لا يلبث أن يعود الى حاله فانه يعلم متى يظهر أثر تلك الانفعالات التي يمكن أن تتأثر بها نفوسهم بما يلقي اليهم

يقال أن أهل مصر ضعفاء ولكن قد أظهر التاريخ انه متى وجد القائد كانوا أشد على الخصم من أشجع الأمم وأثبتهم قدما في المواطن ولا يعلم متى يوجد القائد ومن أي جنس يكون اذا تركت أهواؤهم بغير تهذيب تجري حيث تجد سبيلا للدفاع ثم لا يقدرون النظام قدره مما كان بالفا من الصلاح ولا يبالون به بل يعتقدون ان كل نظام جبر على ورق فلا يستطيع حاكمهم ان يثبت سلطته عليهم على أمر مكن بل هم دائما في التواء عليه بالتحالفة متى أمكنت الفرصة الا اذا أخذوا بترية صحيحة هناك تنضبط أحوالهم وينشأ النظام احترامه في قلوبهم ويهتدي صاحب السلطة الى طرق تصرفهم

احتقار أمر النظام والتأثر بالوساوس اذا لم يكن مبغضا الحق ينشأ عند المصريين من أسرين الأول بعد جهورهم عن المعركة بوجوه المصالح والثاني حرمانهم من القرية التي تطعم في نفوس أغلبهم الاستقامة والتزودة والبصر في العواقب ومرجع الامر الى سوء العقيدة وظن ما ليس بواجب واجبا وظن الواجب غير واجب فدامت هذه حالهم فهم رعية غير صالحة فلا يصلحون بدنا للرأس ولا آلة للعامل لاختلال المدارك وفساد الارادات

أهل مصر لم يأثمهم التاريخ بتقديم بذوي سلطة يفهم هذا السر وتنفذ بصبره الى هذه الحقيقة فلذا لم تثبت فيهم دولة لقبيل زمانا يعتقد به كل اصلاح نظامي نشأ فيهم كان كالبناء على الهواء فالسلطة التي تسمى في ان تجعلهم رعية صالحة

تكون قد فتحت في نفوسهم فتحا جديدا وظفرت ببغيتها منهم ظفرا مينا وأمنت كل غائلة تخشى من دسائس الأعداء ووساوسهم أهل مصر قوم أذكاء كما قلنا يطلب عليهم إين الطباع واشتداد القابلية لتأثر ولكنهم حفظوا القاعدة الطبيعية وهي أن البذرة لا تثبت في أرض الا اذا كان مزاج البذرة مما يتغذى من عناصر الأرض ويتنفس هوائها والا ماتت البذرة بدون عيب على طبقة الأرض وجودتها ولا على البذرة وصحتها وانما العيب على البادر أنفس المصريين أشربت الانقياد الى الدين حتى صار طبعا فيها فكل من طلب اصلاحها من غير طريق الدين فقد بذر بذرا غير صالح للثمرة التي أودعها فيها فلا تثبت ويضيع ثمره ويخفق سعيه وأكبر شاهد على ذلك ما شوهد من أثر التربية التي يسونها أدبية من عهد محمد علي الى اليوم فان المأخوذين بها لم يزدادوا الا فسادا - وان قيل ان لهم شيئا من المعلومات - فإلّا نكن معارضيهم العامة وآدابهم مبنية على أصول دينهم فلا أثر لها في نفوسهم

لا تنكلم عن اصلاح لدين غير الاسلام في مصر فان غير المسلمين فيها العدد القليل والجمهور الاغلب من المسلمين

الدين الاسلامي الحقيقي ليس عدو الالفة، ولا حرب المحبة، ولا يحرم المسلمين من الانتفاع بعمل من يشاركهم في المصلحة، وان اختلف عنهم في الدين، وفي آدابه كفاية لتعريف الآخذ به بوجوه المصالح، وارشاده الى مظان الفوائد والبصر بالعواقب، وتقويمه بفضائل الاخلاق، وبالجملة فهو أفضل كافل لجمال الرعية صالحة لان تكون بذرا لرأس أو آلة لعامل. وقد أرشدتنا التجربة الى أن كل عارف بحقيقة الدين الاسلامي كان أوسع نظرا في الأمور وأظهر قلبا من التعصب الجاهلي وأقرب الى الالفة مع أبناء الملل المختلفة وأسبق الناس الى ترقية المعاملة بين البشر وانما يبعد المسلم عن غيره جهله بحقيقة دينه وهذه آيات القرآن شاهدة على ما نقوله اللهم لمن يفهما كما جاءت ويفهم معناها كما وردت .

ان القرآن وهو منبع الدين يقارب بين المسلمين وأهل الكتاب حتى يظن المتأمل فيه أنهم منهم لا يختلفون عنهم الا في بعض أحكام قليلة ولكن عرض على

الدين زوائد أدخلها عليه أعداؤه اللابسون ثياب أجبائه فأفسدوا قلوب أهاليه
ولا قلوب أقرب الى الإصلاح من قلوب أهل مصر

أهل مصر مضى عليهم الزمن الطويل والقرون العديدة ولم يروا مريا يأخذهم
يديهم فخرموا خيرهم ولم يبق عندهم الا ما فيه المضرة لهم ولغيرهم تحت اسم الدين
وليس بدين . على أنه ليس فيهم من ينكر ان القرآن كلام الله وأنه ينبوع الدين
ولكن ليس لهم من معاهد التربية الاجتهات المدارس الأميرية ومدرسة الأزهر
الدينية وليس في الجهتين ما يهديهم لما يحملهم رعية صالحة وهم الآن على غاية
الاستعداد لقبول ما يصلحهم

من يتوجه من ذوي السلطان الى ذلك لا يجد أقل مقاومة من العامة ولا أغلب
الخاصة وفي مصر فرصة لا توجد في غيرها لمن أراد ذلك فان بلادا غير مصر يوقف
فيها مثل هذا الأمر على همة أهل الدين وسلامة أفكارهم ونشاطهم لفتح المدارس
الدينية على الطرق المناسبة لحالة البلاد . أما مصر فلها مدارس أميرية يمكن أن
يسلك فيها أي مسلك يختار للتربية وليس عليها رقيب سوى أهل السلطة السياسية
لا غير قلمهم أن يأخذوا من الدين أصوله ويفرسوها في المدارس ويحملوا نفوس
طلاب العلم عليها ولا تعرضون لما زاد عنها بالنفي ولا بالاثبات ويتبدون لتدريس ذلك
ذوي قدرة على صرف الاذهان عما وقر فيها وتطهرها مما علق بها من الزوائد الضارة
ولا يجحدون معارضاتهم من أهل الدين لأنهم لا يهتمون بما لا يقع تحت نظرهم مباشرة
وما دامت الأصول محفوظة فأنظارهم عن غيرها منصرفه وأكبر دليل على ما نقول
سكوت أهل الدين عن نوع التربية المعروفة في المدارس على ما فيه من مبانة
الدين والانتهاه الى خلطه بالمرءة

﴿ المدارس الأميرية ﴾

المدارس الأميرية ليس فيها شيء من المعارف الحقيقية ولا التربية الصحيحة .
هذه المدارس أنشأها محمد علي باشا بإشارة بعض الفرنسيين لتعليم بعض أولاد
الأرنؤط والأتراك والمورلية ليكون منهم رجال عديم إلمام ببعض الفنون المحتاج
اليها في نظام الحكومة التي أسسها وأهم تلك الفنون الهندسة والطب والترجمة اما

غيرها من العلوم فما كان الا وسيلة اليها ثم لم يشترط في العلم بها أن يكون تاما .
أما التربية على أخلاق سليمة فلم تخطر له ولا لمن تولى ادارة هذه المدارس على
بال ثم لم يكن في أبناء تلك الأجئاس وفاء لمطلبه في الوظائف ادخل في تلك
المدارس بعض المصريين جبرا وما كان يدخل مجبورا الا الذين لاقوة لهم من
الفقراء وكان دخول المدارس أشبه بدخول العسكرية في ثقله على المصريين

ثم جاء خلف محمد علي من عباس وسعيد فأهملوا النظر في المدارس بالمرّة
حتى جاء اسماعيل فوسم نطاقها وزاد فيها من المعارف ماله دخل في الادارة
والقضاء وله تعلق بثقيف العقول في ظاهر الامر . غير ان جميع ما أتاه من
ذلك كان صوريا ليقال ان له في حكومته مثل مالا وريا في حكوماتها ولم يكن
القصد منه تربية العقول ولا تهذيب النفوس ولا تحصيل رجال يصلحون لتولي
أعمال الحكومة

وفي زمن اسماعيل باشا كثرت رغبة الناس في المدارس ولكن من الاعيان
الذين يطلبون لأولادهم مساند في الحكومة يحتاج في الوصول اليها الى بعض الفنون
ومن الفقراء الذين لا يجدون ما يقتات به أبناءهم فيرسلونهم الى المدارس ليستربحوا
من نفقتهم ولم يكن القصد من جميع تلك الاحوال الا أن يتعلم التلميذ ما يؤهله
للقيام بعمل ما من أعمال الحكومة ، أو بعبارة أخرى ليكون في يده شهادة تبيح له
أن يشغل كرسيًا من كراسي أقلام الدواوين . اما تكوينه بالتعليم والتربية
رجلا صالحا في نفسه بحسن القيام بالعمل الذي يفوض اليه في الحكومة أو في غيره
فذلك لم يخالط عقول المعلمين ولا من ولاهم أمر التعليم فسرى ذلك من السابقين
الى اللاحقين حتى اليوم

ولو كشفنا عن أذهان التلامذة لم نجد فيها غاية لتعلمهم سوى أن يعيشوا كما
عاش غيرهم على أي صفات كانوا ولو استفرغنا أذهان المعلمين لم نجد فيها من
المقاصد سوى أنهم يلقون ما يجدونه في الكتب المقررة للسلامة ويطالبونهم
بمحفظة وفهم عبارته ان كان ليعيدوا يوم الامتحان تلاوة ما ألقى اليهم حتى نتم
مدتهم في المدرسة ولا يسألونهم مرة واحدة عن مجال أفكارهم هل هو في صالح

أوفاسد ، ولا مطامح أنظارهم هل الى نافع أو ضار ، وذلك رسم يؤديه المعلمون ليأخذوا حريبتهم الشهريه لاغير ولهذا لا يكون تلامذتها في آخر الأمر الا صناعا أو ناطقين ببعض الألسنة ولا ثقة في الأغلب بشئ من عقولهم ولا أخلاقهم الا من كانت له فطرة سليمة وله موهبة طبيعية فأولئك تؤدبهم الأيام وتهذيبهم التجارب وعلى مثل ذلك كانت مكاتب الأوقاف ولا تزال . فان استمر السير على الطريقة المعروفة الآن كانت النتيجة دائما كما بيناه فلا يؤول ذلك بالمصريين الى أن يكونوا رعية صالحة لان تكون بدنا لرأس أو آلة لصانع

المدارس الاجنبية

وأما المدارس الاجنبية على تنوعها فاختلاف المذاهب بين المعلمين والمتعلمين في الاغلب يضمف أثر تلك المدارس من التربية العمومية فقليل من المصريين من يرغب في تعليم أولاده فيها ومن أرسل بولده اليها داوم نصيخته بعدم الالتفات الى ما يقوله المعلمون فيها حفظاً لا اعتقاده ثم ذلك يحدث من الاضطراب في طبيعة الفكر والتزلزل في الاخلاق ما يكون ضرره أكثر من نفعه . وقد غلط من زعم ان لتلك المدارس الاجنبية أثراً سياسياً أو أدبياً في مصر بل قد أحدثت بعض النفرة في قلوب المسلمين من رؤساء تلك المدارس وأعمهم ولذلك تاريخ في البلاد معروف فهي ضارة بالألفة ، مبعدة للمعبة ، رغماً عما يزعمه أربابها ما يخالف ذلك فلا يصح الاكتفاء بها في التربية عن المدارس الالهية على اختلافها .

الجامع الازهر

الجامع الازهر مدرسة دينية عامة يأتي اليها الناس إما رغبة في تعليم علوم الدين رجاء ثواب الآخرة وأما طمعاً في بعض الامتيازات لطلاب العلم فيه ولا يزال بعضها الى اليوم ولكن ما يؤسف عليه انه لا نظام لها في دروسها ولا يستل فيها التلميذ أيام الطلب عن شيء من أعماله ولا يبالي أستاذه حضر عنده في الدرس أم غاب ، فهم أم لم يفهم ، صلحت أخلاقه أم فسدت ، ويمر عليه الزمان الطويل لا يسمع فيه نصيحة من استاذة تعود عليه بالاصلاح في دينه وأدبه وإنما

يسمع منه ما يملأ القلب بفضاً لكل من لم يكن على شاكلته في الاعتقاد حتى من بني ملته ويطبق على الدهن غفلته ويستغزه الطيش لتصديق كل ما يسمع إذا كان موافقاً لمبدأ التعصب الجاهلي فأغلب الاوقات تمر على أهل المجد منهم في فهم مباحثات لبعض المتأخرين لا فائدة فيها ولا يتعلمون من الدين الا بعض المسائل الفقهية وطرفاً من العقائد على نهج يبعد عن حقيقته أكثر مما يقرب منها . وجل معلوماتهم تلك الزوائد التي عرضت على الدين ويخشى ضررها ولا يرجى نفعها ثم ان المعروفين بالعلماء وهم الذين يشمون دروسهم في هذه المدرسة ويؤذن لهم بالتدريس فيها هم قدوة الناس وأئمتهم مع أنهم أقرب لتأثر بالأوهام والافتقار الى الوسواس من العامة وأسرع الى مشابعتها منهم وذلك بما ينشأون عليه من التعليم الردي والتربية المختلفة التي لا ترجع الى أصل صحيح فبقاؤهم فيهم عليه اليوم مما يؤخر الرعية عن تقدير السلطة الصالحة قدرها .

إصلاح مدرسة الأزهر لا بد ان يكون بالتدريج في تغيير نظام الدروس وجعلها في الابتداء تحت قواعد ساذجة قريبة من الحالة الحاضرة فيها بحيث يقرر فيها ان كل من أدرج اسمه في جدول الطلبة يلزم بالحضور في الدروس والا حرم الامتياز وكل استاذ يستل عن طلبته ثم يحصل ما ينالونه من المنافع الطفيفة منوطاً بانهم لا بالكتب وتغيير بروغرام الدروس ويزاد عليه أصناف من الكتب بحيث يدخل فيه تدريس الآداب الدينية المفقودة الآن بالكلية ويكلف الاستاذ بتعهد أخلاق تلميذه لتكون منطبقة على تلك الآداب بقدر الامكان ويحصل شيخ الجامع رقيباً على الاساندة والتلازمة في ذلك ثم يعدل نظام الامتحان النهائي وشروطه وكل ذلك يكون على طرق بسيطة لا تستلقت الأذهان الى شيء بخلاف المصلحة وتفصيلها يكون في لائحة مضمومة .

ولا بأس ان يجعل نظام هذه المدرسة مرتبطاً بالمعارف العمومية أو بإدارة الأوقاف على قواعد تفصل في اللائحة المختصة به وقد يظن بعض من لم يتفكر في حالة البلاد ومرتبتي الأديبة والدينية ان إصلاح الأزهر لا يمكن لأنه يرتب على هرد الشروع فيه تشويش أذهان العلماء والعامة على أنهم فذاظن فاسد لا يؤيده

دليل ولم تقض به تجربة الا ما كان من بعض الرؤساء من مدة نحو عشرين سنة عند ما أراد ادخال بعض العلوم الصناعية فيه فقاومه بعض من كان موجوداً من العلماء فيفس من الاصلاح ورك الأمر الى اليوم فقد كان ذلك قبل ان تنقلب الحوادث على مصر ولم يكن بالتدريج اللائق اما الآن فقد تغيرت الأحوال وأصبح الاصلاح فيه أهون منه في جميع المصالح وكل رئيس للنظر يمكنه أن يأتي هذا الاصلاح بمجرد التوجه اليه وما يعجز عنه من ذلك فصاحب هذا الفكر هو الكفيل بتنفيذه اذا فوض ذلك اليه على أن العناية في ذلك لا يعطى اذا صلت المدارس الأميرية فإن الناس لا يختارون الأزهر الا لسوء ظنهم بالمدارس وأول اعتقادهم أن الأزهر أحفظ للدين منها فاذا حصل الاصلاح فيها وجدوا أدنى الى المنفعة منه فبعد ذلك تنفرد بكونها معاهد التعليم ويصبح الناس كلهم في طريق واحدة

الكتائب الاهلية

المدارس الأميرية تتعلق النظر فيها بنظارة المعارف ولا يتم لها احسان النظر من وجه التربية الا بتوجيه العناية أولاً الى الكتائب الصغيرة المنتشرة في القرى والمدن فإنها هي المغذية للمكاتب المنتظمة التابعة للمعارف والمدارس الأميرية وللأزهر فإن كان الغذاء فاسداً كان المزاج المتغذي أشد فساداً . وقد خطر ببال أحد نظار المعارف أن ينظر فيها ولكن من الوجه التطبيقي واصلاح الامكنة بحيث تكون أوفق للصحة لآمن الوجه التهذيبي والثاني هو أهم مطلوب دون الأول فانما ينظر اليه من حيث هو وسيلة للثاني . فالمعلمون في تلك الكتائب يسمون الفقهاء وهم لا يعرفون شيئاً سوى حفظ القرآن لفظاً بغير معنى . واذا كان في أذهانهم شيء باسم الدين فما هو الا الزائد الضار دون الاصل النافع وقد عرفوا بأنهم أفسد حالاً من العامة . على ان الكتائب يرد عليها أبناء الاهالي جميعاً الا القليل ثم يرجع الغالب الى ما كان عليه آباؤهم فهي منابت للعامة ولكنها لا تثبت الآن الا جهلاً

ولا يمكن اصلاح تلك الكتائب الا باصلاحهم (أي الفقهاء) واصلاحهم مراد واحدة أو إبدالهم بغير منهم متفسر ولكن اذا وجهت العناية اليهم أمكن

اصلاحهم واصلاح طرق تعليمهم بالتدرج في بضع سنين ثم ان ذلك الاصلاح يستدعي عملا يتعلق بعضه بالمعارف وبعضه بالأوقاف من حيث ان أولئك المعلمين خطباء المساجد في الأغلب فلا بد أن ينظر في انتخابهم من المستعدين لفهم وقبول الاصلاح بقدر الامكان وهو يقتضي سعيًا حثيثًا وتدقيقًا شديدًا وسيرًا في أرض مصر أجمعها ونظرًا في كل قرية من قرأها وهو ليس بمسير على الشخص الواحد فضلًا عن أشخاص كثيرين متى وجهت العناية بذلك

ثم يلزم لذلك تقرير بعض المعلومات التي لا يستغني عنها مصري مما يزداد على تعليمه القرآن في تلك الكنائس حتى اذا خرج التلميذ من الكتاب كان شاعرًا بأنه في أي جمعة محكمة بأي طريقة فاذا دخل المدرسة أو الأزهر كان نماء معلوماته على ذلك الأساس وذلك يستدعي تقرير بعض الكتب الصغيرة وتعيين ما يدرج فيها على نمط سهل يفهمه الصغير والكبير بأن تبين لهم فيه نسبتهم الى المأمور والمدير والناظر والمهندس والطبيب والعالم والى المقام الخديوي وغير ذلك . وتحدد الطريقة التي يتعلم بها الفقهاء هذه الأمور القرية من الاذهان والمكان الذي يتعلمون فيه والوقت الذي يخصص لذلك والمعلم الذي يعلمه ثم تقرير العلاقة بين أولئك الفقهاء وبين ادارة الاوقاف ونظارة المعارف

مكاتب المكاتب الرسمية الابتدائية

تلاميذ هذه المكاتب لا يزالون الى الآن من الأطفال الذين يقصد كفلائهم بتعليمهم التوصل بهم الى خدمة الحكومة سواء نالوا ما قصدوا أم لا الا أنهم في الغالب لا يستطيعون أن يذهبوا بهم الى نهاية التعليم المعتد لذلك فيرجع الولد الى أبيه أو من يقوم مقامه بعد نهاية المكتب عارفاً ببعض مبادئ العلوم التي لا يجد لها موضعاً تستعمل فيه فلا يلبث أن ينساها فيضيع الزمن الذي شغله بالتحصيل بلا فائدة ثم انه يعود بأخلاق أشد فساداً من أخلاق الذين بقوا على الفطرة لم يسهم التعليم ويجد في نفسه نفرة وعجزاً عن العمل فيما كان يعمل والده وأهله من قبله فيبغض عمره في البطالة أو ما يقرب منها فتزداد أخلاقه فساداً وأفكاره اخلاقاً ويقف نفسه على عبادة الأوهام وخدمة الدسائس التي تنبئ الى طلب

ما يثير الحالة التي عليها الناس طمعا في تغيير حالة نفسه بلا تعقل فيكون زيادة في أمراض البلاد بدل أن يكون عضوا نافعا لها

فأول ما يجب لاصلاح هذه المكاتب ووضعها على أساس يفيد العامة ان يراعى في البر وجرام إدخال مبادئ العلوم من وجهها العملي الذي ينطبق على المعاملات الجارية في البلاد قواعد الحساب مثلا تؤخذ من وجهها العملي مطبقة على المعروف في المعاملات التجارية وحساب الصيارفة الاميريين وغيرهم فيتعلمون طريقة وضع المدفوع من الاموال في الاوراق والدفاتر وطرق التحصيل لاموال الحكومة ونحو ذلك ويدخل فيها فن الاوزان والمكاييل وان كانت مبادئ هندسية فليدخل فيها شيء من المساحة على الطريقة المعروفة في البلاد أو على أفضل منها وما يؤخذ من قواعد العربية يكون مصحوبا بالعمل في المكاتب العادية والمشارطات المتداولة بين الاهالي حتى اذا افصل التلميذ من المكتب يكون عنده ما يحتاج اليه شخصه أو عائلته وأقاربه وأهل بلده فلا يتقطع عن العمل به لكثرة ما يرد عليه منه ثم يضم الى ذلك تعويده على بعض الاعمال الزراعية أو الصناعية في أوقات الرياضة أو يخصص لذلك يوم في الاسبوع ليعلم كفلاء التلامذة ان للتعليم غاية سوى خدمة الحكومة وأنهم اذا لم ينالوا الخدمة فإن لهم شأنًا سوى البطالة والتفرغ للارواح الرديئة ثم يضاف الى البر وجرام مبادئ العقائد الدينية على الاصل الصالح وأصول الآداب الدينية على ما يجمع الالفه ويعرف وجه المصلحة في المعاملة والمخالطة وشئ من تاريخ البلاد وما كانت تعانيه في سابق زمنها وما صارت اليه من الراحة في هذه الاوقات وشئ من القواعد العامة للنظام الذي هم فيه ليعلم التلميذ انه من أي جنس وفي أي شكل من أشكال الحكومة فيتعلم الخضوع والاقبال لكل مستند فيها يصدر منه ثم يكون أهم العناية بحمل التلامذة على العمل بما يعلمونه من الآداب وتشديد المراقبة عليهم في ذلك وتوضيح لهذا لائحة مخصوصة يحدد فيها البر وجرام اللازم للمكاتب الابتدائية وطريق التعليم ويبين فيها المسلك الذي يتخذه المربي المفوض اليه مراقبة أخلاق التلامذة وملاحظة أعمالهم فاذا أتم التلميذ مدة المكتب الابتدائي ولم يتيسر له أن ينتهي الى غاية التعليم رجع اليه بشئ نافع ونمت فيه

الاخلاق الصالحة والافكار الحسنة وانطبع قلبه على الخير والسلامة وكانت له بصيرة في وجوه المعاملة مع من يشترك معهم في المصلحة ونبت في قلبه احترام النظام الذي يضبط مصلحته ومصلحة بني وطنه ونشأ على محبة العمل والرغبة فيه فلا يكون الى فوائده سبيل لا وسائس ولا منفذ للدسائس

المدارس التجهيزية والمدارس العالية

لأنكلم في برورامات دروس الفنون التي تقرأ فيها لأن النظار في ذلك يتعلق بالعرض الذي جعلته الحكومة غاية لإقامة تلك المدارس وإنما كلامي فيها منحصراً فيما يتعلق بالترقية وتهذيب الفكر وغرس مبدأ الصلاح في نفوس التلامذة ليحسنوا في استعمال ما تعلموا

قلنا فيما سبق ان الترقية مفقودة في تلك المدارس لا يخطر ببال أحد ان يعنق بها عناية حقيقية وإنما الموجود فيها صور ورسوم تقرأ الناظر فيها وهي بمنزل عن الحقيقة فالذي يجب للأساس الترقية فيها لتعليم العقائد الدينية على الأصل الصحيح - تعليم الآداب الدينية على الطريق الصالحة - إلزام التلامذة في تصرفهم بموافقة ما تعلموا كل ذلك على نمط أرق مما كان في المكاتب الابتدائية - تعليمهم الاجادة في الكتابة كل في فنه الذي يريد الوصول الى غاية التعليم فيه - تعليمهم أصول النظام العام ثم زيادة التوسع لكل فيما يتعلق بفنه من النظام فالقانونيون يتوسع لهم في أصول النظام المتعلق بالقضاء والادارة وهو شيء غير نفس القانون والمهندسون في أصول النظام المتعلق بالري وتدير النيل وهو شيء غير الهندسة - وعلى هذا القياس

والمرئي في كل ذلك يودع في أفكارهم ان القيام بهذه الأعمال مما يطلب به الدين وان فوائدها ليست قاصرة على خدمة الحكومة بل هي من لوازم الحياة الطيبة ويورد الادلة على ذلك وهي كثيرة لا تمد حتى اذا بلغ التلميذ نهاية التعليم أمكنت الثقة به وأتمن على عمل يفوض اليه وكانت الأ نفس مطمئنة من جمته لعله ان النظام علاقة بحياته الروحانية كما له علاقة بحياته الجسدية فان لم يكن له نصيب في خدمة الحكومة وجد سبيلاً آخر للعمل وهو في رضى عن النظام المحيط بأعمال وطنه فيكون بذلك عضواً صالحاً ويقوم بينه وبين الدسائس حجاب منيع

من الاستقامة الفكرية والخلفية حتى لو أن التلميذ بعد ذلك حمل الشطط في الفكر علي خلع العقيدة الدينية بقيت فيه ملكات الأخلاق الفاضلة طيبة ثابتة لا تتبدل بتبدل العقيدة

❖ المعلمون والمربون ، ومدرسة دارالعلوم ❖

وجود مثل هؤلاء المعلمين عسير كما يقوله كثير ممن له نسب في البلاد ولم يتفكر في حالتها ، ولم يدقق البحث في مصلحتها ، اما أنا فلا أرى في ذلك صعوبة بقدر ما يتصورونها كما أن كثيراً مثلي لا يرون ذلك

اما أولا فلأن بلادا واسعة مثل مصر لا تعدم افرادا متفرقين في أمحائها يعرفون من الدين حقيقته ، ولزمان ما يلزم له ، وإنما يجمعهم البحث والتنقيب . وكما ساح ناظر المدرسة الزراعية ليختبر الأرض ويعرف الطرق المسلوكة في البلاد لخدمتها واستنباتها كذلك يجب أن يسبح مديبر التربية في الاطراف ليعرف الصالحين لتوليها على أن المعروف منهم ليس دون الكفاية للابداء في العمل فان لم يكن الموجود بالغاً الغاية في المفصود فلا أقل من أن يكون قريباً منها - واما ثانياً فلأنه يمكن تكوين جماعة كثيرة ممن يحتاج اليهم في الفرض بطريقة هي مرسومة الآن ولكن لم يطبق العمل منها على الرسم الحقيقي على ان في الرسم تقصاً يجب تميمه وتلك الطريقة قد رسمت في المدرسة المسماة بدارالعلوم

دارالعلوم مدرسة ابتدئها سعادة علي باشا مبارك من نحو خمس عشرة سنة وشرط أن يكون تلامذتها من طلبة الأزهر وان يكونوا حصلوا من العلوم المقررة فيه مبلغاً يكاد يوفيههم للتدريس ثم جعل في دروس تلك المدرسة دروساً لجميع ما كانوا يقرأونه في الأزهر من العلوم الدينية ليتمدهم على وجه أجلي وأنفع وأضاف الى ذلك أطرافاً من الفنون الصناعية كالطبيعة والكيمياء والحساب والهندسة وشيئاً من الجغرافية والتاريخ وقدر غاية الدراسة أن يكون التلميذ المتم لدروسه فيها صالحاً لأن يكون أستاذاً في العلوم العربية والدينية في المسكن والمدارس الرسمية ولكن جاءت على تلك المدرسة أدوار كثيرة أسقطتها عن مرتبتها التي كانت تنفي لها ثم لم يوضع فيها أساس لتربية التي كان يجب أن تكون أهم شيء يقصد من الانظام

فيها ولهذا كان يخرج تلامذتها على ما يخرج عليه تلامذة غيرها من الأخلاق والافكار لا يمتازون عنهم الا قليلا وان كانت مع ذلك أنشأت أفرادا من أهل العلم والأدب هم الآن معروفون تشهد لهم حالهم بأنهم أفضل من جميع الناشئين في غير تلك المدرسة ولكنهم أقل عددا مما كان ينتظر

ثم من غريب التصرف أن هذه المدرسة مع أنه لم يكن الغرض منها الا تكون أساتذة قادرين على الترية عارفين بالعلوم الدينية والعربية حق المعرفة لا يقيمون عليها من النظار الاجاهلا بالدين والفئة العربية بل غير معتقد بالدين بالكلية كما فعلوا سابقا ويريدون أن يضلوا في هذه الأيام ولا يمينون فيها من المعلمين للدروس الدينية الا من يقصد تضيئهم بمرتباتهم وفيهم من لا يجوز معاشرته التلامذة له فضلا عن أخذهم العلم عنه وفيهم من لا يحسن أداء ما كلف به وليس فيهم أهل لوظيفته الاشخصان فقط والكل لا عناية له بأمر الترية ولا يهجم فساد أخلاق التلامذة أو صلاحها، ولا استقامة عقولهم وأفهامهم أو أوعو جاجها، وتعليمهم الدين على ما هو المعروف في الأزهر لا ينفرون منه فاسدا، ولا يزدون عليه صالحا، وسائر المعلمين لفنون يؤدونها قلاما من الكتب لا يبينون للتلامذة الغاية من تعلمها. وليس العيب في ذلك راجعا اليهم ولكن الى من لم يضع أصلا لسيرهم في تعليمهم ولم يؤسس قاعدة ترجع اليها جميع الأعمال صادرة من المعلمين أو المتعلمين ولم يتم على تلك القاعدة خيرا بالبناء عليها، عارفاً بالغاية التي توجه المدرسة اليها، حكما في تصرفه بأذهان التلامذة والاساتذة حتى يقيم لترية بناء معنويا حقيقيا يأوي اليه كل معلم ومتعلم يأتي من بعده

هذه المدرسة تصلح أن تكون ينبوعا للتهديب النفسي والفكري، والديني والمخلفي، ويمكن أن ينتهي أمرها الى أن تحل محل الأزهر وعند ذلك يتم توحيد الترية في مصر ولكن يلزم لذلك أمور

(الأول) إصلاح البروجرام وحذف بعض العلوم التي اشتغل بها التلامذة في الأزهر والاكتفاء بتعريضهم على العمل بها وتقدير ما يلزم من الفنون الباقية وزيادة بعض علوم ليست فيها الآن منها علوم الآداب الدينية وفن أصول

النظام مع تعلقه بالدين

(الثاني) تغيير طريقة تدريس تفسير القرآن وتعلم الاحاديث النبوية
(الثالث) اختيار معلمين صالحين للقيام بالعمل الموصل الى الغاية المطلوبة للمدرسة
(الرابع) تعيين ناظر للمدرسة قدماً لقلبه وغمر فكره الميل الى المقصد الذي
وضعت له المدرسة عالماً بالدين ولفته موثقاً به عند العامة
(الخامس) إعطاء تلامذتها بعد نهاية التعلم حق التدريس في الأزهر
(السادس) توسيعها الى مايسع مئة تلميذ
(السابع) أن يزداد في مدهاسة بعد الدراسة للتدريس على التعليم في نفس المدرسة
(الثامن) وهو أم مايجب - أن يكونوا تحت نظام شديد في التهذيب
وملازمة العمل بما يملكون

(التاسع) أن تكون وظائف التدريس في المدارس والمكاتب منحصرة فيهم
(العاشر) أن تكون درجاتهم في الوظائف على حسب أدبهم واقتدارهم على التأديب
(الحادي عشر) أن يكون للموظف منها في مدرسة ماسطة تامة على تهذيب
التلامذة بآثرية نفوسهم وتقويم أخلاقهم وطباعهم وأرقام وظيفة في تلك المدرسة
يكون رئيساً لمن دونه
(الثاني عشر) أن يبقوا بلباسهم الذي هو لباس أهل الدين. معاً ترقوا
في الوظائف

ثم انه يلزم لهذا المشروع كتب مؤلف جديدة ولوائح تنظم العمل على مقتضاها
وذلك كله يمكن بعد العزم على الاجراء

﴿ نققات الاصلاح ﴾

يمكن أن يظن أنه يلزم للاصلاح زيادة نفقات ولكن اذا دبرت مصاريف
المعارف على الوجه اللائق فلا أظن أنه يحتاج الى زيادة على أنه لو احتج اليها لا يتقل
احتمالها بعد اليقين بأن هذا الاصلاح يؤول الى تمكن السلطة وجعل الرعية صالحة لأن
تكون بدناً لرأس أو آلة لعامل وأظن أن هذه النفقات في هذا السبيل - وهو سبيل
حياة السلطة وحياة الرعية - أفضل منه في جميع السبل فان كانوا يصرفون آلافاً

من الجنيات على بعض المباني الخربة بدعوى أنه أحفظ للآثار القديمة فأولى أن يصرف بعض تلك المبالغ على حفظ الدين تبقى لأجلهم تلك الآثار فإن التربية هي الحصن الحقيقي للبلاد، الذي يصونها من جيش الفساد، وهي آلة صاحب السلطة في الانتفاع بالمحكومين له ولا وسيلة للمحكومين سواها في تعريفهم حدودهم التي يجب أن يقفوا عندها بالنسبة إلى مقام صاحب السلطة عليهم . وإني أجد هذا الإصلاح في مدارس الحكومة يأتي بفائدة أعم من الفوائد التي جاء بها مشروع السيد أحمد خان في الهند وهو أبعد من ذلك المشروع عن سوء الظن

شبهة من يعارض المشروع ومكانته في نفسه

ربما يوجد أشخاص خصوصاً من الرؤساء يقولون إن هذه الطريق بعيدة النهاية لا توصل إلى الناية - كما قالوا ذلك من قبل - فنقول لهم إن الطريق التي سلكوها وسلكها أسلافهم من محمد علي إلى الآن قد جربت فلم تعد بخير على البلاد فليسلكوا الآن هذه الطريق على سبيل التجربة بعض سنوات فليس هناك ضرر ينتظر فإن لم تكن فائدة فلا خوف من الضرر

إن من يزعم العجز أنما يلجأ إليه لأنه لم يتصور ما يرد من الأمر عليه فإن كانت له أداة فليردها ولا نعصم لها من الحقيقة دافعاً فإن أبي الالعجز فربما يوجد من لو وكل إليه الأمر قام به ولم يعجز عنه والتجربة مشرق الحقيقة إن شاء الله تعالى . على أنه يمكنني أن أضمن كل ضرر يصور في هذا المشروع وأكفل أن يكون له من النفع ما هو أوفر من الفائدة المطلوبة في السبر الحاضر

وإني لأزال أكرر أن غاوس هذا الفرس يجني ثمرته الطيبة وأن فوائده ربما قلت إلى أقطار آخر فزادت بحجز يل الخير على من ناهى وفي الزمن القريب يبدو صلاحه لصاحب السلطة والمحكومين له، ويسهل له تقرير أمره فيمن صلحوا باصلاحه على قاعدة المحبة والالفة لا على طائفة الاخافة والرهبة، ويكون بذلك قد كَوّن لنفسه شعباً جديداً يعينه في الشدة، وينصره في الفتنة، وبعضه في ساعة الحنة، ويمحو من نفسه خيال التعلق بغيره، وتزول من طريقه عقبات تعصب الجاهلية، وحمية الحماقة اللابسة ثوب الحمية الدينية، وفي ظني أن من عارض هذا المشروع فقد عادي

سلطته وعرض نفسه لغير الزمان وسياسته لنفوذ شياطين الفتن من مقاوميه والله ولي
الأمر ويده كل شيء يهدي من يشاء الى صراط مستقيم اهـ

﴿ يقول جامع الكتاب ﴾

نقلت هذه اللائحة عن مسودة للامام غير منقحة ولا معروضة للنشر كما سبقت
الاشارة بل كتبت لأجل أن نترجم وهي مع ذلك آية في البلاغة وحسن العبارة .
ومن كان حديد الفهم بعيد الفوص في أسرار الكلام يعلم أنها لا مست سماه الاعجاز
أو كادت على عدم العناية فيها بزيينة اللفظ وزخرف القول ، ذلك أنه لا يرى
لمقله مذهباً آخر أرجى من مذهب الامام فيها لا قناع السلطة في مثل هذه البلاد
بالترية الاسلامية التي كانت قصده في أمته مع الصدق في القول والاخلاص في
النية . وإذا قارن هذه اللائحة باللائحتين قبها نجلى له معنى « لكل مقام مقال »
ففرض ! ما منا في الاصلاح الديني واحد ولكنه كان يتوسل اليه في كل بلاد
بأقرب الوسائل التي يرجى أن ترضى بها السلطة وهو ما يجمعه موافقة لمصلحتها وتلك
هي الحكمة البالغة والبلاغة السابقة

ناهيك بما تومي اليه مقدمة هذه اللائحة من الرسوخ في علوم العبران
كطبايع الامم وأخلاقها ونظام التربية والتعليم والسياسة . فبالت الاستاذ
الامام فرغ للتأليف لم يشغله عنه الاصلاح العملي ومحاولة تربية الأزهر واصلاح
الشورى والمحاكم ، اذاً لكان لنا منه مصنفات تفعل سيفه النفوس بعد وفاته ،
أكثر مما كان يريد أن يعمل في حياته ، رحمه الله تعالى على نيته وحسناته

(المنار) هذا ما نبهنا به على مكانة اللائحة في جزء المنشآت من تاريخه
الذي نطبعه وقد طال هذا الجزء أكثر مما كنا نظن لاننا وجدنا من آثاره ما لم
نكن نعرفنا عليه عند الشروع في الطبع . أما جزء التأبين والمرائي فقد تم أو كاد ،
وسيشرع في جمعه قبل صدور هذا الجزء ان شاء الله

فَتَسَاءَلُ الْمُبْتَائِينَ

هنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتريين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه ويذكر عمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمر الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج فالياورعنا قدمنا ما خيرا السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لثقل هذا ، ولن يعفي من سؤاله شهران وثلاثة ان يذكره مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا قدر صريح لا يغفاله

﴿ تمثيل القصص — أ والتياترو ﴾

(س ١) من الشيخ محمد نجيب التوتاري الاستاذ المدرس بالمدرسة الشمية بروسيا

بسم الله تعالى

حضرة الاستاذ العلامة السيد الرشيد مولانا محمد رشيد رضا سلمه الله وأدام فضله أرجوكم حل هذه المسئلة الآتية ببيان حكمها الشرعي يا انا فلسفيا بسبكها في القالب المصري لكي يؤثر في الجميع ولا يرتاب أحد في حكمها لازلم مرشدين ومأجورين — وهو أن النابتة المصرية بيننا انبثوا في هذه الأيام ثياترو مليا ببلدة قران مثلوا فيه القصص الغرامية فحشرت المثلثات المسلمات فيما بينهم وقد أنكر ذلك العلماء وعدوه من الملاهي المحرمة ، ونحن وان لم نشكر فائدة التشيل من حيث كونه عبوة وعظة ودرسا تاريخيا مليا ولكن لا يمكننا أن نكابر في مضراره المحسوسة من ابتذال النساء ورفصهن مع الرجال مما يناقض الآداب الاسلامية ، وبهيج الشهوات البهيمية ، وقد قرر العلماء ان المجموع الذي يتضمن المحذور يكون محذورا لا محالة وان درء المقاسد يقدم على جلب المصالح فبناء على ذلك أعلن أنه يجب النهي والانتباه عن ذلك فم ان سائر مجالسنا ربما لا تخلو من ضرر أيضا فان مجالس العلماء بيننا قلما تخلو من فضول الكلام بل من الشتم والفتية والبهتان — تلك الامور المحرمة قطعاً ولكن اذا اعتادوها أصبحوا لا يرون فيها بأساً ويجري الامر من غير نكير وعسى انها تصلح بصلاح العلماء ولو بعد أمد بعيد ان شاء الله تعالى وقد أورد الاستاذ الوجدي هذه المسئلة في دائرة المعارف وبسط القول في حكمها ولكي أحب أن أراها في صفحات المنار باظهر مجالسها والله الموفق

(ج) « الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتهيات لا يطلعهن كثير من الناس » كما ورد في الحديث وهذه المشتهيات هي التي يسئل عنها ويستغنى فيها . وما جعل هذه المسئلة من قبيل المشتهيات الا ما يهرون عنه بروح العصر وهو اضعاف نفوس المتعلمين على الطريقة الجديدة ومن يقلدوهم بجمال مدنية أوروبا وتوجهها الى تقليد الأوروبيين في كل ما يسهل التقليد فيه وأي شيء أسهل من التقليد في الزينة والزخرف والهوى والصب ؟

نهى القرآن نهياً صريحاً عن إبداء النساء زينتهن لغير موثنتين أو آبائهن وغيرهم من المحارم فهل يشبه بمد هذا في إبداء الزينة مع ما هو شر منها وهو الرقص مع الأجانب ومطارحتهم الفسار وتمثيل معاملتهم معاملة الأزواج تارة والأخذان تارة أخرى ؟ لا محل للتردد في تحريم هذا العمل وتحريم التعاون عليه والمساعدة لأهله بل وفي اقرارهم عليه والسكوت عن انكاره عليهم . ولا حاجة الى البحث في مفاسده فانها بديهية . ولكن المفتونين بالتقليد يستحبون ترك هذه الآداب الاسلامية والحكم بأن المحافظة عليها ضارة بالمسلمين لانها تحرمهم من منافع تمثيل القصص التي هي أنفع منها . وينقسم هؤلاء الى تسعين (الاول) المارقون من الدين ، الذين يودون لو يمرق منه سائر المسلمين ، هؤلاء يهزون بمن يخالفهم في كل ما يسمونه تمدنا وان كان مما يشكر منه عقلاء وفلاسفة أئمتهم الاوربيين ، فهم كما قال الشاعر

عمي القلوب عموا عن كل فائدة لانهم ككفروا بالله تقليدا

وقد كثر عددهم في الترك وهم يكترون في مصر ولا يمكن اقناع هؤلاء بشيء من طريق الدين فالخلال والحرام عندهم سيات وانما يمكن اقناع أذكائهم الذين يتقدرون جنسية الدين قدرها بأن كذا ضار بالأمة أو نافع لها في سياستها ومصالحها الاجتماعية

(الثاني) المؤمنون بأصل الدين الراغبون في التوفيق بينه وبين المدنية الحديثة بالتساهل في بعض أحكامه والتأويل لبعض نصوصه كما فعل أهل الكتب الدينية من كل أمه في كل زمان يفتل عليه روح خاص يسري في الكبراء

والخواص ، وهؤلاء هم الذين يحاولون الموازنة بين منافع « التيارات » ومضارها التي يتعرفون بأن أهمها هناك النساء المسلمات لصيانة الحجاب ، ومخالفتهن للنصوص الصريحة في الكتاب ، وهؤلاء يسهل اقناعهم بالدلائل الدينية والعقلية جميعاً هؤلاء هم الذين يقولون اننا لا نرتاب في عصيان المرأة بأبداء خفي زينتها في التشيل (ملهى التشيل) ورقصها مع الرجال ولا في عصيان من يفريها بذلك ولكن التشيل الذي يوجد فيه العاصيات والعاصون لله عمل فافع في نفسه فالمعصية فيه قاصرة على أهله ولا حرج على المؤمنين في شهوده بنية الاستفادة من الفرض والمقصود منه دون نية الاسعاد على الوسيلة المحرمة كما انه لا حرج على من يشاهد الصور والتماثيل وان كان صانعوها آثمين في علمهم :

ولعل هذا أقوى دلائل انهم به شبهتهم في شهود التشيل وما هو بالذي يقنع الفقيه فيفتي بنفي الحرج لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح عند التعارض فكيف تباح المفسدة البقية لأجل مصلحة وهمية ان أمكن اثبات حصرها في التشيل فلا سبيل الى اثبات مارضتها لمنع المسلمات من هناك حرمة الشرع والخروج عن أدب الدين اذ يمكن أن يكون هذا التشيل المفيد من الرجال خاصة وان كان لا بد من وجود النساء فيمكن استخدام غير المسلمات فيه كما يفعلون في مصر وهؤلاء النساء غير مكلفات بفروع الشريعة عند الحنفية ومن واقعهم ولا يحرم النظر اليهن بغير سوء أو يمكن لنساء المسلمات فيه أن لا يبدن زينتهن الا ما ظهر منها وهو الوجه والكفان وان لا يرقصن مع الرجال ولا يأتين بمنسكرا آخر معهم ، فالحرص على اتباتهن في التشيل بكل ما يأتي به غير المسلمات لا يمكن أن يكون لأجل المصلحة المزعومة التي نبينا هذا الإلزام على التسليم بها جدلاً فثبت ان الفرض من ذلك تفذية الشهوة واتباع الهوى تقليداً للأرويين في شيء فيه أثم لكم ولهم ومنافع لهم لاكم لأنهم جروا في هذا التشيل على جعل الهوم ولبيهم الذي لا خروج فيه عن عاداتهم وآدابهم المقومة لشعوبهم مشتملاً على بعض الفوائد والعبر بعد الارتقاء في العلوم والآداب وسائر مقومات الاجتماع ، فان كنتم مقلديهم ولا بد فأغفونا من التحريف والتأويل في الدين ، فما أنتم الا عون عليه لأولئك المارقين ،

وأما المارقون من الدين من حيث هو دين، الرضوان به من حيث هو رابطة اجتماعية كالجنس والفتنة، فيقال لهم ان تحويل النساء عن الآداب والمادات الاسلامية اتباعا وتقليدا لتغير المسلمين مبدأ لقطع الرابطة الاسلامية وعدم هذه الجنسية فليس ضررها محصورا في عصيان بعض النساء لأمر الله وجبرأتهم على انتهاك عظامه اذ يستحيل ان لا تنصي امرأة من الأمة ربهما قط ولا شك ان مصيبة بعضهن بما ذكر لا تستلزم عصيان سائرهن به اذ جعل كل امرأة بمثابة محال فلا خوف على الأمة من عصيان قليل من افرادها وإنما الخوف عليها محصور في الانتقال من طور الى طور بتأثير روح أجنبي غاية نحويل المسلمين عن دينهم وجنسهم وجذبهم الى غيرها بالاتقاع والاستحسان حتى يكونوا غدا له ومادة تمدد في نياته وبقائه

مثل المقلد مع المقلد كتل الطفل مع الرجل بحسب الطفل أن كل ما يفعله الرجل مفيد له اذا هو حاكاه فيه ساواه في فائدته منه فاذا رآه يدخن حاول التدخين مثله ما لم يمنعه مانع وربما كان في التدخين هلاكه اذ لا يحتمل بدنه من سم الدخان ما يحتمله بدن الكبير المتأد عليه . وما كل ما يفعله الرجل نافعا له وما كل نافع له ينفع الطفل والدارج، ولا اليابغ والشارخ، وقد تكون وسيلة المنفعة الواحدة للرجل غير وسيلةها للطفل فالغذية منفعة ووسيلتها لطفل اللبن والدارج الطعام اللطيف وأما الرجل الأب يدقانه يستفيد من الطعام الكثيف من الغذاء ما ربما يكون مضرًا لمن دونه

هكذا شأن الأم الجاهلة الضعيفة مع الأم العالمة القوية تظن الا ولى أن كل ما تفعله الثانية مفيد لها فتحاول تقليدها فيه غير شاعرة بأنها تقلد على غير بصيرة تامة، ولا اكتفاء للمقاصد البعيدة—وانما الامور بمقاصدها—تقع في الحسرات المبين، من حيث ترجو الفلاح العظيم، كما تقلد المآثر في الأزياء والمادات التي تزيد سيف ثروتهم وتذهب بثروتنا، والآداب التي تفسخ بها جنسيتهم من حيث تضعف جنسيتنا، واهم هذه المادات ما أدت الى تركنا للدين وارضاء عنان التفرنج للنساء في التهلك والخلاعة

تدخل المرأة التصراعية التمثل ولا شعور عندها بأنها قد أحدثت في جنسيتها

حدثنا، أوجاهت في دينها أمر فرأينا، وأما المسئلة فأنها تشعرا إذا فطنت لك بأنها قد انسلخت من قديم مرغوب عنه ، ودخلت في جديد مرغوب فيه ، ويسري هذا الشعور منها وعن تربى مثل تربىها الى سائر نساء قومها ورجالهم الذين بألقون عملها ويقربونه أن تقدم بهذا ولا تقدم في تربية النساء الدينية التي ترى أقوى شعورهم وأعزها وأعلمها كالجرمانيين والسكسونيين هم أشد عناية بها من دونهم ؟ بلغ من رسوخ الشعور الديني عند نسائهم أن المرأة التي يقذفها الفقر في مهواة البغاء تعلق صورة المسيح أوامه في بيتها لحياء ذكرى الدين في قلبها فإذا همت بالمنكر فيه حوت وجه الصورة الى جهة الجدار استحياء وأدبا

إذا صح أن هذا « التباؤ » يفيد مسلمي روسيا في آدابهم وأخلاقهم مثل ما يزعم الأفرنج انهم يستفيدون منه فما هذه الفائدة المدعاة الا من الامور التي تسمى بحسنية أو كالية أي مما يطلب وراء الضروريات والحاجيات التي لم يستكملوا شيئاً منها . وقد دعاني الى رؤية هذا التمثيل العربي بمصر بعض الفضلاء أول مقدمي اليها وبعد رؤيته سئلت عن فائدته فقلت إني لم أره فائدة وراء التسلية الا تمرين اسماع من يحضره من العوام على كلام عربي هو وسط بين كلامهم وبين العربية الفصحى ثم رأيت أن بعض القصص لا تخلو من فائدة وعبرة

أقول هذا وأنا أعلم ان المقلدين يضيع عندم البرهان ان خطوبوا به فكيف ولا سبيل الى مخاطبتهم بما يفهمون . وقد كان يكون هذا مفيداً لو كان للمسلمين زعماء عقلاء يدبرون أمرهم ويدبرون بالرأي والروية مصالحهم ولكنهم أضحوا فوضى لاسراة لهم الا اننا نرجو الخير من بعض العلماء وأصحاب الصحف فنسأل الله أن يوفقهم لخير الارشاد وينفع بهم العباد

مسألة من جاوه

إسلام من دون البلوغ

(ص ٢) السيد عقيل بن عثمان بن يحيى في (تيمور كوئغ - جاوه)

ما قولكم في إسلام من دون البلوغ من المقتطاع وأولاد الكفار وأهل الكتاب

هل نجري عليه أحكام الشرح كالمكلف في حياته وموته أم يتفرد بأحكام نفسه ؟
 (ج) قال صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة » - وفي لفظ :
 مامن مولود الا وبوله على الفطرة - وفي رواية على فطرة الاسلام - وفي رواية
 زيادة : حتى يرب عنه لسانه : - فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ،
 الحديث رواه أحمد والشيخان واستدل به على أن الصغير لا يحكم عليه قبل التمييز
 الا بالاسلام الذي هو دين الفطرة حتى يميز ويبر عن فكره فانه يحكم له بالله
 التي يختارها وهو المراد برواية جابر عند أحمد « حتى يرب عنه لسانه فاذا أعرب
 عنه لسانه فلما شاكرا وإما كفو را » وينقل أهل الأثر صفة اسلام المميز عن
 أبي حنيفة وأحمد واسحق وابن أبي شيبة وعدمها عن الشافعي وزفر واستدل على هذا
 بحديث « رفع القلم عن ثلاثة » وذكر منهم الصبي حتى يبلغ والحديث حسنة الترمذي
 وفيه بحث وأجيب عنه بأن الاسلام يكتب له لا عليه وإنما يدل الحديث على أنه
 لا يؤخذ لا على أنه لا يقبل اسلامه كيف وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل
 اسلام الصغار لا يرد أحدا ومن المشهور الذي لا يرد أحد من المختلفين في المسألة
 اسلام علي كرم الله وجهه وهو دون البلوغ . قال عروة : أسلم علي والزبير وهما
 ابنا ثمان سنين وباع النبي صلى الله عليه وسلم ابن الزبير لسبع أو ثمان سنين . وقد
 يصح الاستدلال بالحديث على أن من دون البلوغ لا تصح رده عن الاسلام
 وهي رواية عن أحمد والمذهب الاول أي أن المميز يصبح اسلامه وردته . وفي
 رواية ثالثة لا يصح شيء منها

على أن المميز الذي في حجر والديه يكون تابعا لهما في الاحكام الدينية
 وإن قلنا بصحة اسلامه على المختار حتى يبلغ سن الرشد أو ينجر كما أمر النبي
 صلى الله عليه وسلم بتخيير أولاد أصحابه الذين كانوا مشركين مع بني النضير
 وكانوا أرادوا إكراههم على الاسلام وفيهم نزل ٢٥ : ٢٥٦ لا إكراه في الدين -
 راجع تفسير الآية في المجلد التاسع ص ١٦١

حمل الميت على عربة

(س ٣) ومنه : هل يجوز حمل الميت على عربة نجرها الخيل أو الرجال . اذا

قيل أن هناك مصلحة كبد القبر أو خفة المونة وهل فيه إضرار بالميت أو تشبه غير محمود؟ المسألة ذات بآل فمن القوم من يشدد التكبر، ومنهم من يقول بالتيسير، (ج) إنما جعل المسألة ذات بآل التقاليد والعادات ولا يهتم الناس من جميع الأمم بشيء من العادات كالعادات في تجهيز الموتي ودفنهم وزيارتهم حتى أن الذين يفسلخون من الأديان ويتركون العبادات وسائر التقاليد يظلون محافظين على ما درج عليه أهل ملتهم من التقاليد والعادات المتبعة في هذا الأمر

لأدليل في الكتاب ولا في السنة على تحريم حل الميت على عربة من غير تشبه بغير المسلمين في دينهم لأسباب إذا كان هناك مصلحة لأن المراد بمصلحة قتله وإيصاله إلى القبر ليدفن وقد كانوا يحصلون النعش في صدر الإسلام بالكيفية المعروفة في زمنهم ولم يقل الشارع أن هذه الكيفية تعبدية لا ترفعها المشقة التي تجلب التيسير ولو كانت الوسائل العادية التي كانوا يفعلونها واجبة على سبيل التعبد بمجرد جرحهم عليها لوجب علينا أن لا نقاتل إلا بمثل سلاحهم وأن نسحق المدافع سحقاً، وأن لا نلبس إلا مثل ملابهم وأن سبقتنا الأمم في النشاط سبقاً، أما التشبه المحظور في مثل هذا العمل فهو ما يشبه فيه التشبه بالتشبه به في أمر من أمور دينه ويكون ذلك عن قصد وما أغنى المسلمون عن هذا إذ يحتاجون إلى نقل ميتهم على عربة فالعربات التي ينقل عليها أهل الكتاب أمواتهم لها شكل مخصوص مزين بالتأثيل لا يحتاج المسلم إلى مثله قط ولا يفتيه بالتأثيل وإن لم يقصد التشبه بهم على أن هذا الشكل من عاداتهم لا من عباداتهم والمسلمون لم يسلموا في أكثر البلاد من التشبه بهم فيها هو عندهم من قبيل العبادة المحضة والتقاليد الدينية الخاصة كحمل المباخر والقائم أمام الجنائز والنرم بالناشيد الدينية. يفعل المسلمون هذه البدع التي سرت إليهم من جاورهم من أهل الكتاب في مصر وغيرها لغير حاجة إليها ويترعون أن اعترض عليهم بالتشبه - أنها لا تشبه فيها لأن ناشيد أهل الكتاب هي غير أناشيدنا وهم يرضون في مباخرهم البخور، ونحن نضع فيها الزهور، وأنت ترى أنه يمكن أن تكون مسافة البعد عن التشبه في العربة أوسع بأن تكون العربة التي تحمل عليها أموات المسلمين من قبيل عربات النقل ولكنها انظف وأكثر ارتفاعاً ويوضع

التابوت عليها بالهيئة التي يحمل بها على الاكتاف عادة وبهذا ينتفي التشابه بالمرّة لكنه لا ينتفي في البدع المعتادة بما ذكرنا لان الفرق بين أناشيدنا وأناشيدهم المتعددة في الظاهر ليس بندي شأن لاسيا اذا كانوا بمدحون المسيح والحواريين ويستشيرون بهم ويطلبون الرحمة من الله لميت فأكثر أناشيدنا المتبعة من هذا القليل لأنهم ينشدون قصيدة البردة ونحوها ومدح النبي وأصحابه من قبيل مدح المسيح وحواريه عليه "سلام أجمعين" وبهذا نعلم أن المسألة مسألة عادات وتقاليد لا مسألة حرص على السنة فإن ما خالفوا فيه السنة واخذوا فيه بالبدعة لاحاجة اليه وما حرصوا فيه على المادة قد يحتاج الى تركه لمصلحة ونحن نتبع المصلحة في العادات ومتبع المصلحة لا يسعى مثليها بمن سبقه اليها ولا مقلدا له على ان تشبها بغيره في عادة له لم يحرم علينا ما لم يكن فيه مفسدة وضرر فله حينئذ حكمه

﴿ رهن القمار والديار، على مديري الكنائس والاديار ﴾

(س ٤) ومنه : ما قولكم فيمن يرهن عقاره أو دياره على مديري أموال الكنائس والأديار ويوفيهما ما اصطلاح معهم عليه من ربح المال شهريا ويديمي أن ذلك ليس من المعاملات الربوية ، ما هو حكمه هل يفسق بهذا الفعل أو هذا الاعتقاد أم له فيه فسحة أو مسامحة ؟ وما يقال في مساهمة أو معاملة من هذا دينه ؟ ان أشبعت الفصل والنقل في هذا الباب فهو من المهم في الدين لتساهل أهل هذه الجهة في الاحتياط والورع بل تقادعهم في الحرام السمح والطفيان ، وتماقدم على الإثم والمدون ، وتعاظم عن المبرات والاحسان ، فصارت معاملتهم كلها فاسدة بما يدعونونه صحيحا وقد علم الرابهاذا القطر (جاءى) من غير مبالاة فمضى أن يحصل لهم بما تضمنونه ارتداع ولكم ثواب الدلالة على الهدى وإيضاح الحق (ج) مديرو الكنائس والأديار كثيرهم من الناس في المعاملات المالية ما خصهم الدين بأحكام في العقود والمعاوضات فالرهن عندهم كالرهن عند غيرهم ان جازا في نفسه فجازر معهم وان ممنوعا فمنوع . والدين قد حرم الربا لما فيه من قساة القلب وترك التعاطف والمواساة للمحتاج كما بينا ذلك بالتفصيل في

تفسير آيات الربا وبيننا ما هو الربا المحرم بالنص فراجع في المجلد التاسع
واعلم أنك إذا عدت كل ما يقوله المصنفون في كتب الأحكام التي
يسمونها فقها من أمور الدين وحكمت بنسب التارك لبعض شروطهم في هذه
المعاملات الدنيوية فأنك تذف بالمسلمين في مآزق من الحرج لا قبل لهم به ولا
طاقة لهم بأحماله . إن الدين حرم الربا والنفس والحياة وأكل أموال الناس
بالباطل والضرر والضرار وكل ما فيه افساد للاخلاق وتدنيس للأرواح وأوجب
عليهم الوفاء بالعقود وأقرهم على عقودهم ما لم تحمل حراما وأنحرم حلالا وأباح لهم
بعد ذلك أن يتماثلوا كيف أرادوا بالتراضي بينهم كما بينا ذلك مرارا وهم غير
مكلفين بالعمل بآراء الفقهاء واجتهادهم التي لا دليل عليها في النص إلا إذا أمر الحكم
بالقضاء فيها حينئذ تتبع لاجل أن تكون المعاملات نافذة لاندينا وتعبدا . مثال
ذلك اشتراط الإيجاب والقبول في البيع مثلا لم يتعبدا الله به وقد قال به من
قال اجتهادا لما رآه من المصلحة فيه فإذا صار الناس على نوع من المعاطاة
وتراضوا به جاز لهم ذلك دينيا ولكنهم يضطرون إلى التزام الإيجاب والقبول إذا
أرادوا أن يكون البيع نافذا عند حاكم يشترطه

﴿ حكم شرب البيرا وعصير الزبيب ﴾

(س ٥ و ٦) ومنه : ما هذا الشراب المسمى (بير) وما حكمه وما مادة أخذه
وهل يقال أنه من الأجزاء الدوائية أو غير المسكرات أو محل تناوله وهل هو أنواع ؟
وهل في عصير الزبيب ما يجوز شربه ؟

(ج) البيرا هي (الجمعة) أي الشراب المأخوذ من ماء الشعير ويقال إنها
تخمر بحشيشة الدينار وهي أنواع ولا شك في كونها من المسكرات ولكن يقال أن
القليل منها لا يسكر لاسيما بعد الاعتقاد والصحيح المختار عند جماهير المسلمين ومنهم
الشافعية الذين يقدم أهل بلادكم أن ما أمكر كثيره قليله حرام وهي ليست
من الأدوية ولكنها تنقذ في تحليل البول وفي الحلال ما يفي عنها ذلك كالبدونس
ومن مرض بحصر البول ولم يجد محلا غيرها حل له التداعي بها بقدر الحاجة .

وعلمت أنه يوجد نوع منها يستعمل التحليل لا يسكر قليلا ولا كثيرا ولكنه قليل
المكث يشرب عقب صنعه فإذا طال عليه الأمد أياما فسد وذابت فائدته .
وأما عصير الزبيب فلا يحرم الا اذا اختبر وصار مسكرا وقد عجت من
هذا السؤال في غير شبة وما زال المسلمون مذكأوا يشربون ماء الزبيب وغيره
منبوذا ومعمورا ما لم يمكث زمنا ينخمر فيه ويصير مسكرا . وله في مصر وغيرها
مواضع يباع فيها هو ماء الخروب وعرق السوس وغير ذلك

﴿ بانصيب ﴾

(س ٧) ومنه : « بانصيب » لم نعرف ماهيته ولم نراستثاسا لتعاطيه أو دليلا
على حله فاهو وما حكمه هو واشباهه :

(ج) هو نوع من أنواع القمار كقيته أن يضع امرؤ أو شركة قراطيس صغيرة
فيها أرقام تسمى نمرا أي أعدادا يذ كر في كل قرطاس منها ما يدل على ان كذا
من هذه النمر يسحب في يوم كذا من شهر كذا وان طائفة منها (أي النمر) يبيع
كذا قرشا أو جنيا أو فرنكا وكذا منها يبيع كذا أي أقل من ذلك و يبيعون
هذه القراطيس بشمن قليل بالنسبة الى ما يرحى من بعضها ويشترىها من يشترىها
آملا أن تكون النمرة فيها يشتريه من النمر الراجعة وإذا يكون أعلى قليلا وأخذ
كثيرا . وكيفية السحب أن توضع بطائق عليها أرقام تلك النمر في وعاء مستدير
فيه ثقب يفتح بعد أن تخضع البطائق في الوعاء فينزل منه بطاقة بعد أخرى
امام شهود يصبح صائحهم ببيان نمرة كل بطاقة تنزل اذ تكون رابعة حتى اذا
تم عدد ما كتب على القراطيس أنه يبيع يكون السحب قد تم وعرف الرابع من
غيره مثال ذلك ان تكون النمر التي قدر لها الريح عشرة من مئة فالمعنى ان البطائق
العشر التي تسقط أولا هي التي تكون رابعة ومن العادة ان تكون الأولى أو فر سها .
وهذا العمل من القمار أي الميسر المحرم في الدين كما هو معلوم

بَابُ التَّجَلُّلِ فِي تَعْلِيمِهِ

نَصَرَ مِنَ اللَّهِ وَفَتَحَ قَرِيبُ

(الأزهر ومدرسة القضاء الشرعي)

قال الأستاذ الامام عليه رضوان الله تعالى « يستحيل بقاء الأزهر على حاله فإما أن يصلح وإما أن يسقط » وكان أكرم الله مثواه باذلاً جمل عنايته في إصلاحه حذراً من سقوطه وحرمان المسلمين مما يرجى بإصلاحه وكان أقدر من عرفنا من الناس على هذا الإصلاح وسائله ومقاصده وأحكمهم في تنفيذه إلا أنه أخطأ في أمر واحد لولاه لم له ما أراد من الإصلاح وهو فوق ما يطلب منه . ذلك الأمر هو محاولة إصلاحه برضى كبار شيوخه واستعمالهم فيه بالاقناع دون السلطة الا ما بدأ به من وضع قانون لإدارته والسعي في إصدار ارادة من الأمير به بناء على قرار من مجلس النظار لمعه أن العمل بدون ذلك متعذر ولا محل لشرح ذلك هنا بل موضعه الجزء الأول من تاريخه الذي نعتني بطبعه الآن وإنما نريد أن نبين أنه كان يحاول تنفيذ هذا القانون بدون استئانة بسلطة التنفيذ في البلد بل بمجرد رضى شيخ الأزهر وأعضاء الإدارة

كان الشيخ حسونه النواوي أول من ولي المشيخة واختير للعمل بهذا القانون مع المرحوم وسائر من اختيروا للإدارة وكان المرحوم هو الذي اختاره وسمى لدى الأمير بتعيينه وكبلاً للشيخ الانبائي المرحوم ثم أصيلاً وقد استعان على هذا ببعض أصدقائه كالمرحوم أمين باشا فكري . ذلك انه كان يعتقد أن الشيخ حسونه أمثل الشيوخ وأرجاهم لقبول الإصلاح . علمت ذلك منه أول مقدمي لمصر سنة ١٣١٥ اذ قلت له سمعت من بعض مجاوري الأزهر الطرابلسيين ان شيوخ الأزهر قد امتنعوا من جعل الشيخ حسونه شيخاً للأزهر لأنهم لا يمدونه من كبار العلماء فقال ان كانوا يعنون بذلك انه لا يقدر على إيراد الاحتمالات الكثيرة في مثل عبارة جمع الجوامع فهذا صحيح ولكن هذه الاحتمالات التي

يوردونها ليست من العلم في شيء والشيخ حسونه أمثلهم ؛ وقد دلت التجارب على صدق هذا القول - ولا ننسى فضل المرحوم السيد علي البيلوي الذي ظهر من فضله فوق ما كان يظن فيه - فان ماجرى على يد الشيخ حسونه أولا وآخرها لم يجر على يد غيره مثله

نعم كان الشيخ حسونه يرحى بعض ما يقترح المرحوم عملا بالتدريج عن رأي واعتقاد ولكنه لم يكن يقرر الشيء ولا ينفذه كما فعل من جاؤا بعده ماعدا البيلوي وقد تقلب على الأزهر في هذه المدة عدة شيوخ كان أشهرهم في علوم الأزهر أبعدم عن الإصلاح ، فالشيخ سليم البشري من أشهرهم لم يجر على يده شيء بل كان معارضا لكل شيء فأرضى أمثاله من المحافظين على القديم وأغضب طلاب الجديد والشيخ عبدالرحمن الشربيني أشهرهم على الإطلاق وهو لم يفعل شيئا ولم يرض طائفة من الطائفتين

قلت للاستاذ الامام مرة : ان قرار مجلس إدارة الأزهر هو كقرار كل مجلس رسمي وكل محكمة يطالب القانون بتنفيذه ويعاقب على تركه فلماذا لا تطالب بتنفيذ هذه القرارات الكثيرة التي يتمتع شيخ الأزهر من تنفيذها بصفة رسمية فلم قلت هذا مرة واحدة لنفذ كل قرار ، فقال : ان هذا لا يكون الا بسلطة الحكومة والتي أرجو أن لأدع الحكومة لتدخل في الأزهر مادمت فيه فكيف أكون أنا الذي يدعوا الى ذلك فنحن ندعو الشيوخ بالاعتناع معصمين بالصبر وكان يكره ان يكون « للمعية » اصعب في الأزهر كما يكره ان يكون للحكومة يد فيه لاعتقاده ان خبر الإصلاح في العلم والدين ما كان بعيدا عن السياسة فاقصا عن اقتناع العلماء به واستقلالهم فيه ، ولكن « للمعية » ولدت بالأزهر ولوعا كاد يكون عشقا وغراما ولما رأته ان تمتعها بهذا المعشوق لا يتم مع وجود هذا العذول الرقيب طفقت تناهضه حتى كان ما كان من أمر استقالاته من ادارة الأزهر وكان ما كان بعده من الحلل في هذا المكان حتى أدى ذلك الى اقامة نائب عن شيخه الشربيني يدبر الأمر من دونه عدة أشهر ثم الى استقالاته واعادة الشيخ حسونه الى المشيخة وعلى يد الشيخ حسونه تم مشروع مدرسة القضاء الشرعي وصدر به (المارح ١) (٧) (المجلد العاشر)

الأمر العالي فصدق قول المرحوم فيه أنه أمثلهم في حياته وبعد مماته مما كان ينويه من إصلاح الأزهر إنشاء قسم قضائي فيه يرشح فيه الطلاب لمنصب القضاء زاده حرصاً عليه اقتراح المستر سكوت المستشار القضائي الأول إصلاح المحاكم الشرعية وجواز جعل المتخرجين في مدرسة الحقوق الخديوية قضاة شرعيين . لم أر الأستاذ معاً في مقاومة شيء كاهتمامه في حل الحكومة على الأعضاء عن جعل متخرجي الحقوق قضاة للشرع ، سعى في ذلك وحاول إقناع كبراء الشيوخ بأن يسعوا معه فلم يبر منهم مبالاة فكان يتملأ ويقول إذا نفذ هذا المشروع قضي على الأزهر وقد نجح سعيه فلم ينفذ

وعندما حاولت الحكومة تعيين قاضيين من محكمة الاستئناف الأهلية للمحكمة الشرعية العليا بمصر ولم يتم ذلك قوي عزمه وظن أن الفرصة سحبت لإنشاء القسم القضائي وقد فتحنا كوة للبحث في ذلك إذ أنشأنا مقالة في المنار الذي صدر في ذي الحجة سنة ١٣١٦ تقترح فيه إنشاء هذا القسم القضائي ولكن حال دون إنشائه عزل الشيخ حسونه من المشيخة وتولية الشيخ عبد الرحمن القطب في ٢٤ المحرم سنة ١٣١٧ ولم يلبث هذا أن توفي بعد شهر من توليته وولي الشيخ سليم البشري الذي وقف في عهده سير الإصلاح وكان من أمر «الجمعية» من أول عهده إلى الآن ما أشرنا آنفاً إلى أنه انتهى باستقالة المصلح العظيم من إدارة الأزهر وبهذا انقطع رجاء الحكومة من إصلاح حال القضاة الشرعيين الذين ضجت منهم الأمة طالبة بلسان الجمعية العمومية ولسان مجلس الشورى إصلاح المحاكم الشرعية فهبت إليه بوضع مشروع إنشاء مدرسة قضائية يتولى هو بنفسه أمرها وكان هذا المشروع آخر عمل إصلاحه عمله إذ تم في أوائل مرض الموت وما كان يؤلمه من هذا المشروع الانفصاله عن الأزهر وقصارى ما أمكنه من وصله به جملة تحت نظر مفتي الديار المصرية دائماً وكان للحكومة معه وقفة في هذه المسألة تبارك ناصر المحلصين ، أحياء وميتين ، فقد قضت حكمته عز وجل أن يقوم بتنفيذ المشروع ويجعله أشد صلة بالأزهر سعد باشا زغلول ناظر المعارف لهذا العهد ولا يجهل أحد من المصريين من هو سعد باشا من الأستاذ الامام ، وإن يكون

ذلك في عهد مشيخة الشيخ حسونه وبعد موافقته عليه وجعله تحت نظره وقد علم القراء اعتقاد المرحوم في الشيخ حسونه وما كان من نيته في أيام مشيخته الأولى وهالك نص القانون في ذلك

﴿ مشروع أمر عال ﴾

﴿ بإنشاء مدرسة القضاء الشرعي ﴾

نحن خديوي مصر

بعد الاطلاع على قانون الجامع الازهر الصادر به الامر العالي بتاريخ ٢٠ محرم سنة ١٣١٤ (أول يولي سنة ١٨٩٦) عمرة ٣

وبناء على ما عرضه علينا فاطر المعارف العمومية وموافقة رأي مجلس النظار أصم فأبما هوأت

المادة الأولى - يخصص قسم من الازهر لتخريج قضاة ومفتين وأعضاء ووكلاء دعاوي وكتابة للمحاكم الشرعية ويسمى (مدرسة القضاء الشرعي)

المادة الثانية - تكون هذه المدرسة باعتبار كونها قسما من الازهر تحت اشراف شيخه ويكون لطلبتها من الامتيازات مالفيرهم من الازهر بين ويتولى ادارتها ناظر يعينه ناظر المعارف ويكون لها محل مخصوص

المادة الثالثة - تنقسم هذه المدرسة الى قسمين القسم الاول لتخريج كتابة للمحاكم الشرعية والقسم الثاني لتخريج قضاة ومفتين وأعضاء ووكلاء دعاوي للمحاكم الشرعية أيضا

﴿ القسم الاول ﴾

المادة الرابعة - يشترط فمين يدخل القسم الاول من مدرسة القضاء الشرعي ما يأتي :

اولا - ان يكون طالب علم في الازهر أو احد ملحقاته مدة ثلاث سنين وان يكون حميد السيرة

ثانيا - ان يكون صحيح الجسم سليما من العاهات

ثالثا ان ينجح في امتحان الفخول في المواد الآتية :

(ا) حفظ نصف القرآن الكريم على الأقل

(ب) المطالعة في الكتب السهلة مع الصحة وفهم المعنى

(ج) الاملاء

(د) النحو

(هـ) الفقه

(و) مبادئ علم الحساب

المادة الخامسة - يكون امتحان الفخول في هذا القسم تحت رئاسة شيخ الجامع الأزهر أو من ينيبه عنه بواسطة لجنة أو أكثر على حسب الأحوال مؤلفة من عضوين ينتخبهما ناظر المعارف العمومية بعد أخذ رأي لجنة الإدارة الميينة في المادة ١٨

المادة السادسة - تكون مدة الدراسة في هذا القسم خمس سنوات

المادة السابعة - تدرس في هذا القسم العلوم الآتية :

التفسير - الحديث - الفقه على مذهب أبي حنيفة - التوثيقات الشرعية - التوحيد - المنطق - آداب وأخلاق دينية - نظام المحاكم الشرعية والأوقاف والمجالس الحسينية ونظام القضاء والإدارة - الفقه العربية - الحساب والهندسة - التاريخ والجغرافيا - الخط

المادة الثامنة - الامتحان النهائي للقسم الأول يكون تحت رئاسة شيخ الجامع الأزهر أو من ينيبه عنه بواسطة لجنة أو أكثر على حسب الأحوال مؤلفة من عضوين ينتخبهما ناظر المعارف بعد أخذ رأي لجنة الإدارة الميينة في المادة ١٨

المادة التاسعة - يكون الامتحان في مواد الدراسة بالقسم الأول تحريرا وشفهيا على حسب التفصيل الذي تشتمل عليه اللائحة الداخلية

المادة العاشرة - تعطى لمن نجح في الامتحان النهائي لهذا القسم شهادة الأهلية الأزهرية ويكون أهلا بموجبها لأن يعين كاتباً بالمحاكم الشرعية فضلا عن المزايا المقررة لها بحسب قانون الأزهر

﴿ القسم الثاني ﴾

المادة الحادية عشرة - يشترط فيمن يدخل القسم الثاني من مدرسة القضاء الشرعي ما يأتي :

أولاً - أن يكون حاملاً لشهادة القسم الأول
ثانياً - أن يكون صحيح الجسم سليماً من العاهات
ثالثاً - أن يكون حميد السيرة لم يسبق الحكم عليه بسبب أمر مغل بالشرف وأن يكون حاملاً بأمور دينه

المادة الثانية عشرة - تكون مدة الدراسة في هذا القسم أربع سنين

المادة الثالثة عشرة - تدرس في هذا القسم العلوم الآتية :

تفسير وحديث - الفقه على مذهب أبي حنيفة - حكمة التشريع - الأصول على مذهب أبي حنيفة - آداب البحث - توحيد - منطق - آداب وأخلاق دينية - أصول القوانين - نظام المحاكم الشرعية والوقف والمجالس الحسينية ونظام القضاء والادارة - محاضرات عامة ودراسة بعض القضايا ذات المبادئ الشرعية - اللغة العربية - العلوم الرياضية - التاريخ - تقوم البلدان - الخواص التي أودعها الله تعالى في الأجسام

المادة الرابعة عشرة - الامتحان النهائي للقسم الثاني يكون تحت رئاسة شيخ الجامع الأزهر أو من ينوب عنه بواسطة لجنة أو أكثر على حسب الأحوال وتتألف كل لجنة من خمسة أعضاء ينتخبون من علماء الأزهر وأرباب المعارف الفنية بمعرفة ناظر المعارف بعد أخذ رأي لجنة الادارة الميينة في المادة ١٨

المادة الخامسة عشرة - يكون الامتحان في مواد الدراسة بالقسم الثاني تحريراً وشفهياً على حسب التفصيل الذي تشتمل عليه اللائحة الداخلية

المادة السادسة عشرة - يصدر لمن نجح في الامتحان النهائي للقسم الثاني البيورلدي العالي المنوه عنه في المادة ٥٣ من قانون الأزهر وزيادة عما لحاقه من المزايا يصبر أهلاً بموجبه لأن يكون وكيل دعاوى أوقافياً أو مفتياً أو عضواً أو نائباً بالمحاكم الشرعية

﴿ أحكام عمومية ﴾

المادة السابعة عشرة - يكون للمدرسة لجنة إدارية تسمى لجنة الإدارة وتتألف من شيخ الجامع الأزهر أو من ينوب عنه رئيساً ومن مفتي الديار المصرية ومن ناظر المدرسة ومن عضوين آخرين ينتخبها ناظر المعارف بالاتفاق مع ناظر الحفائية المادة الثامنة عشرة - تختص لجنة الإدارة بما يأتي :

أولاً - تهيئ اللائحة الداخلية

ثانياً - وضع برامج الدراسة وتوزيعها على السنين والاقوات المختلفة وبيان درجات كل علم

ثالثاً - انتخاب المدرسين بالمدرسة

رابعاً - انتخاب أعضاء لجان الامتحانات المختلفة

خامساً - تقرير ما ينبغي صرفه من الاعانات الشهرية لطلبة القسم الأول والثاني

سادساً - تقرير الاجازات التي تعطى فيها الدراسة

سابعاً - ما يطلب منها ناظر المعارف النظر فيه

قرارات هذه اللجنة تكون نافذة بعد تصديق ناظر المعارف عليها

المادة التاسعة عشرة - مرتبات الموظفين والمدرسين بهذه المدرسة تقدر على حسب أهمية وظائفهم وأهمية الدروس التي يكلفون بالقائها ويعطى لطلبتها إعانة شهرية

المادة العشرون - لا يصح أن ينتخب مدرس في هذه المدرسة من غير علماء الأزهر الا اذا كان مسلماً حميد السيرة ومشهوداً له بالبراعة في الفن المعين لتدريسه

المادة الحادية والعشرون - ناظر المدرسة هو المكلف بضبطها ونظامها وتنفيذ قرارات لجنة الإدارة فيها

﴿ أحكام وقتية ﴾

المادة اثنان والعشرون - اذا ظهر من نتيجة امتحان الدخول في القسم الأول في اثناء السنوات الاربع الأولى التالية لافتتاح المدرسة وجود طلبة مسنعين

لتلقي دروس أي سنة أعلى من السنة الأولى وعدم كاف لتشكيل هذه السنة
جاز تشكيلها وذلك بطريق الاستثناء من أحكام المادة ٦

المادة الثالثة والعشرون - يجوز في أثناء السنوات الخمس الأولى التالية
لإفتتاح المدرسة أن يقبل بالقسم الثاني طلبة الأزهر ممن قضوا ثمان سنوات بدون
شهادة الأهلية أو العالمية إذا توفرت فيهم الشروط الأخرى المنصوصة في تلك المادة
وذلك استثناء من أحكام المادة (١١)

المادة الرابعة والعشرون - على ناظر المعارف تنفيذ هذا القانون

(الناظر) عرض هذا المشروع على كبيرى العلماء ورؤسبهم الشيخ حسونه شيخ الأزهر
والشيخ بكر الصدي مفي الديار المصرية قبل عرضه على الحكومة رسياً وبعد
مذاكرة بينهما وبين ناظر المعارف وبعد تحوير اقتراحه فأجابها الناظر اليه أقرأ
المشروع ثم أرسل ناظر المعارف نسخه الى «المعية» والنظار ووصل بعضها الى جريدة
القواء فنشرته وبعد أيام من نشره لم يسمع له فيها صوت انبرى بعض المدرسين
في الأزهر الى اعتقاد بعض مواده في الجرائد وكتبوا الى ناظر المعارف عريضة
ذهب وفد منهم قدسها اليه في النظارة فطلب منهم أن يختاروا أربعة منهم للكلام
معه فوعدهم الأربعة بإجابتهم الى ما طلبوا وأمه عدم امتحان من يطلب
الدخول في المدرسة من حاملي شهادة العالمية وكان ذلك حماً مقضياً في المشروع.
ثم ذهبت طائفة أخرى من المهاجرين النباه فشكوا الى الناظر من اشتراط كون
طالب الدخول حنفي المذهب وكونه حاملاً لشهادة العالمية فوعدهم بإجابة طلبهم
فاقبلوا كما بقيهم مسرورين شاكرين وقد وى الناظر بوعده لفريقين

ثم اننا سمعنا بعد ذلك من جانب الأزهر دندنة وجججة وقيل ان بعض
المشايخ جاء من خارج القاهرة فطاف على كبار الشيوخ واجتهد في اقناعهم
بمعارضة المشروع حتى انه ظاهر بين المتدبرين لاجل الاتفاق وتحدث الناس
بأن صدور الامر العالي بالمشروع سيرجأ وذكرت الجرائد مايدل على ذلك قبل
اجتماع مجلس النظارياسة الامير يوم أو يومين ولكن المشروع عرض على
المجلس وصدر الامر العالي به «وقضى الله أمراً كان مفعولاً» وافتتح لطلاب

العلوم الدينية باب النظام في التعليم و باب علوم الكون وذلك فتح ميين ، ومبدأ تاريخ في المسلمين جديد

ولا نزال نسمع عن الشيوخ أنباء الاثمار والدعوة الى الانفاق على طلب نسخ بعض مواد هذا القانون بناء على المقرر في الاصول من جواز نسخ الحكم المشروع قبل العمل به واذا جاز في الدين فلان يجوز في القوانين أولى . والمشتغل منهم بالسياسة والمنعرك فيهم بالسياسة يقول ان الامر العالي الذي صدر بتعيين قاضيين من محكمة الاستئناف الاهلية في المحكمة الشرعية العليا قد اوقف تنفيذه لما كان من معارضتهم . واني اخشى ان استرسلوا في هذا الفرور ، وغرهم بما يغريهم به الفرور ، أن يلجوا الحكومة الى السيطرة عليهم ، وتعيين مدير للازهر يدبر أمر التعليم وينفذ القانون ، والله يعلم وانتم لاتعلمون ، ولكن الرجاء في الشيخ حسونه وقد حنكه الزمان ، وهو أعلم منهم بما كان ، ان يثلافي ذلك بالحكمة ، ويرضي بحسن ادارته الحكومة والأمة ،

أنا في كتابي الحبيب

﴿ وقائع الحرب ﴾

نظم فارس أفندي الخوري أحد كتاب الشام وشعرائها المشهورين أربع قصائد في تاريخ الحرب بين الروس واليابان التي كان مبدأها أوائل فبراير (شباط) سنة ١٩٠٤م ونهايتها ١٠ أوائل سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٠٥ وأهداها الى صديقه الدكتور حسين أفندي حيدر فطبحها هذا طبعا متقنا مطبعة الأخبار بمصر . وهي تباع بمكتبة المنار بشارع درب الجمايز بقرشين صحيحين . وانا نورد بعض الفصول من هذه القصائد لما فيها من الفائدة والعبرة في ثوب الفكاهة والتسلية ومنها يعلم القارى درجة التأخر في القدرة على نظم الوقائع وضبطها مع الانصاف والامانة في النقل ، ونحري تنبيه القدرن وإقارة العقل ، قال في القصيدة الأولى وهو

الفصل ٧٥ و ٧٦ (وما في الهوامش من تفسير بعض الكلم منقول من الاصل اذ وضع في آخره جدول لذلك)

٥

﴿ نكبة الروس بفريق الاميرال مكروف على الدارعة بتروبالسك ﴾

في ١٣ نيسان سنة ١٩٠٤

سعى طوغو على مكروف يوم الـ
أقام له انفخاخ بكل وجه
وناصبه بمرض البحر حرباً
آثاره الشهامة عن عرين
فقاتله وناضله بقلب
ولكن لما عدد قليل
ندقت الكرات عليه حتى
فقدار الى الخليج يريد أمناً
مضى يمتاز فوق نفخاخ طوغو
الى ان شقت القمرات فاهماً
فشاهد تحت اخمصه جحياً
كان جهماً وجدت سبيلاً
كان هناك بركاناً تغطي
كان البحر غضبان عليهم
طوغو بضيمه حنقاً فلما

لما وأعد تديراً مريراً
بوجهه بها ناراً حروراً
فكر عليه لا يخشى نكيرا
وبأبي الليث الا أن يشورا
يريه كل متاع يسيرا
يفوز ويلب العدد الكئيرا
رأى في الكرم وقفه مييراً (١٠)
وكان بواره في أن يدورا
كصلاح يحاذر ان يحجورا
وأصعدت البلايا والسميرا
وقد فتحت قذائفه حفيراً (١١)
ومطوياتها لقيت نشورا
وأطلق في القضا ناراً ونورا
لما جروا على الدنيا شرورا
دنا مكروف كاشفه الضميرا

(١) المير المهلك (١١) الحفيد القبر

(المنازع)

(٨)

(المجلد العاشر)

هوت فيه السفينة في خليج	وكانت قبل تحترق البحورا
على مكروفي قد بكت البواكي	وأطلقت المدافع والشعورا
فقاض له بأرض الروس دمع	يؤلف لو يضم معاً غديرا
بصرعه عزوم الروس خارت	وحق لها بذلك ان تخورا
رجاء القوم معقود عليه	ليدفع عنهم الخطب الصيرا
أميرهم وعند أشد ضيق	يراد لكشفه فقدوا الاميرا
فكان يهديه قرأ مضيقاً	وكان بكره أسدا مزيرا (١٢)
وان الروس لا يسلون عنه	ولو وجدوا له فيهم نظيرا

٦

﴿ الواقعة البرية الاولى على نهريالو ﴾

في ١١ ايار سنة ١٩٠٤

أقام الروس في يالو قلاعاً	على تحصينها صرفوا شهورا
مسيل النهر دونهم فظنوا الـ	مدى لا يستطيعون العبورا
ومن خاض البحور الى الاعادي	أيأبى ان يخوض لهم نهورا
مشى اليابان لا يخشون بؤساً	وماء النهر يكتنف الصدورا
بجيش كل من فيه جريء	تمنى للاعادي ان يطيرا
وصبوا من مدافعهم كرات	يفلق عزم صدمتها الصخورا
لئن صبرت جيوش الروس شيئاً	فبعد هنية ولت ظهورا
وأبقت من ذخايرها نهاباً	ومن أعتادها شيئاً كثيراً (١٣)
ولليابان في الآثار شد	فكم قتلوا وكم أخذوا أسيرا

(١٢) المنذر الشديد القلب والقوي النافذ «١٣» أعاد الحرب أدواتها وعلمها

اتوا أنطُشخ بالرايات حتى
لمعرك ليس يحمي السور مدناً
فهل حدثت في أخبار دلي
وما قد أتمقوا عملاً ومالاً
أباحوها إلى اليابات غناً
ولا عجب لمخال مدل
إذا غفل الرعاة عن المواشي
وإن الخاشع اليقظان يكوي
كذلك من توخى النبي متناً

على أسوارها خطرت خطيراً
إذا عدمت من التدبير سورا
وما شادوا بساحتها قصورا
على المرسى وكيف جرى أخيراً
وما نالوا على نصب أجورا
إذا أخلى الحواضر والثغورا
فن ذا يدرأ الأسد المصورا
بجد حسامه البطل الثغورا
تراه بدون معثرة عثورا

(٧)

﴿ وقعة كنشو ﴾

وكنشو بالمدافع منوها
وظنوا أنها تبقى طويلاً
أغار الخضم منقضا عليها
إلى أن كوروا القتلى تلالاً
رأوا أن المدوميموت طوعاً
ومن رغب المنية واتحاهما
بدا للروس أن التفتح داف
فولوا تاركين على الروابي

وولوا حفظها جيشاً كبيراً
وتثبتت في خفارتهم دهوراً
ونار الروس تكتسح المغيراً
وأوشكت المعادل أن تمورا (١٤)
ولا يأبى التحم والكرورا
بيت عدوه عنها هورا
يفذ فلا معين ولا مجيرا (١٥)
فخائرم لأعدام نصيرا

«١٤» المعادل الحصون وتمورتهم وتميل إلى السقوط «١٥» يذ يسرع في السهم

لقد شمعوا على اليابان لما
وقالوا سوف نطعنهم فتعدو
ولكننا على يالو وكنشو
فمرض الجسم لا يفي قتيلا
أست ترى الوليد وفيه حزم
رهام الطير تنخل ارتياعاً
وقال في أول القصيد الثانية

(الوقعة الكبرى في جوار مكدن في ١٥ شباط سنة ١٩٠٥)

(١)

بمكدن كور بتكن لم جيشاً
رأس الأعتاد وافرة لديه
ولكن رأي أوياما أراه
أقام له المراسد في الصياصي
تخبره بما اصطنعوا دفاعاً
أعد الخطة المثلى ليوم
ورب للهجوم عليه رأياً
وهز جناحي الجيش التفافاً
رمى اليسرى بكوركي فندزو

وشاد له المماطل والحصونا
فظن مقامه حرزاً حصينا
أموراً خيت تلك الظنوننا
وبين جفونه بث الميونا (٣٩)
لحوزتهم وكيف يدبرونا
بروع حر أزمته السفينا
يكون لمجد رايته ضينا
على أعدائه المتحصينا
فأكوثم في نوجي المينا

(٢)

ودارت للمنون رحي طحون لها الاجساد قدصارت طحيناً

«١٦» القزم الزمير القمي الصغير الحجة الذي لاغناء عنده

«٣٩» الصياصي جمع صبيحة وهي مرتقات الارض والمشارق التي يتبع بها

وطبق كل ناحية دخان
وصوت القذف أو قر كل أذن
فليس بمبصر أحد أخاه
فصار الحزن من ذلك سهوا
لو انقشع الدخان بدت أمور
جيوش كيفما العيون استدارت
كان الأرض بالابطال حبل
فلا حجر تراه العين الا
كان حجارها الصم استحالت
فلا واد بتلك الارض الا
كان عقولهم ذهبت شعاعاً
فكل فتى غدا أسداً مصوراً
كثيف أسود يعمي الميونا
فان سمته تحسبه طيننا
وما هو سامع منه الا نينا
وصار السهل من جثث حزونا
ترد المرد شيباً منحني
تراهم يظهرن ويختفون
تدفهم حيارى صارخينا
يحجب خلقه منهم جنينا
رجالاً بالحديد مسربلينا
ويخرج من معاطفه كينا
فليس لهم بها ما يرهونا
وموطي رجله أضى عرينا

﴿ حديث عيسى بن هشام ﴾

(أوقرة من الزمن)

لحمد بك المويلحي مقالات أدبية كان ينشرها في جريدة مصباح الشرق بأسلوب مقامات البديع والحري، وراوتها عيسى بن هشام . وكان يتبنى كثير من قراءها من محبي الأدب لتجميع في كتاب فكان لهم ما عمنوا . جميع الكتاب نفسه هذه المقالات ونقصها وزاد فيها ونقص منها وطبعها فكانت كتاباً صغيراً . وقد قال في (إهداء الكتاب) ما يأتي

« الف المؤلفون والكتاب أن يبدؤا كتبهم عند نشرها بإهداءها الى بعض ذوي الشأن والفضل والضعيف العاجز يهدي هذا الكتاب الى كل من يقرأه من أديب يجد فيه طرفاً من الادب ، وحكيم يرى فيه لمحة من الحكمة ، وعالم يصبر فيه

شدة من العلم ، ولقوي يصادف فيه أراء من الفصاحة ، وشاعر يشعريه بمثل طيف
الخيال من لطف الخيال . واهديه الى أرواح المرحومين - الأديب الوالد ، والحكيم
جمال الدين ، والعالم محمد عبده ، والقوي الشنقيطي ، والشاعر البارودي ، وأولئك
الذين أنعم الله عليهم وأولئك الذين تأدبت بأدبهم وأخذت عنهم اه وتقول ان
هذا العبارة المبلغ مافي الكتاب من خيال الشعر الفصيح ، ولحات الحكمة في التلويح ،
ثم ذكر صورة كتاب كانت عنده من السيد جمال الدين بخطه وهي

حبيبي الفاضل

تفليك في شؤون الكمال يشرح الصدور المخرجة من حسراتها، وخوضك في
فنون الآداب يريح قلوباً علفت بك آمالها، وليس بعد هذا الأرهاص إلا الإعجاز
ولك يومئذ التحدي، ولقد تمثلت الطليقة الموسوية في مصر ككرة أخرى، وهذا توفيق
من الله تعالى ، فاشدد أزرها، وأبرم بما أوتيت من الكياسة والحدق أمرها، حتى
تكون كلمة الحق هي العليا، ولا تكن كلمة الذين غرهم أنفسهم بباطل أهوائها، وساقهم
الفتن إلى مهواة شقاها، وحسبوا أنهم يحسنون صنعا ، ويصلحون أمراً، وكن عوناً
للحق ولوعلى نفسك، ولا تقف في سيرك إلى الفضائل عند عجبك، لأنهاية للفضيلة
ولا أحد للكمال ، ولا موقف للرفان ، وأنت بفرزتك السامية أولى بها من غيرك
جمال الدين الحسيني الافغاني والسلام

❦ الدقائق في الحقائق ❦

ألف يعقوب أفندي جبرائيل مراد مترجم وسكرتير إدارة دائرة بالينودرايت
باشا بكفر الدوار كتاباً سماه بهذا الاسم أودع فيه أفكاره في النفس والروح
والقدرة الآلية والأديان وقد أهدى النسخة مطبوعة منه فنظرنا في بعض صفحاتها
من أوائلها وأواخرها فرأينا فيها فكرة حسنة سبق المؤلف فيها أناس ولكن لم يأت
بها تقليداً بل هداه اليها النظر والفكر فتقبلها بقبول حسن بل أدهش حسنه وجمالها،
وراعته عظمها وجلالها ، فملك قلبه ، وفنت لبه ، حتى ظن أنها إلهام ، افاضه عليه
ذو الجلال والاكرام ، لان مثلها لا يأتي من الفطنة ولا يستفاد بالتعليم ، كما قال عاشقات
يوسف « ما هذا بشراً ، ان هذا الملك كريم » ثم سررت منها عدوى الافغان بهاء

الى الهيام بالعبارة المؤدية لها، فتحيل ان الاعجاز ينطوي في كلامه، الناصر لاهامه
أو المعبر لاهلامه ،

اما الفكرة الحسنة فهي الجمع بين الكتب المنزلة - التوراة والزبور والانجيل
والقرآن - وازالة التفرق بين متبعيها . هذا مادعا اليه الاسلام ونادى به القرآن ، وهو
وحي الرحمن ، فكل من دعا اليه فقد دعا الى المقصد الحق وان أخطأ في الوسيلة
ولا بد لكل قول من تأثير في نفوس مستعدة له فاذا كان في الناس من يعد هذا
الكتاب كما قال الاستاذ الامام في بعض الجرائد « نوبات عصية » فلا بد ان
يوجد فيهم من يمدد حكمة مرضية

﴿ القول المتين . في الرد على المخالفين ﴾

رسالة للشيوخ قاسم بن سعيد الشامي صاحب مجلة نبراس المشاركة والمشاركة
طبعت في العام الماضي واهدانا نسخة منها في هذه الايام فرأينا في فاتحتها أنه
يورد فيها على مجلة اسمها الاسلام يصدرها في بعض الاحيان رجل اسمه الشيخ
احمد علي الشاذلي وكان الشيخ قاسما ظن أن لهذه المجلة شأنًا ، وألما تكتبته وقعا ،
فعني بالرد عليها وما عني بما يرد عليه ، ولوعرف حقيقتها ، لما بذل شيئًا من الزمن في
قراءتها بله الرد عليها ، وقد القيت الينامة نسخة منها قبل لئلا ان فياردا علينا فلم
يحررنا ذلك الى ثنائولها حرصا على الوقت ان يضيع في قراءة شيء منها . وقد
وقع نظري في هذه الفاتحة على اسم المنار فقرأت اسطرًا من الكلام الذي ذكر
فيه فاذا هو حكاية عن رجل هندي انكر على المنار انكار التقليد والدعوة
الى معرفة الدين بالدليل . عرفت ذلك الهندي وما هو هندي ان هو الارجل
مصري كان يبيع الكتب في اسواق مصر وشوارعها وملاهيها - كما قيل لي - ثم
طوحت به الطوائع الى كلكتة وهناك عين اماما في مسجد وما هو من يحفل
بقوله ولا باعتراضه فعسى أن يسامحني الشامي اذا لم اجه الى قراءة ما كتبه في
هذه الرسالة وقد عدلت أنه دافع عني فانا اشكر له ذلك وأسأل الله لي وله التوفيق

﴿ قاعة مصر ﴾

قصة وضما الدكتور يعقوب أفندي صروف وجملها ذيلًا للمقتطف في مجلد

سنة ١٩٠٥ وهي قصة لا كالقصص فإن أكثر القصص لقروما عساه يوجد فيها من الفائدة فهو كما قيل في الحروب « درهم عسل في قطار خشب » وأما هذه القصة فبكتيرة الفوائد وترجع فوائدها الى شيئين عظيمين أحدهما مالي والاخر أدبي اجتماعي . أما الأول ففيه بيان مكانة المال في هذا العصر وقوة رجاله وما لهم من السلطان في عالم السياسة حتى صور الكاتب ان الحرب اليابانية الروسية ما أشعل نارها الارجال المال في أوروبا . وفيه بيان تلاعب رجال بيوت المال المعروفة (بالبورص) بالأغنياء وابتزازا أموالهم بالمسكاييد وفي ذلك عبرة لاغنياء مصر المفتونين بالبورصة والقمار ان كانوا يعتبرون . وأما الثاني ففيه تصوير لمباشرة الوجهاء من المسلمين والنصارى واليهود بعضهم لبعض ورغبة بعضهم في مصاهرة بعض . وجعل من رجال القصة شيخا عبر عنه بالشيخ أحمد والامام أحمد كان يرجع اليه في المسائل التي لها علاقة بالاسلام فيحكلم بالحكمة وما يليق بالاسلام من حسب الألفة والسلام - وقد انتقد الناس من القصة بعض ما جاء في موضوع ألفة الطوائف ورغبة بعضها في مصاهرة بعض زاعمين ان فيه تشيلا لا ينطبق علي الحقيقة فان صح هذا صح ان يجاب عنه بأن القصص النافعة قسمان قسم يصور الواقع لمعرفة التاريخ وقسم يصور مع الواقع ما ينبغي أن يكون كأنه كائن واقع ترغيبا فيه أو إيلا فله وتقريبا منه

وجلة القول ان القصة مفيدة وقد طبعها على حداثها اسحاق أفندي صروف أحد محرري المقطم وهي تطلب منه ونعنا عشرة قروش

﴿ مرآت علوم ﴾

مجلة تركية تبحث في العلوم والفنون وشؤون الاجتماع أنشأها فئة من الكتاب الفضلاء وعهدوا بإدارتها الى أحدهم رفيق بك العظيم الشهير والغرض الأول منها إسماع مسلمي روسيا في نهضتهم العلمية الجديدة فنحت قراء اللغة التركية العذبة في كل مكان على الاشتراك في هذه المجلة وقسمه أربعمون قرشا في السنة وهي قليلة جدا لانني بنفقات المجلة الا اذا كثر المشتركون كثرة عظيمة وأحسنوا الأداة

سلام الاسلام

رسالة الشيخ محمد نسيم العازار كتبها لبيان ما تنويه دول أوروبا ونحاوله من ابتلاع بلاد المسلمين وطريق تلافيه . اما الكاتب فهو من بيت العازار من (اميون) بلدة أو قرية في السكورة من أعمال جبل لبنان وهو بيت معروف بالوجاهة يدين بمذهب الارثوذكس من مذاهب النصرانية وقد دخل الكاتب في الاسلام من عهد قريب دخولا رسمياً في محاكم مصر انشريعة وهو شاعر ناثق فرأى أن يكون أول ما يحفظه بعد الدخول في الاسلام إنهاض همة المسلمين بالنشر والتفلم وبيان رأيه السياسي في أمرهم . وأما هذا الرأي فهو ما قاله في رسالة (سلام الاسلام) بعد التمهيد له وهو (كما في ص ٩ و ١٠ و ١١ منها)

« ان ما يجب عمله بسيط جداً ولكنه في بساطته يضمن للاسلام عموم القاطنين في انحاء الارض جميعها والمستغفلين تحت ظلال اصنام دولهم وألوية الدول الاجنبية راحتهم وسعادتهم وذلك العمل هو :

« أن يشكل الاسلام مجلساً نيائياً يولف من كافة المقاطعات الاسلامية وغير الاسلامية فينتخب له رجال سياسيون قد خبروا الدهر فحنكهم وعلماء عاملون لا توجلهم شدة ولا تقعدهم معضلة ولا تبيهم غاية وتجمل اقامة هذا المجلس في مدينة تطلق يديه لاعماله الجليلة وتقرب المواصلات بينه وبين أهل تلك المقاطعات النائب عنها والمشكل من رجالها الذود عن مصالحهم وحقوقهم ابان الضرورة وفي كل حين ومكان .

أما فضائل هذا المجلس وأعماله فكثيرة وعظيمة الفائدة وبما أن المقام لا يسمح باستيعابها كلها فاقصر على ذكر الاخص منها الذي يبين الغاية المقصودة من تشكيله والنتيجة المطلوبة التي يوتئها وبذلك كفاية لأولي البصائر الذين لا اخالهم يتقاعدون عن الاهتمام بتأليفه في أقرب وقت ممكن لكيلا تفوت الغاية منه والفرصة السانحة له .

أولاً : ان تشكيل هذا المجلس من تلك الاجناس المختلفة يجعل جامعة حقيقية للأمم الاسلامية المرتبطة بالدين ارتباطاً الاجسام بالاعصاب والشرائين

ثانياً: يجعل تلك الأمم المتباعدة بالوطنية رابطة سياسية تجمع أوطانهم الى وطن واحد ومصالحهم المتباينة الى مصلحة واحدة هي: الدفاع بالاشتراك والتعاون عن راحة الاسلام وسلامة كيانه بين الامم الحية الراقية .

ثالثاً: يحسن أخلاق الافراد ومشاربهم فيقوي الصالح فيهم وينقي الفاسد منهم ويجلب النافع لهم وبالجملة فانه يجعلهم أمة عصر النشاط والقوة والكمال

رابعاً: يسهل سبل الرقي الأدبي والمادي بأنواعهما ويمهد طرق الإصلاح في الممالك الاسلامية المتفجرة للإصلاح الذي يرفع شأنها بين العالم ويؤيد كيانه أبداً .

خامساً: يدافع عن حقوق الأمم الخاضعة للدول الاجنبية أمام مجالسها العالمية في عواصم ممالكها اذا ما اهضمت تلك الحقوق في مستعمرة من المستعمرات أو لحق بتلك الأمم شيء من الاستبداد فيها الذي لا تخلو منه مملكة من الممالك المختلفة الاجناس والمذاهب

سادساً: يمد سبيل انضمام الممالك الاسلامية المستقلة الى بعضها واستقلالها في ظل أكبر مملكة بينها « ولا شك في أن أكبرها الدولة العثمانية المشيدة الاركان » كما انضمت الى بعضها الممالك الجرمانية والولايات الامبركية وكثير غيرها واذا كان ثم مانع لانضمامها فلا أقل من أن يوفى بينها ويجمع كلتيها المتفرقة فتتضامن وتتكاتف على العمل مما وواحدة من هاتين الحالتين كافية لجعل هذه الدول الضعيفة بازاء الدول الاوروبية دولة واحدة عظيمة السلطان منيعة الجانب تقسم السراء وتشارك مع بعضها في الضراء »

(المنار) هذا الرأي ليس بدعاً من الآراء كما يحسب الكاتب بل هو مسبوق بتصوير أقرب الى الحصول ، ودعوة أجذب للقلوب وأخبل للعقول ، واحتراس يحول دون مناهضة الاعداء ، ونؤمن معه مغاضبة الأعداء ، وما صادف شيء من ذلك استعداداً ، وما كان الا هداية لبعض العقلاء ورشاداً ، وان أبعد المسلمين عن قبول دعوة الاتحاد ، ملوكهم وأمرأؤهم المفضنون بالاستبداد ، فما قال انه « بسيط جدا » هو مركب تركيبي لا سبيل الى تحليله ، ولا استعداد فيمن دعوا اليه لقبوله ، وان الأمل في إصلاح أكبر هؤلاء المستبددين لدولته ، ورفقته

شعبه ورعيته ، قد أصبح من الأحلام والاماني ، أو من قبيل المنام والحل الوفي ، فكيف نرجو من هؤلاء المحررين ، عناية باقامة بناء المسلمين ، الا انه لاسلامة للمسلمين من البلاء المؤبد ، والمدوِّ الواقف لهم في كل مرصد ، الا في تربية الأمة المالية ، وجمعها بين العلوم الكونية والروحية ، وامانة التقليد واحياء اللغة العربية ، ثم اتفاق شعوبهم في كل قطر مع سائر الشعوب ، على حفظ الموجود واسترجاع السلوب ، والزام حكوماتهم بقوة الاتحاد ، على استبدال المدل بالاستبداد ، مع اقامة الطاعة اليها ، وتأمينها من تفضيل غيرها عليها ، فان هذا شرط لامكان العمل الواجب ، لاسما في الشعوب التي تحت سلطة الاجانب ،

﴿ كتاب السجل المصري ﴾

يؤلف علي أفندي يوسف الكريدي كتابا بهذا الاسم قال في وصفه « كتاب دوري يصدر في منتصف كل شهر أفرنجي مشتملا على كل ما حدث في الشهر السابق من الحوادث والوقائع وأعمال الحكومة من أوامر عالية ومنشورات ولوائح وتنقلاات ورتب ونياشين ووفيات ومواليد وأفراح الخ » وقد صدر الجزء الأول من السنة الأولى وهو لشهر يناير فكان هذا الكتاب ملخص لأخبار الجرائد اليومية رسمية وغير رسمية يعني عن حفظها لأجل ما فيها من أخبار التاريخ وقد بلغت صفحات هذا الجزء ١٨٤ صفحة صغيرة فاذا ضربناها في ١٢ كان الحاصل ٢٤٠٨ وذلك تاريخ لأخبار السنة « جامع للذرة ، وأذن الجرة » وقيمة الاشتراك فيه الى سنة كاملة ٦٠ قرشا وثمن كل جزء منه خمسة قروش على نسبة الاشتراك

﴿ الاحياء ﴾

مجلة ذات ثمان صفحات انشئت بالجزائر في غرة هذا العام (١٣٢٥) وهي تصدر في الشهر العربي مرتين ، قيمة الاشتراك فيها أربعة فرنكات في قطري الجزائر وتونس وفي جميع بلاد فرنسا وخمسة فرنكات في سائر الممالك وقد كتب عليها « مجلة اسلامية أدبية اخبارية » ولكن لم يكتب عليها اسم منشئها ولا مديرها ولا محررها والمبرة عند المحققين بالقول لا بالقائل واتاقد سرورنا بهذه المجلة ونسأل الله تعالى ان يجعلها نافعة للمسلمين ، وحجة على الذين يستقذرون في هذا البلاد وغيرها ان حكومتها

الجزائر تضرب بين مسلمي الجزائر وبين العلم والدين حبلا لا تحرق اذ لاحجة أقوى من العمل المشهود ، والامر الموجود ، كما نبينا على ذلك فيما مضى . واننا نعتقد انه لا سبيل الى التآلف بين فرنسا وبين المسلمين الا هذه السبيل فمضى الله ان يوفق بين الحكماء والمحكومين لهم بما فيه الخير والمصلحة للانسانية

﴿ شوراي عثماني ﴾

جريدة سياسية أصدرتها في القاهرة جمعية الشورى العثمانية الى تكلمنا عنها في آخر المجلد التاسع لتكون لسانها الناطق بدعوتها ولذلك جعلتها بأشهر اللغات التي يعرفها قراء العثمانيين وهي التركية والعربية في الاكثر والفرنسية والارمنية والرومية أحيانا أي أن كل عدد منها يكتب بعدة لغات وقيمة الاشتراك فيها عشرة فرنكات أو أربعون قرشا مصريا وقد رأيناها أقرب الى الاعتدال من سائر ما رأينا من جرائد أحرار الترك وطلاب الإصلاح ونرجو أن تلتزم الاعتدال دائما لأنه أقوى تأثيرا ، وأكثر نصيرا ، هذا وإن الاشتراك في هذه الجريدة والسعي في نشرها يمد خدمة للدولة العلية وللأمة العثمانية للشخص معين لأن ما يأتي من الجريدة ينفع على الجمعية وجميع أعضاء الجمعية ومحوري الجريدة يبذلون المال مع الوقت في هذه السبيل

﴿ جريدة الاخبار ﴾

كان الشيخ يوسف الخازن انشا منذ بضع سنين جريدة سياسية سماها (الاخبار) نشرت زمنا وطولت زمنا وقد عاد صاحبها الى نشرها في هذه الأيام فسر بذلك العارفون بمكانة الخازن في هذا العمل واستمداده القوي الذي ارتقت به التجارب وحرية قلعه في التعبير عن رأيه . وقد اخبرنا ان ينشرها في الصباح ، فتمنى له أحسن الفوز والنجاح ،

﴿ الجريدة ﴾

كنا ذكرنا في الجزء السادس من المجلد التاسع (ص ٤٧٧) خبر تأسيس شركة من وجهاء القطر لإنشاء جريدة يومية وأنهم اختاروا ان يسموها (الجريدة)

وان بعض أصحاب الصحف أرجفوا بهذه الجريدة وأساءوا الظن بها من حيث
نقصته ويسرنا أن ننوه بصدورها في أول جزء من هذه السنة مصدقة لظننا
مكذبة لظنون المرجفين ، يسرنا ان نذكر في جزء واحد خبر ظهور مشروعين
عظيمين كان شيخنا الاستاذ الامام روح الله روحه متوجها الى القيام بهما في آخر
حياته ، وقد علم القارى انهما مدرسة القضاء الشرعيين وهذه (الجريدة)

صدر العدد الأول منها في ٢٤ المحرم (١٩ مارث) والشمس مقبلة على
برج الحمل والارض تستقبل الربيع الذي هو خير الفصول وأبهجها فكان ذلك
فألا بأن (الجريدة) ستكون عنوان حياة أدبية بهيجة كما تتجدد نشأة الحياة لكل
شيء في هذا الفصل البهيج . وقد اتفق اجتماع شهر المحرم بشهر مارث لأول مرة
من تاريخ الهجرة الشريفة في عام ١٣ وفيه أمر أبو بكر بعد استشارة الصحابة
(عليهم الرضوان) بجمع القرآن في مصحف واحد . وفي ذلك ما فيه من الحياة
الدينية والدينية فهذا قال آخر روحاني أحسن من ذلك الفال الطيبي . وإن
شئت ان أزيدك فلكاهة تاريخية أخرى أذكرك بأن عمرو بن العاص بن
مسجده - وهو أول مسجد أسس في مصر - في ٢٣ المحرم وهو اليوم الذي
وضعت فيه الجريدة في المطبعة وان صدرت في اليوم الثاني

اختلج العدد الأول من الجريدة بفاتحة بليغة لمديرها أحمد لطفي بك السيد
قال فيها :

« ولقد اختلف القوم في أمر الجريدة منذ وضع مشروعها وقدر بعضهم لها
مذهباً ما لهم به من علم الا اتباع الظن ، ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيراً
لهم وأجدر بحفظ الكرامة لكبراء رجال وطنهم وأذن الى عدم الفت في أعضاء
الجامعة الوطنية ولكنهم لا يصبرون

« ولو وقف الأمر عند غير العالمين لكان ولكن بعض الكتاب أبى الا أن
ينقص الجريدة قبل ظهورها فخلق لها نسباً لا تعرفه اذ يقول أنها أنشئت بروحي من
جناب اللورد كرومر وأنها مشحونة الى طرف دون آخر على أنها من كل ذلك براء
وسما يك من الأمر فانا نمر بذلك المفاز مر اذ لا نقصد در شبهة ولا أن

تقف بأحد موقفًا أظهرنا فيه على صاحبه أخسرنا لوقتته . وكل في حل مما قال —
هنيئًا مريئًا غير دا . مخامر »

ثم ذكر اختلاف الناس في الرأي بطبيعتهم ومكان الصحف من التذكير بما
يكون الرأي العام في البلاد الحديثة العهد بالرقى ثم حاجة الصحف الى الرقابة
عليها من الجماعة وكون أولى الجماعة بذلك الشرفاء بالفضل أو علو النسب
كوئسي الجريدة ثم قال في هؤلاء المؤسسين :

« ولما انهم كثير العلاقات بالحكومة بسبب مراكرهم واشتراكم معها في
كثير من الأعمال العامة ، وأن أمثالهم لا يجتمعون لمسل ذي أثر سياسي الا
احاطت به الشكوك وأذا ان يكشفوا الحكومة في أمر المشروع دفعا لتلك
الشكوك المتصلة وأخذوا بأقوم الطرق الى نيل ما عساهم يطلبونه من تقويم معوج
أو اصلاح خطأ لان الحكومة قد نجيب الطلب مما يهون عليها اذا أقنعت بأنه
لمصلحة الامة .

« وإن أسهل سبل الاقتناع بآكدها في الوصول الى الغرض هو سبيل المحاسنة
التي لا تغير الى ترك حق أو تزوين باطل وهي أجلى مظاهر الاعتدال الذي يجب
ان يكون دعامة العلاقات بين أمة وحكومة كاتهما في طور التكون . لثلا يقع
بينهما من الجفاء ما يحجب الحكومة عن الوقوف على مواطن المصلحة وآمال الامة
وبحجب الامة عن الاطلاع على مقاصد الحكومة فتعطل بذلك أسباب الرقي
التي يتوقف جلها على اشتراك الطرفين »

والجريدة أحسن الجرائد اليومية ورقا وطبعا وألطفها شكلا لأنها وسط بين
كبرها وصغرها وإن عر بعضهم عنها بلفظ الصغرا والأصغر وليست الكبرى باكثر
منها مادة لان الجريدة ليس فيها الآن إعلانات ثم ان اشتراكها أقل من اشتراك
صغرها وهو ١٢٠ قرشا في السنة لاهل القطر المصري و ١٥٠ قرشا لساكني الأقطار

« جريدة المعجاني » آتت هذه الجريدة سنتها الخامسة ودخلت في السادسة
ويدل انظاماها على أنها من الجرائد الحية الثابتة فتنمى لها طول البقاء ، مع التوفيق
لها بنفد القراء

بَابُ الْحَيْفَةِ وَالْإِثْمِ

﴿ علماء تونس ومصر ، وجامع الزيتونة والازهر ﴾

كان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى يقول ان مسلمي تونس سبقونا (يعني أهل الازهر) الى اصلاح التعليم حتى كان ما يجهلون عليه في جامع الزيتونة خيرا مما عليه أهل الازهر . ولما عاد من سفره الاخير الى تونس كتب مذكرات عن حال التعليم فيها وجاء يعض الاوراق الرسية في ذلك وقال لي غير مرة اني سأعطيك ما عندي في ذلك لأجل أن تضم اليه رأيي ومآثره وتنشره بالناشر في مقال يكتب في المقابلة بين جامع الزيتونة والجامع الازهر . وكنا نرى أن هذا مما يجب في شرعة الاصلاح على التراخي ولكن أجل المصلح لم يكن على التراخي بل عاجله الاجل قبل أن يفرغ من الأهم الى هذا المهم

وزراء تونس من العلماء

ذكرنا بهذا ما رأيناه في الجرائد التونسية الاخيرة من خبر وفاة الوزير الاكبر وجعل وزير القلم والاستشارة خلفاه وجعل رئيس محكمتي الاستئناف من قبل خلفا لهذا . فالوزير المنوف كان نابغا في العلوم العربية والدينية اذ تلقاها في جامع الزيتونة حتى قيل انه يعد من طبقة أهل الترجيح في الفقه وكذلك وزير القلم الجديد وهو الشيخ يوسف جعيط فهو من أشهر المتخرجين في ذلك الجامع وقد درس فيه ثم اشتغل بالسياسة وتقلب في المناصب حتى صار اليوم وزير القلم والاستشارة فهذان الوزيران قد دخلا باب السياسة وهما شيطان زيتونيان بكل معنى الكلمة - كما يقول الفرنسيون - حتى ارتقيا الى منصة الوزارة فهل ينظر في بال أحد من مدرسي الازهر أن يستمد لمثل ذلك حتى يكون أهلا لوزارة او لما دونها من أعمال الحكومة ؟ كلا ان احدا منهم لا يفكر في مثل هذا الاستمداد ولو فقه أحد منهم لكان خيرا لهم وأشد كبيتنا في العلم والدين فان لم يولوا من

تلك الاعمال شيئا لان نظام الحكومة المصرية لا يسمح بذلك فربما كانوا انفع
لأمتهم مع البعد عن الحكومة منهم وهم لها عاملون

هنا يحظر في البال ان سعد باشا زغول ناظر المعارف العمومية بمصر كان
ازهريا وقد ارتقى في الحكومة الى أعلى مرتبة في القضاء ومنها الى الوزارة ونرى
الازهريين يفاخرون به لاسيما بعد أن رأوا الامة متهتجة والجرائد متفقة على الثناء
عليه عند ما ولي الوزارة والحكومة نفسها تكاد تمن على الامة باختياره ولكن سعد باشا وزير
المعارف بمصر ليس عريفا في الازهرية كمرافة الشيخ يوسف جميعط وزير القلم
والاستشارة بتونس بالزيتونة فان الشيخ يوسف تعلم في الزيتونة على الطريقة المألوفة
راضيا بها حتى صار مدرسا وقرأ المطول فيه درسا وهو أعلى كتب البلاغة والازهريون
يقرون مختصره لأهل النهاية ويمتحنونهم به . وسعد زغول صاحب الاستاذ
الامام في أول المجاورة وأدرك السيد جمال الدين فأخذ عنها واعتقد في أول
نشأته العلمية ان طريقة الازهر في التعليم رديئة فنبع الحكيم المصلحين قبل أن
تطبع الطريقة الازهرية ملكتها في نفسه ولم يرض ان يجري عليها الى منتهى
شوطها ويأخذ شهادة العالمية و يصير من المدرسين بل اخرجها الاستاذ الامام من
الازهر عند ما ولي هو رئاسة تحرير الجريدة الرسمية وجعله محررا معه ثم كان من
أمره ما هو معروف . ومنه أنه تعلم اللغة الفرنسية وهو قاض ودرس علم الحقوق بها
حتى أدى الامتحان في فرنسا وأخذ منها شهادة (اليسانس) وهو يعد مثل المطول
والمختصر من الكتب التي تبعد عن البلاغة وتحول دون ملكتها . على اننا لا نقصد
الآن الى بيان طريقة التعليم في الجامعين والمفاضلة بينهما وانما غرضنا من المقابلة
والتنظير امران (احدهما) بيان ان العالم الديني اذا اختبر الاحوال العامة ونظر
في طرق نظام الحكومة التي تتولى أمره وتناول شيئا من العلوم الدنيوية يكون
أقدر على خدمة بلاده وأمته سواء تقلد الاحكام الدنيوية أم لم يتقلدها وقد كان
كثير من الناس يعتقدون أن الاستاذ لو ترك خدمة الحكومة ومنصب الافاء
لأمكنه ان يعمل للأمة الاسلامية عامة ولشعب المصري خاصة اضعاف ما كان
يعمل وهو في الحكومة (وثانيهما) التنبيه الى شيء من الفرق بين تونس ومصر

في حال علماء الدين ونسبتهم الى الحكومة . وإليك ما هو أبلغ من ذلك
جمعية طلاب جامع الزيتونة

ألف بعض النباه من جامع الزيتونة جمعية يعلم غرضهم منها من الخطبة الآتية
وقد ساعدتم على ذلك بعض شيوخهم الفضلاء . وقد اجتمعوا في اليوم الرابع من
هذا الشهر (المهرم) في المدرسة الخلدونية للمذاكرة في قانون الجمعية وحضر اجتماعهم
هذا كثير من كبار المدرسين وكانوا قد اختاروا أحد العلماء رئيسا لمعلمهم في التأسيس
 ووضع القانون وهو الشيخ الطاهر النيفر فافتتح الجلسة بخطاب بليغ في الموضوع .
فقام الشيخ الحصري بن الحسين من العلماء الحاضرين فشكر له ولتلاميذ الذين
نهضوا بهذا العمل النافع . ثم وزعت الرقاع لانتخاب رئيس وأعضاء للجمعية
فأجتمعت الآراء على اختيار الشيخ محمد رضوان لرياسة وهو من العلماء الفضلاء
أصحاب الرأي والروية كما يؤخذ من بعض الجرائد التونسية وفيها أنه مقنن
لغة الفرنسية . ولما يرتق طلاب الأزهر الى مثل هذا العمل

ورأينا في جريدة «لسان الأمة» التي صدرت حديثا في تونس صورة خطبة
للشيخ محمد النخلي من كبار العلماء المشهورين كان أعدها يلقيها في هذا الاجتماع لحال
دون ذلك مانع من الحضور فأجبنا أن ننشر هذه الخطبة برمتها لما نلنا من الحرص على
معرفة آراء علماء الدين في الأمور الاجتماعية ولما فيها من بيان حقيقة الجمعية وهي:
« بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم
أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا »

أيها السادة العلماء والا فاضل الأعيان

بحسن في هذا المقام ان أصدر هذا الخطاب الوجيز بكلمات حكيمة سارت
سير الامثال : ليس احد باقل من أن يعين ولا باكبر من أن يعان . لا تكال
الرجال بالفقراء ، المرء بأصغره قلبه ولسانه ، لا يقيصه وطيلسانه .

ليس الحداثة في سن بمائة قد يوجد الخلم في الشبان والشيب
وهي أمثال اذا تاملنا معانيها وتدبرنا مغازيها ، اكتسبتنا حسن الظن وكامل الثقة

بالمشروع الذي هيأه لنا أنماؤكم بجامع الزيتونة وقضت علينا أن نمد لهم بد المشاركة والمساعدة لإحداث مشروع افنكره هؤلاء التلامذة ولزنا بمقتضى قعدة الانصاف التي هي أخص حلاككم التي نحلتم بها أن نطهر ضمائرنا من احتقار الافكار وان نلاحظ المصالح بقطع النظر عن مصدرها بعين ملوها التوقير والاعتبار هذا وان نخبة من ناشئة تلامذة الجامع الاعظم دار العلوم الشرعية ادام الله عمرانه وشيد بحسن عنايتكم أركانه انبعث فيهم شعور شريف نهض بمزائهم الى الشروع في تأسيس جمعية تحت اسم (جمعية تلامذة جامع الزيتونة) واقترحوا على العبد العاجز ان ألقى خطابا في الموضوع ونأثجه والحوا وقالوا ان المؤمن أخو المؤمن وحقا ما قالوا .

أيها السادة: لا أقصد بهذا الخطاب أن أعلمكم ما تجهلون، أو أفيدكم ما أنتم عنه غافلون، وإنما هو ذكرى لكم ببعض ما تعلمون، والذي كرى تنفع المؤمنين، وتوبو كد يقين المستيقنين .

ليست السنة التقليد القبري هي التي تأمرنا بل شعثا ومد يد الاعانة لبعضنا واقامة التعارف مقام التناكر، والتواصل مكان التفاضل، حتى نحجي رابطة العلم أو نهني هذا الشعور بل لسان الدين الحنيف الذي نزاول علومه آناء الليل وأطراف النهار في هذه المدرسة الزاهرة هو الذي يأمرنا بذلك في عمومته وخصوصه، وتصريحه وتلويحه، لمن سبر أغواره، واستقرأ آثاره، كيف ولا يمزب عنكم ذلك وأنتم علماء الدين وحمة الشريعة المطهرة .

الم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم مجالس يحضرها أصحابه الكرام وكانت تلك المجالس مجالس هدي وإرشاد، وتعميم فقع للعباد، وكانت أحيانا مهبط الوحي فيها يتلقون تعاليم الدين، وعنها يصدرون فائزين، وكذلك خلفاء الرشدين من بعده واذ كرركم بنادي عمر بن الخطاب فإنه كان غامحا بالشيخ والكهول والشبان وكان يقول لا يمنع أحدكم حداثة السن ان يدي رأيه في هذه النوادي يتعارفون ويتواصلون بالحق، ويتواصلون بالصبر، ويتعاونون على البر والتقوى .

أما اذا أردنا ان تثبت ما للجمعيات من الفوائد العامة والخاصة بلسان التاريخ

فإن البحث في هذا الموضوع يستدعي حشد مجلدات مما تأسس في العالم المتمدن من الجمعيات وما كانت لها من النتائج على اختلاف الاحزاب والمقاصد حتى بالحاضرة التونسية . نحن وان كنا نجتمعنا الجامع متفرقون، وان وجدينا رحم علم فحق يقال متقاطعون، ولاأكلكم إلا للمشاهدة وربما كانت المشاهدة تفصح لكم عن الحالة الحاضرة أكثر مما أفصح لكم عنه هذا البراع الكليل .

هل عملنا بالآية التي توجنا بها هذا الخطاب ؟ هل عملنا بقوله تعالى « انما المؤمنون اخوة » ؟ هل عملنا بقوله صلى الله عليه وسلم « لا تبغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا » ؟ هل عملنا بقوله صلى الله عليه وسلم « الا أخبركم باحكم الي وأقر بكم مني مجالس يوم القيامة وأحسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يألفون ويؤلفون » ؟ ونحن أبناء العلم الديني أحق بالعمل، هل نحن أبناء العلم نألف ونؤلف ؟ وهو من صفات الاحيين الاقربين ؟ أظن ان المفاجأة بلغت ينشأ النهاية والمنافرة من غير سبب شرعي رمتنا الى أبعد غاية

فهل بنا الى العمل بديننا القويم . وأن يصفح أحدنا الآخر مصافحة الودود المخلص الكريم كما جاء ذلك في حديث صاحب الخلق العظيم

عزّه اخواننا في الدين وأبنائكم في تلقي علومه على أحداث هذه الجمعية المباركة ودعواكم للانتخاب والمشاركة في العمل . الفرض من هذه الجمعية :

أولا - إيجاد روابط الالف والوداد بين كل من أنبته هذه المدرسة الاسلامية

ثانيا - تمكينهم من وسائل التعاون بينهم على ما فيه مصلحتهم العامة والخاصة

ثالثا - اسعاف قراء التلامذة وصونهم من معيشة الابتدال التي يعيشونها

اليوم بفضل الاهمال والتفلة

وأتم تملكون أن قسما عظيما من تلامذة جامع الزيتونة كادوا يتكفون وأنهم لا يجهدون القوت الضروري الا بطرق ممتنة لأرضاء معزة العلم بل والكرامة الانسانية وان قسما مها منهم يسكن حيث مرابط الحيوانات المدة لذلك لان عدد المدارس التونسية لتكاثر التلامذة صار غير كاف لايوائهم أجمعين وسيكون هذا الموضوع أم المواضيع التي تتناول الجمعية البحث فيها وتطرق أبواب المساعدة

من هم الرجال لتوالها

هذا نموذج من مقاصد هذه الجمعية وهي وأيم الله مقاصد سامية محتاجة الى همم الرجال وبذل المال لانه قوام الاعمال فمن ساعد قدما مثل لأوامر اتفاق المال في سبيل الله واستحق رضاء الله وثناء الناس

الناس خصوصا الجمعيات الاخرى يزنون همنا ويقدرتون عز ثمتنا بما يكون من نتيجة هذا المشروع وما يحبطه من الفشل والخيبة - لا قدر الله - وهم ينتظرون ما يكون في مشروع هبأ أمثالكم فهل يقارنه النشاط فالعمل فالنجاح أو يقذفه اليأس في مهواة السقوط فان كانت الاخرى - لا قدر الله - حققتم ما خاض بعض الافكار من ان حملة العلم الديني جهال بالحياة الاجتماعية بمدا بمراحل عن تأسيس المشروعات الخيرية - لا قدر الله واستغفر الله -

أنتم أكثر من كل جمعية بتونس وأوفر عددا فهل أنتم أقوى عددا وأعلى همة وأقوى استعدادا واسمي مدارك ونظرا للمصالح

منكم أهل المجلس العلي الشرعي ايده الله ومنكم مدرسو جامع الزيتونة الاعلام ومنكم قضاة الالة ومفاتيها ومنكم مدرسوها وكثير من عدولها ومنكم كثير من متوظفي الوزارة وجمعية الاوقاف وادارة المال فلن تفشلوا من قلة مقي كان هؤلاء الجماهير مساعدين على تحسين حال اخوانهم التلامذة متطافرين والامل وطيد في بقية اخوانكم التونسيين ولا ينفصنا الا الاجتماع والتماضد والسمي والعمل وهي نتائج المهم السامية والغيرة المتوقدة والانسانية الكاملة وأنتم أحق بها وأهلها ونعوذ بالله أن يصدق علينا قول الشاعر :

ما أكرم الناس لابل ما أقلمهم والله يهلمني لم أقل فندا

اني لأفتح عيني حين افتحها على كثير ولكن لا أرى أحدا

ونرجو الله الذي لا ينجيب الآمال، ولا يمنع من قرع يده السعي أبواب الاستكمال، ان نكون جميعكم مصداقا لقول الشاعر

ولله قوم كلما جئت زائرا وجدت قلوبا كلها ملئت حلما

اذا اجتمعوا جاوا بكل فضيلة ويزداد بعض القوم من بعضهم علما

(المنار) نحيي الجمعية الزيتونية المباركة ونحمد الله ان وجد في علمائنا مثل هذا الخطيب وعسى أن يكون لطلاب الأزهر جمعية مثله
 ✽ مشيخة الأزهر ✽

قد علم مما كتبناه في باب التربية والتعليم عن الأزهر وهذه المدرسة ان الشيخ حسونه النواوي الشيرازي شيخنا للأزهر بعد اقالة الشيخ عبد الرحمن الشربيني من الوزارة . وانا نعتقد انه أمثل كبراء الشيوخ الذين يرشحون لإدارة الأزهر ولعله لم يتول هذه المشيخة أحد في هذا العصر وكان مرضياً عند الأزهريين وغيرهم الا الشيخ حسونه في هذه الكرة فتنال الله تعالى أن يجعل التوفيق رائده وقائده في إدارة هذا المكان ، الذي صار أمره شغلا لاسلمين في هذا الزمان ، وهنا : رَّحَّ بأتنا لانريد بمدح الشيخ حسونه نمرضا بغيره ولا نفي بما سبق عن الاستاذين الحبرين البشري والشربيني الا انها شديدا المجافاة على التقديم . هذا يوجد في كل أمة وزمن فكلنا منا بيان لواقع مع احترام الشيخين
 ﴿ مدرسة القضاة بين الأزهر والمعارف ﴾

قد علم القراء مما كتبنا عن الأزهر وهذه المدرسة ان أهل الأزهر في أمر صريح من هذه المدرسة وقد رأينا بعد ذلك في جريدة الحكومة الرسمية صورة كتاب أرسله ناظر المعارف الى شيخ الأزهر وصورة كتاب من شيخ الأزهر الى الناظر جواباً عنه فرأينا أن نقلها في المنار حاذفين كلمات الخطاب الرسمية وما :
 ﴿ الكتاب الأول من ناظر المعارف ﴾

تبين لي من المكالمة الاخيرة مع فضيلتكم ان هناك أوهاما بشأن لائحة مدرسة القضاة الشرعي ولذلك أردت أن أكتب لفضيلتكم هذا الخطاب ازالة تلك الاوهام ان الفرض من هذه المدرسة هو تفريج قضاة متصفين بالاوصاف الحميدة جامعين بين المعارف الدينية الصحيحة والمعارف الدنيوية والقصد من ربطها بالأزهر ليس هو التداخل في شؤونه بأي وجه من الوجوه وانما الفرض منه ان تستغل هذه المدرسة بظل الأزهر الشريف وان يكون للمخرجين منها بواسطة اتساعهم اليه منزلة في قلوب العامة والخاصة حتى لا يجد المتقاضون امامهم حرجاً في صدورهم من قضائهم

ان القصد من الامتيازات التي نصت المادة الثانية على انها تكون لطلبة هذه المدرسة انما هي الامتيازات المعنوية لا الحقوق في الحرايات والمربطات فان طلبة هذه المدرسة لا يكون لهم شيء منها يقتضى هذه الامتيازات بعد استحقاقهم بالمدرسة وعلى فرض أن يكون لواحد منهم أو أكثر حق في شيء منها بسبب شرط واقف أو غيره فان نظارة المعارف لا تدخل لما فيه وانما الشأن يرجع فيه الى مشيخة الازهر دون سواها

انه لاصحة مطلقاً لما قيل من ان المراد بأصول القوانين الواردة في المادة الثالثة عشرة هو القانون الروماني وانما المراد بها مقدمة القوانين التي تشتمل على تعريف القوانين وكيفية صدورها ووقت وجوب العمل بها والحوادث التي تنطبق هي عليها وما أشبه ذلك من المبادئ الأولية للقوانين الوضعية التي لا يستغني واحد من القضاة الشرعيين وغيرهم عن معرفتها

ان لسيادتكم السلطة التامة في ابطال تدريس كل علم لم يكن وارداً في اللائحة المذكورة وكل درس يكون موضوعه القانون الروماني وليادتكم الرأي الأعلى في نشر خطابي هذا على الازهرين اذا وجدتم في نشره فائدة للتحقيق ناظر المعارف

﴿ الكتاب الثاني من شيخ الازهر ﴾

وصلني مكتوب سعادتكم بتاريخ ٢٢ محرم سنة ١٣٢٥ مسفراً عن حسن نواياكم فيما جاء بمشروع مدرسة القضاء ما أشف منه بعض الناظرين وأزلم بما أبتنوه والله الحمد الشبه التي كان يظن أنها تحنك بالازهر احتكاك العادين فشكر الله صنعكم وأحسن بياضكم وجزاكم عن الأمة خيراً . وعهدي وآمال الناس - ولا سيما الازهرين - بناظر المعارف ان يكون أول قائم بما يجب عليه أمام أمته وأمام أئمة الدين وأن يسود في وقته كل معهد من معاهد العلم ولا سيما معهد الازهر الذي له اليد البيضاء على الافاضل من اكابر المسلمين . وفي الختام أسأل الله سبحانه ان يوفقنا وإياكم لصالح العمل ٢٤ محرم سنة ١٣٢٥ خادم العلم والفقراء بالازهر

حسونه النواوي

﴿ الجزيدة والواء ﴾

زعمت جريدة اللواء ان (الجزيدة) ترى المحاسنة المطلقة في مطالبة الحكومة بمصلحة الأمة وقامت نعتها على هذا الإطلاق ونسكه عليها محتجة بأن حكومة مصر الآن حكومة أجنبية تظلم الأمة وتبخرها . . . والجزيدة ما قالت بمحاسنة مطلقة كازعم صاحب جريدة اللواء وإنما قالت بمحاسنة مقيدة بكونها « لا تجر إلى ترك حق أو تزيب باطل » فهل نقول أن صاحب جريدة اللواء لا يفرق بين المطلق والمقيد أم نقول انه لا يتحاشى أن يسمي المقيد مطلقاً عامداً متعمداً ؟ وإذا كان الثاني هو الصواب فهل يظن ان قراء جريدته لا يفهمون هذا الخطأ الصريح لأنهم من العوام الجاهلين ، أم يعتقد انه يرضيهم كل ما يقول لأنهم من المبطلين ، أم هو لا يبالي باعتقادهم بخطأه وان كانوا مصيبين ؟

﴿ تقریظ واقتراح ، من عالم شاب يجب الإصلاح ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

هنيئاً لك أيها المنار الأغر فقد قضيت تسع سنين أخرجت فيها الأمة من الظلمات وهديتها الى سبيل الرشاد الذي لا عوج فيه ولا أمنا، وخدمت الملة الحنيفية بما يخلده لك التاريخ ويسطره قلم الثناء «ولسوف يعطيك ربك فترضى»
والشمس وضحاها ، والقمر اذا تلاها ، لقد وضع بك السبيل ، واهتدت بك أفكار بعد ان هامت في أودية الاضاليل ،

جعلت أكرم منك البحث عما يحجي عظام امتك وهي رميم ، واعتمدت على مبدع الكائنات حتى أنتج سميك «ومن يتوكل على الله فهو حسبه» ولقد جاهدت في سبيل الله حتى هزمت أعداءه ، ونصرت أوليائه ، و«هل يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله»

أظن قد دفع من الشبه عن الاسلام ما قد يدع القليب في حبرة ماله منها من محيص فشكراً لك بعد شكر ، وثناء بعد ثناء على مديرك الرجل الوحيد الذي نصبك قهدي الساري في الليل البهيم ، ويرشده الى الصراط المستقيم ، ورضي عن والده

الذي استنار به فكره، وانشرح لتلقي المبادي الشريفة صدره،
ولك الهناء بالعام الجديد الذي ستعيش فيه ان شاء الله ما يذهلنا عن الماضي،
ونود لو يجليك حضرة مديرك بشي من التاريخ مما فيه عظة وعبرة، ويضمنك
بنهذ مما وعد به من تخطيط فصل لمقاومة تيار البدع والخرافات، والتقاليد والعادات،
فان آخر ما رأيناه في هذا الموضوع ما نشر في الجزء الثاني من المجلد التاسع
ولسنا نرجو لك من الله الا أن يطيل عمرك ويتم نعمته عليك (وهذا دعاء
لهيرة شامل)

(المنار) نشرنا هذا لاعتقادنا بأن كاتبه عبر عن شعوره وفكره في حب الإصلاح
وان نشره مما يزيد في هذا الشعور قوة والفكر رسوخاً، ولما فيه من الاقتراح. فأما
اقتراح التاريخ فقد اقرحه آخرون بالقول ولعلنا بعد إتمام تاريخ الاستاذ الامام
نكتب في تاريخ الاسلام. وأما باب البدع والخرافات فسنعود اليه مرة بعد أخرى
﴿ تاريخ الاستاذ الامام ﴾

قد تم طبع جزء التأبين والثناء من تاريخ الاستاذ الامام وهو الذي كتبنا
في المجلد الثامن من المنار (ص ٦٤٠) انا شرعنا في طبعه قبل جزئي الترجمة
والمنشآت وقدنا فيه انه متى تم طبعه « نجعل لكل مشترك في المنار الحق في اخذ
نسخة منه مجاناً اذا كان قد أدى قيمة الاشتراك تامة » ومعنى قولنا « له الحق »
انه اذا طلبه يعطاه لانه يرسل اليه ومعنى نادية القيمة تامة أن لا يكون أداها ناقصة
كهمال البريد . اذاً كل من أدى قيمة الاشتراك في المنار في هذه السنة تامة
أي (٦٠ قرشاً) فله الحق بأن يحضر أو يرسل من شاء ليأخذ نسخة من الجزء الذي تم
وهذا الجزء كتاب مؤلف من ٢٤٤ صفحة من كلام أشهر الكتاب والشعراء
في مصر والشام وتونس وغيرها من الاقطار العربية والشرقية مع تراجم أقوال
الجرائد الفارسية والتركية والافرنجية - وكل ذلك في موضوع واحد وسنعين
منه في جزء آخر ونعلن ذلك في الجرائد

أما جزء منشآت الامام فقد طبع منه نحو الجزء الذي تم وظهر لنا آثار غير اني
كنا نعرفها وما بقي دون ما طبع ونحن الآن شارعون في إتمامه وفي طبع جزء الترجمة

بعض الحيات من يشاء من وقت الحكمة قد أدت
نحو أجزائها وبأيدى صكر الألو الألب

المسحاة
١٣١٥

أولئك الذين مدام أقدموا وظلمهم أو الألب

قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام صوى و « منارا » كنار الطريق

(مصر صفر سنة ١٣٢٥ — آخره السبت ١٣ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٧)

باب الثلاث

الهوى والهدى أو اللذة والمنفعة (*)

يولد الحيوان ذا وجدانين متضادين — وجدان اللذة بما يلائمه ووجدان الألم مما لا يلائمه ، وأحاساس الطبيعة الحيوانية بالحاجة الى الذئذ يسمى شهوة وهو يطلبه قبل وجوده ويلتذ به بعد ان يصبه . فالشهوة هي الشعور الاول للحيوان واللذة هي الشعور الثاني والمطلب الاول . لافضل في هذا بين الحيوان الاعجم والناطق . على : ان الانسان لا يولد فاعقاً بل يولد أشد عجة وأضعف شعوراً من سائر الحيوانات . يتعلم وليد الانسان النطق بعد ولادته بأشهر فيعبر عن شعوره وأدراكه وبهم من غيره بعض ما يبر به عافي نفسه ثم ينول فيه الميل الى البحث ومعرفة المجهولات

(* كتبنا هذه المقالة وما بعدها « للبريدة » ونشرت فيها)

ثم الفكر فيها تدركه مشاعره والتذكر والتخيل والقياس والاستنتاج وهي اللذة المعنوية تسوقه اليها شهوة عقلية ينفرد بالترقي فيها دون الحيوان الاعجم وبذلك يميز بين النافع والضار وبمحكم بوجوب طلب الاول وان كان مؤلماً كاللدواء ، واتقاء الثاني وان كان مشتعلي ومستلذا كالخمر والحشيش ، وكالاسراف في اللذات النافعة . كما يميز بين الحق والباطل في الاعتقاد ويرجح الحق على الباطل

يرتقي الانسان في التمييز بين النافع والضار والحق والباطل بالتدريج وربما بلغ أشده واستوى وهو يرى بعض النافع ضاراً وبعض الباطل حقاً ولا يحيط أحد من الناس خبراً بالنافع والحقائق ولو اشخصه فما قولكم دام فضلكم في الباحث عن النافع والمضار لامة عظيمة أو دولة كبيرة

ترتقي معرفة الناس بالنافع والمضار بارتقاء اثرية الصالحة والتعليم النافع وانك لتجد أكثر المرتقين في تربيتهم وتعليمهم يؤثران اللذة على المنفعة في كثير من شؤونهم وأحوالهم فما بالكُم بمن دونهم في ارتقايتهم

إيثار اللذة على المنفعة والباطل على الحق هو اتباع الهوى وعكسه هو اتباع الهدى ولو كان كل لذة ضاراً أو كل نافع مؤلماً لهلك الناس باستحباب الهوى على الهدى ولكن أكثر هذه الذنوب ناهية وأكثر المؤلّمات ضارة والحق والخير محبان الى النفوس البشرية طبعاً وانما يكرهها الجاهل بها أو من تربى على ضدها حتى ملك الباطل أو الشر وجد أنه ، واستحوذ على نفسه استحوذاً . فليس في فطرة الانسان غريزة تصده عن الكمال في اتباع الهدى باختيار الحق على الباطل . وترجيح النافع على الضار ، فتبارك الفاطر الحكيم .

يجب للطفل اللعب وهو نافع له وقد يؤثره في التمييز على التعليم فيظن الجاهل ان هذا إيثار للذة على المنفعة لفساد في الفطرة وما هو بفساد في الفطرة وانما هو مظهر الحكمة فيها

لا ينتر الولد من التعلم الا اذا كان فيه ارغام لفطرة بتكليفه فهم ما هو غير مستعد لفهمه وذلك ضارٌّ به . أو بمنعهم من اللعب النافع له ، أو بمعاملته بالشدة المائلة له عن كماله ، وهذا التحكم في عقله ونفسه كالتحكم في جسده بسومه محل الاثقال ،

ومصارعة الرجال ، وأكثر الناس يعرفون درجات قوى الاجسام ، دون درجات قوى النفوس والاحلام ،

جرب بهض الناس طريقة الحكمة في التعليم والتربية وهي الطريقة التي لا تخرج الناشئ عن طوره فتجعل الدارج بافناً أو الطفل كلهلاً - الطريقة التي لا تحمل الطبيعة مالا تحمل ، فنجذبوا الناشئين بسلاسل الفذة التي عرفوها ، الى جنة المنفعة التي جهلوا ، فانجذبوا طائعين مسرورين

هكذا يمكن المرابي الحكيم ان يجمع بين الهوى والهدى ولولا هذا الامكان لما قال النبي عليه الصلاة والسلام « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » ولكن المرابي الجاهل يد الناشئ في الهوى ويقذبه بالفذة ويصور له الالم أو الحرمان في المنفعة حتى يكون من الخاسرين

سنة الله في الأم تشبه سنته في الافراد فلأمة طفولة وتبني وشباب واستواء . وهي ثمرة قبل بلوغها سن الكمال الاجتماعي الفذة على الفائدة ، وتستحب المعنى على الهدى للجهل بوجوه المصالح العامة ، وما يرفع الاقوام وما يضعها ، وجبئذ تكون أحوج الى المرابي الحكيم ، من الطفل اليتيم

ما ارتقاء الامة الاكثر الحكماء والفضلاء فيها ومهما أكثر هؤلاء فلا يكونون في سواد الامة الاعداد قليلا فأكثر افراد الأمم الراقية الآن يؤثرون الفذة ويسمون لها سميا في عامة أحوالهم . ألم تأتلك بأخساسة من طبع كتب الفيلسوف هربرت سبنسر في علم الاجتماع وفلسفة التربية والتعليم وهي انفع ما كتب حكمااء الغرب في أرقى أممهم ؟ قارن بين هذا وبين الربيع العظيم الذي بناله من يطعمون القصص الغرامية وغير الغرامية تعلم ان الهدماء من كل أمة يتبعون مواقع الفذة وينفرون من النافع اذا لم يكن مستلذا ولكن الامة المرتقية لا يروج عندها الضار بها وان كان لذيا تربية الامم وارشادها أشرف الاعمال وأفضلها وأشقها وأعسرها ويعوزها من العلم والحكمة والاخلاص والنزاهة مالا يعوز غيره فان فتنه الهوى فيه لا يقاس بها فتنه حتى ان الملك العاقل من حلية هذه الصفات يتبع هواه في سياسة رعيته ، حتى يودي بشعبه ورعيته ، ولو كان خساره في ذلك موازيا لخسار الامة في مجموعها

آية من يتبع الهدى في ارشاد الامة أن لا يقع فيه هواها ولا يتحرى ما يرضيها،
وان كان يرد بها، وان يكون كالطبيب يجرعها المرء ليقبها الضر، اذا تعذر أن يجذب
بالذات الى المنافع، كما يجذب المذارج واليافع،

لا يؤمن الفرد من الباع الهوى في سياسة الامة وارشادها عن علم أو جهل
لذلك جاء الرحي بوجود جعل أمر المسلمين شورى بينهم وبذلك ارتقت الامم
المزينة. وينبغي لارشادها ان يسلكوا سبيل الشورى كما كتبها، فلا يستبد أحد
الافراد، برأيه في الارشاد، لهذا نرجو من هذه (المجموعة) من تحرير الفوائد،
فوق ما نرجو من غيرها من الجرائد، والسلام على من اتبع الهدى، ورجع
العقل على الهوى،

سنن الاجتماع

﴿ في الحاكمين والمحكومين لهم وجزأهم ﴾

طبيعة الاجتماع تقضي بوجود الحكم، ماقتضت بوجود النزاع والخصام،
فاذا لم يتقلب على الناس من يحكم فيهم كما يشاء اختاروا هم لانفسهم من يحكم
بينهم كما يشاؤون، لأن ماقتضت به سنن الوجود واقع ماله من دافع

الحكم حاجة من حاجات الناس يقوم به بعضهم بالنيابة عن الباقين فهو كسائر
الحاجات من المعلوم والممن والحرف كالزراعة والصناعة والتجارة التي يقوم بكل فرع
من فروعها من يكفي المجتمع هما كما يقوم هو بسائر حاجاتهم ويكفيهم. أهمهم .
فالحاكمون كغيرهم من العالمين كل صنف يخدم مجموع الاصناف التي يبرءونها
بالشعب أو الامة من حيث يخدمونه «كل ميسر لما خلق له» ومسير الى حيث يسوفه
استعداده، فمن سابق ومتخلف، ومن محسن ومسيء، ولكل جزء، والجزء اما
مال يكفي أو يفتي، وأما مال وجاء يطي

جزء الاعمال التي تطلبها طبيعة الاجتماع طبيعي مثلها ولولا ذلك لما اندفع
كل فريق الى العمل الذي يميز له استعداده جزاءه والنبطة به فمن يطلب من

الجزء الطبيعي على العمل أكثر مما تفرضه سنة الاجتماع من الجزاء عليه فهو باغ متشكك صراط الحق غير مقيم لميزان العدل اذ يطفئ لنفسه ويحضر للأمة البقي في اقتضاء الجزاء يكون من الافراد ومن الجمعيات والأصناف فالاول لا تأثير له في افساد الأمة وثلافيه سهل وأما الثاني فهو البلاء المبين لأن قوة الاجتماع هي أعظم القوى . وإنما يتحقق البني بتحديد قيم الاعمال والاشياء بتحديد طبيعتها (ان امكن) أو قانونياً ليكون متجاوز الحد هو الباغي الذي يجب ارجاعه عن بنيه ينجح زيد في بنيه على عمرو اذا كان أقوى منه علماً أو جسماً والحاكم يفصل بينهما اذا رفع الامر اليه والا كان الراضى بالخصبة مستحقاً لها جزاء على جهله ومن ذلك ما يقع كثيرا من الخوذية يطلبون فوق ما حدد لهم في (التعريفة) فالعارف يهدم ، والجاهل قد ينقدم ، والخطب في الامر من سهل . وإنما الخطب الجلل أن يتفق صنف من القائمين بأعمال المجتمع فيغيثون في طلب الجزاء . ومنه ما يعرف في هذا العصر باعتصاب المال ولكن هذا الاعتصاب يجري في أعمال لم تحدد أجورها بتحديداً طبيعياً ولا شرعياً ومسلك العدل في تحديد القانون له دقيق ولا أرى له وجهاً ترضى به طبيعة الاجتماع الا أن يكون النسبة بين كسب المالكين واجور العاملين ، ويأبى علينا هذا المقال ان نخوض فيه ويرضى لنا ان نرده الى الحاكمين ، لا نقول ان اعتصاب المال من البني ، ولا نقول ان فيه خطراً على الشعب ، وإنما الخطر العظيم في بني الحاكمين ، الذين يוכל اليهم ثلاثي بقي الافراد والجمعيات من المحكومين لهم ،

ما هو نوع عمل الحاكم في الامة وما هو نوع جزائهم عليه ؟ جاء في فاتحة الكلام أن الحاكم امامتقلب بالقوة بحكم كما يشاء واما مختار من المحكومين له فيحكم بينهم بما يشاؤون من الشرائع والقوانين ، فالحاكم الأول يرى أن عمله من قبيل ادارة صاحب المزرعة والماشية والعبيد لما يملك وان ما يأخذه هو من قبيل الغلة والريع وأنه يجب على المحكومين له أن يقوموا له في مزرعته الكبيرة (المملكة) بما يطلب وان يرضوا بما يفرضه لهم وعليهم والمحكومون له يرونه سلطاناً باغياً يتر بصون به الدوائر على حسب حالهم في العلم والقوة أو الجهل والضعف . والحاكم الثاني يعلم كما يعلم

المحكومون له أن عمله من قبيل حمل الفعلة والاجراء وان ما يأخذ من الجزاء المالى عليه أجرة مفروضة وأن الجزاء المعنوي وهو الجاه أثر طبيعي لاجتهاده في عمله كما يكون لغيره من المحسنين الى الامة في ترقية العلوم والفنون والاعمال على حسب حال الامة يكون حكامها في نفس الامر الذي تقضي به طبيعة الاجتماع « كما تكونون يولى عليكم » واما حكم الشرع والعقل فهو يقضي بوجوب جعل الحكم اجراء للامة ، قال أبو العلا ، فيلسوف الشعراء

ملّ المقام فكم أعاشر أمة حكمت بغير كتابها أمراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فمدوا مصالحها وهم أجراؤها

كذلك شأن أكثر الاجراء والوكلاء مع المالكين الجاهلين بما يجب أن يكون عليه ملكهم ، المعاجزين عن تحديد الاعمال وتحديد اجور العمال والزام كل عامل أن يلزم حده ، ذلك أنهي الفيلسوف في شعره باللائمة على الامة التي مكنت أجراءها من الاستبداد في السيادة عليها حتى تجاوزوا مصالحها ، ينيها بذلك الى اقامة الشريعة فيهم وارجاعهم الى الكتاب العزيز الذي جعل أمر المؤمنين شورى بينهم ذلك حكم الشريعة والعقل ولن تقدر الامة على القيام به الا بتغيير الافكار والاخلاق التي تكن من اثرها الطبيعي ان صار الاجراء سادة مالكيين وتحصيل الافكار والعلوم والاخلاق التي تمكنها بالانحداد من جعل المتطلب بقوته ، مختاراً لعدله وفضيلته ،

إذا احسن الحاكم المتطلب في عمله واقتصد فيها يتناول من مال الامة جزاء عليه كان جديراً بالجاه الصحيح وهو ملك القلوب وقيادتها بالهبة والتنظيم وبما يقيمه من الحمد والثناء وإذا اساء عملاً واسرف فيها يأخذ يفوته الجاه الصحيح ويستبدل به الجاه الباطل وهو قهر الرعية على ان تصالحه معاملة الحاكم العادل من الثناء والتنظيم الصوري مكابرة للنفس وعصياناً للقلب في سبيل طاعته الازامية . اما الحاكم المختار للامة فهي التي تفرض له برضاهما اجراً ، وعما ليه قلوبها طاعة مختارة روى ابن سعد في الطبقات عن حميد بن هلال قال لما ولي أبو بكر قال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم افرضوا لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعينه .

قالوا نعم : برداه (توباه) ان اخلقهم وضعهما واخذ مثلها، وظهروا (أي ما بركه) اذا سافر، ونفقتة على أهله كما كان ينفق على أهله قبل ان يستخلف : قال أبو بكر وضيت . وفي رواية أخرى ان أراد أن يعمل في التجارة طرفا من النهار لاجل عياله وينظر في امور الناس في سائر الاوقات فنصوه وقال عمر فرض لك فاراد ان يصنع فاقصوه وفرضوا له كواحد من المهاجرين لارقام ولا اداناهم . وكذلك كان ينفق قبل الخلافة

هكذا كانت حكومة المسلمين في أول عهد ما كانت من القسم الثاني من التقسيم للتقدم فرض عليها من عوارض الاجتماع ما حولها عن وضعها وجعلها من القسم الآخر . وكمن حكومة كانت غالبة بالقلب فزحزحتها طبيعة الاجتماع عن مكانها ووضعها تحت سيطرة الامة كحكومات الفرنجة في بلادها

لم تكن حكومة الشورى في المسلمين اثرا لارتقاء اجتماعي فيه ولذلك لم يطل عليها الهدد وانما كانت اتجارا بأمر الدين وعلا بهدايته وقد تغلبت المصبيات في الامة قبل ان يستقر هذا النوع من الحكومة ويلقي بوانيه (أي ثبت وقيم) بهدي الدين ويصير طبيعيا في الامة

لحكومات آجال مقدرة بقدر أحوال المحكومين لها الاجتماعية ولدبر الكون فيها سنن لا تبدل ولا تتحول، فاقصر أجل حكومة الشورى في المسلمين الا لان ذلك المجموع المؤلف من جميع الشعوب والاجناس لم يكن مستعدا لان يكون مسيطرا على حاكميه لقلته معارفه الاجتماعية ولا تنفاه الوحدة التي تجعل الامة كرجل واحد . وانما يستفيد الناس من الدين والدنيا في كل زمان بقدر استعدادهم . ولو كانوا شعبا واحدا في قطر واحد لرجي لهم طول هذا الاجل كما طال اجل حكومة الرومان ثم قضى عليها بالتوسع في العمران ودخول الشعوب الكثيرة تحت سلطانها

اذا اراد الله بامة ان تنهض الى جعل حكومتها تحت سيطرتها كما يجب ان تكون سهل لها من اسباب العلم الصحيح والبرية القويمة ما ينير أذهانها ويجمع كلمتها حتى تكون امة عاقلة حكيمة « والعامل لا يظلم لاسبابها اذا كان امة » كما قال الحكيم السيد جمال الدين الافغانى

يسرنا ان نرى بوادر العلم والتربية في افراد من امتنا الاسلامية في كل شعب وكل قطر وأن نرى بعض مرشديها يحشونها على الاستزادة منها ويسودها ان بعض الجاهلين المرائين يفتاتون على المرشدين المخلصين فيعلقون آمال الامة بنبر هذا الطريق المعبود، والصراف السوي في تقويم الحكومة وما يجب ان تعاملها به الامة . ولكن قضت سنة الله بأن يظلم الحق الباطل ويرجح النافع على الضار ولو بعد حين يسهل على من أوتي الخلافة في القول، والعرفان باهواء الجماهير، أن يشي امة هي في طور الطفولة في الحياة الاجتماعية وليس لها زعماء وحكام ترجع في الامور العامة اليهم . ويسهل على من أوتي الحكمة وفصل الخطاب ان ينصح لها ويهديها سبل الرشاد ، فاذا هي رزئت بالمتلبين وحدهم شقيت ، واذا هي رزقت الناصحين سمعت ، واذا تنازعها الصنفان وجد صاحب الحق من نصر العقلاء وإن قلوا ، ما يفلّ جنوح أنصار الباطل وإن كثروا ، وبذلك ترتقي الامة ارتقاء يجعلها أهلا لان تختار حكماها وتحدد لهم الجزاء المالي على اعمالهم وتمنحهم الجاه والشرف باختيارها لانهم يحكمونها بشيئها المبني على الحكمة والعرفان ، وهي يمجزهم بشيئها الناشئة عن الرضى والاذعان

الى اي شي أنت يا مصر احوج

تقطر المصري في هذا العصر حال لا يشاركه فيها قطر آخر من اقطار الارض وهذه الحال مفيدة له من وجه وخطر على أهله من وجه آخر فيجب ان يعرفوا كيف يجتنبون الفوائد من الوجه الاول ويجتنبون الفوائد من الوجه الثاني الحال التي افرد بها هي ان جميع الامم الراقية تنازع أهله الحياة في المعاش أو الاقتصاد كما يقال وفي الاجتماع والآداب وما من أمة منها الا وهي ادركت من أهله في العلوم والاعمال ولها من الحقوق فيه أكثر مما لهم فالقوانين المصرية تبين للاجانب ان يملكوها من البلاد كل ما يملكه الوطني وان ينشروا فيها لغاتهم واديانهم ومذاهبهم ويأتوا بماداتهم وتقاليدهم كما يفعل الوطني ولكن الحكومة المصرية ليس لها من المراقبة والسلطان على الاجنبي مثل ما لها على الوطني فالاجنبي أوسع

حرية واكثر استقلالاً في اعماله كلها

اما وجه الفائدة من هذه الحال فهوان الاوربيين في مجموعهم مدرسة جامعة في البلاد تعلم أهلها من الاعمال المالية بأواعها والاجتماعية والادبية ما لم يكونوا يعلمون وتعليم العمل اقرب الى النفع من تعليم العلم اذ العمل مقصد والعلم وسيلة اليه في الغالب فكل عامل ينفع البلاد ويرقيها وما كل عالم ينفع وما علينا — والمدرسة العملية مفتحة الابواب ودروسها مبذولة في كل مدينة وقرية لكل من له عين تبصر واذن تسمع وعقل يدرك وقلب يتأثر — الا أن تعلم كيف نكتسب وكيف تقتصد وكيف نؤسس الشركات ، وكيف نؤلف الجمعيات ، وكيف نحافظ على الآداب والعادات ، وكيف نقيم بناء وحدتنا الجنسية ، وكيف نندمج الى عقائدنا وآدابنا الدينية ، وكيف نوزع هذه الاعمال على اصناف العاملين ، وكيف نكون مع هذا التوزيع متعاونين متكافلين

وأما وجه الخطر ، فهو اجلي واظهر ، فان ضعيفاً ينازع الاقوياء الحياة يوشك ان ينزعوه ، وواها يصارح الاشداء بقرب ان يصرعوه ، واذا كان في الامثال المسماة « ضعيفان يغلبان قويا » فما بالك ببلدة اقوياء يقالون ضعيفاً واحداً ألا يكون الخطر عليه شديداً ؟ بلى انه يخشى ان تنزع هذه الشركات الأجنبية والمصارف (البنوك) اكثر ما في ايدي المصريين من أرض مصر حتى يكون أكثرهم فيها اجراء لارزق لهم الاما يفيضه الممالك الجديد عليهم من اجور أعمالهم من الحرث والخدمة ويكون الكثيرون منهم عالة لا يجدون من جود الاغنياء ما يسد رمقهم ويبقى الباقيون في الغالين بالتقليد والهاكاة . يومئذ (لا كان يومئذ) لا يستطيع ان يقول المصري هذه بلادي فأنا أولى واحق بأن اتولى أحكامها بنفسى وأدير نظامها بيدي .

انما يخشى ان يسرع هذا الخطر المادي اذا شابه الخطر المعنوي وامتد في صيره وهو التهاون في امر مقومات الامة ومشخصاتها من الدين واللغة والآداب والعادات الحسنة بل اقول لا يمكن لأمة ان تحفظ كونها الا بالمحافظة على عاداتها وان كانت غير حسنة ولا قيحة وان تترى في التبعيض منها فندعو الى تركه ان تحقق قبحه بالتدريج واستبدال النافع بالضار ولاحسن في عادات الامم الانافع

ولا قبيح الا الضار . ألم تروا ان أعز الامم واوسمها سلطاناً هي اشد الامم محافظة على العادات والتقاليد المشخصة لها وان كان غيرها خيراً منها ؟ ألم تعلموا أن اكثر الامم الاوربية قد استغندت حيلتها بعد ما استغفرت بلاغتها وفصاحتها في محاولة اقناع الانكليز باستبدال المقياس المصري (المتر) بمقياسهم (اليرد) بل بتوحيد المقاييس — وناهيكم بفوائده — فلم يزد ذلك الانكليز الا المحافظة وثباتاً على ما درجوا عليه . ألم يأتكم نبأ ما كان لاستبدال اسماعيل باشا الخديو التاريخ المسيحي بالتاريخ المهجري من الفرح والسرور في أوروبا ؟ قيل ان ذلك اليوم كان عند الاوربيين عيداً من الاعياد بل فتحاً مبيتاً من أجل الفتحوات في نحو بل الشعوب من حال الى حال . وهم ينظرون عيداً ثانياً أوفتحاً آخر باقناع المسلمين عامة في مصر بترك العمل يوم الاحد كما فعل بعض تجارهم

تنتزع اراضي مصر من أهلها قطعة بعد قطعة فلا تشعر الامة بانتزاعها لان البلاد تبقى على حالها لا يتغير من معاملها ولا من شؤون عولها شيء ، وتترك مقومات الامة ومشخصاتها عقيدة بعد عقيدة وعادة بعد عادة ولا تشعر الامة ببركها وماله من الأثر في حياتها لان تحول الامم كتحويل الظل لا يشعر احد بحركته ويشعر كل احد بما قبله ، وانتقال الثروة من الشعب الكبير كانتقالها من الرجل الواحد الذي ينفق بكثرة ماله فيسرف ويذر لا يلاحظ عند كل نفقة ما بقي من ماله ولا نسبتها الى دخله واتما تنحصر ملاحظته في شيء واحد وهو انه يملك مليوناً فهو اليوم ينفق عشرة آلاف على انها عشرة من مليون وفي غد ينفق عشرة أخرى على انها عشرة من مليون ولا يزال يرى المليون مليوناً وان لم يضم اليه شيئاً والعشرة عشرة وان صارت بانفهامها الى ما قبلها عشرات فئات حتى تستغرق المليون فلا يبق منه شيء أو يبق منه ما يكون مثله في يد الفقير والمسكين

لا يهولك ما قرأت فتكون من اليائسين ، ولا تستهين به فتكون من المفرورين ، فان الخطر الذي ذكرناه — وان كان صحيحاً — مما يمكن اتقاؤه وان لمصر على ضعفها قوة المالك المدافع عن ملكه أو المحافظ عليه في زمن لا غصب فيه ولا مصادرة في المال ولا استبداد يحول دون الحرية والتعليم والمحافظة على مقومات الامة من

اللغة والشعار والاخلاق والمادات فالخطر المخشي ليس خطرا اضطراريا لا قبل لنا به ولا حول لنا ولا قوة على دفعه وانما هو خطر تنعم فيه بمشيتنا واختيارنا واذا نحن اتقيناه كان مصدره وهو التنازع بيننا وبين الاجانب مصدر علم وعرفان ، وترق في الاجتماع والعمران ، نعم انه لا يخلو من اثم ولكن منافسه تكون اكبر من اثمه كيف ينشئ هذا الخطر ؟ قد علم عاهل ان الخطر محصور في امرين اصابة الثروة واهمال مقومات الامة . فاما الثروة فلها ثلاث آفات او ثلاث بلائع - القمار ومنه مضاربات البورصة وقد فشا وباء في القطر المصري حتى لم يدع قرية ولا مزرعة (عزبة) سالمة من فكه ، واعطاء الربا للاجانب وبيع الاطيان والاملاك منهم . ولا سبيل الى اقناع جميع الناس باقواء هذه الآفات الثلاث ولكن الجرائد اذا فصلت مضارها وكررت التنذر فيها وتبعت الوقائع والحوادث في تخريبها لبيوت وفقارها للاغنياء واذلها للاعزاء رجونا ان يقل فسكها حتى لا يصل الى درجة الخطر على الامة

وأما مقومات الامة فأمرها اعظم ومجال القول فيها اوسع وانا مخاطب في شأنها الزعماء المصلحون والعلماء العاملون والاغنياء العاقلون وأصحاب الصحف والفيورون والخطباء المؤثرون اذ المدار فيها على ايجاد معاهد لتربية والتعليم ينشأ فيها الرجال المستقلون ، والنساء القادرات على تربية الولدان واقامة النظام في البيوت ، وهذا ما يطلب من الزعماء والاغنياء ولا ينكر ما للجرائد الناصحة من التأثير في الحث عليه ، ثم على التصح المتابع للامة في المحافظة على تلك المقومات واعلاء شأنها والتفريع الشديد للذين يعملون شيئا منها وهذا ما يطلب من الخطباء والكتاب . واني لأعجب كيف تقصر الجرائد الوطنية في هذين الركيزتين العظيمين - حفظ ثروة الامة وحفظ مقوماتها الجنسية وترقيتها - وتطيل الكلام في المسائل الخارجية والحوادث الجزئية فيكون اكثر ما تقوله لنوا لا فائدة فيه للجمهور . أليست مصر احوج الى حفظ ثروتها ومقوماتها منها الى سائر الاشياء ؟ أليست هذه الثروة والمقومات على خطر من التنازع مع سائر الامم يجب تداركه ؟ أليست الجرائد هي المطالبة ببيان ذلك والحث على تلافيه ؟ بلى وعسى ان يكون عناية الجريدة به اكبر من عنايتها بسواه والله الموفق

فَتَسَاءَلُكَ الْمَلَأَنَاءُ

تصفا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه ويذكر عمله وظيفته (وله بسد ذلك ان يرز الى اسمه بالحروف ان شاء) وانما نذكر الاسئلة بالتدريج فالباور وما قد تمتاخر السبب كطاعة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لثقل هذا. ولمن يعني على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا عذر صريح لا غفلة

الكرامة والمعجزة

(س ٨) السيد محمد بن هاشم علوي (بجاوه) أسألك عن كلمة : كل معجزة لني فهي كرامة لولي : هذه الكلمة تلهج بها الناس عندنا لا سيما عبدة الخوارق ولا أدري هل هي حديث أو أثر وما معناها

(ج) العبارة ليست حديثاً ولا أثراً عن الصحابة وهذه الاصطلاحات من المعجزة والكرامة والولاية قد حدثت بعدم وانما هي كلمة لبعض المشايخ وافقت هوى الناس فتلقوها بالقبول وصارت عندهم من قبيل القواعد الدينية وسارت بها الامثال فيما بينهم ونحمد الله أننا لم نعدم في شيوخ التصوف والعلم من أنكرها

ينقل عن الاستاذ أبي اسحق الاسفرائيني والخليمي من أئمة الأشعرية انهما وافقا المعترلة على انكار الكرامات. وذكر التاج السبكي في طبقات الشافعية الكبرى أنه يزداد تعجبه من نسبة إنكارها الى الاستاذ « وهو من اساطين أهل السنة والجماعة » وكذب ذلك ثم قال ما نصه

« والذي ذكره الرجل في مصنغاته ان الكرامات لا تبلغ مبلغ خرق العادة . قال وكل ماجاز تقديره معجزة لني لا يجوز ظهور مثله كرامة لولي . قال وانما مبلغ الكرامات ايجابية دعوة أو موافاة ماء في بادية في غير موقع المياه أو مضاهي ذلك مما ينحط عن خرق العادة ثم مع هذا قال إمام اخريين من أئمتنا هذا المذهب متروك . قلت ولبس بالغا في نبشاعة مبلغ مذهب المسكرين للكرامات مطلقا بل هو مذهب مفصل بين كرامة وكرامة رأى ان ذلك التفصيل هو المميز

لها من المعجزات . وقد قال الأستاذ الكبير أبو القاسم القشيري في الرسالة : ان كثيراً من المقدورات يعلم اليوم قطعاً أنه لا يجوز ان تظهر كرامة للأولياء لفرضية أو شبهة ضرورية بمنع ذلك (فنما حصول انسان لا من أبوين وقلب جاد بهمة أوجواناً وامثال هذا كثير : انتهى وهو حق لا ريب فيه وبه يتضح ان قول من قال : ما جاز ان يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي : ليس على عمومته وأن قول من قال لا فارق بين المعجزة والكرامة الا التحدي : ليس على وجهه اه كلام السبكي هنا

وقال بنفي العموم أيضاً في جوابه عن شبهة القائلين بأنه لو جازت الكرامة لاشتبهت بالمعجزة . وقال في الكلام على إحياء الموتى نحوه ومنه قوله « ولا أعتقد الآن ان ولياً يحبي لنا الشافعي وأبا حنيفة حياة يبقان معاً زماناً طويلاً كما همرا قبل الوفاة بل ولا زماناً قصيراً بمخاطبان فيه الأحياء كما خالطهم قبل الوفاة »

﴿ محو الناس للإسماء من اللوح المحفوظ ﴾

(س ٩) ومنه مطروحاً على السؤال السابق : وأسألك سيدي عن قول من سمعته يقول « فلان محيياً اسمه من اللوح المحفوظ » وهذا القائل ممن يدعون الكرامات والتصوف وهو غيبي عن أول ما يجب عليه واذا فرضنا حسن استقامته ومعرفة فهل يسوغ له هذا القول وما معناه وهل هو مدح للمحو أو أنه أم ذم ؟ وقد أنكرت عليه قوله فلا مني الناس المتهاقنون على الخزعبلات لصغر سني وعدم كبر عمامتي ، وعدم قولي لمن يطلب من الدعاء أنت في رقبتي ، تفضل يا سيدي بين لي ما أشكل علي فقد اختلج بخاطري أنهم مصيبون في تصديقهم قوله وأنه ما قال منكراً من القول رأيي مخطئ في انكاري وما يدريني ان الحق مهم أجيني يا والدي

(ج) انك مصيب في انكارك وهم المخطئون وليس الحق بكبر السن أو العامة فقد ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد على مكة وهو ابن احدى وعشرين سنة ثابت على فطرك السليمة ولا تقبل من أحد قولاً بغير دليل بين . أما كله الدجالين فلا تفهم الا بالقرينة فاتهم قد يريدون بمحو

الاسم الحكم بالموت وقد يردون به إخراج المسي من أهل المرتبة التي هو فيها حقيقة كالولايات الدينية أي عزله منها أو ادعاء كالذين يعترفون لهم بالولاية ومهما كان المراد فهذا القول من الجرأة على الله لا يصدر الا من جهول غره اجتنان العامة بدعاويه وتقبلهم ليديه فصدقهم واقتن بنفسه أو نسي بهذا الجاه وبه فأنساهم نفسه . وينبغي لك أن تلتطف في الانكار على هؤلاء لئلا تأخذهم العزة بالإثم فيؤذرك فأنهم لخصوع العامة لهم يطغون ويستحلون الإيذاء لاسيما اذا أمكنهم إخفاء سببه ليدعوا ان المعترض قد عاقبه الله كرامة لهم فان أكثر كراماتهم المزعومة هي الإيذاء للناس ولم نسع ان أحدا منهم قد نال من الكرامة أن اتقد بعض بلاد المسلمين من الظلم أو أخرجهم من ظلمات البدع والخرافات

(قتل مسلمي الروس في الحرب اليابانية)

(س ١٠) يوسف افندي هندي بالبريد المصري (تأخر) : ما حكم الشرع الشريف فبين قتل من مسلمي الجند الروسي في حرب اليابان هل ماتوا طائعين أم عاصين ولا أفنهم بمدون شهداء أرجوا الشكرم بالأفادة لازلم ملجأ لكل مستفيد (ج) اني أعتقد ان محاربة مسلمي روسيا ليابان ليست بمعصية لله تعالى ولا ممنوعة شرعا وانها قد تكون مما يثابون عليها عند الله اذا كانت لهم فيها نية صالحة « إنما الاعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » ولنية الصالحة في حرب المسلم مع دولته غير المسلمة وجوه (منها) ان طاعته اياها تدفع عن اخوانه من رعيته شيئا من ظلمها وشرها اذا كانت استبدادية ظالمة وتساويهم بسائر أهلها في الحقوق والمزايا اذا كانت نياية عادلة أو تفيدهم مادون ذلك اذا كانت بين بين (ومنها) أن العلوم والاعمال الحرة لا تزال من أهم عناصر الحياة الاجتماعية في البشر فاذا حرم منها شعب من الشعوب ضعفت حياته والضعيف لا يكون الا ذليلا مهينا . والخير للمسلمين من دعايا تلك الدول ان يكونوا مشاركين لسائر أهل الملل فيها في جميع مقومات الحياة الاجتماعية أقوىاء بقوتهم أعزاء بعزهم لان يكونوا فيهم ضعفاء أذلاء بدنيهم فان دين الاسلام لا يبيح لأهله ان يختاروا الضعف والذلة على القوة والعزة واذا هم اختاروا ذلك عجزوا عن حفظ دينهم فكان ذلك إضاعة لدين نفسه فلا

لنفت الى متمصب جهل يقول لك ان النار يبيع للمسلمين ان يعتزوا بالكافرين
لا اذا رأته يعقل الكلام قتل له انه ينصح للمسلمين بأن يخناروا المز على القل
هنا كان مصدر المز والقوة على الضعف ويرى ان حفظ الاسلام في غير دارة
لا يكون الا بذلك . ويتبنى نصارى الممانين لو تدخلهم الدولة في الجندية لذلك

﴿ الدخان هل هو نجس وضار ﴾

(س ١١) من محمد أفندي زيدان بسنورس الفيوم (تأخر)

ما قولكم جعلكم الله منار الإسلام وينبوع العلم ومنهل الورد في مسئلة
الدخان التي أخذ اختلاف الناس فيها كل مأخذ ضار با الحنايه على أفكارهم وعقولهم
فأصبح مغلطنا والحمد لله ان لم أقل الكل مضور في غياهب الجهل بكنهها مضطرب
الضمير فغلب به أيدي الخلاف على موائد الجبهالات مخليج الصدر بالسؤال عما
يكشف ثامها . . ويرفع قاتها وعن بيان أحكامها وهل الدخان نجس أو منع منه
الامام وهل يضر وهل يكون حجابا بين البد وربه من الأنوار واني لأرى هذه
المسئلة أم مسئلة توجه اليها انظار النظار بالبحث في خبايا اسرارها ليستخرجوا
معادنها الجوهرية ولا أرى مقداما على خوض بحارها وسلوك سباسبها الا منار
الاسلام فوليت وجهي شطره بلسان حال الأمة مريدا بيان حقيقتها بما يسر
الضمير ويرتاح اليه الخاطر مشدودا نطاقه بساطع براهين منار كم كما عهدنا من
قبل ولازلنا نهد نشرلواء النار على عويس المسائل فأدحض سحباب الجهل بقوة
الحجة وبياض المحجة قلده يتفضل علي بل على الشعب بأسره بنقطة من بحار
علومه الفياضة أو بشماع من شمس معارفه فتبتدي بها سواء السبيل والسلام

(ج) قد نشرنا هذا السؤال بنصه لما فيه من الصكاهة وبيان استبعاد الناس
للإحفاء والاستقصاء في كل شيء وان ما يراه بعضهم من الامور التي لا يؤبه لها
يراه آخرون ذا بال بل من أم المهمات

اما كون الدخان نجسا أو غير نجس فالجواب عنه أن هذا النبات الذي يسمى
دخانا لأنه يستعمل إحراقا ليشتمع بدخانه هو كاسر البيات طاهر ولا يوجد في
الدنيا نبات نجس واما كونه ضارا أم لا فهذا مما يرجع فيه الى الاطباء لا الى الفقهاء

والمعروف في الفقه ان كل صار محرم على من يضره وما كان من شأنه ان يضر قطعا الا في احوال نادرة يمكن إطلاق القول بحرمته أو ظاهرا يحكم بكراهته . والمشهور عن الأطباء أن في هذا النبات المعروف بالنخان والبنج والتين والتنباك مادة سامة تسمى (نيكوتين) فهو لذلك يضر المصدرين قطعا وان صحیح الجسم اذا تعود بالندرج فانه لا يضره ضررا يئنا ولا شك ان تركه خير للصحة من استعماله فينبغي لمن يبتل لم به ان لا يقد الناس فيه فانه اذا لم يخل من ضرره ما يكون مكروها شرعا وعلى من ابتلي به ان يراجع الطبيب الحاذق فاذا جزم بضره وجب عليه تركه واذا قال بمحتمل ان يضره استحسب له تركه واذا قال إنه لا يضره مطلقا أبيع له استعماله واذا اتفق ان كان نافعا للمقاومة مرض ما كما ينفع كثير من السموم في مقاومة بعض الامراض صار مطالبا باستعماله شرعا وقد يكون حينئذ واجبا اذا جزم الطبيب بتوقف منع الضرر على استعماله والا كان مخيرا بينه وبين ما يقوم مقامه . فلم من ذلك كله أنه قد تعزیه الاحكام الخمسة كما يقولون

﴿ التهي عن الجمع بين الاختين والتزوج بامرأة الاب الاماقد سلف ﴾
(س ١٢) عكك افندي خليل بالأبيض من السودان : ارشدني أرشدك الله الى الصراط المستقيم الى تفسير قوله تعالى « وان نجموا بين الاختين الاماقد سلف » وقوله « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الاماقد سلف » ورجائي نشره في مشارك ولكم الثواب

(ج) معنى قوله عز وجل « الاماقد سلف » لكن ما سلف أي سبق لكم من ذلك في زمن الجاهلية لامواخذة عليه وكأوا في الجاهلية يجمعون بين الاختين في الزواج ويترجون بنساء آبائهم اذا ماتوا عنهن فهى الله عن ذلك وبين ان ما سبق في الجاهلية لا يؤخذ عليه . وهذا الاستثناء يسميه النحاة الاستثناء المنقطع . ويقول بعض المفسرين ان الاستثناء متصل ولا حاجة الى بيان قوله لمن يريد فهم المعنى ولا حاجة له في الاصطلاحات النحوية

﴿ الحب وهل هو اختياري أم اضطراري ﴾

(س ١٣) ٠٠٠ التليذ بمدرسة الناصرية بمصر: ما هو الحب؟ وهل هو اختياري أم اضطراري؟ أفيدونا بأجل بيان وأعظم برهان، وإن شئتم فأرسلوا لنا الرد على غير صفحات المنازل ويكون لكم الفضل والله لا يحرمانا من أمثالكم

(ج) ورد لنا هذا السؤال منذ سنة وشهر ولم يأمر السائل بكتان اسمه ولا بالرمز اليه وكنا نرددنا في الجواب عنه ثم نسيناه ولما راجعنا في هذه الايام ما تأخر من الاسئلة التي جاءتنا في السنة الماضية ولم نجيب عنها رأينا فيها واستحسننا ان نجيب عنه جوابا مفيدا لامثال السائل من الناشئين الذين أنشأت بوادر الحب تعبت بنفوسهم ونفسي له في مخيلاتهم جنات باسقة الاشجار، بهيجة الازهار، تجري من تحتها الانهار، وتفر من فوقها الالطار، تنهادي في أفيائها كواعب الأبطال، فيترأى لهم من سعادة الحياة في مناغاة أولئك الغادات، في حداثق هاتيك الجنات، ما قد يشغلهم عن تحصيل العلم، ويعوقهم عن تربية النفس، ويجذبهم الى مطالعة قصص الغرام، التي تغذي تلك التخيلات والأوهام، حتى يزين لهم الترضي للحب اختيارا، أو يقهوا في حباته اضطرارا، فيجني عليهم ما يجني ممالا محل لذكره هنا

معنى الحب بديهي لا يمكن تعريفه بما هو أجل عند النفس منه فاذا قلت لك: ان حبك لشيء عبارة عن ميلك اليه او هو انفعال ارتياح وأنس بالشيء المحبوب أو شعور ملائم لطلب مثاره أو منشؤه ذلك الشيء: أو غير ذلك لا يزدك ذلك معرفة بالحب وإنما يزدك معرفة بالالفاظ المترادفة أو المتقاربة في المعنى فن أحب شيئا ما عرف معنى الحب المطلق في الجملة وحب ذلك الشيء بالتحديد وإذا فرضنا أنه يوجد في البشر من لا يحب شيئا قط فانا نجزم بان إلهامه معنى الحب محال ومن أحب شيئا دون شيء فانا نعرفه معنى الحب المحبول عنده بتشبيهه بالمعروف له ولكن هذا التعريف يكون بالتقريب لا بالتحديد لأن حب الاحترام غير حب الشفقة وحب القرابة والصدقة غير حب الزوجية . وصفوة القول ان الحب من الوجدانات التي لا يعرفها إلا من ذاقها كالسرور والفرح والخوف والحزن وأما كونه اختياريا أو اضطراريا فهو مما اختلف فيه الباحثون فقال بعضهم

بالأول وبعضهم بالثاني وذهب آخرون الى ان أوله اختياري وآخره اضطراري وقد نظموها هذه الآراء واشتهرت فيها أشعارهم واذ ارجع الانسان الى نفسه وإلى ما يعرف عن أبياء جنسه ودقق النظر في ذلك يتجلى له ان لكل قول وجها ولكنه قاصر عن تمحيص الحقيقة وذلك أن الانسان قد يحدث له الحب فجأة وقد يختار معايشة بعض من يستحسن والتودد إليه لآجل ان يحبه فيجبه وقد يحب امرأ او امرأة فجأة أو بعد تعجب ثم يظن الى ان هذا الحب لاخير فيه وأن تركه خبر من البقاء عليه فيتكلف السلوك بالبعد وترك المعاشرة حتى يسلو، وقد يكون ضعيف الإرادة فاقد العزيمة لا يقوى على مقابلة الحب وان هو اعتقد عبثه بشرفه ودينه وذهابه بماله وفساده لمصلحه فيظل مفلو باله خاضعا لسلطانه

كل أولئك كان واقعا معروفا للمختبرين وما قال من قال ان الحب اختياري دائما، أو اضطراري مطلقا، أو أوله اختياري وآخره اضطراري الاحكامية عما يجد في نفسه مع الفظة عما عليه غيره من الناس والا فهو جاهل بنفسه وبغيره

وان شئت تفصيلا ما لهذا الاجمال فلا تنس ان موضع الخلاف هو حب الشهوة الذي يسمى عشقا كحب الرجل للمرأة التي يشتوي ان يقترن بها حبا يملك شعوره ووجدانه لا مطلق حب الانسان الجليل أو القريب أو المحسن أو الفاضل فان الحب المطلق للجميل المستحسن من الانسان وغير الانسان مما غرز في طبائع البشر واصطبغت به فطرتهم لا يملكون دفعه، ولا اختيار لهم فيه . وقلا يكون العشق اضطرارا بل الغالب فيه ان يستحسن المستند للعشق من تحسن صورته أو صورتها في عينه وتحمل محلا من قلبه فيطيل في ذلك الفكر والتخيل، ويعود الى النظر والتأمل، ويندرج من ذلك الى المشكلة والمعايشة حتى يصير عاشقا، واسترساله في هذه الامور يكون باختيائه في الاكثر، وما كان من الحواطر والتخيلات لا رلى بغير اختيار تسهل مدافقته بتكلف التفكير في غيره قبل ان يتمكن، ولذلك عبرنا للاضطرار استرسال ومن سير هذا وقته حق الفقه يجزم بأن أكثر الذين عشقوا ما بلغوا في ميلهم واستحسناتهم الى درجة العشق الا بأعمال نفسية وبدنية استرسلوا فيها باختيارهم ولو شاؤا لما استرسلوا ولولم يسترسلوا لما عشقوا ولكنهم اختاروا ان يعشقوا لانهم توهموا

ان في العشق غبطة وهناء ، ونعمة وسعادة

ومن ذلك الذي يبعد تصوره ، ويعسر تمثيله ، أن ينظر الانسان إلى صورة جميلة فيفجأه عشقها مستغرقا شعوره ووجدانه ، مائلا عليه أمره ، سائبا منه إرادته واختياره ، ولو قال قائل ان هذا غير ممكن أو غير واقم لما صلحت حكايات « ألف ليلة وليلة » وأشباهاها من القصص « الروايات » ناقضا لقوله ، ذلك بان الانفعالات التي تعرض للنفس لا تكون بالغة منتهى القوة والشدة الا اذا اصطدمت بوجدان يقابلها كالحزن الشديد لتفقد المحبوب العزيز والفرح الشديد بلقائه بعد اليأس منه والحزن على الحياة من خطر معاجي

وقد يقال أيضا ان داعية الذل قد تقوى في بعض الناس الذين ليس لهم شواغل عقلية فتحدث استعدادا يستغرق الوجدان ويم تأثيره المجموع العصبي فينتفى ان يرى صاحب هذا الوجدان في هذه الحال من الصور ذوات الجمال ما يشاكله فينفضل لرؤيته انفعلا شديدا ويمكن تأثيره في نفسه لأول وهلة فلا يكون له اختيار فيه ، ولا معلم في تلافيه ، ولكن هذا نادر كما قلنا آثما والنادر لاحكم له كما يقولون

والفرض من هذا البيان أن الحب الذي تثيره داعية النسل كسائر أنواع الحب يخضع للقرينة والتمذهب وليس من شأنه سلب الاختيار بطبيعته وانما ينعو كغيره بالاعمال الاختيارية حتى يخرج عن طوق الاختيار أحيانا لا سيما مع ضعف الإرادة وأهل البطالة ، فقد يولم المرء بلعب الشطرنج أو اللهو باطارة الحمام حتى يرى تركها فوق إرادته واختياره . فلي السائل وأمثلة من الناشئين ان لا يسترسوا مع أهوائهم ، في الحب لئلا يحكم عليهم سلطانها الجائر حكما يتجرعون غصصه طول حياتهم .



بَابُ التَّحْقِيقِ فِي تَعْلِيمِ الدِّينِ

التعليم الديني

لانعرف بلاداً إسلامية أثر فيها التفرنج كما أثر في مصر وأغرب مظاهر هذا التأثير ملجى منذ أشهر من الخلاف بين المسلمين في تعليم الدين بالمدارس بل وفي فائدة تعليم الدين وعدم فائدته وامكن الاستغناء عن الدين في تهذيب الاخلاق وتروية النفوس

فتحت باب البحث في ذلك الجرائد وتبهما الناس كماذهبهم فن قائل ان موضع تعليم الدين البيوت والمداس وانه ينبغي للحكومة ان تبطل تعليم الدين من مدارسها ومن قائل ان مايسلم في هذه المدارس كاف لاجابة الى الزيادة عليه ، ويقابل هذا القول طلب اعضاء مجلس الشورى والجمعية العمومية زيادة التوسع في تعليم الدين بهذه المدارس . ووراء هذه الاقوال والآراء ما كتبه بعض الناظرين في آراء فلاسفة أوروبا ونشر في جريدة المؤيد من يات وجه الحاجة الى تعليم الدين وبيان الاستغناء عنه ومن قال بذلك من علماء الغرب ومما يثبث به المقلدون لأصحاب الآراء الفلسفية الباقصة قولهم انه يمكن الاستغناء عن الدين بالتربية الادبية العقلية المبنية على الاقتناع بضرد الرذائل ونفع الفضائل كأن يقول المعلم للتلميذ ان الكذب قبيح ومقترفه محقر بين الناس لا يوثق بقوله ولا يعتد بشهادته ولا يخبّره وأن الحرصاة تذهب بالصحة والمال . ومن هؤلاء من يرى ان هذه الطريقة أفضل من طريقة الدين المبنية على التخويف من عذاب الآخرة لان في هذا التخويف من اضعاف النفس وإيقاعها في الاوهام ما فيه على زعمهم

ومن أهل الدين الراسخ من سرى له شيء من اوهام المتفلسفة فصار يرى ان تعليم الدين والتربية عليه في الصغر ضار ولكنه يجب بمد بلوغ العقل أشده لان الدين عبارة عن فلسفة روحية والمبتدئ ليس أهلاً لتلقي الفلسفة . . .

قد استعجل متفرنجو المسلمين جداً في جعل مسألة التعليم الديني محل بحث ونظر واستعجل المتفلسفة منهم في الحكم بأن الاقناع العقلي كاف في تهذيب الناشئين ومن عن الأخذ بالدين أو غير منه فإن أئمتهم من غلاة الملاحدة في أوروبا لم يظفروا بإقناع شئ من شعوبهم برأيهم هذا ولا يزال جميع الأوروبيين يقيمون بناء التورية والتعليم على أساس الدين على أن حاجتهم اليه دون حاجتنا لوجوه منها انتشار التعليم الأدبي والاقناعي في جميع طبقاتهم حتى أن بعض بلادهم لا يوجد فيها أمي ولا أمية ونحن عاجزون عن تعميم التعليم بدین أو بشر دين فدل من الصواب أن نجعل المتعلمين منا على قلتهم غير متدينين وهم القدوة لسائر الأمة ؟ أم الصواب أن يسمى هؤلاء النفر من المتفلسفة الى نحو الدين من الأمة برمتها متعلمها وأميا ؟ وهل يظنون أن جميع أفراد الأمة يكونون حينئذ فلاسفة أو متفلسفين مثلهم يتركون الشرور لقيام الدليل العقلي على ضررها أو مناقها بالشرف ؟؟

قلنا نجد أحداً من أصحاب هذا الرأي القيم تاركاً للمعاصي والشرور لأنها ضارة بالمجتمع أو مخلة بالشرف ومن ترك ذلك ظاهراً لا يتركه باطناً الا من ترى منهم تربية دينية حقيقية طبعت في نفسه ملكات الفضائل طبعاً عجزت عن محوه نزغات الفلسفة الناقصة

يمكن أن يجمع قناشي بين الاقناع والدين بأن يبين له ضرر الرذائل والمعاصي في سياق حكمة تحريمها وبيان محاسن الفضائل ومنه فما في سياق حكمة إيجابها أو استعابها والا تعمس الاقناع أو تعذر لاختلاف الافهام في حقيقة الشرف والخير والشر والنعم والضرر . فاذا قلت قناشي ان الزنا قبيح أو مخل بالشرف لا يمنعه ذلك ان اقتنه بأن يأتيه سرا لأن أمر الشرف منوط بنظر الناظرين وعرفهم وإذا قلت له انه خطر على الصحة لأنه مدعاة للإسراف أو مجلبة لبعض الأدواء لم يكن لقولك من التأثير أن أخذ بالتسليم الا العزم على الاقتصاد فيه والحذر من غشيان المصائب بالأدواء و يظن أن ذلك مما يسهل عليه وربما وجد من الناصحين من يقول له ان ترك ذلك العمل ضار بالصحة فكانت نصيحته أقرب الى القبول من نصيحتك . وإذا قلت له ان لهذه الفاحشة غوائل اجتماعية كاختلاط الانساب

وقلة النسل وإثارة الشرور بين المتنازعين فيها عند المشاركة : فلا تطمع منه ان عقل قولك بأن يترك لذته اثارة حبا بالمصلحة العامة . ولكن أكثر الذين يتربون تربية دينية صحيحة لا يستحلون الفاحشة ويستهيون بها كما يفعل من فقدوا ذلك ، وانك تجد في كل بلد يدين أهله بجرمة هذه الفاحشة كثيرين يتقونها خوفاً من الله عز وجل على ضعف العلم بالدين وعدم التربية عليه ، ولولا الخرافات التي زلزلت العقائد ، وشوهت وجه الاحكام كالاتحاد على الكفارات والشفاعات والغفران لكان وقوع هذه الفاحشة من المندنيين من النوادر

وقل مثل ذلك في الخمر فإن التعليم على الطريقة التي يطلبها المتفرنجيون والمتفسفون اعرف من غيرهم بما فيها من الضرر وهم مع ذلك أكثر شرراً لها من سواهم . وأضف الى ذلك جرمة القمار ، وما فيها من المضار ، على ان المتفرنجيين والمتفسفين منا لا يحرمون بعقولهم هذه الموبقات الثلاث التي يجاهدونها فلاسفة أوروبا بعقولهم وعلومهم أشد الجهاد وبعدونها شر غوائل المدنية الأوروبية وهي لا تزداد بالغرم منهم الا انتشاراً

ان الجميع متفقون على قبح الكذب وضرره وإنهم لأعجز عن اقتناع الناشئين بتحرمة ما قويت حججهم من اضعف مرشد ديني وان لم يأت بحجة أو حكمة وراء النص وقصارى ما يبلفه قولهم من نفس من يقبله ان يحترس من الفضيحة بالكذب الحلي لأن يتركه مطلقاً

أما زعم المتفسفين أن تربية الدين قد تضر بالعقل أو النفس بما فيها من من الارهاب والتخوف فهو زعم باطل لا يقوله الا من يجهل الدين والناس ، وسنبين ذلك في فرصة أخرى

وأما القول بان الدين فلسفة لا ينبغي أن يتلقاه الا المتعلم المستعد لتلقي العلوم العالية فله وجه وفيه قصور فان الدين له طرفان طرف أدنى وهو الهداية العامة لكل مكلف وان أمياً جاهلاً ، وطرف أعلى وهو كما قيل حكمة وفلسفة . والصواب أن يعلم التلميذ في المدرسة الابتدائية ما يليق به من الطرف الاول ويترقى به تدريجاً - يعلم في السنين الأولى مع القراءة بالحكايات عن الاشياء ان الله تعالى هو الذي اعطى

كل شيء خلقه ثم هدى فاذا كان موضوع درسه في النحل مثلاً يذكر له بعد شرح ما يليق بفهمه من حالها وأعمالها ان الله تعالى هو الذي خلقها وألمها أن تعمل لحفظ حياتها هذه الأعمال وينتقي به في ذلك . ويعلم مع الآهيات على هذا النحو شيئاً وجيزاً من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأخلاقه وآدابه . ويذكر له أن الله تعالى ميزه هو وأمثاله من الانبياء بعلم خاص بهم دون سائر الناس يهدون به الناس الى الحق والخير كما ميز النحل بعلم خاص بها لا يشاركها فيه غيرها . واما العبادات فيجب أن يتعلمها الناشئون بالعمل لا بالقول وكذلك العامة اتباعاً لسنة السنة « صلوا كما رأيتموني أصلي » رواء البخاري . وأما تعليم المبتدئين فلسفة السنوسي وأمثاله في الآهيات كالصفات العشرين ، فهو من العبث الذي يعد جنائياً على الدين ، من ينتقده فاني معه أول المنتقدين ، والله على ذلك من الشاهدين ،

سألت أحد الفضلاء المستسكين بالدين عن ولده لعله في الثامنة عشرة أيصلي فقال لا أدعه يصلي الآن لانه لا يعقل معنى الصلاة فاذا بلغ السن التي يفهم فيها معنى الصلاة فانه يصلي .

هذا الوالد الذي يرى هذا الرأي من ابناء كبار الباشوات وقد نطم في أوربا ونقلد بعض الاعمال العالية في الحكومة وهو يفهم من معنى الصلاة ما لا يفهم أكثر أهل الازهر لأنه قرأ الاحياء قراءة استهداء . ويقل فيهم من قرأه ، وكتبه من مدرسيهم لا يعرف عدد اجزائه ولا رأى منها شيئاً وهو على ما نعتقد غرر مصيب . ولمعري أنه ينبغي لمن يرى رأياً يخالف ما درجت عليه أمته أن لا يتعجل العمل به بل يبحث ويستشير وينظر من يعلم أو يظن أنهم أهل للبحث في ذلك لعله يرجع عن رأيه أو يعضي فيه على بينة تامة ولا يعتد في هذا المقام بتجربة الواحد والآخر

نقول في الصلاة ما قلنا في الدين بجملة ان لها طرفاً أدنى وطرفاً أعلى ومن فوائد حمل الناشئ المميز على الصلاة تعويده الطهارة والوضوء ومنها توليد الشعور الاجمالي بالعبادة في قلبه وهذا شيء عرفناه بنفسنا ورأينا أثره في غيرنا ممن تربوا

تربية دينية فلا يصح لمن لم يدقه ان ينكره، ومنها تعويده المحافظة على المكتوبات في أوقاتها فان كل غل يودى بنظام في أوقات معينة يحتاج فيه الى التعويد في الصغر فقلما يحافظ الانسان على عمل منتظم لم يتعوده وان هو اعتقد نفعه في الكبر فانا اعتقد أن الرياضة البدنية من الضروريات التي الاعمال العقلية مثلي واستحث عزيمتي للارتياض كل يوم فلا تواتيني الا في بعض الايام وانني اعاتب نفسي منذ سنين على هذا الاهمال والتقصير ولو لم أكن مواظبا على الصلاة من الصغر لما بعد ان أنرك بعض أوقاتها تكاسلا أو تأولا

ومن فوائد المواظبة على الصلاة قبل البلوغ أن المراغب عليها لا يقع بعد البلوغ في مهلكة الشباب التي يصبر عنها كتاب العصر بالمادة المضرة وناهيك بشروورها ومضارها واذا هو اجترحها لا يفرط فيها فان لم يتركها لأنها محرمة امتنع من الاسراف فيها استقالا لتكرار الفصل وهذا ضرب من ضروب نهي الصلاة عن الفحشاء والمنكر والناس عنه غافلون

﴿ تعليم الدين في المدارس المصرية ﴾

بحث قوم في علم الدين بمدارس الحكومة، فمنهم من قال بوجوب الزيادة فيه، ومنهم من قال ان ما فيها كاف، ومنهم من قال انه لا ينبغي ان يعلم الدين في المدارس وانما موضع تعليمه البيوت وهم يعلمون ان تعليم البيوت منوط بالنساء وان النساء المصريات لسن على شيء من علم الدين ولا من علم الدنيا الذي يؤخذ بالتلفين. وقد رددت الجرائد هذه الاقوال ولم أرفها قراءته فيها يانا صحيحا لما يجب أن يكون عليه هذا التعليم في هذه المدارس ولا في غيرها. وقد طلبت الجمعية العمومية من الحكومة التوسع في تعليم الدين بمدارسها فقررت نظارة المعارف زيادة دروسه في المدارس الابتدائية فابتعدت ذلك الجرائد التي لا يرضيها من الحكومة شيء. ولم تبين ما هو الصواب. وعندنا أنه يجب ان يكون معظم هذه الدروس في سيرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم في سيرة الخلفاء الراشدين ان اتسع لها الوقت والا كانت عبثا وقد وجد القبط فرصة في هذه الايام لطلب كان قد سبق لهم فلم يجب فضله فاجيب الآن وهو ان تعلم الديانة النصرانية في هذه المدارس أيضا. وقد عدت

إجابتهم الى هذا الطلب غريبة اذ لا يهدف تعليم دينيين في مدارس حكومية من حكومات الأرض بل لائساح حكومة أروية ان يعلم في مدارسها مذهب من مذاهب الديانة المشتركة بين أهل المملكة غير مذهب الحكومة أعني ان حكمه انكثرا التي تدبى بمذهب البروتستانت لائساح لرعيتهما الكاثوليك ان يعلموا مذهبهم في مدارسها وجم المسلمون لهذا العمل وكثر كلامهم فيه ولو خاضت الحرائد فيه لكان هو الشغل الشاغل لقطر كله ولكنها سكنت لما نعلم ويعلم سائر العقلاء العارفين بالمأزق التي وضعت فيه نفسها . وقد سألتني كثير من المتفكرين عن رأيي في ذلك وكان منهم بعض المدرسين في المدارس والازهر فقلت ما حاصله : إن المسألة وجها دينيا ووجها سياسيا فهي من الوجه الديني نافعة للمسلمين لأن التعليم الديني في المدارس كان دائما فهي توقفه أو كان ميتا فهي تنفخ فيه شيئا من روح الحياة . وأما من الجهة السياسية فهي ضارة بهم لأنها من أمارات كون الحكومة ليست إسلامية والذنب في هذا على أهل الشعب من المسلمين الذين أخذوا على أنفسهم مناصبة القوة المحتلة وإظهار العدوان لها ومحاولة اقناع الجمهور بذلك وبأن كل من يعمل معهم أو يعرفهم فهو عدو لوطن خائن للأمة . ومن العجائب ان هؤلاء المشاغبين قد ظلوا اسم الاسلام والمسلمين إذ مزجوه بكلامهم وأدخلوه في سياستهم الالفية حتى ظلموا المسمى لا بتعليم دين آخر في مدارس الحكومة فان هذا نافع له غير ضار به كما قلنا آنفا ولكن بما أحدثوا في نفوس الأروبيين من ان المسلمين يريدون الاجتاع باسم الاسلام لمقاومة سلطتهم في الشرق وهذا غير صحيح وإن نجح بما يدل عليه طلاب المال والجاه باسم الاسلام ومصر وقد رأينا يواذر ضرور سياستهم ونعوذ بالله من أواخرها

ويظن بعض الناس ان تعليم النصرانية في المدارس ربما يكون مثارا لقتعصب الديني الجاهلي ونظن انه لا خوف من ذلك . ويظن بعضهم أن هذا يكون سببا لترك التلاميذ من القبط لحضور دروس القرآن وحفظ ما يحفظ عادة منه وان ذلك يكون نقصا في اكتسابهم ملكة اللغة العربية وهذا معقول ولكن أكثرهم لا يتركون القرآن فيما أعلن

باب المناظرة والمراسلة

﴿ تاريخ المصاحف ﴾

بقلم الدكتور محمد توفيق افندي صديقي الطيب بسجن طره
لما لهذا الموضوع من العلاقة الكبرى بجميع مباحثي في الاسلام التي سبق
نشرها في النار الاعرأيت أن افيض القول فيه بما يزيل ماران على قلوب كثير
من الناس من الشبهات والاشكالات التي يقذف بها المسلمين دعاة من المسيحيين
لا يميزون بين الفث والسبين . ولا يوضح المسألة ايضاحا تاما رأيت أن أضف مقدمة
هامة ، تمهيدا للبحث ، ودعامة للفحص ، فنقول : — غير خاف على أحد أن
الامة العربية قبل الاسلام كانت أمة أمية يقل فيها وجود من يعرف القراءة
والكتابة : معرفة جيدة ، وكان جل اعتمادهم في جميع ما يروونه من أنسابهم وأشعارهم
وغبرها على حفظهم لما في صدورهم . ولم يعرف أنه كان عندهم كتاب ما من الكتب
في أي موضوع كان ، وغاية ما كانوا يفهمونه من لفظ (كتاب) أنه أي صحيفة
مكتوب عليها من نحو الجلود أو العظام أو الحجارة أو الجريد ، بل إن الصالح
للكتابة من كل من هذه الاشياء كان لديهم قليلا ولذلك لم يستغنوا بنوع واحد
منها عن باقيها ، ولم يكن عندهم الورق الذي نعرفه الآن ، وهذا اللفظ ما كان
يطلق عندهم إلا على ورق الشجر وعلى رقاع من الجلود رقيقة ، والاطلاق الاخير
مستعار من الاول .

ولا نجد في اللغة العربية اسما خاصا بما يشبه ورقنا المعروف سوى لفظ واحد
وهو (الكاغد) وهو فارسي معرب وقد ادخلته العرب في لغتها بعد النبي صلى
الله عليه وسلم فلما لم يرد في كلامهم قبله عليه السلام ولا في عصره ولم يرد في
أحاديثه ولم نسمع أنه كان مما يكتب عليه القرآن في حياته عليه السلام . وانما
أن هذا اللفظ دخل في اللغة العربية بعد فتح المسلمين لبلاد فارس . وأما لفظ
القرطاس فهو أقدم في اللغة وورد في القرآن الشريف وكان معناه عندهم الصحيفة
من الاشياء التي كانوا يستعملونها للكتابة ثم أطلقوه فيما بعد على الكاغد أيضا

حينما عرفوه وصاروا يسمون به كل ما يكتبون عليه من الصحف . هذا وإن ماورد في كلامهم من لفظ (كتاب) كانوا يريدون به ما يطلق عليه في عرفنا اليوم لفظ (خطاب) أو جواب ومنه قوله تعالى في قصة سليمان (٢٧ : ٢٨) إذ ذهب بكناي هذا فألقه إليهم) ومنه كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك بدعومهم إلى الاسلام ومثل الكتاب السفر والزور والسجل والدفتر فإن معانيها كلها متقاربة وما كانوا يفهمونها كما نفهمها الآن . ولذلك لما جمع القرآن بعد النبي اختلفت الصحابة في ماذا يسمونه به وتوقفوا لأنهم لم يهدوا مثله من قبل ثم استقر رأيهم أخيرا على تسميته بالمصحف تبعا لأهل الحبشة في تسمية مجموعاتهم بذلك والمصحف الكتاب بالمعنى الذي نفهمه نحن الآن عند الإطلاق لأنه مأخوذ من أصحف أي جمع الصحف . وكل صحيفة كتاب عند العرب كاذ كذا وكانت أيضا كتب بعض الأمم غير العربية عبارة عن قطع من الجلود أو القماش يختلف عرض الواحدة منها من ١٢ إلى ١٤ قبراطا وكانوا يلفونها على قضيب من الخشب ملصق بأحد أطرافها كما تلف الخرائط الجغرافية الآن . وهذا هو الطي المذكور في قوله تعالى (٢١ : ١٠٤) يوم نظوي السماء كلتي السجل للكتب) . ولا تزال التوراة مطوية كذلك عند السامريين إلى اليوم هذا الذي تقدم ليس خاصا بشركي العرب بل يشمل أيضا أهل الكتاب منهم . ولذلك لا نسمع بوجود نسخة كاملة من التوراة أو الإنجيل بينهم كالنسخ الموجودة الآن . ولم يكن عندهم سوى أجزاء قليلة منها مكتوبة على قطع متفرقة من الجلود أو العظام أو الخشب أو نحوه . فلذا وصفهم القرآن الشريف بقوله (٢٣ : ٣) ألم تر إلى الذين أتوا نصيبا من الكتاب (وخطابهم بقوله (١٥٥) يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين يديكم كثيرون مما كنتم تخفون من الكتاب) وقال فيهم (١٣ : ٥) ونسوا حظا مما ذكروا به) وقال لهم ٩١ : ٦١ قل من أنزل الكتاب (١) الذي

(١) حاشيته للكتاب - المراد بالكتاب في جميع هذه الآيات الوحي المنسوب بقطع النظر عن كيفية كتابته ووضعه كقوله تعالى (ذلك الكتاب لا ريب فيه) وقوله (كتاب أنزل إليك) والقرآن حينئذ لم يكن تاما ولا مجموعا وإنما المراد ما كان يوحى في ذلك الوقت فيكتب

جاء به موسى نوراً وهدى قنار نجلونه قراطس (أي صحفا متفرقة) (تبدوها) ونخفون كثيراً وعلّم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) (وقال أيضا (٧٩:٣) فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم) . وهذا كله يدل على أن كتبهم المقدسة ما كانت تامة ولا محصورة بين دفتين بحيث لا تقبل الزيادة ولا النقصان وإنما كانت مبعثرة في رفاق مشوة وأن بعض مصنفهم كان حقا والبعض الآخر كان باطلا . أما ما ورد في القرآن من نحو قوله تعالى (٢٣:٥٠) وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله) فمناه أن عندهم أجزاء من التوراة فيها حكم الله في المسألة التي نحاكموا فيها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكما يطلق لفظ القرآن ويراد به أجزاء منه كذلك يطلق لفظ التوراة أو الإنجيل ويراد به بعضها أو أجزاء منها . وهذه مسألة شائعة في القرآن الشريف وفي السنة . ومن ذلك قوله تعالى (٨٥:٢) شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن (أي بسفحه أو جزئيه

قدما لك هذه المقدمة لتعلم أن العرب ما كانت تعرف الكتاب ولا الورق بمعنييهما عندنا . وأوضحنا لك فيها درجة معرفتهم القراءة والكتابة . وذكرنا لك ما كانوا عليه يكتبون

بعث محمد صلى الله عليه وسلم فيهم وحالتهم كما علت وأوحى إليه هذا القرآن ليبلغهم إياه فانظر ماذا فعله هذا الرسول الأمين ، حتى نشر بينهم الكتاب المبين ، علم قوة ذاكرتهم واعتمادهم عليها في نقل أخبارهم وأشعارهم حتى أن كثيرا منهم كان يسم الأيات من الشعر أو القصيدة الطويلة ثم يثلي عليه فيحفظها من أول مرة فداوم صلى الله عليه وسلم على حضهم على تلاوة القرآن وبالغ في حثهم على حفظه وضبطه . وفرض عليهم قراءته في الصلوات وفي على هذه الحالة ضمنا وعشرين سنة حتى كثر فيهم القراء وكانت السورة الواحدة يحفظها الألوف من الناس والمرآة كله يحفظه الكثيرون منهم . لم يكتب صلى الله عليه وسلم بذلك بل أمر بكتابتها واختار طائفة منهم لتكتبه له على ما يسر لهم اذ ذاك من الجلود والعظام والجريد والحجارة وغيرها مما كانوا يرفقونه . وأكثر من رغبتهم في

العلم ومدح القراءة والكتابة نحو قوله « يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء » ومثل ذلك في الأحاديث كثير . ورد في القرآن الشريف أيضا قوله تعالى (١٠٦٨ ن والقلم وما يسطرون) وقوله (٨٦ : ٣) اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) وذم الله تعالى أهل الكتاب بقوله (٢ : ٧٨) ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون) وأزم تعالى المؤمنين بكتابة الدين في الآية المشهورة في آخر سورة البقرة . وبذلك وجدت فيهم الرغبة في تعلم القراءة والكتابة وأخذ عدد الكاتبتين بينهم بزيادة شيئا فشيئا . وكتب كل ما نزل من القرآن كثير من المسلمين في عهده عليه الصلاة والسلام . ولم يمت إلا بعد أن كانت جميع السور مرتبة الآيات مكتوبة في السطور عند الكثير منهم محفوظة في صدور الجماهير وبعد أن سمعوها منه مرات عديدة في الصلوات والخطب وغيرها وسميها هو أيضا منهم . والخلاصة أن النبي عليه السلام . تبع أقرب الطرق لتصميم نشر القرآن المجيد بين جميع أفراد الأمة العربية وحمل أحسن ما يمكن عمله بالنسبة لمعلوماتهم وحالتهم .

سمت نفوسهم بذلك فعلى مجائه فيهم واستمدت لرقى . فلما كثرا اختلاطهم بين جاورهم من الأمم أخذوا ينقبون ويقتشون في أحوالهم بعيون مبصرة . وعقول مفكرة كي يثروا على جديد يقبسونه أو إصلاح الى ملادم يسوقونه فبصروا بما لم يبصروا به من قبل . ووجدوا أن تلك الأمم طريقة أخرى في تدوين معلوماتهم لم تكن تخطر على بالهم . وهي أن يكتبوها على صفحات صحف من نوع واحد . يضمون بعضها الى بعض مرتبة على حسب ترتيب عباراتها وربما رأوا أنواعا أخرى من القراطيس أحسن من التي كانوا يعرفونها كأوراق البردي بمصر مثلا

دعاهم داعي الفزع عند قتل سبعين من القراء يوم الجلاء الى المبادرة والامسراع في جمع القرآن على طريقة تلك الأمم خوفا عليه من الصبايح من تلك الرقاع المختلفة الأنواع ففقدوا في الحال اجتماعا واستقر رأيهم اجتماعا على العمل على تلك الطريقة وهكذا جمع القرآن . ووجد بن العرب أول كتاب بالمعنى الذي فهمه نحن الآن وتحقق وعد الرحمن (١٥ : ٩) إنا نحن نزلنا الذكر وإنزاله

لحافظون) اختلف المسلمون في ترتيب سور القرآن وطرق قراءته . وتبع ذلك اختلاف مصاحفهم لأن الرسول لم يلزمهم باتباع ترتيب مخصوص في السور . ولم يجمعهم على قراءة واحدة . سور القرآن كل منها ككتاب قائم بذاته كما قال تعالى (٩٨ : ٣) رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة) فليس ثم فائدة كبيرة في التزام ترتيب مخصوص ولفظ (سورة) مأخوذ من سور المدينة سميت به القطعة المحصورة من القرآن لأنها طائفة مستقلة بذاتها . فكأنه صلى الله عليه وسلم ترك بين المسلمين ١١٤ كتابا كل منها محفوظ مكتوب مرتبة آياته . وجهها بالطريقة الحاضرة لم يكن معروفا في عهده وإنما حدث بعده بقليل وإن كانت في زمنه مجموعة عند بعضهم في الصحف المتنوعة التي ذكرناها

أما اختلاف القراءات فهو نوعان : اختلاف بسبب الهمجات كالامالة وعدمها واختلاف آخر في الكلمات كتفسير شكلها أو أعرابها أو بعض حروفها أو نحو ذلك . ولكل من النوعين فوائد . ففوائد الاختلاف بسبب الهمجات هي (١) تسهيل نطقه وفهمه وحفظه لقبائل العرب المختلفة (٢) إظهار أنهم يعجزون جميعا عن الاتيان بمثل سورة منه كما تعذم بذلك ولو بلغاتهم المختلفة وأن عجزهم عن المعارضة ليس ناشئا عن نزوله بلهجة واحدة لا يعرفها كثير منهم . وفوائد اختلاف الكلمات هي (١) تسهيل حفظه على كل أحد . وبيان ذلك أن من أراد حفظ القرآن كثيرا ما يسبق لسانه بنطق مخصوص . فإذا علم أن هذا خطأ جاهد نفسه لئلا يسهل لسانه ولكن إذا علم أن قراءته جائزة لم يمتنع إلى هذا الماء مثلا إذا أراد أن يحفظ قوله تعالى (١٧ : ٨٩) كلاب لا تكرموا : اليتيم ١٨ ولا تحاضون على طعام المسكين) قد يسبق لسانه ويقول (كلاب لا يكرمون اليتيم ولا يحضون على طعام المسكين) فيجهد نفسه في المدول عن ذلك ولكنه إذا علم أن هذه قراءة جائزة لا يحتاج إلى اتعاب . وهذا الأمر يدركه جيدا من عانى حفظ القرآن الشريف . ومن أزم بإصابة غرض واحد لا غير ليس كمن أبيع له إصابة أي غرض من بين بضعة أغراض . ولانس ما تسهيل حفظ القرآن على الأمة من الفوائد فإنه أعظم طريقتي القرآن في نقله وروايته وخصوصا في الأئمة القديمة وبين الأمم الساذجة (٢) تكثير

المعاني . فبتعدد القراءات تكثر المعلومات وتزداد الفوائد . وقد يكون بعض المعاني مبينا لبعض الآخر (٣) تخفيف بعض الأحكام فمثلا قوله تعالى في آية الوضوء (٦:٥) واسحوا برؤوسكم وأرجلكم) بالكسر يفهمنا أن الفسل المفهوم من قراءة الفتح غير واجب على التمين وأن المسح يكفي

فلهذه الاسباب وغيرها كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقرئ المسلمين القرآن بأوجه مختلفة ولذلك قال كاتباؤه (أنزل القرآن على سبعة أحرف) الحديث ولفظ السبعة تستعمله العرب أحيانا للمبالغة في الكثرة فيجوز أن يكون هذا هو المراد هنا أو أن المراد سبع لهجات العرب الشهيرة وهو لا ينافي أن هناك قراءات أخرى غير اللهجات إذ لفظ الحديث لا يفيد القصر

وقع الخلاف بين المسلمين في هذه القراءات إلى أن اشتد في زمن عثمان رضي الله عنه إذ كان بعضهم إذا تلقى قراءة وسمع من غيره ما يخالفها نازعه في ذلك واتهمه بالتحريف فخشى أن يحصل بينهم من الاختلاف في القرآن ما حصل بين أهل الكتاب . ورأى أن يجمع المسلمين على مصحف واحد ينسخون عنه ويرحمون إليه في ضبط مصاحفهم حتى لا يكون فيها اختلاف ولا تكثر فيها هذه القراءات وأخبر جمهورا عظاما من أصحاب رسول الله بذلك فوافقوه على رأيه فأمر بكتابة المصحف على طريقة قریش في الرسم وكان الكتاب فريقا من الصحابة أيضا . فكتب عدة مصاحف بهذه الطريقة بعد التحري والتدقيق ومراجعة ما كتب قبل ذلك وبعد السماع من الحفاظ وإن كان الكتابيون هم أيضا من الحفاظ ثم أرسلت هذه المصاحف إلى الآفاق التي انتشر فيها الاسلام وفيها الجماهير من الصحابة ومن أخذ القرآن عنهم حفظا وكتابة . فوافقوا جميعا على استعمالها والتعويل عليها وأعدوا غيرها مما عندهم . وكان ذلك بعد وفاة النبي بخمس عشرة سنة (أي سنة ٢٥ هجرية)

هذا ومن علم طابع العرب وغناها وشدة إيمانهم وتمسكهم بدينهم . وعرف ما كان عليه الخلفاء الراشدون من الاخلاق وأنهم ما كانوا يستبدوا بالامر في شيء حتى لو أرادوه لما قدروا عليه — وعرف حال عثمان وسبب قتله ، من عرف ذلك

كله أيقن أنهم لو كانوا وجدوا في مصاحف عثمان عيبا لرفضوها ولا ثبوت حروب وأريقت دماء وكان دم عثمان في أولها ولا رند كثير من الناس عن الاسلام لهذا السبب ولعاب المسلمين بتعريف القرآن من خاطم أو دخل فيهم من أهل الكتاب وغيرهم ولما اتفقوا جميعا على قبول هذه المصاحف ولوجدت مصاحف مختلفة بينهم الى اليوم ، فعند حصول شيء من ذلك يدل على أن هذه المصاحف هي عين ما تلقوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخصوصا لأن الذين تلقوها بالقبول ما كانوا جاهلين حرفا واحدا من القرآن بل كانوا حافظين له حفظا جيدا في الصدور من قبل وجود هذه المصاحف وكثير منهم كانوا ممن تلقوه كله أو بعضه مباشرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

هذه المصاحف العثمانية لم تكن منقوطة ولا مشكولة ورسما في كثير من المواضع بخلاف ما اصطلاح عليه الناس فيها بعد من قواعد رسم الكمات العربية . ولكن جرى المسلمون على تقليد هذا الرسم في جميع بقاع الأرض على مخالفة بعض ما وضعت من القواعد بعد مخالفة منهم على عمل الصحابة رضوان الله عليهم . ونحاشيا لعمل أي تصحيح أو تحرير في الكتاب ولم يخرجوا عنه إلا في الأمانة الأخيرة في كلمات قليلة كتبوها على مقتضى طريقهم . على أن أكثر مصاحفهم لا يرال إلى اليوم كالكتابة الأولى لكنها في الغالب منقوطة مشكولة

أما القراءات فاستشرت مختلفة بين المسلمين إلى زمننا هذا فهم وإن كانوا أجمعوا على المصاحف العثمانية إلا أن القراءات التي كانوا يقرؤون بها من قبل هي وكانت غير مخالفة للرسم العثماني مخالفة يعتد بها - استمروا على القراءة بها فيما بعد . أما التي تخالفه فأخذت ثلاثي من بينهم شيئا فشيئا . وعليه فوجود المصاحف العثمانية أفاد المسلمين ثلاث فوائد (الأولى) إجماعهم على مصحف واحد في الكتابة (الثانية) تقليل الاختلاف بينهم في القراءة (الثالثة) اتفاقهم على ترتيب مخصوص للسور وأمل هذا الترتيب كان يستحسنه الرسول وإن لم يوجه كما سبق تواتر من هذه القراءات المختلفة سبع روى كلامها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيم البنيون من أصحابه وأخذ عنهم في البقاع المختلفة الجماهير من التابعين

فأخذ عنهم من بعدهم وهكذا الى اليوم . وهذه القراءات المتواترة بمختلفها رسم المصاحف ولا يخالفه كما قلنا بخلافه يمتد بها أو صريحة إذا جردت من النقط والشكل كما كانت

اشتهر بين التابعين ومن تبعهم أناس باتقان هذه القراءات وتعليقها لتعليم قديمتهم اليهم وسوا أئمتها وإن كانت متواترة بين المسلمين في جميع البلاد وهؤلاء هم عبد الله بن كثير بمكة وعبد الله بن عامر بالشام وعاصم بالكوفة وكذلك حمزة والكسائي ونافع بالمدينة وأبو عمرو بن العلاء بالبصرة وفيهم الثلاثة الاول تابعون بقي المصنف غير منقوط ولا مشكول الى أن كثرت الأعاجم واختلطت بالعرب ففسا فيهم الهمح حتى اضطروا الى ضبطه فكان أول من وضع عليه الضبط أبو الاسود الدؤلي في أوائل حكم بني أمية وكان ضبطه أن يضع نقطة فوق الحرف إن كان مفتوحا ونحته إن كان مكسورا وبجانيه إن كان مضموما واستمرت الحال على ذلك الى زمن الخليل بن أحمد النحوي المشهور فوضع للمصنف شكلا آخر كان أساسا لشكل الحالي الذي جرى عليه المتأخرون . وكانت وفاة الخليل هذا سنة ١٧٠ هـ الهجرة أخذت طرق كتابة المصاحف تتحسن شيئا فشيئا الى أن اخترعت المطابع فطبع أول مصحف في مدينة هامبورغ بألمانيا سنة ١٦٩٤ لجيلاد أي في أوائل القرن الثاني عشر الهجري وبعد ذلك انتشرت المصاحف المطبوعة في العالم وحلت محل المنسوخة باليد وقد أخذوا الآن يرسمونها بواسطة المصورات الشمسية (الآلات الفوتوغرافية) وهكذا حفظ الله تعالى كتابه حتى وصل الينا بدون تحريف ولا تبدل . وكان المصنف في جميع هذه الأطوار المختلفة التي وصفناها كما هي بنا عليه بألف الالف من الحفظة في جميع البقاع الاسلامية ولا تزال الحال كذلك الى عصرنا هذا مع ضعف المسلمين وتأخرهم . ومن عجب عناية الله بهذا الكتاب المجيد أن قبض لنا اليوم في مصر من يحننا من غير أهل ديننا ومن غير جنسنا على تعميم الكتابات في جميع الاقاليم من بعد أن ظننا أن زمن الحفظة انقضى أو كما ينبغي من بيننا فأجيب دعاء الداعي الى ذلك وانتشرت الكتابات في البلاد وكثرت الحقاظ مرة أخرى ونحمدد عندنا الوفاء من الاطفال يحفظونه

كله في صدورهم فضلا عن الرجال والشيوخ
نظرنا في هذا الكتاب المتواتر عن صاحبه نظرة فأيقنا بسببه بدهن نظر الى
أي شيء سواء من صدقه عليه السلام في دعواه وأنه مبلغ عن الله (راجع مقالنا
الدين في نظر العقل الصحيح) . ثم وجدنا فيه ان الله يقول (انا نحن نزلنا الذكر
وانا له لحافظون) فقلنا أن كل رواية يفهم منها أن القرآن ضاع منه شيء . لا بد
أن تكون موضوعة مدسوسة وان لم يتضح هذا الامر من سندها لانها تنافي ذلك
القول المتواتر عن النبي الصادق . على أن جمع هذه الروايات منقولة عن الآحاد
وقد انضج كذب كثير من روايتها وهي أيضا معارضة بأمثالها كالذي روي عن
ابن عباس رضي الله عنه في صحيح البخاري أنه قال « ما ترك رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلا ما بين الدفتين » وناهيك بآب ابن عباس ثقة في هذا الموضوع . وقد
أجمع المحققون من المسلمين أن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر فما زعم الآحاد أنه كان
قرأنا وضاع أو نسخ لا يقبل منهم (راجع سقالتنا في النسخ والمنسوخ) فقد وجد
بين الرواة من هو ضعيف الفهم أو سخي الرأي أو كذوب يريد تشكيك
المسلمين في دينهم أو يريد أن يؤيد دعوى أو مذهبا له بأمثال هذه الروايات
ولكن العقلاء لا يقبلونها لئلا يؤيدهم ذلك الى رفض المتواتر فيكونوا ممن يرجح
الدلالة الظنية على الدلالة المقطوع بها ومن كان كذلك كان من الاخسرين أعمالا
الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

بقي علي نقطة واحدة في هذا الموضوع لا بد لي من الكلام عليها قبل الانتهاء
منه وهي دعوى بعض الجبهة الغافلين أن في القرآن لحنا ويذكرون من ذلك قوله
تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والصارى الآية) وقوله (لكن
الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك
والمقيمين الصلاة والموتون الزكاة) لأن مقتضى الظاهر نصب الصابئين ورفع
المقيمين الصلاة طبقا لقواعد النحو المعروفة . وما مثله في هذه الدعوى الا كتل
تليد في مكتب سمع من استاذ بعض نظريات يفسر بها ظواهر وجودية طبيعية
فظن أنه عرف كل شيء . وأن استاذة لا تخفى عليه خافية وبعد ذلك وأى في

الوجود شيئاً يخالف ما وضعه له الملم من القواعد فصاح قنلاً : الطيبة أخطأت ، النظام اختل ، الكون فسد لانه خالف قواعد استاذي : وما درى أن عقله في الحقيقة هو الذي اختل وفسد فكذلك شأن هؤلاء القوم . القرآن ينبوع الفصاحة والبلاغة وحجة الامة الباهضة وهو أساس ما وضع من القواعد النحوية بمده فلا يليق أن نلزمه بالجي عليها وأن نجعلها أصلاً له ونحكم بخطئه إذا هو خالفها بل الواجب إذا لم ينطبق شيء منه على بعضها ان نعلم أنها معينة أو أنها غير وافية بالفرض في بعض المسائل لعدم احكام وضعها هذا اذا لم يمكن التطبيق . وما من لمة الا وفي أشهر كتبها القديمة وأبناها ما يخالف ما وضع من القواعد فيما بعد حتى يضطر الواضعون الى استثناءه أو تطبيقه عليها بوجه ما وكذلك فعل علماء الامة العربية في أمثال هذه الآيات حتى أجروها على قواعدهم كما هو مبين في التفسير ولا حاجة بنا لنقل ذلك هنا لعدم أهميته .

فان قيل نحن لا نقول ان هذا الخطأ كان في أصل القرآن وإنما هو من نساخ المصاحف في زمن عثمان قلنا ان هؤلاء النساخ كانوا من الفصحاء المدركين فيقولون في هذا الخطأ ويتفقون عليه في جميع المصاحف التي كتبوها وأرسلوها الى الأقطار لاسلامية يبحث لا يوجد مصحف واحد خالياً من الغلط في هذه الآيات وبينها ؟ وكيف تنفق الحفظة في جميع الأزمنة على قراءة هذه الألفاظ المتنازع فيها كما كتبت في المصاحف مع العلم بأن القراء إما يتفلقون قراءتهم عن قبلهم بقطع النظر عن مرسوم الخط وعمما وضع من القواعد النحوية وقد توارثوا هذه القراءات بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم قبل وجود مصاحف عثمان كما بينا ذلك فيما سبق ؟ ومن علم غاية المسلمين بالتجويد وضبط القراءات واحكام نطق اللهجات المختلفة وأهمه لا يأخذون ذلك من الكتب بل بسماع من أنقنوا من تقدمهم ، علم فساد أمثل تلك الانقادات الباردة وسقوطها

وصفوة المقال أن القرآن وصل بيننا بدون تحريف حرف واحد منه أو تبديله فهو مكتوب اليوم كما كتبه الصحابة أنفسهم مقروء كما قرأه النبي صلى الله عليه وسلم . ولا نعرف كتاباً آخر في الدنيا بلغت العناية به من أهله مبلغها

بالقرآن فإن الكتب الأخرى التي نعرفها لا تخلو كتاب منها من الوصحات الآتية كلها أو بعضها (١) أنها لم تكتب في زمن الآتي بها أولم يعرف باليقين من هو (٢) لم تحفظ في الصدور ولا من العامة ولا من الخاصة (٣) لم تكن نسخها كثيرة. وفي أغلب الأزمنة القديمة لم تكن في أيدي العامة (٤) رواها الآحاد واختلفت روايتهم (٥) فقدت واقطعت سندها إما بسبب الارتداد العام من أصحابها أو بسبب الاضطهادات الشديدة وقصد الاعداء إبادة وإحراقها (٦) وجد أمثالها معارضا لها وكثير منها لا يرجع عليها بزيادة في قوة اسنادها (٧) وجود بعض فقرات فيها تدل على بطلان النسبة إلى من نسب إليه الكتاب (٨) مملوءة بخط النسخ (٩) مملوءة بالتناقض والزيادة والتقصا والتسديل (١٠) وجود اختلافات بين نسخها قديما وحديثا (١١) اختلاف الطوائف في قبول بعضها أو رفضه بل اختلاف الطائفة الواحدة في قبول بعض الكتب أو ترجمتها في بعض الأزمنة ورفضها في الأخرى (١٢) وجود ما يقطع بعدم صحته فيها والغلطات التاريخية والعلمية وغيرها واشتغالها على ما ينافي الآداب ويفسد الأخلاق (١٣) وجود كثير من القو فيها وما لا فائدة فيه وما يناقض البراهين العقلية القطعية (١٤) وجودها منذ أزمنة بعيدة وخلق أهلها اذ ذلك من العلم والتحقيق والتحصيل (١٥) مناداته مخالفين في العصر الأول بأنهم يحرفون كتبهم ويبدلون ويضربونها كما جازهم بذلك سكسوس الفيلسوف الشهير فهذه خمسة عشر وجها مما تشكك به تلك الكتب وجميعها يتبرهن عنها القرآن الشريف . وقد ذكرنا عدة من شواهد هذا بالإيجاز في رسالتي التي نشرت سابقا في النار . ومن أراد الايضاح فعليه بالكتب المؤلفة في هذا الشأن اسلامية كانت أو غيرها عربية أو أجنبية . والسلام على من اتبع الهدى

(النار) ذكرتنا هذه المقالة بكتاب تاريخ القرآن والمصاحف الذي يؤلفه صاحبنا موسى افندي . جار الله الروسي . وانا . وعدنا عند ذكره في آخر جزء من السنة التامة بالعودة الى تقريره وكنا نسبنا الكتاب والوعد وقد أوضح مسألة جمع القرآن وأطال في بيان حفظه وعدم ضياع شيء منه وسنقل منه ذلك في الجزء الآتي

﴿ أصول الاسلام ﴾

(كلمة انصاف واعتراف)

يرى الناقد البصير أن ما كتبه في هذه المسألة ينحصر في بحثين - بحث في السنة القولية وبحث في السنة العملية ثم يرى أن الرادين علي لم يأتوا بشيء في البحث الأول يشفي عيلاً أو يروي غليلاً . وأن أسنادنا الكبير ومصلح الاسلام العظيم السيد محمد رشيد يوافقي في هذا البحث بل هو مرشدي الأول . وأما البحث الثاني (السنة العملية) فالشطط الوحيد الذي ارتكبه فيه أعلن ما أرى هو إنكارني وجوب ما فهم الصحابة من النبي صلى الله عليه وسلم أنه دين واجب ولم يكن مذكورا في القرآن ولكن أجمع عليه المسلمون سلفهم وخلفهم عملاً واعتقاداً بدون أدنى اختلاف بينهم . وأهم ذلك في الحقيقة مسألة ركعات الصلاة وأرى أن ما كتبه صاحب المار الفاضل في هذه المسألة كاف في الرد علي فانا أعترف بخطأي هذا على رؤوس الاشهاد واستغفر الله تعالى عما قلته أو كتبت في ذلك وأسأله الصيانة عن الوقوع في مثل هذا الخطأ مرة أخرى . وأصرح بأن اعتقادي الذي ظهر لي من هذا البحث بعد طول التفكير والتدبر هو : أن الاسلام هو القرآن وما أجمع عليه السلف والخلف من المسلمين عملاً واعتقاداً ، أنه دين واجب وبعبارة أخرى أن أصلي الاسلام الذين عليهما بني هذا الكتاب والسنة النبوية بهما عند السلف أي طريقتهم صلى الله عليه وسلم التي جرى عليها العمل في الدين : ولا يدخل في ذلك عندي السنن القولية غير المجمع على اتباعها ولا ما كان ذا علاقة شديدة بالأحوال الدنيوية كحوض الحدود ومقادير زكاة المال والقطر والأصناف التي تؤخذ منها وغير ذلك مما لم يذكر في الكتاب العزيز . فأصبح بعض التصرف في أمثال هذه المسائل إذا وجد عندنا مقتض . وبهذا التقرير نزول جميع الاشكالات التي أوردتها في مقالتي السابقتين . فسأل الله تعالى الهداية في القول والعمل ، والصيان من الشطط والزلل ،

الدهكتور محمد توفيق صدقي

الطبيب باستباليات سجن طره

(المآثر) محمد الله أن ظهر صدق قولنا في الرجل وأنه مستعد وينص لم يظهر له اندالقي

أنا ربكم وربكم

﴿ القصص والقاضي ﴾

عن محمد بن مقاتل الماسقوري قاضي الري قال كان محمد بن الحسين بكثير
الادلاج الى بسائنه فيصلي الصبح ثم يعود الى منزله اذا ارتفعت الشمس وعلا
النهار قال محمد بن مقاتل فسأله عن ذلك قال بلغني في حديث عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال « حبيب الي الصلاة في الحيطان » وذلك ان أهل اليمن يسمون
البستان الحائط قال محمد بن الحسين فخرجت الى حائط لأصلي فيه الفجر رغبة
في الثواب ولا جرم فارضني لص جري القلب خفيف الوثب في يده خنجر كلسان
الكلب ما المنا بانجول على فرنده والآجال تحول في حده فضرب بيده الى
صدري ومكن الحجر من تحري وقال لي بفصاحة لسان وجراءة جنان انزع ثيابك
واحفظ اهابك ولا تكثر كلامك تلاق حمامك ودع عنك اللوم وكثرة الخطاب
فلا بد من نزع الثياب . فقلت له ياسبحان الله انا شيخ من شيوخ البلد وقاض
من قضاة المسلمين يسمع كلامي ولا يرد احكامي ومع ذلك فاني من ثقلة حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أربعين سنة امانتحي من الله ان يراك حيث
نهاك . فقال ياسبحان الله انت ايضا اما تراني شابا ملء بدني اروق الناظر واملأ
الحاطر وآوي الكهوف والقيعان واشرب القيمان والفدران واسلك مخوف المسالك
والتي يسدي في الهالك ومع ذلك فاني وجل من السلطان مشرد عن الاهل
والاوطان واخشى أن أعثر بواحد منك وأتركه بمشي الى منزل رحب وعيش
رطب وأبقى انا هنا اكابد التعب وانصب النصب وأنشأ القصص يقول
تري عينيك ما لم ترأياه ~~ككلانا~~ عالم بالترهات

قال القاضي اراك شابا قاضا ولصا عاقلا ذا وجه صبيح ولسان فصيح ومنظر
وشارة وبراعة وعبرة . قال القصص هو كاذب وفوق ما تنشر . قال القاضي فهل لك
الى خصلة تعقبك اجراء وتكسبك شكرا حولاً تهتك مني سراً ، ومع ذلك فاني مسلم

التياب اليك ومثوفد بعد هاعليك قال الامس وما هذه الخصلة قال القاضي تمضي معي الى البستان فاتراى بالجدران واسلم اليك التياب وتمضي على المسار والمحاب قال الامس سبحان الله نشهد لي بالعقل وتحاطبي بالجليل :وبحك من يؤمني منك ان يكون لك في البستان غلامان جلدان عرجان ذوا سواعد شديده وقلوب غير رعيده بشدائي وثاقا ويسلخاني الي السلطان فيحكم في آراءه وبقضي علي بما شاءه قال له القاضي لعمرى انه من لم يفكر في العواقب فليس له الدهر بصاحب وخلق بالرجل من كان السلطان له مرصدا وحقيق باعمال الحيل من كان لهذا الشأن قاصدا وسبيل الماقل ان لا يفتو بعدوه بل يكون منه على حذر ولكن لاحذر من قدر ولكن احلف لك اية مسلم وجهه مقسم اني لا اوقع بك مكرا ولا ضرر لك غدرا قال له الامس لعمرى لقد حسنت عبارتك وعقبتها وخشنت اشارتك وطبقها ونثرت خيرك على فنج ضيرك وقد قيل في المثل السائر على السنة العرب انجز حرما وعد ادرك الاسد قبل ان يلتقي على الفريسة لحياه ولا يعجبك من عدو حسن بحياه وانشد

لأنخدش وجه الحبيب فانا قد كشفناه قبل كشفك عنه

واطلعنا عليه والمنولي قطع اذن الميار اعير منه

ألم يزعم القاضي انه كتب الحديث زمانا ولقي فيه كهولا وشبانا حتى فاز بيكره وعونه وحاز منه معنى متونه وعيونه قال القاضي أجل قال الامس فاي شيء كتبت في هذا المثل الذي ضربت لك فيه المثل واعملت الحيل قال القاضي ما يحضرني في هذا المقام المخرج حديث أسنده ولا خبر اورده فقد قطعت هيئتكم كلامي وصدعت قبضتكم عظامي فلتاني كليل وجناني عليل وخاطري نافر ولبي طائر قال الامس فليسكن لك وليطمئن قلبك اسمع ما اقول وتكون ثيابك حتى لا نذهب ثيابك الا بالفوائد قال القاضي هات قال الامس حدثني ابي عن جدي عن ثابت البناني عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بين المكره لا لزمه فان حلف وحنث فلا شيء عليه » وانت ان حافت حانثت مكرها وان حنثت فلا شيء عليك انزع ثيابك قاله القاضي يا هذا قد اعيتني مضايقة

حنانك وذوابة لسانك واخذك علي الحنج من كل وجه وحانب وايتت بالفاظ
 كأنها السمع المقارب اقم ههنا حق امضي الي البستان وأوارى بالجدران وانزع ثيابي
 هذه وادفنها الي صبي غير بالغ تنفع بها انت ولا تهتك اذا ولا تفجري علي الصبي
 حكمة لصغر سنه، وضمفتمنه، قال الحس: يا انسان قد اطلت المناظرة، واكثرت
 المحاوره، ونحن على طريق ذي غرر، ومكان صعب وعر، وهذه المزاوغة لا تنتج لك
 نفعاً، وأنت لا تستطيع لما ارومه منك دفعا، ومع هذا فترغم اليك من أهل العلم
 والرواية والفهم والدراية، ثم تبتدع وقد وري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
 « الشريعة شر يعني والسنة سني فمن ابتدع في شريعتي وسني فعمله لمة الله » قال
 القاضي ياربجل وهذا من البدع، قال الحس: المصومية بنية بدعة، انزع ثيابك فقد
 أوسعت من ساعة عمالك، ولم تشدد عقالك، حياء من حسن عبارتك، وفقه بلاغتك،
 وتقبلك في المناظرة، وصبرك تحت المحاطرة، فنزع القاضي ثيابه ودفنها اليه واتي
 السراويل فقال الحس: انزع السراويل كي تتم الخلعة، قال القاضي: يا هذا دع
 عنك هذا الاختتام، وامن بسلام، فقيما اخذت كفاية، وخل السراويل فاتي الي
 ستر ووقاية، لاسيما وهذه صلاة الفجر قد أرف حضورها واخاف تفوتي فاعلمها في
 خبر وقتها وقد قصدت ان أفوز بها في مكان يحيط ووزي ويضاعف اجري ومعي
 منتهي من ذلك كت كما قال الشاعر

ان الغراب وكان يمشي مشية فبا مضى من سالف الاحوال
 فأضل مشيته وأخطأ عشية فذلك كنوه ابا المرقال

قال الحس: القاضي ايده الله تعالى يرجع الي خلعة غير هذه احسن منها حظرا
 واجود خطرا، وانا لالامك سواها ومتى لم تكن السراويل في جلتها ذهب حسنها
 وقل منها لاسباب الشكة مليحة وسيمة، ولها مقدار وقيمة، فدع ضرب الامثال
 واقنع عن تردد المقال، فلست ممن يرد بالحال، مادامت الحاجة ماسة الي السراويل
 ثم انشد

دع عنك ضربك سائر الامثال واسمع اذا ناشئت فصل مقالي
 لا نطلبن مني الخلاص فاني أقي متى ما جشني بسؤاله

ولأنت ان ابصرتني ابصرت ذا قول وعلم كامل وفصال
 جارت عليه يد القبالي فأتى بيني المصاش بصارم ونصال
 فالموت في ضلك المواقف دونان ألقى الرجال بذلة التساكن
 والعلم ليس يرفع أربابه أولا فقد مسه على البقال
 ثم قال ألم يقل القاضي أنه يتفق في الدين، ويتصرف في فتاوي المسلمين؟ قال
 القاضي أجل، قال الحص: فمن صاحبك من أئمة الفقهاء؟ قال القاضي: صاحب محمد
 بن إدريس الشافعي، قال الحص: اسمع هذا وتكون بالسراويل خولا نذهب
 عنك السراويل إلا بالفوائد قال القاضي أجل يالها من نادرة ما غريها وحكاية
 ما أعجبها قال حدثني أبي عن جدي عن محمد بن إدريس برهه قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم « صلاة العريان جائزة ولا إعادة عليه » فأول في ذلك فرقي
 البحر إذا سلوا إلى الساحل فنزع القاضي السراويل وقال خذها وانت أشبه
 بالقضاء مني، وأنا أشبه بالصومعة منك، يامن درس على اخذ ثيابي موطأ مالك
 وكتاب المزني ومديده ليدفعه إليه فأرى الخاتم في أصبعه المنى فقال انزع الخاتم
 فقال القاضي ان هذا اليوم مارأيت أنص منه صباحا، ولا أقل نجاحا، ويمك ما
 اشرك وأرغبك، واشد طلبك وكلبك، دع هذا الخاتم فإنه عارية مني وأنا
 خرجت ونسيت في أصبعي فلا تزلني غرامته . قال الحص: العارية غير مضمونة
 ما لم يقع فيها شرط عندي ومع ذلك أفلم يزعم القاضي انه شافعي قال نعم قال
 الحص فلم تختمت في اليمين قال القاضي هذا مذهبا قال الحص صدقت الا انه
 صار من شعار المصادين قال القاضي فانا أعتقد ولا أمير المؤمنين علي بن أبي
 طالب كرم الله وجهه وتفضيله على كل المسلمين من غير طعن على السلف الراشدين
 وهذا في الأصول اعتقادي وعلى مذهب الشافعي في الفروع اعتقادي فاخذ الحص
 في رد مذهب الرافض وجرت بينهما في ذلك مناظرة طويلة رويناها بهذا الاسناد
 اتقطع فيها القاضي وقال بعد ان نزع الخاتم ليس له اليه خذ يا قبحه يا متكلم
 يا أصولي يا شاعر يا حص اه (من طبقات الشافعية الكبرى)

﴿ شرح عقيدة السفاريني ﴾

لشيخ محمد بن أحمد السفاريني الأثري الحنبلي (رحمه الله تعالى) عقيدة منظومة اسمها « الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية » بلغني أن الشيخ حسنا الطويل (عليه الرحمة) قال لما اطالع عليها مامعناه ان هذه أول عقيدة اسلامية اطلمت عليها . ولنا عليها شرح مطول عليها سماه « لوائح الانوار البهية وسواطع الاسرار الاثرية » جمع فيه المؤلف أقوال السلف والخلف ومذاهب الفرق في مسائل الاعتقاد وبين رجحان مذهب السلف على غيره مؤيدا ذلك بالدلائل الثقلية وكذا العقلية فيما يستدل على مثله بالعقل واقتبس جل تحقیقاته فيه من كلام الامامين الجليلين شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه المحقق ابن القيم عليهما الرحمة والرضوان . فجاء كتابا حافظ الري ، جامعا لما لم يجمعه غيره من المؤلفين والمرويين ، كثير الفوائد ، جم الأوابد والشوارد ، لا يكاد يستغنى عنه طالب السعة والتحقيق في العقائد الاسلامية ، أويحيط بما في كتب ابن تيمية وابن قيم الجوزية . نعم انه ينكر عليه كثرة الروايات والأقوال المأثورة في أشراف الساعة ونحوها من المسائل التي ليست من العقائد الدينية ومنها مالا يصح له سند ولكن من يعلم انه لا يجب عليه ان يستقد مالا يقوم عليه البرهان لا يضره ايراد ذلك وقد ينفعه الاطلاع على تلك الاقوال فيستخرج من مجموعها ما يحق الحق ويبطل الباطل .

وجملة القول ان هذا الكتاب لا يستغنى عنه شيء من كتب العقائد التي يتداولها طلاب العلم وكلها من وضع المتكلمين الذين جروا على طريقة فلاسفة اليونان ، ليس فيها بيان لمذهب السلف بحجج حقيقته ووضوح طريقته ، بل فيها ما يشعر بأن مذهب السلف هو التمسك بالظواهر من غير فهم ثاقب ، ولا علم راسخ ، وان الخلف أعلم منهم وهيئات هيئات لذلك بل السلف اظهر وأعلم وأحكم وما خالف المتكلمون فيه السلف فهو جمل مبين أو نزغات شياطين وبمثل هذا الكتاب تعرف ذلك

رغب في نشر هذا الكتاب بعض محبي العلم والدين من العرب الكرام المحصلين فأرسل البنا نسخة خطية منه فطبعتها له عنها عددا مبيتا جعله وقفا لله تعالى يوزع

على طلاب العلم السلفين في بلاد مختلفة وطبعنا منه على نفقتنا طائفة من النسخ
زيادة عن النسخ الموقوفة باذن الطابع الواقف وهي تباع بمكتبة المنار بشارع درب
الجاميز بثمان قليل بالنسبة لحجم الكتاب وحسن ورقه وطبعه
جمل الكتاب جزأين صفحات الأول ٣٨٨ والثاني ٤٤٨ ووضعنا له فهرسا
مرتباً على حروف المعجم لتسهيل مراجعة فوائده الكثيرة المطوية في مباحثه
المختلفة وجدولا للخطأ والصواب فدخل ذلك مع ترجمة المؤلف في ٢٨ صفحة
فمجموع صفحات الكتاب ٨٦٤ وورقه كورق المنار ونحن النسخة منه غير مجلدة
عشرون قرشا صحيحا ما عدا أجرة البريد

﴿ الوجيز في القانون الجنائي ﴾

عربك لطفي من أشهر علماء القوانين في هذه الديار أتقنها علما وتعلما وعلا
فقد كان مدرسا بمدرسة الحقوق ووكيلا لها زمنا طويلا والان محاسبه بمدرس شرف
فيها وهو الآن يشغل بالمهامه ويتدريس القانون الجنائي بمدرسة البوليس
وقد ألف في هذه الايام كتابا في القانون الجنائي سماه الوجيز لحسبنا في تفريله ان
نقول انه من تأليفه وفي الدلالة على وجه الحاجة اليه الحاج طلاب المدرستين -
الحقوق والبوليس - عليه بطله وإيداعه ما القاه من الدروس عليهم
طبع الجزء الاول من الكتاب على ورق جيد فكان ٣٧٨ صفحة ونحن النسخة
منه ثلاثون قرشا وهو يباع في ادارة مجلة المجلات العربية وفي المكاتب الشهيرة

﴿ لطائف السر في سكان الزهرة والقمر ﴾

ألف ميخائيل افندي بن أنطون الطفال الحلبي كتابا سماه «لطائف السر في
سكان الزهرة والقمر» والفائدة في البداية والنهاية وهو كتاب خيالي الوضع ادبي الغزى
من احسن ما كتب أهل هذا العصر عبارة وموضوعا، تقرأ الصفحات منه ولا تنكاد
تعب بشيء من الأغلاط التي اعتادها كتابنا عامة وأهل الصحف منهم خاصة، ولا
تقف عند معنى ينكره الادب الصحيح، أو يمجج الذوق السليم وفي بعض فصوله كثير
من مفردات اللغة التي يحتاج اليها الكتاب وهم في غفلة عنها لقلة بحثهم واطلاعهم في
الغالب. وقد طبعه وجعل ثمنه ريالاً وانما نورد لك فصلا منه في رؤية الطفل قال

﴿ الفصل الاول من الباب الرابع ﴾

« في الطلق والولادة وتربية الطفولة »

قال والدي : كل امرأة عندنا (أي في الزهرة) خصوف (١) لانهر (٢) ولدها ، وهي تأكل وتشرب وتضحك لا تشكو ولا تنن ولا تتوجع شكوى وانين وتوجع بني آدم بل تضع كأنها تمنص مفصا ليس بشديد ، لا تحتاج الى قابلة لانها لا يهددها خطر ، اننا لانظاثر (٣) لاننا نقول من رضع غير أمه فقد نطق باخلاقتها ، ان المرأة بعد ان نحجم للمولود أي بعد أن ترضعه أول رضعة ترضعه في كل ساعة حترين (والحتر الرضعة الواحدة) حتى اذا بلغ الشهر السادس من عمره ارضعتني في كل ثلاث ساعات مرة فاذا زادت منعت وعدت جاهلة بين نساتنا وهذا يحدث قليلا أو لا يحدث ، لا تصجوه (٤) ولا نجدعه (٥) ان الموضع عندنا لا تأفل (٦) والرضيع لا يمحس (٧)

لا تضع الام ولدها في سريره ، فقد عرفنا انه تنجم عن اخطار عظيمة وربما كان سبب هلاك الطفل منها ان الاهتزاز الشديد يؤثر في مجموع عصبه ويحدث له التي وغير ذلك من الامراض ، هذا اذا كان معافى فاذا كان عيلا متألما من حالة عصبية دماغية أو معدية أو غيرها ازداد تألما بالضرر وتمكنت منه المل وقد علم ان كثيرين اصابوا منه بالشوص والحول هذا اذا لم يسقط الطفل من سريره لان في سقوطه الوبال عليه ، ومن المعلوم أن الطفل اذا هز سريره لا ينام في أول الامر الا بعد ان يأخذه دوار وربما كان التهيؤ يمدد منه الرقبة ويلوي الرأس وفي كلا الامرين خطر عظيم عليه

(١) الخصوف من النساء التي ولد ولا تدخل في الماشر (٢) جرت المرأة ولدها وجرت به وهو ان يجوز ولادها عن تسعة أشهر فيجاوزها باربعة ايام أو ثلاثة فينضج ويتم في الرحم (٣) ظاثر مظارة اذا اتخذت ظرا . الظفر الرضعة غير ولدها (٤) الام تصجو ولدها أي تؤخر رضاعه عن مواقيته ويورث ذلك ولدها وهسا (٥) جدع الغلام يمدح جدعا ساء غذاؤه والحنل أيضا سوء الرضاع وقد احثته أمه أي اساءت غذاءه (٦) اقلت الموضع ذهب لبنها (٧) حصا الصبي من اللبن

ثله والدته بلغاض من المرن لا تقطعه قطا شديدا لئلا يلحق الساقين والقدمين
والساعدين واليدين ولئلا يضغط ، نضجه في سربر ثابت وتضع عليه لحافا من
المرن بمنحه من التحرك القوي

لا تتركه وحده ولا تقدم اليه ما يمتصه ليتمني به عن الرضاع ، يخرج من غرفته
في كل يوم ثلاث مرات الى محل طيب الهواء قفيه ، وبعد خروجه قفح التوافد
ليبدل هواها غير انه يهتز عليه من البرد والحر ، لا تسلمه أمه الى أحد ولا تتخذ
له مربية فان الوالدة أحن على الولد من غيرها وأشد اقتباها اليه وحرص عليه
لا تقبله ولا يقبله أحد لئلا تنتقل اليه حيوانات في المقبل الضارة . لا يضحك
تضحك شديدا لئلا تنفث نفسه (١) أو يمشي عليه بل يترك لضحك حينا يشتهي
ويريد ضحكا طيبا

لا تلاعبه أمه بخفضه ورفعه ولا تقبض يده بيدها وترفعه أو تجره . لا تضغطه
بضمه الى صدرها ولا تجعل ملاعبته الا بقدر جسمه لا بقدر جسمها . اذا لعبته
وانزعج أو كاد تركته حالا ليسريح ويرتاح (٢)

لا تطعمه الا بعد ان يسن (٣) وتقوى أضراسه وانبايه بما فان الاسنان وحدها
لا تستطيع طحن الطعام وتنميته فان أطعمته أصيب بقله الاسنان المعروفة عندكم
تقريرا . وبعد الاسنان ونبات الاضراس وخروج الانياب تؤكله والدته أو كلاً
خفيفا لطيفا لا يقاسي في مضغه تمبا لئلا يبلعه . لا تطعمه الا قليلا حينا يرى منه
اشتهاء واقبالا على الطعام فاذا آتت منه قلة في الاشتهاء رفعت الطعام وأخفته
اذا أبصر شيئا ضاراً ولو قليلا ورغب فيه فحسنته وإحسنته في حجب يله فكر
عنه ونقله الى غيره فينقل . لا تسمع أصواتا غريبة من غنم أو من غنم كانت
أو غير مرغوبة ولا تعرض عليه المشعركات السريعة لا لتأكل رائحة لئلا تزيد في

وحشي . يحسنا وضع حتى امتلأ بطنه (١) غشت نفسه نقي شبا وغشا وغشت
غشي جاشت وخشت قال بعضهم هو تحلب الغنم فربما كان من الغنم وهو الغنيان
(٢) ارتاح سر و نشط (٣) أي ثبت اسنانه

نحر يك عينيه ولا يحد أحد نظره اليه ولا ينظره وهو قطوب عبوس ليسكته ويسكنه بالارهاب بل يسكن بالكلام الرقيق ويلهى بالمناغة (١) اذا كان الصوت رخيا لابرة فيه فانه يأنس بهما ويطيب خاطره . فاذا ربي هذه التربية فلاخوف عليه ان يقصم (٢) بل ينشوقوا صحيح الجسم والعقل . اذا أخذ في الكلام قومت أمه لسانه . اتنا لانعرف الرثة (٣) والثغة (٤) والكنة (٥) والفأفة (٦) والتممة (٧) والرأرة (٨) والجلجة (٩) والخنخنة (١٠) والمقمة (١١) والمهتنة والمهشنة (١٢) والتممة والثغة (١٣) واللف (١٤) والبيغ (١٥) ولا نعرف التسع (١٦)

(١) المناغة لتكليمك الصبي بما يهوى وناغت الأم صبيها لاطفنه وشاغته بالمحادثة والملاعبة (٢) قصع الغلام بطلاً شبابه وغلّام قصع أي بطي الشباب (يعني حان وقت شبابه ولم يشب) وقصيع ومقصوع مثل قصع، وقصع الغلام ضربه ببسط كفه على رأسه وقصع هامته كذلك قالوا والذي يفعل به ذلك لا يشب ولا يزداد وغلّام مقصوع وقصيع كادي الشباب اذا كان قتيلاً لا يشب ولا يزداد وقد قصع قصاعة (٣) الرثة حبسة في اللسان . والرثة حبسة في لسان الرجل وعجلة في كلامه (٤) الثغة عقدة وعجز في الكلام . والثغة ان يصير الراء لأمّاً في كلامه (٥) والكنة والحكة عقدة في اللسان وعجز في الكلام والحكة أيضاً المعجمة في الكلام (٦) الفأفة ان يترد في الفاء (٧) التمة ان يترد في التاء (٨) الرأرة ان يترد في الراء تكلم أو قرأ (٩) الجلجة ان يكون فيه عي وادخال بعض الكلام في بعض (١٠) الخنخنة ان يتكلم من لذن انفه . ويقال هي ان لا يبين الرجل كلامه فيخنخن في خياشيمه (١١) المقمة ان يتكلم من أقصى حلقه (١٢) المهتنة والمهشنة حكاية النواء اللسان عند الكلام (١٣) التممة والثغمة أيضاً حكاية صوت العبي وال لكن (١٤) اللف ان يكون في اللسان ثقل واعتقاد (١٥) البيغ ان لا يبين الكلام . أو يرجع الكلام الى الياء . تأناً ترد في التاء اذا تكلم والاسم التأناة . العتلة اعتقال اللسان عن الكلام (١٦) التسع من يقيم بعض كلامه بعضاً والسريع الكلام رجل طعمم سيفه لسانه عجمة

ان الوالدة مؤاخذة بمي ولدا وحصره وفهاهه فتنبه على كل كلمة غير
فصيحة . كلامنا فصيح بايغ فكلمنا لسن (١) في بيان وتبيان (٢) اهـ

❖ القواعد المنطقية ❖

كتاب مطول في علم المنطق ألفه بالفرنسية (الأب تومجورجي اليسوعي)
ونقله الى العربية (الخوري جرجس فرج صفر الماروني) متصرفا بعض التصرف
في الترجمة كما قال في مقدمته . وقد فضل باهتداء الكتاب الينا مع رقيم يرغب
الينا فيه بمطالعة وانتقاده فرت علينا شهور نرقب فيها فرص الفراغ لذلك فلم
يسنح منها شيء . يكفي لمطالعة كله أو بعضه مطالعة نقد فرأينا والشواغل عن
مطالعة مثله تزداد ان يجمل النظر فيه جولة عملي ونقرأ من بعض فصوله جملا تسمح
لنا بأن نحكم عليه حكما اجماليا فرأينا ان الكتاب من أحسن ما ألف وأفيده وفيه
من المباحث والفوائد مالا يوجد في الكتب العربية المتداولة بين المشتغلين بهذا
العلم وهو يخالفها في كثير من الاصطلاحات والتعريفات والتقسيم والترتيب وفي هذه
الخاتمة من الفائدة زلال الجلود على الكتب المألوفة ونجربك الذهن في مسائل
السلم وتعود به الجولان في المعاني وإطاعه في الاتيان بشهر ما تلقاه من الكتب
أوالاسنادين . ورأيت في الترجمة ضعفا يحول دون الفهم في بعض المواضع وغلطا
واضحاً في العبارة كقوله في ص ١٤٤ « لا يصح قولك إما انت جالس أو ماشي
لعدم المساواة في التقسيم اذ قد يكون لجالس ولا ماشي » وقوله في ص ٣١ « في
الشق الأول فاما انه بمع الماهية » ومع هذا نقول ان الكتاب مفيد لكل من يطالعه من
أبناء العربية في هذا العلم ولعل المترجم الفاضل يعنى عند طبعه ثابته بتصحيح عبارته
لتكون الفائدة منه تامة . هذا وان ثمن النسخة من الكتاب ٣ فرنكات وهم
يطلب من المطبعة المصرية بالاسكندرية

لا يفصح () الحسن جمع لسن ورجل لسن امر فصيح لمغ (٣) قبل ١٤٠
بين البيان والتبيين هو ان البيان عمل الانسان وتبيين عمل حماره قبل ان البيان
أبلغ من البيان لأن الزيادة في الحروف اعطت زيادة في المعنى

﴿ التقرير السنوي لمشيخة علماء الاسكندرية ﴾

أرسلت البنا هذه المشيخة تقريرها عن سنة ١٣٢٣ الهجرية ولما تمكن من مطالعته ولكننا أجلنا الطرف في بعض صفحاته فاذا به قد وقف عند قوله « واني لأرجو أن أقدم للعالم الاسلامي بمد أعوام قليلة من خيرة الشبان رجالا تقتصر بهم الأمة المصرية وتقوم بهم الحجة على الذين يزعمون أن التعليم الديني لا ينهض بالأم ولا يصلح أن يشاد على دعاؤه عرش المدنية ولا أن يضم تحت رايانه مفاهيم التقدم والارتقاء » اهـ فذكرني هذا القول بأمر كنت عنه ذاهلا . فذكرني بان من علماء مكة وأشرفها علما يقيم الآن في بعض جزائر جاوه أرسل ولدا له ليطلب العلم في الاسكندرية لما قرأه في الصحف المصرية - ومنها النار - من تفضيل الطلب فيها على الطلب في الازهر بالمراقبة والنظام والتدريج فلم يقبله الشيخ محمد شاكر واعتذر عن ذلك بعدم حفظه للقرآن وهو عذر لا ينطبق على قانون الازهر الذي تبنيه مشيخة الاسكندرية كسائر معاهد التعليم الديني في القطر وكل ما تفضل به مشيخة الاسكندرية الازهر هو أنها تنفذ من هذا القانون مالا ينفذ فيه فهذا الشرط الذي زاده الشيخ محمد شاكر على القانون يقتل باب مشيخته في وجوه « العالم الاسلامي » لأن الذين يحفظون جميع القرآن في أكثر أقطار هذا العالم هم من المياني أو من العلماء الذين يحفظونه في الكبر ولا يرجي ان يرسل أحد منهم الى الاسكندرية لطلب العلم . ولما كان الازهر ممهدا للعالم الاسلامي وعلم واضح قانونه أن أكثر أقطار هذا العالم لا يحفظون القرآن في الصغر لم يشترط في قبولهم بالازهر ان يكونوا من الحافظين بل لم يشترط في المبصر من أهل القطر المصري ان يكون حافظا للقرآن كله

فان كان الشيخ شاكر يحب ان يمتاز طلاب العلم عنده بحفظ القرآن كله فله ان يكلفهم ذلك في مدة الطلب وليس له ان يمنهم من طلب علم الدين المفروض عليهم لانهم قصرُوا من قبل في حفظ جميع القرآن الذي لم يفرض على الاعيان . فهذا المنع من العلم لا يميزه الشرع ولا القانون فيما نعلم ولا ينطبق على ارادة خدمة العالم الاسلامي بهذا التعليم الديني الا اذا أريد بالعالم الاسلامي مصر وكانت

هذا الاصطلاح الخاص للذين أحدثوا في الإسلام نفسه وطنية لم ينزل الله بها من سلطان مستحسننا عند مثل الشيخ شاكر وقد يرجع هذا قوله في الرجال الذين يريد ان يخرجهم (عالم الاسلامي) يهضون به ويشيدون عرش المدنية على دعائهم «تختبر بهم الامة المصرية»: ولكن هذه الوطنية الموهبة بكلمات الدين والاسلام ينبرأ منها دين الاسلام، وتكرها قوانين المدنية عند جميع الانام، فاما الوطنية المعروفة عند الامم التي قامت بالوطنية فهي عبارة عن اتحاد المقيمين في وطن واحد، المختلفين في الملل والنحل على ما يري شأنه ويزيد في عمراته، وهذه الوطنية لاتعارض الاسلام الذي جعل المؤمنين أخوة يتعاونون على البر والتقوى ويتماثلون ويتواحدون كأنهم أعضاء جسد واحد وإن اختلفت أوطانهم وتناهدت بلدانهم لا ليل الكلام الآن في هذه المسألة ولكنني أتمنى لو يقبل الشيخ شاكر هذا الطالب المكي وغيره ممن عساه يقصد الى الطلب في الاسكندرية، وأن لا يمزج دعوته الدينية، بتلك النزعة المنكرة في الوطنية، والا فليجعل الدعوى على قدر الدعوة ان كانت عمالا بد منه. وانني لاشد تمنيا لو اعرف عنراً مقولاً لعدم قبول غير المصريين أو المحافظين طلاباً لعلوم الدين في مشيخة الاسكندرية. وسنعود الى قراءة التقرير وكتابة ما ييدولنا في أمره انه نافع ان شاء الله تعالى

﴿ البقاء - أو - خطر المهارة في القطر المصري ﴾

ألف الدكتور بورقاليس بك كتاباً باللغة الفرنسية الى سماء هذا الاسم ونقلها اللغة العربية داوداً أفندي يركت رئيس تحرير جريدة الأهرام. المؤلف طبيب أخفى في معالجة الامراض الجلدية والزهرية وما يتعلق بذلك والكتاب صحي أدبي فيه كل قارىء. واننا نرى خير تقرىظ له ان ننشر نبذة لملل الذين تركوا الدين فوقوا في الأداة التي تنشأ من الزنا يعرفون الاخطار التي تساورهم في آحادهم وفي ذريتهم فيقل تهاقهم على هذه الفواحش المحرمة في كل دين، على انني أعتقد بأنه لا علاج لهذه المصائب العمرانية والاجتماعية الا الثرية الدينية وان من يزعم ان الاقتناع بضرر المعاصي وحده يعمل ما يعمل الدين في الردع عنها فهو من الجاهلين كما يناد ذلك بعض البيان في مقالة (التعليم الديني) من هذا الجزء. قال المؤلف

سبب المواصله مع النير المراقبات

ان العدوي تنتقل الى الرجال الذين يخاطبون النساء غير المراقبات انتقلاً واثماً لايامته انتقالها اليهم من النساء الموضوعات تحت المراقبة

فالرجال على وجه عام والمزوجهون منهم على نوع خاص يخاطبون الماهرات غير الموضوعات تحت المراقبة أكثر من مخالطهم الماهرات اللاتي يخصصن الاطباء وسبب ذلك ان الفريق الاول من الماهرات يظهر بشير مظهره أي يظهر النساء الزنيات اذ يظن ان هن أزواجاً وأولاداً وانهن آمنات يسلمن أنفسهن بامل الحب والفرام والوجد والهيام وانهن لم يرتكبن هذا الخطاء الا في هذه المرة ثم يضمن خدع الرجال بهن يتوسلن اليهم بان لا يوحوا بسرهن الى آخر ما هنا لك من ضروب الخداع والتناق

فيصدق الرجال الخدوعون هذا الكلام ويمتدحون صحة ما تقول تلك الماهرات بل هم يفتخرون بالاختلاط بهن كأنه الواحد منهم قد اكتشف كنزاً ومملكاً أمراً عزيزاً

وبما ان تلك النساء الخادعات لا يستين بأقسن كسواهن عن محترفن حرفة البناء علناً فهن يحكم الطبيعة أقرب الى العدوى وأقدر على نقلها الى كل من يقترب منهن وهم يظنون انهم عشاق وانهن محبوبون معشوقون . واذنا أصيب الخدوع وجاء يؤنب المرأة التي نقلت اليه العدوى جاءته بألف حيلة وخدعة وقلبت دماغه وكذبت حسه وأظهرت طهارتها ونقاوتها فيصدق فما أضف الرجل امام المرأة وما اصغر نفسه وأقل ادراكه وأخف عقله !!

مراقبة الماهرات

لا توجد في القاهرة مراقبة البوليس ولا مراقبة الصحة فالماهر حرة تلتطع بالامراض من أصابته وتقض على الناس اقضاض الوحش المقترب ومن لم يصدق فليمر عند منتصف الليل بشارع كامل ولا سيما تحت القناطر

مع ان هذه الماهرات لو انهن ارتكبن في بلادهن ربح ما يرتكبنه هنا من مخالفة

البوليس وعاقبة قانون الصحة قبض عليهن مريماً فلا تسمع بهن شفاعاة ولا يقبل رجاء ولا تنفع بهنوة ويفضل ذلك كله لا تجسر واحدة على عاقبة القانون ومن هربت من الكشف الطبي وضمت تحت المراقبة الشديدة على نوع أخص فع كل عاهر ورقة حمراء تقضي عليها بأن تأتي الى محل الكشف في كل أسبوع مرة وهي فوق ذلك موضوعة تحت المراقبة الشديدة نهذاً للتحوطات التي اسفرت عن نتائج حسنة جداً في أوروبا لا وجود لها في القاهرة

أما عاصية القانون فهي الماهر التي ترتكب الفجور خلسة واسترقاقاً ويعد من هذا النوع النساء المتزوجات اللاتي لمن أزواج وأولاد والقيات اللاتي يمشن في احضان حائلتهن والخطاطات الماسحات والمفصلات والمقنيات والزائعات والحاديات وكل من كان على شاكلتهن وارضى الفجور والاستسلام للزنا والنسق ويسع الرمس بالمال فالحكومة لا تعرف هؤلاء ولا مراقبهن ولا تحمل منهن ورقة الكشف الطبي مع انهن لا يفرقن عن الماهرات والقيات فارق غير ان الماهرات لا يسكن منزل العائلة ولا يكنن أمرهن عن الجمهور وعن الحكومة ومصالح الصحة ويحملن الورقة الطبية التي تدل على احترافهن حرفة البغاء . أما تلك الماصيات فان من منازل عائلية يتن فيها ولا يجهان ورقة الصحة . أما من حيث احتراف البغاء والسعي وراء الرجال واستتارة أميالم والتحكك بهم فهن والماهرات سواء واذا قبض البوليس على واحدة منهن وهي متلبسة بالجناية أرسلها الى الطبيب ليكشف عليها

ولقد قلت وأردد وأعيد الآن تكراراً ان النسوة غير الحاضات لاحكام القانون هن أشد خطراً على الانسانية من سواهن ولا أخطىء اذا قلت ان جميعن مصابات بالادواء الزهرية على اختلاف أنواعها وثلاثة أرباعهن في حالة من الاصابة شديدة الخطر على الرجال وشديدة المدوى لمن يختلط بهن

وهذه المرتبة من النساء هي أيضاً على نوعين نوع ماله ونوع واطىء

وقد قبضت مدام هنري تورو المرتبة الواطئة بمرتبة القصة في حياة الحب وهي محقرة مهانة مرفولة كثيرة الخطر لأنها تسلم نفسها لمن عز عليها دون تردد ولا لإنعام نظر أما المرتبة العالية فهي مع أنها محقرة مرفولة كالمرتبة الأولى الا انها أقل خطراً لأنها لا تسلم نفسها الى من عز عليها أو حلول التوصل اليها ولا تطوف الشوارع للبحث بمن صيد يقع في شراكها ولكنها ترجع العريات وتميش عيشة الاغنياء وتمهد التمثيل

في التغيرات ولا يزدادها على اثنين أو ثلاثة فهذا لا تستطيع الواحدة منهن ان تبذر العدوى بين الجمهور اذا كانت مصابة بالامراض بل ان عدوها تقتصر أو تقتصر في محيها وعبء مثل هذه الممارات هم الاغنياء وأصحاب الثروة وقد دوج في القاهرة ان يكون لكل شاب غني حظية أو حبة حتى يكون ذلك الشاب ممدوداً في مصاف المتدينين ويزرة العقلة والظرفاء من الرافق والسامين

والواحدة منهن تقول مجيبة بنفسها انها لا تسمح لاحد بأن يدنو منها ويحاسبها ان لم يدفع لها ٤٠ أو ٥٠ جنياً فمن يحسب لا تقصين غصية غلو السعر وإرتفاع الاجرة لا حفظ الرخص واللغة فتدل هذا المطلب لا يجيبه الا لعدد القليل من الجمهور خلافاً لتلك البليات بات السوق والشوارع فلان الواحدة منهن تسل لاي كان عرضها بما يكفي لدفع ثمن الخبز في يومها أو ثمن الشرب في ليلاها

فلذا من تمكن من التخلص من يد البوليس دحراً طويلاً كان أكثرهم يقع في قبضته لان الفقر يقضي عليهم بأن يلقن الفوارع وعرضهم هذا وقاله وعرضه على القسق والتجور كل ما وكل سائر قانا نجون من يد البوليس مرة فانه لا ينجون من يده كل مرة

٢٩

﴿ عدد المصابين في سنة واحدة ﴾

من أتم النظر قليلاً في حال تلك الممارات وكثرة عددهن وكثرة المصابات منهن بالامراض وعرف ان الواحدة منهن تسل نفسها في كل ليلة لمدة رجال قد يكونون سليمين من الامراض والادواء عرف ان عدد الرجال الذين يصابون بامراض اعضاء التناسل عظيم هائل قافاً يصابوا يكون الفضل في ذلك للمراقبة الطبية وللتحولات الصحية التي تشغل الانسانية من هوة بيده القرار وشتر صخب لا يعرف أحد لولا وقاية الطب ماذا يكون من ورائه على الانسانية كلها.

فلذا أرى انه لا بد من مراقبة الممارات في القاهرة ولا أسلم قط بأن هذه المراقبة غير ضرورية بل لا يمكن أن اقتنع وأسلم بأن الخطر مع الحالة الحاضرة ليس شديداً على الانسانية وليس مهدداً البلاد كلها

واذا ما خطر لي التأمل باعمال المراقبة هنا جرت لعملي ما وراء ذلك من الخطر والمصاب الجليل والضررة العديدة

يؤخذ من احصاء مدينة باريز على ان متوسط عدد النساء اللاتي قبض عليهن وهن مصابات بالادواء هو ١١ امرأة في اليوم من غير الحاضات للمراقبة الطبية فاذا حسبنا هذا على دورة العام كن عددا لمصابات ٣٦٠٠ مصابة أو ٤٠٠٠ مصابة قد أخرجت من حكومة باريز من وسط الجمهور وحجرت عليهن وعزلت عن أن ينم شفاهن فاذا مكثن على معاناة حركتهن وقتلن المدوى الى شخص واحد في كل يوم كان عددا الذين يصابون منهم في كل عام مليوناً و ٦٤٠ ألف رجل

فلما لا تكفى شوارع مصر كما تكفى شوارع باريس من هذه العاهرات ولما لا تهرل النساء الوطنيات ولا تطرد من البلاد النساء الاجنبيات المرضيات بل لما لا تطهر شوارع المدن والخواضر من هذه المستودعات الخزونة فيها الامراض والاصاب وفساد المائلات والاجساد والسلاطة
سؤال أردده في نفسي ولا أجده جواباً ولكني أعرف أن آلاماً من النفوس تضيق الآن نجبة الامال وليس من يزعم اثر أو يرد المصيبة

﴿ جناية أوروبا على نفسها وعلى العالم ﴾

احدي الينا هذا الكتاب أو القصة منذ أشهر فاستكبرنا الاسم وما به من الوصف وهو « كتاب محبي عصري أدبي اجتماعي صومي نسائي روائي » وفهمنا من كلمة « روائي » انه يبين فيه مافي هذه القصص التي تسمى روايات من الجناية على الآداب كما فهمنا من كل كلمة قبلها نحو ذلك وعزمنا على مطالعة الكتاب قبل الكتابة عنه فاذا هو قصة وضعي في بيان ضرر استعمال « المشد » الحديدي الذي يضغط به النساء أحشاء هن . وقد أحسن واضع القصة أحد أفندي فهي بما كتب لجاء بالترجمة والادب في التراميات وأحسن في التفسير عن المشد وكان كلامه مؤثراً يشعرا قارعي . ولكن الاسم أبهر من المسمى . والقصة مطبوعة طبعاً حسناً وهي تطلب من مكتبة المعارف بالنجاة فنحن القارئان قبل القارئين على مطالعتها

﴿ قاطع الجبل ﴾

قصة من قصص « مسامرات الشعب » صدر منها جزءان وهي مما اختاره المترجمة قولاً أفندي رزقي الله المعروف بأدبه وحسن ذوقه في الاختيار

﴿ الريحانة ﴾

« مجلة تاريخية أدبية قصصية تصدر في منتصف كل شهر عربي لصاحبها
 مجلة حافظ » صدر الجزء الأول منها في ١٥ المحرم وقد جاء في فاتحته ما يأتي
 « أفتتح مجلتي الريحانة باسم الله الذي خلق الرجل والمرأة من أصل واحد
 ووجههما عقلا جوهر واحد وسوى بينهما في الحقوق فقال (ولهن مثل الذي عليهم
 بالمعروف) وأسأله تعالى أن يوقني الى القيام بما عهدته الي نفسي خير قيام
 « أمنيته الوحيدة أن تكون لحياتي ثمرة وغاية شريقتان في الوجود لأن
 تكون حياة خمول وكل تنقضي بلا ثمرة ، وجودها عدم وعدمها خير » الخ
 هذه الكلمة من الكلام الطيب لا يتدبرها عاقل ويأخذ على نفسه الميثاق
 ليعلم بها الا كانت حياته مباركة طيبة وكان هو بها أسعد منه بكل ما يملك من
 عرض الدنيا . هذه الكلمة ترفع من تربي تربية حسنة الى مراتب الكمال وتكون
 خير مرآة لمن قصر في تربيته الوالدون والمعلمون ، وما كثرة الذين يقدرونها قدورها
 في أمة من الامم الا وارتقى شأنها وصلحت حالها وكانت من أسعد الامم لانه ضلها
 الا الامة التي تسقمها في العسل بالكلمة . واني لأرجو أن تكون هذه المجلة من
 أنفع المجلات برعاية منشئها لكلماتها وعنايتها بالعمل بها . ولنا أن نعد من آيات
 هذه العناية قولها في الجزء الثاني « رأيت أن أساعد مشروع الجامعة بكل ما في
 وسعي فأنا من الآن أنبرع لها سنويا بكل ما يزيد عن مصروف المجلة من جنيه
 الى مئة وما زاد عن المئة فيصرف في ترقية المجلة بزيادة عدد صفحاتها واصدارها
 مرتين في الشهر بدون زيادة في قيمة الاشتراك . وهذا التبرع يبقى ان شاء الله
 مابقيت المجلة وبقي لها مشركون »

إننا لنشمر من هذا القول غير الاخلاص والصدق ولكن رجاءنا في تحقق
 امنية الكاتبة المخلصة ضعيف لانها جعلت قيمة الاشتراك ثلاثين قرشا وهي تكاد
 لا تكفي لتنفقات المجلة على ما نهض من قلة القارئات والقارئین، وكثرة مطال المشتركين ،
 الا أن تصادف المجلة من يقدرية منشئها حق قدرها ، ويتبدون لمساعدتها على
 أمرها ، واننا نصصح لها بأن نزيد في قيمة الاشتراك الآن فان أهل الوفاء لا يتخلل

على الواحد منهم دفع عشرة قروش أو عشرين قرشا في السنة، وأهل المثل يتقل عليهم اداء القرش الواحد فان لم تقبل نصيحتنا الآن فستقبلها في يوم من الزمان

﴿ الجامعة الاسبوعية ﴾

ارسل فرح أفندي انطون صاحب مجلة الجامعة الشهيرة الى نيويورك وجعلها مقرا له ومصدرا للجامعة ثم اشترك مع رشيد أفندي سيمان وهو من التجار الميالين الى السياسة في اصدار جريدة يومية باسم الجامعة واختارا ان يجعلا من الجامعة اليومية أفضل مقالاتها وأخبارها كل اسبوع في نسخة اسبوعية ذات ثمان صفحات وقد وافانا عدة نسخ من الجامعة الاسبوعية فاذا هي من أحسن الجرائد العربية تحريرا وأغزرها فائدة وقيمة الاشتراك فيها عشرون فرنكا

﴿ باب الاخبار والآراء ﴾

﴿ استقالة اللورد كرومر وتقريره ﴾

ما كاد اللورد كرومر يتم تقريره السنوي عن مصر والسودان حتى عرض له في معدته مرض شديد ، حتى صار ينفذ بالحقن وحتى لم يسطع الحفاوة بأخي ملك الانكليز الذي زار مصر في هذه الايام كما يجب وحتم عليه الاطباء الاستقالة من منصبه وترك الاعمال العقلية بته فكذب الى حكومته بذلك فراجعت عسى أن ينشئ عزمه فلم يقد ذلك فقبلت استقالته مع إظهار الاسف العظيم على اضطرابه الى ترك الخدمة والثناء الماطر عليه الذي شارك الحكومة فيه جميع أحزاب الامة . وقد صرحت الحكومة لمصر بحار رسميا بأن تستعفي مصر على طريقته وتتمل بما أرشد اليه في تقريره الاخير . وهذا التقرير هو أشد التقارير وطأة على الوطنيين لاسبغ الدين يعرفون بالحزب الوطني من حيث ما يراد فيه من تغيير نظام الجنسية المصرية ومحاولة اقتناع دول أوربا بتبرك الامتيازات والاستغناء عنها بمجلس تشريع وطني معظم اعضائه من رعاياه هذه الدول وباقيهم من الوطنيين ومما نقل عن التقرير فكأن شديد الوقع على نفوس المسلمين كلام في الشريعة الاجلامية فهو ما أنها لا تصلح لهذا الزمان وكلام فيها يسونه الجامعة الاسلامية

وكلام عن المستر تلوب في القبة العربية وأتينا نفضل صدور نسخة التقرير العربية لنقرأها ونبين ما هو الحق في الشريعة ومعنى كونها قائمة الشرائع الآتية

أما اللورد نفسه فهو يعمل في مصر ، يمدن أعظم السياسين في هذا العصر ، وقد اعتزف له الوطنيون مع الأجانب بالثبته الثابة وترقية مالية البلاد وتكثير مواردها واحترام استقلال القضاء والحرية الشخصية فيها وتاهيك بحرية المطبوعات ، ويشكونه الوطنيون أنه لم يرق المعارف ولم يزد مصر الا بعدا عن الاستقلال .

ويقولون ان نجاحه الذي ظهرت به عظمته يقوم على ثلاثه أركان - مزاياه الشخصية وثقة حكومته به ومساعدتها اياه في كل ما يطلب - وطول الزمن الذي صرفه في مصر . ونسوا ركنها رابعا وهو طبيعة مصر وأهلها فمصر تاتي كل حاكم قوي وتخضع لارادته في كل ما يريد منها ولولا استعداد القابل لما ظهر استعداد القاطل والحكيم من براعي في عمله الاستعداد الطبيعي فيما يعمل فيه . ولو وجدني امرا تاجرا كاللورد كرومر لصل فيها خيرا مما عمل اللورد لأن أميرها كان براعي مصلحتها من كل وجه خالصا لها والورد كان ينظر الى مصلحة دولته أولا ، وإلى مصلحة مصر ومصالح دول أوربا ثانيا . وقد اهتزت مصر وأوربا لاستفاته وخاف المليون على أموالهم والأحرار على حريتهم من بعده واستحسن بعض النزلاء والوطنيين أن يعمل له تذكار في مصر . وكانت جرادة المؤيد ود الجريدة أكثر الجرائد المصرية اعتدالا في الكتابة عنه وأفضل ما استفادت مصر في هذه المدة - مدة اللورد كرومر أو الاحتلال احتياظ الشعور بوجود الاستقلال الذاتي أو الاعتماد على النفس في الرقي . استيقظ هذا الشعور في بعض النفوس ولولا ان أكثر الجرائد شطت الامة عنه بالاماني والالهام لا تنشر انتشارا عظيما ، ولما بالاصلاح المبين

شطت الامة عن نفسها بمقاومة الاحتلال ولكن بالاماني والنزور ، وبالطمع في الحكومة لأنها تاتي الاحتلال ، وبمطالبة الحكومة مع ذلك بكل ما يرقها ويرفع شأنها ، بذلك نسبت نفسها فلم تتعاون على الاعمال الاستقلالية ولم يوجد فيها معاهد قومية الملية والتلميح الذي يقصد به الرفعة والسكاج من غير طريق الحكومة . بل لم يوجد فيها عون ولا نصير لذلك الأب البر الرحيم (لاستاذ الامام محمد الله)

التي أراد أن ينقذ هذه الفرصة لاصلاح الازهر على عمله هذا ولكنه وجد
بعض الاعوان على التهوؤ بمجموعة خيرية اسلامية فنقض بها .

هذا وقد ابتدأت الامة تشغل نفسها عن نفسها بما يوحها الموهبون من
سياسة خلف الورد كرومر وهو انها ستكون مرقبة للشؤون المنوية كما رقى الورد
كرومر الشؤون المادية . واننا ننصح لها بأن لا يشغلها عن استبعادها الذاتي
شاغل وان تعلم ان من لا يرقى نفسه لا يرقى غيره وأن أفضل ما يمكن ان تستفيد
من الانكليز هو تمكينها من ترقية نفسها بالتربية والتعليم الذي تقوم به وهي
بفرونها قادرة عليه وما بينها وبينه الا أن تنوجه بتوفيق الله تعالى اليه

ويظن أن الامير سيكون أشد مواتاة لسير الهدون غورست خلف الورد كرومر
على عمله بمصر منه لسلفه وان السبر يكون أكثر ساهلا من الورد مع المالبين فيها ينشرون
من الشركات ويسمرون من أرض الحكومة ولا يظن أنه يكون أوسع منه صدراً
للمشاعات الصحف وأقرب مودة للحرية وجملة ما يقال إن السياسة الانكليزية
لا تتغير في مصر بذهاب انكليزي . محيي . انكليزي

(باب الانتقاد على النار)

كتب الينا أحد أصدقاء اللفي يتقدم علينا امورا اجابة لدعوة النار الى الانتقاد
عليه ولكن ما تقدمه آراء في تحرير المجلة وادارتها وكتابة التفسير وهو على ما فيه
من الفائدة لنا ليس مما ندعو اليه انما ندعو الى انتقاد ما يراه أهل العلم في النار باطلا
وبيان ذلك بالدليل ولعل منه قوله : مغالاتك في الجريدة حتى أخذت « بالغال »
ووضعت المجلة موضع التشجيع للجريدة : وظنه انني اشتغلت عن النار بالتحرير فيها
وهكذا رأيت كثيرا من الناس ينسبون الي أكثر ما يكتب في (الجريدة)
ويظنون انني من محرريها والحق أنني ساعدتها بعدة مقالات في أوائل ظهورها واثم
أحسن الظن بها واذا كتبت فيها فانا اكتب في موضوع ادبي واجتماعي لافي سياسة
مصر ولا اكتب عن لسانها . واما العناية بتقريبها فسيبه هضم الناس لها بغير حق
وكونها تنفيذا لرأي الاستاذ الامام وان لم تكن كما كان يريد من كل وجه
« والغال » ذكر فكاهة على أن النبي (ص) كان يسجبه الغال الحسن

في جدي الذين يتبعون القول يتبعون أمته
اولئك الذين هدام اقدارهم اولئك هم اولوا الالباب

المسحاة

١٣١٥

في الحكيمة يتبعون قول الحكيمة قصارني
غير اكبر ولا يسكن الا اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صويوه منارا « كنار الطريق »

مصر ربيع الأول سنة ١٣٣٥ — آخره الاحد ١٣ مايو (ايار) سنة ١٩٠٧

تاريخ المصاحف

هذا ما وعدنا بنشره مما كتبه صاحبنا موسى افندي جارا الله الروسي قال
قال العلماء أول ما نزل من القرآن « اقرأ باسم ربك الذي خلق - خلق الإنسان من
علق » اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم » ولم ينزل بعده شيء
إلى ثلاث سنوات (وتسمى هذه السنوات (من فترة الوحي) ثم أخذ القرآن ينزل
في فصاف خشرين سنة (وقرأنا فرقاه لثراء على الناس على مكث ونزلهما نزيلا
- الأسراء - كذلك لتثبت به فؤادك وركلنا نزيلا - الفرقان) . فنه ما نزل مفرقا وهو
غالب القرآن ومنه ما نزل جماعا كالفاتحة والاحلاص والكواثر وأغلب الانعام . وكما
نزل عليه صلى الله عليه وسلم آية أو سورة وسري عنه كان يقرئ الصحابة ما نزل
، يستحفظهم فيه يحفظونه على الأنور عن ظهر قلب ويعتنون بذلك تمام الاعتناء لان
الحفظ الحرفي في عصر الرسالة و زمن النزول كان من اعظم العبادات وأقرب القرب
وكانوا اذا حفظوا آية من التي عليه السلام يرددون عليه غير مرة ويتلوها امامه
حتى يزداد تثبيتهم من حفظها وادائها وسألونه هل حفظت كما أنزلت حتى يقرهم عليها
وبعد اتمام الحفظ والتثبت في تمام الضبط أخذ كل واحد منهم ينشر ما حفظ : كانوا
يملكونه للاولاد والصبيان ولذين لم يشهدوا النزول ساعة الوحي من أهل مكة
والمدينة ومن حولهم من الناس فلا يمضي يوم أو يومان الا وما نزل محفوظ في صدور
جماعة غير محصورين وقد عين جماعة عظيمة من الصحابة على حفظ القرآن واقراءه
وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة قبل الهجرة جماعة من حفظة الصحابة
يسلمون القرآن لاهل المدينة واولادها وكان الرجل اذا هاجر الى المدينة دفعه
التي عليه السلام الى رجل من أولئك الحفظة يلمه القرآن ، ولا تقع مكة ترك فيها
معاذ بن جبل لذلك وكان من أكابر الصحابة - وهم ألوف - من يتنى بعرف نفسه
القرآن ومعانيه واقامه حفظا وكتابة . كانوا لا يأتون نهارهم ولا ينامون ليهم باهتمامهم
واشتغالهم بضبط الآيات وحروفها ووجوها وكان يسجد رسول الله صلى الله عليه
وسلم صبيحة وزجل بتلاوة القرآن وكان النبي يسبح الى الملا منهم ويحمد الله على ان
جعل في أمته أمثالهم

ويشمل هذا الامتياز التمام لانتظار القرآن في صدور الامم لحنه ألوفه من

المصاحبة في تصانيف عشرين سنة

وحيث ان القرآن كان ينزل مفرقا متجذا ومحفوظه الذين يشتون به على مهل ومكث في تصانيف سنوات كثيرة وذلك أعون في الحفظ وإيسر للذكر ' وأكثر من حفظه كان شريع في حفظه من صباه ' وزد عليه ما كان للتي عليه السلام المصوم من لسان القرآن من كمال الاعتناء والاهتمام بالترغيب في حفظه والامر بتماخذه - فكل من تأمل أدنى تأمل يتبين ويقطع ان القرآن قد حفظ في الصدور أيام الايمان وارسخ الحفظ واتم السبط وكامل اليان ، وقد نطقت الاحاديث ودلت الآثار على ان النبي عليه السلام كان يوقف أصحابه على ترتيب آيات السور ويطلعهم مواضعها من السورة لها ، وكان يقرأ السورة في الصلوات وغيرها ويسمونه فيعرفون من ذلك ترتيب الآيات فالمصاحبة ضبطت عنه عليه السلام ترتيب أي كل سورة ومواضعها كما ضبطت عنه نفس الآيات وتلاوتها . وكان السور مرتبة لحديث أحمد وأبي داود في ترتيب القرآن وحديث وأنه في اعطاء السبع الطوال والمئين والمئتين بدل الكتب الثلاثة السماوية التفضيل بالحواميم والمفصل ' والاحاديث تدل على ان النبي عليه السلام كان يحتم القرآن وان المصاحبة كانوا يحتمون عنده عدة ختمات وكل ذلك يدل دلالة واضحة على ان القرآن كان محفوظا في صدور ألوف من الصحابة مجتمعا مرتبا على ترتيب معلوم عند كل واحد منهم . قال معاذ عرضنا القرآن على النبي عليه السلام فلم يصب منا أحدا

وكانت للنبي عليه السلام كتبة يكتبون فوراً كل ما نزل اليه على الصحائف والقراطيس من الرقوع والاوراق غالباً وعلى الألواح وعصب التخل أحياناً . كان النبي عليه السلام يعلي عليهم مباشرة بقول ان هذه الآية تكتب عقيب آية كذا في سورة كذا . وكان كتابة ما نزل من القرآن ملتزمة منهم حتى زمن الاختفاء في أوائل الاسلام اذ كان المسلمون يتدارسون القرآن من الصحائف في البيوت ، وكان المشركون يدعون الدراسة اذ ذاك الهينة (١) من شواهد حديث عمر قبل اسلامه مع أخته وخخته وكانت العرب تكتب كل شيء نقيس أو مهم عندهم كالاشمار الفصيحة والخطب البليغة . من شواهد ذلك القصائد المعلقة والصحيفة التي أكتبتها الارضة . وكان كثير من الصحابة لهم علم بالقلم وكان أنس بن مالك يقول هذه أحاديث سمعتها من

(١) اثنان: ما كانوا يسمون كل قراءة هينة بل القراءة الجدية والهينة الصوت الخفي

رسول الله وكتبها وعرضها وكثير من هؤلاء كانوا يكتبون في المصاحف كل آية حفظوها ويرضونها على النبي عليه السلام ، وعين من هؤلاء جماعة على كتابة الوحي كانوا متمكنين من الكتابة باللسان العربي كل اتمكن كعلي وعثمان وعمر وزيد بن ثابت وابن مسعود وأنس بن مالك وعبد الله بن سلام وغيرهم

فكان النبي يعلي عليهم مباشرة فيكتبون منازل بحضرة ويرضونه عليه مرة بعد أخرى حتى يقرهم . بهذه الكيفية كتب القرآن من أوله الى آخره في حياة الرسول على صحائف وقراطيس متفرقة . وكانت هذه المصاحف والقراطيس أغلى عندهم من أنفسهم وأض من كل نقيس وأحب اليهم من كل حبيب جليس . يدل عليه احاديث وروايات في تنافسهم في حفظ هذه المصاحف والقراطيس وفي حبهم التبرك بها احيانا في المجالس

وكل ما ذكرته عن شأن حفظ القرآن في الصدور وما أجمته بعد ذلك في كيفية جمعه في المصاحف واثبتته في السطور يدل دلالة قطعية باهرة على أن القرآن زمن النبي عليه السلام كان مجموعا مرتبا على ترتيب معلوم ، محفوظا في الصدور ، مكتوبا على ترتيب الحفظ في السطور ، والاحاديث متضافرة متساعدة في ذلك

ولان احوال الحفظ والكتابة والترتيب من النبي ومن ألوف مؤلفة من الصحابة الذين يتيقنون ان السبب في عزهم وسعادتهم هو القرآن ، وانه هو أساس دينهم وشرعهم ، وانه هو الذي يقرهم الى الله عز وجل والذين كانوا يبذلون جميع ما يستطيعون وما يتصوره العقل في سبيل حفظه كما انزل معصونا عن ادنى شائبة الاهمال من مثل هؤلاء — شيء محال لاريب فيه .

ثم توفي رسول الله يوم اكمل الله لنا ديننا ورضي لنا الاسلام ديننا والاسلام قد ظهر في جميع جزيرة العرب وفيها مدن وقرى كثيرة كالعين والبحرين وعمان ونجد وجبلي طي وبلاد مضر وريمية وقضاة والطائف ومكة كلهم قد أسلم وبنوا المساجد ليس فيها مدينة ولا قرية ولا حلة اعرابا ولا وقد قرئ فيها القرآن في الصلوات وعلمه الصبيان والنساء وكتب . ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون كذلك ليس ينهم اختلاف في شيء أصلا كلهم أمة واحدة ودين واحد ومقالة واحدة ثم تولى الامر أبو بكر سنتين وستة أشهر ففزا فارس والروم وفتح البصرة وازادت قراءة الناس القرآن وجمع الناس المصاحف جماعا متبدا كأيها وعمر وعثمان وعلي وزيد واني

زيد وابن مسعود وسلم . ولم يكن بين المسلمين اختلاف في شيء زمن خلافته ، وما كان من ظهور الأسود الضبي في صنعاء ومسيلمة بالجماعة وانقسام العرب أربعة أقسام : طائفة نابتة على الطاعة ، وطائفة مائة للزكاة ، وطائفة معتقة بالردة ، وطائفة منوطة مقربة لمن تكون التوبة . فقد أخرج اليهم أبو بكر البعوث ، وجهز اليهم عصاية من المسلمين تقتل الأسود ومسيلمة . ولم يمض عام واحد حتى راجع الجميع الاسلام ، فلم تكن هذه الفتن الا كنار اشتعلت فانطفأت الساعة . فبعد أن سكنت هذه الفتن احس عمر الفاروق بضرورة جمع القرآن في كتاب واحد على مشهد من جميع الصحابة وملا من الحفظة والكتبة . ولما استقر رأي أبي بكر وعمر على ذلك احضرا زيد بن ثابت وابديا له ما عزماء . واستعظم زيد ذلك أولا واستسهل نقل الحيل شأن كل مقتدر على عظام الامور . يقدر الامر حق قدره ، عتاط قائل لا يفهل عما يلزم عليه في القيام باعظم المصالح عن كمال الاقتدار وواجب الاحياط وعظيم الثبوت وبالغ الجهد والاجتهاد ووفور السعي ، غير مغتر بما له من الحاصل وان كان فردا مفردا فاقفا على أقرانه وأهل عصره . ووافق أخيرا فعزم على ما عزموا عليه . والانسان مهما بلغ في الاقتدار وعلو الهمة قد يكون انا وقع عليه أمر عظيم وعزمه وتصوره من جميع وجوهه غير غافل عن وسائل تحصيله وأسباب الوصول اليه . يعتره طبعا نوع من التردد وشيء يشبه التوقف . لكنه لا يلبث فيزول ويغني العازم على عزمه وجميع أبو بكر الحفظة المشهود لهم بالضبط والاقان ، وكان أهمهم زيد وأبي بن كعب وعثمان وعلي وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن السائب وخالد بن الوليد وطلحة وسعد وحذيفة وسلم وأبو هريرة والعامت وأبو زيد وأبو الدرداء وأبو موسى الاشعري وعمر بن الخطاب واجتمعوا برئاسة زيد بن ثابت في منزل عمر ليقتشروا في كيفية جمعه وتخصيص أعمال كل واحد منهم . ثم أخذوا يوالون اجتماعهم في مسجد المدينة لكتابة القرآن . وكانهم كانوا يحفظونه عن ظهر قلب وكانوا قد اشتوا قبل بكتائته جملة مرار من فأكرتهم ليتمتعوا من ضبطهم له وحفظهم اياه وجاء من كان كتب مصحفا بمصحف واحدوا كل الصحائف والقراطيس التي كتبوا فيها القرآن بحضرة النبي عليه السلام واملائه وعهدوا الى بلال ان ينادي باعاء المدينة ان من كانت شدة قطعة عليها شيء من القرآن فليأت بها الى الجامع وليسلمها الى الكتبة المجتمعين لجمع القرآن على مشهد الصحابة . وحيه بعد كثر من الضلع ، وما كانوا يقولون قطعة حتى يتحققوا انها

كتب بن بدي اثني وحضره اذ كان غرضهم ان لا يكتب الامن عين ما كتب بين يديه وما كانوا يعملون ذلك الا مباشرة في الاحتياط ومقالة في التحفظ وإعلا في الضبط . وكانوا يابلون القطع بعضها بعضا لئلا يبقى مجال شك في علم الضبط . وكتب القرآن زيد بن ثابت جيمه . قال زيد حتى وصلنا الى آية « قد جاءكم » من سورة التوبة فقذفناها وقتشناها لتجدها مكتوبة ثم وجدناها مكتوبة عند أبي خزيمة ابن أوس بن زيد الانصاري . وقال زيد حتى وصلنا الى سورة الاحزاب فققدت آية من سورة الاحزاب حين لسخت الصحف قد كنت أسمع رسول الله يقرأ بها فالتسناها لتجدها مكتوبة فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصاري « من المزمين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » فالحقناها في سورتها في المصحف وتم جمه . وجميع عمر جميع الحفظه والمصاحبة وقرأ عليهم . ولم يبق من أحدهم اعراض حين العرض . ولم يسمع ولم يظهر بعد أيضاً . وبعد اجماع أكابر الصحابة على هذا الترتيب في هذا المصحف لا يمكن ان يقال أنهم رتبوا ترتيباً سموا النبي عليه السلام يقرأ على خلافه . واجماعهم على هذا الترتيب واتقرارهم عليه بلا خلاف من أحد منهم أقوى برهان على أنهم وجدوا ما أقامه علما لا يدع عندهم ريباً . فقرر أمر القرآن قديراً قطعياً في هذا المصحف . وكان ذلك أعظم فرض قام به سلفنا الصحابة وأهم شيء حدث في الاسلام وأفضل من لهم علينا الى يوم القيام . ونولى أبوبكر وهو أعظم الناس أجراً في المصاحف ونولى الأمر بعده عمر ففتحت بلاد القرس طويلاً وعرضاً وفتحت الشام كلها والحجاز ومصر كلها ولم يبق يد الاوقيت فيه المساجد ونسخت فيه المصاحف وقرأ الاثمة القرآن وعلمه الصبيان في المكاتب شرقاً وغرباً . بقي كذلك عشرة أعوام وأشهر والمسلمون لا اختلاف بينهم في شيء ملة واحدة ومقالة واحدة . والمسلمون اذ مات عمر وان لم يكن عندهم زيادة على مائة ألف مصحف من مصر الى العراق الى الشام الى اليمن فسا بين ذلك فلم يكن أقل من ذلك . لان الحنفية عمر الذي كان كاد يموت مما بامر المسلمين والذي حفر الخليج بسد طام الرمادة فساقه من النيل الى القلزم فلم يأت الحول حتى جرت فيه السفن فحمل فيه ما اراد من الطعام لامل المدينة ومكة وما بينهما خليفة هنا شأنه لم يكن ليترك بلادها ومدينة وقرية نولى أمرها بلا مصحف يقرأ فيه أهلها

باب الثالث

منافع الاوربيين ومضارهم في الشرق *

سأل سائل بترعة السويس هل كانت نافعة للمسلمين أو الشرقيين أم ضارة بهم فاجاب غير واحد بأنها كانت مثار المضار، وبركان الاخطار، لولاها لما جاس الاوربيون خلال هذه الديار، ولما تمكنت سلطتهم في كثير من الاقطار، وأجاب واحد ممن حضر بأنها كانت نافعة اكثر مما كانت ضارة اذ لولاها لكان أهل الهند والافغان كأهل مراکش في جهلهم وغفلتهم وجفوتهم للمدينة وفنونها التي وصلت اليها في هذا العصر بل ولكانت مصر التي تزهو بعمرائها الآن خراباً يؤدي ذكران البوم المشرات من قراها مهوراً لأنائها على الطريقة التي كانت متبعة عند البوم في الزواج على عهد اسماعيل باشا. ناهيك باليابان وما صارت اليه، وبالعين وما تشرف عليه،

يسهل على غير الخبير المحقق في طبيعة الاجتماع، العارف حقيقة حال الهند والافغان ومراكش ومصر، أن يماري في القول مرء ظاهراً أو غير ظاهر، وإن يستفتي امثاله: أليس الفرق عظيماً بين الهند التي كانت زاهية على عهد السلطنة التيمورية، بالمعارف والصنائع الوطنية، مستغنية بنفسها عن أوروبا وسائر العالم وبين مراكش التي كانت ولا تزال تغلب عليها البداوة بجبالها وغاوتها وعصيانها لكل نظام؟ أليس كل ما ينسب الى الافغانين من الفضل هو تجافهم عن المدنية الاوربية ومنع الاوربيين ان يساكنهم

في بلادهم أو تَجروا فيها آمنين ولولا ذلك لضاع استقلالها وكانت ولاية من ولايات الهند؟ ألم تأخذ مصر بأسباب المدينة الاوربية من عهد محمد علي باشا وهي على استقلالها؟ ألم تدخل في أول ولاية محمد توفيق باشا في طور جديد من اصلاح خابت به آمال طلاب الأزواج من اليوم بالقري والمزارع التي آلت الى الخراب؟ كل هذا يقال في الاستثناء وقال اكثر منه ويكون نص الفتوى عن كل سؤال: بلى؛ وهي كلمة يكتبني بمثلها مشايخ الاسلام في الاستانة اذ يجيبون بكلمة « اولور » في مقام الايجاب وبكلمة « اولماز » في مقام السلب، وبعد ذلك يأتي الحكم على الاوربيين كافة باتهم ما جاؤا الشرق بخير ما ولا منفعة بل جاؤوا بشرور ومضار اعظمها ازالة استقلاله وأي خير أو قبح يوزن بسلب الاستقلال حتى تصح المقابلة بين منافع الاوربيين ومضارهم في الشرق؟

هذا هو الحكم الذي يري قاضيه عن قوس عقيدة الجماهير والجماهير في الشرق جاهلون بالسياسة راغبون عنها ويقل في المشتغلين منهم بها والباحثين عنها من يحيط بأطراف مسائلها، ويعرف المطالب ببرايتها ودلائلها، ولولا ان هؤلاء العارفين قليلون فينالما كنا نشكو مرض الامة الذي يعبرون عنه بلفظ التأخر والاعطاط . وهؤلاء العارفون القليلون لا يرضون بهذا الحكم وانهم لأعلم من غيرهم بقيمة الاستقلال الذي عبت به الاوربيون وبانه لا يوزن به شيء ولكنهم يمتطون كل شيء حقه ثم يوازنون بين الاشياء لا يمنهم من ذلك ان يكون في احدى كفتي الميزان ما يرجح بكل ما يوضع في الاخرى . على هذه الطريقة القويمة فسير في بيان منافع الاوربيين ومضارهم في الشرق بعد تمهيد مقدمات

تعين على فهم مرادنا من المقابلة وهي
 اننا نريد بالمنافع كل ما يزيل شيئاً من شقاء الامة أو يزيد في سعادتها
 فيدخل فيها أمور الصحة ولا سيما مطاردة الاوبئة ، وأمور المعاش
 والكسب ولا سيما ترقية الزراعة وتأسيس الشركات المالية ، ويدخل فيها
 العلم والتربية والآداب وأمور الاجتماع وتدير المنزل والسلم بالادارة
 والسياسة وأصول النظام وغير ذلك مما ينقل الامة من طور أدنى الى
 طور أدق

(٢) اتنا نريد بالمضار ما يقابل المنافع بجميع وجوها التي أومأنا
 اليها آنفاً وهو كل ما يصير به الامة الى حال شر مما كانت عليه في أفرادها
 وبيوتها وهيئتها العامة سواء كان ذلك من جهة البدن كالمرض والصحة أو
 من جهة النفس كالعلوم ولاخلاق والآداب وان شئت فقل كما يقول
 كتاب العصر من الجمة المادية والجهة الادبية ويدخل في الجهة الادبية الدين
 (٣) اتنا نريد بالاوربيين كل ما يتناوله اللفظ لانه لا يكون منهم خاصة
 (٤) ان المقابلة التي نوازن بها بين المنافع والمضار إضافية أي اتنا
 ننسب حال الامة بعد اختلاطها بالقوم الى حالها قبله لا الى ما ينبغي ان
 تكون عليه من الكمال ولا الى ما عليه الالهم الاوربية في أنفسها ولا الى
 ما تهوى عامتها وأخصتها أن تكون عليه

(٥) ان الكلام في المقابلة لا يتناول نيات القوم ومقاصدهم فينا
 وانما هو خاص بالآثر الطبيعي لدخولهم في البلاد سواء جاء على وفق ما
 يقصدون أو على ضده

(٦) ان الفرض من بيان المنافع التنويه بها والتنبيه الى الاستزادة

منها ، ومن بيان المضار تقييدها والتفجير عنها ، ووراء ذلك تلبية نداء التاريخ بتخليد هذه الحقيقة في أرواح الصنف سائلة من نزعات تعصب الجاهلية ، محفوفة من نزعات الأهواء السياسية ، لأن مدونها يجب لذاتها ولا يخاف في تقريرها لومة لائم ويجب أن يكون المستعمل وسائر أهل الشرق على هدى وبصيرة فيما يأخذون ولما يتركون

(٧) أنه لا يفقه هذا الموضوع حتى يفقه الأمن كإن عارفاً تاريخ الشرق حق المعرفة خبيراً بأخلاق الناس فيه وعاداتهم وطبائع الأمم وأحوال الاجتماع وشؤون السياسة ونحن لا نكتب هذه المقارنة والموازنة لمثل هذا العالم الاجتماعي التحرير وإنما نكتبها للجمهور الذي لا يعرف من حال قومه وحال من يعيش معهم الاظواهر غرارة لا تنفذ بصيرة الى شيء مما وراءها وإن كان يوجد في أفراد من يظن أنه أحاط بما هناك لها ، وقتله فقهاً وظلماً .

من مسائل علم الاجتماع أن الأفراد والأمم المؤلفة منها تتبس من يخالطها ويجاورها ما يناسب استعدادها . فالأفغانيون لما كانوا أهل حرب وأولي قوة وبأس اقتبسوا من الأوربيين النظام العسكري وما ينبع من الاستعداد للحرب والكفاح ، والسوريون لما عرف من استعداد القديم للتجارة كان أول شيء استفادوه من الأوربيين فنون التجارة وطرقها الجديدة حتى بذوم في ذلك فقد كان معظم تجارة سوريا الكلية يبروت في أيدي الأجانب فقلبهم عليها من كانوا يخدمونهم من الأهالي حتى لم يبق لهم منها الاقلها ، والمصريون وهم أهل حرث وزرع قد استفادوا منهم في ترقية زراعتهم ما سبقوا به جميع الزراع في المشرق وكذلك يكون اقتباس

المضار على حسب الاستعداد فلا بد من تدبير هذه القاعدة الاجتماعية فيما نذكر من المقابلة والموازنة في الفصول الآتية

٢

نبتدى بذكر المنافع والقوائد التي استفدناها بمخالطة الاوربيين والاتصال بهم وفي اقتباس علومهم ومعرفة أحوالهم وشؤونهم فتمد منها ما يسبق الى الذهن انه الامم ونختار في سردنا معدودة لفظ القوائد فنقول

(الفائدة الاولى استقلال الفكر)

رأيت في يد أحد طلاب العلم جريدة جديدة وكنت تلميذاً في فرقته ورأيت يخطها ويدعي انه يقدر على انشاء جريدة خير منها فقلت له انني لا ادعي مثل هذه الدعوى فان كنت واثقاً مما تقول فاكذب لي بمقالة في موضوع اجتماعي أو سياسي مما تبحث في مثله الجرائد . قال اقترح قلت اكتب لي مقالة في الاستقلال فسكت ولم يرجع الي قول ولا كتب شيئاً عزمتم على ان اكتب شيئاً في استقلال الفكر ولم افرغ له الا بعد ثمانين ساعات لم تخطر في بالي فيها تلك الواقعة ولكن كانت أول ما سبق من الذهن الى القلم عند الكتابة وما أثبتنا عبثاً ولا فكاهة بل أردت أن أنبه القارئ الى جلال الموضوع الذي لا زال أجله من ذلك اليوم عسى ان يهبه من اتباهه ما يليق به لاسيما اذا كان يجب الاستقلال لنفسه ولا مته يكثر في الجرائد ذكر استقلال الامم والشعوب وقلما تذكر شيئاً في استقلال الافراد الذي هو اصل استقلال الجماعات الكبيرة التي تسمى اممًا وشعوباً

استقلال الآحاد نوعان استقلال الفكر واستقلال الارادة وهذان

النوعان هما الجناحان للانسان يطير بهما الى الكمال في العلم والعمل ويكون
حظه من النجاح على قدر حظه من قوتهما وحسن استعمالهما
استقلال الفكري يكون يلوغ العقل اشده وارتقائه الى مستوى رشده
فان العقل القاصر هو الذي يتبع مذهب التقليد في كل ما ياتي اليه كما نرى
من الاطفال ومن هم في حكم الاطفال من الرجال . فالمستقل في فكره هو
الذي يستعمل عقله في البحث عن الحق والصواب في معارفه والتمييز بين
النافع والضار من مصالحه أو مصالح امته عند ما يبحث فيها فلا يقبل من هذا
ولا ذاك قول من هو مثله الا اذا ظهر له انه الحق والصواب

ان الذي لا يعرف الحق والصواب بالنظر والاستدلال لا يعد عالماً
ولا سياسياً بل لا يعد عاقلاً لان ما يحفظه من اقوال الناس في الكتب
والجرائد أو في البيوت والمحافل لا يرفعه الى مرتبة العقلاء الذين يميزون
بين الاقوال بالدليل العقلي فان الاولاد المميزين يحفظون الاقوال مثله ولا
يعدون من العقلاء الا اذا اريد بالعاقل من ليس مجنوناً يجب ان يـاق الى
البيارستان أو مستشفى المجاذيب فان هذا الاصطلاح يسمع لنا ان نطلق لقب
العاقل على الامعة الذي لا رأي له وانما يتابع كل واحد على رأيه لاسيما
اذا لم يكن متها عنده بعداوته له لسبب من اسباب التهم

استقلال الفكر طبعي في البشر كما ان ضده وهو التقليد طبعي
فيهم فاما التقليد فهو طبعي في الراشدين ولولا ذلك لما ارتقوا في علم ولا عمل
ولسا جميعهم على ما كان عليه أول واحد منهم فكانوا كالبهائم متساوين
في علمهم وعملهم « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون »
لو ترك الناس وفطرتهم لأعطوا طورا القصور حقه وطورا الرشدة حقه

ولكان معظم الأفراد الذين بلغوا أشدهم مستقلين في أفكارهم مستقلين على آرائهم ولكانت أعمالهم على حسب أفكارهم. لاستقلال آرائهم المبرر عنه بالحرية الشخصية في عرف هذا العصر ولكن الرؤساء المسيطرين قد تصرفوا في القطرة تصرفاً ذهب بالاستقلال الذي لا يتفق مع الاستبداد . ولذلك ترى أهل البداوة أقرب الى الاستقلال من أهل الحضارة المحكومين بسلطة استبدادية

الحضارة كمال بشري وآفته الاستبداد، الذي يحول دون ما تقتضيه الحضارة من كمال الأفراد ، لبعثه باستقلالهم وسيطرته عليهم في علومهم وأعمالهم ، التعليم في البلاد التي تساس بالاستبداد يكون مبنياً على التقليد بطبع الحكومة لان الذين يرفون الحقائق لا يرضون أن يتحكم في مجموعهم واحد منهم ارادته حكم وهواه شريعة وقانون ، فاستقلال الأفكار حرب لحكم الاستبداد وكثيراً ما كانت هذه الحرب سجالاً والمقاومة للمستقلين. الشرق اعرق في التقليد من الغرب فهو اعرق في الاستبداد ايضاً وقد ظهر الاسلام في الشرق وهو يرسف كالعرب في قيود التقليد ويشط من وزر الاستبداد الثقيل فكسر القيود ووضع الاوزار ولكن عاد الاستبداد الى المسلمين بعد اقل من نصف قرن فكان كلباً قوي يقوى التقليد ويضعف الاستقلال حتى زال من مجموع الامة وصار الافراد المستقلون فيها كالغرباء لا ولي لهم ولا نصير

قاست أوروبا من بلاء الاستبداد أكثر مما قاست ممالك الشرق وحلكت ظلمات التقليد فيها أكثر مما حلكت في غيرها ولكن ما عنت ان تضاهيها قيس من علوم حرب الاندلس وغيرهم فوجد فيها من عرف

قيمته، رافضى في استعماله عزمته، حتى صار ضياء ساطعا، وزورا في تلك الآفاق لامعا، وجاءت ساعة المشرق، بطلوع الشمس من المغرب، جاهدت أوروبا أفضل الجهاد في سبيل استقلال الفكر والارادة حتى ظفرت باعدائهما من رجال الدين، والملوك المستبدين، وجعلت كلمة الدليل هي العليا، وكلمة التقليد هي السفلى، جمعت بين عزة البداوة، وعحاسن الحضارة، فارتقت فيها العلوم والاعمال، الى درجة لم تعد في جيل من الاجيال، من حيث رجع الشرق القهقرى «وغدا يقدمه الزمان الى ورا» ما كان العلم ليدع الجبل على ما هو عليه حتى يحكم فيه حكمه، ويوقع على أهله عدله أو ظلمه، اندفعت أوروبا الى الشرق مستعمرة للارض، وأوداعية الى الدين، او طالبة للكسب، فامتزج أهلها بأهله، ووصلوا جيلها بجيله، بما أنشأوا من المدارس، وما قلدوا من الاعمال والوظائف، فطلق أهل الشرق يتعلمون على الطريقة الاوربية طريقة البحث والاستدلال، والاستنباط والاستنتاج، وانشأوا يستشعرون نسيم الاستقلال، ويتوجهون الى طلب الكمال،

فهذه فائدة كبرى قد استفدناها من الاوربيين ينبغي أن نشكرها لهم ونحمد لاجلها مرفقهم . وليس للمسلم ان ينكر ذلك محتجا بأن القرآن الحكيم قد أُرشد الى هدم التقليد وقام على اساس الاستقلال في الاستدلال فان هذا وان كان حقا يعترف به المنصف من علماء أوروبا لما يكن هو المنبه في هذا المصر للشرق عامة وللمسلمين خاصة ودليلنا على هذا ان رجال الدين منا لا يزنون في الاكثر اسرى التقليد واعداء الاستقلال، فيجب ان تصف من انفسنا، ونشكر لمن نهنا الى مصلحتنا،

الجامعة الإسلامية

تكلم اللورد كرومر في تقريره الأخير عن الجامعة الإسلامية كلاماً يؤيد الذين أظهروا نقطة المسلمين في غير شكلها فرائداً أن نشر ما كتبه الاستاذ الامام عن ذلك في رده الثاني على موسيو هانوتو وهو لم ينشر في الرسائل المتداولة ناقلين ذلك عن الجزء الثاني من تاريخه قال رحمه الله

شأن المسلمين اليوم وظهور دعوة فهم الى توحيد كلمة المسلمين وجمع السلطة الدينية والسياسية في شخص واحد في جميع البلاد الإسلامية
أو كما لمسيو هانوتو ان هذه الدعوة لم يوجد لها أثر الى اليوم في بلد من بلاد المسلمين ولو خطأ خطوة الى معرفة أحوالهم على ما هي عليه لما خطر بباله ان يشير الى هذه الدعوة فضلاً عن أن يبني عليها حكماً وان ما علق بالاوهام منها قائماً منقوشاً سوء فهم بعض مسيحي الشرق ثم انكس ذلك في اذهان سياسي المغرب وقد يكون لسوء نية بعضهم مدخل في تعظيم ماتوم فيها

ورائي أعرض الحقيقة كما هي لا يشأها ستر من تمويه ولا غطاء من تليس، وأرجو ان يكون في هذا البيان ما يفتح مسيو هانوتو بحسن مقاصد المسلمين اليوم في كلامهم عن الدين وما يرد أمثال صاحب الجريدة التي نشرت حديث (١) الى رشد من حتى يتقوا الله في أنفسهم وأهل بلادهم ولا يتخذ بعضهم من السلم حرباً ولا من السكون شغباً لا أنكر أن طائفاً من الدين طاف في هذه السنين الأخيرة يقول بعض المسلمين في أقطار مختلفة من الأرض وان نسمة من نفس الرحمن مرت بأفئس قليل من أهل الفضل فيهم فحركت ساكنهم، وأثارت همهم، الى النظر فيما كان عليه أهل هذا الدين، وفيما صاروا اليه، وان منهم من يتكلم بما يرى اذا وجد سبيلاً الى الكلام ومنهم من ينشر رأيه في كتاب أو جريدة اذا تهيأت له الوسائل

(١) يعني بالجريدة الاهرام وكان صاحبها نشر فيها حديثاً دار بينه وبين هانوتو بعد الرد الأول عليه وما نشره هنا هو من الزد على هذا الحديث

ذلك . ثم يوجد مقلدون لمولانا يقولون مالا يعلمون، ويهرفون بما لا يعرفون ، ولا كلام لنا في هذر المقلدين ، وإنما كلامنا فيما يرمي اليه غرض أولئك الناظرين

ظهر الاسلام لاروحيا مجردا ، ولا جسديا جامدا ، بل انسانيا وسطا بين ذلك أخذ من كل من القبيلين بنصيب فتوفر له من ملائمة الفطرة البشرية ما لم يتوفر لغيره ولذلك سعى نفسه دين الفطرة وعرفه ذلك خصومه اليوم وعدوه المدرسة الاولى التي يرقى فيها البرابرة على سلم المدنية . ثم لم يكن من اصوله « أن يدع ما لقيصر لقيصر » بل كان من شأنه أن يحاسب قيصر على ماله ويأخذ على يده في عمله . جاء هذا الدين على الوجه الذي ذكرناه في ضالا ، وألان قاسيا، وهذب خشنا ، وعلم جاهلا ونبيه خائلا ، وأثار الى العمل كسلا ، وأقذر عليه وكلاء ، وأصلح من الخلق فاسدا ، وروج من الفضيلة كاسدا ، ثم جمع متفرقا ، ورأب منصدعا ، وأصلح مختلا ، ومحا ظملا ، وأقام عدلا ، وجدد شرعا ، ومكن للام التي دخلت فيه نظاما ، امتازت به عن سواها ممن لم يدخل فيه ، فكان الدين بذلك عند أهله كالا للشخص وألفة في البيت ونظاما لذلك . وظهرت به آثار النعمة عليهم في جميع شؤونهم ولم يفت العلم حظ من عنايته بل كان قائده في جميع وجوه سيره . فان شاء قائل ان يقول ان الدين لم يعلمهم التجارة ولا الصناعة ولا تفصيل سياسة الملك ولا طرق المعيشة في البيت لم يسمع أن ينكر أنه أوجب عليهم السعي الى ما يقيمون به حياتهم الشخصية والاجتماعية وأوجب عليهم ان يحسنوا فيه وأباح لهم الملك وفرض عليهم ان يحسنوا الملكة وما غنك بدين يقول خليفته الثاني وهو في المدينة من بلاد العرب « لو ان سخله بوادي الفرات أخذها الذئب لسئل عنها عمر » ويقول خليفته الرابع « أقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركم في مكاره الدهر ، أوأ كون أسوة لهم في جشوبة العيش ؟ » أي خشوته يريد بذلك أن يساوي المساكين في العيش ليكون قدوة الاغنياء في الاحسان وأسوة الفقراء في حسن الصبر

هكذا كان الاسلام مهمازا للمسلمين يحثهم الى جلائل الاعمال ، ومصباحا لبصائرهم يسترشدون به في استغراق الاحوال ، وتقويم الافكار وعاطفنا به عطف قلوبهم على الامم بالغو والمرحمة وحسن المعاملة حتى رضيتهم الارض سادة لها

وقادة لسكانها وكان من أمرهم وأمره ما هو معلوم
أفبعد هذا يعجب عاقل اذا رأى المسلم يرضى ما رضىه هذا المرشد الحكيم
ويقت ما مقته؟ أيدعشه ان يرى المسلم يهزأ بكل ما لم يعتقه سائفا في دينه وان كان
فيه ملك الارض أو ملكوت السموات بعد ما شهد المسلم من أثر نعمة الله عليه في
هذا الدين ماشهد؟ لا عجب في ذلك فانه نتيجة ضرورية ينساق اليها الامر بنفسه
بحكم سنة الله في خلقه

وأسفا !! لم يبق للمسلم من الدين الا هذه الثقة فيه اما الدين نفسه فقد انقلب
في عقل المسلم وضعه، وتغير في مداركه طبعه، وتبدلت في فهمه حقيقته، وانطلست
في نظره طريقته، وحق فيه قول علي كرم الله وجهه « ان هؤلاء القوم قد لبسوا
الدين كما لبس الفرو مقلوبا »

لأبحث اليوم في الاسباب التي وصلت بالدين في نفس المسلم الى ما ذكرت
ولكن أقول ولا أخشى منكرها لما أقول : قد دخل على المسلم في دينه ما ليس
منه ، وتسرب في عقائده من حيث لا يشعر ما لا يتصل بأصلها بل ما يهدم قواعدها
ويأتي على أساسها . عرضت البدع في العقائد والاحمال ، وحلت محل الاعتقاد
الصحيح ، وأخذت مكان الشرع القويم ، وظهرت آثارها في أحواله ، وعم شؤنها
جميع أحواله

ان صح لفظ الحديث « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » أولم
يصح فالقرآن يؤيد معناه ، وعمل الأولين من المسلمين يحقق صحة ما حواه ، فالرجل
والمرأة سواء في الخطاب التكليفي ، وكأنا سواء في علم ما يجب عليهما من فرائض
الاسلام ، وخصال الإيمان ، وفي طلب العلم بما يلزم لصلاح معادهما ومعاشهما وبما
يحسن به المعاملة مع من يتصل بهما قرب أو بعد على تفصيل معروف في كتاب الله
وسنة رسوله وعمل الصالحين من بعده حتى لم يبق باب من أبواب العلم الا دخل
منه بقدر الاستطاعة وما يسمح الزمان . ضل المسلم بعد ذلك في معنى العلم فظن الرجل
ان غاية ما يفرضه الدين منه معرفة فرائض الوضوء والصلاة والصوم في صورة
أحواله اماما يمتثل بسره الاخلاص فيها ووسيلة قبولها عند الله فذلك عمالا يخطئه

يأل الا القليل النادر اما آداب الدين وتهذيب الروح واستكمال الحصول الجلية
مما سجد الاسلام غاية العبادات وثمره الاعمال الصالحات فهو مع أنه أمة علوم
الدين عمالا تتوجه اليه عزيمة ، ولا تنصرف نحوه ارادة ، اللهم الا من أشخاص قلائل
مشغورين في أطراف الارض لا ترقى بهم أمة ، ولا تسمو بهم كلمة امان ينقطعون
لطلب العلوم ليحصلوا جملة منها فقد انقسموا الى فريقين

الاول من يظن أنه وارث علوم الدين والقائم بحفظها وقد قل افراده في
معظم البلاد الاسلامية ولم يبق منه الا رسوم لا يكاد يدركها نظر الناظر والمشتغلون
منهم في بعض البلاد كصر والاسنانة فأنما حظ الذكي منهم وقليل ما هو ان
ينظر في كتب مخصوصة عينها له الزمان وضمف المرفان ويفهمها بمعنى أن يثق
بأن هذا اللفظ دال على ذلك المعنى ومنى ثم له ذلك فقد استكمل العلم سواء سلم
له عقله ودينه وأدبه بعد ذلك أم لم يسلم فكان مثله مثل من ورث سلاحا فكان
همه أن ينظر اليه ويملا عينه منه ولا يبعد يده اليه يستعمله أو يزيل الصدأ عنه
فلا يلبث أن يأكله الصدأ ويفسده الخبث ويزعمون ان الدين يصد هما وراء ما
عرفوا من العلوم النافعة ومن رأي هؤلاء أن لاشأن لهم مع العامة ولا يجب عليهم أن
يأخروا بمعروف ولا ان ينهوا عن منكر وقد ارتكبوا بذلك خطأ في فهم دينهم لا
يساويه في سوء عاقبته خطأ ولكنهم بل الاغلب من سوء الفهم في الدين
مما لا حاجة الي عده ولا يخفى ان ما يحصله هذا الفريق في العلم لا يظهر له ادني أثر
في صلاح الامة كما هو مشهود

والفريق الثاني من يهبوا أولياؤه لنيل منصب من مناصب الحكومة عال
اوساغل وافراد هذا الفريق ان كثيروا أو قلوا يحصلون مبادي العلوم المعروفة
بالعلوم العصرية ثم يحصل كل واحد ما به ينال المنصب الذي يمه له والده على
أن ما يحصل اما لفظ يحفظ أو خيال مخزن والمدار على الوصول إلى ورقة الشهادة
ومن هؤلاء من يذهبون الى أوروبا لاستعمال انترية فيها ولا غاية لهم سوى هذه
الغاية فمن أصاب منهم بعد ذلك وظيفة قنع بها وحصر همه على العمل فيها ومن
لم يجد وقف على الابواب ينتظرها فإذا مل الانتظار أو نقصي زمن العمل وجذته

في همة أو ملهى يسرف في أوقاته ويفسد في أدواته والصالحون منهم وقليل ما هم
لا يهتم شأن العامة شقيت أوسعدت هلكت أوقامت فاي أثر لها نطله هو لاه
يظهر في الامة وأسني منهم شواذ في كل بلد على ضعفهم يرجى ان ينمو عددهم
ونجنى الامم ثمار أعمالهم . هذا شأن الرجال مع العلم

أما النساء فقد ضرب ينهن وبين العلم بما يجب عليهن في دينهن وأدبناهن
بستار لا يبرى متى يرفع ولا يخطر بالبال ان يعلن عقيدة أو يؤدين فريضة
سوى الصوم وما يحافظن عليه من الفقه فانما هو بحكم العادة وحارس الحياء وقليل
جدا من موروث الاعتقاد بالحلل والحرام وحشو أذهانهن الحرافات وملاك
أحاديثهن الترهات المهم الا قليلا منهن لا يستغرق الدقيقة عدهن وكل من الرجال
والنساء يد نفسه مسلما يندعها الجنة ويعتيا السعادة

أخطأ المسلم في فهم معنى التوكل والقدر فال الى الكسل وقد عن العمل
وكل الامر الى الحوادث تصرفه حينما تهب ريحها ويقن أنه بذلك يرضى به
وبراني رغائب دينه

أخطأ المسلم في فهم ما ورد في دينه من ان المسلمين خير الامم وان العزة
والقوة مقروتان بدينهم أبد الدهر فظن ان الخير ملازم لنوان المسلم وان رفعة
الشأن تابعة لفضله وان لم يتحقق شيء من معناه فان أصابته مصيبة أو حلت به
رزية تسلي بالقضاء وانتظر ما يأتي به الغيب بدون ان يتخذ وسيلة لدفع الطاريء
أو ينهض الى عمل ثلثي ما عرض من خلل ، أو مدافعة الحادث الجلل ، مخالفاني
ذلك كتاب الله وسنة نبيه

أخطأ المسلم في فهم معنى الطاعة لأولي الأمر بالاعتناء لا بما راعى فالق مقامه
الى الحاكم وكل الى التصرف في شؤونهم ثم أدبر عنه حتى ظن ان الحكومة
يمكنها القيام بشؤونهم جميعا من ادارة وسياسة بدون ان يكون لها من عون سوى
الضريبة التي تفرضها عليه ومن رأى حزن الآباء اذا طلب ابناؤهم لاداء الخدمة
المسكوية وما يبذلونه من السعي في تحلبصم منها حكم بان ما يعقله أكثر المسلمين
من معنى الحكومة لا يمكن انطباقه على شيء من أوليات العقل وعرف ان تثبتهم

بالحاكم قد بلغت الى حد التأليه من حيث غنوه قادرا على كل شيء بدون عون من أحد واقبلت تلك الثقة الى الادبار والتخلي عنه من حيث أنهم تركوه وشأنه لا يساعده في حادث ، ولا يعينونه في أمرهم ، اللهم الا اذا ارغموا على ذلك ومن ذا الذي يحسن عملا اذا ألجئ اليه بالرغم عنه ومن هنا انصرف المسلم عن النظر في الأمور العامة جملة وضف شعوره بحسنها وقبيحها اللهم الا ما عسى شخصه منها اما الحكماء وقد كانوا اقدر الناس على اقتياش الامة مما سقطت فيه فاصابهم من الجهل بما فرض عليهم في اداء وظائفهم ما اصاب الجمهور الاعظم من العامة ولم يفهموا من معنى الحكم الا تسخير الابدان لاهوائهم واذلال النفوس لحشونة سلطانهم وابتزاز الاموال لانفاقها في ارضاء شهواتهم لا يرعون في ذلك عدلا ، ولا يستشيرون كتابا ، ولا يقبضون سنة ، حتى افسدوا اخلاق الكافة بما حملوها على النفاق والكذب والنش والافتداء بهم في الظلم وما يتبع ذلك من الخصال التي ما نشت في أمة الاحل بها العذاب

هذا كله الى ما حدث من بدع أخرى من مذاهب شتى في العقائد ، وطرق متخافة في السلوك ، واراى متناقضة في الشرائع ، وتقليد أعمى في جميع ذلك ، فنفرقت المشارب ، وتوزعت المنازع ، وعظم سلطان الهوى على ارباب النزعات المختلفة ، كل يجذب الى نفسه ، لا ينظر الى حق ، ولا يفزع من باطل ، وانما همه ان يظفر بمخضه وذلك الخصم هو ما يدعوه أخاه في الاسلام في معرض التشديق بالكلام

وزد على ذلك وهذا اكبر بدعة عرضت على نفوس المسلمين في اعتقادهم وهي بدعة اليأس من انفسهم ودينهم وظنهم ان فساد العامة لا دواء له وان ما نزل بهم من الضر لا كاشف له وانه لا يمر عليهم يوم الا والثاني شر منه . مرض سرى في نفوسهم ، وعلة تمكن من قلوبهم ، لتوكمهم المقطوع به من كتاب ربهم وسنة نبيهم ، وتعلقهم بما لم يصح من الاخبار أو خطائهم في فهم ما صح منها وتلك علة من أشد العلل فسادا بالارواح والمقول وكفى في شاعتها قوله جل شأنه « انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون »

تبع هذه البدع جميعها واخري يطول ذكرها هزال في الهمم ، وضعف في

العزائم، وفساد في الاعمال ، يتندى من البيت وينتهي الى الامة ويعمر في كل طبقة ويجول في كل دائرة خصوصاً من دوائر الحكومات وما يرى به المسلمون من التمسك بالدين الالهى فانما عرض على اقوام في بعض البلاد الاسلامية تبعاً لهذه البدع الضالة على اني لا اسلم انهم يلقوا فيه ادنى درجته في الامم المسيحية شرقية كانت أو غربية والتاريخ شاهد لا يكذب

هذا ما^١ يب المسلمين في عقولهم وعزائمهم وأعمالهم بسبب ابتداهم في دينهم وخطائهم في فهم أصوله ، وجهلهم بأدنى أبوابه وفصوله ، لهذا سلب الله عليهم من يسلبهم نعمة لم يقوموا بشكرها وينزل بهم من عقوبة الكفران ما لا قبل لهم بدفعه الا اذا تداركهم الله بطفه وقد ابتلاهم عن يلقى بدينهم كل عيب ، وبقربه اذا ذكره بما يتبرأ منه، ويمده حجاباً بين الامة والمدنية ، بل يمده منبج شفافهم وسبب فناءهم

تدبر لذلك أفراد من عقلاء المسلمين في اواسط القرن الماضي من سني الهجرة في أقطار مختلفة من بلاد فارس والهند وبلاد العرب ثم في مصر وكل منهم بحث في الداء وقدر له الدواء بحسب فهمه على تقارب بينهم ولهم يلقون برؤسهم الأيام عند الغاية ان شاء الله

مقصد الجميع ينحصر في استعمال ثقة المسلم بدينه في تقويم شؤونه ويمكن ان يقال ان الغرض الذي يرمى اليه جميعهم انما هو تصحيح الاعتقاد وإزالة ما طرأ عليه من الخطأ في فهم نصوص الدين حتى اذا سلمت العقائد من البدع تبعها سلامة الاعمال من الخلل والاضطراب واستقامت أحوال الافراد واستضاءت بصائرهم بالعلوم الحقيقية الدينية ودنيوية وتهدبت أخلاقهم بالمسكات السليمة وسرى الإصلاح منهم الى الامة فاذا سمعت داعياً يدعو الى العلم بالدين فهذا مقصده ، أو متادياً يبحث على الترية الدينية فهذا غرضه ، أو صاحباً يشكر ما عليه المسلمون من المفاسد فلذلك غايته ، وهذه سبل لمريد الإصلاح في المسلمين لاندوحة عنها ، فان انبيائهم من طرق الأدب والحكمة العارية عن صبغة الدين يوجهه الى انشاء بناء جديد ليس عنده من مواد شي ولا يسئل عليه ان يهد

من محابه أحدا ، واذا كان الدين كافلا يهذب الاخلاق وصلاح الاعمال وحل
النفوس على طلب السعادة من أبوابها ولا يلهي من الثقة به ما يبتاه وهو حاضر لديهم
والعناء في ارجاعهم اليه أخف من احداث مالا لإمامهم به فلم يعدول عنه الى غيره !!
لم يخطر ببال أحد من يدعو الى الرجعة الى الدين سواء في مصر أو غيرها
ان يثير فتنة على الاوربيين أو غيرهم من الامم المجاورة للمسلمين غير ان بعض
المسيحيين اذا سمع قولاً في الدين أعرض عن فهمه ، وأثأ لنفسه غولاً من خياله ،
يخاف منه ويخشى غائلته ، يسيبه باسم الدين . وبعضهم يظن انه لو اتبعت المسلمون
الى شؤنهم ، ورجعوا الى الأخذ بالصحيح من دينهم ، لا اعتصموا بجماعتهم ، واستأنوا
على تقويم أودهم بأنفسهم ، واستنفوا عن أدخلوه في أعمالهم من غيرهم ، فيحرم
الكثير من المسيحيين تلك المنافع التي نالوها بفلتهم ، وهو سوء ظن من الزاعم
بنفسه فانه يظنه هذا يعتقد انه غاش مفرور ، وسالب متلصص ، وسوء ظن بالمسلمين
أيضاً فان أهل الوطن الواحد لا يستغني بعضهم عن بعض معها ارتقت معارفهم
وعظم اقتدارهم على الاعمال وغاية الامر أن ما كان ينال اليوم بدون حق يصبح
وهو لا ينال الا بحق والاجنبي الذي كان يتفق الواحد ويربح المنة يرجع الى
الاعتدال في الكسب ، ويحتاج الى شيء من التنبه في استيراد البضائع ، وقد كان
المسيحيون عاملين في الدول الإسلامية وهي في عنفوان قوتها ، والاجانب يطلبون
الكسب في ارجائها وهي في أرفع مقام من عزها

نعم يمرض في طريق الدعوة الى الدين على هذا الوجه أن يلتبس مسلم ببعض
معونة من مسلم آخر بسور يأو بالهند أو بالعجم أو بأفغانستان أو بغير هذه الاقطار
لان مرض الجميع واحد وهو البدعة في الدين فاذا نجح الدواء في موضع كان
السليم أسوة لمرريض في موضع آخر أما السمي في توحيد كلمة المسلمين وهم كما
هم فلم يمر بقل أحد منهم ولو دعا اليه داع لكان أجدر به ان يرسل الى
مستشفى المجانين

يكتب بعض أرباب الاقلام من المسلمين في حكمة الحج ويقول انه صلة
بين المسلمين في جميع اقطار الارض ومن أفضل الوسائل لتعاون بينهم فليهم

ان يستفيدوا منه وهو كلام حق لكن لا ينبغي أن يفهم على غير وجهه فإن الغرض منه ان يذكر المسلمون ما بينهم من جامعة الدين حتى يستعين بعضهم ببعض على اصلاح ما فسد من عقائدهم أو أصل من أعمالهم وفي مداخلة ما ينزل بهم من قحط أو غل أو بلاء وهو أمر معروف عند جميع الامم التي تدين بدين واحد خصوصاً عند الاوربيين.

يكثر المسلمون اليوم من ذكر الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد ويقولون آملمهم بهتة وكثير منهم يدعو الى عقد الولاء له وهذا أمر لا ينبغي ان يدهش أحداً فإن هذه الدولة هي أكبر دول الاسلام اليوم وسلطانها أفخم سلاطينهم ومنه يرجى انقاذ ما بين يديه من المسلمين لما حل بهم وهو أقدر الناس على اصلاح شؤونهم وعلى مساعدة الداعين الى تمحيص العقائد وتهذيب الاخلاق بالرجوع الى أصول الدين الطاهرة النقية نأى شئ في هذا يزعم أو يدعى حتى تتحد على هضم حقوق المسلمين اذا حدثت حوادث مثل الحوادث الماضية كما يقول موسيو هانوتو



بقي الكلام على جمع السلطة الدينية والسياسية في شخص واحد يقول فيه موسيو هانوتو ان أوزبالم تتقدم الا بعد ان فصلت السلطة الدينية من السلطة المدنية وهو كلام صحيح ولكنه لم يدرك ما معنى جمع السلطين في شخص عند المسلمين . لم يعرف المسلمون في عصر من الاعصر تلك السلطة الدينية التي كانت قباباً على الأمم المسيحية عند ما كان يرزل الملوك ويحرم الأمراء ويقرر الضرائب على الممالك ويضع لها القوانين الالهية وقد قررت الشريعة الاسلامية حقوقاً للمعصومين على الأعل وهو الخليفة أو السلطان ليست تقاضي صاحب السلطة الدينية وإنما السلطان مدبر البلاد بالسياسة الداخلية والمدافع عنها بالحرب أو السياسة الخارجية وأهل الدين قائمون بوظائفهم وليس له عليهم الا التولية والعزل ولا لهم عليه الا تنفيذ الأحكام بعد الحكم ورفع المظالم ان أمكن وهذه الدولة العثمانية قد وضعت في بلادها قوانين مدنية وشرعت نظاماً لطريقة الحكم وعدد الحاكمين وملكهم وسمحت بأن يكون في محاكمها أعضاء من المسيحيين وغيرهم من الملل التي

تحت رعايتها وكذلك حكومة مصر أنشئت فيها محاكم مختلطة ومحاكم أهلية بأمر الحاكم السيامي وشأن هذه المحاكم وقوانينها معلوم ولا دخل لشيء من ذلك في الدين فالسلطة المدنية هي صاحبة الكلمة الأولى كما يطلب مسيو هانوي ولكن مع ذلك لم يظهر نصها في صلاح حال المسلمين بل كان الأمر معكوساً فإن أمراءنا السابقين لو اعتبروا أنفسهم أمراء الذين لما استطاعوا المجاهرة بمخالفتهم في ارتكاب الظالم والمفالة في وضع المقارم والمبالغة في التبذير الذي جرواويل على بلاد المسلمين وأعدمها أعز شيء كان لديها وهو الاستقلال

ان فرنسا تسمي نفسها حامية الكاثوليك في الشرق وملكة انكلترا تلقب بملكة البروتستانت وأمبراطور روسيا ملك ورئيس كنيسة مما فلم لا يسمح للسلطان عبد الحميد ان يلقب بخليفة المسلمين أو أمير المؤمنين

لأظن ان مسيو هانوي يسيء الظن بدعوة دينية على الوجه الذي يبناه وأظنه يكون عوناً للمسلمين على تضيقها في البلاد الإسلامية الفرنسية اذا وجد فيها من يقوم بها وأنا أضمن له بعد ذلك ان تتفق مصالح المسلمين مع مصالح الفرنسيين فان المسلمين اذا تهذب اخلاقهم بالدين سابقوا الاوربيين في اكتساب العلوم وبمصيل المعارف ولحقوا بهم في التقدم وعند ذلك يسهل الاتفاق معهم ان شاء الله

٣

« سوء ظن المسلمين بسياسة أوروبا كلها وعدم ثقة سياسهم بدولة من الدول واعتقاد المسلمين بأن مصلحة أوروبا المسيحية تخالف مصالحهم الإسلامية وعدم اطمئنانهم الى سياسة الدول المسيحية حتى أدى بهم فقدان الثقة بالمسيحيين الى ان لا يأمنوا مسيحياً عثمانياً ولو أخلص لهم الخدمة وصدق معهم » سمع بذلك كله مسيو هانوي ومن صاحب الجريدة المعروفة ومن بعض الثمانيين في الاستانة وباريس ثم أخذ يبرهن على أن سياسة أوروبا اقتصادية ملكية لادينية لاهوتية

لأدري من هم المسلمون الذين وصفهم مسيو هانوي ومن أبلغه اخبارهم أم الهنود وهم في حكم دولة أجنبية ولا يزال نرى في خطبهم وجرائدهم ما يدل على طاعتهم لحكاهم وتطبيقهم الآمال بعد لهم والتماسهم الحق من طرفه

هل هم مسلمو روسيا وثقتهم بحكومتهم وثقة حكومتهم بهم لا تخفى على أحد حتى ان الدولة الروسية تفضلهم على المسيحيين من غير المذهب الارثوذكسي هل هم الافغانيون واخلاص أميرهم في مصافاة الانكليز أشهر من أن يذكر ولا ينبغي اخلاصه حرصه على بلاده ومحافظة على مصلحتها

هل هم الفرس واستناشتم الى السياسة الروسية لايجهلها أحد ؟

هل هم المراكشيون وهم بمحول عن كل مايسى سياسة بل هم في غفلة عن الدين والدنيا جميعا شغل بعضهم بعض فلا ينفكون يتقاتلون ويسالبون حتى يقضي الله فيهم بقضائه

هل هم التونسيون وقد أثنى عليهم موسيوهاوتو بما هم أهله وثبت له ارتياحهم الى السلطة الفرنسية لمجرد ما أطلقت لهم الحرية في دينهم

لعله لم يقصد الالعثمانيين كما يدل عليه بقية كلامه وكما يفيد قوله ان لا يأمنوا مسيحيا عثمانيا والعثمانيون منهم المصريون ومنهم غيرهم فاما المصريون فلا شيء عندهم يدل على عدم الثقة بالاوربيين وبالمسيحيين العثمانيين فانهم يشاركون في العمل مواطنهم من الاقباط في جميع مصالح الحكومة ماعدا الحاكم الشرعية الخاصة بالمسلمين وهم معهم على غاية الوفاق خصوصا أهل الاخلاص وسلامة النية منهم ولكل من الفريقين اصدقاء وأحبة في الفريق الآخر ثم شأنهم هو ذلك الشأن مع سائر الطوائف المسيحية الامن ظهر منهم بالنعصب البارد للدين وآذام في دينهم أوفي منافعهم الخاصة بهم لا شيء سوى التعصب الاعمى ولا نطلب على ذلك شاهدا اقرب من صاحب الجريدة الذي يحدّثه موسيوهاوتو إنه بعد أن كان على المسلمين أثناء الحرب الروسية العثمانية وبعد ان أتى ما أتى عقب الحوادث العارية شهد له المسلمون بأنه صديقهم والساعي في خيرهم كما اقتنر بذلك مرارا في حديثه وان كانت له اليهم هتات لا تزال تبدو من فيه الى وقت ذلك الحديث فأين فقد هذه الثقة بالعثمانيين المسيحيين في مصر ؟ هل طرد أحد من خدمة الحكومة لانه مسيحي عثماني ؟ هل حرم أحد حق الحماية أو انشاء الجرائد أو المطابع أو اقامة المصانع أو تأسيس البيوت التجارية لانه مسيحي عثماني ؟ فليأت صاحبنا بشاهد واحد

أما حالهم مع الاروبيين فاننا نراهم اذا أحسوا بحدل من انكليزي ذكره ،
أوصل اليهم معروف من أي عامل أوربي شكره ، بل ازيدك على هذا ان
الستيفت منهم بالحكومة يطلب منها ان يتولى تحقيق مظلمته انكليزي كما شوهده
ذلك كثيراً في شكاياتهم وليس بقليل من يعرض شكواه على جناب اللورد كرومر
وهو ليس بمحكم رسمي فأى دليل على الثقة أكبر من هذا

ليس بقليل في مصر من يثق بالفرنساويين ومن له بينهم اصدقاء يركن اليهم
ويتمد بولائهم وموسيو هانتو وصاحب الجريدة يعرفان ذلك

كثيرا ما أغرى الاروبيون من فرنساويين وأمريكيين من أبواب المدارس
في مصر شبانا من المسلمين بالمروق من دينهم والدخول في الديانة المسيحية وفروا
بعضهم من القطر المصري الى البلاد الاجنبية وأحرقوا كبدوا والديه ومع ذلك لانزال
نرى المسلمين يرسلون أولادهم الى مدارسهم ونظر المعارف عندنا وزير مسلم وأولاده
يتربون في مدارس الجزويت وكثير من أبناء الاعيان في مدارس الفرير فأى اتمان
فوق هذا الاثنان

زادت ثقة المصريين من المسلمين بالاروبيين خصوصا في المعاملات حتى أساء
أولئك الاروبيون استعمالها واتهزوا فرصتها وسلبوا كثيرا من أهل الثروة ما كان
بأيديهم ومع ذلك فهم لا يزالون يأمنونهم ويقالون في الاستقامة اليهم ويقبلونهم
فيا بخالف دينهم وعوائدهم فاذا يطلب من الثقة فوق هذا !!

هل يشكو عقلاء المسلمين في مصر من شيء مثل ما يشكون من الثقة العمياء
بالاجني من غير تمييز فيها هو عليه من اخلاص أو غش من صدق أو كذب من
أمانة أو خيانة من قناعة أو طمع حتى آل الامر بالناس الى ما آلوا اليه من خسارة
المال وسوء الحال فهل هذا هو فقد الثقة بالاروبيين والعثمانيين المسيحيين الذي
يعنيه حضرة صاحب الجريدة وجناب موسيو هانتو ؟

وأما العثمانيون من غير المصريين فاذا ارتقينا الى الدولة وسلطانها أيده الله
وجدنا أن نظام الدولة قاض باستعمال المسيحيين في ادارتها ومحاكمها في كل بلد
فيه مسيحيون ، والمأمورون من المسيحيين يقالون من النياشين والرتب ما يتاله المسلمون

على نسبة عدد دم أوفوق ذلك وكثير من المسيحيين نالوا من الامتيازات والمنافع في الدولة ما لم ينله مسلم وسفارات الدولة ومناصبها العالية لا تخطو من المسيحيين . اقبال السلطان على رؤساء الطوائف المسيحية وانعامه عليهم بوسامات الشرف واختصاصه لبعضهم بشرف المثول في حضرته والاحسان اليه برقيق المحاطبة لا ينقطع ذكره من الجرائد ، صاحب الجريدة التي نقلت الحديث أمثل شاهد على مثل ذلك فقد جاهر زمنا ليس بالقصير بما لا رضى الدولة بمثله ولا بأقل منه من مسلم ثم سهل عليه وهو مسيحي ان يكون موضع ثقة للجناب السلطاني حتى أدناه منه وقبله في مجلسه وسمع منه أمير المؤمنين تلك النصيحة المفيدة التي نشرها في جريدته من نحو شهرين أثر هبوبه لنصرة مسيو هانوتو ثم والى عليه احسانه بالربن والتياشين وغيرها فما هي الثقة ان كان هذا قدما ؟

أما سياسة الدولة الخارجية فالفرنساويون يشكون من مصافة السلطان وثقته بدولة المانيا وهي دولة مسيحية ولا أعظم يشكون من ثقة أخرى بدولة اسلامية وكانت للدولة ثقة لا تنزعزع بالسياسة الانكليزية ثم حدثت حوادث أهمها نشأ من ضعف سياسة موسيو غلاستون فأعقبها اضطراب في تلك الثقة مدة من الزمان يحكم الضرورة ثم انا تراها اليوم تراجع وفي رجال الدولة من لهم ثقة بصدقة روسيا ويودون لومات إليها سياسة الدولة وهم مسلمون

والذي أحب أن يعرفه موسيو هانوتو ان سياسة الدولة العثمانية مع الدول الاوربية ليست بسياسة دينية ولم تكن قط دينية من يوم نشأتها الى اليوم وانما كانت في سابق الأيام دولة فتح وغلبة وفي آخرها دولة سياسة ومدافعة ولا دخل للدين في شيء من معاملاتها مع الامم الاوربية

امبراطور المانيا جاء الى سور بالاحتفال بفتح كنيسة فبالغ السلطان في الاحتفال به الى الحد الذي اشتهر به . يجي الامراء المسيحيون من الأوربيين الى الاساتنة فيلاقون من الاحتفال مالا يلاقونه في بلاد مسيحية وينفق في تعظيم شأنهم من المال ما المسلمون في حاجة اليه أليس ذلك لمجايلتهم واكتساب مودتهم ؟ وهل بعد المودة الا الثقة بصاحب المودة ؟ كان يمكن للسلطان ان يكتفي بالرسميات ولا يزيد

عليها ولكن عهدى ممالكها فوق الرسمى بدرجات فان سلطان سياسة أور باليست
بدينية من جميع وجوها قباية الدولة العثمانية مع أور باهى كذلك ومسلوها تبع لها
فان قال قائل : ان حوادث الارمن لم تزل في ذاكرة أهل الوقت وفسيون
وقامها الى التعصب الدينى بل يقولون ان أسبابها مظالم جر اليها ذلك التعصب ؛
أمكن ان يجاب بأن الداو مع طائفة مخصوصة لا تدل على فقد الثقة بكل مسيحي منها
ومن غيرها ومع ذلك فان كثيرا من الارمن في خدمة الدولة الى اليوم وهم بذلك موضع
ثقتنا وهذا وذلك يدل على الريب فيها يزعمون من ان منشأ تلك الوقائع التعصب
الدينى فان المسيحيين سواهم في الممالك العثمانية انهم حالا من المسلمين كما شاهدناه
بانفسنا ولما أنصف الاوربيون لأمكنهم فهم أسباب هذا الاضطراب الذي يظهر زمنا
بعد زمن في تلك الاقطار ولعل عليهم ان يعرفوا ان منبه في أور بالى في آسيا

لايت على أن أقول ان المسيحيين في الممالك العثمانية متنوع بنوع من الحرية
في التعليم والثرية وسائر وجوه الخير يتمنى المسلمون ان يساووهم فيه بل هذا عنوان
سوء الظن بالمسيحيين وعدم الثقة بهم ؛ لا يلقى بكاتب مثل صاحب الجريدة ان
يروي عن المسلمين كافة مثل ما رواه فان ذلك مما يحزن المسلمين والمسيحيين جميعا
وأني اعتقد انه عند الكلام على المسلمين لم يكن في ذهنه الا بعض أشخاص لم تعجبه
آراؤهم فيه فاستحضر في صورهم جميع المسلمين وسياسيهم

ليعلم موسيو هانوف ان جميع ما يقال له أو يكتبه بعض العثمانيين لاحقيقة له الا
في ذهن القائل أو الكاتب فلا ينبغي ان يعول على مثله في أحكامه وعليه ان يحقق
الأمر بنفسه ان كان يهه ان يتكلم فيه

وأما ان المسلمين أخذوا عليه فيما كتب عن الاسلام مع انه خدمهم وقوله
فكيف بالمسلم مع من لم يخدمهم فنيين له الوجه فيه ليزول عنه ماسبق الى فهمه ؛ لو اقتصر
على الكلام في السياسة وبحث في علاقة المسلمين مع حكومتهم ولم يسط على الدين
نفسه في أصليين من أهم أصوله لما أخذ عليه أحد الامن ينتقد رأيه من جهة ما هو
صحيح أو غير صحيح ولكنه لم يكتف بذلك وطعن في عقيدة التوحيد وبين رداة
أثره في المسلمين واستل سلاحه على عقيدة القدر وبين سوء ما عبرت اليه فيهم وهو بذلك

يثبت ان المسلمين لا يزالون منحنين ماداموا مسلمين وهو مالا يرضاه أحد منهم لومال على المسلمين فيما هم عليه اليوم وفي انحرافهم عن أصول دينهم واكتفي بتعنيفهم على اهمالهم لشؤونهم وغفلتهم عن مصالحهم كما جاء في حديثه الذي نحن بصده لما وجد من المسلمين إلا معتبرا بقوله متعظاً بنصيحته والسلام



﴿ قول اللورد كرومر في الجامعة الاسلامية والشرعية ﴾

(مأخوذ من ترجمة ادارة للمقطع لتقريره الاخير عن سنة ١٩٠٦)

اذ قلنا ان الحركة الوطنية المصرية الحالية ليست الاحركة الى الجامعة الاسلامية لم يطابق قولنا الواقع من كل وجه ولكن لاريب في كون هذه الحركة مصبغة صبغاً شديداً بصبغة الجامعة الاسلامية . وهذا الامر كان معلوماً عندي منذ زمان طويل وقد علمه كثيرون من الاوربيين الآن كما يظهر مما يرد في الجرائد المحلية ولكن علمهم به ابطأ كثيراً . ويسهل علي ايراد كثير من الشواهد والادلة على صحة هذا القول اذا اقتضى الامر ايرادها (١) ولكن أقول الآن ان المواقف التي حدثت في الصنف الماضي انما كشفت عنصراً جديداً من عناصر الحالة المصرية . لانه ولو سلم الانسان بما لاريب في صحته وهو ان الدين أعظم قوة محركة في الشرق (٢) وان الشرقيين لا يحلوا لهم حكومة كالحكومة التيوقراطية (٣)

(١) اشير هنا الى كتاب ورد عليّ في الربيع خالياً من الامضاء ونشر في ورقة من الاوراق التي عرضت على البرلمان فقد ارتاب بعضهم في صحته ولكن لاريب عندي في ذلك على الاطلاق وقد استغربت شدة اهتمام الناس بامره وخصوصاً في بلاد الانكليز فاني ما رسلته الى لندن الا على سبيل المثال لا فكلار ومعان ألفتها منذ زمان طويل ولم يبق عندي ريب في وجودها ولكنها مفرغ في عبارات ابلغ من المعتادة (٢) أقصد بالشرق البلاد الشرقية التي لم يعرف بها لا الصين واليابان (٣) ايراد بالحكومة التيوقراطية الحكومة التي يستند اتباعها ان الله هو الحاكم الأصلي فيها وان سننها وشرائعها هي اوامره ومناهيه لاسنن البشر وشرائعهم وان العلماء ورجال الدين هم خدمة الله ومأموروه فيها (الترجمة)

قد كان يجوز له مع ذلك ان ينتظر ان تذكر المصريين لما أصابهم في الماضي واعتبارهم لتقدم بلادهم في الثروة واليسر في الحال تقدما عظيما جدا بالنسبة الى ما جاوروه من الولايات الثمانية بحلولان دون نحو الجامعة الاسلامية في بلادهم اكثر مما حالا في الظاهر وانما قلت «في الظاهر» لاني وغما عن كل الظواهر لا ازال غير مقتنع بأن الميل الى الجامعة الاسلامية متأصل كثيرا في الهيئة الاجتماعية المصرية بل اني واثق انه لو كان المصريون يستقدون امكان اخراج الآراء المتعلقة بتلك الجامعة من القوة الى الفعل لا قلب الرأي العام عليها انقلابا عظيما سرى بها ومها يكن من ذلك فقد اتضح ان الجامعة الاسلامية عنصر من عناصر الحالة

المصرية التي يجب حفظها في البال فلذلك يحسن بنا فهم المقصود منها المقصود من الجامعة الاسلامية اُبوجه الاجمال اجتماع المسلمين في العالم كله على تعدي قوات الدول المسيحية ومقاومتها فاذا نظر اليها من هذا الوجه وجب على كل الامم الاوربية التي لها مصالح سياسية في الشرق ان تراقب هذه الحركة مراقبة دقيقة لانها يمكن ان تؤدي الى حوادث متفرقة تضرهم فيها نيران التصصب الديني في جهات مختلفة من العالم . وقد أوشكت هذه النيران ان تضطرم بمصر في الربيع الماضي . اني ارى قوما يقولون ان القلق الذي جرت الاشارة إليه في مجلس النواب في الصيف الماضي كان وهميا فانا لا واقفهم على هذا القول مطلقا لان طبع الطبقات الدينية من اهل مصر ولا سياسكان المدن متقلب كثيرا . فهاجوا من قراءة المقالات التي كانت تصدر في الجرائد الاسلامية طائفة بالاغراء والكذب هيجانا شديدا دفعة واحدة وسكنوا دفعة واحدة كذلك عند ما لم يدت عساكر جيش الاحتلال ولطفت الجرائد الاسلامية لمجتها بتشديد العقلاء من اهل بلادها النكبر عليها . ولكن لا ريب عندي ان البلاد كانت عرضة لخطر حقيقي برهة من الزمن فقد جاءني اخبار وثقاري عديدة عن تهديد المسيحيين والاوربيين . ثم ان الاخبار القامضة المهمة التي تشيع قبل حدوث الفتن والقلاقل في الشرق عادة شاعت شيوعا يستحق الاعتبار حتى تولى العرب الاوربيين الساكنين في القطر فجمعوا يتقاطرون من القرى الى المدن ولم يعترهم هذا الرعب لغير سبب معقول فقد شرحت في تقريري عن

سنة ١٩٠٥ (وجه ١٧ - ١٩) ما جرى في الاسكندرية او اخر سنة ١٩٠٥ حين افضى وقوع الحصار اتفاقا بين رجلين يونانيين الى شغب عظيم لم يلبث ان انقلب هيجانا على المسيحيين . فلو اتفق حدوث حادثة من هذا القبيل في ابان الهيجان الذي حصل بسبب حادثة الحدود بين تركيا ومصر - وحدوثها لم يكن امرا بيضا - لا يمكن بل ترجيح انها كانت تفضي الى عواقب وخيمة

اما ما يقوله قوم آخرون من ان ذلك القلق آتى عن سياسة الحكومتين البريطانية والمصرية في امور مصر الداخلية فخال من كل أثر الصحة لان القلق كله وليس بعضه فقط نتج عن تصديق خلق كثير من الاهالي الذين كانوا تحت تأثير الجامعة الاسلامية لما كان يقال لهم من ان ما كان يجري حينئذ انما كان يقصده التمدي على رأس الديانة الاسلامية

ولنعد الى ما كنا عليه فاقول : اني ان كنت لا اصدق أن الجامعة الاسلامية تنتج غير اضطراب نيران التمصب في امكنة متفرقة كما سبقت اليه الاشارة فذلك اولا لاني لا اصدق ان المسلمين يتحدون معا ويتعاونون متى خرجت المسألة عن القول الى الفعل ، وثانيا لاني واثق بقوة اوربا واقتصادها عند الاقتضاء على تلافى هذه الحركة من الجهة المادية . وإن تكن غير قادرة على ذلك من الجهة الروحية والجامعة الاسلامية أيضا عبارة عن معان أخرى غير معناها الاصلي ولكنها لا تنظر من علاقة به . وهذه المعاني ام بالنظر الى ما نحن فيه من المعنى العام الذي سبقت الاشارة اليه

فتنبا أولا في مصر الخاضوع لسلطان وترويج مقاصده . وهذا المعنى يدل على دخول عنصر جديد في حالة مصر السياسية . فقد كانت الحركة الوطنية المصرية دائرة على مضادة الترك الى عهد قريب اذ الثورة العرابية كانت في الاصل على تركيا والترك . اما الآن فيبلغني ان زعماء الحركة الوطنية يقولون انهم لا يقصدون توثيق عرى الاتحاد بين تركيا ومصر وانما يقصدون حفظ سيادة السلطان على مصر . ولكن قولهم هذا يختلف عما كانوا يقولونه منذ عهد قريب جدا اختلافا جليا بحيث لا يتفاهك الانسان من الظن بان قولهم الآخر انما خطر على بالهم بعدما علموا

اتهم اذا وسعوا نطاق الملائق التركية ابدوا عنهم اميالا، يمتنون قربها منهم ودوامها معهم . ولكن ليس من الانصاف تقييد الحزب الوطني جملة باقوال يلقيها افراد قليلون غير مسؤولين على عواهنها . فاذا سلطنا بأن القول الاخير هو رأي الحزب الوطني الصحيح فنندي عليه ان سيادة السلطان على مصر لم يتنازع فيها قط على ما علم ولا يحتدل ان يصيهاشي مادام كل ذوي الشأن في الفرمان - الذي هو اتفاق بين فريقين كالابنخي - لا يضلون شيئاً خارجاً عن دائرة حقوقهم . فحادثة سيدنا انما بلغت ما بلغت من الاهمية وعظم الشأن لما خيف من خرق حرمة الفرمان وما يتصل به من المستندات الرسمية المحسوبة جزاً منه على وجه يعود بالضرر على القطر المصري

وثانياً ان الجامعة الاسلامية تستلزم بالضرورة تهيج الاحقاد الجنسية والدينية الا في ما ندر . فلا شك في ان كثيرين من أنصارها ينصرونها عن حرارة دينية حقيقية وآخرين يودون لو امكنهم ان يفرقوا بين القضايا السياسية والدينية وبينها وبين الجنسية أيضاً اما لأن مبالاهم بالدين قد قلت حتى أوشكوا ان يحكموا الالاديين أو لكون اغراضهم مياسية أو لكونهم يقصدون تخمين الفرص للالتفاف بها أو لكونهم اتبعوا الآراء الحديثة عن وجوب التسامح في الدين كما هو مأمولي . ولكن متى كانت هذه رغبتهم ومقاصدهم فلا شك عندي انهم يعجزون عن تنفيذها لانهم ان لم يقتنعوا عامة المسلمين بافعالهم انهم من المسلمين المهاجرين لم يستطيعوا ان يحولوا اتباعهم اليهم ولا ان يكتسبوا منهم أيضاً . فالضرورة تقضي عليهم بتهيج الاحقاد الجنسية أو الدينية اما ظاهراً أو خفية ليرقوا يياتهم السياسي

وثالثاً ان الجامعة الاسلامية تستلزم تقريباً السعي في اصلاح أمر الاسلام على النهج الاسلامي وبعبارة أخرى السعي في القرن العشرين في اعادة مبادئ وضعت منذ ألف سنة (١) هدى لحيمة اجتماعية في حالة الفطرة والسذاجة . وهذه المبادئ منها ما يميز الرق ومنها ما يتضمن سناً وشرائع عن علاقات الرجال والنساء مناقضة لآراء أهل هذا العصر ومنها ما يتضمن أسراً أهم من ذلك كله وهو افراغ القوانين

(١) المار : اشتهر ان العبارة بالانكليزية « منذ أكثر من ألف سنة »

المدنية والجناية والمالية في قالب واحد لا يقبل تغييراً ولا تحويراً وهذا ما وقف تقدم البلدان التي دان أهلها بدين الاسلام

فلهذه الاسباب وبقطع النظر عن كل الاعتبارات السياسية لا يجد المؤمنون باصلاح مصر بدا من استنكار الدعوة الى الجامعة الاسلامية . ويجب أيضاً بذل أقصى العناية في السهر على كل ميل طبيعي جائز الى الجامعة الوطنية لكيلا تجتذبه على غير اقتباه من صاحبه هذه الحركة - حركة الجامعة الاسلامية - التي هي من أعظم الحركات المتفجرة فلا تستحق ان يعيل أحد إليها . لانه قد يسر على الانسان ان يميز شبح الجامعة الاسلامية اذا تجلبب بجلباب الجامعة الوطنية اه كلام اللورد (المنار) ان البحث في هذا الفصل الذي أقام المسلمين هنا وأقدم بحق ينحصر في ثلاث مسائل (١) الجمعه الاسلامية نفسها وما عده من أسباب استنكارها وهو (٢) اجازة الرق و (٣) مناقضة علاقات الرجال بالنساء لا راء أهل العصر و (٤) الجود على قوانين وضعت لأهل السذاجة

١

الجامعة الاسلامية

يعرف اللورد كما يعرف جماهير القراء ان السيد جمال الدين الافغاني كان أشهر دعاة ما يسمونه الجامعة الاسلامية ذكراً ، وأقوام صوناً ، وأكثروهم سعياء ، وأشدهم اضطهاداً ، وقد اشتهر عنه انه كان يحاول جمع كلمة المسلمين على خليفة واحد أو سلطان منهم والصحيح انه لم يكن يدعو الى ذلك ولم يخطر له على بال ان هذا مما تناوله يد الامكان بل قال في معرض تنبيه المسلمين وحشهم على الوحدة « ولست أعني ان يكون لهم امام واحد فان هذا ربما كان متعذراً وإنما أعني أن يكون امامهم القرآن »

وكان الاستاذ الامام أعظم أنصاره في عمله بمصر وأوربا وقد استقر رأيه بعد السعي معه والعمل من طريق السياسة والدين معاً على قاعدة « ما دخلت السياسة في عمل الا وأفسدته » وكثيراً ما قال لنا ان السيد جمال الدين كان أقدر من عرفنا على الاصلاح ، وأنه لولا اقتنائه بالسياسة لعمل عملا عظيماً ، وان الاساس الذي

يجب ان يبنى عليه اصلاح حال المسلمين هو تحرير الفكر من قيد التقليد ، وفهم الدين على طريقة السلف قبل ظهور الخلاف والبدع، واعتباره من موازين العقل البشري التي وضعها الله تعالى لترد من شططه وتقلل من خبطه، وآية بهذا الاعتبار يعد صديق العلم وباعنا على البحث في اسرار الكون . ويشوق هذا على اصلاح أساليب الفقه العربية وحياتها في الألسنة والاقلام

وقد عرف اللورد الاستاذ المرحوم وحد طريقته هذه وشبهها في بعض تقاريره بطريقة السيد أحمد خان في الهند وقال ان حزبه جدير بالمساعدة والتنشيط من الأوربيين . والتي نعرفه نحن بعد السير على هذه الطريقة تسع سنين وأشهرنا ان طلاب الاصلاح الاسلامي في مصر وسوريا وتونس كلهم على طريقة الشيخ محمد عبده كما ان معظم المصلحين في الهند على طريقة السيد أحمد خان ولا يوجد في غير هذه الأقطار حركة اسلامية الى الاصلاح الا في روسيا ويران فاما مسلمو روسيا فقد ثبت لدولتهم في الحرب الاخيرة وما اعقبته من الثورة أنهم خير رعاياها وأسلمهم قلوباً وهم الآن لا يطلبون من حكومتهم الا العدل والمساواة، ومن أنفسهم الا العلم والثروة . واما الفرس فحركاتهم معصورة في اصلاح حال حكومتهم وليس بين هؤلاء ولا أولئك وبين سائر المسلمين صلات سياسية ولا أحد منهم يقاوم الأوربيين وهم يسكنون الاحقاد لا يهيجونها . فالجامعة الاسلامية بالمعنى الذي يفهم من كلامه لا وجود لها في الأرض وانما يوجد في المسلمين دعوتان -- دعوة اسلامية وتتنحصر فيما بيننا آنفاً وهو ترك البدع والجمع بين الدين وبين العلم والمدنية ، ودعوة وطنية أو سياسية وهي تنحصر في مطالبة أصحاب السلطة فيهم بما يرقى بلادهم ويحفظ حقوقهم فيها ولا علاقة لهذه الدعوة بالدين بل كثيراً ما تخالفه

نعم انه يوجد في كل بلاد من القوالين افراد يتخذون اسم الاسلام والجامعة الاسلامية والحلقة الدينية والخليفة الأعظم والعالم الاسلامي وغير ذلك من السمكيات أناشيد تستمال بها النفوس لتعظيم القاتل أو لئذل الممال له وقد يوم كلامهم شيئاً مما أشار اليه اللورد واننا جازمون بأن هؤلاء لا عمل لهم في الاسلام بخشى أو يرحى، ولا دعوة لهم فطاع أو تعصى وانما مثلهم كمثل أصحاب تلك الاناشيد

في مدح الأولياء وفي الزهد في الدنيا التي يستعطفون بها الناس ويستندون بها
أكفهم ومن خشي منهم لفظه . وقد أغنانا عن التطويل في هذه المسألة ما نقلناه
عن الأستاذ الامام رحمه الله تعالى وهو القول الفصل فيها

٢

﴿ مسألة الرق ﴾

يقول ابو نعيم الشريعة الاسلامية تجيز الرق، وتقول نعم إنها أجازته ولكنها
ما فرضته فرضاً، ولا أوجبتها إيجاباً، ولا نذبت اليه نذبا، ولا استحبه استحباباً، بل
تقول ببراءة أو جزاء: أنها لم تجعله كما يخشى الهورد دينا يتقرب به الى الله فيقال ان
المسلمين لا يتركونه بل أقرت البشر - وكلهم كانوا يسترقون - على مافي أيديهم
من الارقاء وشرعت لهم العتق وتحرير الرقيق وجعلت ذلك دينا يتقرب به الى
الله عز وجل خاتمة على سبيل الوجوب والحكم الذي لا بد منه وتارة على سبيل التنب
ما أجازت الشريعة الاسلامية الرق الا لأنه قد يكون موافقا لمصلحة من
يُسرقون كأن يقتل الرجال في حرب شرعية ويبقى النساء والأطفال بدون عائل
ولا كافل قد يكون من الخير والمصلحة في مثل هذه الحالة ان يسرقوا للعجز عن
الاستقلال في الحياة فاذا تسرى الرجال بالنساء وولدن لهم كما هو الغالب زال
رقهن اذ يمتنع انتقالهن الى ملك آخر ويمتنع بموتهم ولا يكون حالهن معهم في الحياة
دون حال الزوجات بالعقد واما الاطفال فانهم يكونون بمثابة الأ ولاد اذا المشروع
في هذا الدين ان يكون الرقيق مساويا لمولاه وأهل مولاه في أكله ولبسه وعمله وورده
في الحديث النهي عن تسبيتهم بالعبيد والإماء ثم حثت الشريعة على العتق حثا شديدا
وجعلته كفارة لكثير من الخطايا ومن أنضل التذور ومحللا للعتق بالبين وهي
مع تضييقها في الاسترقاق جعلت الرق خلاف الاصل حتى ان أي رقيق ادعى انه
حر عدته حرا بمجرد دعواه الا ان يثبت مدعي ملكه أصل رقيقته (ومن أراد زيادة
البيان في هذا فليرجع الى المجلد الثامن من المناور)

وجملة القول ان الاسلام لم يأمر بالاسترقاق ولكنه أمر بتحرير الارقاء
وعتقهم ولم يوجب ذلك على الناس دفعة واحدة لما فيه من الحرج الشديد على المالكين

والارقاء جميعا فان السادة الذين تعودوا ان يقوم عبيدهم بجميع شؤنيهم لا يمكنهم ان يتركوا هؤلاء العبيد دفعة واحدة لأن نظام معيشتهم يختل ، وشمل مصالحهم يتفرق ، كما ان العبيد الذين تعودوا على كفالة غيرهم لهم وكفالتهم أمر الماش يصعب عليهم ان يعيشوا بالاستقلال اذا هم اعتنوا مرة واحدة كما حصل في أمريكا فان الحكومة لما أبطلت الرق نجبر كثير من الارقاء في أمر معيشتهم ورضي كثير منهم بأن يظلوا عند مواليهم كما كانوا ، وما كانوا يعاملون بما يأمر به الاسلام في مثل حديث الصحيحين وغيرهما عن أبي ذر رضي الله عنه قال اني ساءت رجلا (يعني بلالا) ضربه بأمه وفي رواية قتلت له يا ابن السوداء فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم أي بعد ان شكاليه بلال ذلك « يا أباذر أعبرته بأمه » انك امرؤ فيك جاهلية ، إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس ولا تكفوم ما يطلبهم فان كلفتموه فأعينوه » وقد أورد البخاري هذا الحديث في كتاب الايمان للاشارة الى ان معاملة الرقيق بهذه المعاملة من شعب الايمان وأورده أيضا في العتق والأدب

أما والله لو وجد الرق الذي يجيزه الاسلام وعومل الرقيق بما يأمر به الاسلام لتمنى أوف من الناس الذين يموتون جوعا في مثل شوارع لوندرة فما دونها من المدن والقرى في كل مملكة أن يكونوا أرقاء يشاركون أهل النعمة والثراء في أكلامهم ولبسهم وعلمهم كما أمر الاسلام في مثل هذا الحديث

أين هذا من أمر التوراة بالرق ومن سكوت السيد المسيح عليه السلام عن الوصية به بمثل ما أوصى بعده أخوه محمد عليه السلام بل بشر مشاركة على ما كان عليه الارقاء في عصر المسيح من الظلم والاضطهاد . يقول بطرس في رسالته الاولى « ١٨: ٢٠ أيها الخدام كونوا خاضعين بكل هبة للسادة ليس للصالحين المترفين فقط بل للعتناء أيضا ١٩ لأن هذا فضل ان كان أحد من أجل ضيق نحو الله يحمل احزاننا متألما بالظلم ٢٠ لأنه أي مجد ان كنتم تظلمون مخطفين فتصبرون بل ان كنتم تتألمون عاملين الخير فتصبرون فهذا فضل عند الله لأنكم لهذا دعيتم » وقال بولس في رسالته الى أهل أفسس « ٥: ٦ أيها العبيد أطيعوا ناداتكم حسب الجسد بخوف ووردة في بساطة

قلوبكم كما للمسيح، الخ وفي رسالته الى أهل كولوسي ٣: ٢٢ أيها العبيد أطيعوا في كل شيء ساداتكم حسب الجسد لا بخدمة العين كمن يرضي الناس بل ببساطة القلب خائفين الرب، وغاية ما أمر به السادة ان يقدموا للعبيد المعدل والمساواة فلا يفضلوا بعضهم على بعض فأين هذا من أمر الاسلام بالمساواة بينهم وبين السادة أنفسهم وبجمل الطاعة في المعروف لا في كل شيء. وقد نص الاسلام على كون الطاعة لا تكون الا بالمعروف حتى لنبي صلى الله عليه وسلم في آية المباينة (١٣: ٦٠) ولا يصيبك في معروف (وهو صلى الله عليه وسلم لا يأمر الا بالمعروف كما وصفه تعالى في قوله (١٥٧: ٧) يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر)

وجلة القول ان الاسلام أجاز الرق ولم يأمر به ولكنه أمر بالعق والتحرير وان الديانتين اليهودية والنصرانية أجازتا الرق أيضا ولم يردفيهما من الأمر بالعق وتحرير الرقيق ولا بحسن معاملته مادام موجودا يمثل ما أمر به الاسلام. فاذا سهل على الدول النصرانية إبطال الرق ولم يمنعهما الدين فهو على المسلمين أسهل لأن الدين لا يكتفي بعدم منهم منه بل يحشم عليه. فدينهم أقرب الى هذه الفضيلة المدنية من جميع الأديان فلا خوف عليها منه وإنما الخوف على كل فضيلة من الحكم الظالمين الذين يسيئون التصرف بالشرائع والقوانين

٣

﴿ علاقة النساء بالرجال ﴾

جاء الاسلام وجميع الأمم تهضم حقوق النساء على تفاوت بينها في ذلك فكان أكثر الرجال يعدون المرأة كالأمة أو المتاع ومذهب علماء الاجتماع ان الناس كانوا في أمر الزواج كالبائث في أطوارها المختلفة فكانوا أولا يبيعون كل انثى لكل رجل وكان أول الاختصاص بزوجة أرزجت نازي راسنكارا الذي من تصديه من النساء واستشاره بها وعدم السماح لغيره بملامستها الا ان يكون ذلك باذنه ولا يزال في البشر من لا يرى يمثل هذا الاذن بأسا. ولما صار الزواج روابط وأحكام دينية أو عرفية قبضت المرأة فيها بقيود لا ترفعها عن مرتبة الأمة عند الكهوين وبقي في تقاليد كثير من الشعوب والقبايل ما يدل على أصل السبي

وخلف المرأة . وكان كثير من الرجال يتزوجون بنساء كثيرات لا يتقيدون بعدد ويطلقون من شأوا متى شأوا بلا تأثم ولا حرج وما جاء في اليهودية والنصرانية من الأحكام والوصايا لم يرفع قدر المرأة ولم يقربها من مساواة الرجل في الحقوق والاستقلال بشؤونها وقصارى ما تفاخرنا فيه النصرانية منع تعدد الزوجات وتحريم الطلاق الاجلة الزنا

أما الاسلام فقد جاء باصلاح لم يسبق اليه ولم تبلغ كنهه أوربا في مدنيتهما حتى اليوم اذ لا تزال تعجز على المرأة ان تتصرف حتى بما لها بدون اذن الزوج ويرجع هذا الاصلاح الى آيات من الكتاب العزيز

(إحداها) قوله تعالى « ٣٠ : ٢٠ ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يذكرون » وعلى هذه الآيات نبينا مقالات « الحياة الزوجية » التي نشرناها في المجلدات ثامن وتكلمنا فيها عن الطلاق وتعدد الزوجات

(الآية الثانية) قوله تعالى « ١٩ : ٤ وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فسى ان تكروها شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا »

(الآية الثالثة) قوله عز وجل « ٢٢٨ : ٢ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » وإبراجع تفسيرها في (ص ٨٣٦٨)

(الآية الرابعة) قوله جل شأنه « ٣٥ : ٤ : ٢ وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريدوا إصلاحا يوفق الله بينهما » (الآية الخامسة) قوله وسعت رحمته « ٢٢٩ : ٢ فامساك بمعروف أو تسريح بإحسان »

(الآية السادسة) قوله تبارك اسمه « ٣ : ٤ فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة » الآية ويلاحظ مع هذه الآية « ١٢٩ : ٤ » ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم »

(الآية السابعة) قوله جل ثناؤه « ٧ : ٤ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو أكثر نصيبا

مفروضاً ، فجعل المرأة تملك وتتصرف كالرجل وفي الحديث ان المرأة تملك ولا يجل لرجل أكل شيء مما تملك الا ياذنها وطيب نفسها

فهذه الآيات يشبه أن تكون هي أصول الاصلاح وفي معناها آيات منفصلة وان أوروبا المدنية على مبالفتها في تكريم النساء لم تقم هذه القواعد ولم تأت بكل ما أمر به الاسلام في ذلك بل لم تصل الى درجة جاهلية قضاة الدين يفرضون على الرجل للمرأة كل شيء يحتاجه بحسب الاستطاعة ولا يفرضون عليها له الا موافاة بالاستمتاع بها وعدم خروجها من داره بدون رضاه وهما واجبان سلبيان فكانهم لا يوجبون على المرأة عملاً ما لزوجها بل يعدون كل حل عمله في ادارة بيته فضلاً منها واحساناً فهل وصل الاوربيون الى هذه المبالغة في تكريم المرأة ؟

كلا انه ليس في شريعة المسلمين من أحكام الزوجة وآدابها الا ما لا بد منه لسعادة البيت وان بيان هذه الاحكام التي وضعت اساسها تلك الآيات منذ ثلاثة عشر قرناً وربع قرن آية على كون الاسلام شرعاً إلهياً لا وضعاً بشرياً

بيان ذلك انها قد خوطب بها الناس في عصر كانوا أقرب فيه الى البداءة فأقادم رقياً وتهذيباً بحسب استعدادهم ثم أننا نرى أن أعلى ما وصل اليه البشر من الرقي في الحضارة هو دون ما تهدي اليه تلك القواعد والاحكام من الكمال الاجتماعي ولهم يصلون اليه في يوم من الايام . وما منع الا فرنج الدين استعدادوا لهذا الكمال من رويته في القرآن الا ذلك الحجابان الكشيفان دونه وهما المسلمون الذين صاروا باعمالهم وأفكارهم حجة عليه ، وغلبة الافكار المادية على أكثر الباحثين يظهر ان الشعور الذي كان مسئولياً على القورود عندما أفكت تلك العبرة من قلبه كان مزيجاً متولداً من الفكر في اعتقاد جمهور العالم الأوربي في الاسلام والمسلمين والفكر في كثرة الشكاوى التي ترد عليه في خلل المحاكم الشرعية وما يقاسبه فيها النساء المطلقات ، والضرائر المهجورات ، وطوائف النفقات ، وما يلاقين في باب القاضي من الاهانات ، وما يقاسبن من جود القضاة على التقاليد والمادات ، وإنها لحالة تحرك عصب الرحمة في القواد ، وعضل اللسان بالانتقاد ، ولكن تسعة اعشار الذنب في ذلك على المسلمين وعشره على بعض آرائهم النقيية . والاسلام

نفسه بريء من كل لائحة يشكو منهم بلسان كتابه المنزل أضاف ما يشكو جميع المنتقدين، وأن يسمعون شكواه وقد ضربوا دونه سورا من التقليد له باب يسمى باب الاجتهاد، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله المذاب ؟ قد أقفلوه بأيديهم، فنعروا بذلك رحمة الله أن نصل اليهم ،

طالما انتقد الأوروبيون على الاسلام نفسه مشروعية الطلاق وتعدد الزوجات وهما لم يطلبوا ولم يحمدا فيه وإنما اجيزا لأنهما من ضرورات الاجتماع كما بينا ذلك غير مرة وقد ظهر لهم تأويل ذلك في الطلاق فشرعوه وان لم يشرعه لهم كتابهم الالمة الزنا . واما تعدد الزوجات فقد تعرض الضرورة له فيكون من مصلحة النساء أنفسهن كأن تقال الحرب كثيرا من الرجال فيكثر من لا كافل له من النساء فيكون الخير لمن ان يكن ضرائر ولا يكن فواجر يا تكن بأعراضهن ويعرضن أنفسهن بذلك لمصائب تزحم ألقاها وقد انشأ القوم يعرفون وجه الحاجة بل الضرورة الى هذا كما عرفوا وجه ذلك في مسألة الطلاق وقام من نساء الانكليز الكتابات الفاضلات ، بطلين في الجرائد بإباحة تعدد الزوجات، ورحمة بالعاملات الفقيرات ، وبالبنات المضطرات ، وقد سبق لنا في المنار ترجمة بعض ما كتبت احدها في جريدة (لندن ثروت) مستعينة رأي العالم (تومس) في انه لا علاج لتقليل البنات الشارذات الا بتعدد الزوجات ، وما كتبت الفاضلة « مس أني رود » في جريدة (الاستون ميل) والكتانية « اللادي كوك » في جريدة (الايكو) في ذلك (راجع ص ٤٨١ م ٤)

ان قاعدة اليسر في الامور ورفع الحرج من القواعد الاساسية لبناء الاسلام (١٨٥ : ٢) يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر — و — ٦ : ٥ ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج) ولا يصح أن يبنى على هذه القاعدة تحريم أمر تلجى الى الضرورة أو تدعو اليه المصلحة العامة أو الخاصة (كما بينا ذلك في مقالات الحياة الزوجية وغيرها) وهو مما يشق امثاله دفعة واحدة لاسيما على من اعتادوا المبالغة فيه كتعدد الزوجات كذلك لا يصح السكوت عنه وترك الناس وشأنهم فيه على ما فيه من الفاسد فلم يبق الا ان يقلل العدد ويقيد بقيد ثقيل وهو اشتراط

انتفاء الخوف من عدم العدل بين الزوجات وهو شرط يعز تحقيقه ومن فقهه واختبر حال الذين يتزوجون بأكثر من واحدة يتجلى له أن أكثرهم لم يلتزم الشرط ومن لم يلتزمه فزواجه غير إسلامي

وجهة القول في هذه المسألة أن القرآن أتى فيها بالكالم الذي لا بد أن يصترف به جاهير الأوربيين ولو بعد حين كما يصترف به بعض فضلائهم وفضلياتهم الآن . وأما المسلمون فلم يلتزموا هدايته فصاروا حجة على دينهم ومن احوج الى الرد عليهم والعناية بأرجاعهم الى الحق منا الى اقناع غير المسلمين بفضل الاسلام ، مع بقاء اهل على هذه المخازي والآثام ، اذ لو رجسوا اليه ، لما كان لأحد ان يعترض عليه ،

٤

الاحكام المدنية والجنائية ، في الشريعة الاسلامية

يفرق كتاب العصر بين الدين والشريعة فيصنون بالدين الاعتقاد والعبادات والفضائل أي ما يراد به إصلاح الأرواح وإعدادها لسعادة الآخرة أولاً وبالذات وان كان يفيد في سعادة الدنيا أيضاً، ويصنون بالشريعة ما يسوس به الحكم الناس ويفصلون به بينهم في الخصومات أي ما يراد به إصلاح أحوال الاجتماع السياسية والمدنية والجنائية . ومن المعروف ان موسى جاء بدين وشريعة ومعظم ما جاء به أحكام دنيوية وان عيسى جاء بدين فقط وأقر اليهود على شريعة موسى وان ما جاء به محمد (عليه وعليهما الصلاة والسلام) جمع بين الأمرين . و يعتقد الافرنج ان المسلمين لا يفرقون بين الدين والشريعة لان كلاهما آتاهي عندهم ولما كانت الأمور الدنيوية تختلف باختلاف الزمان والمكان حتماً كان من المحال ان توضع لها شريعة تامة توافق مصلحة الناس في كل زمان ومكان وهذه مسألة لا يختلف فيها عاقلان ومن ثم يعتقد الافرنج انه يستحيل على المسلمين أن يجارهم في مدينتهم ماداموا يعدون شريعتهم التي عليها مدار أمور دنياهم إلهية لا يجوز فيها التفسير والتبديل ولا يفرق فيها بين حال البدو في الصحراء ، وحال من بلغوا من الحضارة ذروة الارتقاء ، يعدون حكاهم رؤساء يقترب الى الله

بطاعتهم فلا يعارضونهم في استبدادهم بهم ولا يأتون من استبدادهم إياهم
لو اعتقد القوم فينا اننا لا نرتقي مادمننا على شريعتنا وتركونا وشأننا لما بالينا
ولكنهم يعرضون لنا في شؤننا ويقتاتون علينا في خاصة أنفسنا زاعمين ان المدنية
التي سفكوا في وسائلها دماءهم ، ووقفوا على مقاصدها حياتهم ، وبذروا بذورها
في الشرق ، بعد ان جنوا ثمراتها في الغرب ، لا يرجى ان تنمو لها نبتة ، ولا ان
تُحفظ لها بذرة ، في مكان للشريعة الاسلامية فيه سلطة ، ينشرون هذه الآراء
بالكتابة ، ويشتمونها في النفوس بالتعليم والخطابة ، وقد يضيفون اليها الطعن في
قسم العقائد حتى التوحيد والقدر كإفعل موسيو هانوتو وغيره منهم من ينطقه
الاعتقاد ومنهم من تملي عليه السياسة والسياسة تبيح المحرم وتحمل الكذب وتقلب
الأوضاع وتأتي المنكرات

ويقول العارفون بحقيقة ما عليه الشعوب الأوروبية من الثرية العالية ان السواد
الأعظم منهم لا يكابر الحق ، ولا يرضى بالغالم والحضم ، وان رجال السياسة في
كل شعب منهم قد يمتثلون في اقتاعه بما تقضي به السياسة من مخالفة الحق والمعدل
أحياناً ليجيز عملهم ، وان من أمكنه ان يقنع هذه الشعوب بحق من الحقوق العامة
فانه يمجده منهم خير نصير ، وأقوى ظهير ،

على هذه الطريقة جرى شيخنا الاسناذ الامام (رحمه الله تعالى) في مناظراته
القولية والكتاتبية للماء الافرنج وساستهم كرنان وهانوتو وغيرها فقد حجج واقنع
منهم جبلاً كثيراً بان الاسلام جاء باصلاح يوافق مصلحة البشر في كل زمان
وكذلك فعل في ردوده على الشاذين من أهل الشرق الذين يقولون في الاسلام
بغير علم . ويعلم قراء المنار أننا لانألو جهداً في بيان التوفيق بين عقائد الاسلام
وأدابه وأحكامه وبين العقل والفطرة والمصلحة واننا نبني هذا التوفيق على ما جاء
في كتاب الله وستة رسوله صلى الله عليه وسلم التي مضت بالدوران مع المصلحة
في كل حال بحسبها لاعلى ما جاء في كتب الفقهاء من الآراء التي أدام اليها
اجتهادهم ومنهم المخطئ فيها والمصيب ونحن عاجزون عن الانتصار لكل ما في
كتب الفقه كما ننصير لسكر ما جاء في الكتاب وما مضت به السنة النبوية على

ان ما ينتقد على الآراء الاجتهادية في فقها ينتقد مثله على القوانين الوضعية ولكن المنتقدين يقولون لنا ان ما يظهر خطأه في القوانين يسهل الرجوع عنه وما يظهر خطأه في الفقه يتعذر الرجوع عنه لانه في عرفكم من الدين وهو قول لا يمكن دفعه مع الجود على التقليد فهدم التقليد شرط يتوقف عليه كل اصلاح يطلبه عقلاء المسلمين مع المحافظة على الاسلام ونشره في عالم المدنية المصرية، والجمع بينه وبين العلوم والمعارف التي عليها مدار العمران والعزة. وان طريقتنا هذه تؤيدها خبار المسلمين من أهل الدين والدنيا كالسلفيين والقائلين بوجوب الاجتهاد في الدين. وأكثر المتعلمين على الطريقة المصرية سواء منهم المتدينين حقيقة والمتدين جنسية. وقد صار الذين يصرحون بذلك كثيرين. وأذكر من الشواهد عن العصر بين قول أحمد شوقي بك شاعر الأمير عباس حلمي باشا في منظومته التي رفعها اليه يهنته فيها بجلاد ولي عهد الامارة (الأمير محمد عبد النعم)

ويا جيل الامير اذا نشأنا وشاء الجدد ان تعطى أوشنا

نخذ سبلا الى العلياء شئ وخل ذلك الدين القويما

وضن به فان الخير فيه وخذه من الكتاب وما يليه

ولا تأخذه من شفي فقيه ولا تهجر مع الدين العلوما

فهذه وصية من شاعر الامير الى ولي عهده يأمره فيها باتباع الكتاب والسنة وعدم اتباع الفقهاء وقد رضيها الامير أعزه الله ولم ينكرها

ليست طريقتنا هذه بخفية على الافرنج فقد كثبت الجرائد الفرنسية عن رحلة الاستاذ الامام الى تونس والجزائر ما يدل على انها عارفة بخطتها راضية بها واذكرت ان آراءه في الاصلاح الديني تنشر في بعض المجلات المصرية تنفي بها النار وقد كتب في الجرائد الفرنسية في تونس وأوربا وفي غيرها من الجرائد الأوروبية شي من مذهب النار ومنه ما كتب في المجلة الفرنسية في أوائل سنة ١٩٠٥ وهذا مانصه:

(النار) أسس في القاهرة سنة ١٨٩٧ أسسه الشيخ محمد رشيد رضا أحد كتاب المسلمين المشهورين. تلميذ الفيلسوف المصري الكبير الشيخ محمد عبد مغي الديار

المصرية وهو لا يبحث في الجلة الا في المسائل الدينية والفلسفية وغايته التي يرمي اليها هي تعليم المسلمين دينهم على أنقى صورة له نافعا عنه الأوهام والخزعبلات والبسوس القديمة وقد قال الشيخ محمد عبده ان دين الاسلام في شكله الحقيقي هو غاية ما يطلبه الانسان من الكمال - هذه هي خطة المنار وهو مجلة تصدر في الشهر مرتين

وجاء في عدد آخر منها

(المنار) الصادر بالقاهرة في شهر فبراير (أي من سنة ١٩٠٥)

أهم مقالة في هذا العدد تبحث عن مثال للحكومة الاسلامية وكاتب هذه المقالة صالح بن علي البافعي وهو كاتب هندي (١) قد بين فظائع الحكومة المطلقة التي مقمتها القرآن والنبي وقد بين هذا الكاتب ان الحكومة الاسلامية كانت في زمن الخلفاء الاولين ديمقراطية محضة وان الخليفة نفسه كان ينتقده نواب الامة الذين كانت مهمتهم مراقبة سيره مراقبة شديدة

الاسلام لا يقبل من شكل الحكومة الا الملكية المتقدمة والجمهورية والجملة أن كل ضرب من ضروب الحكومة المطلقة يديره أي حاكم مسلم كأننا من كان ليس من الاسلام في شيء . جاءت هذه المقالة عقب جزء من تفسير القرآن للشهيد محمد عبده هـ اه

والمراد مما تقدم ان الباحثين في أمور الشرق من الاوربيين عارفون بمرامي طلاب الاصلاح من المسلمين وأنهم يريدون الرجوع بالدين الى ما كان عليه في أول نشأته غير متعدين بما وضعه العلماء من التقاليد التي قد تحول دون مجازاة أهل هذا العصر بل مسابقتهم في علومهم ومدنياتهم لأنهم يرون ان الكتاب والسنة يحثان على ذلك لا يهولان دونه والمقلدون لفقهاء يرون غير ذلك . ولا يعقل ان يكون القورد كرومر غير عارف بآمره كثير من الأوربيين الذين لم يقيموا في الشرق كما أقاموا ولم يكتنوا أصرا المسلمين كما اكتنهم فان كان بهذا لاختبار كله يقول للأوربيين ان رجوع المسلمين الى أصول شريعتهم المدنية وعوامهم بما يرجع

(١) هو هندي المولود عربي الأصل يقيم في حيدر اباد

بهم الى طور السذاجة المضادة للحضارة فان قوله هذا أعظم صدمة للإصلاح الذي ندعو اليه لأن كلامه في ذلك يؤخذ بالقبول عند الامم الأوروبية كلها وبخشي ان يهاضموا الدعوة الى الإصلاح في بلادهم ولا شيء يدفع ذلك الا كلام من الورد نفسه

لهذا وقمت علينا عبارة التقرير في القوانين الاسلامية كالصاخرة وأخذنا نجعل قداح الفكر فيها فأرأينا بعد طول التأمل أن العبارة وان كان المبادر منها أنها في الاسلام نفسه - كتابه وصنعه وفعقه وكل شيء - فيه يتعلق بالمعاملات - يجوز أن يجعل على الفقه وحده لأن حكم المسلمين لا يحكمون الا به اذام ارادوا الرجوع الى الاسلام وإنما قلنا يجوز ان يكون هذا هو مراد الورد وان كانت عبارته مطلقة نفيد ما هو أعم من هذا وتشمل الاحوال الشخصية لأن التنسك بالفقه هو الذي رآه المانع من اصلاح المآكل الشرعية كما بينا ذلك بالتفصيل في مقالة نشرت في المجلد السابع من المنار (ص ٢١٢) استشهدنا فيها بما قاله في تقريره عن سنة ١٩٠٢ وسنة ١٩٠٣ وبشيء من محاضر مجلس شورى القوانين

من ذلك ان أحمد بك يحيى (أحمد باشا الآن) اقترح تأليف لجنة لوضع تقرير في إصلاح المآكل الشرعية فقال الشيخ حسونه النواوي « اني لا أعلم ان المآكل الشرعية تحتاج الى الإصلاح في أمر من أمورها » قال في محضر الجلسة « تقرّر بالاغلبية التصديق على رأي الشيخ حسونه النواوي » وقد ذكر الورد هذا في كلامه عن المآكل الشرعية في تقريره سنة ١٩٠٣ وهو مع ذلك أعلم الناس بكثرة شكوى المسلمين من هذه المآكل

ومن ذلك ان قاضي مصر قال لما طرحت مسألة إصلاح المآكل الشرعية في الجمعية العمومية سنة ١٩٠٤ مانعه « قد سمعنا المقترحات المتعلقة بالمآكل الشرعية ونقول ان أعمال تلك المآكل ترجع أولاً الى الشرع الشريف وهذا لا يمكن لمسلم ان يقول انه يحتاج الى اصلاح » الخ

فأمثال هذه الاقوال من كبار الفقهاء هي التي جعلت الورد كروم يتقدان هذا الفقه الذي يحكمون به قد صيغ كله بصيغة الدين فلا يمكن لتفكيحه وهو يعتقد قطعاً انه لا يوافق مدينة هذا العصر ولا ينطبق على مصالح أهله - اما أصل

الدين وهو الكتاب العزيز والسنة النبوية فقد يعتقد فيه ذلك وقد يكون مصدقا لطلاب الإصلاح في قولهم لا ينافي المدنية ويدل على الاخير حجة الاوربيين على مساعدة حزب الشيخ محمد عبده الذين يطلبون الإصلاح من غير مس لأصول الدين . وقد حدثني الاستاذ الامام رحمه الله تعالى انه كان يكلمه مرة في هذا الموضوع بمناسبة مقاومة الجامدين لاصلاح المهاكم الشرعية فأقام المرحوم له الدلائل على أن الاسلام يدعو الى كل صلاح ويناسب كل زمان فقال له القورد أتصدق بأنناذ أنني أعتقد ان دينا أوجد مدينة جديدة وقامت به دول عظيمة لا يكون أساسه العدل وهذا محال ولكنني أعلم ان هذه المقاومات أمور « اكبرية » أي تقاليد كتقاليد الكنيسة

تذكرنا هذا فقلنا في نفسنا لعل القورد لا يقصد بعبارة التقرير ما يشاد منها لئلا يتناقض ذلك مع ما ذكرنا آفا ولكن هذا لا يمكن ان يعرف الامن قبله فكتبنا اليه كتابا نسأله أي الامرين يعني بعبارة : هذا نصه

القاهرة في ٢٠ ربيع الاول سنة ١٣٢٥

جناب القورد العظيم

أحييك بما يليق بمكانتك وان لم يسبق لي شرف المعرفة لحضرتك وأرجو ان تمن علي بوضع دقائق من وقتك الثمين نجيبني فيها عن السؤال الآتي الذي يهمني من حيث أنا صاحب مجلة إسلامية تدافع عن الدين وتبحث في فلسفته وهو هل عنيت بما قلت في تقريرك الاخير عن الحكم بالشرعية الاسلامية التي وضعت منذ اكثر من الف سنة الدين الاسلامي نفسه الذي هو عبارة عن القرآن الحكيم والسنة النبوية أم عنيت بذلك الفقه الاسلامي الذي وضعه الفقهاء ؟ فان كنت تعني الثاني فهو من وضع البشر وقد مزجت فيه آراؤهم بما يأخذونه عن الاول وخطأ فيه بعضهم بعضا وقد ترك حكم المسلمين أنفسهم العمل بكثير منه ولطلاب الإصلاح من المسلمين انتقاد على كثير من تلك الآراء في كل مذهب . وإن كنت تعني الاول فهذا العاجز مستعد لان يبين لجنايتكم ان معظم ما جاء في الدين نفسه من الاحكام القضائية والسياسية هو من القواعد العامة — وهي

توافق مصلحة البشر في كل زمان ومكان لان أساسها درء المفاسد وجلب المصالح
بحكم الشورى - وما فيه من الاحكام الجزئية (وهو مقابل المظلم) راجع الى
ذلك . وأختم رقيبى مودعا لجنابكم بالتحية والاحترام
منشئ المنار بمصر
محمد رشيد رضا

كتبنا اليه هذا ونحن نتمنى لو يجهننا بأنه يرى أصل الدين من معارضة
المدنية ونخشى أن لا يفضل - ذلك باننا نعتقد ان كلامه في الاسلام يؤثر في جميع
الشعوب الأوربية مالا يؤثر كلام غيره فاذا هم اعتقدوا بشهادته ان الاسلام نفسه
يتفق مع المدنية ويسير مع العدل وأن السبب فيما يرى من سوء حال أهله هو ما للصقوبه
من التقاليد والآراء وجعلوه بهذا الاصطاق ديننا فان هذا الاعتقاد يكون أكبر عون
لنا على خدمة الاسلام والدفاع عن أهله الذين أصبح معظمهم تحت سلطة الأوربيين
واذا هم اعتقدوا العكس كان ذلك أشد منفردهم عن الاسلام وحامل لهم على إلزام
حكوماتهم بالضغط على رعاياهم . وكنا عازمين على ان نكتب اليه رسالة في بيان
ان ما جاء في الاسلام من الاصول الاساسية للاحكام المدنية يتوافق مصالح
البشر في كل زمان وتقدمها اليه مترجمة بالانكليزية ونسأله باسم العدل والانصاف
ان يبدى رأيه فيها - كنا عازمين على هذا لواجابنا بأنه يبنى بما كتب الاسلام
نفسه أو مجموع ما عليه المسلمون من كتاب وسنة وفقه لأنه يعتقد ذلك ولا يخاف
في اظهار اعتقاده أحدا ولكنه فضل بالجواب الآتي بنصه العربي موقعا ومورخا
بخطه الافرنجى وهو

حضرة صاحب الفضيلة العلامة الشيخ رشيد رضا صاحب جريدة المنار
جوابا على خطابكم أقول اني عانيت بما كتبت مجموع القوانين الاسلامية التي
تسمونها الفقه لأنها هي التي تجري عليها الاحكام ولم أعن الدين الاسلامي نفسه
ولذلك قلت في هذا التقرير الأخير وفي غيره بوجوب مساعدة الحرب الاسلامي
الذي يطلب الإصلاح ويسير مع المدنية من غير ان يمس أصول الدين . ولعل العبارة
التي كتبناها بتقريرى كانت موجزة فلم تؤد المراد تماما واقبلوا يا حضرة الاسناذ
احترامى الفائق في ٤ ما يوسنة ١٩٠٧
كرومر

والقارىء المنصف يرى ان ما استدلل به على كونه لا يريد بما كتب الدين الاسلامي نفسه معقول لا يمكن دفعه بعد تصريحه بأن عبارة التقرير لم قود مراده تمام الأداء والانسان اعلم بمراد نفسه . غاية ما كان يقال ان مراد القائل يعرف من قوله وقول القورد في التقرير يشمل الفقه وينابيعه من الكتاب والسنة . ويقال الآن انه استثنى تلك النبايع بقول آخر مبين لمراذه من القول الأول فليعتبر هذا القول تصحيحا أو تخصيصا لسابقه أو استدراكا عليه . ولعل أهل الفيرة الصحيحة على الاسلام ينشرونه في الجرائد الأوردية ليطلع عليه الأوربيون الذين قرأوا التقرير فانه خير لنا من شهادة بعض المستشرقين بفضل الاسلام لأن المستشرقين يجهلون في أوربا بالتمصب للشرق وأهله . ولا يعذر من يعدون القورد كرومر عدوا اذا هم قصر وافي نشره اذ يقال لهم ان شهادة العدوك أقوى من شهادة الصديق ، على انه بلغنا من مصدر يوثق به ان شيخ الأزهر قال قورد عند ما زاره مودعا له : اننا قرأنا العبارة التي ترجمت عن تقرير جنابكم في الاسلام فلم نجد فيها طعنا فيه ولا مسا لكرامته : أو ما هذا معناه ولعل مراد الشيخ ان ما ذكر من اجازة الرق ومناقضة أحكام الزوجة لآراء أهل العصر وكون الاحكام المدنية الجنائية لاتغير كل ذلك صحيح وحسن عند المسلمين فان لم يستحسنه المخالفون فذلك لايميه فاذا كان مناقضا لآرائهم فهو موافق لآراء أهله . ونحن معاشر طلاب الإصلاح لا نقول بهذا ونعده طعنا نهري منه الاسلام دون الفقه ووافقنا القورد على ذلك أما ما يجب أن يعتبر به المسلم العاقل في هذا المقام فهو اننا نعلم علم اليقين انه لو تيسر للمسلمين انشاء حكومة اسلامية لما رضي جمهور علمائهم ومن ورائهم العامة ان يحكم فيها بغير هذه الكتب الفقهية بما فيها من أحكام الرق والزوجة وغير ذلك على علانه . ومن أكبر علاته الخلاف الكبير في المسألة الواحدة واختلاف التصحيح والترجيح فيها حتى ورد في بعضها بعد ذكر تصحيح قولين متناقضين في مسألة من مسائل الطلاق ونحن مع الدرام قلة وكثرة ، أي ان المرجح لاحد القولين المصححين في المذهب هو الدرام التي يأخذها المفتي من أحد المستفتين بلغ من جود فقهاة على هذه الكتب التي يوجد فيها مثل هذه الفضيحة

أنهم يعدون المدول عنها إلى كتاب يوضع خاليا من مسائل الخلاف موافقا لحال الزمان
جناية على الدين نفسه . ومن عجائب هذا الجلود أن شيخ الاسلام العثماني لا
يضيء بحجة الاحكام المدنية ولا يأذن لاحد من المفتين الذين يعينهم بالتوى
منها وإذا ذكر شيء منها في فتوى فلما يذكر بعد النص الفقهي من الكتب
المعتمدة عندهم . على أن الدولة لم تعمل عملا شرعيا أفضل من وضع هذه الحجة
فن لنا بجمعية من العلماء القلاء تدرس بعد التحكم من علم الكتاب والسنة والفقه
قوانين الامم ثم تستخرج من هذه الشريعة كتابا يفوقها عدلا وسهولة وموافقة
لمصالح البشر في هذا العصر يكون حجة ناطقة على كل من ينسب القصور إلى
الشريعة أو الدين . ويغني أن تعزل فيه الامور الدينية عن القضائية أو يذكر في
أول كل باب من أبواب المعاملات أو كتبها ما هو ديني منها كأن يقال في كتاب
المعاملات المالية ان الله حرم أكل أموال الناس بالباطل والنش والحياة وأكل
الربا اضعاظ مضاعفة وأوجب الوفاء بالعقود وأداء الامانات إلى أربابها . ويذكر
في أول باب القضاء تحريم الظلم والرشوة وكون حكم القاضي بالشيء لا يحله للحكم
له إذا كان يعلم أنه ليس له . اما هذا الفقه فهو على ما فيه من محاسن حجة علينا
لالتفافها فيمن المساوي وإلى الله المشتكى

اما نحن المسلمين قد أمسينا ولا مثل أصدق علينا من قول ابن دريد
نحن ولا كفران لله كما قد قيل في السارب أخل فارضى
إذا أحسن نبأ ربيع وان تطامنت عنه تهادى ولها

فنحن نرتع في بخلات الزمان ما وجدنا صرعى فإذا صاح بنا نذير تقلبات
الزمان نراو ونهمل وقد نصرخ من القهر ، أو نتفجع انتفاج الهر ، فإذا سكنت
نبأ النذير ، عدنا إلى سابق التخصير ، نرتع ونلعب ، ونلهو ونطرب ، بل نتاري
بالنذر ، ولا نستفيد من العبر ، بل نقول ولا نعمل ، وإذا وجد العامل لإحياء
الدين ، واقامة حجة على الخالفين ، فاننا نخذله مع المخذولين ، أذرى أن نكون
في حكم القرآن من المعوقين الذين يقولون ما لا يفعلون ، أو المناقذين الذين يفتنون
في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يثوبون ولا هم يذكرين //

سجل باب المناظرة والمراسلة

﴿ تشبيه كتاب الاحياء بالقرآن ﴾

حضرة السيد مذهبى: المنار محمد رشيد افندي سلمه الله وعافاه

يرفعون ان الامام النووي قال في جق الاحياء: كاد الاحياء أن يكون قرآنا؛ ونقله الشيخ عبد القادر العبدروس باعلوي في كتابه «الاحياء في فضائل الاحياء» الملبوع في هامش الاحياء. ولا شك أن الاحياء كتاب عزيز قلما يكون له مثيل ولكن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يقاس كلام المخلوق على كلام الخالق. ونحن نستغرب جدا صدور القول من النووي وان كان غير معصوم من الخطأ. وقد كنت طالعت في زمان مضى شرح مسلم لهذا الامام الجليل ولكن لا (انحطار) أني رأيت فيه ما يقرب من هذا القول وليس عندنا من مآثر تأليفاته شيء. ولذلك جئنا نستفسر رأيكم في هذا الامر وهل القول المذكور منقول من النووي بالسند الصحيح أو رأيتموه في آثاره المتداولة في تلك الاصقاع بأنفسكم. وباحذوا لو كتبتم في هذا في المنار فلعننا نستفيد منه ويستفيد غيرنا ولكم في ذلك جميل الثناء وكثير الاكرام.

عضو الجمعية الشرعية ببلدة اوفاسا باقاو محرر جريدة «وقت» ببلدة أورنبورغ حالا

رضاء الدين بن حجر الدين

(المنار) ليست عبارة النووي رحمه الله تعالى بالممكن الفني وضعتوها فيه وإن صحت نسبته اليه فاتها لا تدل على مساواة كتاب الاحياء لكتاب الله ولا على كونه يقاس به وإنما هي عبارة يقصد بمثلها المبالغة واعتبر بمحدث أنس عند أبي نعم في الحلية «كاد الفقر ان يكون كفرا وكاد الحسد أن يظلب القدر» فأنت ترى ان الحديث لا يمكن حمله الا على المبالغة المعهودة في الاسلوب العربي بمثل هذا التعبير وضعف سنده لا ينافي محبته على أساليب العرب وقوانين البلاغة فمعنى العبارة المعزوة الى النووي ان كلام الاحياء يؤثر في القلوب وبرغبتها في الهداية بحيث يصح ان يقال فيه بلسان المبالغة انه قريب من القرآن في ذلك

❦ الانتقاد على المنار ❦

كلكتة ١٧ ربيع الاول سنة ١٣٢٥

فضيلتو أفتد صاحب مجلة المنار المحترم

من بعد اهداء التحية أقول حيث أفدناكم في خط خصوصي قبل هذا بأن
غرض الفقير من مكاتبتكم والاشتراك في مجلتكم هو الوقوف على حقيقة قصدكم من
انكار تقليد أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد في فهم معنى الكتاب والسنة وأقوال
الصحابه ليس لأقربوكم الافادة عن ماذا كان قصدكم اظهار المخالفة للعرفوا فتعذركم
اذ لستم أول من خالف لهذا الغرض وان كانت الآخرة خيراً وأبقى وقد يضطر
الانسان في اليأس قوته الى ما لا يجوز «لأما اضطررتم اليه» فان كان هذا قصدكم فنحن
فكنتي منكم بالاشارة ولو من طرف خفي لعلنا ان ساحة عفو الله واسعة ورحته
وسعت كل شيء عليه فنكف البراع عن الاسترسال في موضوع وجلبتوه مضطربن
وان كان قصد حضرتكم هورد الأمة الى الصواب لما تحقق عندكم وثبت لديكم من
خطأ الأئمة الأربعة أو أحدهم في فهم كلام الله وسنة رسوله وأقوال الصحابة
فالمأمول من غيرتكم على الشرع الشريف ان يبينوا لنا في أي موضوع أخطأ
الائمة أو بعضهم في فهم ماذا كره فان يبين لنا ذلك فالأصل ان نقيدون عما اذا
كان أصحاب الخطأ منهم أجمعوا على موافقته على الخطأ أو على مخالفته بحيث
تركوا العمل بقوله بالمره وصار العمل على خلاف ما ذهب اليه أم اختلفوا فمنهم من
خالف ومنهم من وافق فان كان الأول فإننا نلتبس من فضيلتكم مع الاحترام
لشخصكم ان تعرفونا أولاً وجه خطأ الامام في فهم معنى الكتاب أو السنة أو أقوال
الصحابة الجميع عليها وباننا محل اتفاق أصحابه معه على الخطأ من ذلك المهدى
عبدنا هذا فان عرفونا عن ذلك ولا أخالكم فاعين تبين لي سنة قصدكم
وسلامه نيتكم وشدة غيرتكم على الأمة المحمدية وحرصكم على انتشالها من هادي
الضلالة وحينئذ أضمر صوتي مع صوتكم قياماً بالواجب وعلى الله انعام المقاصد
«كنتم خير أمة» الآية «من رأى منكم منكراً» الحديث وانما نقول كما هو
الراجح لعلنا ان القصد غير صحيح والنية غير سليمة وانما القصد اظهار المخالفة

تحيلاً لالتباس القوت وهنا يحسن بي أن أقول لحضرتكم أن انظابكم في سلك محمدي الجريدة يغنيكم عن ارتكاب هذا الشطط الذي يباه مقام من يدعى بفيلسوف الاسلام مرة وبالمصلح أخرى وإن كان الثاني وهو اتفاقهم على مخالفة امامهم فيما اخطأ فيه أو الثالث وهو اختلافهم في ذلك فقد تحقق لدينا أن القوم لم يجابوا امامهم ولم يأخذوا اقواله قضايًا مسلحة ولم يتبعوه الا فيما تحقق لديهم بالأدلة الصحيحة لأنهم لا ينتقدون عصيته بل الامام نفسه لا ينتقد لنفسه العصية من الخطأ ولذا لا تجسد اماماً الا وقد خالفه أصحابه في كثير من المسائل وضمف له اتباعه كثيراً من الاقوال فسلام يلام المبتوع وهو مقر بجواز وقوع الخطأ منه وبأي دليل يؤخذ التابع وهو لم يراع لامامه في مقابل الحق حرمة وإن قلت أيها المصلح نحن لا نعتقد أن الائمة أو أحدهم لم يفهموا معنى الكتاب والسنة بل فهموا ذلك غير أنهم أو أحدهم قد يسلك سبيل القياس في مقابل نص القرآن أو صحيح السنة أو إجماع الصحابة بلا ضرورة ملجئة فنقول إن كان لديكم شيء من ذلك فتفضلوا بشعريه لتكون لكم من الشاكرين ولعلكم إن كان حقاً من السالكين وإياكم واتباع الهوى وسلوك خطة المكابرة أو المغالطة فإننا عند ذلك معرضون والحق راضخون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون هذا وإن تفضلتم على الفقير المذنب بالجواب عن اعتقاده في أن وقوع الخطأ من أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد الذين قد قلدهم في فهم معنى الكتاب والسنة بجمهور الأمة الا قليلاً ممن اغواهم الشيطان من زمن غير بعيد أقل منه ممن أصيبوا في عقولهم وزين لهم الشيطان أنهم ادركوا من أسرار الشريعة ما لم يدركه هؤلاء الائمة حملة الشرع الشرهف وإن تقليد أحد الائمة المذكورين أولى من تقليد من ذكرنا من الفواة على فرض أنهم على شيء من العلم والتقوى هل أنا الفقير مهيب في هذا الاعتقاد أم لا يبنوا توجروا ودهتم أقدم

محسبكم المعايير

أحمد موسى المتوفي بكلكتة

(المنار) تعجبنا بنشر هذه الرسالة برمتها على مجيئها قبيل أيام المنار وعلى قيام القرائن السابقة واللاحقة عندنا بل الدلائل الناطقة على سوء اعتقاد صاحبها بنا

وظنه أنه قادر على دحض حجتنا والتفجير عن خطتنا بل على كونها ليست على شرطنا في انتقاد المنار وهو أن يذكر لنا المنتقد لنا شيئا مما نشرناه وبين بطلانه بالدليل أو يطالبنا بالدليل عليه إذا نحن أوردناه غفلا . وليس منه أن يحاسبنا على نيتنا وكسبنا أو يعرض بسبنا وثلبنا أو يحترع لنا رأيا ويسألنا عنه . نشرنا الرسالة على هذا كله لتبين لمسلها أن ما فيها ليس بالشيء الذي يسمى انتقادا واننا . فبا نحن عليه من البصيرة . نية في الدين لا تفصل بقول من يقول أو يكتب اتنا نخطئ . الاثمة الاربعة وان كان ذلك مما يفر عن المنار جواهر العوام وكثيرين ممن يصدون من الخواص الذين يحملون هؤلاء الاثمة إجلالا خياليا تقليديا لا برازي معشار اجلالنا الحقيقي لهم ورحمهم الله وجزاهم خيرا

وأول ما نقوله في الجواب أن طريقتنا التي جربنا عليها في المنازل ليست من الوسائل التي يلمس بها «القوت» - لو كنا مموزين - لأنها مخالفة لأهواء الاكثريين وآرائهم مظنة لأن «كسدوقها فيهم وانما يلمس القوت من يلمسه من أصحاب النفوس الصغيرة من حملة الاقلام بما يرضي الجمهور . وقد صرحنا في مقدمة المنار بأننا انشأناه ونحن نتوقع عدم رواجه وان أهل الخبرة والرأي أنذرونا ذلك ثم ظهر لنا صدق ذلك وظل المنار أربع سنين لا يأتي من اشتراكه الاجزاء قبل مما يفتق عليه وهو الآن على سعة انتشاره لا يعد ربحه مقصودا لمن يقدر أن يربح بغيره اذا تركه اضاعاف ما يربح منه وقد تمم السنين ولا نطالب أكثر المشتركين بقيمة الاشتراك بل نتروك ذلك لاماتهم وما هذا شأن من يعمل لأجل القوت . ولنا من محمزي الجريدة كما قال في فضوله الذي يشبه سائر أقواله في كونه رجما بالغيب . ثم اننا لقينا من الابداء في سبيل المنار ما يرفه الكثيرون اجمالا وتفصيلا ولا نطيل في هذا فان الاخلاص صلة بين العبد وربه ومن لم ير في دعوتنا الى انتقاد ما نكتب ونشر ما ينتقد علينا آية على أننا لا نريد الا بيان الحق فله أن يسي . الاعتقاد بنا كيف شاء وعلينا ان نسأل له العفو والمغفرة والمداية من الله تعالى . ثم إننا نتكلم في المقصد فنقول ملخص الجهر في كلامه اننا نتكر على من نظروا فيما فهم الاثمة الاربعة من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة فاتبعوا منه ما رأوه صوابا وردوا ما رأوه خطأ وسمي

هذا الاتباع تقليدا وهو لو وجد لا يصد تقليدا ونحن لم نشكر ذلك قط فإن أصر على زعمه فليبين لنا مكانه من المنار وأما تشكر التقليد في الدين وهو الاخذ بقول القائل من غير دليل لما قام عندنا من الحجج والدلائل على بطلانه وبذلك قال الأئمة الأربعة وغيرهم من أهل العلم، وما أجاز التقليد الاضفاء المقلدين الذين خالفوا أئمتهم في استباحة التقليد . أما كون الأئمة أصابوا في فهم الكتاب والسنة وأقوال الصحابة فهو لا يمنع بطلان التقليد في نفسه اذ لا يتقضى دلالته بل ربما يؤكده لأن ما جاز لهم جاز لغيرهم لأنه ليس وحيا اختصهم الله به وجعله فوق كسب سائر البشر بل هو أمر ممكن يتناوله كسب كل كاسب وإن تفاوت الناس فيه و « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » والحق أن المجتهد منهم ومن غيرهم يخطئ . ويصيب بل قال أهل الأصول ان اجتهاد الانبياء عليهم الصلاة والسلام قد يقع فيه الخطأ ولكن الله لا يقرم عليه بل يبين لهم الحق فيه وأني للأئمة الأربعة وغيرهم بذلك . والمقلدون يأخذون بما صح في مذاهبهم وإن بحث العلماء فيه وينتوا مخالفته للدليل وليراجع أصول الكرخي أما الدلائل على بطلان التقليد فقد بيناها بالتفصيل في مقالات خاصة وفي تفسير القرآن وفي كثير من الفتاوى وغيرها فلا سبيل الى إعادتها هنا بل عليه ان يراجعها في مجلدات المنار السابقة وله بعد ذلك ان يذعن لها وأن يرد عليها ان استطاع ونحن نعلمه بنشر رده في المنار بشرط ان لا يمتدى البحث في الموضوع الى ما ليس منه كما فعل في هذه الرسالة . ومن اقدم ما كتبناه تفصيلا في ذلك « محاورات المصلح والمقلد » وفيها نصوص الأئمة في بطلان التقليد لهم ولغيرهم وهي مطبوعة على حديثها في كتاب فله ان يطلبه من مصر وثمنه مع اجرة البريد روبية واحدة وقد طبع في هذه الايام اجزاء من كتاب « الأئمة » للامام الشافعي وعلى هامشه مختصر صاحبه الامام المزني وهو مفتتح بهذه العبارة بعد البسملة « قال أبو ابراهيم اسماعيل بن يحيى المزني رحمه الله : اختصرت هذا الكتاب من علم محمد بن ادريس الشافعي رحمه الله ومن معنى قوله لا قر به علي من اراده مع اعلاميه نبيه عن تقليده وتقليد غيره لينظر فيه لدينه وبحناط فيه لنفسه وبالله التوفيق » ثم ماذا يريد المتقدم من حصره الانكسار في تقليد الأئمة الأربعة فيها فهو

من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة ؟ هل يريد أنه يجب تقليدهم فيها فسرنا به القرآن وشرحوها به الحديث وأقوال الصحابة وعدم تقليدهم فيها اجتهدوا فيه الأحكام التي لم يصرحوا بأخذها من هذه المصادر الثلاثة ؟ إن كان يريد هذا وهو ظاهر عبارته الأولى فقد هدم معظم الفقه الذي يدين الجمهور بتقليده خصوصاً الفقه الحنفية والا فليد لنا على تفسير الامام أبي حنيفة للقرآن وشرحه للأحاديث وأقوال الصحابة ليقولنا من يتبع رأيه الجديد ويترك ما عداها من مسائل الفقه المأخوذة بالقياس والاستحسان . وإن كان يقول بقول عامة المقلدين أنه يجب تقليد ما في هذه الكتب من غير التقيد بالالتفات الى ما أخذها مما هو معنى العبارة الأولى ١١

الموضوع طويل الأذبال واسع الأردان صنف العلماء فيه مصنفات كثيرة وأحسن ما رأينا فيه هو ما كتبه الامام ابن القيم في كتابه (اعلام الموقعين) المطبوع في الهند وتلقانا كثيراً منه في المجلد السادس فلي المنقذان يقرأ ما كتبنا وما كتب هذا الامام وغيره في المسألة ثم يكتب بعد ذلك ما يظهر له أنه الحق إن كان طالباً له . ولعلم ان جماهير المسلمين قد أهملوا الاهتمام بالكتاب والسنة اكتفاء بهذا الفقه ثم أهملوا هذا الفقه فقل فيهم من ينظمه وقل في متعلميه من يعمل به حتى صار الاسلام عند الاكثرين جنسية لا هداية وقد أخذهم الله بذنوبهم واننا نستقد اعتقاداً جازماً أنه لا ترجى لهم هداية الا بدعوة الكتاب والسنة والرجوع بالدين الى ما كان عليه في عهد السلف ولا نرى حائلاً دون هذا الا التقليد الذي صار على بطلانه في نفسه إنما بلا مسمى وهو مع ذلك لا يزيد المسلمين الا تفرقاً واختلافاً وضيقاً وهلاكاً فنحن نحاول هدمه وندعو المسلمين كافة - لالمتبين الى المذاهب الاربعة فقط - الى الاهتمام بما لاخلاف فيه بين أحد منهم لعلهم يرجعون . واننا لانجيز لأحد أن يقلدنا كما يتوهم المنتقد وغيره من الذين يتبعون فينا الفتن وانما نحمل الجميع على الكتاب والسنة ومضى قرأ كلامنا بانصاف عرف ذلك والله الموفق

كتبه الناصر بلا العرب ان الدولة العلية ظهر لها بعد رجوع السكركم المفتشين من نجد لخالص ابن سعود لها وما كان من كذب ابن الرشيد وغشه وارسل ابن سعود يطلب الاستانة وفد الى السلطان مؤلفاً من صالح بن عدل و ابراهيم بن عبد العزيز بن رافع وخدمهما وهم أربعة و لما وصلوا البصرة أكرمهم الحكومة جداً وسافروا على نفقتها . وأخيراً كتبت الدولة لابن سعود والظاهر أنها تطلب منه فيه تأديب قاتلي أولاد ابن الرشيد ظلماً وعدواناً

فبشر جادي الذين يشتمون القول فينبهون أحس
أو تلك الذين هداهم الله وأتلكهم أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

في الحجة من يشامون في تلك الحجة فتدأوني
شوا كبريا وما يدركه الأولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى و«منارا» كئنا والطريق

﴿ مصر ربيع الآخر سنة ١٣٣٥ — آخره الثلاثاء ١١ يونيه (حزيران) سنة ١٩٠٧ ﴾

تاريخ المصاحف

بقية ما كتبه موسى افندي جار الله الروسي

ثم أصيب الاسلام بموت عمر وولي عثمان فزادت الفتوح واتسع الامر وسعى
 الساعون في ايقاع الخلاف بنشر الاختلاف فدعت الحال الى نشر المصاحف المكتوبة
 على مشهد من الصحابة عظيم فجمع الصحابة وكانت عدتهم يومئذ بالمدينة يزيد عن اثني
 عشر الفا فطلب المصحف من حفصة أم المؤمنين واحضر زيد بن ثابت وعبد الله بن
 الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فكتبوا خمسة مصاحف
 من غير تغيير ولا تبديل عما كان عليه المصحف الذي كتبه زيد بأمر أبي بكر .
 وما ورد عن عثمان في الاقال وبراءة فابداه عما كان يراه قبل من انها سورة واحدة
 اذ لم يقف على بيان من النبي صلى الله عليه وسلم . وقد شهد عثمان النسخ الاول وقد
 وقع الاجماع فيه على هذا الترتيب ولم يبد عثمان خلافا فيه ولو كان له رأي يراه لوجب
 عليه ان يظهره وما جرى بين عبد الله بن عباس وبين عثمان من سؤال وجواب
 فكفاية لما كان يراه عثمان قبل . وعين زيدا ان يقرأ بالمدني وبعث عبد الله بن
 السائب مع المنكي والمغيرة بن شهاب مع الشامي وابا عبد الرحمن السلمي مع الكوفي
 وعامر بن قيس مع البصري . وقرأ كل مصر بما في مصحفه على هؤلاء الصحابة .
 ونسخوا من هذه المصاحف الخمسة مصاحف لا يحصى عددها فلم يبق في الامكان
 كيد الكائدين ولا وهم الواهمين بقي عثمان كذلك اثني عشر عاما حتى مات وبموته
 حصل الاختلاف وابدا أمر الروافض . ثم تولى الامر علي ومالك وبقي خمسة اعوام
 وتسعة أشهر خليفة مطاعا غالب الامر ساكنا بالكوفة والقران يقرأ في المساجد
 في كل مكان وهو يؤم به الناس والمصاحف معه وبين يديه . ثم بعده ابنه الحسن .
 وكان علي يثني ثناء على أبي بكر وعثمان فيما فعلا في المصاحف . ولو كان وقع من أبي بكر
 وعثمان تغيير في شيء بنقص أو زيادة (ولا يمكن ذلك لامتناع تواطؤ الكثير المنفرق على
 التغيير في شيء فلو وقع من أحد لظهر ولاقتضح المرتكب من ساعته) لما قدر على
 منزلة التحمل والصبر عليه بعد ما تولى الامر وهو الذي قاتل أهل الشام في رأي
 يسير وآه ورأوا خلافة . وعلي شهد النسخين ورأس في كلا الوقتين
 غالب القول فيما لا يتصايا نافذ الرأي حائز الجلبا

فلا يمكن أن أبكر وعثمان قد اسقط بعض ما نزل في أهل البيت . ولم يكن أبو بكر وعثمان الا كغيرهما من الصحابة في شأن جمع القرآن . ولو كان نزل شيء في أهل البيت لتواتر كسائر الآيات وكنم ماشاع وفزع أمر محال لا يستطاع (١)

وعلماء الامامية ورحمهم الله تعالى اجل من ان يقولوا قد وقع نقص في القرآن بمكر أبي بكر أو أمر عثمان . والشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه والسيد المرتضى علم الهدى ذوالجهد أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي والقاضي نور الله في مصائب التواصب والامام الطبرسي في مجمع البيان هؤلاء اعلم علماء الامامية واعلام امتنا الاسلامية قد قالوا بامتناع وقوع التغير في القرآن وقالوا ان السلم بتفاصيل القرآن واجاضه كالملم بكلمه وجملته . فن رام في اسقاط بعض آيات نزلت ، فليصع أولا في رفع كل القرآن وكنم اخبار اقتشرت . وما نقل عن بعض علماء الشيعة من سقوط بعض آيات نزلت فلا أرى ان ذلك كاف وأيا لم يروونه انما ذلك من جملة بقايا اخبار كانت تنشر من عند الذين يحبون ان تشيع الفاحشة والفتنة في المسلمين ، ومن عند الذين ينفون خبالا ويسمون فسادا في الدين

وقد كانت مثل هذه الاخبار أضع وسيلة في الحصول على اغراضهم السياسية فهازوا فوزا عظيما في دعوتهم ، ونالوا فوق ما أملوا في كسر شوكة الامة الاسلامية وتفريق وحدتهم . وقد دس هؤلاء من أباطيل الاخبار شيئا كثيرا في الدين قد تلفاه واغتر به قوم من أهل الخير فادخلوه في دواوين الاحاديث والاخبار واسفار السنن والآثار .

وقد من الله علينا اذ جعل فينا رجلا عدولا ميزوا سنن نبينا عن موضوعات الاخبار وأكاذيب الآثار فسقونا من بين فرث ودم لبنا خالسا سائفا للشاربين . هذا وكل ما ذكرته من تاريخ القرآن والمصاحف فهو حق لان الامر كاف ووقع كذلك ومن ادعى اتصاف الشمس في النهار قائما عليه ان يشير الى ما هناك ومن خاف فلا يمتد به فان الخلاف في ذلك مغلف الى قوم تقولوا اخبارا نزلوا معها لا يرجع بثقلها عن العلوم المقطوع بصحتها والى قوم اتوا بأقوال لا يقوم لها من عالم الشهود شاهد ولو اتا سلكنا مسلكهم واستجزنا التدليس على احسننا وارتكبنا ما لم يرتكبه سلفنا

(١) يريد المؤلف بهذا الرد على ما نقل عن بعض غلاة الشيعة من زعم كتمان

الصحابة لايات ادعوا انها نزلت في آل البيت عليهم السلام كما سيصبح به

لائنا بما يلىس به خصوصنا اسفاً . لكن يكفيننا في بيان الحق ان ثأني بما كان ، وليس من شأن الناقل ان يتسك بما بعد عن الحق وبان . وحيث وفيما الموضوع بحون الله تعالى بما استطلنا من البيان . وكان ذلك خير ما جئنا وخيار ما اقتطنا من حدائق الاعيان ، وأئنا من واجب الاحسان علينا ان لآني بما يدل على امتناع وقوع التحريف في القرآن . ونحن الآن نأخذ بحول الله وقوته في اجمال مافصله العلماء في ذلك ، وان نجيع ونلتقط ما انتشر في محائف الدواوين من هنا وهناك .

البرهان الاول : ان النبي صلى الله عليه وسلم اتقل والصحابة ألوف مزلفة ما منهم احد الا هو يحفظ قسما وافرا من القرآن . وفيهم مئات يحفظونه كله بتمام الضبط والاثقان عن ظهر قلب . ثم ان الكثير منهم تشتتوا أثر ذلك في الاقاليم ، وانتشروا في الاقطار استيعابا بمواطنهم الاصلية . أو تعينا لعمل من الاعمال الملكية والدينية ، ثم نسخت المصاحف ووصلت الى هذه الاعداد الكثيرة في المدن والبلاد ، فلو كان وقع تغيير في كلمة أو تحريف في حرف لظهر وتاثرت الامة وهاجت الخواطر على جامعي المصاحف وقتلواهم قتالا ، ولارتد كثير من الناس لان اساس اقل تغيير فيه يجهل العباد . أو وقوع تصرف فيه بالافكار وكيد أهل الفساد . يقضي بآيه غير منزل من عند الله سبحانه وتعالى . لكننا لم نسمع ان أحدا من مسلم وغيره عارض في شيء من القرآن وادعى ذلك فيه . ولو وقع حجة تغيير فيه في العصر الاول لوقع تغييرات في الصور الاخيرة على سنن قانون الطبيعة في التدو . لكن القرآن قضى من أجله ثلاثة عشر قرنا وزيادة ، وملأت المصاحف وجه الارض وطباقها ولم يوجد مصحف يختلف عن الآخر بخرف واحد .

البرهان الثاني : ان القرآن أكبر دلائل النبوة ، به ظهر الدين وعز شوكة المسلمين . هو آية ظلت اعتناق الحيار : لها خاضعين ، فاذعنوا له بمحض الجناح طائعين لا وامره ، عاملين باحكامه . فلا يمكن ان يرضى الامة تحريف شيء منه ولو كان دونه بذل المهج والنفوس .

البرهان الثالث : من ألم بتاريخ الصحابة ونظر نظرة في فمحاء الاحاديث يعلم أن العلم ما كانت عليه الصحابة من غاية الاعتناء ونهاية الاهتمام في حفظ القرآن وضبطه حتى مقادير المئات . وتقوات الامالات ، ويعرف ما لهم من مزيد العناية ، في ضبط الاحاديث والرواية ، حفظا وكتابة ومن وفور الاحتياط وعظيم الثبوت عند ادائها وتبليها للامة .

والعقل يحكم طوعا بالقسط ، وضرورة باليقين ان العلم الفقير والجمع الكثير الذين أخذوا القرآن تلقياً عنه عليه السلام في تضاعيف عشرين سنة ، وضبطوه حفظاً في الصدور وثبتا في الصحائف والسطور لا يجوز عليهم التخليط فيه ولا التغير . وشعر الاقدمين مع انه لا يمكن ان يظهر ظهور القرآن ولا ان يحفظ كحفظه ولا ان يضبط مثل ضبطه ولا ان تمس الحاجة اليه مساسا للقرآن لو زيد فيه بيت أو قطف أو غير فيه حرف أو حركه لثبأته أمحابه وأنكره أربابه . وطن فيه عارفوه ، وجدده راووه . وقد شوهد ذلك في كثير من الاشعار والخطب والاواحيذ يعرفه من يتنى بلغة العرب وروايتها .

فإذا كان ذلك مما لا يمكن في شعر الاقدمين فكيف يجوز وقوعه في القرآن مع العناية الصادقة والضبط المتقن والعلم بأنه دليل النبوة ونور الشريعة وملجأ الامة . البرهان الرابع : ان العلم بالقرآن كله وجملة فائق في الوضوح والاشهار أشهر المتواترات من كبار الحوادث وعظام الوقائع ومهمات الامور وحواضر الاحوال . والعلم بآيات القرآن وسوره وتفاصيله وابعاضه عند حفاظه وروائه في العصر الاول كالمسلم به كله وجهته : فان الناية اذ ذاك توفرت . والدواعي اشتدت . والفرائح انبثت الى حفظه الراسخ وضبطه المتقن . والغايات تباينت والاغراض اختلقت : فمنهم من يضبطه لاتقان قراءته ومعرفة وجوهها ومحة ادائها . ومنهم من يحفظه لاستنباط الاحكام وبيان معالم الاسلام . ومنهم من يقصد بحفظه معرفة تفسيره ومعانيه والوقوف على غامضه وغرائبه . ومنهم من يسجبه بالغ فصاحته وذوق بلاغته ورائق اسلوبه وشائق نظمه وعجيب تأليفه . ومنهم من يحفظه استاذنا بتلاوته واستجابا في كرامته وتقربا بقرائه وتعبدا بدراسته . ومنهم من يحفظه ليجرد التشرّف بشرف حمله والقيام بواجب ادائه وتعليمه وهو الغالب .

فبالضرورة لا يمكن على أهل هذه المهم العالية والاغراض المتفاوتة والغايات المتباينة مع كثرة اعدادهم وتباعد بلادهم ان يجتمعوا على التحريف والتغيير ويتواضعوا على التبديل

البرهان الخامس : لا يخفى على الحبير بعلوم القرآن وطرقه الثابتة انه لم ينقض عصر الرسالة الاوثاناع التابعون وأخذوا عن الصحابة مباشرة وقبل فيهم من لا يحفظ كل القرآن . وكان الرجل لا يكون عظيما في الاعين ولا يمد صاحب حديث مالم يحفظ عشرات آلاف من الحديث . فتبعوا حفظه الصحابة في كل زمان ومكان

فأبلغهم أن محابا يحفظ آية كذا بفتح كذا من آيات التي نزل بها القرآن (وسأين معنى آيات والاحرف في القرآن بما لا أظن أن الحق يشهد أن شاء الله) إلا ارتحلوا اليه وتلقوا عنه حتى جمعوا القراءات التي قرأ بها القرآن بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم . ثم جاء قرن كان حفظ القرآن عندهم كأنه أمر لازم . وكان اقطار حوافظهم قد امتدت ودوائر احاطتهم قد اتسعت . فكثرت فيهم من يحفظ مئات ألوف من الحديث ومن يحفظ من أشعار الجاهلية وأيام العرب وخطبها وأمثالها وأراجيزها مالا تسعها ضخام الاسفار كانوا يحفظون كل ذلك لاجل القرآن وعلومه فحوضوا علوم الرسوم والتجويد والقراءات وعلوم الدين وكل مباديها

وكان من أساس دينهم في الله تعبد التذكير على البدع وشدة الاعتصام بالسنة الثابتة والحفاظة على ماورد والوقوف عند حد أمر ثبت . وما مضى قرن إلا وجاء الذي بعده عمقا باحثا في علوم القرآن . جازيا على ما جرى عليه سلفه . كل انسان أحاط بعلوم القرآن خبرا يعلم أن طرقه ورواه واختلاف رواياته كلها توقيف لم يتصرف فيها أحد بشيء . فوقع التعريف في القرآن من مثل هذا لامة غير ممكن . البرهان السادس : المصدر الاول كان عاملا بالاعداء من اليهود وغيرهم . وكانوا أشد الناس عداوة للذين آمنوا عموما وللتي عليه السلام خصوصا . واقفين له وقومه بالمرصاد ناصيين لهم بجائل الفتن موهبين عليهم صدور الناس . فلو عثروا على أدنى تحريف أو تغيير لشنوا على جامعي المصاحف غارة الفتنة . وشتموا عليهم في جميع القبائل . ولكن ذلك من أعظم القرم المساعدة على اتهامهم في نظر الامة . وأكبر الوسائل المؤدية الى تفرق الجامعة الاسلامية وتشتيت كتلتها

كانت مدينة النبي عليه السلام خاصة بالمناقضين كان عرفهم بسياهم ومعرفهم في لحن اقوالهم كانوا يحضرون في مجالسه يسمعون منه وقرأون في من قرأ وصلون مع من صلى

وهم في كل لحظة يوشفون غفوة تصدر منه ليتخذوها ذريعة الى رد الناس عن الايمان به . وقد صاحبوا أصحابه بعده ولم يمنع ان واحدنا منهم قال بتغيير حرف من القرآن وهم أولى الناس بذلك وأقدرهم على فرض وقوعه لتباعهم الاصل من النبي . وتتابع الفتن المساعدة لهم في طعن الدين بأكبر المطاعن .

أمة غرقت اقوال نبيها وتخلتها . ومحت فيها بحث تدقيق وتفتتها . وروث

من اخبار العصر الاول ما عليها قبل قتل مالها . أمة ثنائيا بكلام ربها اضاف ثنائيا
بأحاديث نبيه يستحيل عليها أنها عكفت على هذا الدين وفي القرآن أقل تعبير قاض
أنه ليس من عند الله .

أمة إذا سمع ملها ينثا من الشعر واستطلع معناه قال هذا مأخوذ من قول فلان
الجاهلي أغيث عنها البحث في القرآن هل وقع فيه تعبير وشي جديد . أو هو باق
على ما كان عليه تنزيل من حكيم حميد اه



❦ خلاف الامة في العبادات ومذهب أهل السنة والجماعة ❦

❦ لشيخ الاسلام وعلم الاعلام الامام نبي الدين أحمد بن تيسية رضي الله عنه ❦

❧ مقدمة لصاحب المشار ❧

شمرع الله تعالى لعباده على السنة جميع رسله ان يقيموا الدين ولا يتفرقوا
فيه ولكنهم كانوا يتفرقون في كل أمة فيزول ما أريد بالدين من معنى الاجتماع
والائتلاف حتى اذا ما شرع الله لهم الدين العام القوي هو خاتمة الأديان شدد
فيه التغير من التنازع والتفرق والاختلاف وأكد الامر بالاعتصام والائتلاف
والائتلاف وقال لحاتم التميمي (١٥٩٦) ان الدين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم
في شيء) ومع ذلك لم تسلم هذه الامة من اتباع سنن من قبلها والاختلاف كما
اختلفوا أو أشد . ولما وقع الخلاف وكثرت المذاهب وصار لكل فريق أنصار
يخالفون الآخرين ويعلنون عليهم امتناز أهل الحق المستصمون بحبل الله بالجمعة
الى الاجتماع والالفة والتباعد عن التنازع والفرقة وجعلوا المرجع في ذلك الى
كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم عملا بقوله عز وجل (٤ : ٥٩) فإن
تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك
خير وأحسن تأويلا) فكتاب الله ثابت لا نزاع فيه وسنة رسوله معلومة لا خلاف
فيها فسا جرى عليه وتبعه فيه أصحابه على طريقة واحدة بلا خلاف بينهم مجتمع
فيه الخلاف من المؤمنين وما اختلف فيه العمل كان المؤمنون مخبرين فيه لا ينازع
أحد منهم أخاه إن أخذ خير ما أخذ هو به وكل جائز

وقد سمي هؤلاء بأهل السنة والجماعة لأنهم يحكون السنة العملية المثبتة فيما هو حتم وفيما هو تخير فيه ويختارون الاجتماع والاتفاق على الخلاف والافراق ولذلك كان من مزاياهم التباعد عن تكفير أهل القبلة وتضليلهم لاجل الخلاف والعمدة عندهم في صحة الايمان وولاء أخوة لاسلام هو الاخذ بالجمع عليه في العصر الاول المعلوم من الدين بالضرورة ويعذرون من أخطأ فباعدا ذلك

ثم إن علماء أهل السنة قد كانوا ينظرون في وجوه الترجيح بين ما اختلف فيه عمل أهل العصر الاول أو الرواية عنهم فيأخذ كل واحد ما يراه أرجح مع كونه يعذر من يأخذ بغير ما اختاره هو لا سيما اذا كان رأيا لا رواية ثم حدث في الامة التقليد وصار كل فريق يتمصب لمعلم من أئمة علماء الامصار من بعدهم فساد بذلك التفرق والاختلاف المقوتان عند الله الى المنتسبين الى أهل السنة والجماعة ووجد بذلك أهل البدع ما وجدوا من المطاعن عليهم وعلى مذهبيهم بل كان ذلك مما طعن به في أصل الدين

سبق لنا قول في هذا الخلاف ومضاره ورأي في تلافيه واتقاء أخطاره أودعناها مقالات محاورات المصلح والمقلد (التي جمعت من المنار وطبعت في كتاب من نقل) وأيدناه بما كتبه حجة الاسلام أبو حامد الغزالي في كتابه القسطاس المستقيم من الدعوة الى إزالة الخلاف بالاخذ بالجمع عليه والتخير في المختلف فيه وقليل من الناس من يترك كل ما أجمع على نحره ويؤدي كل ما أجمع على وجوبه ويفعل ما سهل عليه مما أجمع على نديه واستحبابه ولكن المرزويين بالتمصب لهذا ذهب يسهل عليهم قطع أخوة الايمان بسبب خلاف في رواية أو رأي مما لم يجمع عليه المسلمون وهم مع ذلك يتركون بعض الفرائض ويرتكبون بعض المحرمات ويحسبون ذلك أهون من الخلاف في الدين

وقد قرأنا في هذه الايام رسالة لشيخ الاسلام أحمد بن تيمية في مسألة الخلاف في العبادات وحقيقة السنة والجماعة فأثرنا نشرها رجاء ان ينفع الله بها المسلمين (٥١ : ٥٥) وذكر فان القسري نفع المؤمنين قال رحمه الله تعالى وأما

(قاعدة) في صفات العبادات الظاهرة التي حصل فيها تنازع بين الامة في الرواية ورأي مثل الاذان والجهر بالسلمة والقنوت في الفجر والتسليم في الصلاة ورفع الايدي فيها ووضع الاكف فوق الاكف ومثل التمتع والافراد والقران في الحج ونحو ذلك فان التنازع في هذه العبادات الظاهرة والشعائر أوجب أنواعا من الفساد الذي يكرهه الله ورسوله وعباده المؤمنون

(أحدها) جهل كثير من الناس أو أكثرهم بالامر المشروع المسنون الذي يحبه الله ورسوله والذي سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه والذي أمرهم باتباعه (الثاني) ظلم كثير من الامة أو أكثرهم بعضهم لبعض وبغيرهم عليهم اارة بتبهم عمالم ينه الله عنه وبعضهم على ما لم يبيحهم الله عليه وتارة بترك ما أوجب الله من حقوقهم وصلتهم لعدم موافقتهم له على الوجه الذي يوثرونه حتى يفقدون في الموالاة والمهبة واعطاء الاموال والولايات من يكون مؤخرا عند الله ورسوله ويتركون من يكون مقدما عند الله ورسوله لذلك

(الثالث) اتباع الظن وماتوى الانفس حتى يصير كثير منهم مدبنا باتباع الالهواء في هذه الامور المشروعة وحتى يصبر في كثير من المنفعة والمنفعة من الالهواء من جنس مني أهل الالهواء الخارجين عن السنة والجماعة كالخوارج والروافض والمعتزلة ونحوهم وقد قال تعالى في كتابه (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) وقال في كتابه (لا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل)

(الرابع) التفرق والاختلاف الخالف للاجتماع والاتلاف حتى يصير بعضهم يفيض بعضا ويماديه ويحب بعضا وبزاليه على غير ذات الله وحتى يفضي الأمر ببعضهم الى الطعن واللعن والهمز والهز ويعصمهم الى الاقتتال بالايدي والسلاح ويعصمهم الى المهاجرة والمقاطعة حتى لا يصلي بعضهم خلف بعض وهذا كله من أعظم الامور التي حرمها الله ورسوله والاجتماع والاتلاف من أعظم الامور التي أوجبها الله ورسوله قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن

الا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا - اذ قوله - ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم - يوم يبيض وجوه وتسود وجوه (قال ابن عباس) يبيض وجهه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة وكثير من هؤلاء يصير من أهل البدعة بخروجه عن السنة التي شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته ومن أهل الفرقة بالفرقة المخالفة للجماعة التي أمر الله بها ورسوله وقال : (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) وقال تعالى (وما اءلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات) وقال تعالى (وما تفرق الدين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينات) وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) وقال تعالى (ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) وقال تعالى (وآتيناهم بينات من الامر فما اختلفوا الا من بعده جاءهم العلم بغيا بينهم) وقال تعالى (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة) وقال تعالى (فأتوا الله واصلحوا ذات بينكم) وقال (اءالم المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم) وقال (الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس) وهذا الاصل العظيم وهو الاعتصام بحبل الله جميعا وان لا يفرق هو من أعظم أصول الاسلام ومما عظمت وصية الله تعالى به في كتابه

ومما عظم ذم من تركه من أهل الكتاب وغيرهم ومما عظمت به وصية النبي صلى الله عليه وسلم في مواطن عامة وخاصة مثل قوله « عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة » وقوله « فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد » وقوله « من رأى من أميره شيا يكرهه فليصبر عليه (١) فان من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه » وقوله « ألا أنبئكم بافضل من درجة

(١) لعل المراد بالشيا الذي يكرهه ما لا يخالف الشريعة لا سيما في أحاديث كثيرة ان الطاعة في المعروف وعلى ذلك بايعوه وهو المصوم وأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

الصلاة والصيام وصدقة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر» قالوا بلى يا رسول الله قال «صلا» ذات البين فان فساد ذات البين هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين» وقوله «من جاءكم وأمركم على رجل واحد منكم يريد ان يفرق جماعتكم فادبروا عنه بالسيف كائن من كان» وقوله «يصلون لكم فان اصابوا فلكم وان اخطوا فلكم وعليهم» وقوله «ستنفرق هذه الامة على اثنتين وسبعين فرقة منها واحدة نجية واثنتان وسبعون في النار» قيل ومن الفرقة الناجية قال - هي الجماعة يدا الله على الجماعة» وباب الفساد الذي وقع في هذه الامة بل وفي غيرها هو التفرق والاختلاف فانه وقع بين امرائها وعلماها من ملوكها ومشايخها وغيرهم من ذلك ما الله به عليم وان كان بعض ذلك مغفورا لصاحبه لاجتهاده الذي ينفريه خطاه أو الحسناته الماحية أو توبته أو لغیر ذلك لكن يعلم ان رعايته من أعظم اصول الاسلام ولهذا كان امتياز أهل النجاة عن أهل العذاب من هذه الامة بالسنة والجماعة وهذا كرون في كثير من السنن والآثار في ذلك ما يطول ذكره وكان الاصل الثالث بهذا الكتاب والسنة الذي يجب تقديم العمل به هو الاجماع فان الله لا يجمع هذه الامة على ضلالة

(اوع الخامس) هوشك كثير من الناس وطعنهم في كثير مما أهل السنة والجماعة عليه متفقون ، بعض ما عليه أهل الاسلام بل وبعض ما عليه سائر أهل الملل متفقون وذلك من جهة قلمهم وروايتهم نارة ومن جهة تنازعهم وروايتهم أخرى أما الاول فقد علم الله الذي أنزله على رسوله وأمر أزواج نبيه بذكره حيث يقول (واذكرون ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) حفظه من ان يقع فيه من التحريف ما وقع فيها أنزل قبله كما عصم هذه الامة ان تهتم على ضلالة فصمم حروف التنزيل ان يغير وحفظ تأويله أن يضل فيه أهل الهدى المتمسكون بالسنة والجماعة وحفظ أيضا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ما ليس فيها من الكذب عمدا او خطأ بما أقامه من علماء أهل الحديث وحفاظه الذين اخصوا عنها وعن نقلتها ورواها وعلموا من ذلك ما لا يعلم غيرهم حتى صاروا محتممين على ما تلقوه بالقبول منها اجماعا معصوما من الخطأ لاسباب

يطول وصفها في هذا الموضع وعلوهم خصوصاً وسائر علماء الأمة بل وعامتها
 عموماً ما صانوا به الدين عن أن يزاد فيه أو ينقص منه مثلاً علما أنه لم يفرض
 عليهم في اليوم واليلة لا الصلوات الخمس وإن مقادير ركعاتها ما بين الثاني والثلاثي
 والرابعي وأنه لم يفرض عليهم من الصوم الأشهر رمضان ومن الحج الاحج البيت
 الصديق ومن الزكاة إلا فرائضها المعروفة إلى نحو ذلك وعلوهم كذب أهل الجهل
 والضلالة فيما قد يأترونه عن النبي صلى الله عليه وسلم لعلمهم بكذب من يزعم من
 الرافضة أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على علي بالخلافة نصاً قاطعاً جلياً وزعم
 آخرون أنه نص على العباس وعلوهم أكاذيب الرافضة والناسبة التي يأتونها في
 مثل الفزوات التي يروونها عن علي وليس لها حقيقة كما يرويها المكذوبون الطرقية
 مثل أكاذيبهم الزائدة في سيرة عمر والبطلان حيث علما مجموع مغازي رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وإن القتال فيها كان في تسعة مغاز فقط ولم يكن عدة المسلمين
 ولا العدو في شيء من مغازي القتال عشرين الفا ومثل الفضائل المروية لزيد
 بن معاوية ونحوه والاحاديث التي يرويها كثير من الكرامية في الأرجاء ونحوه
 والاحاديث التي يرويها كثير من النساك في صلوات أيام الاسبوع وفي صلوات
 أيام الأشهر الثلاثة والاحاديث التي يروونها في استماع النبي صلى الله عليه وسلم
 هو واصحابه وتواجده وسقوط البردة عن رداءه ونزيقه الثوب واخذ جبريل
 لبعضه وصعوده به إلى السماء وقال أهل الصفة مع الكفار واستماعهم لمناجاة ليلة
 الإسراء والاحاديث المأثورة في نزول الرب إلى الأرض يوم عرفة وصبيحة مزدلفة
 ورؤية النبي صلى الله عليه وسلم له في الأرض وبين رأسه وأمثال هذه الاحاديث
 المكذوبة التي يطول وصفها فإن المكذوب من ذلك لا يحصى به أحد إلا الله تعالى
 لأن الكذب يحدث شيئاً فشيئاً ليس بمنزلة الصدق الموروث عن النبي صلى الله
 عليه وسلم الذي لا يحدث بعده وإنما يكون موجوداً في زمنه صلى الله عليه وسلم وهو
 محفوظ محروس بنقل خلفاء الرسول وورثة الانبياء وكان من الدلائل على اتقان
 هذه الامور المكذوبة وغيرها وجوه

(احدها) ان ما توفرت هم الخلق ودواعيهم على نقله واشاعته ينتع في المادة

كتناه فانفراد العدد القليل به يدل على كذبهم كما يعلم كذب من خرج يوم الجمعة واخبر بمحادثة كبيرة في الجامع مثل سقوط الخطيب وقتله وإمساك أقوام في المسجد اذالم يخبر بذلك الا الواحد والاثنان ويعلم كذب من أخبر ان في الطرقات بلادا عظيمة وأما كثيرين ولم يخبر بذلك السيارة وإنما انفرد به الواحد والاثنان ويعلم كذب من أخبر بمعادن ذهب وفضة متيسرة لمن أرادها يمكن يملئ الناس ولم يخبر بذلك الا الواحد والاثنان وأمثال ذلك كثيرة فباستبصار العقل وقياسه وضربه الامثال يعلم كذب ما ينقل من الامور التي مضت سنة الله بظهورها وانتشارها لو كانت موجودة كما يعلم أيضا صدق ما مضت سنة الله في عبادته انهم لا يتواطون فيه على الكذب من الأمور المتواترة والمنقولات المستفيضة فان الله جيل جواهر الامم على الصدق والبيان في مثل هذه الامور دون الكذب والكتمان كما جبلهم على الاكل والشرب واللباس فالتنفس بطبعها تختار الصدق اذالم يكن لها في الكذب غرض راجع وتختار الاخبار بهذه الامور العظيمة دون كتمانها والناس يستخبر بعضهم بعضا ويميلون الى الاستخبار والاستفهام مما يقع وكل شخص له من يؤثر ان يصدقه ويسين له دون ان يكذبه وبكتمه والكذب والكتمان يقع كثيرا في بني آدم في قضايا كثيرة لاتنضبط كما يقع منهم الزنا وقتل النفوس والموت جوعا وعريا وهو ذلك لكن ليس الغالب على انسابهم الا الصحة وعلى أنفسهم الا البقاء فالفرض هنا ان الامور المتواترة يعلم انهم لم يتواطوا فيها على الكذب والاخبار الشاذة يعلم انهم لم يتواطوا فيها على الكتمان

(الوجه الثاني) ان دين الامة بوجوب عليهم تبليغ الدين واظهاره وبيانه وبهمم عليهم كتمانهم ووجوب عليهم الصدق وبهمم عليهم الكذب فتواطؤهم على كتمان ما يجب بيانه فتواطؤهم على الكذب وكلاهما من أقبح الامور التي تحرم في دين الامة وذلك باعث موجب الصدق والبيان .

(الثالث) انه قد علم من عدل سلف الامة ودينها وعظيم رغبتها في تبليغ الدين واظهاره وعظيم عجانيتها للكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم ما يوجب أعظم العلوم الضرورية بأنهم لم يكذبوا فيما قلوه عنه ولا كتموا ما أمرهم ببلغيته وهذه

العادة الحاجة الخاصة الدينية لم غير العادة العامة المتحركة بين جنس البشر
(الراجح) ان العلماء الخاصة يملكون من نصوص رسول الله صلى الله عليه وسلم
الموجبة عليهم التبليغ ومن تعظيمهم لامر الله ورواه ومن دين آحادهم مثل
العلماء ومثل ابن مسعود وأبي ومعاذ وأبي الهرداء الى ابن عمر وابن عباس
وابن عمر وغيرهم يملكون علما يقينا لا يتخلله ريب، امتناع هؤلاء من كتمان
قواعد الدين التي يجب تبليغها الى العامة كما يملكون امتناعهم من الكذب على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلم أيضا أهل الحديث مثل أحوال المشاهير
بعمرة ذلك مثل الزهري وقتادة ويحيى بن أبي كثير ومثرا مالك والثوري وشعبة
وحجاج بن زيد وحجاج بن سلمة وغيرهم أمورا يملكون معها امتناعهم من الكذب
وامتناعهم عن كتمان تبليغ هذه الامور العظيمة التي تأبى أحوالهم كتمانها لو كانت
موجودة ولهم في ذلك أسباب يطول شرحها وليس الغرض هنا تقرير ذلك وإنما
الغرض التفتيح على ما وقع من الشبهة لبعض الناس من أهل الاهواء

قالوا هذا الذي ذكرتموه معارض بأمر الاذان والاقامة فإنه كان يتم على
عهد النبي صلى الله عليه وسلم كل يوم خمس مرات ومع هذا فقد وقع الاختلاف، في
صفته وكذلك الجهر بالسلمة والقنوت في الفجر وحجة الوداع من أعظم وقائمه وقد وقع
الاختلاف في قتلها وذكروا نحو هذه الامور التي وقعت فيها الشبهة والنزاع عند
بعض الناس وجعلوا هذا معارضا لما تقدم ليسوفوا ان يكون من أمور الدين ما لم ينقل
بل كنتم لأهواء واغراض وأما جهة الرأي والتنازع فان تنازع العلماء واختلافهم
في صفات العبادات بل وفي غير ذلك من أمور الدين صار شبهة لكثير من أهل
الاهواء من الرافضة وغيرهم وقالوا ان دين الله واحد والحق لا يكون في جتين
(ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) فهذا التفرق والاختلاف
دليل على انقضاء الحق فيما عليه أهل السنة والجماعة ويعتبرون عنهم ببارات تارة
يسمونهم الجمهور وتارة يسمونهم الحشوية وتارة يسمونهم العامة ثم صار أهل الاهواء
لما تجسوا هذا يمانا من كون الحق فيما عليه أهل السنة والجماعة كل ينتحل سبيلا
من سبل الشيطان فالرافضة تلتحل النقل عن أهل البيت لئلا لا يوجد له وأصل

من وضع ذلك لهم زنادقة مثل رئيسهم الاول عبد الله بن سبا الذي ابتدع لهم الرضى ووضع لهم ان النبي صلى الله عليه وسلم نص على علي بالخلافة وانه ظلم ومنع حقه وقال انه كان معصوما وغرض الزنادقة بذلك التوصل الى هدم الاسلام ولهذا كان الرضى باب الزندقة والاحاد فالصائبة المتفلسفة ومن أخذ ببعض أمورهم أوزاد عليهم من القرامطة والنصيرية والاسماعيلية والحاكية وغيرهم انما يدخلون الى الزندقة والكفر بالكتاب والرسول وشرائع الاسلام من باب التشيع والرضى والمعتزة ونحوهم تتحل القياس والمقل وتطعن في كثير مما ينقله أهل السنة والجماعة ويصلون ذلك بما ذكر من الاختلاف ونحوه وربما جعل ذلك بعض أرباب الملة من اسباب الطعن فيها وفي أهلها فيكون بعض هؤلاء المعصيين ببعض هذه الأمور الصغار ساعيا في هدم قواعد الاسلام الكبار

﴿ فصل ﴾

إذا تبين بعض ما حصل في هذا الاختلاف والتفرق من الفساد فتحن فذكر طريق زوال ذلك وقد ذكر ما هو الواجب في الدين في هذه المنازعات وذلك ببيان الاصلين الاذنين هما السنة والجماعة المدلول عليهما بكتاب الله فانه اذا اتبع كتاب الله وما تضمنه من اتباع رسوله والاعتصام بحبله جميعا حصل الهدى والفلاح وزال الضلال والشقاق

اما الاصل الاول وهو الجماعة وبدأنا به لانه اعرف عند عموم الخلق ولهذا يجب عليهم تقديم الاجماع على ما يظنون من معاني الكتاب والسنة فتقول عامة هذه التنازعات انما هي في أمور مستعجات ومكروهات لا في واجبات ومحرمات فان الرجل اذا حج متمشيا أو مفردا أو قارنا كان حجه مجزئا عند عامة علماء المسلمين وان تنازعوا في الافضل من ذلك ولكن بعض الخارجين عن الجماعة يوجب أو يمنع ذلك فن الشيعة من يوجب التمتع ويحرم ما عداها ومن الناصبة من يحرم التمتع ولا يبيحها بحال

وكذلك الاذان سواء رجع فيه أو لم يرجع فانه اذان صحيح عند جميع سلف الامة وعامة خلفها وسواء رجع التكبير في أوله أو ثناء وانما يخالف في ذلك بعض

شواذ المتقنة كما خالف فيه بعض الشيعة فاجب له الحيلة بحج على خبير العمل وكذلك الاقامة يصح فيها الافراد والتثنية بآتيها قام صحت اقامته عند عامة علماء الاسلام الاما تنازع شذوذ الناس

وكذلك الجهر بالبسلة والمحافة كلاهما جائز لا يبطل الصلاة وان كان من العلماء من يستحب احدهما أو يكره الآخر أو يختار ان لا يقرأ بها فالمنازعة بينهم في المستحب والا فالصلاة باحدهما جائزة عند عوام العلماء فانهم وان تنازعوا بالجهر والمحافة في موضعهما هل هما واجبان أم لا وفي نزاع معروف في مذهب مالك وأحمد وغيرهما فهذا في الجهر الطويل بالقدر الكثير مثل المحافة بقرآن الفجر والجهر بقراءة صلاة الظهر فاما الجهر بالشيء اليسير أو المحافة به فلا ينبغي لاحد أن يبطل الصلاة بذلك وما اعلم احدا قال به فقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان في صلاة المحافة يسمهم الآية احيانا وفي صحيح البخاري عن رفاة بن رافع الزرقى قال كنا نصلي وراء النبي صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركعة قال سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف قال «من المتكلم؟» قال أنا قال «أريت بضمة وثلاثين ملكا يتدرونها ايهم يكتبها اول» ومعلوم أنه لولا جهره بها لما سمعه النبي صلى الله عليه وسلم ولا الراوي ومعلوم ان المستحب للمأموم المحافة بمثل ذلك وكذلك ثبت في الصحيح عن عمر انه كان يجهر بدعاء الاستفتاح سبحانه اللهم وبحمدك وبارك اسمك وتعالى جدك ولا آله غيرك وهذا فعله بين المهاجرين والانصار والسنة الراتبة فيه المحافة وكذلك كان من الصحابة من يجهر بالاستعاذة وفي الصحيح عن ابن عباس أنه جهر بقراءة الفاتحة على الجنائز وقال لتعلموا انها السنة ولهذا فظاهر وايضا فلا نزاع انه كان من الصحابة من يجهر بالبسلة كابن الزبير ونحوه ومنهم من لم يكن يجهر بها كابن مسعود وغيره وتكلم الصحابة في ذلك ولم يبطل احد منهم صلاة احد في ذلك وهذا مما لم أعلم فيه نزاعا وان تنازعوا في وجوب قراءتها فذلك مسألة أخرى

وكذلك القنوت في الفجر اما النزاع بينهم في استحبابه أو كراهيته وسجود

السهو تركه أو غفله والافاضتهم متفقون على صحة صلاة من ترك القنوت وأنه ليس
بواجب وكذلك من فعله اذ هو تطويل يسير للاعتدال ودعاء الله في هذا الموضع
لو فعل ذلك في غير الفجر لم تبطل صلاته باتفاق العلماء فيما اعلم
وكذلك القنوت في التورهل هو في جميع الحول أو النصف الآخر من رمضان
انما هو في الاستحباب اذ لا نزاع انه لا يجب القنوت ولا تبطل الصلاة به وكذلك
كونه قبل الركوع أو بعده

رأيت في التسليمة الثانية هل هي مشروعة في الصلاة الكاملة والناقصة أو في
الكاملة فقط أم لا هي مشروعة هو نزاع في الاستحباب لكن عن أحمد رواية
ان التسليمة الثانية واجبة في الصلاة الكاملة ما وجوب الاركان أو وجوب ما يسقط
بالسهو على نزاع في ذلك والرواية الاخرى الموافقة لجمهورها مستحبة في الصلاة
الكاملة أما وجوب الاركان أو وجوب ما يسقط بالسهو على نزاع في ذلك
والرواية الاخرى الموافقة لجمهورها مستحبة في الصلاة الكاملة

وكذلك تكبيرات العيد الزوائد انما النزاع في المستحب منها والا فلا نزاع
في انه يجزى ذلك كله وكذلك أنواع الشهادات كلها جائزة ما علم في ذلك خلافا
لا خلافا شاذا وانما النزاع في المستحب

وكذلك أنواع الافتتاح في الصلاة وأصل الافتتاح انما النزاع في استحبابه
وفي أي الأنواع أفضل والخلاف في وجوبه خلاف قليل نذكر قولاً في مذهب
الامام أحمد

واذا كان النزاع انما هو في الاستحباب علم الاجتماع على جواز ذلك وأجزائه
وبكون ذلك بمنزلة القراءات في القرآن فان جميعها جائزة وإن كان من الناس من
يمتار بعض القراءات على بعض وبهذا يزول الفساد المتقدم فانه اذا علم ان ذلك
جميعه جائزة مجزى في العبادة لم يكن النزاع في الاختيار ضاراً بل قد يكون النوعان
سواء وإن رجح بعض الناس بعضها ولو كان احدهما أفضل لم يجز ان يظلم من
يمتار المفضل ولا يذم ولا يعاب باجماع المسلمين بل المجتهد المخطئ لا يجوز ذمه
باجماع المسلمين ولا يجوز التفرق بذلك بين الامة ولا أن يعطى المستحب فوق

حقه فانه قد يكون من أتى بغير ذلك المستحب من أمور أخرى واجبة ومسئبة أفضل بكثير ولا يجوز ان تجعل المستحبات بمنزلة الواجبات بحيث يتمتع الرجل من تركها ويرى انه قد خرج من دينه أو عصى الله ورسوله بل قد يكون ترك المستحبات لمعارض راجح أفضل من فعلها بل الواجبات كذلك ومعلوم ان ائلاف قلوب الامة أعظم في الدين من بعض هذه المستحبات فلو تركها المرء لا تلاف القلوب كان ذلك حسنا وذلك أفضل اذا كان مصلحة ائتلاف القلوب دون مصلحة ذلك المستحب وقد اخرجنا في الصحيحين عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما «لولا ان قومك حديثو عهد بجاهلية لنقضت الكعبة ولا لصمتها بالارض ولجملت لها بما يدخل الناس منه وبابا يخرجون منه» وقد بين اخرج بهذا الحديث البخاري وغيره على ان الامام قد يترك بعض الامور المختارة لأجل تأليف القلوب ودفعاً لفترتها ولهذا نص الامام أحمد على انه يجهر باليسمة عند المعارض الراجح فقال يجهر بها اذا كان بالمدينة قال القاضي لأن أهلها اذ ذك كانوا يجهرون فيجهر بها لتأليف ويعلمهم انه يقرأ بها وقال غيره بل لانهم كانوا لا يقرؤنها بهال فيجهر بها ليعلمهم انه يقرأ بها وان قراءتها سنة كما جهر ابن عباس بقراءة الفاتحة في صلاة الجأزة فهذا أصل عظيم ينبغي مراعاته وهذا يزول الشك والطمع فان الاتفاق اذا حصل على جواز الجميع واجزائه علم انه دخل في المشروع فالتنازع في الرجحان لا يضر كالتنازع في رجحان بعض الفرائض وبعض العبادات وبعض العلماء ونحو ذلك بل قد امر النبي صلى الله عليه وسلم كلا من القراء ان يقرأ كما يعلم ونهاهم عن الاختلاف في ذلك فمن خالف في ذلك كان ممن ذمه الله ورسوله فاما أهل الجماعة فلا يختلفون في ذلك

وأما الاصل الثاني فنقول السنة المعنوية عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها من السعة والخير ما يزول به الحرج وانما وقعت الشبهة لاشكال بعض ذلك على بعض الناس أما الاذان فقد ثبت في الأحاديث الصحيحة ان النبي صلى الله عليه وسلم سن في الاقامة الايتار والشفع ففي الصحيحين انه أمر بلالا أن يشفع الأذان ويوتر الاقامة وفي صحيح مسلم انه علم أبا محذورة الاقامة مثني مثني مثل

الاذان فاذا كان كل واحد من مؤذني رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمره النبي صلى الله عليه وسلم بأحد النوعين صار ذلك مثل تعليمه القرآن لعمر بن حفص ولشام بن حكيم بحرف آخر وكلاهما قرآن أذن الله ان يقرأ به

وكذلك الترجيم في الاذان هو ثابت في أذان أبي محذورة وهو محذوف من أذان بلال الذي روي في السنن وكذلك الجهر بالبسلة والخافضة بها صح الجهر بها عن طائفة من الصحابة وصحت الخافضة بها عن أكثرهم وعن بعضهم الامران جميعا واما المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم فالذي في الصحاح والسنن يقتضي انه لم يكن يجهر بها كما عليه عمل أكثر الصحابة وأمه في الصحيح حديث أنس وعائشة وأبي هريرة يدل على ذلك دلالة بينة لا شبهة فيها وفي السنن أحاديث أخر مثل حديث ابن مققل وغيره وليس في الصحاح والسنن حديث فيه ذكر جهر بها والاحاديث المصروفة بالجهر عنه كلها ضعيفة عند أهل العلم بالحديث ولهذا لم يخرجوا في أمهات الدواوين منها شيئا ولكن في الصحاح والسنن أحاديث محتملة وقد روى الطبراني باسناد حسن عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجهر بها اذا كان بمكة وأنه لما هاجر الى المدينة ترك الجهر بها حتى مات ورواه أبو داود في التاميم والمنسوخ وهذا يناسب الواقع فان الغالب على أهل مكة كان الجهر بها واما أهل المدينة والشام والكوفة فلم يكونوا يجهرون بها وكذلك أكثر البصريين وبعضهم كان يجهر بها ولهذا سألو أنسا عن ذلك ولعل النبي صلى الله عليه وسلم كان يجهر بها بعض الاحيان أو جهر خفيا اذا كان ذلك محفوظا واذا كان في نفس كتب الحديث انه فعل هذا مرة وهذا مرة زالت الشبهة

واما القنوت فأمره بين لا شبهة فيه عند التأمل التام فانه قد ثبت في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قنت في الفجر مرة يدعو على رعل وذكر كون وعصبة ثم تركه ولم يكن تركه نسخا له لانه ثبت عنه في الصحاح انه قنت بعد ذلك يدعو للمسلمين مثل الوليد بن الوليد وسلعة بن همام والمستضعفين من المؤمنين ويدعو على مضر وثبت عنه انه قنت أيضا في المغرب والمشاء وسائر الصلوات قنوت استنصار فهذا في الجملة منقول ثابت عنه لكن اعتقد بعض العلماء من الكوفيين انه تركه ترك

نسخ فاعتقدان القنوت منسوخ واعتقد بعضهم من المكين أنه مازال يقنت في الفجر القنوت المتنازع فيه حتى فارق الدنيا والذي عليه أهل المعرفة بالحديث أنه قنت لسبب تركه لزوال السبب فالقنوت من السنن العارضة لا الرواتب لأنه ثبت أنه تركه لما زال العارض ثم عاد إليه مرة أخرى ثم تركه لما زال العارض وثبت في الصحاح أنه لم يقنت بعد الركوع الا شهرا هكذا ثبت عن أنس وغيره ولم ينقل أحد قط عنه أنه قنت القنوت المتنازع فيه لاقبل الركوع ولا بعده ولا في كتب الصحاح والسنن شيء من ذلك بل قد أنكر ذلك الصحابة كابن عمر وأبي مالك الأشجعي وغيرهما ومن المعلوم قطعا ان الرسول صلى الله عليه وسلم لو كان كل يوم يقنت قنونا يخبر به لكان له فيه دعاء ينقله بعض الصحابة فانهم نقلوا ما كان يقوله في القنوت العارض وقنوت الوتر فالقنوت الراتب أولى ان ينقل دعاءه فيه فاذا كان الذي نسجبه إنما يدعو فيه قنوت الوتر علم أنه ليس فيه شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا مما يعلم باليقين القطعي كما يعلم عدم النص على هذا وإما أنه فأنه من الممنوع ان يكون الصحابة كلهم أهملوا قل ذلك فأنه مما يعلم بطلانه قطعا وبذلك المأثور عن الصحابة مثل عمر وعلي وغيرهما هو القنوت العارض قنوت التوازل ودعاء عمر فيه وهو قوله اللهم عذب كفرة أهل الكتاب الحج يقضي أنه دعاء به يند قتلته لتصارى وكذلك دعاء علي عند قتاله لبعض أهل القبلة والحديث الذي فيه عن أنس أنه لم يزل يقنت حتى فارق الدنيا مع ضعف في استاده وأنه ليس في السنن إنما فيه القنوت قبل الركوع وفي الصحاح عن أنس أنه قال لم يقنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الركوع الا شهرا والقنوت قبل الركوع هو القيام الطويل اذ لفظ القنوت معناه دوام الطاعة فتارة يكون في السجود وتارة يكون في القيام كما قد بيناه في غير هذا الموضع

وأما حجة الوداع وإن اشتهت على كثير من الناس فأنما أتوا من جهة الالفاظ المشتركة حيث سمعوا بعض الصحابة يقول أنه تمتع بالعمرة إلى الحج وهو لا أيضا يقولون أنه أفرد الحج ويقول بعضهم أنه قرن العمرة إلى الحج وأنه خلافت في ذلك فانهم لم يختلفوا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحل من إحرامه وأنه

كان قد ساق المهدي ونحره يوم النحر وانه لم يستمر بعد الحج في ذلك العام لاهو ولا احد من اصحابه الا عائشة امر أخاها ان يعمرها من التعميم أدنى الحل وكذلك الاحاديث الصحيحة عنه فيها أنه لم يطف بالصفا والمروة الا مرة واحدة مع طوافه الاول فالذين نقلوا انه أفرد الحج صدقوا لأنه أفرد أعمال الحج لم يقرن بها حمل العمرة كما يتوهم من يقول ان القارن يطوف طوافين ويسمى سعيين ولم يشتم نعمتا حل به من احرامه كما يفهمه المتن الذي لم يسبق المهدي بل قد امر جميع أصحابه الذين لم يسوقوا المهدي ان يحلوا من احرامهم ويحملوها مرة ويحلوا بالحج بعد قضاء عمرتهم

﴿ باب المقالات ﴾

منافع الاوربيين ومضارهم في الشرق . الاستبداد

(٣)

﴿ الفائدة الثانية الخروج من الاستبداد ﴾

أتى على الشرق حين من الدهر كان يعبد فيه الملوك عبادة حقيقية ويسميهم آلهة ويدعوهم أرباباً وهو لم يسلم من هذا الاعتقاد سلامة تامة عامة الى اليوم ثم ارتقى بعض شعوبه الى الاعتقاد بأن الملوك ليسوا آلهة خالفين ولكنهم اصحاب سلطة إلهية وسيادة ربانية نجب طاعتهم عدلوا أو ظلموا ، وتقديسهم اساءوا أو أحسنوا ، ثم جاء الاسلام باصلاح جديد فجعل أمر المؤمنين شورى بينهم وأمر اصحاب الرأي السديد والمعرفة بالمصالح العامة واجب الامثال في سياسة الامة وادارتها حتى لا يطمع فرد من الافراد بالاستئثار بالسلطة والاستبداد بالأمر . وجرى النبي صلى الله عليه وسلم في سياستهم على هذه القاعدة فكان يقدم رأي اصحاب الرأي المبرع عنهم بأولي الأمر على رأيه كما فعل يوم أحد اذ كان صرح بأنه لا يرى الخروج الى حرب قريش حتى تصل الى المدينة ورأى أصحابه الخروج فعمل برأيهم وكما فصل يوم بدر والاحاديث في ذلك كثيرة

شبهة. ولكن الشرق لم يكن تم استعداده لهذا الإصلاح الاعلى لما بيناه في مقال (طبيعة الاجتماع في الحاكمين والمحكومين) لذلك تنبى لى امة أن يعشوا به وينزلوه في زمن قريب

ولي أبو بكر رضي الله عنه أمر المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب الناس وقال : وليت عليكم ولست بخيركم فإذا استقيمت فأعينوني وإذا زغت فتوتوني : وليي عمر رضي الله عنه فقال نحو ذلك في خطبته . ومن المشهور المستفيض على الألسنة أنه لما قال على المنبر : من رأى منكم في عوجا فليقومه : قام رجل فقال لورأينا فيك عوجا لقومناه بسيفنا فقال : الحمد لله الذي جعل في المسلمين من يقوم عوج عمر بسيفه : وما روي عن عثمان رضي الله عنه أنه قال هل المنبر « أمري لأمركم تبع » وقال في أول خطبة خطبها بعد أن ولي الخلافة الاوان لكم علي بعد كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ثلاثا - اتباع من كان قبلي فيها اجتمع عليه وسنتم - وسن سنة أهل الخير فيالم تسنوا عن ملاء والكف عنكم الا فيها استوجبتم »

فانظر كيف قيد اتباع من كان قبله بكونه فيها اجتمعوا عليه وسنوه فهو دليل وراء الادلة العملية على ان أبا بكر وعمر كانا يأخذان برأي الأمة ، فيما لم يرد به الكتاب ولم تمض به السنة ، وتأمل قوله « فيما لم تسنوا عن ملاء » والملا الجماعة من أهل الرأي والمساكنة في الامة وهم بمعنى النواب

أما سيرة علي كرم الله وجهه ورضي عنه فهي على تلك السنة ماغير ولا بدل ولا رغب في الدنيا ولا جنح الى زغرفها ولكن نزا عليه بنو امية أعداء بني هاشم في الجاهلية والاسلام وكان من أمرهم ما كان ولا محل لشرحه في هذا التهديد . وإنما غرضنا أن نقول إنهم استبدوا عملا وما عتصوا أن جبروا بالخروج عن سنن الاسلام في حكمه قولاً اذ قال خطيبهم عبد الملك بن مروان على المنبر « من قال لي اتق الله ضربت عنقه » فتحولت الحكومة الى استبدادية كانت على حسب سيرة الحاكم الاعلى الملقب بالخليفة أو الملك فتارة يكون عادلا كعمر ابن عبد العزيز وتارة يكون جائرا وتارة متوسطا وكان معظم ظلمهم وظلم من

بدم لمن يأنسون منه سخطا من سلطانهم أو مقاومة لها وسائر الناس في راحة وأمان ، يتقدم به العلم ويزدهو العمران ، حتى استدار الزمان ، ورجع الشرق الى نحو ما عليه كان ،

أخبار الممالك يقل في القارئ من لا يعرفها ، وسيرة امعايل باشا لم يمت جميع من ذاقوا مرارتها ، ومفاسد بايات تونس مأثورة ، ومنكرات دايات الجزائر غير منكورة ، كان من هؤلاء من يعاقب الناس الذين يحمل عليهم غضبه ولو لحفظ عرضهم من فسق بأحدى ثلاث — الخزوق أو توديته من أعلى جبل قسنطينة أو اغراء كلاب عاقرة به تنشه وعزق لحمه حتى يموت شرمية . كان هذا قبل اغارة فرنسا على الجزائر . ولا يجمل أحد من قراء الصحف حال بقية الممالك التي لا توتر فيها حالة الأوروبيين ولم تحملها على تغيير سلطتها الاستبدادية إما لحملها بها لعدم الاختلاط بهم واقتباس علومهم والوقوف على حال حكوماتهم كراكش واما لأن السلطة الاستبدادية فيها لا تزال أقوى وأقدر على منع العلم عن الجاهلين ، مع مطاردة طلاب الاصلاح من المارقين ، كما هو شأن الحكومة العثمانية ان محاربة الاستانة لعلم والدين ، ومطاردتها للعقلاء والمارقين ، فوق ما ينبغي المتخيلون ، لأنها اضعاف ما يروي الرايون ، ان أكثر المطبوعات العربية الجديدة التي تصلي مصر من آيات الارتقاء التي استمدت أو تستمد بها الامه لا نعلم نفسها بنفسها هي في الولايات العثمانية من أشد الجنايات وأعظم الجرائم تضرب لذكرها القلوب وترتعد الفرائص حتى من أولئك الذين يصفكون الدماء بالأسواق في وقت الضحى لأن سافك الدم كثيرا ما يسلم بالرشوة أو المحاباة ، واذا حوكم لا تبرأ منه المحاباة ، واذا حكم عليه يدركه العفو في أحد الأعياد بعد عشر سنين أو اقل ، أما من يتم باقتناء كتاب مما يهد منها للافكار أو يطلبه من مصر فلا يتجرأ أحد على الدفاع عنه ، ولا على الارتشام منه ، ولا يؤخذ منه عدل ولا تنفع شفاعته ،

كم من عالم عامل ، ومن غيور فاضل ، ين في ظلمات السجن لا يتجرأ أحد على ذكره ولا السؤال عنه ، وكم من عالم وغيور أخرج من داره ، ونفي الى حيث لا يسمع أهله وولده بذكره ، وما كنت عازما على الإشارة الى مثل هذا لولا أن

ألقي التي قبل هذه الكتابة رقيم من الحجاز فيه ان أمير مكة حلد بعض أهل العلم مثله جلالة على مشهد من الناس ثم كبه في السلاسل والاغلال لأنه كتب كتابا في التوحيد قال فيه ان الأمر كله لله لا ينبغي ان يطلب الخير ودفع الضر من غيره عز وجل بعد انهجز عن الاسباب التي سنها واستعمال القوى التي وهبها فصار إظهار التوحيد الخالص ممنوعا بهذه الحكومة في حرم الله ، وقد كان أعظم مظاهرة له في أرض الله ،

هذا واليابان تفاخر أوربا بالحربة والعدل وحكم الشورى وإيران تحاول مجاراتها في ذلك ومصر لا حديث لها الا المجلس النيابي فمن أبنائها من يلج بطلبه الآن ومنهم من يقول يجب أن نعد له أولاد عنه ونكتفي الآن بتوسيع اختصاص مجلس الشورى ومجلس المديرات . وقد سبقهم العثمانيون الى المطالبة بإعادة القانون الاساسي ومجلس المبعوثان (أي النواب) ورى أم حديث للجراند التوسعة في هذه الأيام حديث مجلس الشورى عندهم والمطالبة بانصاف التونسيين من الأوربيين لكن الفرق بين المصري وأخيه العثماني أن الأول يجهر بطلبه في بلد ، ويناقش حكومته جهرا في المجالس الرسمية وفي الجرائد وفي المحفل العامة والخاصة وقد يظمن عليها وعلى الفتوة المشرفة عليها وهي تدبح له ذلك والعثماني لا يتجرأ على الحديث بذلك في بلاده وان كان في كسريته قد أغقت ، دونه الأبواب ، وأرخت عليها السجوف والاستار ، لأنه أعلم الناس بالمثل القائل « لا حيطان آذان » وهو لا يأمن على نفسه الاهل والخيران ، لأن الاستبداد ، قد أفسد الناس أي افساد ، حتى صار الرجل الخريف من أخيه ، وأمه وأبيه ، وفصيلته التي وُوبه ، وانما يجهر بذلك في أوربا ومصر ، وكل بلاد ليس فيها لأبناء جنسه سلطان ولا حكم ،

فأعظم فائدة استفادها أهل الشرق من الأوربيين معرفة ما يجب ان تكون عليه الحكومة واصطباغ نفوسهم بها حتى اندفعوا الى استبدال الحكم المقيد بالشورى والشرعية بالحكم المطلق الموكل الى ادارة الافراد ففهم من مال أمه على وجه الكمال كالبا ان ، ومنهم من بدأ بذلك كفرن ، ومنهم من يجاهد في سبيل ذلك بالقلم واللسان ، كصرب وروسيا

ليست هذه الفائدة بالشيء النافع ولا بالأمر اليسير ولا هي بالمنفعة التي تهقرن بالظواهر بل هذه مرتبة البشرية العليا، في هذه الحياة الدنيا، فإن القوم الذين يرضون أن يستبد بهم حاكم يفعل فيهم ما يشاء ويحكم بما يريد ينبغي أن يعدوا بمن الدواب الراعية، والآنعام السائمة، إذن هذه الفائدة هي عبدة عن الارتقاء من حضن البهيمة، إلى أفق الانسانية، فحسب الشرق أن استنقاذ هذه الفائدة وعرف قيمتها

لا تقل أيها المسلم أن هذا الحكم أصل من أصول ديننا فنحن قد استفدناه من الكتاب المبين، ومن سيرة الخلفاء الراشدين، لأن من معاشر الأوربيين، والوفاة على حال الغربيين، فإنه لولا الاعتناء بحال هؤلاء الناس لما فكرت أنت وأنت أن هذا من الإسلام ولكن أسبق الناس إلى الدعوة إلى إقامة هذا الركيزة الذين في الاستانة وفي مصر وما كش وهم الذين لا يزال أكثرهم يؤيد الأفراد الاستبدادية وبعد من أكبر أعوانها، ولما كذا أكثر حلاكم المقيدم الذين عرفوا أوربا والأوربيين، وقد سبقهم الوثنيون إلى ذلك بلاد مصر ما كش الجاهلة بحال الأوربيين كيف تخبط في ظلمات استبداد من أحد كلمة «شورى» مع أن أهلها من أكثر الناس تلاوة لسورة الشورى من السور التي شرع فيها الأمر بالمشاورة وفوض حكم السياسة إلى الأمر والرأي

فإن قلت إن أول من نبه المصريين إلى حقوق الأمة على الخلفاء الذين حكموا الدولة، والملك المقتد على الحكومة الاستبدادية شيخنا العلامة محمد عبده، وأما ما من أئمة الإسلام وهما السيد جمال الدين والشيخ محمد عبده، أنت قد نشرت في «المنار» مقالات لمزيد مقالات في «الحكومة الإسلامية» فكانت مما نشره هو في بعض الجرائد على عهد اسماعيل باشا وهي تحركت في مصر في ترجمة الشيخ بأنه كان يدعو إلى ذلك وأنه قال بل كتب عن ذلك الكلمة الجليلة «دعونا إلى هذا الاستبداد في عقوباته، والظلم قاض على دولتنا» وبذلك الظالم من جديد، والناس كلهم عبيده أي عهد وقد كان منفي عن المصريين أكثر من

نصف قرن وهم يتدارسون علوم أوربا ويشتركون مع الأوربيين في كثير من الأعمال ويتزاحون معهم بالمناكب ويقادون بالأموال ، ولم يخطر في بالهم أن يقدروا بإصلاح الحكومة والسيطرة عليها

إن قلت هذا محتج على اتنا نحن المسلمين ، قد اقتبسنا فائدة مقاومة الاستبداد من الدين ، فإن لي أن أجيبك عن ذلك بأني لا أنكر أن ديننا بهذا ذلك كما رأيت في مقدمة هذا المقال . كيف وأني لم أطلع على كتابة لأحد في ذلك أوسع مما كتبت في « المنار » ، وفي مطلع على سيرة هذين الامامين الحكيمين وعالم بأنهم كانوا قد عاهدوا توفيق باشا قبل أن يصبر الأمر اليه على نصره وعاهدما هو على إنشاء مجلس نيابي وعلى تعميم التعليم في القطر المصري ، ومع هذا كله أقول اننا لو لا اختلاطنا بالأوربيين لما تنبها من حيث نحن أمة أو أمم الى هذا الأمر العظيم ، وإن كان صريحا جليا في القرآن الحكيم ، نعم ان استاذينا الحكيمين ورحمهما الله تعالى أهل لأن يفهما ذلك من القرآن لأنها أول من دعا في هذا العصر الى جعله أساسا للإصلاح وينا من حكمه وفضله ، ما عجزت الأرائل عن الاتيان بمثله ، ولكن كلامنا في تنبه الشعوب الشرقية على اختلاف ملها ونحلها ، لا تنبه فيلسوفين من أهل مله منها ، على أن هذين الحكيمين قد استفادا من الاعتبار بحال أوربا وعرفا حال أهلها قبل دعوتها الى هذا الإصلاح

لا يتنبه الأمة الى مثل هذا التنوير العظيم الا الاحساس بالخطر والخوف من سوء العاقبة ورؤية الدهر بأعينها ، ومما ع أخبار الذين صرعوا الاستبداد من قبلها ، ولذلك يقول اننا ماعرفنا قيمة هذه الفائدة لا بعد أن أحسننا بانفع الله النبي تقابلها وهي موأبة استغلالا والاعتداء عليه وهي ماسنيته في قسم المضار ان شاء الله تعالى

فَتَسْأَلُكَ الْمَلَائِكَةُ

فتحتنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه ويذكر عمله وظيفته (وله بسد ذلك ان يرزأ الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتسريح غالباً وبعامدتها متأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لئلا هذا ، ولن يعني على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا على صريح لا نغفله

صحیحہ مسئلہ ، ن بعض اهل العلم بتونس

التوحيد ونوني ملك الموت للناس

(س ١٤ أعظم أساس أقيم عليه هيكل الاسلام توحيد الله تبارك وتعالى واعتقاد انه وحده المنصرف في الكون وكيف تتجامع هذه العقيدة الاعتقاد بملك الموت الذي جاء به قوله تعالى (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم) فما الحكمة في تفويض أمر توفي الانفس لهذا الملك

(ج) ان تفويض التوفي الى بعض الملائكة كتفويض تبليغ الوحي للأنبياء الى بعضهم وكتفويض تبليغ الرسالة للناس الى المرسلين وكتفويض غير ذلك من الأعمال الى المخلوقين كل ذلك لا ياتي التوحيد وكون الله سبحانه وتعالى هو المنصرف في الكون لأنه عز وجل هو الذي أقدرهم وهو الذي سخرهم ولو سلمهم ما أعطاهم لما قدروا على شيء ولكن أنضت حكمته ان يربط أمور الكون بعضها ببعض فيجعل هذا سبباً لذلك وهو واضع الاسباب والمسببات ومدبرها والممولات وقد بين لنا في كتابه كلنا الحقيقتين - حقيقة ربط الاسباب بالمسببات وحقيقة انفرد الخالق والتدبير - ومنه ذلك الربط والتدبير - فكما قال (٣٢ : ١١ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم) وقال (٤٢ : ٣٩ الله يتوفى الانفس حين موتها وقال (٦٢ : ٣٩) الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل) وليس كل مقام مقال ولا تنافي بين الحقيقتين عند العناء حتى من أهل الوثنية الراقية كشركي العرب وثت البهثة وإنما كانت شرك هؤلاء خاصاً بالعبادة وهو التوجه بالقلب الى غير الله في قضاء الحاجات عند المعجز عن

بول فيها من طريق الاسباب أوفى التعرب الى الله وما يتبع ذلك من دعاء
 له اليه وجهه وسيلة الى الله كما بين لنا ذلك الكتاب العزيز في آيات تنطق
 بأنهم كانوا يستقدون أن الله خالق كل شيء وان ما يدعون من دونه انما يدعى
 ليشفع لهم عنده ويفرهم اليه زاني وهذا هو الشرك في الالهية وقد شرحناه
 سهارا كثيرة في بابي التفسير والفتاوى وغربها من أبواب النار وري منه شيئا
 في التفسير من هذا الجزء . وهذا النوع من الشرك هو الذي اقبل به أكثر الخلق
 بما يقيسون في هذا الاصل الذي يجب ان يكون مبني على البرهان القطعي لاعلى
 القياس الظني أو الوهمي وناهيك بقياس الرب الرحيم العليم الحكيم على الملوك القساء
 الجبلاء السفهاء اذ يقولون : ان الملك يقضي حاجات الناس بواسطة المقر بين اليه
 من حاشيته أو وزرائه أو بكل البهم ذلك ولا يسمح لكل أحد ان يطلب حاجته منه
 مباشرة فكذلك يفعل الله سبحانه وتعالى عما يصفون فقد ابطال هذا لنياس على
 السنة جميع رسله وهدى الناس الى أن يلتبسوا منه حاجاتهم بالسير على سنته في
 الاسباب والمسببات حتي اذا أعوزهم السبب وضاعت بهم السبل ونفدت منهم
 الحيل وجب عليهم أن يلجؤا اليه ويعولوا في أمرهم عليه ويخضوه بالدعاء ويقصروا
 عليه الرجاء عسى أن يهديهم الى ما حلوا من الاسباب أو يشفع عليهم قبل
 ما حلوا من الارصاب ولم يأذن لهم أن يدعوا من دونه أحدا ولا أن يطلبوا منه
 عونا أو مددا أما اقرأ ما أمر به خاتم أنبيائه وصفوة اصفيائه (٧٢ : ٢٠ قل انما
 أدعوري ولا أشرك به أحدا ٢١ قل إني لأملك لكم نصرا ولا رشدا ٢٢ قل إني
 لن محبتي من الله أحد ولن أجد من دونه ملحدًا ٢٣ الا بلاغا من الله ورسالته)
 فاذا كان خاتم النبيين والمرسلين لا يملك لناس نصرا بدفعه أو نقضا يرفقه أو رشدا
 يهدي به الناس بل يملك التبليغ للرسالة فقط وهو فيها عدا ذلك بشر ملككم فاذا
 تقول بغيره ممن يطلب منهم ذلك ؟

اما المسكة في جعل قبض الارواح موكولا الى ملك الموت فهي داخلة في
 المسكة العامة في ربط الاسباب بالمسببات وجعل الأرواح الطيبة عاملة في
 الاجسام الكثيفة وعلى طالب المسكة ان يعرف ذلك في عرفه أو عرف من علم

يقول لم كان كذلك لانه بشاهد أنه متعنى السكّال في الإبداع كما أن منتهى الجبل في الناس أن يظنوا أن خلق كل شيء أنما هو أدل على كمال قدرة الخالق كما تخيلت القدرة كأن هؤلاء الجاهلين يرون أن الحكمة والنظام بتأنيان كمال القدرة تعالى الله عن جهلهم

﴿ قيام الدين بالدعوة وحديث أمّرت أن أقاتل الناس ﴾

(س ٥) الاسلام كما لا يخفى عليكم قام بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة لا بالسيف والقوة كما يعتد الكثير من أصدقاء الدين الجبلاء وكيف يجمع هذا قوله صلى الله عليه وسلم « أمّرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله الا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها » فانه صريح في ان القتال كان للعمل على الدخول تحت لواء الاسلام

(ج) أما كون الاسلام قام بالدعوة لا بالسيف فهذا قطعي لا ريب فيه واما الحديث فقد ورد في مشركي العرب الذين لم تقبل منهم الجزية بعد الإذن بقتالهم وما أذن للمسلمين بقتالهم الا بعد أن آذوا النبي ومن معه وأخرجوه من ديارهم وأموالهم وقدموا لهم كل مرصد ووقفوا في سبيل الدعوة فلم يكن الاذن الا للدفاع عن الحق وحماية الدعوة كما بيناه مرارا وليس الغرض من الحديث بيان أصل مشروعية القتال فان هذا مبين في الكتاب العزيز بمثل قوله تعالى (٣٢ : ٣٩) أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا (الآيات وقوله (١٩٠٢) وقالوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا نعتدوا (الآيات وانما الغرض منه بيان أن قول لا إله الا الله كاف في حقن الدم وإن لم يكن القاتل لها من المشركين معتقدا لأن الأمر في ذلك ينشأ على الظاهر وهذا بالنسبة الى وقت القتال ولكنه بعد ذلك يومر بالصلاة والزكاة فان امتنع عن قبولها لا يعتد بإسلامه كما يؤخذ من رواية « حتى يشهدوا ان لا إله الا الله وان محمدا رسول الله ويقبضوا الصلاة ويؤتوا الزكاة » وهو في الصحيحين على غرابته لان شبهة نفرد بروايته عن واقد وقد عدد من الاشكال فيه ان يكون راويه ابن عمر مع ما علم من محاجة عمر لابني بكر في قتال ما نهي الزكاة ولم يحتج به عمر ولا ابنه قاله له وأجاب ابن حجر عن هذا

باحتمال نسيان عبد الله له في ذلك الوقت . ومما يؤيد قولنا ان الحديث خاص بالمشركين وان كان لفظه عاما رواية النسائي له بلفظ لا أمرت ان أقاتل المشركين » وقد علمت ان المراد بيان غاية القتال لا مشروعيته وان سبب مشروعيته الدفاع وتأمين الدعوة ومنع الفتنة لا الاكراه على الدين المنفي بنص القرآن الحكيم ﴿ الاضطهاد في الدين وقتل المرتد ﴾

(س ١٦) . اذا كان الاسلام لا يضطهد أحدا لعقيدته فكيف يشرع قتل المرتد الثابت بقوله صلى الله عليه وسلم « من بدل دينه فاقتلوه »

(ج) كان المرتد من مشركي العرب يعود الى محاربة المسلمين وابتدأهم فشرعية قتله أظهر من مشروعية قتال جميع المشركين المهادين للاسلام . وكان بعض اليهود ينفر الناس من الاسلام باظهار الدخول فيه ثم باظهار الارتداد عنه ليقبل قوله بالظن فيه . قال تعالى (٣ : ٧١) ونالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أقول على الذين آمنوا وجه الهار واكفروا آخره لهم يرجعون) فاذا هدد أمثال هؤلاء بقتل من يؤمن ثم يرتد فأنهم يرجعون عن كيدهم هذا فالظاهر ان الأمر بقتل المرتد كان لمنع شر المشركين وكيد الماكرين من اليهود فهو لأسباب قضت بها سياسة ذلك العصر التي تسمى في عرف أهل عصر سياسة مرفية عسكرية لا اضطهاد الناس في دينهم . ألم وإن بعض المسلمين أرادوا ان يكرهوا أولادهم المتهودين على الاسلام فنههم النبي (ص) بوحى من الله عن ذلك حتى عند جلاء بني النضير والاسلام في أوج قوته وفي ذلك نزلت آية (٢ : ٢٥٦) لا إكراه في الدين)

﴿ حكاية القرآن المسخ في بني اسرائيل ﴾

(س ١٧) جاء في القرآن الحديث عن مسخ بعض الامم من بني اسرائيل فهل هو محمول على حقيقته من انقلاب الاعيان كما هو مذهب الجهور (وهو مخلف لسنة الله في الكون) أو هو محمول على التشنيع بحالهم كما هو مذهب مجاهد ؟ واذا كان كذلك فهذا صحيح من قوله صلى الله عليه وسلم « ما خنت امرأة من بني اسرائيل »

هذه الآية وما مائلها تعد من أصول الدين وقواعده العامة التي تقضي على غيرها ولا يقضي عليها شيء ولا يمكن رد الحديث إليها وصل إليه علنا لا بحجة على ذلك السبب الخاص فكان الضرورة قضت بذلك في تلك الحال

(ج) لفظ المسخ لم يرد في القرآن إلا في آية واحدة هي قوله تعالى (٢٦: ٦٧) ولو نشاء لمسخنهم على مكائهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون) وهي بيان لقدرة الله تعالى على الانتقام منهم لو شاء ولكنه رحمته لم يفعل كل ما يقدر عليه من التشكيل بالكافرين والظالمين والمردي عن السلف تفسير المسخ هنا بالإلقاء أو الإهلاك روى ابن جرير عن الحسن «لو نشاء لمسخنهم على مكائهم قال لو نشاء لا قعدناكم» ورواه عن قتادة بلفظ «لا قعدناكم على أرجلهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون فلم يستطيعوا ان يتقدموا ولا أن يتأخروا» وروى عن ابن عباس أنه قال في تفسيرها «لو نشاء أهلكنهم في مساكنهم» ولم يرو عن أحد أنه قال ان المسخ تحويل الخلق من شكل الى شكل . ويقول الراغب في المفردات ان المسخ تشويه الخلق والخلق ونحوهما من صورة الى صورة : وهو مأخوذ من مسخت الناقة أي أنضيتها حتى تغير خلقها ولا يفهم منه أنك جعلتها بقرة . والحديث الذي ذكرته لا أزدكر ان يوجد ولكني أعلم انه ليس في الصحيحين والخطب في مثله سهل بعد الذي علمت وبعد العلم بأن هذه الروايات في الأمور التي يطلب فيها العلم الصحيح ليست مما يحتاج به

﴿ الدابة التي تسلك في آخر الزمان ﴾

(س ١٨) ماضى قوله تعالى (واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم) فحل الآية محمولة على ظاهرها وهي كناية عن ظهور المجائب (ج) هذه الآية مما أخبر الله به عن المستقبل البعيد فهي من أنباء الغيب التي تؤخذ بالتسليم ما لم يكن ظاهرها محالا فتعمل على خلاف الظاهر بالتأويل كما هي القاعدة وكلام الدواب ليس محالا في نظر العقل ولذلك يطعم علماء الافرنج الآنف في معرفة لغة بعض الحيوانات كالقرود واليافاء تكلم بالقدر المعروف

ويمحتمل أن تنرق في هذا الكلام كما يحتمل أن توجد حيوانات أخرى تكلم الناس ولا تقبل أقاصيص المفسرين في ذلك

طائفة محمد بن عيسى أكلة الثماين والنار

(س ١٩) من الناس طائفة تنسب إلى الشيخ محمد بن عيسى وثاني من المنكرات ما يتطلب له وجه السنة ولكن تظهر من الخوارق ما يقف الناظر متعجباً دون الوصول إلى حقيقة وأدراك كنهه كما كل ذوات السموم وابتلاع المدى وإدخال السيف في البطن واليمين وإصاق النار بالبشرة وأكلها وليس شيء من ذلك بضار لهم فما الحقيقة فيما يأتونه

(ج) لو قرأتم ما كتبناه في الكرامات وخوارق العادات في المجلد السادس وغيره لا كنتم به عن السؤال بهذا . إن الذين يتخذون عمل الفرائب صناعة كثيرين في كل أمة وأنواع هذه الفرائب كثيرة وكل عاقل يحزم بأن ما يراه منهم يمكن أن يكون من غيرهم إذا هو تمرن عليه وهو على نوعين شعوذة يخيل صاحبها إلى الرائي غيب الحقيقة وأمور طبيعية جاءت على غير ما يعرف الرائي فظن أنها غير طبيعية . ومضى ظهر للإنسان شيء من أعمالهم على حقيقته وعرف سببه بطل تصببه والمائل بقيس ما لم يعلم من ذلك على ما علم فأما أكل ذوات السموم وهي الثماين فهو لا يضر إلا كل بطبعه له وقد استخرج بعض الأطباء سم الثماين وأكله وإنما يضر إذا أصاب الدم ابتداء ولكن قد يضره الوهم إذا هو أكله معتقداً أنه ضار . وأما ابتلاع المدى فما أراه إلا من الشعوذة فهو يخيل إليك أنه ابتلع المدية من حيث يكون قد ألقاها بخفة لم تشعربها وأما إدخال السيف في البطن والحربة في جفن العين فقد شاهدت عمل الرفاعية له ورويت أنه إيهام وتخيل . وأما مس البشرة بالنار فهو مما قد يكون بالتمود ومما قد يكون بالتخيل وكلاهما مما شاهدته وقد أخرجت واحداً منهم وادته على أن يمكنني من وضع النار حيث أريد من بدنه فلم يقبل ثم استقبته فأظهر التوبة عن مخادعة الناس بذلك . ولك أن تراجع ما كتبناه من قبل في ذلك

أثر علي بن أبي طالب

﴿ فرائد اللثة العربية ﴾

في لفتنا الفنية فرائد كفرائد اللاك ، قد أهملت على جدارتها بالاستعمال ،
ومنها المفردات التي يؤدي الواحد منها معنى جملة . وكانت شرعت في جمعها
قبل الهجرة الى مصر فكتبت منها أوراقا من حرفي الهزنة والباء ثم حال السفر دون
المضي في العمل . وقد عن لي الآن أن أذكر بعض هذه الفرائد أذكر بها الكتاب
لعلهم يستعملون منها ما يروق لهم . ولم أراع في الكلمات الآتية ترتيبا ولا نظاما
الترتيب ما يحظر بيالي أولا فأولا . وهناك ما خطر الآن

(التجديذ) ان تستبج القوم فلا يتبعك أحد وهو مصدر جذّذ الرجل
(الدمال) ككتاب : أن يقول واحد فيها بقية وآخر ليس فيها بقية - وأن
يمرض أمران فلا تدري الى أيهما تصير فانت تتروى في ذلك وهو مصدر عادل
(القوبة) بالضم كالخوقة : القوم يكونون مع القوم ولا يستشارون في شيء
(المراريل) قوم عرازيل : مجتمعون في لصوية
(الاوشاب) اختلاط الناس المتفرقون ومثله (الاوزاع)
(الاوقاس) بالمهلة والمهجة السقاط والعبيد وأشباههم
(الفوغا) السفلة واستعماله بمعنى الضوضاء والجلبة خطأ . وقيل الفوغا
الكثير المتعطلون

(الطراء) القوم يمحشونك من بعيد من غير أن تشعر بهم وهومن الطراء والطروء
(التفنج) الاجنبي يدخل بين القوم ويصلح أمرهم أو الذي يمرض
لا يصالح ولا يفسد

(المتفنج) الذي يفنخر بأكثر مما عنده

(التفاج) المتكبر يفنخر بما ليس عنده

- (المريض) بكسر الهمزة وتشديد الراء الذي يمرض الناس بالشر
 (البیدار) الذي يسمى الفن فيصيب
 (المنع) بالكسر من يدخل فيها لا يئنه ويعرض في كل شي وهي معنة
 (المنع) بالكسر ذوالفنون والفرائب وهي معنة
 (الفضفاخ) الكثير الكلام المتشبع بما ليس عنده
 (الضمضاع) الرجل بلا حزم ورأي ومثله الضمضع
 (الوهين) الرجل يكون مع الاجبر يحته على العمل (عزاه التهذيب الى
 أهل مصر)
 (التوليع) ولج ماله : اذا جله في حياته لبعض ولده فسامع الناس فاقتدعوا
 ونفوا عن سؤاله . يقال وألج ماله
 (الاغراب) أغرب الرجل بالغ في الضحك - ونزوح من غير أهله .
 وأجرى فرسه الى ان مات
 (النص) تنصى النوم : تزوج من خيارهم وشرفاتهم الذين هم ناصيتهم .
 ومثله نذرهم أي تزوج من ذواتهم
 (الفراطة) كثامة : الماء يكون شرعاً بين عدة أحياء من سبق اليه فهو له
 (التناوة) بالكسر : ترك المداكرة والمداورة
 (الافئاق) يقال أفئق فلان اذا سمعت دوايه
 (الافئاق) • أفئق الرجل : تتم بعد بوئس
 (الافتجار) • افتجر الكلام : اخترقه من غير ان يسمعه أو يتعلمه من أحد
 (الافتحار) • افتحار الكلام والرأي أي به من قصد نفسه ولم يبايعه عليه أحد
 (التجرم) تجرم عليه ويحصى عليه وتذبح له : نسب له الذنب ما لم يفعل .
 و(الدقاقة) بالضم وتشديد القاف من نمود التذبح والتجرم

تاريخ الاستاذ الامام

قد تم طبع الجزء الثاني والثالث من هذا التاريخ فأما الثاني فهو في منشأته وآثاره العقلية التي لم تدون في الكتب كقالاته القديمة والحديثة في الجرائد ولوائحه في الاصلاح والتربية والتعليم وكتبه ورسائله للعلماء والفضلاء . وناهيك بمقالات العروة الوثقى . وصفحاته ٦٠٠ وأما الثالث فهو في التأين والتمازي والمراثي وصفحاته ٤٢٨ ولطفا أطرف كتب الأدب المصرية وأنعمها . وانا نقرظ كلا منهما بشر مقدمة فلهما أحسن ميين لحقيتهما

﴿ مقدمة الجزء الثاني ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا نحن نُحْيِي النُّفُوسَ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ، وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ • (سورة يس)

مات الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده) ولم يمت بل هو حيٌّ بآثاره ، التي هي مقبس أنواره ، مات الموت الطبيعية ، وحي الحياة العقلية الروحية ، فهو لا يزال كما كان ، قبل ان ينسحب عن العيان ، تغل أقواله ، وتذكر أعماله ، وتكتب معارفه ، وتشكر عوارفه ، ولا غرو فان العلماء والحكماء في هذه الدنيا حياطين - حياة جسدية محدودة بتبدى يوم الولادة وتنتهي يوم الوفاة ، وهي الحياة الحيوانية التي يشاركون فيها سائر الناس بل سائر الحيوان - وحيات عقلية روحانية غير محدودة وهي بتبدى بظهور ثمرات جمولهم النافعة لآمتهم أو لكل من ينحنيها من الناس

وتدوم ما دام الزمان . وبقي من الناظرين في آثارهم انسان ، وقد كان الاستاذ الامام من خيرة هؤلاء العلماء ، وأفضل أصحاب هذه الحياة من الحكماء ، تشهد له بذلك آثاره المرقومة في وجوه الصعائف ، وما آثره المرسومة في ألواح القلوب ،

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بمدنا الى الآثار

يسفر لك هذا السفر من تاريخ هذه الحياة عن الرجل وهو في بادون العاشرة منها (وفي نحو الرابعة والعشرين من حياته الطبيعية) تارة يحرر الواردات الآتية في حقائق علم الكلام الاعلى ، ويسير في المزج بين عرفان الصوفية وبرهان الفلاسفة على الطريقة المثلى ، متمكناً من مقام التوحيد ، متكبكاً عن مقعد التقليد ، على حين لا توحيد ولا كلام هند المستغنيين بالعلوم الدينية ، الاحكاية بعض ما قاله متأخرو الاشعرية ، وتارة يقتبس أنوار الحكمة من أستاذة السيد جمال الدين ، ويفيض منها على عقول المستعدين ، بما يكتب من المقالات ، في فلسفة التريية والصناعات ، وآونة يحبر الفصول الانشائية ، ويحلي المعاني المصرية ، في أبواب الاسجاع الحربية ، ويرفها كائنات ، على نصات الجرائد ، داعياً الى استقلال الفكر ، وتناول علوم العصر ، حاثاً على ترقية الامة ، حاضاً على تجديد مجد الملة ، آمراً بالانحاد على ترقية الاوطان ، ناهياً عن التعصب الذميم بين المختلفين في الاديان ، فهذا مثال طور الطلب والتحصيل من حياة الرجل العقلية ، يتبدى في الكتاب برسالة الواردات وينتهي بالحنفة الادبية ،

ثم يمثل لك في طور آخر . وهو تارة بين أبواب الرياسة ، يرشدهم الى طريق الادارة والسياسة ، ويهديهم سبيل الرشاد ، لترقية الرعية وعمران

البلاد ، وتارة يشرف على الامة بالوعظ والتعليم ، ويسلك بها صراط الحياة المستقيم ، ينيان غوائل السرف وفوائد الاقتصاد ، وتقوم النفوس بمقاتل القضايل وأحاسن الآداب ، بمد تطهيرها من لوث الخرافات ، ومساوي التقاليد والمادات ، يهبط على الفلاح في حرثه فيخاطبه بما يفهم ، ويرج بطالب الحكمة الى أفقه فيعلمه ما لم يكن يعلم ، سو هذا هو المثال الاول لطور العمل ، من الحياة المنوية للرجل ، تجليه لك مقالته في جريدة الحكومة الرسمية ، وجل عمله فيها خاص باصلاح حال البلاد المصرية ،

ثم يجليه لك مع أستاذه في الديار الأوربية ، متحدثين على ارشاد جميع الشعوب الاسلامية ، السيد الحكيم يقترح ويدبر ، والاستاذ الايام يكتب ويحرر ، يدعوان الى العروة الوثقى التي لا انفصام لها ، ويجمعان القلوب على الوحدة وكانا أحق بها وأهلها ، هنالك تتجلى لك روح القرآن ، هابطة من سماء الحكمة والعرفان ، مؤيدة بالمرء والسلطان ، تطوف بتلك العروة البلاد ، وتصافح قلوب أهل الاستعداد ، فتحيا حياة جديدة ، وتجذبها الى عيشة سميدة ، هنالك ترى الالهام الاتمهي ، بمد بتأثيره العلم الكسبي ، فيصيان مواقع الاقتناع من الغفل ، ويلفتان مواضع التأثير من النفس ، فلا يقرأ القارئ ما في العروة من بيان حال المسلمين ، وأسباب ما أصيبوا به من البلاء الممين ، وما تطب لدائمهم ، وتصف من دواهم ، الا وينتهي أسير البرهان ، مملوك الوجدان بالاذعان ، مندفعاً الى العمل بذلك البيان ، بالجنان واللسان والأركان ، وذلك طور مستوى القوة ، وكمال الفتوة ، ومتهى علو الهمة ، وييم النفس والوقت للملة والامة ،

ثم يظهره لك رابصاً في الديار السورية ، يعمل لاصلاح الاسلام

بإصلاح الدولة العثمانية ، أو مقيا في الديار المصرية ، بين لأولي الامر طريق الإصلاح بالترية الدينية ، وهو في القطرين يتكلم عن فهم ثاقب ، ويرى عن فكر صائب ، يبين طبائع البلاد والساكين ، ويجمع بين مصالحة الحاكين والمحكومين ، ويهديهم الى الطريق القويم ، في نظام الترية والتعليم ، معرّضا باستمداده لتنفيذ العلم بالعمل ، مصرحا بضمان تحقيق الامل ، وفي ذلك صافيه من اعتماده على الله ، وبقته بالقوى والمواهب التي آتاه ، يلوح لك ذلك في لوائح الإصلاح ، وما فيها من اشراع مناهج القلاح ثم يبرزه لك في طور المبارزين ، للطاعين على الدين المين ، فيترامى لك أن علمه أمضى من الحسام ، وكله أغذ من السهام ، فهو بهما يكرّ ويصول ، ويجندل من الجادلين القحول ، ولا يثنى الا والحق غالب على أمره ، وبالباطل مغلوب يأرذالى جحره ، وحسبك من ذلك رده على موسيو هانوتوفى قوله في طبيعة الديانتين الاسلامية والمسيحية ، ثم رده عليه في مسألة الجامعة الاسلامية ، ثم يريكه بحبوب الاقطار ، ويقطع أجواز البحار ، للنظر في آثار الاولين ، واستخراج العبر منها للآخرين ، فتراه في صقلية صرة يتصفح الصحف والاسفار ، ويستنطق الماديات والآثار ، ويقرأ ما نقش على الجدران بالبرية ، لتحقيق المسائل التاريخية ، وصره يبحث عن الاخلاق والمعادب ، وينقب عن المنشآت والميتحدثات ، يتردد بين الاديار والكنائس ، والمقابر والمدارس ، ثم يزف ما استفاد الى أمته ، فيما كتب عن رحلته ثم يكشف لك عنه الحجاب ، وهو يرسل العلماء والكبراء والكتاب ، فتارة يتلو عليك من كتبه الى حزب المصلحين ، وأهل البصيرة من علماء المسلمين ، ما تنشم له القلوب ، وتحمدر من وقعه الشؤون ، فسكانك منه

وقد عاد بك الاسلام ، الى عصر النبي عليه الصلاة والسلام ، فرأيت نفسك تندفق غيرة على الدين ، وتفيض حزناً على ماحل المؤمنين ، فلم يبق لهام الا ان تكون كلمة الحق هي العليا ، وكلمة الباطل هي السفلى ، أو كأنك معه في عصر الراشدين ، وكأنه معك أمير المؤمنين ، يصول على الارواح بمواعظه الصادقة ، ويحتلب الالباب ببلاغته الرائعة ،

ومرة يشنف مسامحك باللؤلؤ والمرجان ، من رسائل الوداد الى الاصدقاء والخلان ، فيمثل لك الادب الباهر ، واللفظ الساحر ، ويصور لك الوفاء في أجل صوره ، والاخلاص في أجل مظهره ، والصدق في الحب ، على البعد والقرب ، ويربك من ذلك الرجل الحزين على أمته ، المستغرق في عمل الإصلاح لملته ، أديبا ظريفا ، وندىما لطيفا ، حسن الاماليح ، مليح الافاكيه ، حلوا الفكاهة مرّ الجدة قدمزجت بشدة البأس منه رقة الغزل ، وآونة يقرئك مما كتب الى المؤلفين بالعربية ، أو المترجمين للكتب الاجنبية ، ما يرفع من أقدارهم ، ويشب من نارهم ، وما يشعذ غرار همتك ، ويرجي ركاب عزيمتك ، الى أن تكون من زميرهم ، وتساهمهم في مثل خدمتهم ،

وأحيانا يسمعك من تعازيه للمحزونين ، ومواعظه للرزوين بالافريين ، ما يحلوه مرير الصبر ، ويرغب فيما عند الله من المثوبة والاجر ، ويترك القلوب مفشوة الثائرة ، قد سكنت قدرها الفائرة ، وأنشأت تشيع الاحزان ، وتستقبل السلوان ،

ثم يختم لك ذكرى هذه الحياة الروحية ، والآثار العقلية ، بشذرات من الحكم المشورة ، والآيات الماثورة ، قترى اجمالا ينبي عن تفصيل ، وقليلًا

لا يقال له قليل، كأنه صورة مصغرة لتلك الروح الكبيرة، أو عناوين لتلك الكتب المسطورة، على أن الكتاب كله تنف من أقواله، ونموذج من أعماله، وإن آثاره في النفوس، لا عظم من آثاره في الضروس، فهو حي في الآخرة بما قدم من عمل، حي في الدنيا بما ترك من أثر، يمثل حياته هذا الكتاب الناطق، وينشر خبرها الصحيح مريده الصادق،

محمد رشيد رضا

منشئ المنار

﴿ مقدمة الجزء الثالث ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ إِذْ صَلَّيْتُ وَنُسَكِي وَنَحْيَايَ وَمَا يَلِيَّ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ

{ الانعام ٦ - ١٦٢ }

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (الجنات ٤٥ - ٢١)

كانت حياة الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده في جميع اطوارها وأدوارها خلاصة لله تعالى من شوائب الرياء، وزعزعة الاهواء، ومات كذلك خالصاً مخلصاً لله، لا يرجو غيره ولا يخشى سواه، لذلك كان في حياته ومماته آية في العلم والعمل لله وللناس، وحجة على أهل الجبل والجمود والجمود من جميع الاجناس،

رأينا في عصرنا كثيراً من أهل الشهرة والظهور في أمنا، من

المُرشدين والعلماء، والملوك والامراء، والشرفاء والاغنياء، قد حيوا
مكرمين، وماتوا مبكين، وما كانت حياة أحد منهم كحياته، ولا مماته
كتماته، - ما رأينا أحداً منهم في حداته فطرياً زكياً، وفي شبابه متعلماً
صوفياً، وفي كهولته فيلسوفاً اجتماعياً، وفي شيخوخته حكيماً رابانياً،
ما رأينا أحداً منهم يعمل لترقية الناس في الدين والدنيا، من حيث
لا يطلب لنفسه الا الحياة الاخرى،

ما رأينا أحداً منهم كان يرجوه الفقير لنيل نواله، وبسترشد به
الغني ليفيد ويستفيد بماله، ويرجوه المتعلم ليقبس من حكمته وفهمه،
ويستفديه العالم الذي يريد ان ينفع بعلومه، ويرجوه المحكومون لما يريدون
عند الحاكمين، ويستفيد منه الحكام كيف يمدلون في المحكومين،
ما رأينا أحداً منهم كان قبلة آمال المصلحين، في السياسة والعلم
والدين، قد اُتلفت الاعناق وامتدت الابصار من جميع الامصار والاطفار،
ترقب آثار اصلاحه، وتنوط فلاحها بفوزه ونجاحه، فالعصري في وطنه
يرجوه لمصر، والمسلم في كل وطن يرجوه للاسلام، والشرقي غير المسلم
يرجوه للشرق،

هكذا كان مرجوا في حياته للعالمين، اذ كان يحياه خالصاً لله رب
العالمين، وهكذا كان مرثياً من الناس أجمعين، اذ كان حتى مماته محباً
لخير الناس أجمعين،

ثم ما رأينا منهم أحداً مات فبكاه السني السلفي وغير السلفي، وحزن
عليه الشيعي والاباضي، ورثاه اليهودي والنصراني، وابنه الشرقي
والغربي، واستوى في التعزية عنه القريب بالأجنبي،

مارأينا أحداً منهم مات فتمت الجرائد كنعيمه ، وأبنته بمثل ما أبنته به ، على اختلافها في العقائد والمذاهب ، وتباينها في المنازع والمشارب ، وعلى ما كان له في عالم الاجتماع من الزعامة ، وفي عالم الدين من مرتبة الامامة ، وهما المزيان اللذان يحاسد عليهما الكبراء ، وينبري لمباراة صاحبهما العظماء ، بل يسلطون اللسنة والاقلام على من يخطب واحدة منهما ، فبالك بمن يتمكن من الجمع بينهما ، وما كانوا عن الاستاذ الامام بغافلين ، ولا عن النيل منه بساكتين ،

مارأينا أحداً منهم مات فقد موته موتاً للفقراء ، موتاً للعلم والعلماء ، موتاً للبلاغة والبلاء ، موتاً للصدق والوفاء ، موتاً للإخلاص والصفاء ، ورزؤه رزؤاً للمصريين ، بل رزؤاً للمسلمين ، بل رزؤاً للانسانية ومصابا على أهلها أجمعين ،

مارأينا أحداً منهم مات فتجاوبت الافطار بالتمزية عنه ، وتناوحت الامصار بالرتاء فيه ، وشهد له القريب والبعيد ، والنوي والرشيد ، والذكي والبليد ، بأنه امام الزمان ، وسدرة متهى العرفان ، هكذا كان وقع موته في العالمين ، لانه مات كما عاش خالصاً غاصاً لله رب العالمين ،

ليس هذا الذي أقول من خيالات الشعر ، ولا من باب الإطراء في المدح ، ولا هو من قبيل شهادة القريب للقريب ، ولا من اعجاب الصديق والوديد ، ولا من اجلال التلميذ أو المريد ، وانما هو الحق اليقين ، الذي دوتة أقلام الكاتين ، املاء عن السنة الناطقين ، وهذا السفر بمضى مادونوا ، ومادونوا الا بمضى ما علموا ،

ترى في هذا السفر اثباتاً لاعتقاد قوم من المؤمنين والمؤمنين، وتصويراً لشعور طوائف من العلماء والفضلاء والشعراء والكاتين، قد تقاربوا بل اتحدوا على تباعد الاقطار، واتفقوا على اختلاف اللغات والمذاهب والديار، في اثبات المعاني التي أثبتنا، مع تفصيل لما أوجلتنا، وذلك هو التواتر الحقيقي، المفيد للعلم اليقيني،

تواتر لم يعمد له عندنا مثال، دونه الطبقة الاولى في الكتاب، عن تواتر سائر مسير الامثال، به حرفة البعيدون من الشعراء والكتاب، لا توارد الخواطر؛ كما يقع الحافر على الحافر، ولا يوحى من آحاد متواطئين، الى جماعات غير متعارفين، اذ لا سبيل الى التواطؤ، ولا ذلك الاعتقاد والشعور مما يكون بالتوارد،

يدور الكلام في تلك التآيين والتعازي والمرائي على أربعة أقطاب - () بيان الاعتقاد الذي تنبئه الآمال، و (٢) تمثيل الشعور و (٣) ذكر الاعمال، و (٤) تخيلات الشعر، وإن هي تخلت الذر، وإنما يأتي توارد الخواطر، في هذا القسم الآخر، كقولهم لو كان يمدى لقديناه بكذاء، وإن الحياة بعده أسمى وأذى، وأنه كان بحراً في الجود والعلم، وطوداً في الثبات والحلم، فأما ماهو من قبيل الاعمال، أو من اثبات الاخلاق والخصال، فهو مما لا يكاد يتفق فيه خاطران، فكيف تتفق فيه خواطر الزرقات والوحدان،

ترى في هذا السفر أقوالاً للأفريقي والاسيوي، والامريكي (المقيم في أمريكا) والاوربي، ولك أن تقول للعربي والتركي، والافريقي والملاوي، والافرنجي والبربري، وأن شئت قلت للمسلم السني والشيعة، وللنصراني

واليهودي ، تتفق هذه الاقوال في معان يحزم كل من رآها انها ناشئة عن اعتقاد ، سببه انتشار فضل الرجل في جميع الاقطار والبلاد ، حتى كانت جذيرا بقول الشاعر

وسار مسير الشمس في كل بلدة وهب هبوب الريح في البر والبحر
هذا ما يؤخذ مما نشر في هذا الكتاب ، واليك كلمات مما قاله بعض المشهورين في هذا الباب منها ما قيل في حياته ، ومنها ما قيل بعد مماته ،
(ثم قلنا بعد ان اوردنا كلمات كثيرة فيه ، لبعض المشهورين كمختار باشا ورياض باشا كانت نشرت في المنار)

هذا بعض ما سمدنا وما روينا ، على أن الامة لما تعرف كنهه من قسدا ، كما يقول العقلاء المنصفون ، وسيثبت الزمان حقيقة ما يقولون ، فاثبتونا بعالم نحرير ، أوملك أو أمير ، اعترفت له الامة بهذا الفضل الكبير ، ينقسم هذا الجزء الى أقسام (الأول) أقوال الجرائد العربية وفيه فصول (١) للجرائد اليومية المصرية و (٢) للجرائد الاسبوعية و (٣) للمجلات و (٤) للجرائد التونسية و (٥) للجرائد السورية في أمريكا الشمالية والجنوبية . أما جرائد سورية في سورية فقد منعت من تأييد الامام بل من ذكر خبر موته بأمر من السلطان (وهو من ص ١٥٠ الى ١٥٠) (القسم الثاني) أقوال الجرائد الافرنجية وفيه فصول (١) للجرائد التي تصدر في القطر المصري وقد ترجمنا أكثرها و (٢) للجرائد التي تصدر في أوروبا ولم يصل إلينا الا قليل منها (وهو من ص ١٥١ - ١٨٤) (القسم الثالث) أقوال الجرائد التركية والفارسية ولا تركية الا ما يصدر في مصر لانها هي الحرية بما لها من الحرية باظهار شعور فضلاء الترك

واعتماد بفضل هذا الامام العظيم دون التي في بلادها (من ص ١٨٥-١٩٨)
وقد فاتنا ما كتبت الجرائد الهندية اذ لم يتيسر لنا جمعها وترجمتها
في مصر وكنا نرغبنا الى عظيم من عظماء مسلمي الهند وأعلمهم بقيمة الامام
وأشدهم له حبا بأن يترجم لنا أهم ما كتبه جرائدهم خالت الموانع - من
مرض وسفر - دون أن نحافنا بما كان يجب من ذلك

﴿ القسم الرابع ﴾ نموذج من تأيين بعض العلماء والفضلاء كان
نشر بعضه في الجرائد (من ص ١٩٩ - ٢٣٥) بعد الوعد به
﴿ القسم الخامس ﴾ ما قيل في حفلة التأيين والثناء عند القبر
(٢٣٦ - ٢٧٤)

﴿ القسم السادس ﴾ التمازي وهي نموذج مما كتبت بعض
المصريين الذين كانوا خارج مصر ونموذج مما كتب المسلمون من سائر
الاقطار (من ص ٢٧٥ - ٣٠٠)

﴿ القسم السابع ﴾ مرآتي الشراء مرتبة على حروف المعجم وقد
اختصرنا أكثرها (من ص ٣٠١ - ٤٢٢)

﴿ القسم الثامن ﴾ ملحقان في الاول منهما استدراك شيء تابع لقسم
التمازي وهو تمزية مجلس شورى القوانين لاسرة الامام وما كتبه
جموده بك في جوابه وجواب تعزيتي محكمة الاستئناف والمستر براون
وفي الثاني استدراك آخر تابع لتأيين العلماء والفضلاء وهو تأيين اللورد كرومر
في تقريره الرسمى عن حال مصر الادارية والمالية وتأيين المستشار القضائي
في تقريره الرسمى عن القضاء في مصر (ص ٤٢٣ - ٤٢٨)

وتينا تأيين الجرائد في كل فصل على ترتيب أسماؤها بحروف المعجم

وكذلك رتبنا تأييد المؤمنين على حسب أسمائهم الا ماشد . وأما المراتي
فرتبناها على حسب حروف ، قوافيها وقصائد كل قافية على حروف
ناظيها ، وماشد عن الترتيب فالسبب فيه تأخر ورودها حقه التقديم ،
أو الخطأ من المرتين ، وقد وردت لنا تأييد ومرات أخرى بعد الفراغ
من الفصول الذي قضى الترتيب بوضعها فيها فأهملناها ، ورأينا بعضها غفلا
من التوقيع المدرف لصاحبها فأهملناها ، وقد حذفنا كثيرا من الاطراء
والزهديات في القصائد التي اختصرناها ،

واتناقدم الى الامة هذا السفر بالنيابة عن مؤلفيه ، من ساسة العصر
ومؤرخيه ، وعلمائه وفضلائه ، وكتابه وشعرائه ، احياء لذكرى نائيتها
الاستاذ الامام ، عليه من الله الرحمة والرضوان ﴿ محمد رشيد رضا ﴾
منشي المنار

هذا وان أجدر الناس بالاستفادة من هذين السفرين طلاب العلوم
من مجاوري الازهر وتلاميذ المدارس لا سيما الراغبون منهم في تحصيل
ملكة الكتابة وبلاغة الانشاء على انها مما يستفيد منها كل قارئ .
وقد جملنا ثمنها رخيصاً بالنسبة الى المطبوعات المصرية والى حجمها فان
مجموعها يبلغ زهاء ألف صفحة أو مجلداً من مجلدات المنار ولكن ثمنها معاً خمسة
وعشرون قرشاً أو اقل من نصف ثمن مجلد من المنار . وثن جزء المنشآت وحده
خمسة عشر قرشاً وجزء التأييد والمراتي وحده عشرة قروش على انه سري
بأحسن صورة للاستاذ الامام . وهناك نسخ مطبوعة على ورق أجود يزيد
ثن النسخة منها خمسة قروش . ومن يطب نسخة مجلدة فعليه ان يزيد خمسة
قروش أجرة التجليد . أما أجرة البريد عن كل جزء فهي ثلاثة قروش

﴿ كتاب الاخلاق والسير ﴾

كتب الامام الجليل أبو محمد علي بن حزم كتابا وجيزا سماه « الاخلاق والسير في مداواة النفوس » هكذا يصدق على كلمة فيه قول بعض الحكماء : العلم الصحيح هو ما اذا سمعت حسبت انك كنت تعرفه : تقرأ ما تقرأ منه فتشربه نفسك وتعرفه فطرتك ويحكم عقلك بأنه حكاية عن حقيقة ما عليه الناس في أنفسهم ونتائج أعمالهم وآثار صفاتهم وأخلاقهم ويلوح لحياك أنه مرآة القلوب والآنكار . ذلك أن مؤلفه لم يكن حظه منه كحظ أكثر المؤلفين : جمع وترتيب ونسخ وتبويب : بل كان هو عقله وفكره وأدبه فاضت عن نفسه فوقعت على الصحف فكانت كتابا سواء منها ما هو محفوظ ومأثور وما هو مستتب ومقول فهو اذا قل شيئا ينقله بعد ان يعقله ويسقه بل بعد ان تتغذى به نفسه ويصبر جزءا منها حيا بحياتها كما يصبر الطعام الذي يتغذى به البدن الحي جزءا منه لا كما ينقل المتطفلون المقدون في التأليف كلام غورم من غير ان يخاطب عقولهم أو يحس قلوبهم . قال المؤلف في مقدمة الكتاب

« أما بعد فاني جمعت في كتابي هذا معاني كثيرة أفادنيها وأحبب التمييز تعالى بمرور الايام وتعاقب الاحوال بما منحني عز وجل من التهم بتصاريف الزمان والإشراف على أحواله حتى أفقت في ذلك أكثر عمري وآثرت تقييد ذلك بالمطالعة له والفكرة فيه على جميع اللذات التي تميل اليها أكثر النفوس وعلى الازدياد من فضول المال وزعمت كل ما سبوت من ذلك بهذا الكتاب لينفع الله به من يشاء من عباده ممن يصل اليه بما أتميت فيه نفسي واجهدتها فيه وأطلت فيه فكري فيأخذ عفا وأهديته اليه هنيئا فيكون ذلك أفضل له من كنوز الأموال وعقد الملاك اذا تدبره ويسره الله تعالى لاستعماله . وأنا راج في ذلك عظيم الاجر لئني في نفع عباده وإصلاح ما فسد من أخلاقهم ومداواة علل نفوسهم وبالله استعين »

طبع الكتاب الشيخ أحمد عمر الحمصاني الأزهرى وضبط من كلمة ما رآه محمدا جابا الى الضبط وفسر في هوامشه ما رآه منه غريبا وصدره بترجمة وجيزة للمؤلف وجعل ثمنه قرشين فننصح لكل قارئ أن يطلعه المرة بعد المرة وهو يطلب من مكتبة المنار

(المار ج ٤) (٣٩) (المجلد العاشر)

(الاسرار القدسية والقيوضات الهدائية)

« تأليف الذي كان كاهنا من كهنة الروم الكاثوليك ومن الله عليه بالعناية المحمدية وتشرف به بن الاسلام عبدالحفيظ المهدي » - أهدي الينا هذا الكتاب الجديد وعرفنا مؤلفه فإنه كان قسيسا في عكا وأسلم في طرابلس أيام كنا فيها وصار من أهل الطريق وقد جاء مصر في العام الماضي ولده له يريد أن يتلقى القرآن بالروايات في الأزهر ويطلب العلم . أما الكتاب فهو في التصوف والرقائق جمع فيه كثيرا من المواعظ والآداب معزوجة بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وذكر في آخره شيئا من خبره جعله مقدمة للدعوة الى الاسلام وإثباته وذكر في هذا المقام بعض النصوص عن المسيح عليه الصلاة والسلام وعن كتب أخرى من كتب القوم . ونحن النسخة من الكتاب خمسة قروش صحيحة . ويعلم الفضل ان في شرائه إغاثة لرجل على تعليم ولده وتربيته في هذه البلاد التي لا مورد لهما فيها

(هدية الرئيس للأمير)

رسالة في علم النفس لرئيس أبي علي بن سينا أهداها الى الامير نوح بن منصور الساماني والظاهر انها أول تصنيفه . وقد كانت فقدت هذه الرسالة فلم يعرف الباحثون من الافرنج المستشرقين الانسختين منها احداها في مكتبة (ليدن) من مملكة هولندا وهي كثيرة الغلط والثانية في المكتبة الامبروازية بمدينة ميلانو من ايطاليا وهي أمثل . فعني بعضهم بنسخها وتصحيح احداها بالمقابلة على الاخرى ثم بالمقابلة على نسخة منها مترجمة باللغة اللاتينية في القرن السادس عشر والاستعانة ببعض كتب المصنف في الفلسفة خصوصا ما كان منقولاً عنه فلذلك الدكتور صمويل لانداور الالماني صحح الرسالة وجمع اليها ما اختلف من النسخ وعاق عليها ماعاق من الشرح والتفسير ونشر ذلك كله في مجلة المستشرقين الالمانيين مع ترجمة المانية وجيزة بسبع لغات - العربية والعبرية والسريانية والفارسية واللاتينية واليونانية والالمانية . فلينظر أهل العربية الى عناية الافرنج بكتبهم وآثار سلفهم وليخجلوا من جهلهم واهمالهم

ثم أن أدوردفنديك المدرس بـ مدرسة الحقوق (ابن الدكتور كرنيلوس فنديك الشهير) قد استخرج النسخة من تلك المعلقة وقالها بنفسه على الأصل في مكتبة ليدن ومكتبة ميلانو بعد أن وعدته شركة طبع الكتب العربية هنا بطبعها إذا هو جاء بها مصححة بالعربية وقد وفّت بالوعد فطبعها طبعاً متقناً على ورق جيد كعادتها . وطبعت معها تلك الشروح . وقد اقتدنا تسمية اختلاف النسخ بالقرآت وما هي بقرآت وإنما هي تعريفات وتصحيقات وقد وضعت بين أقواس في أثناء الكلام فكانت مما يشغل القاري . لأجل الفهم ولو وضعت في الهوامش لكان أولى . وإنا نشكر لكل من اشتغل بإحياء هذه الرسالة فضله

(قصة البحث)

هي قصة شهيرة من أحسن ما كتب الفيلسوف تولستوي الروسي الشهير بل هي كتاب كبير مؤلف من جزئين في علم الاخلاق والسياسة وخدمة الاجماع ليس فيها من معنى القصص الاسرار المسائل والآراء في التراميات والسياسة والآداب في سياق الوقائع المتصلة بأسلوب بلذ القاري . ويبعث شوقه لقراءة . وهو يصف فيها معيشة متروفي أمته وأمرائها وحال الفلاحين والمسجونين فيها ويوغب في توزيع الاراضي على الفلاحين فهي من القصص التي جمعت بين الفذة والفائدة فيألت شبابنا يطالعونها وقد طبعها ابراهيم أفندي فارس صاحب المكتبة الشرقية وهي تطلب منه

❦ ديوان حافظ ❦

قد طبع الجزء الثاني من ديوان حافظ أفندي ابراهيم وهو أرق من الأول نظماً وموضوعاً فإن معظم قصائده في الأمور العامة من اجتماعية وسياسية وما في معناها كدح الاستاذ الامام (تسميه الله برحمة) وبهذا صار شعر حافظ عزيزاً شريفاً واشتهر في كل قطر يقبوه أهل العربية ، ولو كان كسائر الشعراء ، لا يكاد ينظم الا في مديح الأمراء والوجهاء ، لما طار صيته في البلاد ، ورددت شعره ألسنة الناطقين بالضاد ، فانه وقد بذل المعاصرين تنقيحاً ونحراً ، لم يذم بخيلاً ونأبراً ، فإن شعره أقرب الى عالم الحقيقة منه الى عالم الخيال ، فلولا شرف معناه

لا سلم من الابتذال ، حتى ليمجز عن إغلائه الأمير والسلطان ، على استثنائه
عن تهذيب صبري وصل سلمان ، (٥) وهالك هذا النموذج منه الآن ،
حجج لسان حال اللغة العربية

رجعت لنفسى فآهمت حصاتي رموني بقم في الشباب وليقي
ولمت ولما لم أجد لرائسي وسمت كتاب الله لفظاً وغاية
فكيف أضيق اليوم عن وصف آفة انا البحر في احشائه المراكمن
فيا وبحكم أبلى وتبلى محاسني فلا تكلوني فزمان فإني
أرى لرجال القرب عزاً ومنة أنوا أهلهم بالمعجزات ففتنا
أيطربكم من جانب القرب ناعب ولو تزجرون الطير يوماً علمتم
سقى الله في بطن الجزيرة أعظما حفظن ودادي في البلى وحفظته
وفاخرت أهل القرب والشرق مطرق أرى كل يوم بالجرائد مزلقاً
واسم الكتاب في مصر ضجة أبهجري قومي عنى الله عنهم
مرت لولثة الا فرنج فيها كما سرى فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة
وناديت قومي فاحسبت حياتي (١) وعمت فلم أجزع لقول عدائي
رجالاً والكفاء وأدت بناتي (٢) وما ضقت عن آي به وضأت
وتنسقب أسماء تحت رعات فهل سألو النواص من صدقاتي
ومنكم وإن عز الدواء أسائي (٣) أخاف عليكم أن تمحن وفاتي
وسكم عز أقوام يمز لغات فياليتكم تأتون بالكلمات
بنادي بوادي في ربيع حياتي بما نحت من عشرة وشتات
يمز عليها ان تلين قناتي لمن بقلب دائم الحسرات
حياء بلك الاعظم التخرات من القبر يدنيني بهجر أناة
فاعلم أن الصالحين لغاتي الى لغة لم تحصل برواة
لعاب الأفاعي في مسيل فزات مشكلة الألوان مختلفات

(٥) الكلام إشارة الى شيء يعرفه حافظ وكثير من أدباء مصر (١) الحصة
العقل والرأي (٢) وأدبت دفنها حية (٣) الاساءة جمع الآسي وهو الطيب

الى مشر الكتاب والجمع حافل . بسطت رجائي بمد بسط شيكائي
فأما حياة تيمث الميت في البلى وتثبت في تلك الرموس رقائي
وأما ممات لا قياة بمد . ممات لمبريه لم يقس بمات
(مسامرات الشعب)

(قصة قاطع الحبل) أتمت ادارة المسامرات طبع هذه القصة وهي من القصص
الغريبة في ثنائق حوادثها وينتهي الجزء الأخير منها (وهو السادس) ببيان سوء عاقبة
الجنة والالتصمين وحسن عاقبة أهل الوفاء والاخلاص ففسى أن يتبر القارئون لها بذلك
(بحجة الإنسانية)

قد عاد الشيخ ابراهيم الدباغ الى اصدار هذه المجلة مستقلا بها ففسى أن يلاقي
من الاقبال عليها ما يستحقه أدبه ويكون عوناً له ومنشطاً على الارتقاء بها الى متعني
ما يصل اليه استعداده

(كوكب أفريقية)

« جريدة أسبوعية سياسية أدبية علمية فلاحية تجارية صناعية تصدر كل يوم
جمعة - مدير تحريرها السيد محمود كحول » من فضلاء الجزائر وهو يصدر الجريدة
فيها . وقد وافانا العدد الثاني منها الذي صدر في ١١ ربيع الاول فسروراً به سروراً
عظيماً لأن اخواننا مسلمي الجزائر كانوا محرومين من هذا العمل العظيم - الصحافة -
فنحن نرحب بهذه الجريدة ونرجو لها من صميم أفئدتنا التوفيق للإرشاد النافع
ونحث القراء على الاقبال عليها وشد أزرها

(المنبر)

جريدة أسبوعية جديدة أصدرها في تونس محمد الشاذلي المورالي من فضلاء
الكتاب المشهورين فيها . وقد بين من سياستها في العدد الاول ما هو خبر سياسة
يرجى نفعها كالحض على نشر العلم بطريقه الاسلاميه والتأليف بين المعلمين في
جامع الزيتونة والمسلمين في المدارس النظامية وتحري المباحث التي تعلق بشؤون
المسلمين وتحامي ثلب الاعراض فنسأل الله تعالى أن يوفق صاحب هذه الجريدة لي
بخير ما قال وينفع مجريده القارئين

باب المناظرة والمراسلة

جاهنا من الدكتور نصر اقتدي فريد طبيب اليون بالمتصورة ما يأتي

١٩ ربيع الاول سنة ١٣٢٥

حضرة الأستاذ الفاضل

قرأت لكم في العدد الاسبق بمجريدة النصار الفراء كلاما في الخمر ملخصه أنه لا فائدة منها الا ان الحجة مدوة للبول وحيث ان جريدتكم الفراء لها تأثير فعال في قوس المسلمين وجدت من الواجب علي ان لاتفوت الجريدة هذه الملحوظة

المشروبات الروحية وتأثيرها

هذه المشروبات ليس لها أدنى فائدة للصحة بالمرة الا في ظروف يعرفها الاطباء دون غيرهم في بعض الامراض والازفة بمقادير معينة وضربها على الصحة فباعدا ذلك ويل للآفة وقد تألفت جميعات كثيرة في أوروبا لمنع المسكرات فأثرت تأثيراً حسناً وفي سنة ١٩٠٣ افرنكية وزعت بولية باروس عند ما كنت فيها منشورات في المدينة وفي جميع الجرائد معززة بأراء نطس الاطباء بضرر هذه المشروبات

فأمراض الجنون، الشلل العام وامراض الكبد والكليتين والمعدة والقلب والسل أغلبها مسبب من المشروبات الروحية

اما اضرار البول المشاهد بعد شرب هذه المشروبات ومن ضمنها الحجة فهو متسبب من تهيج الكليتين واحتقانها من الكحول الموجود في هذه المشروبات

واني أتأسف لانتشار هذه الفكرة بين العوام وهي تعاطيهم الحجة عند اصابتهم بمرض في الجهاز البولي فيفترون بهذا الادرار البولي الكاذب قترداد الحالة خطيرة ويقتضي الاحتقان الكلوي بالتهاب كلوي عاقبه الموت ان لم يسادر المصاب بالاعتطاع عن تعاطي أم الخبائث والسلام

(النتار) نشكر للدكتور الفاضل مبادوته الي هذا التنبيه المفيد ومازلنا نتصح للناس بأن لا يفتروا بكلام الاطباء المقلدين أو المفتونين بزخرف المدنية اذ بأمر من يشكو معدته أو غير معدته يشرب نبيذ كذا فان اكثرهم يأخذ على هذا الفش أجرا من باعة الخمر . وقد قرأنا في الجزء الاخير من مجلة المفتطف مقالة مفيدة في هذا الموضوع سنشرها في الجزء الخامس

وكتب اليها أحد أساتذة المدارس بمصر ما يأتي
اساذي المفضال السيد محمد رشيد رضا .

سلام الله عليه . وبعد فهل لي ان اطلب اليكم نشر هذه الكلمة على صفحات
المنار اعلانا للحقيقة وشكرا للصادقين . سيدي أرى ان أمرك مقسم والناس فيه فرقان
فن طائفة يهجن منك مخاطبة اللورد كرومر ويتفق لوقفت عليه مع الثاقفين وصرفته
مع الصامرين فلم تكتب اليه شيئا ونما يرمونك به انك في استفهامك منه عما يريد -
من باب الاسلام أم قشوره قد يشتهر أي الامير يختار وذكرت له وجوه الاختيار
من عمل الحكام بالفتنة ورجوع بعض المسلمين عن العمل به ومن تخطئة بعضهم البعض
فيه . يقولون لو غيرت هذه الالهيعة . أما انا فهما يكن من الامر قائما أرى ان مولاي
الرشيد حفظه الله قد استدرك جناب اللورد الى الدول عما في تقريره وخاتمه فخله
وبالواجب عمل - من كان يظن أن اللورد كرومر لا يرجع عما في تقريره في حقة
الاوربا الخديوية بعد بحملة سمو الامير له وزيارته في الوكالة البريطانية واشتداد الصحافة
المصرية في الطعن على تقريره ولكن اللورد كرومر دل على تمسكه بما في تقريره واصراراه
عليه وهزأ بالمطاعن فيه في الصحافة وغيرها اذ قام في الاوربا خطيبا ولم ينس
ينت شقة دحضا وفضا تلك المطاعن في الاسلام كما كان القوم يظنون ولقد كاد البأس
من رجوع اللورد كرومر عن تلك التهم الشنيعة يستحكم في فؤوسنا ويزحزح كبير
آمالنا لولا ما سحر به السيد الرشيد (سدد الله سهمه) جناب اللورد كرومر بكتابه
اليه واستدرجه الى ما يريد وقد كان وعرف العالم الاوروبي بشهادة خير منهم ان
كل نية توجه الى الاسلام نفسه لانصيب لها من الصحة ولا باعث لها من مرفدها
الاحزازات النفوس وسخائم الصدور الا فرفع المسلمون في جميع الاقطار عقيرتهم
بالدعاء للمنار وصاحبه وهالما فاعل . سدد الله المنار وأطال في بقاء صاحبه أمين
(المنار) قال بما قلتم وما نسئتم كثير ولولا أن الجهالة عذر طبيعي للجاهل فيما ينشأ
هنا وان لم تكن عذرا شرعيا في نفسها لكان لنا أن نسج أشد العجب لضعف ينخذ
نفسه عدوا قويا يلج عليه إن يلج في عداوته . ولا يرضيه منه أن يجنج الى صداقة
هنا وانني وان كنت في سؤالي للورد ما أمتنى أن يجيب به تبرئة للاسلام لم أخالته
ولكنني وقت الى تنبيهه الى شيء يتقده وحله على التصريح به فاحمد الله على هذا
التوفيق وأشكر للرجل هنا الانصاف . وسأبين العبرة في خلاف الناس بيناب
الاخبار والآراء

بَابُ الْحَبِيبِ الْإِسْلَامِيِّ

(آراء الناس في مكاتبتهم مع لورد كرومر)

من الناس من يكتب: البري الناس فهو يتحرى رضام بالحق وبالباطل فلا الحق مقصوده في ذاته ولا الباطل مطلوب له لذاته وإنما يكتب الهوى خاص هو كل ما يقصد . ومنهم من يتحرى الحق رضي الناس أم لم يرضوا وافق أهواءهم أم لم يوافقها . ولا يفتح الناس الهوى في شيء كما يتبعونه في الكلام . عن الحكماء والرؤساء وزجال السياسة . وإنما يرى أهل الأهواء قد يعدون الشيء الواحد إذا صدر عن زيد نافعا وإذا صدر عن عمرو ضارا ويقول فلان قوله فيعدونه إيجابا وإصلاحا ويقول آخر فيعدونه كفرا وافسادا .

مفلسين وأشهر نشرت عدة مقالات في بعض جرائد القاهرة في ذم الفلسفة والتعريض بمن زعموا أنه يريد إدخالها في علوم الأزهر (يمتنون الأستاذ الامام رحمة الله) وقالوا ان الأزهر مدرسة دينية محضة لا يجوز تعليم شيء فيها غير الدين وفي هذا العام أمر شيخ الجامع الأزهر بعض المشايخ بقراءة فلسفة اليونان فيه فطلق بعضهم يقرأ الاشارات لابن سينا وبعضهم يقرأ كتباً أخرى في ذلك ولم يكتب أحد بل لم يقل أحد شيئا . فلماذا كان يوم ادخال الفلسفة في الأزهر منكرا دافعا الى ذلك الانتقاد الشديد وصار تسليم الفلسفة بالفعل الآن سرورا لا يتقنه أحد ؟

وقد نشرت إحدى جرائد المسلمين منذ سنتين مقالا لأحد الامراء حيث فيه ينص اصول الدين وعقائده . وكتبت جريدة أخرى لهم ان الحكم يقتل القاتل من بقايا المحمية . بل استبدل الحكم القوانين بالشريعة ولم يقل المسلمون شيئا ولا حركوا ساكنا بل ظفروا يعدون هؤلاء الحكماء من رؤساء الجهل . وقد قال اللورد كرومر في تقريره الأخير عن حال مصر والسودان كلمة في الشرية قام لها الناس وهددوا لادانتها بل لأنها من اللورد كرومر . وقد أطال الرد والظن كثير

من الكتاب على كلمة الرد من حيث هي كلمة ونسلكم معهم فيها قدانها. وما كتب في الرد على اللورد مقالة في الرق نشرت في اللواء معززة الى حكم من حكم الاسلام ولكنه لا يعرف البديهي من قواعد الاسلام اذ زعم أن الزكاة المفروضة فيه تصرف بحكم القرآن الى الحكام والى سفراء الدول وقناصلهم وفي بناء الفنادق لسياح. ولو كتب مثل هذا الكلام في المقطم لقامت عليه وعلى كاتبيها قياة اللواء وغير اللواء وعدوا ذلك أعظم جناية على الاسلام

هكذا ينظر أكثر الناس الى من قال لا الى ما قال ، ولا يعرفون الرجال بالحق بل يعرفون الحق بالرجال ، كلا ان اتباعهم الموى في الرجال يصرفهم عن معرفة الحق وعن طلبه فلا يقبلونه ممن لم يوافق أهواءهم ولكنهم يقبلون الباطل ممن فتتوا بهم ، وصاروا موضع ثقتهم ، وهذا من اكبر البلاء على الناس اذ لا ترتقي أمة منهم الا اذا كثروا المستقلون فيها بالحكم على الناس وعلى الاقوال ، الذين يطلبون الحق قدانه ويحملونه هو الميزان لمعرفة الناس ومعرفة الاشياء

قال لورد كرومر قوله في الشريعة الاسلامية فقامت له جرائم المسلمين وقعدت ، وأعوت وولوت ، وذمت وقعدت ، وارتأت واقترحت ، ثم صدر المنار فكان خيرا منها دافعا ، وأشد للمخالف اقناعا ، وزاد على ذلك أن وفق الى أخذ كتاب من اللورد نفسه يعري فيه الدين الاسلامي نفسه من النقد والظلم ويستدل على ذلك ويصرح بأن عبارة التقرير التي فهم منها الظلم في الدين نفسه - لم تؤد مراده الذي بينه ووضعه بما كتبه الينا . فاذا قال الناس في ذلك ؟

اختلفوا فيه كما هي عادتهم فاستحسنه فريق كل الاستحسان وشكر لنا سعيانا ولورد فضله وانصافه وبالف بعض افراد هذا الفريق في الاعجاب بذلك حتى قال لنا أحد المحامين وهو ممن لا يختلف اثنان في كمال استقلاله وجودة رأيه وسعة علمه : أخبرني هل سحرت اللورد بكتابك اليه وهو لا يعرفك ام استنتت عليه بوسائل أخرى حتى نجحت في أخذ هذا الجواب الذي لا يتصور أن يخضع الاسلام بمثله في هذا الباب ؟ الخ ما قال

وذهب فريق آخر الى أنه لا فضل لورد في جوابه وإنما الفضل كله فيه

صاحب المنار . وقد جرت بين أحد الباشوات من هذا الفريق وأحد المشايخ الوجهاء من الفريق الاول مراجعة ومحاوره بذلك في حفلة عرس في العاصمة وكان بعض الوجهاء فيها موافقا لباشا وبعضهم موافقا للشيخ

وذهب فريق ثالث الى أن صاحب المنار قد أخطأ فيما كتبه الى اللورد لأنه لفته الجواب في السؤال ، ورد عليهم بعض الناس بأن صاحب المنار قد أحسن في ذلك لأنه ورط به اللورد حتى أجابه الى ما يريد من تبرئة الدين الذي هو الكتاب والسنة وهذا هو غرضه من الكتاب . ورد عليهم آخرون بأن ما استدل به اللورد في جوابه مؤيد بتقاريره فهو لم يستفد الجواب من السؤال وإنما جاء به من عند نفسه كما هو مفهوم من استدلاله

وقال فريق آخر إن صاحب المنار قد أخطأ لأنه كان سبياً لهذا الكتاب القبيح يميل القلوب الى اللورد حتى تراه أهلاً للشكر والتناء ونحن لانحب أن نرى منه ما يحببه اليانا بل نحب أن نرى منه ونسمع عنه ما يزيد بغضنا فيه وحقنا عليه !!! وصاح فريق آخر إن صاحب المنار لا يستحق على هذا العمل الا القدح والقم ، والسب والشتم ، والقدح والتشهير ، والتمثيل والتصوير ، لأنه دافع عن اللورد الذي هو عدو الوطن والوطنيين ، وخضم الاسلام والمسلمين ، ولو كان هؤلاء يقولون ما يعتقدون ، واذا ظهر لهم الحق يدعون ، لو وجدوا كثيرين يقولون لهم انكم لمخطئون ، فان المنار ما دافع عن اللورد بل رد ما يفهم من كلامه بثلاث مقالات لم يسبقه أحد الى مثلها ثم نوسل الى استكثابه ما هو عين المصلحة للاسلام والمسلمين ، وان لم يوافق أهواء بعض المتحمسين من الوطنيين ، الذين يكرهون الحق اذا ظهر على لسان زيد ، ويتفرون من المصلحة اذا جاءت على يد عمرو ، وهم لا يقعون الا شعور الكراهة والتفور ، ولا يصيبخون الا لداعي الافراط والفرور ، وأكثروا مقلدون ، لما يقوله أصحاب الصحف القائلون ،

أما أصحاب الصحف المصرية فأكثرها لم يقدر هذه المسألة قدرها على عنايتها دائماً بأقل ما يؤثر عن الرجال العظام كلورد كرومر من قول وعمل حتى مالا شأن له في المصالح العامة كالرياضة والمهرجات الى الطعام أو الشاي . أما السبب

التي لأجله لم تحصل الجرائد بأمر بعد من أهم موضوعاتها وهو استدراك اللورد على عبارة في تقريره الرسمي في مسألة مهمة فهو أن جرائد الافرنج وماعلى شاكلتها من الجرائد العربية لا ترى من مصلحتها التنويه ولا مقتضى ملتها بالشهادة للدين الاسلامي أو تبرئته من مناهضة المدنية أو مخالفتها معها ارتقت

وأما جرائد المسلمين التي كان ينظر منها أن تنوه بذلك ونهيم به فقد اتفق أنه ظهر في وقت تحالف فيه بعض أصحابها المشهورين على اسقاط «حزب الشيخ محمد عبده» بالدم والتشهير، والقذح والتصوير، وقد افروصوا ما يظنون من نجاحهم في إيهام الجمهور بأنهم هم الذين كانوا سبب استقالة اللورد وتغيير انكسار سياستها في مصر تغييراً مرضياً (كما يزعمون) ولهذا ترى همهم محصوراً في جعل حسنات ناظر المعارف (سمد باشا زغلول) سيئات وفي الطعن بعلومه ومعارفه وإلقاء لئنة الفرنسية - هذا وهو انفع ورجال وطنهم المحبوب بالسنتهم وأقلامهم فكيف يصرفون مع هذا لصاحب النار بأنه أحسن صنعا وهو من حزب الشيخ محمد عبده المحكوم عليه بالاسقاط عديم؟ أليس المقول من أصحاب هذا الحكم أن يحولوا الأمر عن وجهه ويعملوا الحسنة سيئة؟ بل على أن جريد الهواء أظهرت الارتياح في هذه المكاتب كأنها كرمت نفسها ان تعترف بصحتها ثم لا تقدرها قدرها وصعب عليها أن تعترف للورد أول صاحب المتابعة لم تر مخرجاً من ذلك إلا باظهار الارتياح والشك فيما قيل ولكنها جازمت بتكذيب ما نقل عن الشيخ حسونه اقتياعاً عليه - وجريدة المؤيد نقلت السؤال والجواب ونزلت من مائها قبلت الجواب على أنه تنازل من اللورد ورجوع عن قوله الأول . وهي على كونها لم تترك القسم أو الدغ الخفي في هذا كما دأبت قد كرمت نفسها ان تمد الدفاع عن الاسلام دفاعاً عن اللورد فتركته الى من لا كرامة لهم في أنفسهم ولا في أنفس أحد من العقلاء الذين يعلمون ان ذلك لم يدفع عن اللورد ضرراً ولم يجلب له نفعاً

وقد كتب الينا من القاهرة وغيرهافي استجنان السؤال والجواب واستهجان خطة المشاغب فيه وقد اكتفينا بنشر كتاب لأحد اساتذة المدارس لأنه لم يسم فيه أحد وقد صرح بطلب نشره فلهذا نرجع في باب المراسلة

البدع والخرافات

وَالْبَقَالِيدُ وَالْعَجَائِلُ

﴿ حادثة دمياط . في طي الارض . ثقيل اعتاب القبور . صناديق النذور ﴾

يقال ان مسلمي مصر يتحركون الى القرى والمدن الذي تعزبه الأمم ويتمهم
الآفرنج بأنهم يحاولون ان يجعلوا ترقبهم إسلامياً يعزج فيه الدين بالمدنية والسياسة
ولو كانت هذه التهمة الشريفة صحيحة لكننا نرى مبدأ هذه الحركة من الأزهر
وما على شاكلة من المدارس الدينية ولكننا نرى بين طلاب المدنية من طريق
علوم الدنيا وبين رجال الدين صلة واتفاقاً على الغاية التي يلتقي فيها الفريقان في
آخر السير متعدين على أنهاض الأمة وإعزاز الملة . ونحن لا نرى بينهما الا التباين
الثام وقد الثقة والتدابير على خط مستقيم . وزي أن أهل الدنيا أقوى في ذلك من
أهل الآخرة فهم يجذبونهم ولا يجذبون اليهم فلا نرى أحداً ممن ارتقى بالعلوم
الدنيوية يربي ولده تربية أزهريه ولكن أكابر علماء الأزهر قديرون أولادهم في
المدارس الدنيوية حتى مدارس الحقوق التي يكون المتعلمون فيها قضاء يحكمون
بالقوانين من دون الشريعة وقد سمعت بأذني بعض هؤلاء العلماء يقول بكفر قضاء
المحاكم الأهلية لأنهم يحكمون بشيء ما أنزل الله ثم هو يحاول جعل ولده واحداً منهم
أو محامياً حكمه في نظره حكمهم . ولو سألت السواد الأعظم من المتخرجين في المدارس
الدنيوية العالية هل يرضون ان يكون شيوخ الأزهر وامثالهم قضاء للمحاكم المدنية
والجناية وحكاماً للسياسة والادارة لقانوا لك ان البلاد تستفيث من أحكامهم في
الامور الشخصية فكيف تستقيم الأمة حال اذا هم حكموا في غيرها لاسيما في الامور
المالية على اختلاف فروعها الآن والسياسة على وعرة مسالكها والتواء طرقها

وكان يرجى تلافي هذا التقاطع من رجال الدين لكنهم واقفون في المضيق الذي كان
فيه اشياخهم واشياخ اشياخهم والأمة متحركة بطبعة العصر فلام يسبرون معها
ولام يستطعون إيقافها منهم ولا هم يساعدون طلاب الإصلاح على الجمع بين الدين

وما لا بد منه لسلامة الملة والأمة كاستقلال الفكر ، وتحصيل علوم العصر ،
 انك لتحدث أهل الرأي والفكر من الطبقات المختلفة في شأن الاسلام والمسلمين
 فلا تنكأ ذرى أحدا يرجو ان يجي . يوم يحكم المسلمون فيه بشر يعنتهم وهم في حال
 راقية عز بزة فيفكر في ذلك ويسعى له سعيه . أليس هذا هو البلاء المبين ؟ بل وان
 وراءه بلاء أكبر منه وهو نفور بعض الذين يثقلون العلوم المصرية من عقائد الدين
 واعتقادهم انما لا تتفق مع العقل ولا يلتئم مع استقلال الفكر ولا نجاح لامة لا تعطي
 العقل حقه من الحرية وتبلغ الفكر مداه من الاستقلال . وكان برجى تلافي هذا
 من العلماء أيضا بأن يجاهدوا بمقاومة البدع والخرافات

كنا نتظر من الاستاذ الاكبر الشيخ حسونه التراوي حركة اصلاح جديدة
 في مقاومة البدع أقوى من الحركة التي كانت في مشيخته الأولى فما زادته الايام
 الا حنكة واختبارا ولكن حادثه دمياط جاءت بنقيض ما كان ينتظر أو يرجي
 فقد كانت هذه المسألة فرصة لاجلاء سنة أو سنين وامانة بدعة بل بدع كثيرة
 لا تمتداد الاعناق وإسماخة الإجماع ونشوف النفوس الى ما يقوله شيخ الأزهر
 فيها عليه العامة من الافتتان بالله جالين وقبور الصالحين

دعي الشيخ حسن علي أحد علماء دمياط الى قراءة قصة المولفي أحد المساجد
 فسمع الناس منه ما لم يعتادوا . سمعوا منه قصة لبس فيباشي من الروايات الموضوعة ،
 والا كاذب المصنوعة ، مفتحة بقوله تعالى (لقد من الله على المؤمنين إذ بهت
 فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويطهرهم الكتاب والحكمة وان كانوا من
 قبل لفي ضلال مبين) فسروا بما سمعوا وانشرت صدورهم . وكان مما ذكر
 في القصة خبر الهجرة الشريفة وفيه انه صلى الله عليه وسلم قطع المسافة بين مكة
 والمدينة في مثل المسافة التي يقطعها بها الناس فسأله بعد ذلك سائل لماذا لم يقطعها
 في لحظة كما يفعل أهل الخطوة من الاولياء ؟ فأجاب بأن مسافة الخطوة غير ثابتة
 ولو ثبتت لكان النبي صلى الله عليه وسلم قد جرد لاسباب في ذلك الوقت
 الذي خرج فيه مع صاحبه عليه الرضوان مستخفين من قريش خوف اذا هم
 ولكانت آية بهندي بها خلق كثير . ويقال انه سئل عن البقرة التي فيها قبر النبي

صلى الله عليه وسلم هل هي من أرض الدنيا أم من الجنة فأجاب بأنها من أرض الدنيا ولا أدري هل فسرهم حديث الشيخين في ذلك أم لا . وسئل عن النقود التي تلقى في الصناديق التي توضع عند أضرحة المشايخ والأولياء في المساجد فأجاب بأن هذا العمل غير مشروع وأن الصدقة على البائسين والمنكوبين كأهالي المطرية الذين احترقت ببلدهم في هذا العام والبذل في الأعمال العامة كإنشاء المدارس أولى وأفضل وسئل عن تقبيل أعتاب حجرات قبور الصالحين فقال أنه غير مشروع بل هو بدعة

سألت هذه المسألة الأخيرة شيخ الصندوق في ذلك المسجد من دمياط فأوعز الى خطيب من خطباء الفتنة بأن يعرض بتضليل الشيخ حسن علي ووسوس الى كثير من النوام بأن الرجل أنكر الكرامات وأهان الأولياء فقامت قيامة الفوضى عليه فنهي الأمر الى الشيخ الأزهر فأمر شيخ علماء دمياط بالتحقيق فأظهر هذا الشيخ وأعدائه من التحامل على الشيخ حسن ما أظهروا حتى أنه كان يقبل شهادة الطاعنين فيه ولا يسمع شهادة المدافعين عنه (كأقول) . ولما علمت العامة بتحامل العلماء عليه حاجت هيجاناً شديداً حتى حاولت الفتك به فبرصة وصارت ترجمه بالجارية أو الطوب اذا خرج وترجم البيت الذي هو فيه اذا لم يخرج . ثم رفع الأمر الى مشيخة الأزهر فقعد الشيخ حسونه مجلس الادارة فنظر في ذلك وبعد النظر حكم بمنع الشيخ حسن علي من التدريس مدة سنة كاملة وقطع مرتبه من التدريس في هذه المدة . هذا ما سمع وشاع

قبل ان الحكم اداري سببه اساءة الشيخ حسن علي الى شيخ العلماء في بلده عند التحقيق وهو قول معتول إذ لو كان أخطأ في بعض المسائل الدينية لحكم عليه بحد يبان غلظه له واقناعه بالصواب ان يعترف بالخطأ السابق ويقر بالصواب في دروسه على رءوس الأَشْهاد . ولكن العامة فهمت أنه عوقب على انكار ما يسمونه الخطوة أو طي الأرض للصالحين وتقبيل أعتاب الحجرات التي تبنى فيها قبورهم ونحو ذلك من البدع وربما قالوا ان الأولياء تصرفوا فيه وهذا ما كنا نرجو ان يتلافاه الشيخ حسونه لأن هذه الحادثة أحسن فرصة لتصر السنة ومحو البدع

بأن يظهر الحق للملأ على السنة الجرائد

الحق في هذه المسائل من البديهيات التي لا ينتطح فيها عثران - اما مسألتهم في الأرض وقطم المسافات الطويلة في دققة أو دقائق قليلة فلم يأت بوجوب الايمان بها كتاب ولا سنة ولم يقل بها أحد من الأئمة المجتهدين بل لم يكن يخطر هذا ببال السلف ولا حدث القول بذلك في الخلف استنكره بعض الفقهاء حتى قال بعضهم بأن من يعتقد ج: ذلك يكفر ويخرج من الاسلام أو يحكم بجهالته وغاوته كما صرح بذلك صاحب الوهبانية من فقهاء الحنفية بقوله فيها

ومن لولي قال طي مسافة يجوز جهول ثم بعض يكفر

ولا شك ان الناظم كان يعتقد أحد الوجهين الذين حكاهما عن العلماء فليكن الشيخ ح - مثله ومثل من قتل عنهم . وهذا قولهم فيمن قال بالجواز فما باق بمن يقول ان ذلك واقع بالفعل . وهب ان هذا وقع كرامة فهل يكلف من لم يأت ذلك عنده ولم يشاهده ان يجعله عقيدة دينية ؟ أي دين يتسع لهذا . أيتسع له دين الاسلام الذي قرر كتابه ان الله في الخليقة سنناً لا تبديل ولا تحول وان لاحكم في الدين الا الله وما أنزل الله بهذا من سلطان

وأما مسأله تقبيل الأعتاب فهي بدعة لا سند لها من كتاب ولا سنة ولا قول إمام مجتهد وكيف وقد قال الفقهاء في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ليس من السنة ان يمس الجدار ولا أن يقبله بل يقف من بعد ويسلم

نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تشييد القبور وتشريفها وعن الكتابة عليها وعن ايقاد السرج عليها وعن اتخاذ المساجد عليها ولعن من يفعل هذا . ومضى الصحابة والتابعون على هذه السنة فلم يبنوا قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصلوا اليه ولا بنوا قبرا لأحد من المهاجرين والانصار . ولما حدثت بدعة بناء القبور كان بعض الامراء المنسكين بالسنة يهدمها كما حكاه الامام الشافعي في الأم قال : ولم أر أحدا من الفقهاء أنكر عليهم ذلك أي هدمها ؛ فهل صارت البدعة سنة وصار بناء القبور وتشريفها وبناء المساجد عليها والصلاة اليها ديناً متبعاً بعد ان لعن الشارع فاعل ذلك وصار لهذه المساجد التي تبنى عليها أحكام شرعية منها ان تقبيل أعتابها مطلوب

شرعا ومنكره يعاقب ويهان ؟

وأما مسألة الروضة فالرواية فيها ضعيفة عن الشيخ حسن علي سبغتخان واحد بمجلة واتي مع ذلك أقول فيها قولاً وجيزاً . أقول ان العلماء قالوا في حديث الشيخين « ما بين يتي ومنبري روضة من رياض الجنة » ان معناه ان العمل هناك بطاعة الله يكون سبباً لدخول الجنة . وقبل أنها تنقل يوم القيامة الى الجنة وقال بعضهم : أنه لما كان بجوسه (صلى الله عليه وسلم) وجلس الناس اليه يتعلمون القرآن والدين والايمان هناك شبه ذلك الموضع بالروضة لكرم ما يجتئى فيه وأضافه الى الجنة لأنها تؤول الى الجنة : وهذا هو الصواب في تفسيره ويشهد له ما ورد في تسمية مجالس الله كبرياض الجنة كما في حديث جابر وأبي هريرة ومعاذ ولم يقل أحد ان المراد بها أن مجالس الذكر من أرض الجنة لا من أرض الدنيا

وأما مسألة المصنف التي توضع عند الأضرحة لاستدراار أيدي الذين يظنون أن إلقاء المال في الصندوق منها سبب لقضاء صاحب الضريح لحاجة الملقى فما قاله الشيخ حسن فيها لا يستطيع أحد ان ينكره الا أولئك الاغنياء الذين يأكلون تلك الأموال بالباطل ولم يفلتوا ان الرجل نوقش في هذه المسألة فلا يبحث فيها فلم بما تقدم ان كل ما قاله الرجل حق لا وجه لمواخذته على شيء منه وهذا مما يقوي القول بأنه أوخذ على شيء آخر يتعلق بمعاملة شيخ علماء ديباط ولكن الناس لم يعرفوا ذلك الشيء فظنوا ان شيخ الازهر وأعضاء مجلس ادارته ينكرون تلك الحقائق ويقولون بوجوب الايمان بطي الأرض للصالحين بالفعل وتقبل اعتاب المساجد التي بنيت على قبورهم ابتداء في الدين ، وبأن إلقاء المال في المصنف هدر قبورهم أفضل من الصدقة على الفقراء والمساكين ، وإغاثة المكنسين والباشرين . والناس في هذا الظن فريقان - فريق يعلم الحق في هذه المسائل فهو يمتثل ان الشيخ مبطون ، ولبدع والخرافات مؤيدون ، وفريق لا علم عنده فهو يتقدم بما يظن انهم عليه . ولا ينبغي ان يفرار أحد من الفريقين على ظنه عن السوء بالعلماء لذلك تقترح على الاستاذ الأكبر شيخ الجامع الازهر أن يبين للناس الحق في هذه المسائل وأنه لم يؤخذ الشيخ حسناً لخطئه فيها بل لأنه لم يأمر آخره ان يكتمه فهذا وقت يجب فيه البيان ولا يصح فيه السكوت والاستاذ في فضله وترويه أهل لذلك

المسحاة

١٣١٥

في رجب من سنة ١٣١٥
أولئك الذين هم في رجب من سنة ١٣١٥

في رجب من سنة ١٣١٥
أولئك الذين هم في رجب من سنة ١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى و « متار » كثر الطرق

مصر جادى الأولى سنة ١٣٢٥ - آخره الخميس ١١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٧

باب المقاتلات

منافع الأوربيين ومضارهم في الشرق

٤

الجميات

يرى كثير من العقلاء ان القوة الأولى لارتقاء الأمم هي القوة وبها ساعد
الافرنج في بلادهم ، وبها سادوا على معظم أمم المشرق ، فالقوة أساس مدنيهم ،
والسلاح مصدر عزهم وعظمتهم ، والا فهم لا يمتازون على غيرهم بالقوى
العقلية ، ولا بشي من المواهب الفريزية ، وهذه اليابان قد اقتنت آثارهم في
الغاية بالجندية ، وتشيد الاساطيل الحربية ، فقهرت أكبر دولة من دولهم حتى
صارت الدول المزينة منهم تعز بمحالفاتها ، وتخطب مودتها لمكان قوتها ، بعد أن كانوا
يبرونها انقص منهم في الخلفة ، وأقل في استمداد الفطرة ، فكل سائر الممالك الشرقية
ان تلو في ذلك تلوها ، وتقفو في أمر القوة أثرها ، : ويمارض أصحاب هذا
الرأي العالم الاجتماعي مبنياً أن القوة في هذا الزمان توقيف على أسباب كثيرة
مرتب بعضها على بعض فلا بد من الأخذ بمبادئها لأجل الوصول الى غاياتها فما
هو السبب الأول الذي يجب الابتداء به لرقية الامة ورفعة شأنها ؟

يقول المشتغلون بالسياسة إن سبب ارتقاء أوروبا وعزتها وسيادتها هو انتظام
حكوماتها وتقيدتها بالشورى التي هي تاموس العدل ويذوق السعادة فكل أمة
تحب الارتقاء يجب ان توجه عنايتها قبل كل شي إلى إصلاح حال حكومتها
بجعلها مقيدة بالشورى والقوانين العادلة ، ويقول لهم العالم الاجتماعي وما هو
السبب المؤدي الى اصلاح الامة لحكومتها وهل ينسئ لامة غير مرتقية ان
تفضل ذلك ؟ فكيف يجعل اصلاح الحكومة علة لكل ارتقاء وهو معلول لنوع
من ارتقاء الامة لابد ان يتقدمه فما هو هذا النوع الذي هو السبب الأول
للارتقاء او علة العلة ؟

يقول علماء التربية إن اللغة الأولى لاوتقاء الام هي التربية والتعليم فكلما انتشرت المدارس ينتشر فيها وبها ومنها شعاع الارتقاء وكلما كان التعليم أعم وأكمل ، كان الارتقاء أتم وأشمل ، ألم يهد اليك أن بسرك قال عن قومه الالمانين أنهم انتصروا على فرنسا بالمدرسة ؟ والاقوال في اثبات هذا الرأي لانحصى وكم كتبنا وكتب الكتاتيون في بيانه ، واظهار برهانه ، ولنا في ذلك مقال مطول بأسلوب المحاورة نشرناه في العدد الثاني من سنة المنار الأولى يتنا فيه ان سبب جميع أنواع الترقى الصورية والمعنوية انما هو التربية والتعليم وفي هذا المقال قال أحد أصحاب الصحف : ماذا أتى صاحب المنار لسائر الاعداد التي تصدر في المستقبل بعد ما جمع في هذا العدد كل شيء : بل قد أعجب الاستاذ الامام بذلك المقال وأجاز كل ما ورد فيه ولكن العالم الاجماعي يقول لنا مع ذلك ان الامة لا تتوجه الى العناية بالتربية النافعة والتعليم الراجع لها من أفق الى أفق أعلى منه الا بعد نوع من الارتقاء يتقدم ذلك فيهدي الامة اليه ، ويقدرها عليه ، فما هو هذا النوع الذي نسميه السبب الاول وعلة الحل ؟

ويقول علماء الاقتصاد وأرباب الاموال إن الثروة مبدأ كل ارتقاء ، ومصدر كل اصلاح ، فلا مدارس ولا تعليم ، ولا تربية ولا تنظيم ، الا والمال أساسه الذي عليه يبنى ، وقواعده التي عليها يرفع ، فكل الامة الشرقية التي تطلب رفعة الشان ، والعزة والسلطان ، ان تبدأ بجمع الثروة التي تمكنها من نشر التربية والتعليم في الامة ، ومن تنظيم الحكومة وتميز الدولة ، ويرد عليهم العالم الاجماعي اننا لا ننكر ان المال ، هو الوسيلة لجميع الاعمال ، ولكن جمع المال يتوقف على العدل والعلم لاسيما في البلاد التي دخلها الافرنج المألون من طرق الكسب ، الا يعلم الشرقيون . وقد أخذ بهذا السبب اليهود فكانوا فيه أبرع البشر ، وهم يحاولون منذ قرون أن يؤسوا به ملكاً ولما يساعدهم القدر ، فعلمنا أن نبعث عن السبب الأول للارتقاء فنطلب الامر في إيانه ، وتأخذ برأيه ، فانه

من طلب الغاية في المبدأ لا يروى الا بالقنوط والشقا
ومن يسر سبباً طبعياً لها يدرك بالتوفيق منها المنهى

باب الفوائد

منافع الأوربيين ومضارهم في الشرق

٤

الجمعيات

يرى كثير من العقلاء ان القوة الأولى لارتقاء الأمم هي القوة وبها سدد الافرنج في بلادهم ، وبها سادوا على معظم أم المشرق ، فالقوة أساس مدينهم ، والسلاح مصدر عزهم وعظمتهم ، والا فهم لا يمتازون على غيرهم بالقوى العقلية ، ولا بشي من المواهب الفريزية ، وهذه اليابان قد اقتت آثارهم في العناية بالجندية ، وتشيد الاساطيل الحربية ، فقهرت أكبر دولة من دولهم حتى صارت الدول المزينة منهم تغتر بمحالفتها ، وتخطب مودتها لمسكن قوتها ، بعد أن كانوا يرونها اقصى منهم في الخلفة ، وأقل في استعداد الفطرة ، فعلى سائر الممالك الشرقية ان تتلوا في ذلك تلوا ، وتقوى في أمر القوة أروها ، : ويمارض أصحاب هذا الرأي العالم الاجتاهي مينتا أن القوة في هذا الزمان تتوقف على أسباب كثيرة مرتب بعضها على بعض فلا بد من الأخذ بمبادئها لأجل الوصول الى غاياتها فما هو السبب الأول الذي يجب الابتداء به لرقية الامة ورفعة شأنها ؟

يقول المشتغلون بالسياسة إن سبب ارتقاء أوروبا وعزتها وسيادتها هو انتظام حكوماتها وتقيدها بالشورى التي هي ناموس العدل ويزود السعادة فكل أمة تحب الارتقاء يجب ان توجه عنايتها قبل كل شي إلى إصلاح حال حكومتها بحكامها مقيدة بالشورى والقوانين العادلة ، ويقول لهم العالم الاجتماعي وما هو السبب المؤدي الى اصلاح الامة لحكومتها وهل ينسئ لامة غير مرتقية ان تفعل ذلك ؟ فكيف يحمل اصلاح الحكومة علة لكل ارتقاء وهو معلول لنوع من ارتقاء الامة لا بد ان ينقدمه فما هو هذا النوع الذي هو السبب الأول للارتقاء اوعلة الملله؟

يقول علماء التربية إن العلة الأولى لارتفاع الأمم هي التربية والتعليم فكما انتشرت المدارس ينتشر فيها وبها ومنها شعاع الارتفاع وكلما كان التعليم أعم وأكمل ، كان الارتفاع أتم وأشمل ، ألم يهد اليك أن يدمرك قار عن قومه اللامنين أنهم انتصروا على فرنسا بالمدرسة ؟ والاقوال في اثبات هذا الرأي لا تحصى ولم كتبنا وكتب الكتاتيون في بيانه ، واظهار برهانه ، ولنا في ذلك مقال مطول بأسلوب المحاورة نشرناه في العدد الثاني من سنة المنار الأولى يتنا فيه ان سبب جميع أنواع الترقى الصورية والمنوية إنما هو التربية والتعليم وفي هذا المقال قال أحد أصحاب الصحف : ماذا أفق صاحب المنار لسائر الاعداد التي تصدر في المستقبل بعد ما جمع في هذا العدد كل شيء : بل قد أعجب الاستاذ الامام بذلك المقال وأجاز كل ما ورد فيه ولكن العالم الاجماعي يقول لنا مع ذلك ان الامة لا تتوجه الى العناية بالتربية النافذة والتعليم الراجع لها من أفق الى أفق أعلى منه الا بعد نوع من الارتفاع يتقدم ذلك فيهدي الامة اليه ، ويقدرها عليه ، فما هو هذا النوع الذي نسيه السبب الاول وعلّة الملل ؟

ويقول علماء الاقتصاد وأرباب الاموال إن الثروة مبدأ كل ارتفاع ، ومصدر كل اصلاح ، فلا مدارس ولا تعليم ، ولا تربية ولا تنظيم ، الا والمال أساسه الذي عليه يبنى ، وقواعده التي عليها يرفع ، فلي الامة الشرقية التي تطلب رفعة الشأن ، والعزة والسلطان ، ان تبدأ بجمع الثروة التي تمكنها من نشر التربية والتعليم في الامة ، ومن تنظيم الحكومة وتميز الدولة ، ويرد عليهم العالم الاجماعي اننا لا ننكر ان المال ، هو الوسيلة لجميع الاعمال ، ولكن جمع المال يتوقف على العدل والعلم لاسيما في البلاد التي دخلها الافرنج العالمون من طرق الكسب ، الا يعلم الشرقيون . وقد أخذ بهذا السبب اليهود فكانوا فيه أبرع البشر ، وهم يحاولون منذ قرون أن يؤسسوا به ملكا ولا يساعدهم القدر ، فلينا أن نبحث عن السبب الأول للارتفاع فنطلب الامر في إيانه ، وتأخذه برأيه ، فإنه

من طلب الفاية في المبدأ لا يروب الا بالقنوط والشقا
ومن يسر سيرا طبعيا لها يدرك بالتوفيق منها المتعنى

يرى العالم والاجتماعي ان العلة الاولى لارتقاء الامم هي الجمعيات فلا ترتقي امة الا بعد ان تنبه حوادث الزمان أفرادا من أولي الالباب فيها الى وجوب السعي لترقيتها ورفعة شأنها وأول مايجب عليهم هو تأليف (الجمعيات) فتماون على مايجب القيام به من الاعمال فالجمعيات هي السبب الاول والعلة الاولى لكل ارتقاء بها صلحت العقائد والاخلاق في أوروبا وبها صلحت الحكومات ، وبها ارتقت علومها وفنونها ، وبها عزت وعظمت قوتها ، وبها فاضت بناييع ثرونها ، وبها انتشر دينها في الخافقين ، وبها سادت على المشرقين والمغربين ،

أليست الجمعيات السياسية العربية هي التي طهرت أوروبا من استبداد الملوك والبابوات وأزالت منها حكومات الاشراف واستبدلت بها الحكومات الجمهورية والملكية المفيدة بالقوانين وسيطرة أهل الشورى من الامة ؟

أليست الجمعيات الدينية والخيرية هي التي أنشأت المدارس لتعقيم التربية والتعليم ، وأنشأت الملاحة والمستشفيات والبرق والبالستين ، ؟

أليست الجمعيات العلمية والفنية هي التي هذبت الفئات ووسعت دائرة العلوم والفنون بما خصصت لكل فرع من فروعها رجالا يصبرون نفوسهم على التحرير والتحصين لمسانله وتأيدوها بالتجارب وترقيتها بالاكتشافات والاختراعات ؟ أليست الجمعيات المالية المبرع عنها بالشركات هي التي أنشأت المعامل لجميع المصناعات ، ومدت سلك الحديد في جميع الجهات ، وسبرت في البحار تلك الجوارى المنشآت ، وابتدعت البيوت المالية (البنوك) لتيسير المعاملات ؟

بلى انه ما من عمل ارتقى الا وكانت الجمعيات هي رفته ، إن لم تكن هي التي أوجدته واخترعته ، فالجمعيات هي تظهر متمهي استعداد الانسان للارتقاء بل هي التي تحقق معنى الانسانية في هذا النوع اذلا معنى للانسانية الاحياء الاجتماع والتعاون فهما قل الاجتماع في أمة ضعف معنى الانسانية فيها ومهما كثر الاجتماع واعتز كانت الانسانية أقوى وأكمل

سبق الشرق الغرب الى كل نوع من أنواع الارتقاء المدني ولكن المدنية لم تكن في اشرق ولم تكن على قواعد يرونها سقطوا ولذلك سقطت وما ذاك الآن

قيامها كان يعمل الأفراد لاجتماعيات فلولاً هذه الجماعات لما كانت مدينة القرب الحديثة أرقى وأكثر، وأجدر بأن تكون أثبت وأدوم،

وجدت الجماعات السرية والجمهورية في الشرق ولكن انفصمت عراها، قبل أن يلفت مداها، وجاء الإسلام بالعالم الاجتماعي فجعل أمر المؤمنين شورى بينهم أي تقوم به الجماعة لا يستقل به الأفراد وأمر بتأليف الجماعات للأعمال النافعة بمثل قول الله عز وجل (١٠٤:٣) ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) وبمثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم «يد الله على الجماعة» ومع هذا لم يكن حظ المسلمين من الجماعات أحسن من حظ سائر أهل المشرق بل كان من سوء حظهم أن استعالت الجماعات السياسية كجمعية الشبان التي ألفت لجعل الحكم في أهل البيت عليهم السلام وجمعية الخوارج المعروفة - إلى مذاهب دينية زادت المسلمين تفرقاً وخذلاً. وفسدت جمعية الصوفية الإصلاحية بعد أن دبت كثيراً من المصلحين وصارت جمعية الباطنية التي أسست لافساد الدين الإسلامي جماعات ومذاهب متعددة لم يأت منها إلا الشر والربال على الشرق فترى أن جماعات المسلمين السياسية ما أفسدها إلا اصطباغها بصبغة الدين يحمل تعاليمها مذهباً يدعى إليه باسم القرب إلى الله وسر موضوعها وإخفاء مقصدها في ذلك. وقد قصرُوا في تأليف الجماعات الخيرية والعلوية الفنية والشركات المالية ولولا ذلك لما ماتت مدنيتهم قبل بلوغها سن الرشد

والآن نرى الشرق قد أنشأ يتعلم من القرب كيفية تأليف الجماعات والشركات فنجد أهل اليابان في ذلك ورشداً ولا يزال السامانيون والمصريون في سن الطفولية من هذه الحياة الاشتراكية الاجتماعية التي لا وسيلة للوعظ هذا النوع ورشده بدونها أسسنا غير مرة جماعات علمية وأدبية وخيرية وسياسية فكانت تسقط الجمعية منها بعد الخطوة والخطوتين أو الخطوات القليلة وقد نجحت في مصر الجمعية الخيرية الإسلامية نجاحاً يوثق بدوامه واستمراره وهي أفضل ما عمل المسلمون بمصر في هذا الطراز الجديد من الحياة وتلقاها جمعية البروة الوثنية وجمعية المساعي المشكورة الخاصين بالتعليم. وأسسنا شركات مالية كثيرة للعمل في الزراعة

والنجارة حبط علماني بعضها وثبت بعضها والرجاء في المستقبل عظيم
ارجع البصر الى البلاد التي لم تأخذ عن الاوربيين شيئاً من العلم ولم تشترك
معهم في شيء من الاعمال كبلاد مرا كش هل ترى فيها جمعية خيرية أو دينية
أو علمية أو سياسية أو تشاهد فيها شركة تجارية أو زراعية أو صناعية ؟ تأمل
واعرف الخير وبنائمه وكيف تستزيد منه واعلم ان الجمعيات والشركات هي المعيار
الذي يعرف به تقدم الامم وتأخرها وحياتها وموتها فلا يترك القليل والقال ،
ولا نبوغ بعض الأفراد في بعض العلوم أو الأعمال ، فان هؤلاء النابغين اذا لم
يمجدوا في انهم جمعيات تعرف قيمتهم ، وتقدم على ابراز ثمرات نبوغهم ،
يذهب استعدادهم سدى ، ويمز مده قبل ان يبلغ المدى ، واذا وجدوا ذلك زك
استعدادهم ، وامتد امدادهم ، وكانوا كهيئة بركة اصابها وابل فانت أكلها ضعفين ،
كما أنهم يرون أجروهم مرتين ،

مقالة الاشربة الروحية

﴿ مقالة المتطفت التي وعدنا بنشرها ﴾

فلما نجد مائة من موائد الافرنج خالية من الشراب من الخمر أو البيرا
أو الشبانيا ولم تلم ولية من غير أن تشرب عليها أقذاح الراح ولا تحسب ذلك
خاصاً بالافرنج بل هو شائع عند كل الأمم حديثهم وقديهم . فآثار مصر
وغرائب بابل وأشعار اليونان ونواريح الرومان وأخبار الامم الحاضرة والغابرة
وكتب الرحلات كل ذلك ناطق بأن الناس لم ينفكوا عن شاطئ كوثوس الراح
من أول عهدهم بين مقل ومكثر ومقل ومدين ولم ينفك فضلواهم عن التحذير
منها والنهي عنها وحجبتهم أنها تسكر وتذهب العقل وتلف المال والصحة . لكن
النهي والتحذير لم يأتنا بطائل فلا يزال الناس ينفقون على الخمر اضعاف ما ينفقونه
على تعليم أولادهم وينفق بعضهم عليها أكثر مما ينفق على طعامه ولا يزال

الاطباء يصفونها لضعاف الاجسام كأنها من المقويات فيقوون اعتقاد الناس فيها
ويزيدون ميلهم اليها فهل الاطباء مصيبون في ذلك وهل نفع الخمر كاف
لتكفير عن مضارها؟ هذه مسألة جدية بالنظر ولا سيما بنظر الأطباء

ولا نريد بالمضار هنا مضار السكر لأنها تفوق كل ما يمكن ان ينسب إلى
الخمر من النفع اضماقا كثيرة فلا وجه للموازنة بينها وأما نريد مضار الشرب
الممثل أو شرب الخمر على الطعام الذي اعتاده الاوربيون ومن جرى مجراهم
واتفق أكثر الأطباء على وصفه لضعاف الاجسام أو للذين ساء عضهم للطعام

يقصد بالطعام تغذية الجسم وبالشراب تسهيل هضم الطعام حتى ينفذ
الجسم . وليس وراء ذلك فائدة عملية من الطعام أو من الشراب لمن يأكل
ويشرب . نعم ان من يبيع الاطعمة والاشربة يستفيد كثيرا من بيع بضائعه
فصفت المشتريين أو اضرتهم ولذلك نرى صانعي الخمر وبائعيها من أقصى أهل
الأرض ولكن هذه الفائدة خارجة عن موضوع بحثنا ولو كانت الدافع الأكبر
لعروج الخمر في الدنيا . ولا ينكر ان في الطعام والشراب لذة للآكل والشاوب
ولكنها تختلف كثيرا باختلاف الناس وأعمالهم وأحوالهم من الصحة والمرض
والراحة والتعب والانس والوحشة وباختلاف الرطب والصحب الى غير ذلك مما
لا ضابط له لكن هذه اللذة وإن افادت في بعض الاحيان لا تعد من النفع المقصود
بالطعام والشراب وهو تغذية الاجسام فان جسم الانسان كجسم الحيوان وكجسم
النبات من هذا القبيل ينمو ويقوى وتصلح حاله بالغذاء الكافي ويؤذى ويضعف
وتفسد حاله بقلة الغذاء

ازرع بذرة في التراب واتركها من دون ماء فلا تنبت أو ازرع البزرة في الماء
واتركها من دون تراب فلا تنبت وإن نبتت ذوت ويست حالا لأن نمو البزرة
حتى نصير شجرة يقتضي أن تقتضى والغذاء يأليها من التراب ولكن لا بد من ان
يذوب أولا في الماء حتى يتمكن من دخول جسمها وتغذيتها فاذا زرعت في التراب
ودويت بالخمر لم تنبت ولم تنبت وهذا أمر يستطیع كل أحد امتحانه فيرى ان الخمر
لا تغذي الاطعمة على أسلوب يجعلها صالحة لتغذية النبات . وجسم الحيوان يختلف

عن جسم النبات من وجوه كثيرة ولكنها يتفذيان على أسلوب واحد تقريباً
 ولقد أبتنا في مقالة سابقة موضوعها الحق والباطل أن مقياس الحقائق استعمالها
 والانتفاع بها . وهذه الحقيقة أي ضرر شرب المسكرات معاً كان مقدارها قليلاً
 وجدت لها شركات التأمين على الحياة ففعلاً كبيراً فهي تتساهل مع الذين لا يتعاطون
 المسكرات أبداً أكثر مما تتساهل مع الذين يتعاطونها ولو قليلاً . أي صار للامتناع
 عن شرب المسكرات قيمة مالية تقدرها شركات التأمين بالدرهم والدينار . ولقد
 وصلت الى ذلك بعد اختبار طويل واستقراء دقيق وهذا أدل دليل فلي على
 ضرر المسكرات ولو وصفها الاطباء واخطبوا بمدحها ونفعها . فاذا عرض اثنان ان
 « يسو كرا » حياتهما على مبلغين متساويين من المال وكان سنهما واحداً وأحدهما
 واحدة وتساوت فيها كل الشروط التي تشترطها شركات « سو كرتا » الحياة ما عدا
 شرب المسكرات أي كان أحدهما يشرب الخمر والآخر لا يشربها فإن الشركة
 تفرض على الاول أكثر مما تفرض على الثاني لكي يسو كرا حياتهما على مبلغين
 متساويين وإن دفعا مبلغين متساويين كل سنة ضمنت للثاني أكثر مما تضمن
 للاول كأنها تقول بعبارة فجارية حساية لا تقبل الشك ولا الريب انه قد ثبت
 لي بالاستقراء ان عمر الذي يشرب مسكراً أقصر من عمر الذي لا يشرب مسكراً
 فلا يستطيع ان أعاملها معاملة واحدة وأكون بمأمن من الخسارة ولا بد لذي
 يشرب المسكر من ان يدفع لي سنوياً أكثر مما يدفع من لا يشرب مسكراً لكي
 أضمن حياتهما على مبلغين متساويين من المال وهذا وجه يكفي لان يكون فصل
 الخطاب بين الذين يقولون بضرر المسكرات ولو كان مقدارها قليلاً وشرها ممتدلاً
 وبين الذين يقولون ان لا ضرر منها حيث قد بل منها نفع

وهذا الحكم السلي التجاري المبني على الاستقراء يؤيده العلم أيضاً قال الكولونل
 د في أحد أطباء الجيش الانكليزي في مقالة نشرت حديثاً في مجلة القرن التاسع
 عشر ان المسكرات تفعل بالطعام فلا يعود ينضم بالسرعة التي كان ينضم بها
 لولاها وتفعل أيضاً بأعضاء المضم فتقسبها كما تقضي القطع الاحمية التي توضع فيها
 فلا يعود فعل المضم سهلاً عليها واذا اخلت فعل المضم اخلت فعل التغذية وتضر

أيضاً بالرئتين والكليتين والكبد والدماع

غير ان كثيرين يشربون المسكرات بالاعتدال ولا ينالهم من شرها ضرر ظاهر فيتخذون ذلك دليلاً على عدم الضرر من الشرب المعتدل . ولكن هل قاس أحد قوة هؤلاء الناس الجسدية والعقلية وهم غير شاربين للمسكرات بقوتهم الجسدية والعقلية وهم شاربوها . نعم انهم اذا اعتادوا الشرب فقد تضعف قواهم وتخل عقولهم في الساعة التي اعتادوا الشرب فيها اذا امتنعوا عن الشرب حينئذ ولكن يحدث مثل ذلك بكل من يمتد شيئاً ثم يقطع نفسه عنه حتى الافيون والحشيش لان اعصابه تصير تنتظر المنبه أو المسكن في الساعة التي اعتادته فيها فتضطرب اذا قطع عنها ولكن اذا تكرر هذا الاقطاع مدة الفته الاعصاب ولم تعد تضرط منه

وبدیهى ان المسكر جسم غريب يدخل الجسم بل هو سم يتعب الجسم فيجاهد الجسم لتخلص منه كما يجاهد الشخص من سائر السموم التي تدخله وهذا الجهاد عمل شاق يذهب فيه جانب من قوة الجسم واذا تكرر دخول هذا السم يوماً بعد يوم فلا بد من حصول الضرر اخيراً

ورب قائل يقول اننا نرى الاطباء يصفون المسكرات في بعض الاحيان ويقولون ان لا بد منها ولا يكتفون بوصف الضعيف الفعل كالحرق والبرص بل يصفون القوي الفعل كالعرق والكيكياك فكيف تقولون بضررها قولاً مطلقاً من غير قيد والجواب ان الالكحول الذي هو العنصر الفعال في المسكرات على أضرارها نافع في بعض الاحوال المرضية ولازم فيها دواء لاغذاء وخير لطبيب ان يصف حينئذ الالكحول النقي نفسه لا امزجته المعروفة بالمسكرات وهو اذا وصف كذلك شربه المريض مكرها ولم يجد في شربه قوة ولا رأى في نفسه ميلاً اليه بعد الشفاء من المرض . بل انه لو شرب اطيب المسكرات دواء لما وجد في نفسه ميلاً اليها كما لو شربها فتلذذ بطعمها . اما ما يزعمه بعض الاطباء من ان المسكرات غذاء نافع فزعم قديم قوتت اركانه الآن . وليس الالكحول غذاء بل هو سم زعاف مثل سائر السموم ويجب ان يعامل مثلها يجتنب دواها ولا يستعمل الا اذا دعت الحاجة اليه دواء لأن العلم والاستقراء قد أثبتا ذلك

فَتَاوَى الْمَشَارِقِ

فتحت هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه ويذكر ماله وظنيته (وله بعد ذلك ان يرزالي اسمه بالحروف ان شاء) واننا نذكر الاسئلة بالتدريج فالباور وما قد من امتأخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ودرعاً لجنا غير مشترك لئلا هذا . ولن يفي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر مرة واحدة قال لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

الكشف وتصحيح الحديث في الرؤيا والجرح للرواة ورؤية السيوطي

للنبي (ص) في اليقظة واجتماع روح الغزالي وموسى (ص)

أسئلة من الحجاز

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

هذه اسئلة نرفعها لحضرة السيد محمد رشيد رضا منشي التار الاسلامي بمصر لازال بناية آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته نرجوكم ياسيدي ان تجاوبوني عنها على صفحات مناركم المنيرة

(س ٢٠-٢٦) ما قولكم شكر الله سبحانه (١) في قول بعض من ألف في الاحاديث الموضوعه هذا الحديث صحيح من جهة الكشف وهل يعتمد ذلك (٢) وهل الكشف له أصل في ديننا أو هو قول باطل (٣) ولفظ كشف هل كان معروفاً عند الصحابة رضوان الله عليهم (٤) وهل يعتمد على قول من يقول ان الحديث قد يكون صحيحاً عند الحديثين وهو ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل الله تعالى يعرفون انه موضوع (٥) وهل يعتمد على قول من يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم ما شرط العصمة في أحد فكيف نرد بعض الاحاديث ونقول راويها كذاب والكذب ما أحد معصوم منه الا الانبياء عليهم الصلاة والسلام (٦) وعلى قول بعض الناس ان الشيخ السيوطي كان يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم بقلعة وتصحيح عليه الاحاديث فالوضوع يخبره عنه انه موضوع والصحيح انه صحيح (٧) ويقول الناس من أهل

العلم يلدنا ان الشيخ الفزالي اجتمعت روحه بروح سيدنا موسى سأل الباري سبحانه وتعالى عن علماء هذه الامة وأنهم كانوا بني اسرائيل فجمع بين روح سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام وبين روح الفزالي رحمه الله فسأل سيدنا موسى (ص) الفزالي عن اسمه فقال له محمد بن محمد بن محمد الفزالي فقال له انا سألتك عن اسمك فلماذا اخبرني عن اسمك واسم ابيك وجدك فقال له الفزالي وكيف قلت انت الباري لما قال لك « وما نك يمينك يا موسى » هي عصاي الخ حل هذه المسئلة صحيحة ومروية بسند مرضي عن نبينا ام هي من اختراعات الشيوخ نرجوكم سيدي ان تبينوا لنا الحق في هذه المسائل لازلم هادين مهدين مستفيد من الحجاز

م ح ن

الجواب عن مسائل الكشف

لم يقل أحد من أئمة المسلمين ان الكشف من الدلائل الشرعية أو من ما أخذ الاحكام الدينية ولا يقبل احد من المتكلمين ولا من المحدثين ولا من الفقهاء الاحتجاج بمحدث لم تصح روايته بالطرق المعروفة في علم الحديث ممن يدعي أنه صح من طريق الكشف فهذا الكشف الذي يتحدث به الصوفية شيء لا يثبت به حكم شرعي ولا دليل حكم شرعي كالحديث ولو جملنا الكشف حجة شرعية لما كانت دلائل الشرع محصورة فيما جاء به الرسول (ص) عن ربه وتلقاه عنه أصحابه الذين هم خير هذه الامة وهم لم يقولوا بهذا الكشف ولم يحتجوا به . نعم انه نقل عن بعضهم شيء من النطق بالالهام الصادق كاخبار الصديق هما في بطن امرأته من الولد ومعرفة عثمان ما كان من ذلك الرجل الذي نظر الى المرأة بشهوة ولكنهم لم يسموا هذه الالهامات النادرة كشفا ولا عدوها طريقا لمعرفة الاحكام الشرعية وقد سمي هئان ما اتفق له مع الرجل فراسة . ولكن بعض العلماء اطلق على ما كان منهم لفظ الكشف وكانت تعرض لهم المشكلات الشرعية في الاحكام فينذاكرون ويتشاورون فيها ولا يعتمدون في تقريرها على شيء بعد الكتاب والسنة الاعلى الرأي في استبانة المصلحة وتحريم العدل . ولم يدع أحد منهم بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم أنه رآه بالكشف أو في النوم فأخبره بأن الحق كذا أو الحكم كذا

وإذا قلنا بأن من خواص نفوس البشر أن تدرك بعض الأمور من غير طريق الحس والعقل نادرا وإن بعض الناس قد يكون استعداده لذلك قويا وإن من كان استعداد له ضعيفا تيسر له تقويته بضروب من الرياضة كما ينقل قتلا مستفيضا عن البراهمة والصوفية - فإن هذا كله لا علاقة له بالدين وإنما هو من قبيل سائر خواص المخلوقات التي منها ما هو طريق العلم كالحواص التي بني عليها صنع الآلات التي يعرف بها ما سيحدث من الأنواء والزلازل قبل حدوثه - ولا شيء من ذلك يمد من الدين ولم يصل الكشف إلى أن يكون طريقا منضبطا للعلم بحيث يعرف كل من كان من أهله ما يعرفه الآخرون إذا هو طلب معرفته بأن تتفق معارفهم من غير أن يأخذ بعضهم عن بعض

ثم إن الصوفية الذين يمدون الكشف من ثمرات طريقتهم لا يقول أهل الصدق والعرفان منهم أن الكشف دليل شرعي بل يمدون من شروط الاعتداد بصحته موافقة للشرع - قال محبي الدين في فتوحاته

كل كشف شهد الشرع له فهو علم فيه فلتنصم

وقالوا أن الكشف إذا جاء بخلاف ما علم من الشرع فهو باطل ويمدونه من وحي الشياطين ولهم في ذلك حكايات غريبة ولم أر من علماء الأصول من بالغ في التسليم بما نقل من الإلهام والكشف حتى ما علم عند المحدثين أنه لم يصبح مثل أبي إسحق الشاطبي الفراطلي صاحب الموافقات قائمعد من الأصول كون المزايا والمناقب عامة كعموم الأحكام والتكاليف بين النبي صلى الله عليه وسلم وأئمة الأئمة ثابتة أنه خاصة به وذلك مما اقتصره لم يسبقه إلى القول به أحد من أئمة المسلمين وإن قال جمهور المتكلمين ما جاز أن يكون معجزة جاز أن يكون كرامة - وهو خلاف التحقيق - وقد ذكر من فروعه « الخوارق من القراءة الصادقة والإلهام الصحيح والكشف الواضح والرويا الصالحة » واشترط لعمل بذلك ما بينه في المسألة الحادية عشرة من النوع الرابع من المقاصد قال :

« أن هذه الأمور لا يصح أن تراعى وتعتبر إلا بشرط أن لا تخرم حكما شرعيا ولا قاعدة دينية فإن ما يخرم قاعدة شرعية أو حكما شرعيا ليس بحق في

نفسه بل هو إما خيال أو وهم وإما إلقاء من الشيطان وقد يخاطبه ما هو حق وقد لا يخاطبه وجميع ذلك لا يصح اعتباره من جهة معارضته لما هو ثابت مشروع وذلك ان التشريع الذي أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم عام لا خاص كما تقدم في المسألة قبل هذا وأصله لا ينغرم ولا ينكسر له اطراد ولا يحاشى من المخول نعمت حكمه مكلف. وإذا كان كذلك فكل ما جاء من هذا القليل الذي نحن بصدده مضادا لما تمهد في الشريعة فهو فاسد باطل. ومن أمثلة ذلك مسألة ستل عنها ابن رشد في حاكم شهد عنده عدلان مشهوران بالعدالة في أمر فرأى الحاكم في منامه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له لا تحكم بهذه الشهادة فانها باطل فتل هذا من الرويا لا يعتبر بها في أمر ولا نهي ولا بشارة ولا نذارة لانها تنغم قاعده من قواعد الشريعة وكذلك سائر ما يأتي من هذا النوع وما روي ان أبا بكر رضي الله عنه انفذ وصية رجل بدموته بروياريوت فهي قضية عين لا تندح في القواعد الكلية لاحكامها فلعل الورثة رضوا بذلك فلا يلزم منها خرم أصل وعلى هذا لو حصلت له مكاشفة بأن هذا المعين مقصوب أو نجس أو ان هذا الشاهد كاذب أو ان المال لزيد وقد تحصل بالحجة لعمرواوما اشبه ذلك فلا يصح له العمل على وفق ذلك مالم يتبين سبب ظاهر فلا يجوز له الانتقال الى التيمم ولا ترك قبول الشاهد ولا الشهادة بالمال لزيد على حال فان الظواهر قد تضمن فيها بحكم الشريعة امر آخر فلا يتركها اعتمادا على مجرد المكاشفة أو الفراسة كما لا يستند فيها على الرويا التومية ولو جاز ذلك لجاز نقض الاحكام بها وان ترتبت في الظاهر موجباتها وهذا غير صحيح بحال فكذا ما نحن فيه وقد جاء في الصحيح « انكم تختصمون اليّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأحكم له على نحو ما سمعته منه » الحديث فقيد الحكم بمقتضى ما يسمع ونرك ما وراء ذلك وقد كان كثير من الاحكام التي تجري على يديه يطلع على أصلها وما فيها من حق وباطل ولكنه عليه السلام لم يحكم الاعلى وفق ما سمع لاعلى وفق ما علم وهو أصل في منع الحاكم ان يحكم بطله وقد ذهب مالك في القول المشهور عنه ان الحاكم اذا شهدت عنده العدول بأمر يعلم خلافه وجب عليه الحكم بشهادتهم اذا لم يعلم منهم تمد الكذب لانه اذا لم يحكم

بشهادتهم كان حاكما بعلومه هذا مع كون علم الحاكم مستفادا من العادات التي
لاروية فيها لا من الخوارق التي تدخلها أمور واقائق بصحة حكم الحاكم بعلومه فذلك
بالنسبة الى العلم المستفاد من العادات لا من الخوارق ولذلك لم يستبره رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو الحجة العظمى وحكى ابن العربي عن قاضي القضاة الشافعي
المالكي يفتداه أنه كان يحكم بالفراصة في الاحكام جريا على طريقة إياس بن
معاوية أيام كان قاضيا قال ولشيعنا فخر الاسلام أبي بكر الشافعي جزؤ في الرد
عليه هذا ما قال وهو حقيق بالرد ان كان يحكم بالفراصة مطلقا من غير حجة سواها
ه فان قيل هذا مشكل من وجهين احدهما أنه خلاف ما قل عن أرباب
الكشافات والكرامات فقد امتنع أقوام عن تناول اشياء كان جائز لهم في الظاهر
لثاؤها اعتقادا على كشف أو اخبار غير معهود الا ترى الى ما جاء عن الشيلي حين
اعتقد أن لا يأكل الا من الحلال فرأى بالبادية شجرة تبين فهم أن يأكل منها
فنادته الشجرة لا تأكل مني فاني ليهودي وعن عباس بن المهدي أنه تزوج امرأة
قليلة البخل وقمع عليه ندامة فلما اراد الدنو منها زجر عنها فامتنع وخرج فبعد ثلاثة
أيام ظهر لها زوج وكذلك من كان له علامة عادية أو غير عادية يعلم بها هل هذا
التناول خلال أم لا كالحارث المحاسبي حيث كان له عرق في بعض أصابعه اذا مد
يده الى ما فيه شبهة فتمرك فينتع منه وأصل ذلك حديث أبي هريرة رضي الله
عنه وغيره في قصة الثاء المسومة وفيه فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكل
القوم وقال ارضوا ايديكم فانها اخبرني انها مسومة ومات بشر بن البراء
الحديث فبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك القول واتتهى هو ونهى
أصحابه عن الأكل بعد الاخبار وهذا ايضا موافق لشرع من قبلنا وهو شرع
لنا الا ان يرد فاسخ وذلك في قصة نبي اسرائيل اذا امروا بذبحها وضرب القتل
يعضها فاحياه الله وأخبر بقائه فرتب عليه الحكم بالتقصاص وفي قصة الحضرة في
خرق السفينة وقتل الغلام وهو ظاهر في هذا المعنى الى غير ذلك مما يؤثر في معجزات
الانبياء عليهم السلام وكرامات الاولياء رضي الله عنهم
والثاني أنه إذا ثبت ان خوارق العادات بالنسبة الى الانبياء والاولياء

كالمادات بالنسبة اليها فكما لودنا أمر عادي على نجاسة الماء أو غصبه لوجب علينا الاجتناب فكذلك هاهنا اذا فرق بين اخبار من عالم القيب أو من عالم الشهادة كما انه لا فرق بين رؤية البصر لوقوع النجاسة في الماء ورؤيتها بين الكشف القبي فلا بد أن يفتى الحكم على هذا كما بينى على ذلك ومن فرق بينها فقد اهدى » فالجواب ان لا نزاع بيننا في أنه قد يكون العمل على وفق ما ذكره صوابا وحلا

بما هو مشروع على الجملة وذلك من وجوب

(احدهما) الاعتبار بما كان من النبي صلى الله عليه وسلم فيه فيلحق به في القياس ما كان في معناه اذ لم يثبت ان مثل هذا من الحوارق يختص بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث كان من الامور الحارقة بدليل الواقع وانما يختص به من حيث كان ممجزا وتكون قصة الخضر على هذا مما نسخ في شريعتنا على ان خرق السفينة قد عمل بمقتضاه بعض العلماء بناء على ما ثبت عنده من المادات اما قتل الغلام فلا يمكن القول به وكذلك قصة البقرة منسوخة على أحد التأويلين ومحمكة على التأويل الآخر على وفق القول المذهبي في قول المقتول : دى عند فلان

(والثاني) على فرض أنه لا يقاس وهو خلاف مقتضى القاعدة الأولى اذ الجاري عليها العمل في القياس ولكن إن قدرنا عدمه فنقول ان هذه الحكايات عن الأولياء مستندة الى نص شرعي وهو طلب اجتناب حراز القلوب الذي هو الاثم وحراز القلوب يكون بأمور لا تنحصر في هذا النمط وقد قال عليه السلام « البر ما أطاعت اليه النفس والاثم ما حاك في صدرك » فاذا لم يخرج هذا عن كونه مستندا الى نصوص شرعية عند من فسر حراز القلوب بالمعنى الأعم الذي لا ينضبط الى أمر معلوم ولكن ليس في اعتبار مثل هذه الامور ما يخل بقاعدة شرعية وكلامنا انما هو في مثل مسألة ابن رشد واشباهها وقتل الخضر الغلام على هذا لا يمكن القول بمثلته في شريعتنا البتة فهو حكم منسوخ ووجه ما نقرر أنه ان كان ثم من الحكايات ما يشعر بمقتضى السؤال فعدة الشريعة تدل على خلافه فان أصل الحكم بانظار مقطوع به في الاحكام خصوصا وبالنسبة الى الاعتقاد في الغير عموما أيضا فان سيد البشر صلى الله عليه وسلم مع إعلامه بالوحي يجري الأمور على ظواهرها في المناقنين وغيرهم وان

علم بواطن أحوالهم ولم يكن ذلك بمخرجه عن جريان الظواهر على ما جرت عليه
 « ولا يقال إنما كان ذلك من قبيل ما قال خوفان يقول الناس إن محمدا يقتل أصحابه
 فالعلة أمر آخر لا مازعت فإذا عدم ما علل به فلا حرج لأنا نقول هذا من
 أدل الدليل على ما تقر لأن فتح هذا الباب يؤدي إلى أن لا يحفظ ترتيب الظواهر
 فإن من وجب عليه القتل بسبب ظاهر فالعذر فيه ظاهر واضح ومن طلب
 قتله بغير سبب ظاهر بل بمجرد أمر غيبي ربما شوش الخواطر ورن على الظواهر
 وقد فهم من الشرع صد هذا الباب جملة الآ ترى الى باب الدعوى المستند
 الى ان البينة على المدعي واليمين على من أنكر ولم يستثن من ذلك أحد حتى
 ان رسول الله صلى الله عليه وسلم احتاج الى البينة في بعض ما أنكر فيه مما كان
 اشتواه فقال « من يشهد لي » حتى شهد له خزيمه بن ثابت فجعلها الله شهادتين
 فما ظنك بأحاد الأمة فوادعي أكبر الناس على أصلح الناس لسكانت البينة
 على المدعي واليمين على من أنكر وهذا من ذلك والنسب واحد فلا اعتبارات
 الغيبة مهلة بحسب الأوامر والنواهي الشرعية ومن هنا لم يعبأ الناس من الاولياء
 وغيرهم بكل كشف أو خطاب خالف المشروع بل عدوانه من الشيطان واذا
 ثبت هذا قضاي احوال المنقولة عن الاولياء محتملة وما ذكر من تكليم
 الشجرة فليس بمانع شرعي بحيث يكون تناول التبن منها حراما على المكلم كما
 لو وجد في الفلاة صيدا فقال له اني مملوك وما أشبه ذلك لكنه تركه لفناء عنه
 لغيره من يقين بالله أو ظن طعام بموضع آخر أو غير ذلك وكذلك سائر ما في
 هذا الباب. أو نقول كان المتناول مباحا له فترك هذه العلامة كما يترك الانسان احد
 الجائزين لمشورة أو روبا وغير ذلك حسبا يذكر بعد بحول الله تعالى فكذلك
 قول في الماء الذي كوشف انه نجس أو منسوب واذا كان له مندوحة عنها بحيث
 لا يشغرم له أصل شرعي في الظاهر بل يصير منتقلا من جائز الى مثله فلا حرج
 عليه مع انه لو فرضنا مخالفته لمتنفي ذلك الكشف اعمالا لظواهر واعيانا على الشرع
 في معاملته به فلا حرج عليه ولا لوم اذ ليس القصد بالكرامات والحوارق أن تحرق
 أمرا شرعيا ولا أن تعود على شيء منه بالنقض كيف وهي نتائج عن اتباعه فعال

ان ينتج المشروع ما ليس بمشروع أو يعود الفرع على أصله بالنقض هذا لا يكون البتة وتأمل ما جاء في شأن المتلاعنين اذ قال عليه السلام ان جاءت به على صفة كذا فهو لفلان وإن جاءت به على صفة كذا فهو لفلان فجاءت به على إحدى الصفتين وهي المقتضية للمكروه ومع ذلك فلم يقدح الخلع عليها وقد جاء في الحديث نفسه «لولا الايمان لكان لحولها شأن» فدل على أن الايمان هي المانعة وامتناعه مما هم به يدل على أن ما تفرس به لاحكم له حين شرعية الايمان ولو ثبت بالبينه أو بالاقرار بعد الايمان ما قال الزوج لم تكن الايمان دائرة لحد منها

والجواب عن السؤال الثاني ان الخوارق وان صارت لم كفيها فليس ذلك بموجب لاعمالها على الاطلاق اذ لم يثبت ذلك شرعا معصولا به وايضا فان الخوارق وان جاءت تقتضي المخالفة فهي مدخولة قد شابها ما ليس بحق كالزوايا غير الموافقة كمن يقال له لا تفعل كذا وهو مأمور شرعا بفعله أو افعل كذا وهو منهي عنه وكثيرا ما يقع هذا لمن لم يبين أصل سلوكه على الصواب أو من سلك وحده بدون شيخ ومن طالع سببر الاولياء وخدم محافظين على ظواهر الشريعة غير ملتفتين فيها الى هذه الاشياء

«فان قيل هذا يقتضي أن لا يعمل عليها وقد بنيت المسألة على أنها يعمل عليها : قيل ان المنفي هنا ان يعمل عليها بحرم قاعدة شرعية فأما العمل عليها مع الموافقة فليس بمنفي»

أقول فهي لا تنقل عن المعنى الموافق للشرع . ثم ذكر في المسألة الثانية عشرة ما نصه :

«ان الشريعة كما أنها عامة في جميع المكلفين وجارية على مختلفات أحوالهم فهي عامة أيضاً بالنسبة الى عالم الغيب وعالم الشهادة من جهة كل مكلف فاليها نرد كل ما جاءنا من جهة الباطن كما نرد اليها كل ما في الظاهر والدليل على ذلك أشياء منها : ١- تقدم في المسألة قبلها من ترك اعتبار الخوارق الامع موافقة ظاهر الشريعة (والثاني) ان الشريعة حاكمة لا يحكم عليها فلو كان ما يقع من الخوارق والأمر النبوية حاكمة عليها بتخصيص عموم أو تقييد اطلاق أو تأويل ظاهر أو

ما أشبه ذلك لكان غيرها حاكما عليها وصارت هي محكوماً عليها بفيرها وذلك باطل باتفاق فكذلك ما يلزم عنه (والثالث) ان مخالفة الخوارق للشرية دليل على بطلانها في نفسها وذلك انها قد تكون في غاورها كالكرامات وليست كذلك بل أعمالا من أعمال الشيطان » -

ثم قال بعد ذكر شاهدين من الخوارق في فصل من هذه المسألة ما نصه :

« ومن هنا يعلم أن كل خارقة حدثت أو تحدث إلى يوم القيامة فلا يصح ردها ولا قبولها الا بعد عرضها على أحكام الشريعة فان ساءت هناك فهي صحيحة مقبولة في موضعها والا لم تقبل إلا الخوارق الصادرة على أيدي الانبياء عليهم السلام فانه لا نظر فيها لأحد لأنها واقعة على الصحة قطعا » اهـ

أقول والغرض من هذا كله بيان أن الشريعة كاملة لا تحتاج الى تكميلها بالكشف ولا بالرؤيا والاحلام وانما هي الحاكمة لا يحكم عليها سواها . وقد قرأت كلام هذا الأصولي الذي يصدق بالخوارق وأنت تعلم ان من علماء الأصول من لا يقول بمجوازا لنبي الانبياء كالمعترف والاساذ أبي اسحق الاسفرايني والحلي من أئمة الاشعية والا كثيرون القائلون بمجوازا لا يقولون بان أحدا يكاف تصديق من يدعيها بشيء مما يدعيه منها وان وافق الشرع فكيف يكفون ان يصدقه باللبس بأحد أصوله كالسنة النبوية بأن يصحح ما لم يصح عن الرسول (ص) ويكذب ما صح عنه وهم يعترفون معه بأن بعض هذه الخوارق والمكاشفات أحوال شيطانية . فاذا كان فيها الحق والباطل والخطأ والصواب فهل عندنا شيء نرجع اليه في بيان الحق والصواب الا الشريعة المطهرة ؟ فما تقدم كله تعرفون انه لا وجه للاعتماد على قول من يصحح الأحاديث بالكشف ولا قول من يجعل الكشف أصلا شرعيا ولا عمل المكاشف بكشفه المخالف للشرع فضلا عن عمل غيره به وما وافقه كان كالرأي والميل الفسفي وقد تقدم ان الصحابة لم يقولوا بشيء من ذلك وبذلك تتم أجوبة الاسئلة الثلاثة

وأما السؤال الرابع فهو على العلم بمجوابه مما سبق أيضا - وهو انه لا يعتمد على قول أهل الكشف اذا قالوا بوضع ما صححه المحدثون من الأحاديث يحتاج

فيه الى التنبيه على أمر مهم وهو أن بعض ما صححه سند من الحديث قد يكون غير صحيح المتن فإن بعض الذين كانوا يعتمدون وضع الحديث كانوا لحذرهم من نقد صياغة المحدثين يظهرون الورع ويتحرون الصدق وقد تاب بعضهم فاعترفوا بذلك ولذلك جعل المحدثون للحديث الموضوع علامات منها ما يتعلق بمثته ككتابة الألفاظ أو المعاني ومخالفة نصوص الكتاب أو السنة المتواترة ومخالفة العقل كما قالوا في حديث طواف سفينة نوح بالبيت على أن سنده غير مرضي كمنته. فمن كان ذا بصيرة نيرة في الدين وعلم بمقاصده بمكانه أن يعرف الحديث الموضوع وإن قالوا بصحة سنده ولكن لا يقبل قوله إلا بدليل مقول

وأما السؤال الخامس فجوابه أن من تقبل روايته هو من يوثق بحديثه وإن لم يكن معصوماً فإن ذلك القائل يعلم بالضرورة أن من الناس العدل الثقة الصدوق وإن لم يكن معصوماً ومنهم الفاسق الكذوب وإنه يثق بخبر الأول دون الثاني فكيف يجعل مع هذا رواية هذا كرواية ذاك؟ هل يستوي الصادقون والكاذبون لأن كلا منهما غير معصوم؟ - وغاية ما يترتب على عدم المعصية أن يكون خبر الصدوق غير المعصوم مفيداً للظن لا لليقين وهذا ما اتفق عليه العلماء في أحاديث الآحاد ولذلك قال المحققون أنه لا يحتاج بها في المسائل التي يطلب فيها اليقين كمسائل الاعتقاد

وأما السؤال السادس فجوابه أن ما ذكر عن السيوطي من ذكره في بعض الكتب ولكن لم يروعه بأسانيد صحيحة منصلة أنه ادعى ذلك ولو روي كذلك لم يكاف أحد تصديقه ومن صدقه لا يجوز له أن يأخذ بتصحيحه لتلك الأحاديث لأن هذا من قبيل الكشف وقد علمت أنه لا يعتمد عليه . وقد ادعى كثيرون رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في القنطرة فأنكر عليهم بعض العلماء وسلم لهم آخرون ولا يقول أحد من هؤلاء . ولا من أولئك بأنه يجب على أحد أن يؤمن لهم وبأخذ بدعواهم . ولهم في هذه المسألة كلام كثير في الرواية الخيالية وغير الخيالية وقد عرفنا نحن غير واحد من الصوفية الذين يدعون رؤية الأرواح ومخاطبتها ومنهم من قال أنه سأل النبي (ص) عن أحاديث كثيرة من الجامع الصغير للسيوطي

فأنكرها (ص) وهكذا نسمع عنهم التناقض في الكشف وفي رواية النبي (ص) فهل
يصح أن نمكهم في الحديث حتى مع التسليم لهم ؟ لا لا
وأما السؤال السابع فهو من الحكايات التي يتناقلها الناس وليس لها رواية
يوثق بها ومعناها كما ترى صريح في أن حجة الزمالي أقوى من حجة كلام الله وهو
في جوار الله خسينا الله

﴿ استفتاء عن الكشف الطبي على الميت ﴾

(ص ٢٧) من السيد عبد الجليل الزاوش أحد تلاميذ النابتة المعصوية (جونس)
الحمد لله وحده

حضرة الأستاذ المحقق العالم المدقق حكيم الاسلام ومرشد الأنام سيدي
رشيد رضا مفتي مجلة المنار الباهرة القراء دام أسعاده وكالة
أما بعد السلام الأتم عليكم ورحمة الله وبركاته فإني أرجوكم وإيكم مزيد المنة
والشكر ووافر الثواب والاجر ان تفضلوا بالجواب الشرعي عن السؤال الآتي
ونشره في أقرب وقت على صفحات مناركم أطال الله بقاءكم واليك السؤال
ما هو الحكم في إحصار الحكيم الممولى به في بعض الممالك الإسلامية الشرقية
لأجل الاطلاع على من يخبر بموته وشهادته بصحة الخبر واكتشافه سبب الموت
حتى لا يدفن الانسان حيا ولا يخفى المرض المعدي وفي ذلك مما يفيد الأمة في
حالتها الصحية ما لا يخفى فهل ذلك - رعاكم الله - مما لا يجوز مطلقا ولو كان الحكيم
مسلمًا ولم يستتب الكشف على الميت أذني عملية جراحية أو ما يوجب أقل إهانة
لكرامة الميت ولو مع تخصيص حكيم لمباشرة الرجل وحكيمة لمباشرة المرأة أو يسوغ
مطلقا أم المقام فيه تفصيل أفيدونا نوجروا وترحموا

(ج) ليس في هذه المسألة نص من الشارع وهي من المسائل القديمة التي تتبع فيها
قاعدة درء المفسد وجلب المصالح وحيث يختلف الحكم باختلاف الأموات فإذا وقع
الشك في موت من ظهرت عليه علامات الموت وعلم أن الطبيب يمكنه أن يبرف الحقيقة
بالكشف عليه فإن الكشف عليه يكون متبينا ويحرم دفنه مع بقاء الشك في موته
وابقاؤه عرضة للخطر ويختار الطبيب الذي يوثق به علمه وبراعته وأما قوله على غيره لأن

المعونة في ذلك بالثقة فإذا لم يوجد طبيب مسلم يوثق به، ووجد غيره اعتمد عليه بل إذا وجد طبيب مسلم غير موثوق به وطبيب غير مسلم موثوق به، تكرار التجربة يرجح الاعتماد على الثاني لأن المسألة ليست عبادة فيكون الترجيح فيها بالدين بل أقول أن من اشترط من الفقهاء اسلام الطبيب الذي يؤخذ بقوله في المرض الذي يبيع ترك الفضل والوضوء الى التيمم الا لاعتبار ذلك من أركان العدالة التي هي سبب الثقة وقد صرحوا حتى في هذه المسألة الدينية بأن المريض إذا صدق الطبيب الكافر بأن الماء يؤذيه في مرضه كان له أن يعمل بقوله . وإذا كان من اشتبه في موته امرأة ووجدت طبيبة يوثق بها قدمت على الطبيب حتماً فإن لم توجد كشف عليها الطبيب كما هو الشأن في جميع الأمراض

ومن درء المفساد والقيام بالمصالح العامة ما تفعله «مصلحة الصحة» بمصر وحيث توجد من مقاومة أسباب الوباء والأمراض المعدية ومن أعمالهم ما هو مفيد قطعا ومنه ما ظن قائله فإذا علم أن في الكشف على الميت لمعرفة سبب مرضه مصلحة عامة لم يكن ما يعبرون عنه بتكريم الميت مانعا من ذلك نعم أن إحالة الميت مخظورة ولكن الإحالة تكون بالقصد وهو متف هنا على أن درء المفساد وحفظ المصالح العامة من الأصول التي لا تهمل بهذه الجزئيات والمدار على العلم بأن هناك فسادا يجب درءها أو مصلحة يجب حفظها فإذا علم أولو الأمر ذلك عملوا به والشرع عون لهم عليه ﴿ أسئلة من الهند . من ٢٨ - ٣١ ﴾

حضرة المصلح الكبير والفيلسوف الشهير صاحب مجلة المنار الأكرم

السلام عليكم

وبعد فارجوكم الافادة المطابقة لمذاهب الائمة الاربعة أو أحدهم عما هوأت ثم ابداء رأيكم الخاص في ذلك؛ رجل من تجار المسلمين القاطنين بكلكتة تأتي له حوالات نقدية من الجهات على البنك وأصحاب البنك المذكور قوم من الانصارى الاروبا ويرين فيبقيا في البنك ويأخذ منها بقدر الحاجة فقط بلا شرط بينه وبين أصحاب البنك فإذا مضى على النقدية أو بعضها ستة أشهر يحسبون له زيادة عن الأصل رويتين في المئة في السنة فيكون في السنة الاثني عشر روية في المئة وذلك لأنهم

أي أصحاب البنك يتفقون ببقاء القرام عندم نحو اثنتا عشرة روية أو أكثر في المئة سنويا ولعملة في البنك عادة على الرجل المذكور في السنة يأخذونها منه بقرينة فهل والحالة هذه يباح للرجل المذكور ما يأخذه من أبواب البنك باختيارهم من غير شرط معهم كما تقدم أم لا أفيدونا سيدي فإن المسئلة واقعة حال لازلم . .
سؤال آخر

حضرة المحقق من النزم القيام بوظيفتي الإفتاء ودعوة الأمة إلى العمل بالكتاب والسنة فضيلة الشيخ محمد رشيد الأفضل

قد اطلمت على قولكم خلال جوابكم على مسئلة الاعطار الافرنكية: وأكثر أئمتنا وعلمائنا على أن الصلاة لا تنصح من متجسس البدن أو اشوب أو المصلى وقد اختلفوا الخ ولا يخفى كم أن مقابل الأكثر الكثير وعليه فالفقير يلتزم من سيادكم أن تبينوا له بمضامين القائلين بصحة الصلاة مع النجاسة غير المعضو عنها مع الاختلاف في القدر المعضو عنه منها كما هو مقرر ان لم يمكنكم بيان الكل وإكم الفضل
سؤال آخر.

وكذا التمس من تحقيقانكم أن نعيدونا عن بعض القائلين بطهارة الحجر المفهومة من قولكم في الجواب المذكور وان كانت نجاستها حسية كما هو المعروف من الفقهاء القائلين بذلك الخ لنكون على بصيرة بواسطتكم من حكم الكتاب والسنة اذ لم نفهم منها إلى الآن طهارة الحجر المتخذة من عصير العنب وثمرات النخيل وحيث نقد أن وجودكم سيدي بين ظهرانياتنا من الله علينا ورحمة وكم لله علينا من التمس فضلو مولاي بالجواب ولكم ان شاء الله الاجر والثواب
سؤال آخر

ما الحكم سيدي في قوم من أهل الهند المسلمين لا يورثون البنات والزوجات جريا على عادة الهندوس الكفرة وهي عادة قديمة للمسلمين أيضاً قبل اسلامهم وقد خبرهم حاكم البلاد حين توافوا اليه في مسئلة الميراث المذكورة بين أن يفصل بينهم بموجب لشريعة الإسلامية وبين أن يكون الفصل فيها بموجب عادة الكفار مواطنهم فقالوا نختار البقاء على العادة القديمة ورضوا بعدم توريث البنات والزوجات

مما وبعضهم البنات فقط وآخرون لا يرثون الاولاد ذكورا أو إناثا بل ما يتركه الميت لولده اخته الذكر دون الأنثى مع وجود ولد الصلب وذلك بحسب عادة بلادهم القديمة وهم يختلفون في ذلك فأهل بنجاب لا يرثون البنت والزوجة وأهل كبرزات يحرمون البنت فقط وأهل مليلار يحرمون الاولاد مطلقا وما ترك لابن الأخت فهل يكفرون بهذا الفعل أم لا ينبغي أن تجروا ودينهم أحد موسى بكلكته

﴿ الجواب عن مسألة أمانات البنك ﴾

من أعطى إنسانا باختياره مالا أو عرضا لا يستحقه عليه فأخذته كان حلالا بالإجماع ما لم يكن هناك غش أو نحوه من الأمور التي نثاني أن يكون المعطي قد أعطى برضاه واختياره ومن هذه الأمور ما قد يكون معروفا للآخذ ومنها ما يكون شبهة ومن ذلك موضوع السؤال فإنه لم يستل عنه إلا وهو عند أصحاب الواقعة محل شبهة هل هو من الربا أم لا ولو جزموا بأحد الوجهين لم يسألوا أما الربا فقد عرفه الخنفية الذين يقدم أكثر أهل الهند بأنه الفضل الحالي عن العوض المشروط في البيع : كما في حواشي فتح القدير وغيرها قولهم المشروط في البيع يخرج منه واقعة الحال المسؤول عنها إذا اشترط فيها . وفي شرح المنهاج للشمس الرطبي الشافعي أن الربا شرعا عقد على عوض مخصوص غير معلوم الثماني في معيار الشرع حالة العقد أو مع تأخير في البدلين أو أحدهما : وقوله « أو مع تأخير » مضاه أو عقد مع تأخير كما في حاشية الشبرايملي عليه . ولا عقد في الواقعة المسؤول عنها وبشبه مسألة الحواشي مسألة الوديعة التي تقع كثيرا فإن بعض البنوك قد تزيد المودع شيئا على ماله المودع فيها وما قد يقع منه بلا شرط فهو شبه الواقعة إلا أن يقال إن الوديعة أشبه بالقرض أو الدين منها بالأمانة لأن أهل البنك يتصرفون بالمسأل ويردون غيره والعرف يقوم مقام العقد في ذلك وقد صرح غير واحد من الفقهاء بأن كل قرض جر نفعا للقرض فهو ربا ورووا ذلك حديثا وأقول إن ما جرى عليه العرف في معاملة البنوك على ما نعلم أن ما يوضع فيها أمانة يجوز لصاحبه أن يسترده كله أو بعضه متى شاء وما يؤخذ على آهدين ليس لصاحبه

ان يسترده الا بعد انتهاء الاجل أو يأخذ ما يطلب من المال برأ أكثر من الربا الذي يأخذه هو من البنك وان كان ما طلبه جزءاً من ماله . مثال ذلك ان من أعطى البنك ألفاً على ان له في المئة ثلاثاً في السنة ثم طلب قبل انقضاء السنة خمس مئة فان البنك يعطيه إياها على ان له مئتان في المئة أو أكثر أو أقل قليلاً وكل ذلك يجري بقود مكتوبة . أما الودائع فيعطي البنك بها وصلاً للمودع ومنها ما لا يزيد على ما أودع شيئاً فيبقى وجه الشبهة في الواقعة المسؤول عنها وفيما يشبهها انها من قبيل القرض الذي جرفنا وهي ضميعة في الحوالة قوية في الودعة . على أن الفقهاء لاسيما الحنفية قد شددوا في مثل ذلك ويعدون كل ما يؤخذ بلا مقابل ربا فن اعتمد ذلك حرم عليه الأخذ

وإذا رجعنا الى الدليل رأينا أن حديث « كل دين جرنفما » الخ ضعيف كما سيأتي عن نيل الاوطار بل قال الغير وزبدي أنه موضوع ولكن في الباب أحاديث أخرى وآثاراً بعيدة في افارة للمسألة قال في منتخب الاخبار

« عن أبي هريرة قال كان لرجل على النبي صلى الله عليه وسلم سن من الابل فجاء بتقاضا فقال اعطوه فطلبوا سنة فلم يجدوا الا سناً فوقها فقال اعطوه فقلل أوفيتني أوفاك الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ان خيركم أحسنكم قضاء » وعن جابر قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وكان لي عليه دين فقضاني وزادني . متفق عليهما . وعن أنس وسئل : الرجل منا يقرض أخاه مالاً فيهدي اليه فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا أقرض أحدكم قرصاً فأهدى اليه أو حمله على العداة فلا يركبها ولا يقبله الا أن يكون جرى بينه وبينه قبل ذلك » رواه ابن ماجه وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اذا أقرض فلا يأخذ هدبة » رواه البخاري في تاريخه . وعن أبي بردة بن أبي موسى قال قدمت المدينة فلقيت عبد الله بن سلام فقال لي انك بأرض فيها الربا فاش فاذا كان لك على رجل حق فأهدي اليك حل تبن أو حبل شعير أو حل قت (١) فلا تأخذه فإنه ربا :

(١) القت بالفتح هو الجلف من النبات المعروف وهو رطب بالفصفاة

بكسر الفأين وهي القصب

رواه البخاري في صحيحه

أقول أثر عبد الله بن سلام لا يحتاج بمثله الجمهور الذين يحصرون أدلة الشرع في الكتاب والسنة والاجماع والقياس ومن الغريب قوله بنحو الربا في المدينة والظاهر انه قاله بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وأخرج اليهود منها وقال الشوكاني في شرح هذه الاحاديث ما نصه : حديث أنس في استاده يحيى بن أبي اسحق الهنائي وهو مجهول وفي استاده ايضا عتبة بن حميد الضبي وقد ضمه احمد والرازي عنه اما عميل بن عياش وهو ضعيف . قوله سن أي جل لسن معين وفي حديث أبي هريرة دليل على جواز المطالبة بالدين اذا حل اجله وفيه أيضا دليل على حسن خلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتواضعه وانصافه وقد وقع في بعض ألفاظ الصحيح ان الرجل اغلظ على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهم به أصحابه فقال « دعوه فإن لصاحب الحق مقالا » كما تقدم وفيه دليل على جواز قرض الحيوان وقد تقدم الخلاف في ذلك وفيه جواز رد ما هو أفضل من المثل المقرض اذا لم تقع شرطية ذلك في العقد وبه قال الجمهور وعن المالكية ان كانت الزيادة بالعدد لم يجوز وان كانت بالوصف جازت ويرد عليهم حديث جابر المذكور في الباب فانه صرح بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم زاده والظاهر ان الزيادة كانت في العدد وقد ثبت في رواية لبخاري ان الزيادة كانت قيراطا وأما اذا كانت الزيادة مشروطة في العقد فنحرم اتفاقا ولا يلزم من جواز الزيادة في القضاء على مقدار الدين جواز الهدية ونحوها قبل القضاء لانها بمنزلة الرشوة فلا محل كما يدل على ذلك حديثا أنس المذكوران في الباب وأثر عبد الله بن سلام (١) والحاصل ان الهدية والعارية ونحوهما اذا كانت لاجل التنفيس في أجل الدين أو لاجل رشوة صاحب الدين أو لاجل أن يكون لصاحب الدين منفعة في مقابل دينه فذلك محرم لانه اما نوع من الربا أو رشوة وان كان ذلك لاجل عادة جارية بين المقرض والمستقرض قبل التداين فلا بأس وان لم يكن ذلك لقرض أصلا فالظاهر المنع لاطلاق النهي عن ذلك واما الزيادة

(١) قد علمت ان حديث أنس ضعيف وأثر ابن سلام لا يحتاج به الجمهور

الا أن يقال ان له حكم المرفوع وفيه نظر على أن النهي فيه قد يكون قلوب

على مقدار الدين عند القضاء خبر شرط ولا اضمار فالظاهر الجواز من غير فرق بين ازيادة في الصفة والمقدار والقليل والكثير لحديث ابي هريرة وأبي رافع والرباض وجابر بل هو مستحب قال الهاملي وغيره من الشافعية يستحب للمستفرض ان يرد اجود مما أخذ للحديث الصحيح في ذلك يعني قوله ان خيركم احسنكم قضاء ومما يدل على عدم حل القرض الذي يجر الى المقرض نفعاً ما أخرجه البيهقي في المعرفة عن فضالة بن عبيد موقوفاً بلفظ كل قرض جر منفعة فهو وجه من وجوه الربا ورواه في السنن الكبرى عن ابن مسعود وأبي بن كعب وعبد الله بن سلام وابن عباس موقوفاً عليهم ورواه الحرث بن ابي أسامة من حديث علي عليه السلام بلفظ ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهي عن قرض جر منفعة وفي رواية كل قرض جر منفعة فهو ربا وفي اسناده سوار بن مصعب وهو متروك قال عمر بن زيد في المغني لم يصح فيه شيء وهو امام الحرمين والغزالي فقالا اصح ولاخبرة لما بهنا الفن « اه المراد منه ومقطعه منقول من فتح الباري

وأما الربا الذي نهي عنه الكتاب المزيين بالنص الصريح فهو ربا النسيئة المضاعف وقد ذكرنا كيفيته وبيننا حكمته بالتفصيل في تفسير آياته من اواخر سورة البقرة . ونحرمه ليس تمبيهاً كما يقول من يرى ذلك من الفقهاء بل هو معلل بقوله عز وجل « لا تظلمون ولا تظلمون » وبقوله « واتقوا الله » بعد قوله (١٢٠: ٣) يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة) فان هذا من القسوة وضع المعروف عند الحاجة الثاني للفقوى والمراد بهذا الربا المعروف ما كان عليه الناس في الجاهلية وهو كما قال الامامان مالك وأحمد وغيره ان يكون للرجل على الرجل دين مؤجل — من قرض أو تمن — فيقول له عند الأجل إما ان تقضي وإما أن تربني فيزيد ويربني له حاجته كلما طلب . وليس منه في شيء ما تقدم في السؤال وهو أن يستعمل انسان مال آخر مودعاً عنده برضاه ثم يعطيه برضاه عند القضاء أو في آخر السنة جزئاً مما ربح برضاه واختياره من غير شرط ولا عقد

هذا ما عن لنا في هذا المسألة مع صرف النظر عن حكم دار الحرب وما أحلوه فيها

من العقود الفاسدة ونحوها وأطاعت الخوض فيه الجرائد الهندية من زمن ليس بعيد . ولا تنس في هذا المقام . اقرره شيخ الاسلام ابن تيمية في العقود الفاسدة في المعاملات وان ما اشترط في صحتها إنما اشترط لأجل ان يكون المقدلا لازما وناظرا عند الحاكم لا لأجل التقرب الى الله تعالى فالعقد الذي لا يجبره الشرع كعقد الربا لا ينفذه الحاكم الشرعي ولا يلزم الوفاء به بل ولا بجل "أشراط وجهه حقا" يطالب به . وهذا لا يمنع الناس من ما ديننا أن يتصرفوا في أموالهم برضام في غير الفواحش والمنكرات المحرمة لذاتها . وعندني ان ما زاده النبي صلى الله عليه وسلم صاحب الدين على دينه من هذا القبيل . وقد سبق لنا في المنار كلام في هذا المبحث

﴿ الجواب عن صلاة متنجس الثوب أو البدن أو المصلي ﴾

تقل الخلاف في ذلك الشوكاني في أول الجزء الثاني من نيل الأوطار قال « وهل طهارة ثوب المصلي شرط لصحة الصلاة أم لا فذهب الاكثر الى أنها شرط وروي عن ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير وهو مروى عن مالك أنها ليست بواجبة وتقول صاحب النهاية عن مالك قولين أحدهما ازالة النجاسة سنة وليست بفرض وثانيها أنها فرض مع الذكرك ساقطة مع النسيان وقديم قولي الشافعي ان ازالة النجاسة غير شرط » ثم أورد حجج الجمهور على الشرطية وما يرد عليهم به الآخرون وقال بعد ذلك كله « اذا تقررت ماسقناه من الأدلة وافيا فاعلم أنها لا تقتصر عن افادة وجوب تطهير الثياب فمن صلى وعلى ثوبه نجاسة كان ثاركا لو اوجب واما ان صلاته باطلة كما هو شأن فقد ان شرط الصحة فلا لما عرفت » اهـ والكلام في النجاسة مطلقا ولا يأتي هنا التفصيل في المعفو عنها منها وغيره لان هذا التقسيم مبني على القول بالشرطية

﴿ الجواب عن مسألة طهارة الحجر ﴾

لما أفئتنا بطهارة الأقطار الافرنجية . وهو ما اطلعتم عليه في ص ٥٠٠ من مجلد المنار الرابع ردت علينا بعض المتطفلين على موائد العلم برسالة رددنا عليها في ذلك المجلد ردا لو اطلعتم عليه لما سأتم هذا السؤال فليكم أن تراجعه في ص ٨٢١

وما بعدها وص ٨٦٦ وما تمدها ترون فيه النقل عن الامام ربيعة فقيه المدينة وشيخ الامام مالك وعن الامام داود القول بطهارة الخمر معزوا الى بعض من نقله كالامام النووي. وأنتم تعلمون ان الأصل في الاشياء الطهارة ما لم يرد نص عن الشارع بالنجاسة ولا نص في نجاسة الخمر كما بينا ذلك هناك فقولكم إنكم لم تفهموا من الكتاب والسنة طهارتها في غير محله لأن هذا هو الاصل والا فابن النص من الكتاب والسنة على طهارة الاشجار والاحجار والذهب والزيت وغير ذلك

﴿ الجواب عن مسألة مخالفي القرآن في الميراث ﴾

المدار في التكفير على جمود المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة فاذا كان من ذكركم يحددون احكام الكتاب العزيز ولا يدعون لما مع العلم بها فهم لا يعدون من المسلمين والجهل بها حجة وتفصيلا لا يعد عذرا لمن نشأ بين المسلمين ومن كان حديث عهد بالاسلام أو نشأ في شاطئ جبل فلم يعرف احكام المسلمين الضرورية يكون معذورا كما قالوا حتى يعلم فان أذعن والا لم يكن مسلما وذلك مشهور. وأما اذا كان هؤلاء يؤمنون بالقرآن ويدعون له الا ان الواوئين شرعا رضوا باختيارهم ان يأخذ غيرهم ما يستحقونه وكان الآخذ بغير حق لا يستحل الاخذ بالبناء على رضا صاحب الحق لم يظهر وجه لقول بكفرهم كما يفعل بعض مسلمي القط المصري وغيرهم من رضا البنات بتوك ميراثهم لأخوتهم ومن استحل أكل ميراث أخته بدون رضاها لا يستد أحد بإسلامه بل يحكم جميع الفقهاء برده ان كان مسلما قبل ذلك. ومن الامور البعيدة التي لا تكاد تغفل ان يتفق قوم من المسلمين على ترك العمل بالنصوص القطعية المنصوصة في كتاب الله وهم مسلمون حقيقة فالظاهر ان ذكركم ليسوا مسلمين الا بالجنسية وما سبب ذلك الا الجهل ففسى ان يوجد في الهند من الهداة والمرشدين من يهديهم الى حقيقة الدين

باب المناظرة والمراسلة

• (مطالب مسلمي روسيا من دولتهم) •

آلف الشيخ رضاء الدين بن فخر الدين أحد أكابر علماء المسلمين في روسيا والعضو في المحكمة الشرعية هناك سابقاً - رسالة أبان فيها رأيه في مطالب مسلمي روسيا من حكومتهم

قال : يظهر من قراءة بعض الأوراق المطبوعة وغير المطبوعة ومما يسمع من أفواه الكثيرين - ان مطالب قومنا المهمة عبارة عما يأتي :

(١) استرداد الحقوق الواسعة التي منحتها الامبراطورة « كاترينا » الثانية للجمعية الشرعية (أو المحكمة الشرعية) في سنة (١٧٨٧ م)

(٢) اخراج المدارس الاسلامية من تحت ادارة نظارة المعارف الصومية الروسية وجعلها تحت نظارة الجمعية الشرعية التابعة الآن لنظارة الداخلية

(٣) مساواة المسلمين القاطنين في روسيا لروس الارثوذكس في الحقوق المدنية والمسكرية كافة بلا استثناء

(٤) مساواة علماء الاسلام الروسيين في الامتيازات لروحانيين المسيحيين

(٥) إلغاء جمل معرفة اللغة الروسية شرطاً في تعيين أئمة المساجد وأعضاء

الجمعية الشرعية

(٦) الحرية في الدين والمناظرة مع المحكمين بالمسلمين وحرية الصحافة

(٧) ابقاء فصل الخصومات المتعلقة بالامور الشخصية كالنكاح والطلاق

وتقسيم التركات والوصايا وما اليها من الخصومات العائلية كما كان في الزمن السابق بإيدي علماء المسلمين أنفسهم دون تحويلها الى المحاكم المدنية

ثم أفاض الكاتب في بيان رأيه في هذه المواد (ماعد المادتين الثالثة والسابعة) فآثرنا ان نترجم كلامه على المواد الخامسة والسادسة والثامنة لما فيها من الفوائد

وأما كلامه في بقية المواد فهو في الغالب مختص بانشؤون الداخلية البحتة ولهذا اغفلنا ترجمته . قال حفظه الله :

(الكلام على المادة الخامسة)

لا يحسن بل ان نحكم بفرض اشتراط تعلم اللغة الروسية لأئمة المساجد وأعضاء الجمعية الشرعية أو بنفعه الأبد انعام النظر في حالتنا الحاضرة . اذا ظلت مدارسنا الدينية على ما هي عليه من الخلل ودامت حال المتعلمين فيها على ما هي عليه من الفوضى والفاقة فهو ضار ألبتة . لأن الحالة الراهنة تقضي عليهم بان يرتادوا من يتعلمون منه اللغة الروسية مبتدئين من «ألفباثا» بعد ان قضوا أعواما كثيرة في زوايا المدارس الاسلامية وناهضوا سن الكهولة . ومعظم أولئك المتعلمين لا يتسنى لهم لضيق ذات يدهم ان يظفروا بمعلم متحل بالفضائل والآداب . فيضطرون الى اختيار المعلمين المتسفلين في أخلاقهم وآدابهم باجور زهيدة . فيتلقفون منهم فنونا من الجهل مع يسير من العلم

ثم ترى فئة من أولئك المتعلمين الذين قضوا سن الشباب بالعفة والاستقامة هادئين متكئين عما يحل بأدبهم يقصدون لتعلم اللغة المذكورة القرى الروسية أو المدن . فيفتق لهم ان يروا هناك مجالس الفسق ومحلات الفجور لأول مرة من حياتهم فهم وان قدعوا نفوسهم مرة أو مرتين عن الدخول في غمار تلك المجالس يقعون في مواربها في المرة الثالثة لاحالة . فينتشر بهذه الوسيلة داء فساد الاخلاق بين المتعلمين وينهم ببيان تعفهم . وما ذلك الضعف في الارادة والخور في العزيمة الا من نقصان تربيته المدرسية ووهنها لاننا لا نربي التلاميذ تربية تجعلهم يتمتعون عن الرذائل لكونها مضادة للكمال الانساني ولرضا الله واهب الكمالات وانما تربيتهم تربية تجعلهم لا يأتون المنكرات مخافة من الناس لاخير

نجد بين المتعلمين في مدارس الحكومة الرسمية كثيرين يجتنبون شرب المسكرات وتناول الدخان . وأما المتعلمون منافي المدارس الدينية فيقال ان الأعداء فيهم قليلون جداً في هذه الايام . فهذه جهة الضرر . وأما اذا نظرنا الى حاجة من يسكن هذه البلاد في قضاء حاجاتهم المعاشية وحفظ حقوقهم الخصوصية والقومية الى اللغة الروسية - لغة الأمة الحاكمة - فاننا نقول : بنفع اشتراط تعلمها للأئمة أيضا نفما عظيماً . هذا رأيي في أئمة المساجد واما رأيي في أعضاء الجمعية الشرعية فكما يأتي :

لا يؤمل خير ما للجمعية الشرعية والمسلمين من عضوية من ليست لهم فهم راسخة في العلوم الاسلامية مع قصرها عنهم في اللغة الروسية وقوانين الحكومة . بل يتحتم ان يكون الاعضاء فيها لهم براعة في العلوم الاسلامية وفي لغة الحكومة وقوانينها . وما اشترطت لهم الحكومة من درجة العلم في المدارس الرسمية ليس بشيء في جنب ما أحب ان يكونوا عليه .

يجب ان تكون مقاماتهم في العلوم الاسلامية مقامات المجتهدين والاجتهاد الاصطلاحي . والاجتهاد القنوي فقط . درجة الاجتهاد يجب علينا ان نشترطها من عند أنفسنا وللم تشترطها الحكومة لأن ذلك يعود على امتنا بمنافع جمة ما بين دينية واجتماعية . أما منافع الدينية فظاهرة . وأما النفع الاجتماعي العظيم فهو ان كون قضائنا بهذه المثابة من الاقتدار يجعل لهم مكانة سامية في نظر الحكومة ويكون سبباً لبقاء فصل الخصومات العائلية التي أني ذكرها في المادة الثامنة من مطالب الامة - بأيدي علاننا وبقاء جمعيتنا الشرعية الى ما شاء الله

كأنني بقائل يقول : هل يمكن ظهور المجتهدين من بيننا ؟

فأقول في جواب هذا السؤال : نعم لا يوجد اليوم فينا مجتهدون ويستبعد الناظر في حالنا الحاضرة ظهورهم في المستقبل القريب أيضاً . بيدانه اذا انتظمت مدارسنا ودرست فيها العلوم النافعة من كتب أصحاب العلوم الحقيقية بدل هذه الكتب السخيفة فلا مانع - في رأيي - من ظهور المجتهدين بيننا

لا يشترط الاجتهاد الاسلامي ثلث الشروط التي تشترط في ترشيح المرء لأن يكون رئيساً أو مدعياً عمومياً أو عضواً أو محامياً في المحاكم الكبيرة في أوروبا وفي روسيا نرى اليوم بين الروس الذين لا يفوقون المسلمين الساكنتين في هذه البلاد بشيء من الذكاء الفطري والاستعداد الطبيعي الوفاً يساؤون المجتهدين في المذهب بل المجتهدين المطلقين في علومهم وبراعتهم في الفقه (علم الحقوق) والقوانين الوضعية فكيف يمتنع اذا ظهور مئة أو خمسين مجتهداً من بين مسلمي روسيا الذين ينصف عددهم على ١٥ مليوناً اذا سُموا له سعيه وأنوا البيوت من أبوابها ؟

اذا نحن أخذنا الى الارض ورضينا بالجمود على هذه الحالة الوضعية فخرام

علينا ان نعد أنفسنا من نوع الانسان الذي فطر على ان يترقي دائماً مع الزمان .
 أنا أعلم ان كلامي هذا يحفظ قلوب كثير من الجامدين فيبذونني بالجهل والروق
 عن دائرة الادب مع الائمة السالفين ويقولون البتة : « ما لهذا الجاهل الضال
 قد حط من قدر الاجتهاد ونهراً على القول بإمكان ظهور المهتمدين في هذا الزمان .
 أما سمع هذا المتهور خير اقتضاء عصر الاجتهاد وانطلاق بابه منذ قرون كثيرة »
 غيراني أقول هؤلاء ، اى لم أكتب ما كتبت لفغتي عن مباحث الاجتهاد وخبر
 انطلاق بابه عندهم . بل كتيه بهدان بحث وأدمنت الفكر في هذه المباحث
 زناً طويلاً حتى هداني البحث والتقيب الى معرفة منجز فكري فكرة « انطلاق
 باب الاجتهاد » والاسباب التي حملتهم على اقتجارها والمصور التي ظهرت فيها
 تلك الفكرة السيئة

زحفت النار الى بغداد فدمروها تدميراً وقتلوا العلماء قتيلاً وأبادوا الآثار
 العظيمة الشاهدة بمظلمة المسلمين السابقين . وفعل الاسبان يون الافاعيل بالمسلمين
 وساموهم سوء العذاب في جزيرة الاندلس . اضر هؤلاء المتوحشون بالبلاد الاسلامية
 والمسلمين اضراراً مادية جسيمة . لكن اضرارهم المنوية لا يقيم لها وزن امام
 الاضرار التي ائجها شيوع فكرة « انطلاق باب الاجتهاد وامتناع بلوغ الاخلاف
 شأوا الاسلاف في الكمال والعلم » بين المسلمين

لم تمكن فكرة « انطلاق باب الاجتهاد والارتقاء في نفوس المسلمين حتى
 فورت الرغبات في العلم وتعاقدت الهمم عن الارتقاء والتقدم فانشأوا يندارسون السفساف
 بدل الفضائل ويشغلون بالالهام اليونانية بدل العلوم الحقيقية . وبالجملة ان
 الحسائر التي جرتها الى المسلمين « فكرة انطلاق باب الاجتهاد » أكثر واظلم من
 الحسائر التي أنتم على أيدي « جنكيز » و « ولاكو » و « ايزابلا » واضرارهم
 من المتوحشين المفسدين .

ولهذا اعتقدنا اذا قضينا على الفوضى السائدة في مدارسنا وأدخلنا فيها
 العلوم الحقيقية وأفرغنا كنانة جهدنا في نشر التربية الاسلامية الصحيحة ظهر فينا
 المهتمدون بكثرة ان شاء الله اذ الاجتهاد أمر كسي مرتبط بالاسباب الظاهرة التي

تناها الايدي . ثم ان سنة الارتقاء التي تجري عليها شؤون العالم كلها بتقدير
العزيم العظيم تقضي ان يكون كل شيء اكل وأرقى مما قبله . نرى اليوم
الأمم الراقية الحية يبنون كل شؤونهم على تلك السنة الثابتة فيسبون سيرا حثيثا
في مدارج الرقى ومراتي الكمال . أما المسلمون فحشا بينهم منذ زمن بعيد
انكار سنة الارتقاء واعتقاد سبر العالم الى التدلي والانحطاط فرغوا الضعة والجرد
حق حقت عليهم كلمة القل والموان

لعل اختتام النبوة أيضا مبني على تلك السنة (سنة الارتقاء) .
كانت الأمم السالفة لتقصان مداركهم وعدم اكتمالهم في المزايا الانسانية
يضلون عن الشرائع التي كانت الانبياء يبلغها اليهم ويحيدون عن صراط الله
السوي بعد مضي أزمنة يسيرة من عهد الانبياء

فكان الله عز وجل يبعث اليهم من يقوم لهم أود الدين ويهديهم الى الحق
المبين من الانبياء الآخرين . واما الأمم الذين يأتون بعد نبينا (ص) فيكونون
قد ارتقوا في المدارك واكتملوا في الخواص الانسانية حتى يستطيعوا بذلك حفظ
الشرعية المطهرة وبلغوها الى من يهدم بلا تحريف ولا تبديل . فلا تبقى حاجة
الى ارسال من يجدد الدين بعد خاتم النبيين . فبناء على ما ذكرنا ينبغي أن
يكون المجتهدون واساطين الاسلام أكثر وأبرع من المجتهدين السالفين كلما خطا
المجتمع الانساني خطوة الى الامام

وأما تعلم اعضاء المحكة الشرعية اللغة الروسية فما اشترطته لهم الحكومة
قليل جدا في رأبي . بل ينضم على من يترشحون للمضوية في تلك المحكة ان
يحضروا دروس علم الحقوق ولو بصفة المستمعين في « جامعات » الحكومة بعد
ان يمتحنوا في دروس المدارس البلدية أو مدارس المطمين . لا يخفى على أهل البصر
ان قوة المحكة الشرعية وسو مكائتها لدى الحاكم التي فوقها وارتقاء شأنها
في أعين المسلمين التابعين لها ليست هي كل بنائها الشامع وتنوع الاشجار في
الحديقة الحافة بها . بل لا تتحقق تلك الاماني السامية الا اذا كانت اعضاؤها
والقضاة فيها من أهل المقدرة على القيام واجباتهم حق القيام . ثم اذا نسى لهم

العارف رجال الحكومة العظام يعلم منهم ان يخدموا المسلمين خدماً جليلاً .
 أشغال المحكمة الشرعية مرتبطة اليوم بآثارها كم المدنية أشد الارتباط . وبزيد
 هذا الارتباط عاماً بعد عام . قد تحدث في المحكمة مشاكل لا يمكن حلها الا
 بمقابلة أولي الأمر ومحاديثهم . وأحياناً تستفتي المحاكم الكبيرة من قضاة المحكمة
 الشرعية في بعض المسائل الفقهية . وكذلك قد يقصد المحكمة أربع المحامين ليرجعوا
 الى القضاة في بعض المهمات

وتكون كتابات هؤلاء على غاية من الإيجاز والنظام قلما يفهمها حق الفهم
 إلا أهل البصر في الامور القضائية والشؤون القانونية فيبقى العضو الجاهل بالغة
 الروسية في حيرة واضطراب في مثل هذه الظروف

ثم أن العضو الذي لا يعرف اللغة الروسية لا يكون على بصيرة في توقيعه على
 الاوراق الرسمية التي ترد الى المحكمة من المحاكم الاخرى الكبيرة . اذ هو جاهل
 بما في تلك الاوراق من أقسام القوانين ونودها التي بنيت عليها أحكام النصب
 والنزل وغيرها . فيكون مثل هذا العضو كمثل « آله صاه » يد من يشوا بتلك
 الاوراق من الموظفين الروسين

لو كان الائمة أبو يوسف ومحمد وزفر أصحاب الامام أبي حنيفة في وظيفة
 القضاء في محكمتنا الشرعية لناهم أيضاً ما ينوب كل يوم قضائنا الجاهلين باللغة
 الروسية وقوانين الحكومة من المشاكل والمصاعب

ايضاً لكم أن يكون القضاء في محكمة هي محط آمال أربعة ملايين من المسلمين -
 آلات صاه تدبرها أيدي الآخرين كيفما شاءوا أم تتدنون أن يكونوا من أهل
 البصر بأمرهم يذبون عن مصالح قومهم بقوة جنان وثبات جاش ؟

ابروكم ان يوقصوا على كل ورقة منها كانت محتوياتها أم تحبون أن يكونوا
 من أهل القدرة على المناقشة في كل الاوراق التي يرتابون في أمرها ؟ بأن يقولوا
 مثلاً : هذا الحكم مبني على كذا من المادة القانونية وهي قد نسخت في كذا
 من الزمن . فبناء الحكم على تلك المادة لا يجوز بل ينبغي أن يبني على مادة كذا
 وما شابه ذلك من المناقشات التي لا يستطيعها الا من برز في اللغة الروسية وقتل القوانين

الوضعية علما وفيها

ولسائل أن يسألني هنا : هل يمكننا أن نربي اناسا يكونون مجتهدين في العلوم الاسلامية وبارعين في علم الحقوق الوضعية جميعا ؟

فأجيب عن هذا السؤال بمجوابين متناقضين : اذا اجلت طرفي في ما عليه علماؤنا الذين ألقى اليهم زمام تربية الامة ورتبة شؤنها من الجود والنفقة وسعيهم لرفقة المصلحين ودوامهم على بث الافكار المناقضة لمصالح الامة الحاضرة والمستقبل وجهلهم بالمرء لا سرار الحياة وثنازع البقاء وعلم الاجتماع البشري - اجبت عن السؤال السابق قائلان هذا محال أي محال وأما اذا فكرت في استمداد قومنا القوي وتقائي بعض شبائنا في طلب العلم باحتال المشاق المجدة وجود أغنيائنا بانفس أموالهم في سبيل الخيرات والمشروعات النافعة اجبت عن ذلك السؤال قائلان : إن هذا ممكن أي ممكن ولنا رأي في كيفية الوصول الى هذا المقصد الاقصى ربما شرحناه في المستقبل ان شاء الله

(الكلام على المادة السادسة)

يقال ان اماجاء في هذه المادة من المطالب طمح نظر كثير من الاقوام الآخرين القاطنين في البلاد الروسية . لعل أولئك الاقوام الذين هم يوقفوننا في كل الشؤون الحيوية يتألون هذه المقاصد قبلنا

وأما نحن فلسنا الآن على استمداد اطلب تلك المطالب السياسية العظيمة بالافراد وما علينا الآن الا أن نثبياً « للاصطياد في الماء المكر » (هذه الرسالة كتبت منذ سنتين إذ كان مسلمو روسيا هادئين وادعين غائبين في سباتهم العميق انتقاداً على ما أتى في اللامحتمين الذين وضعها علماء مدينتي أورنبورغ وسמיד وبشوا بها الى مؤلف الرسالة يسألونه إبداء رأيه فيها)

وأما حرية المناظرة بخصوصها فأقول فيها : ان حرية المناظرة تنفع المسلمين نعماً عظيماً وهذا لا ريب فيه . غير ان المناظرة لها أصول وشروط لا تأتي المناظرة بالناقذة المطالبة الا بها . وما شروطها الا كون المتصدي المناظرة يكون على أهبة قامة ومطلماً على ما يبد خصمه من الحجج وقوتها . ليست مقاومة الخصوم المتسلحين

بالعلوم الحديثة بالنظريات المسطورة في المواقف والمقاصد والطوال والمطالع
والتمديد والتجريد الاضرباً من التهور والتهوس

ولا يغني على الباحث المتصف ان الكتب المذكورة تحتوي على كثير من التلطعات
الفلسفية والتاريخية الناشئة من خطأ المترجمين اللاتينيين واليهود الذين ترجموا فلسفة
اليونان . وتلك التلطعات تكون عوناً لخصومنا علينا لاجالة . لا يجوز البتة ان تتحس
يظن ان خصومنا عبارة عن بعض القسس الروسين المعروفين بتجديدهم بالمسلمين .
ان هؤلاء الاطلائع جيش المدو . وأما الجيش الاصلي فهو يتألف من أناس
آخرون مضطربين من فنون العلم وحاذقين في اساليب المناظرة وطرق الإلزام .
قام الامام الشيخ محمد عبده في وجه المعارضين للاسلام في السنين السابقة بنفسه
فاضطر الى جدال طويل قاومه فيه خصومه اشد المقاومة مع ان براعة هذا الامام
في العلوم الاسلامية ومكانته في الفلسفة وعلم الكلام أعلى بكثير من مكانة التفاضلاني
والدهواني واضربا وهو مع ذلك مطلع على آراء الفلاسفة الغربيين مباشرة لمعرفة
باللغة الفرنسية . يقال ان ظهوره على خصومه انما كان بسبب معرفته هذه اللغة
(هذه الرسالة كتبت قبل وفاة الاستاذ الامام)

لا تظن أيها القاريء لما قلت لك أن خصومنا يستظهرون علينا بالعلوم الحديثة .
اني اذهب الى مضادة هذه العلوم للدين الاسلامي . انا لا أقول بهذا . كون
الاسلام مجامعاً للعلوم ولائها للدين الصحيحة ثابت بشهادة جم غفير من الفلاسفة
والعلماء الراشدين أيضاً بعد ثبوته في نفسه . غير أنني أقول : لا يبعد أن يستفيد
خصومنا من جهلنا في المناظرة الدقيقة أيضاً كما أنهم يستفيدون منه كثيراً في الشؤون
المتخلفة الاخرى . اذ هم لبراعتهم في أساليب المناظرة واطلاعهم على ما نحن غافلون
عنه بعد يقدرون على إبراز ما يكون حجة عليهم في صورة الحجة لهم . وجهلة القول :
اننا لا يمكننا أن نفتخع بحرية المناظرة اتقاعاً يذكر ما دمنا غافلين عن اسرار
الكون وسنن الطبيعة ومعرضين عن تحصيل الطبيعيات والعلوم الحديثة بأسرها

منهجها

(لرسالة بقية)

موسى عبدالله القزاني

محمد فريد أفندي وجدي في الدين

(فلسفة التشريع)

كتب محمد فريد أفندي وجدي صاحب مجلة الحياة منذ أشهر مقالة في بعض الجرائد اليومية قال فيها أنه سينشئ مدرسة يدرس فيها العلوم العليا من كونية واجتماعية وعمرانية ومن ذلك جميع العلوم الطبيعية والفلسفية بأنواعها الخ أي أنه سيقوم وحده بما تريد لجنة (الجامعة المصرية) أن تبدأ به وتري ما للديها من مال الا ككتاب وهو عشرات الألوف من الجنيهات وما وقف على الجامعة من الاطيان لا يزال غير كاف للشروع في هذا القسم العالي، ولكن فريد أفندي وجدي سخي بانو عود وقد تبرع له سيد أفندي محمد صاحب المدرسة التحضيرية بحجرة من مدرسته وفي بها وعده فهذه الحجرة هي مدرسة العلوم العليا. وقد شرع فريد أفندي في إلقاء الدروس فيها ونشر الدرس الاول من علم فلسفة التشريع في جريدة المؤيد ثم في مجلته فتدكرنا بقرائه تلك المقالات التي كان ينشرها في المؤيد عن الاسلام اذ جاء فيه بمثل ما جاء فيها من أمور تعزى الى الاسلام وهو لا يعرفها وفلسفة فيه لا يرضاها. وكان خطرنا أن نتقذ تلك المقالات قايما بفرضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولكن عرض لنا أمور ثنت عزمنا عن ذلك منها الرغبة عن انتقاد فريد أفندي لقائه ولأنه صاحب مجلة ولا نحب أن يكون بين أصحاب المجلات مثل ما بين أصحاب الجرائد من المناقشات التي لا يؤمن أن تصير من قبيل المراء والمشافهة. تركنا الرد على ما جاء في تلك المقالات من مخالفة أصول الدين والنفس نحاسبنا على ما فرطنا وتغذر عن تفریطنا بان تقع خطأ الناس والرد عليه غاية لا ندرك ولا يستطيع القيام بها واحد وهو من فروض الكفايات ولكنها ليست مطلقة بأن هذا المذنب يرضي الله تعالى مع ما ترى من سكوت العلماء في هذا العصر عن انكار المنكر ثم عرض لنا مثل هذا عند ما قرأنا درس فلسفة التشريع وإن كان الخطأ فيه دون الخطأ في تلك ثم جزمنا بأن الانتقاد واجب علينا فبادرنا الى كتابة هذا النقد فسي أن ينظر فيه وصيغنا فريد أفندي بين الانصاف

في هذا الدرس أو المقالة كثير من الأمور المنتقدة وأهمها عندنا ما قاله في «التشريع» وكون الوحي هو أصل الشريعة عند المسلمين . وقبل البحث فيها نقول كلمة لا يد منها في انتقاد عبارة فريد أفندي وهي أن القاريء لها لا يكاد يفهم منها معنى محمداً يجهز بأنه هو مذهب الكائن ومراده بل يجهز فيها من التعارض والابهام والصلطة ما لا يجهز معه بالمعنى المراد . ومثل هذا مما يتعسر تقديمه ويسهل الجدل والمراء فيه ولم أذكر هذا إلا لأن الضرورة قضت بذلك كما ستعلم

بدأ المدرس المقال بقوله «لم يمتن المسلمون في الصدر الأول بشيء» بعد تقرير الأصول لدينية بقدر ما اعتنوا بالأمور التشريعية « وفيه ان المسلمين لم يكن عندهم شيء يعبر عنه بالأمور التشريعية غير ما شرعه الله لهم من الدين على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى (١٨:٤٥) ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) وفريد أفندي جعل المسلمين شارعين وقلدك قال بعد ما تقدم « ثم لما اتسع نطاق العمران واستدعت الأحوال تدوين شريعة شاملة لجميع الأصول والفروع اقتضت الحاجة ان ينبغ المشرعون الاولون من المسلمين كالأوزاعي والشمسي وسعيد بن المسيب وأبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد » الخ ثم قال « فاختلف المشرعون الاولون » وقال « فظنوا يشغلون بأمر التشريع والتقنين » وقال « فاستحال أمر المشرعين » والصواب أن هؤلاء لم يكونوا الارواة للحديث ومستنبطين منه ومن الكتاب أي مبينين ما يفهمونه منها للناس وناقلاً الشريعة ومفسرها لا يسمي شارعاً (ولا مشرعاً كما تقول الجرائد الآن) وإنما الشارح والمشرع (أو المشرع) هو واضع الشريعة ويطلق الشارح في كتب المسلمين على الله تعالى لأنه واضع الشرع وعلى النبي صلى الله عليه وسلم لأنه مبينه عن الله تعالى ولم يعرف الامته . نعم يصح استعمال هذه الالفاظ في غير هذه المعاني لغة لاسيما لفظ التشريع فإنه يستعمل عند علماء الفنون العربية اسماً لنوع من محسنات البديع ولكن الموضوع ليس لغوياً وإنما الكلام في الشرع الاسلامي فينبغي فيه اتباع اصطلاح أهله المأخوذ من القرآن إلا أن يخرج المشكك عن صراطهم ويجعل الشرع من وضع البشر

قال فريد اندي في الأئمة الذين تقدم ذكرهم « فظلوا يشتغلون بأمر التشريع والتفتين ويقدون ذلك القروس الحافظة حتى جاء القرن الثالث وكان قد طرأ ضعف في أمر الحكومة انتقلت به الى شكل حكومة مطلقة مستبدة بد أن كانت شورى دستورية... فاستحال أمر المشرعين الاسلاميين الى حفظه أقوال المتقدمين وبطل الاجتهاد لعدم نبوغ العلماء الصليحين وأصبح رجال العلم تبعاً لرجال السياسة في الاهواء والميول فتوالى الضعف على هيئتهم شيئاً فشيئاً حتى تولاها العجز بأخص معانيه فاصطلحوا على عدد من الكتب يقرؤونها ويجهلون عباراتها بدون تفقد ولا محاسبة وصار هذا معنى الدين والمحك بالسنة في نظرهم »

أقول يفهم من قوله السابق « ثم لما اتسع نطاق العمران » الخ وقوله هذا ان تدوين الشريعة أو التشريع على رأيه قد كل في وقت اتسع العمران قبل تحول الحكومة من الشورى الى الاستبداد . ونحن نعلم أنه لم يدرك حكومة الشورى من أولئك الفقهاء أو المشرعين على رأيه الاسميدين السبب لانه تابعي وله في خلافة عمر وهو لم يدون شيئاً والباقيون كانوا في زمن بني أمية وبني العباس وحكوماتهما استبدادية بلا نزاع على ان العمران كان في زمنهما أكثر نمواً . ثم ان علماء القرن الثالث لم يكونوا كما ذكر بل ولا القرن الرابع ولا القرن الخامس فالفقه ما اتسع نطاقه الا في هذه القرون وان كان الفضل للمتقدم ولعلنا نبين ذلك ان مارانا فيه مآر

ثم قال فريد اندي « نحن في هذا الدرس سنعمل على فهم ما هي الشريعة في الاصطلاح الاجتماعي وكيف تكونت الشرائع في مدى التاريخ وكيف ترفت أصولها حتى وصلت الى أرقى ما وصلت اليه اليوم وكيف تكونت الشريعة الاسلامية القرآنية وما مكانها من بين سائر الشرائع وما معنى كونها خاتمة الشرائع وما ذا هو الاجتهاد وكيف حصل الاستنباط الخ ولنا في كل مبحث من هذه المباحث كلام في فلسفة الموضوع الذي نكلم عليه وآخر ما انتهى الرأي اليه وتطبيق ذلك على روح القرآن واظهار اعجاز الشريعة الاسلامية من هذه الوجوه بأصرح بيان » اهـ

ونقول هذه بضعة وعود منصوبة وأشار برمز «ألج» الى وعود أخرى وبني على الوعود وعوداً ولم يف بها وعداذا لم يكن باقي الدرس الا كلاما في السبل يثله كلام في معنى كون أصل الشرائع من الوحي وإيراد اعتراضين على ذلك غير واردين والجواب عنهما بما لا يدفهما ، وكلام في بناء القوانين على الاخلاق وقد ذكرتنا هذه الوعود بقول الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في كتابه فريد اخذني انهما «مقدمات وعود»

مرّف السبل بأن ما أدى اليه العقل من الاحكام وهذا غير صحيح لان الاحكام التي وصل اليها الناس بقولهم منها ما هو عادل ومنها ما هو جائر والحال كون بها منهم العادل ومنهم الظالم فالعدل أمر آخر لا محل لكلام فيه هنا ولم نذكره لأنه مقصود بالذات وانما ذكرنا لأنه جاء عقبه بما يأتي

« هنا يلزمنا أن نقبّه الى موضوع خطير وهو أن متشعري أوربا عامة يسيون علماءنا في اعتقادهم بأن أصل الشرائع الوحي ولهم في ذلك علينا مطاعن في غاية الصرامة ونحن هنا لمانص لنا من حل هذه الشبهة فنقول : القرآن الكريم توسع في معنى الوحي فلم يقصره على النبيين بل أطلقه على أدنى درجات الانسياق الطبيعي الحيواني فقال تعالى (واذا أوحى ربك الى النحل أن اتحلّ من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يمشون) واذا صح إطلاق الوحي على هذا الانسياق الفطري الحيواني صح من باب أولى إطلاقه على نتائج العقل الانساني لأن الله خالق كل شيء ، والباعث على كل شيء ، فيكون لاتناهي بين قول متشعري أوربا بأن الشرائع أصلها العقل وبين قول علماء الاسلام أن أصلها الوحي ، اذا لم يقبل العلماء هذا الحل الموافق للكتاب والعلم فقد تعرضوا شبه لا تخلص لهم منها وهي :

(أولا) لو كان أصل الشرائع الوحي بمعناه السامي لزلت الشرائع الاولى حاصلة على العدالة بمعناها الخاص والمُشاهد بين حوادث التاريخ أن الشرائع بدأت مناسبة لعقل الانسان وسذاجته ونقص أخلاقه والله يتنزه عن ذلك (ثانيا) في الارض أم كثيرة في أدنى درجات التوحش ولديها شرائع على حسب مداركها مطابقة في أصولها الاولى لشرائع الجماعات البشرية الاولى فلماذا نحكم

بان شرائع التوحشين المصريين هي من تلقاء أنفسهم وتلك الشرائع هي من الوحي مع تشابهها في النقص والسذاجة . اهـ

اقتصر فريد افندي لملأنا قولاً لم يقلوه ولا قاله أهل مذهب منهم وأورد عليه مطاعن عزها الى الاوربيين ، ليدافع بكشف شبهتها عن الاسلام والمسلمين ، فكان دفاعه لوصح ما يسبق الى الاذهان منه - من قبيل تلك المطاعن أو أشدها

الظاهر من عبارة فريد افندي الذي يفهم منها القارئ هو ان الوحي أصل لكل شريعة وجدت في البشر فكانت قانوناً يحكم بها الناس فيما يختلفون فيه فلي هذا يكون مما يمتد المسلمون أن الاحكام التي كانت عليها العرب في الجاهلية وكذا غير العرب من الوثنيين - كلها مبنية على أصل الوحي الالهي وانه يقول ينقضه الاسلام بكتابه وسنته ومذاهب أئمة قضاة وأما يقول المسلمون كافة ان الشرائع التي جاء بها الانبياء عليهم الصلاة والسلام هي من وحي الله تعالى لامن مخترعات عقولهم كما قال تعالى (٢ : كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأتزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه)

فاذا كان فريد افندي يريد من عبارته ما يدل عليه ظاهرها وهو ان المسلمين يقولون ان أصول جميع الشرائع كان وحي من الله حتى شرائع الوثنيين المنحطين في الوثنية أو الذين ارتقوا فيها كقدماء المصريين والكلدانيين والرومانيين ثم يقول ان علماء أوربا يوجهون اليها تلك المطاعن لاجل ذلك فقد أعلمناه أن هذا باطل وزيد على ذلك ان الاوربيين لا ينسبون اليها هذا الاعتقاد ولا يعطون علينا به . ولو طعنوا لما دفع قوله طعنهم لان الوحي لا يصح اطلاقه على نتائج العقول ومآثره الافكار وان صح اطلاقه على الالهام الفطري

وان أراد بأصل الشرائع ما يمتد المسلمون أن النبيين المرسلين جاؤا به عن الله تعالى ودعوا الناس اليه على أنه وحي من الله لامن عند أنفسهم فقد صدق في حكمائهم اعتقادنا وان علماء أوربا يعطون علينا بهذا الاعتقاد بل لا يعطون علينا الا باعتقادنا أن أصل شريعتنا نفسها وحي من الله دون شريعة اليهود مثلاً وحينئذ يكون دفعه لهذه المطاعن بما فسرته الوحي هو عين الهدم لاصل الاسلام

والتكذيب للرسول عليه الصلاة والسلام لأن ما نطق به القرآن وانفقد عليه
الاجماع هو أن الرسول صلى الله عليه وسلم ما جاء بهذه الشريعة من عنده وليست
من نتائج عقله وفكره وإنما يقول بهذا من يسكرون الأديان ويدعون أن الأنبياء
فلاسفة أخلاق وآداب واجتماع أسندوا فلسفتهم إلى الوحي الإلهي ليقبلها الناس
ولهذا رجحنا أن الاحتمال الأول هو صواب فريد أفندي وعليه يكون خطئنا
في عزوه إلى المسلمين مالا يعتقدون وإلى الأفرنج مالا يقولون ، (لأن ما نبى على
الفاسد فاسد) وقصر في سكونه عن بيان شبهتهم على شريعتنا وعن دفع هذه
الشبهة وما يريد الترجيح تصرّحه بأن الوحي معنى خاصا غير ما فسر به أصل
الشرائع وقد عبر عن هذه الشرائع بالناقصة وإنما ذكرنا الاحتمال الثاني لما علمت
ولكن انظر ما يأتي

قال فريد أفندي «فإن قال قائل قد ثبت شرعا أن أول البشر آدم عليه السلام
وهو نبى بالاجماع وقد ذكر الله أنه أوحى إليه وعليه فيكون أصل الشرائع الوحي
بالمعنى الخاص : تقول إن صح أن إجماع الله لا آدم كان بالمعنى الخاص ولم يكن
بمعنى الإلهام والنفس في الروع من طريق مقتضيات الفطرة الإنسانية فإن الله
لم يذكر أنه أوحى إليه شريعة بل لم يكن الحال يقتضي ذلك في ذلك العهد لقلة
الناس وقربهم من حالة الفطرة ، الخ

وقول أنه بعد أن ذكر أن آدم كان نبيا بالاجماع ما كان له أن يزتاب في كون وحي
الله له - وقد اعترف بأنه ثابت - من الوحي الخاص لا من قبيل الوحي إلى النحل
فهذه سقطه كبيرة . وقوله إن الحال في عهده لم تكن تقتضي شرعا لما ذكره ظاهر
البطلان فإن القليلين يتنازعون ويتخاصمون كالكثيرين فيحتاجون إلى من يحكم
بينهم بالحق والعدل وقد ثبت أن أحدا بناء آدم قتل أخاه ولم يمنعه القرب من الفطرة
عن ذلك فإذا قول فيما دون القتل من أنواع الخصام ؟ ثم ما يدرينا أن آدم عاش عمرا
طويلا كثر الناس فيه فإن طبيعة الأرض كانت في عهده غير طيبة لها الآن فيما يظهر
بل ثبت بالوحي أن نوحا عاش نحو ألف سنة لأن طبيعة الأرض قبل الطوفان كانت
غيرها بهده وأمزجة الناس كانت قابلة لذلك على ما هو المرجح عندنا والله أعلم بالصواب

ثم ختم فريد أفندي دوسه بأربع مسائل قال أنه يمكن جعلها نتائج له وهي (١) ان العدالة في الأمة تكون مناسبة لماداتها واخلاقيها و (٢) أن الأمم تتكون على النظام الذي تدرك به نفسها . و (٣) أن كل نرق أخلاقي يتبعه نرق تشريعي و (٤) ان « الشريعة لا تنصل الى أوج كمالها في أمة الا اذا كانت المساواة بين الافراد بالغة حدما الاقصى أي اذا نرقت فيها الاخلاق لدرجة ان الرجل منها يعتبر غيره نظيره وهذه هي الحالة الوحيدة التي يخلص فيها العقل من أهامه الاجماعية فيواجه الطبيعة الحقة للحوادث ويتوكل لها زمامه لتعوده الى العدالة المحضة »

(قال) « من هنا يرى الراي كيف ان كل انقلاب حدث في اخلاق أمة يتأدى بطبيعته الى انقلاب في شريعته . ويدرك تبعاً لهذا فساد الاحكام وبهدمها عن العدالة في بعض الامم المتدنية التي تقرر مبدأ التمايز في أفراد الجمعية فتهب بعضهم حقوقاً تسلبها عن الآخرين باعتباريات دينية

» هنا نستلفت نظر القارئ الى أمر خطير يدل في احواله على أن الشريعة الاسلامية هي اعدل الشرائع وأرقاها بحكم أكبر أصل من أصول فلسفة التشريع . وذلك أن هذه الفلسفة تقرر بأن الشريعة لا تنصل الى أوج الكمال الا اذا كانت المساواة تامة بين الأفراد . وهذه الشريعة الاسلامية مبناها (اتما المؤمنون إخوة) فلم تقرر في أصولها أدنى امتياز لأي طائفة فتكون بهذا الدليل الاجمالي اعدل الشرائع وسترى في التفصيل المعجب المعجب « اه كلام فريد أفندي أقول لو أحنى المنتقد لهذه الجملة لامكنه ان يكتب في انتقادها عدة أوراق

ونكتفي بذكر المهم عندنا من ذلك وهو ما يتعلق بالشريعة الاسلامية انه جعل كمال الشريعة تابعاً لكمال الناس في أنفسهم ولما نزلت الشريعة الاسلامية لم يكن الناس الذين أنزلت لأجل الحكم بها بينهم أولاً في ذلك الأوج من الارتقاء فكيف بنى قضاياها على هذا الأصل

ثم من هي الأمة المتدنية التي وصفها بفساد الاحكام وبعدها عن العدالة لتقريرها مبدأ التمايز بين الافراد بالدين ؟ اليهود ليس لهم حكومة والتعماري جعلوا أحكامهم مبنية على العقل وشهد هو للأدريين منهم بالارتقاء العظيم . فهل ينبغي

بعض الوثنيين ولم لم يشر الى ذلك . وما ذا يقول في مثل جبل الخلافة في قر يش
وفي أحكام شهادة غير المسلم على المسلم في الشريعة الاسلامية
وهل الشريعة الاسلامية خاصة عند المؤمنين بها أم يحكم بها بن غير المؤمنين
بها ؟ واذا قال بالثاني فهل أخوة المؤمنين لبعضهم البعض تقتضي مساواتهم لغيرهم
من يحكم بها أم لا ؟ فان اعترف بأنها لا تقتضي ذلك فكيف يتم قوله
ان رأيه في ارتقاء الشريعة ووصولها الى أوج الكمال إنما يصح في القوانين
الوضعية التي ترتقي بارتقاء الواضعين لها في أهمهم وفي أنفسهم . وأما الشريعة
الاسلامية فانها قواعد وأحكام أنزلها الله كاملة لأجل ان يكون ارتقاء الناس
تأبها لها فكان كمال المؤمنين باتباعهم لها ولم يكن كمالها هي تأبها لكمالهم
هذا ما رأينا ان ننبه عليه ونحتم الكلام ببيان ان سبب هذا الخطأ وأمثاله
فيما يكتبه محمد فريد أفندي وجدي من المباحث الاسلامية هو عدم تلقيه علوم
الدين عن أحد من العارفين به نفسى ان يحمله ما يرى من انتقاد كلامه في الدين
على مدارسة المهم من علومه والله الموفق



أَشَارَاتُ عَلَى الشَّرِيعَةِ

صدى مقال المنار في دعوة العلماء الى نصيحة السلاطين
(وشهادة موسيو وامبري للإسلام)

ترجم بعض فضلاء الترك مقالنا (حال المسلمين في العالمين ودعوة العلماء
الى نصيحة الامراء والسلاطين) احدى كتيباته في الجزء الخامس من مجلد المنار
التاسع (ص ٣٥٧ م ٩) باللغة التركية وطبعه بالقنئين ووزعه في بلاد كثيرة
فكان له صدى استحسان واعجاب من أصحاب الافكار المستقلة من الترك وغيرهم
كما اكبروه كثير من كتاب العربية وأظهروا استحسانه في الصحف المنشرة كالمتلف
بصر ومراة الغرب في امريكا الشمالية والمناظر في امريكا الجنوبية . وكتب

الينا غير واحد من كبار التوك كتب الاستحسان والشكر
وقد أرسل منوجم المقال نسخة منه الى العالم المجري الرحالة الشهير موسيو
(وامبري) العالم بالتركية وكثير من اللغات الشرقية فكتب اليه وامبري رقعة
قلنا صبرتها بالانكشاف وهذه هي ويلها ترجتها



The Reverend

Mr. Digeli Riza bin Osman Efendi
Professor in the English School of Cyprus.
Cyprus (Cyprus)
نصليتلو: اتشم عزيمى

ذات مقامه كرك: هتى و عريف اليه ترجمه بولنش
زباله واكل بخت اليه اوفوم واقعه مقبره وازدر
طل يا ساجده زو يا حصص عظمى ملت نجيبه سنى اعظم
واستبداد الله يعنى ورطه هلاكه كره قوزارغى بيله
اولى عالم ايشير به حيث اسلم وشهره اسطى
فى اعياء ايدى اديت درو الله استقبالى تامة ايجبه
انفقا ديفت اوله بيلور ياسته انكه ايجبه ملنكره اير
قد كيت ايجبه وجرى سكره وقرصتى بوشن كجه انكره وركه
خوبه ليه عالمه وراشهره ايجبه بيم افغى

بطله كركه بيم بيم
وامبري

بغاية التدقيق قرأت الرسالة التى ترجمتموها لقد أصبحت فى أن اقفاذ الامم
الاسلامية وسيمما العشاية من الظلم والاستبداد هو من عمل العلماء قبل كل أحد .
إن روح نظام المسلمين هو الدين ، والذى أحياهم هو الدين ، والذى يكفل

سلامتهم في المستقبل هو الدين ليس لا . ولهذا أتم خدمتم ملككم جيداً (بهذه الرسالة) ومتى سنحت فرصة سأنشر رسالتكم في الجرائد الافرنجية
عبد ملككم القديم
وامبروي

﴿ فرائد اللغة العربية ﴾

الكلم الذي يؤدي معاني الجمل

(أبد) : الشاعر - كضرب - أتى في شعره بالعويس وما لا يعرف معناه
(أبر) : الرجل الكلب - كنصر وضرب - اطعمه الأبرة في الخبز، وهكذا
كانوا يشتقون من الأسماء الجامدة ما تعرض له الحاجة ويجب أن يكون هذا مقبوساً
كما هو مقتضى الطبع في كل لغة حية ومنها لغة العامة فانهم يشتقون بالسليقة من غير
تكلف ولا مواضع، يبدأ باشتقاق الكلمة من فترض له الحاجة إليها أولاً من غير
أن يفكر أنه زاد في اللغة كلمة أو كلمات ويسري ما يشتقه بين الناس كأنه قديم
لا يلتفتون إلى حدونه ولا يسندونه إلى أول من تكلم به
(أز) : الانسان - تضرب - استراح في عدوه ثم مضى
(أقلت) : المرأة - كضرب - وآتلت وأيقنت: ولدت الولد منكوساً وهو ان
نخرج رجلاه قبل يديه

(أبدأ) : الصبي خرجت أسنانه بعد سقوطها

(البدن) : السيد الأول في السيادة (الثنيان) الذي يليه في السؤدد فلا يقال
البدن إلا فيمن انتهت إليه الرئاسة في قومه . قال أوس بن معمر السعدي يفخر
ثنياناً أن أنام كل بدأهموا وبدؤهم أن أناما كان ثنياناً
والبدن أيضاً الشاب العاقل المستجاد الرأي، والعظم عا عليه من اللحم . والمفصل
(البدني) : والبدني البئر الإسلامية أي التي حفرت في الإسلام فهي حديثة
غير عادية كذا قالوا والصواب أنها البئر الحديثة التي يعرف حافرها أو مالكتها في
أي زمن وأية أمة
(الحنية) : البئر القديمة التي يعرف حافرها كزمزم

(القلب) البئر القديمة التي لا يعرف لها رب ولا حافر
 (الركي البدي) هي البئر ماؤها ظاهر بارز . وهو على حد عيشة راضية
 (الركي القامد) هي البئر المغطى ماؤها بالتراب
 (الركي البكي) وينال ركية بكية اذا نضب ماؤها وهو تشبيه بالناقة القلبية
 الذين وأصله بكية . يقال بكوت الناقة اذا قل لبنها ويقال بكوت عيني اذا قل
 دمعها وهو مجاز
 (البراء) بالفتح كماء أول ليلة من الشهر وبين البراء أول يوم من

الإنجيل الصحيح

(أو إنجيل برنابا)

لعل قراء المنار يذكرون أننا نشرنا في المجلد السادس ترجمة مقدمة كتاب
 الفيلسوف تولستوي الروسي المسيحي لكتابه الذي ساء (الأنجيل) تحت عنوان
 (الأنجيل الصحيح) ونريد لهم الآن من تلك المقدمة الطويلة المنشورة في عدة
 أجزاء هذه الجملة الوجيزة :

« ولا ينبغي لقارئ أن ينسى أن هذه الأنجيل بشكلها الحاضر لا تتضمن
 أدلة شهادة الحوارين وتلاميذ عيسى مباشرة وإن القول بذلك من الحرافات
 التي لا تنصير على محك النقد فضلا عن عدم بنائها على أدنى أساس سوى رغبة
 نفوس أرباب التنقيح والورع في أن تكون كذلك . فقد نالت القرون والناس
 يدنون الأنجيل ويهذبون موضوعاتها ، ويتوسمون في عباراتها ، ويشرحون
 أحوالها فإن أقدم النسخ التي وصلت إلينا قد تمت كتابتها في القرن الرابع قبلاد
 وهي مكتوبة على نسق واحد من أولها إلى آخرها أي بلا فواصل ولا غير ذلك
 من الاشارات التي تستعمل لإيضاح الكلمات وبيان الجمل . ولذلك دعت
 الضرورة حتى بعد القرنين الرابع والخامس إلى تفسيرها بطرائق متخالفات من كل
 الوجوه وصارت نسخ هذه الأنجيل تقارب التحسين ألفا »

هذا ما قاله الفيلسوف ونقول إن رجال الدين قد اختاروا من بين الأنجيل

الكثيرة تلك الاربعة المشهورة ورفضوا ما سواها بالتدريج و يقال أن بعض مذاهب النصرانية القديمة كانت تمسك ببعض الاناجيل المرفوضة عند أهل المذاهب المعروفة الآن

ومن الاناجيل التي رفضتها الكنيسة انجيل برنابا أحد حوارى المسيح عليه السلام وقد قد كثير من الاناجيل المرفوضة بتتبع الكنيسة لها وقضائها عليها أو اخفائها لها ولكن انجيل برنابا ما بقي تحت حجاب الخفاء ، حتى لم يطلع عليه الا بعض الباحثين من العلماء ، وما زال هؤلاء الباحثون الذين لا يصدم شيء عن احياء الآثار القديمة يتوقعون العثور بنسخة من هذا الانجيل لينشروها بين الناس حتى صدق عليهم قول الشاعر

وقل من جد في أمر يحاوله واستعمل الصبر الا فاز بالظفر

ظفروا بنسخة باللغة الطليانية كانت قد سرقت من مكتبة (الفاتيكان) التي يوجد في خزائنها السرية من الكتب مالا يوجد في غيرها لما كان لبابوات الدين جمعوها من التفرغ والسلطان في الممالك النصرانية

ترجمت هذه النسخة بالانكليزية وطبعت في هذا العام بمدينة (أو كسفورد) بالفرنين مما وتفضل الطابع لها باهدائنا نسخة منها فشكراً له

وأيتا هذه النسخة توافق الاناجيل الاربعة المشهورة في كثير من مسائل التاريخ والارشاد ومخالفها في أهم القواعد والمسائل كالتعبير عن المسيح عليه السلام بعد الله ورسوله وبيان أنه لم يصلب والبشارة الصريحة عنه بمحمد صلى الله عليه وسلم والتصريح بكون القديح اسماعيل لا اسحق (عليهما السلام)

أردنا أن نجي هذا الأمر بلفتنا كما أحياء الافرنج بعض لغاتهم (ولا بد أن يحويه سائرنا) فكلنا صاحبنا الدكتور خليل بك سعادة أن يترجمه لنا بالعربية لما نهجد فيه من البراعة في اللغة الانكليزية فطفت يترجم وأنشأنا نطبع شركة بيننا واخبرنا أن تكون الترجمة عن الانكليزية حرفية لا تصرف فيها ولكننا زدنا على الاصل عدد الجمل بالارقام لكل فصل لاجل سهولة المراجعة عند النقل منه ولا يلبث الافرنج أن يخلصوا ذلك . وهالك ما قاله برنابا في مقدمة انجيله كما جاء في الاصل :

« الانجيل الصحيح ليسوع المسمى المسيح »

« نبي جديد مرسل من الله الى العالم كما رواه »

« برنابا رسوله »

برنابا رسول يسوع الناصري المسمى المسيح يتمي لجميع أهل الارض
سلاماً وتغزية

أيها الاعضاء ان الله العظيم المجيب قد بعث الينا في هذه الايام
الاخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها
الشیطان ذريعةً لتضليل كثيرين تحت ستار التقوى مبشرين بتعليم شديد
الكفر داعين المسيح ابن الله رافضين الختان الذي أمر به الله دائماً
محوزين كل لحم نجس الذين ضلّ من عدادهم أيضاً بولس الذي لا أنكلم
عنه الا مع الاسى وهو السبب الذي لاجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته
وسمته اثناء معاشرتي ليسوع لكي تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فهلكوا
في دينونة الله وعليه فاحذروا كل أحد يشركم بتعليم جديد مضاد لما
أكتبه تخلصوا خلاصاً أبدياً

وليكن الله العظيم معكم وليعزكم من الشيطان ومن كل شرّ آمين اه
أقول ومن المأثور عن القوم ان بولس أدرك برنابا وسافر به الى بعض
البلاد التي نشر فيها تعليمه وفلسفته الدينية فالظاهر من هذه المقدمة ان
برنابا لما رآه خالف ما يعرف هو عن المسيح بالمشاهدة والتلقي فارقه وكتب
هذا الانجيل لاجل بيان حقيقة مادما اليه المسيح وما بشر به

حياة الزوجين

كتاب « اجتماعي أدبي اشتمل على آداب حياة الزوجين وما يجب على كل منهما نحو صاحبه وعلى ما تضمنته أسفار الحكماء واسطورات العلماء ما تنضج به مناهج السعادة وقواعد المناء لما تأليف مصطفى (أفندي) عبد اللطيف أحد موظفي مصلحة البوستان المصرية بالقاهرة »

إذا نظرت في فهرس هذا الكتاب رأيت من أسماء المباحث فيه ما تقول إنه ينبغي لعامة القراء أن يطلعوا عليه كالإكلام في الزواج وفوائده ومبادئ الزواج المشروع وماذا يجب على المرأة لزوجها من الطاعة والنشاط وحسن الخلق والبشاشة والظافة والاقتصاد وغير ذلك ، وما يجب على الرجل لزوجته أيضا . وبلي ذلك باب الرضايا وفيه إحدى عشرة وصية وفيه بحث تأثير المرأة في الهيئة الاجتماعية وبحث تربية البنات وجوب تعليم المرأة وهو فصل في فصائح فيلوف لبنته وبالها من فصائح حكيمة

لم يستبد مؤلف هذا الكتاب برأيه فيما كتب بل اقتبس من الكتب والمجلات فوائد كثيرة منها ما هو له مني ان يمزج الى المار منها تلك العبارة التي ترجمها الاستاذ الامام عن مذكرات البرنس سبارك فمن اطعم على هذا الكتاب الموجز قرأ مالا يقيس له الاطلاع عليه غالباً إلا اذا كان مقتنيا لاشهر المجلات العربية . وانا بروية فهرسه وتصفحه بعض صفحاته نحكم بأن ما فيه من الفوائد النافعة مما ينبغي أن يذاع ويقرأ في البيوت على النساء والبنات ويباع في مكتبة المثار وغيرها من المكتبات الشهيرة ومن النسخة منه خمسة قروش صحيحة

أحوال الجرائد في تاريخ الاستاذ الامام

أصدرنا جزء المنشآت وجز التآيين والزئاء من هذا التاريخ معا وان كان قد تم طبع أحدهما قبل الآخر بعدة أشهر وأهديناهما الى الجرائد اليومية بالقاهرة في يوم واحد واننا قد كرر بعض ما كتب عنه في جرائد المسلمين والقيط والسوريين

ثم نذكر ما كتبه جريدة روسية عن الجزء الثالث لمختبر القارىء الماقل ببارى من الاختلاف فيها

قالت الجريدة في ع ٨٨ الصادر في ١١ ج ١ سنة ١٣٢٥ و ٢٢ يوليو سنة ١٩٠٧

تاريخ الاستاذ الامام

نم الآن طبع جزئين من هذا التاريخ الذي كان يترب ظهوره كل مصري يعترف بفضل المرحوم الشيخ محمد عبده وليس المعروف به قليلين

هذان الجزءان هما الثاني والثالث اما الاول فسيتم طبعه في هذا الصيف .
والثاني يحتوي على بعض رسائله ومقالاته التي نشرت في الجرائد ولوائحه في اصلاح التربية والتعليم الديني ومدافسته عن الدين ورحلته الى صقلية وعلى كتبه ورسائله الى العلماء والفضلاء في الموضوعات المختلفة وعلى بعض حكمه المنشورة والثالث يحتوي على تأييد الجرائد والفضلاء وسرايى المهين من الادباء جمعها الفاضل الشهير الاستاذ السيد محمد شيد رضا أحد كبار تلاميذ المرحوم الاستاذ الامام . وهو يكتب الآن الجزء الاول الذي يحتوي على سيرة المرحوم وترجمة حياته ان الامام رحمه الله شغلته الشاغل الكثيرة المتعلقة بالخدمة العمومية عن التأليف ولكن هذا الجزء الثاني المحتوي على مكتوباته المتنوعة يهدينا مؤلفا كبيرا من ذلك القلم الذي بعث روح حياة جديدة في الافكار في هذا القطر ولذا يقابل جمع السيد رشيد لأشياء هذه المكتوبات بالثناء العاطر من قبل الذين شغل فؤادهم حب المرحوم

أما الجزء الثالث فلنا منه سفر جامع لتخب الشعر والنثر جدير أن ينفع بمطالعة المتأدبون وهذا الجزء الثالث مصدر برسم المرحوم أما الثاني فغير مصدر به وهذا ما نأخذه على جامع الكتاب فمضى ان لا يحرم قراء الاول من مشاهدة مثل تلك الطلعة الكريمة

وقد وضع له الجامع الطابع قيمة رخيصة كأنه رأى ان كل قيمة مادية لا تعادل قيمته المعنوية فأحب ان يعم فائدته بتخصيص قيمته المادية فباع الجزءان بخمسة

وعشرين قرشاً وفيها نحو من ألف صحيفة ويباع الثالث وحده بعشرة قروش والثاني وحده بخمسة عشر قرشاً وعمل يعمها مكتبة المنار بشارع درب الجمالين

وقالت جريدة الجوائب في ع ١٣٢٢ الصادر في ١١ ج ١

تاريخ الاستاذ الامام

رحم الله الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده كم ففع الناس في حياته وبعد مماته مات الاستاذ فتمر العالم كله بفداحة الخطب، وحزن عليه الشرق والغرب، وكيف لا يعرف الاستاذ الامام أحد وهو ذلك الرجل الذي وطد دعائم العلم وفك الافكار من قيودها الثقيلة؟ وأحيا الفلسفة الشرعية بعد موتها؟ وملا مصر نورا؟

وقد اعنى حضرة الاستاذ العلامة الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة المنار الفراء بمجم ماوصلت اليه يده من فلسفة الاستاذ الامام وكتاباته التي في الفنون الاخرى ومرآتي الأدياء والشعراء والصحف العربية والتركية والفارسية والاجنبية على اختلاف لغاتها ومنازعها

وقد جاءنا الجزء الثاني والثالث من هذا التاريخ المجيد

وفي الجزء الثاني بعض رسائل الاستاذ الامام ومقالاته التي نشرت في الصحف ولوائحه في اصلاح التربية والتعليم الديني ومدافعته عن الدين ورحلته الى صقلية وكتبه ورسائله الى العلماء والفضلاء في الموضوعات المختلفة وعلى بعض حكمه المشورة . وثمنه ١٥ قرشاً صاعاً وأجرة البريد ٣ قروش

وفي الجزء الثالث تأبين الصحف والكبراء والفضلاء ونموذج من تهذيبي أهل الاقطار والامصار ومرآتي الشعراء وثمنه ١٠ قروش وأجرة البريد ٣ قروش أما الجزء الاول فلم يتم طبعه الى الآن وسيتم ان شاء الله في القريب من الوقت وفيه تاريخ حياة الاستاذ الامام وفلسفته وحكمه العالية وهو أم الاجزاء الثلاثة على ما نظن

والجزء الثاني والثالث يباعان في مكتبة المنار بشارع درب الجمالين

وقالت جريدة المقطم في ع ٥٤٥ الصادر في ١٤ ج ١ و ١٢ يونيو
أهدى الناظر حضرة العالم الفاضل السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار
الفراء الجزء الثاني والثالث من تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده أما الثاني
فيحتوي على شيء من رسائل الامام ومقالاته التي نشرت في الجرائد ولوائحه في
اصلاح التربية والتعليم الديني وعلى كتبه ورسائله الى العلماء ورحلته الى صقلية
وبعض حكمه المنشورة وهو يقع في ٥٦٠ صفحة ذات حرف جلي وورق صقيل
وكله غرر ودرر قد خلعت الفصاحة عليه زخرفها وجلته البلاغة بمطرفها ولا غرو فان
الامام رحمه الله كان امام عصره غير مدافع

وأما الثالث فمصدر رسم الامام ويشتمل على تأبين الجرائد وبعض الكبراء
والفضلاء ونموذج من تعازي أهل الاقطار والامصار ومراثي الشعراء وما قيل في حق
الاربعة على القبر وهو يقع في ٤٢٨ صفحة وكلا الجزين يباع بمكتبة المنار بشارع
درب الجميزة فشتى على حضرة الفاضل منشئ المنار لاهتمامه بنشر أنفس الآثار

وقالت جريدة مصر في ع ٣٤١١ الصادر في ١٠ ج ١ سنة ١٣٢٥ و ٢١

يونيه سنة ٩٠٧

اهدانا حضرة الكاتب العالم والاستاذ الفاضل الشيخ رشيد رضا صاحب
مجلة المنار الفراء الجزء الثاني والثالث من تاريخ الاستاذ الامام المرحوم الشيخ
محمد عبده وهما يتضمنان تأبين الجرائد وبعض الكبراء والفضلاء له رحمة الله عليه
وأموذجا من تعازي أهل الاقطار والامصار ومراثي الشعراء وشيئا كثيراً من
رسائل صاحب الترجمة في اصلاح التربية والتعليم الديني ورحلته الى صقلية ورسائله
الى العلماء في مواضع شتى فشتى على همة وغيرة حضرة الاستاذ رشيد على وضع هذا
الكتاب المفيد في تخليد ذكر ذلك الامام ونحت جهور الادباء والفضلاء على اقتنائه

وقال المؤيد في العدد ٥٢٠٠ الصادر في ١٥ ج ١ سنة ١٣٢٥ و ٢٦ يونيو سنة ٩٠٧

محرر قريظ المفتي

«الجزء الثاني والثالث من تاريخ حياة المرحوم الاستاذ الشيخ محمد عبده»

الثاني في المنشآت والثالث في التأين والمرآني أصدر هذين الجزئين جامعهما الأستاذ الفاضل الشهير الشيخ محمد رشيد رضا منشئ المنار وهو مباشر في إعداد الجزء الاول الذي يتضمن ترجمة المرحوم المشار اليه . وربما أصدره عن قريب أما موضوع الجزء الثالث المصدر بوسم المرحوم فمعلوم كنهه لدى القراء . وأحسن ما يقال فيه أنه معرض لقرائح الشعراء والكاتب : منه تتجلى مقدرتهم ويوازن بينهم في موضوع فذواردوا عليه . ومعنى واحد كتبوا وفعلوا فيه وأما موضوع الجزء الثاني فربما كانت مضامينه خفية على معظم القراء فنحن نشير الى نموذجات منها عن كتب : الواردات في علم الكلام وهي على نمط بديع غير مألف . ومقالات ملخصة من دروس الشيخ جمال الدين الافغاني في التربية والصناعة ومنها مقالات كان ينشرها المرحوم المفتي في جريدة الاهرام منذ ثلاثين سنة في مطالب ومواضيع مختلفة . ثم مقالات له في الوقائع الرسمية تتضمن كتباً من الابحاث الاجتماعية والسياسية والاخلاقية والدينية ثم مقالات المروة الوثقى وهي أشهر من ناز على علم . ثم لوائح في اصلاح بلاد الدولة العلية . وردة على هاتونورابه في محمد علي باشا هل أصلح مصر أو أفسدها . ثم كتبه ولرسائله الى العلماء والفضلاء في سائر الاقطار

وفي نسبة هذه للمنشآت الى الأستاذ المفتي رحمه الله ما يضي عن الاسهاب في رفعة منزلتها وبيان فائدتها . وأنا لتلفت عشاق البلاغة ومحبي البحث في الاجماع الاسلامي الى هذا الكنز الثمين الآن . وربما قلنا فصولاً منه في الاعداد التالية من المؤبد فيما بعد الآن

وقالت جريدة القواء في

﴿ تاريخ الشيخ عبده ﴾

أهدانا الشيخ رشيد رضا تاريخ المرحوم الشيخ محمد عبده وهو في ثلاثة أجزاء جمع فيها كل ما قبل عن المرحوم من نشر وشعر تأييداً له بعد مماته ومفصل تاريخه وأعماله في حياته والاجزاء مبوبة تبويبا يسهل على القارئ تلاوتها ونحن كل جزء عشرة قروش ويباع بمكتبة المنار بشارع درب الجمايز

(الذار) فليتأمل القاري البصير في أقوال هذه الجرائد في الكتاب وفيمن وضع الكتاب لإحياء آثاره وذكره وليقابل بينهما مستدلاً بما على أذواق أصحابها ومحرريها وشعورهم بمجد أجدر هذه الجرائد بالثناء والإطراء على إمام المسلمين ومفخر المصريين هي (وحاشا الجريدة) أشدها تقصيراً وأبعدها عن الدقوق ^و وظلها في غمط الحق فإذا كانت جريدة المؤيد استكبرت عن تسمية التاريخ باسمه (تاريخ الاستاذ الامام) وجعلت عنوان الكلام عنه (تريظ المقي) وهو عنوان لا وجه له فإن التريظ هو مدح المحي بالحق أو الباطل - وإذا كانت لم تُعبر عن الفقيه عند ذكره بلقبه المعروف عند أهل الحافقين (الاستاذ الامام) كما يل من الجزء الثالث من تاريخه - على أن المؤيد كان قد سبق الجرائد إلى التعبير عنه في حال حياته بالامام يوم رده على هانوتو - وإذا لم تند كر شيئاً من مكاتبه وفضله واستحسان إحياء ذكره - فإنها تعد مشيرة بالنسبة إلى تقصير جريدة الهوا التي جاءت بسخف لا يمكن أن يوجد مثله في غيرها حتى الجرائد التي توصف بالساقطة - وقد يندر محررو المؤيد إذا اكتفوا من تريظ التاريخ بمجمل ما فيه ولم يلقبوا صاحبه بلقبه لعلمهم بأن سياسة صاحب الجريدة قد تقتضي ذلك والكتاب قد أهدي إلى الجريدة يوم سفره (وإن لم يندروا بذلك العنوان الذي فنقد أنه ما كان ليرضاه لو كان هنا لأنه يوصف بحسن الدقوق في وضع الصاوين) ولكن الكتاب أهدي إلى جريدة الهوا وصاحبها موجود ومرت أيام كثيرة وهو بين يديه ولم يكشف عنه شيئاً وبعد سفره كتب خلفاؤه ما رأيت وهم أعلم الناس بما وافق سياسة ذلك الذي ينحني خاضعاً أمام غار ببالدي لأنه نبغ في وطنه (إيطاليا) ويشكر فضل أعظم التافين في وطن نفسه كالاستاذ الامام - أليس هذا مما يمد مصداقاً لقول الاستاذ الامام في الهوا « انه مجموع نوبات عصبية بعضها شديد وبعضها ضعيف » (أو خفيف)

فان قيل ان جريدة الهوا لم تقصر في تأييد الاستاذ الامام عند موته بل اعترفت بأنه نال أعلى مقام بين علماء الاسلام (راجع ص ٣٣ من ج ٣ من التاريخ) وبأن الاجنبي كان يخرج من حضرته وهو يحسد الاسلام عليه (ص ٣٤) وأنه مات بموته العلم المصري وأنه قعيد البلاد قعيد العلم قعيد اليتاي قعيد البؤساء

تقيد الاسلام والمسلمين الخ (ص ٣٥) فما باله اليوم لا يزيد في التعبير عنه على كلمة (الشيخ عبده) والجواب عن هذا ان اللواء الآن في نوبة شديدة حاجها ترقى أشهر مردي الاستاذ الامام في الحكومة - ترقى سعد باشا زغلول الى منصب الوزارة وأحمد قجي باشا زغلول الى وكالة الوزارة وهناك ميثاق مأخوذ على اللواء وعلى جرائد أخرى باسقاط حزب الشيخ محمد عبده ومقاومة رغبة ذكره (والله ثم نوره) وهو هو السبب في جعل حسنات ناظر المعارف الجديد سيئات في تلك الجرائد والطنن فيه بعد ذلك الاطراء

وانظر بعد هذا الى قول عالم كبير روسي في جريدة روسية لتكمل لك العبوة وهو ماجاء في جريدة « وقت » التي تصدر في مدينة « اودنبورغ » بروسيا وهذه ترجمته

﴿ الشيخ محمد عبده ﴾

كان الشيخ محمد عبده مقى الديار المصرية مات سنة ١٣٣٣ في ٨ جمادى الاولى في الاسكندرية .

كان الشيخ محمد عبده من أشهر مشاهير الرجال في هذا العصر ولا شك ان شهرته تزيد ومكانته في النفوس تسمو على عمر الايام بما ترك من الآثار الحسنة واتم من الاعمال الجليلة .

لم يكنسب الشيخ محمد عبده هذه الشهرة الفاتكة بكونه كان مقى الديار المصرية . وانما نالها بكالانه الطيبة . والا فقد سبق قبله بمصر مفتون كثيرون وتقلت وظيفة الافتاء بعده أيضاً الى عدة اشخاص ولم يزل أحد من هؤلاء واولئك من الشهرة عشر معشار ماناله الشيخ محمد عبده .

والسبب الرئيسي في تبرز الشيخ محمد عبده على أقرانه هو استفادته من علم حكيم الشرق السيد جمال الدين الافغاني وكان بعد وفاته خليفة في العلم والاصلاح غير انه خالف استاذ في خطته السياسية ولا يخفى على البصير ان الرجل الحر المستقل في آرائه وأفكاره لا يعمل الا بما يعتقد صواباً وان كان فيه مخالفة اساقفته ومشايخه قضى السيد جمال الدين الافغاني حياته بالتفكير في اصلاح الدين الاسلامي . والكلام بهذا الشأن أيما كان . غير انه لم يتيسر له الشروع فيه عملاً لبقاء

جل أوقاته بالسياسة والسياحة . الا ان مالم يتيسر للانفاني يقدر الشيخ محمد عبده تيسراً كاملاً . وذلك انه بعد ما رجع الى مصر من منفاه في سورية بذل قصارى جهده في هذا المسلك (مسلك الاصلاح الديني) بالكتابة والتدريس في الأزهر . كانت مجلة « المنار » التي يصدرها حضرة محمد رشيد أفندي رضا أنشئت بقصد نشر آراء الشيخ محمد عبده وترويج مقصده الديني (*) ولا تفرح بعد موته أيضا على هذه الخطة المستحسنة - وينشر التفسير المقتبس من دروسه - في « المنار » . لم يكن الشيخ المرحوم يتعمق في تفسيره القرآن - اتباع أحد من المفسرين ولا غيرهم وانما كان يعول فيه على بصيرته النيرة وفهمه الثاقب ثبت الشيخ محمد عبده في خطه ثبات الاطواد ولم يأل جهدا في نشر مقصده في أرجاء البلاد الاسلامية حتى انه كان مشغولا بالتفكير في مقصده في مرضه الذي مات فيه وجادت قريحته قبيل موته بابيات يتحسر فيها للحول الأجل قبل تمام العمل .

كان الشيخ محمد عبده معاصرا لنا أيضا وقد استفدنا كثيرا من علمه وكنت عاشق علمه وفضله ولا أزال غيواني لسوء الحظ لم يتح لي التعرف به ومراسلته بسؤاله عما كنت استشكله من المسائل من بين علمية ودينية . وكان هذا الامر مجول في خاطري من زمن بعيد بيد اننا أضعنا القرص بالانأسف بالتسويف والتسويق

كان أصدقاؤني في مصر يكتبون الي من حين الى آخر خبر عزم الاستاذ المرحوم على السياحة في البلاد الروسية . ولهذا كنت أمني نفسي برويته حين يجيء هذه البلاد ولكن :

(*) اننا عند ما عزمنا على الهجرة من سوريا الى مصر لاجل انشاء المنار لم نكن نعلم ان الاستاذ الامام يشغل بالاصلاح الديني وهو لم يكن يقرأ في ذلك العهد دروسا في الأزهر على أنه كان يعمل في اصلاح ادارته ومع ذلك كنا نعتقد انه أكبر زعيم وأعظم مصلح عند السيد جمال الدين وكنا نرجو أن يكون أعظم من بقدر خدمتنا لدين قدرها ويسعدنا عليها بملء والرشاده وكذلك كان

ما كل ما يمتنى المرء يدركه . تجري الرياح بما لا تشتهي السفن
وقد وافانا فيه حيناً كنا نتظر قدومه

وقد ألف مریده وتلميذه وخليفته في مذهبه ومسلكه الشيخ محمد رشيد
افندي رضا تاريخاً في ثلاثة أجزاء للاستاذ المشار اليه . وقد ازدانت مكتبته
ببرود الجزء الثالث المحتوي على ٤٢٨ صفحة من ذلك التاريخ

وفي هذا الجزء كثير من التعازي والمرثي التي بثت من مسلمي الاقطار
المختلفة . وليس فيه شيء بث بقصد التمزية من مسلمي روسيا سوى ما كان
كتب كاتب هذه السطور الى حضرة صاحب المنار من كتاب وجيز بقصد
تريف حامل ذلك الرقيم لحضرته

ولما لم أظفر في الكتاب بغير تلك السطور القليلة من تعازي مسلمي روسيا
وقفت خجلاً في أول الامر ثم لم ألبث ان سررت لوجود تمزية منا أيضاً بين
التعازي الكثيرة الواردة من مسلمي تونس والجزائر والمهند وإيران
لوثبت لهذا الامر في حينه لكتبت ألبنة بعناية واهتمام ما يطلق عليه اسم
التمزية . والآن أفرح سن التدم ولات حين مندم

اذا كنت أنا قاصرت في كتابة هذه التمزية لاشتغالي بالنظر في «الخصومات
العائلية» (كان الكاتب حينئذ قاضياً في المحكمة الشرعية) فإبال الشيخ نجيب
التونثاري الذي حصر كل حياته على المطالعة والعلم - لم يكتب شيئاً بهذا الصدد
بل وما عذر الشيخ عالمان البارودي الذي لديه جم غفير من تلاميذه المجيدين
للكتاب بالعرية في تفریطه في هذا الواجب الانساني !

رضاء الدين فخر الدين

﴿ مطبوعات البكري ﴾

طبع الشيخ محمد توفيق البكري شيخ مشايخ الطرق وتقيب الاشراف هذه الكتب
(كتاب التلميم والارشاد) كتاب جديد « جمعه وصنفه بعض رجال الصوفية »
ولم يدكر اسمه عليه بأمر البكري ودلائله ومغظمه مأخوذ من كتاب الإحياء وفيه

عدة فصول مأخوذة من «المنار» بدون عزو اليه كما ظهر لنا ذلك من تقليب كثير من أوراقه في بضع دقائق فمن ذلك فصل لنا في اسرار الزكاة وفوائدها وهذا قد عزاه الى أحد الفضلاء وفصل في اسرار الصوم وفوائده لم يعزه الى أحد وفصل في مضار تربية الأولاد والتلاميذ بالقسوة لم يعزه الى أحد. وكل ذلك من المجلد الثاني من المنار وفصل في الحكومات الاستبدادية وهو مقالان للسيد جمال الدين نشرناهما في المجلد الثالث ومقالة فلسفة الصناعة التي اقتبسناها في المجلد التاسع من منشآت الاستاذ الامام . فكيف جاز لرجال الصوفية ان يستحلوا السرقة والتدليس في كتاب الارشاد الذي وضع هداية أهل الطرق التابعين لهم

أما الكتاب فبرجى أن يفيد من يوزع عليهم من مشايخ الطرق الذين يقلّ فيهم من يقرأ في غير كتب الخرافات كما يفيد غيرهم من القارئين وهو أفضل عمل سعى اليه البكري وكان قد سبق لي معه الحديث فيه منذ سنين واتفقنا على أن اختصر الاحياء وأزيد عليه من الفوائد ما يحتاج اليه في هذا العصر وهو بطبع المختصر ويوزعه على أهل الطرق ليكون محدثهم في الارشاد . ثم بداه ففهد بذلك الى جامع كتاب التعليم والارشاد لينتحل كلامنا وكلام غيرنا انتحالا . وقد سبقه الى هذه التسمية الشيخ محمد بدرالنسائي فإنه ألف كتابا سماه بهذا الاسم وطبعه في السنة الماضية وهذا مما يندفد بما يقع فيه من الاشتباه

(صهاريج الأول) الشيخ توفيق البكري نحو عشر نبدأدية منشورة ومنظومة معظمها مأخوذة من نثر المتقدمين ونظمهم عهد الى الشيخ أحمد بن أمين الشنقيطي والشيخ أبي بكر محمد لطفي المصري بشرحا فشرحاها شرحا مطولا تزيد صفحاته على عدد أيام السنة ومنعود الى الكلام عليه في فرصة أخرى

(كتاب بيت الصديق) وضع الشيخ محمد توفيق هذا الكتاب لترجمة نفسه وترجمة آباؤه وأجداده الذين ينتسب اليهم وصفحاته تزيد على أربع مائة

(كتاب بيت السادات الوفاية) وهو زهاء مئة صفحة يذكر فيه نسب الوفاية وتراجمهم

(المستقبل للإسلام) هي الرسالة التي نشرناها في المجلد الخامس وطبعناها على حدة

البدع والخرافات وَالْبَقَايِدُ وَالْعَجَائِلُ

بدعة غريبة في مصر

يقولون ان مصر بلاد المعجائب وأي المعجائب أغرب مما يحدث في مصر يقوم شيخ عالم كالشيخ حسن علي الديباني ينكر بعض البدع والخرافات التي فشت في المسلمين فيقيم عليه النكير العلماء وأنصارهم من العوام ويقابونهم رزقه الذي يستحقه شرعاً من الأوقاف ومنه، من تعليم المسلمين وأرشادهم سنة كاملة ويقوم شيخ آخر كالشيخ عبد الرحمن عليش فينتدع بدعة جديدة في الاسلام هي من أغرب البدع وأنكرها فلا يلقى من العلماء انتكاراً ولا من الأمة نقاراً وما أعلن أن أحداً سبق هذا الشيخ إلى وقف المساجد على الاموات من غير المسلمين لاجل الصلاة على أرواحهم وكيف وان وقفها على أموات المسلمين أفدهم من البدع التي لا يعرضها كتاب الاسلام ولا تقبلها سنة نبيه عليه الصلاة والسلام اسم الشيخ عليش الكبير رحمه الله مشهور في مصر وفيها جاورها من البلاد بها كان عليه من التحمس والتشدد في الدين، على كونه من أشهر علماء الأزهر المعمرين، وقد بلغ من تحمسه أنه لما بلغه ان السيد محمد السنوسي (رحمه الله تعالى) يقول بالاجتهاد أخذ حرية وقصد اليه ليطعنه بها لما كان بمصر، وأنه لما وثق اليه أحد أولاده بالشيخ محمد عبده (رحمه الله) عندما كان يقرأ العقائد النسفية (وهو مجاور بالأزهر) قائلًا انه رجع مذهب المعتزلة على مذهب الاشعري ثار عليه وعلى أستاذه الأفضاني وكان طول حياته حراً بالحكم الاسلام ولا استاذالامام والسيد السنوسي وان هؤلاء الثلاثة لا عظم مسلمي هذا العصر أثر في الاسلام ما أهد الفرق بين الشيخ عليش في تحمسه الديني وغيره على الاسلام في مذاهبه وثقاليده وبين أولاده وأحفاده الذين لم يرثوا منه علماً ولا خلقاً فهم أول من مثل الاسلام أمام الافرنج في معرض الهرز والسخرية اذ جمعوا لهم بعض الزعائف المتسبين

الى الطريق وجعلوا برقصون و يذكرون ليصورهم الافرنج في تلك الحالة ويشبتون صورهم في الكتب ميين ان رقصهم على تلك نصفه اشنية من عبادات الاسلام ثم بلغنا في العام الماضي ان الشيخ عبد الرحمن عlish قد وقف قطعة أرض بحارة الجوار القريبة من الازهر وبنى فيها مسجدا باسم هيرتوالاول ملك ايطاليا لتقام الصلوات فيه عن روح الملك المتوفى ويكون تذكارا له وسلمه للحكومة ايطاليا . وهي بدعة غريبة لا يعرف لها نظير في الاسلام

وفي تلك السنة رفع الشيخ محمد عبد ربه قضية على الشيخ عبد الرحمن عlish بأن له حقا في الارض التي بني فيها المسجد فهي أرض منصوبة فكان مما قدمه المحامي عن الشيخ عبد الرحمن عlish الى المحكمة من الاوراق التي يسونها المستندات ما يأتي بنص المحافظة التي حفظها له المحامي وظلها القنوي :

عدد

ترجمة موقع عليها بامضاء مترجم أول الوكالة السياسية الايتالية بمصر محمد بيك على علوى مورخه في ١٦ مارس سنة ٩٠٦ نفيد ان الشيخ عبد الرحمن عlish المدعى عليه بناء مسجد وأعطاه للحكومة الايتالية ورقه بالفتنة الاجنبية ترجمة المشروح أعلاه

خطاب باسم الشيخ عبد الرحمن عlish مورخ في ٢١ فبراير سنة ٩٠٦ يفيد تشكر قنصل ايتالية بالنبابة عن الوزارة الخارجية الايتالية لحضرة الشيخ عبد الرحمن عlish نظير تبرعه بقطعة أرض من أملاكه للحكومة الايتالية ليقام عليها مسجد تقام فيه الصلوات الخمس على روح الملك

٣

فقط ثلاثة أوراق لاغير تقدموا للمحكمة السيد زنبب بمحافظه بامضاء محمد زكي عبد الحميد المحامي بمصر ٢٢ - ٣ سنة ٩٠٦ ترجمه نمرة ١ حافظه

الوكالة السياسية الايتالية تعترف ان الشيخ عبد الرحمن عlish الكبير بنالي

حارة الجوار بخط الأزهر جامع باسم جلالة الملك همبرتو الاول وتذكاره
والجامع المذكور أعطاه الحكومة الايطالية هذه الترجمة طبق الأصل

١٦ - ٢ سنة ٨٩٩ فصل جنرال دولة متوجم السياسة بمصر

محمد علي علي

ايطالية والوكيل السياسي

بمصر المستر سلفاخي

راعي

ختم القنصلية

(الشارح) وبلى هذا صورة كتاب شكر من عميد دولة ايطاليا بمصر للشيخ عبد
الرحمن عيش . وكثبت جريدة الاخبار في هذا الشهر شيئاً في هذه المسألة علم
منه أن حكومة ايطاليا مضبوطة بولاية الشيخ عبد الرحمن عيش لها وموادته
اياها وانهم أخذوا عنه صورة شمسية عرضوها في بعض جرائدهم . وعظمت شأنه
جريدة الاخبار تباعاً لهم فعملته من العلماء الذين لهم الشأن والنفوذ وما هو منهم
في شيء ولا نفوذ له بل لا يكاد يعرف

وقد نفي الينا ان ايطاليا تستعين بولاية هذا الشيخ لها وبما تنظم من
شأنه بالباطل على تأييد نفوذها فيمن استولت عليهم من المسلمين وفيمن تطعم
بالاستيلاء عليهم كاهل طرابلس الغرب وأهل اليمن فان لها بدا خفية في فتنة اليمن
ولها طمع في تلك الولاية تنفيذ وتتميه في نفسها انكسروا فيما يقال . ولكن أجعل
المسلمين لا يستند بشيخ يقف مسجداً لتصل فيه الصلوات الحس على روح ميت
غير مسلم بل ولا ميت مسلم بل ولا نبي من الانبياء فان الصلوات الحس عند
المسلمين لا تكون الا خالصة لله وحده وأما الصلاة على الأنبياء التي يخصون بها
الانبياء فهي الدعاء بثل: اللهم صل على محمد : أو : صلى الله عليه وسلم : عند ذكره .
فهل يستدعيه أهل اليمن أو طرابلس وفيهم العلماء والعارفون ؟

ليس ما فعله عبد الرحمن عيش من التساهل الديني الذي يجعلونه التمسك القديم
بل هو من تساهل الجهل والتهاون والعبث بالدين . وقد يفهم جملة العوام ولو بعد
حين ان نسبة المسجد الى (همبرتو) كنسبة غيره الى بعض الاولياء كالدسوقي
والبدوي والحلبي ولا يبعد أن يبنى له فيه قبر للملك يزار ويضمه اليه عباد القبور

المنها

١٣١٥

فجر عبادي الذين يستمعون القول فينبشرون آياته
أو يظفون الذين هداهم الله فوالله هم أولوا الألباب

بقرآن الملك من يشاؤون يعزونا الحكمة قد آتينا
نعم أكفيا وما ينسركم إلا أولوا الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كنار الطريق

مصر جمادى الثانية سنة ١٣٢٥ - آخره السبت ١٠ أغسطس (آب) سنة ١٩٠٧

باب الفوائد

العصر المالي والربا والبنوك

أصبحت بلاد مصر في هذه السنة بنقص في المال وعصر في التجارة بالمقار والعروض وغلت دونها أيدي أصحاب البيوت المالية في أوروبا فأطس كثير من الاغنياء فيها ولم يبق صنف من أهلها الا وقد ذاق مرارة العسر، ومسه ألم الضر، ويتنظر الناس الآن موسم القطن - اقدمي تقدر قيمته في السنة بثلاثين ألف ألف جنيه أو يزيد الى خمسة وثلاثين - وهم بين الخوف والرجاء - وإنما يخافون أن يعبث بالموسم الماليون الاوريون فيعظم الخطب ويسم الكرب لقد صرنا الى زمن لم يعرف له نظير في التاريخ -- زمن يقبض على أعنة جميع مصالحه ومرافقه وسياسة أصحاب القود فيصرفونها كيف شاؤا، زمن صار فيه العلم بتصرف الاموال من أوسع العلوم وأدقها، زمن مرارت فيه الأمم الفقيرة أذل الأمم، ودولها أضمت للدول، فالمال في هذا الزمان هو أساس القوة والعزة، وآلة السيادة والسلطة،

يسر على أمة تبغي النجاح في تحصيل الثروة ومباراة الأمم العزيزة بالنقى أن تصل الى ما تريد من ذلك ما لم تسلك سبل تلك الأمم وإنها لسبل معبدة منها القصد ومنها الجائر وما الجائر الا سبيل القمار والربا لاسيا المضاعف أو المركب والقمار والربا محرمان في الاسلام نعمرهما غليظا فمن ثم كانت الشعوب الاسلامية اليوم في حيرة لا تدري كيف تعيش مع هذه الأمم الافرنجية التي تنازعها الوجود مع عدم مجاراتها في سبل الثروة ولا كيف تجارها مع الاحتراس من الربا بأنواعه لو أن للاسلام دولا قوية وشعوبا غنية بمكنها أن تستغني عن أوروبا أو أن تجعلها نائمة قوايقها أو تلجئها الى اتباع مدنيها لدول عليها أن تسلك في جمع الثروة والتصرف فيها سلكا يقرن المصلحة بالفضيلة فضيلة الرأفة بالبايس الفقيرة وإسعاده في الامر العسير، وما الحيلة وليس لنا دولة عزيزة قوية، في أمة عالة غنية، وأوروبا تمتص دماءنا، حتى كادت تذهب زخاها،

لم يحدد حكمانا حيلة لمنع الربا فأباحوه لرعيتهن في قوانينهم وتعاملات به

دولهم حتى ان السلطان عبد الحميد الذي حرص على لقب الخلافة حرصاً لم يسبقه به بباقي يأكل الربا وبوكه ومثله في ذلك أمير مصر . وأكثر المسلمين لا ياكلون الربا ولكنهم يؤكلونه فيدلون بأموالهم الى الاجانب وذلك شر من أكل الربا منهم بل شر الاقسام التي تتصور في معاملة الربا وأشدّها ضرراً ، وأعظمها خطراً ، ذلك أن لهذه المعاملة صوراً نذكر أهمها ومنه يعلم باقياها - أحدها أن لاتأكل من أحد ولا تؤكل أحد - ثانياً أن تأكل من الأجنبي خاصة ولا تؤكل أحد - ثالثاً أن تأكل من الأجنبي وغيره ولا تؤكلها - رابعاً أن تأكل منها جميعاً وتؤكل الثاني دون الأول - خامساً أن تأكل منها جميعاً وتؤكل كذلك - سادساً أن تأكل منها وتؤكل الأجنبي فقط - سابعاً أن تؤكل غير الأجنبي ولا تأكل من أحد - ثامناً أن تؤكل الأجنبي خاصة ولا تأكل منه . فأفضل هذه الاقسام وأشرفها أولها وأخسها وأشدّها ضرراً ثامنها وما بينهما من الاقسام مرتبة على حسب درجاتها من الضرر في الامة الثالث شر من الثاني وهكذا وأكثر المسلمين الذين يتعاملون بالربا قد اختاروا شره على الإطلاق ثم ما يقرب منه

إذا كان كل ما اشترطه الفقهاء في جواز المعاملات المالية كالبيع والعرف والقرض والحالة والشركة ديناً يجب اتباعه في كل زمان ومكان ، ويكون التارك لشيء منه عرضة لغضب الرحمن ، فما أشدّ الحرج على المسلمين في هذا الزمان ، بل ما أكثر الفسوق فيهم والعصيان ، فإنه لا يكاد يوجد في الالف أو الألوف من التجار وغير التجار واحد يراعي تلك الشروط والاحكام في معاملاته وما ذاك الآن في مراعاتها حرجاً شديداً وعسراً عظيماً وإذا قلت أيضاً إن في معرفتها لحرجاً لم تكن بعيداً من الصواب ولولا الحرج لما قل المالمون بها وقل المالمون في هؤلاء المالمين أو فقدوا

السواد الأعظم من المسلمين يسمون بأن تلك الاحكام الفقهية كلها دين إلهي ولكن هذا التقسيم مبني على أساس التقليد الواهن لاسلطان له على النفس ولذلك لم تعمل به ولم يكن الاعتقاد بحرمه الربا اعتقاداً صحيحاً مؤيداً بنص الكتاب العزيز ترى أنه يقل في المسلمين من يقدم على أكل الربا ، ولا تفل

وكيف يؤكلونه بما يقترضون ولا يأكلونه بما يقترضون فأنك تعلم أن الاقتراض بالربا لم يرد به نص الكتاب وإنما جاء تحريمه في الحديث وقد يستنبط من الكتاب استنباطاً ومكان ذلك من النفوس دون مكان النص قوة وتأثيراً ، ثم إن الضرورة قد تلجئ المحتاج إلى الاقتراض ولا ضرورة تلجئ الفني إلى الاقتراض ، فإن كان الفقيه لا يرى تلك الضرورة صحيحة شرعاً فإن المقرض يراها صحيحة وهو مسوق للعمل به . يرى ويعتقد دون ما يرى غيره ، ويعتقد ، ولا يتفك خاصة الناس وعامتهم يجتهدون فيها يمرض لهم ويمسكون باجتهادهم معها ضيقت مقلدة الفقهاء في منع الاجتهاد ولا يمنع ذلك أن يكون التقليد هو الغالب عليهم

لولا التقليد لوجد المسلمون المخرج في شريعتهم من كل حرج وعسر فإن من قواعدنا الأساسية في نص الكتاب نفي المخرج والعسر في الأحكام وإرادة اليسر فيها . قال تعالى (٦ : ٥) ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج وقال (١٨٥ : ٢) يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وفي الحديث ولا ضرر ولا ضرار ، واه مالك في الموطأ مرسل وأحمد وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ومن ثم كان من قواعد الفقه أن المشتقة تجلب التيسير ، وإن الضرورات تبيح المحظورات ، وأنه إذا ضاق الأمر اتسع

يقول كثير من أهل الرأي إن العسر المالي الذي مدت في البلاد أظنابه ، وضربت في أرضها أوتانده ، ويخشى أن يصير شره المستطيل مستطيراً ، فيجعل ثروة الأمة هباءً منثوراً ، يمكن مقاومتها بنك وطلقي ينتزع بأيدي أغنياء البلاد ، بعض ما عليه مالبو الأجانب من الأثرة والاستبداد ، والتحكم في معاش العباد ، قمام في وجوههم آخرون يقولون إن دين الإسلام لا يسمح لأهله بأن ينشئوا لهم بنسكاً لأن البنوك هي بيوت الربا كل معاملاتها أو جعلها بالربا فرد ذلك بعض المقترحين قائلاً إن البنك الذي تقترحه ليس من نوع بنوك الصيارف التي تنشأ لأجل الاقتراض بالربا الفاحش أو غير الفاحش وإنما هو من نوع البنوك الكبرى التي هي واسطة بين أرباب الأموال في مداولتها بينهم بقبول حوالة هذا وتخصيلها من ذاك بأجرة معينة وإيصال ما يريد إرساله أهل بلد إلى آخر بأجرة أيضاً وليس

هذا من الربا المحرم علينا بالنص ؛ ولا نريد بيتنا أكثر من هذا . قال بعض
المعترضين اننا نشك في كون هذا ليس من الربا المحرم واننا نطلب من العلماء
بيان ذلك

لجأوا الى العلماء المعروفين بالفتها ، وباب الربا عندهم أوسع من الأرض
والسما ، فانه يطلق عندهم على جميع البيوع الفاسدة ، والمعاملات المالية التي
لا تنطبق على الشروط المدونة ، وباب الاجتهاد عندهم مقفل بل مسدود ، والفتوى
بالقواعد العامة كمرعاة المصالح وتقدير الضرورات من عمل المجتهد المفقود ، على
ان الحلال بين والحرام بين ، والرجوع الى النص وآراء المجتهدين أمرهين ، وان
كانوا يريدون من العلماء إقناع العوام ، لا معرفة الحلال والحرام ، فاهم بمدركي
فتوى رسمية ، ولا حجة قهية ،

هذه مسألة من أكبر المصالح العامة التي ينبغي أن ننظر فيها الجامعة المبرهنة
في الكتاب بأولي الأمر أي أصحاب الشأن في الأمة ليستنبطوا حكمها بمقتضى
قوله تعالى (٤ : ٨٢) ولو ردوه الى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين
يستنبطونه منهم) وليس أصحاب الأمر هم الملوك والأمراء . ولا طائفة الفقهاء اذ
لم يكن مع الرسول صلى الله عليه وسلم عند نزول الآية ملوك يحكمون ، ولا قضاة
يفتنون ، وانما كان هناك جماعة من أصحاب الشأن في الأمة العارفين بمصالحها
المعروفين بحسن الرأي فيها وهم يوجدون في كل أمة بحسب حالها فأولو الشأن
والرأي في الأمرين الآن يتألفون من عدة أصناف رجال مجلس الشورى وقضاة المحاكم
العليان شرعية وأهلية والمحامون وأصحاب الجرائد وكبار المدرسين والمزارعين والتجار
فأقترح ان تتألف لجنة من هؤلاء الأصناف وتنتظر في هذا الأمر هل هو
ضروري للأمة فان كان ضروريا وضعوا له قانونا أول مواضع منع الربا المضاعف
المحرم بالنص القطعي لشدة ضرره وهو لا ضرورة اليه ونظروا فيما عدا ذلك من
أعماله التي لا بد منها هل فيها شيء من ربا الفضل الذي حرم لسد القرية
الاقدانه كما في (اعلام لموقين) فان كان فيها شيء من ذلك فهل وصلت الضرورة
فيه الى حد يجوز العمل بقاعدة « الضرورات تبيح المحظورات » أم لا .

قال الامام ابن القيم «الربا نوعان جلي وخفي فالجلي حرم لما فيه من الضرر العظيم والخفي حرم لأنه ذريعة الى الجلي . فتحريم الاول قصد وتحريم الثاني وسيلة . فاما الجلي فربا النسبة وهو الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية مثل أن يؤخر دينه ويزيده في المال وكلما أخره زاد في المال حتى تصبح المنة آلافا مؤلفة وفي الغالب لا يفعل ذلك الا مضمم محتاج فاذا رأى المستحق يؤخر مطالبته ويصبر عليه بزيادة يئذها له تكلف بهذا ليقنتي من أسر المطالبة والحبس ويدافع من وقت الى وقت فيشتد ضرره وتظم مصيبته ويصلوه الدين حتى يستغرق جميع موجوده فيبرو المال على المحتاج من غير نفع يحصل له ويزيد مال المرابي من غير نفع يحصل له لأخيه فيأكل مال أخيه بالباطل ويحصل أخوه على غاية الضرر» ثم أطل وأورد آية (٣ : ١٣٠) يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة . وأورد بعد هذا فصلا في ربا الفضل الذي حرم لسد القرية وهو أن يبيع المحرم بمرهين مثلا وذكر الخلاف فيه وإن بعض الصحابة جوزوه وبين أنه ككل ما حرم لسد القرية قد يباح للمصلحة (راجع ص ٢٠٣ من أعلام الموقعين)

وأنت تعلم أن باب المصلحة أوسع من باب الضرورة . وأساس المعاملات في الشريعة إن كل محرم ضار وكل نافع حلال ولذلك علل الكتاب حرمة الربا بقوله (٢ : ٢٧٩) لا تظلمون ولا تظلمون (ولكن أكلت معاملات البنوك لا تظلم فيها بل منها ما فيه الرحمة للمتاملين فإن العاجز عن الكسب إذا ورث مالا وأودعه فيه برأ الفضل يستفيد هو والبنك مما

وتبحث اللجنة في سائر فروع المسألة ونعني الامة ما تقرره اتباعا لهداية القرآن ، وثبتت للمالين أن شرع الاسلام موافق لمصالح البشرية في كل زمان ومكان،



فَتَاوَى الْمَسَائِلِ

فتحا هذا الباب لاجابة أسئلة المشركون عامة ، اذ لا يسمع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه ، ويذكر محل عمله ، وظيفته (وله بعد ذلك ان يرز الى اسمه بالحروف ان شاء ، وان انا ذكر الاسئلة بالتدريج غالباً ورمقاً ، فمما تأخر السبب كعاجية الناس الى بيان موضوعه ورمقاً ، أحياناً غير مشترك لثقل هذا ، ولن يعنى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر بمرور واحدة قال لم تذكره ، كل لنا علوص صحيح لا نغفلها

﴿ أسئلة من القاهرة عن الربا من ٣٧-٣٥ ﴾

فضيلة الأستاذ العلامة صاحب مجلة المنار القراء

السلام عليكم وبعد فأرجو من فضيلتكم أن تكشفوا الغباب عن هذه الاسئلة الآتية ولكم في مزيد الشكر سلفاً

(١) هل ربا الفضل جائز مطلقاً فان كان بعضه جائزاً وبعضه غير جائز

فتفضلوا بشرح مستوف يفرق الجائز من غير الجائز

(٢) ما قولكم في حديث أبي أسامة من ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (الربا

الا في النسيئة) أعتبر منسوخاً بحديث أبي سعيد الخدري الذي روى أن رسول الله (ص) قال (لا تبمعوا الذهب بالذهب الا مثلاً بمثل ولا تشفوا بعضه على بعض ولا تبمعوا الورق بالورق الا مثلاً بمثل ولا تشفوا بعضه على بعض ولا تبمعوا منها غائباً بناجز) - أم كيف يمكن الجمع بين الحديثين ؟

(٣) في صحيح البخاري انه قال صلى الله عليه وسلم (الذهب بالذهب

ربا الا هاه هاه والبر بالبر ربا الا هاه هاه والشعير بالورق ربا الا هاه هاه والتمر بالتمر ربا الا هاه هاه) - من هذا الحديث يقين لدينا أربع صور ونشاهد في ثلاث منها التجانس في البدلين وفي الرابع اختلاف فيما لان الشعير غير الورق فما حكم بيع الشعير بالورق المقصود من هذا الحديث ؟ وما الملة في اختلاف هذه الصورة عن الصور الأخرى ؟

(٤) جاء في حاشية بن عابدين (ج ٤ ص ٢٤٣ هامش مطبعة ولاق)

تمت مطلب كل قرض جر نفعا حرام هذه العبارة بمحرفها « وفي مع نبات

المفتي أبي السعود لو اذان زيد العشرة باثني عشر بطريق العامة في زماننا بعد أن ورد الأمر السلطاني وفتوى شيخ الاسلام بأن لا تعطى العشرة بأزيد من عشرة ونصف وبه على ذلك الخ

من هو هذا السلطان الذي أصدر الأمر المذكور وفي أي زمن كان وما دواعي إصداره له وإلى نحمد صورة الأمر ؟

ثم من هو شيخ الاسلام المشار اليه وهل يمكنكم أن تفيدونا أناياكم الله بنص فتواه صافا تقف على الاسباب التي بني عليها الفتوى ؟
وتفضلوا في الحتام بقبول فائق احتراماتي أقدم

طالب بمدرسة الحقوق الخديوية

(المنار) أما الجواب عن الأول فقد قل المحدثون أن السلف رضي الله عنهم قد اختلفوا في ربا الفضل كأجازة ابن عمر وابن عباس وأسامة بن زيد وابن الزبير وزيد بن أرقم وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير مطلقا ونقلوا عن ابن عمر أنه رجع عن ذلك واختلفوا في رجوع ابن عباس . وحجتهم حديث أسامة المذكور في السؤال وهو في الصحيحين والجمهور على خلافهم وحجتهم حديث أبي سعيد الذي تقدم في السؤال أيضا وهو في الصحيحين . وأما جعل مدار الخلاف في ربا الفضل على الأحاديث لأن الربا المحرم في القرآن هو ربا النسيئة الذي كان في الجاهلية وهو أن يزيّدوا في المال كل شهر كما قال ابن حجر في الزواج لأجل الإنشاء أي التأخير في الأجل حتى يتضاعف أضعافا كثيرة

وفي حديث جابر عند أحمد ومسلم وأصحاب السنن الأربعة أن النبي صلى الله عليه وسلم اشترى عبدا بمدين . وفي حديث عبد الله بن عمر عند أحمد وأبي داود أن النبي (ص) قال له « أبيع علينا إبلا بقلائن من إبل الصدقة إلى محلها » قال فكنت أبتاع البعير بقلوبين وثلاث قلائن من إبل الصدقة إلى محلها . ثم ذكر أن النبي (ص) أداها من إبل الصدقة عند ما جاءت . وهناك روايات أخرى في موطأ مالك ومسنند الشافعي وعند البخاري تطبيقا في شراء الحيوان بالحيوان مع التفاضل بل والنسيئة . وهذا مما يقول الجمهور بمجوازه على أنهم رويوا

النهي عنه من حديث سمرة وحديث جابر بن سمرة . فهذا نوع من ربا الفضل قد أجازاه الجمهور

وأما الجواب عن الثاني وهو تمارض حديث أسامة (لأبي أسامة كما ورد في السؤال) وهو «لأربا لا في النسيئة» واللفظ البخاري ولفظ مسلم «إنما الربا في النسيئة» ، وحديث أبي سعيد «لا تبيعوا الذهب» إلخ كما ذكر في السؤال فقد قال الحافظ في فتح الباري : وافق العلماء على صحة حديث أسامة واختلفوا في الجمع بينه وبين حديث أبي سعيد فقيل إن حديث أسامة منسوخ لكن النسخ لا يثبت بالاحتمال وقيل المنفي في قوله «لأربا» الربا الاغظ الشديد التحريم المتوعد عليه بالعقاب الشديد كما تقول العرب لا عالم في البلد الا زيد مع أن فيها علماء غيره وإنما القصد نفي الأكل لأنني الأصل وأيضا نفي تحريم ربا الفضل من حديث أسامة إنما هو بالمفهوم فيقدم عليه حديث أبي سعيد لأن دلالة المنطوق وبحمل حديث أسامة على الربا الأكبر : اه والقول بالنسخ أضف الأقوال والقول بترجيح المنطوق على المفهوم كما ترى غريب في هذا المقام وإذا قلت أن المنفي في صيغ الحصر منفي بالمنطوق كنت أقرب إلى الصواب والا لما كان نفي الألوهية عن غير الله في كلمة التوحيد الآمن قبيل المفهوم الذي نعرف ما قال فيه أهل الأصول فبقي القول بأن حصر الربا في النسيئة هو الربا الحقيقي الذي ورد فيه الوعيد الشديد في القرآن وهذا هو الجمع الذي جرى عليه المحققون كابن القيم وقال إن ربا الفضل لم يحرم قذاه وإنما حرم لسد القرية . وعلى هذا يكون الربا الذي ورد عليه الوعيد في القرآن خاصا بربا النسيئة المهود في الجاهلية ولا يدخل فيه ربا الفضل خلافا لبعض الفقهاء ولو تناول القرآن بالنص لما اختلف فيه أكابر علماء الصحابة لاسيا ابن عباس وابن عمر (رضي الله عنهم) فلي هذا لا يكون ربا الفضل منافيا للإسلام

وأما الجواب عن السؤال الثالث فهو إن ما نقله السائل غلط وقع في بعض نسخ البخاري المطبوعة ومنها النسخة التي علي هامش فتح الباري والصواب «والشعير بالشعير» وحديث «هاوها» هذا هو حديث عمر وليس

فيه ذكر الورق إلا في رواية أبي ذر وأبي الوقت من رواية البخاري فأنهما قالا «الذهب بالورق» بدل «الذهب بالذهب» واتفق جميع رواة الصحيحين على «والشعير بالشعير» وبه احتج الشافعي وأبو حنيفة وفقهاء المحدثين على أن الشعير صنف غير البر خلافا لما لك واليـث وغيرهما ممن قال أنهما صنف واحد

وأما الجواب عن الرابع فهو أن السلطان الذي أصدر ذلك الأمر إما السلطان سليمان القانوني ولله الأرجح وإما ولله السلطان سليم فإن أبا الدود كان في عصرهما وقد توفي في جمادى الأولى سنة ٩٨٢ والسلطان سليم توفي في رمضان من تلك السنة . وقد ولاء سليمان الأتقاء سنة ٩٤٥ وهو هو شيخ الإسلام . أما صورة الفتوى فلم تقف عليها والظاهر أن سببها وسبب الأمر السلطاني الذي بني عليها منع الربا المضاعف والإطلاع عليها لا يفيدنا فائدة فقهية وإنما فائدته تاريخية محضة فإثنا نعلم أنها مبنية على استحباب «الحاملة» ولذلك على ابن عابدين عبارة الدرر التي ذكرناها بأن السلطان إذا أمر بمباح وجبت طاعته «والحاملة» ولا يخالفكم فهمونها هي بيع القليل بالكثير احتيالا على الربا كان يقرضه تسع مئة ويبيعه مندبلا ثمنه عشرة قروش بمئة قرش مثلاً . وقد أجاز الحيلة الخفية والشافعية واستدلوا عليها بأذن النبي (ص) ببيع الصاعين من التمر الرديء بصاع من التمر الجيد بالحيلة وهي أن يباع كل من الصاع والصاعين بالثمن وذلك خروج من نص «التمر بالتمر ربا إلا هاء وهاء» في الحقيقة دون الصورة والمأمون للحيلة كالمالكية والحنابلة لا يعمدون للحديث مخرجا إلا القاعدة التي ذكرها ابن القيم وهي أن ما حرم لسد القرية كرها أفضل جاز للمصلحة وأنت تعلم أنه لا معنى لاشتراط كون بيع النقد أو القوت بمجنسه هذا بيد مثلا بمثل لأنه لأن عاقلا لا يفضل ذلك إذ ليس فيه فائدة وإنما يقصد الناس بالبيع الزيادة بالقدر أو الوصف ولا شيء من ذلك بمحرم لذاته لأنه هو أصل المذافع والمقصد من التجارة فلم يبق لذلك الشرط معنى إلا سد خديعة التوصل إلى ربا النسبة الذي كانوا يأكلونه أضماة فلما أخبر عامل خير النبي صلى الله عليه وسلم أنهم يأخذون الصاع من التمر الجنب - وهو الطيب أو الصلب وقيل مأخرج حشفه - بصاعين من الجلمج - وهو ما خلط بهرم

أو القفل وهو نوع ردي - قال : لا فضل مع الجمع بالدرام ثم اتبع بالدرام جنيهاً
رواه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد وأبي هريرة . فأباح ذلك عند العلم
بالحاجة إليه وأمر بأن يكون البيع بالدرام لأنه هو الأصل في التجارة وليق بعيداً
عن ذريعة الربا

ومن الحنفية من صرح بأن الحيلة في الربا لا يجهز إلا الحاجة كمشترى مال
البئيم أو الأرملة أو طالب العلم المتقطع عن الكسب وعنده مال إذا أفقعه فندواضطر
هو إلى ترك العلم فلم يجهز هؤلاء إلا الحاجة أو الضرورة . ولا يجهزون أن يكون
مضاعفاً فقد راعى هؤلاء النص القطعي في تحريم الربا المضاعف الذي لا هوادة
فيه وراعوا المصلحة أو الضرورة وقدروها بقدرها في ربا الفضل وأخرجوها بما
يسمونه المعاملة أو المراجعة من صورة المنعي عنه في الأحاديث حتى لا يخرج من
حكمة الشارع في معناها ولا في صورتها فإن كل حيلة أبطلت حكمة الشارع ومقصده
فهي باطلة لا تزيد صاحبها إلا مقنا وضللاً

واعلم أن الزيادة الأولى في الدين الموجب من ربا الفضل وإن كانت لأجل
التأخير وإنما ربا النسبية المسمو هو ما يكون بعد حلول الأجل لأجل الانشاء أي
التأخير وإذا تكرر ذلك كان الربا المضاعف كما كانوا يفعلون في الجاهلية . والذين
يقولون بالمعاملة أو المراجعة يحددون المقد عند نهاية الأجل إذا لم يقدم لكلاً
فيزيدوا المال لمحض الانشاء صورة ومعنى ولكن هذا إذا أدى إلى مضاعفة المال
على المدين كان مخالفاً لحكمة الشارع ولا يسنعه ذو دين

سئلة من ستغافوره عن القرآن بالتقونفراف

(س ٣٦ و ٣٧) عون الله المضرمي بصرف في لفظه : ظهرت آلة
تنطق بالأحرف بالقنا والاشمار المختلفة وقضى وتنوح ثم ظهرت فيها قراءة القرآن
والأذان وصارت تتداوله أيدي الكفرة وأهل الطغيان في كل قهوة و مخدرة
وزق وزقاق . كأنه لتفريج والفرح وياع في كل دكان ، من أهل الاسلام
وأبي دين كان ، لأن الأمة زاحت بهذه الفنون ، كأنهم أصيبوا بالجنون ، ولا
تدري ماذا يكون ، والله يقول (فاستلوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون) فأحيينا

سؤال مجلة المنار عن حكم اشريفة في المسألة فإن منهم من قال ذلك جائز ومنهم من قال ذلك لا يجوز . فرجو أن يجتهدوا فيها ، وعملاؤا صحتكم بتواها . وهذا عندي من أكبر الكناز ، والله أعلم بما في الضائر ،
(س) من السيد حسن بن علوي بن شهاب :

الى المنار المنير : ما حكم الاسطوانات المودع فيها صوت القاري . فقرأن فهل هي كالصحف في الحكم حلا ومسا وحرمة أم لا . وقد اختلفت الافهام هنا وأنا أعتقد أن لاحكم لما بل هي كغيرها من الجمادات

(ج) قد جاءتنا أسئلة أخرى في معنى هذين السؤالين من مصر وغيرها فاكثفنا بها عنها فأما استعمال هذه الآلة في تأدية القرآن فهي فيما نرى تابعة لقصد المستعمل فإذا قصد بذلك الانماط والاعتبار بسماعه فلا وجه لحظره وإذا قصد به التلوي وهو ما عليه الجماهير في كل ما يسمعون من الفونوغراف فلا وجه لاستباحته وأخشى أن يدخل فاعله في عداد من اتخذوا دينهم هزوا ولعبا فيتناوله وعيد قوله عز وجل (٦ : ٦٩) وذو الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا وذكره أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع) الآية وقوله تعالى في وصف الكافرين أهل النار (٧ : ٥١) الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا) وأن يدخل مشنري الاسطوانات أو الألواح التي تؤدي القرآن بهذا القصد في عداد من نزل فيهم (٣١ : ٦) ومن الناس من يشتري هو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين) كلا بل ربما كان شرا من هؤلاء الناس فإنه جعل الآيات نفسها مع ذلك القوي قرن فصرف النفس عن الاعتبار حتى إذا تليت عليه كان كأن لم يسمعا كأن في أذنيه وقرا . وقد كان الاستاذ الامام يتأثم من استعمال الفونوغراف في تأدية القرآن مطلقا فيما ظهر لي منه ولكن وجد في أصحاب العلم هنا من تجرأ على القول بإباحته مطلقا ولعل ما ذكرناه من اختلاف الحكم فيه باختلاف القصد اقرب والله أعلم بالسرائر

وقد يكون لبعض الناس من المقاصد الصحيحة غير قصد الاعتبار والانماط

سماع القرآن ما يبيح لهم ذلك أو يجمله مطلوباً كان يستعين به من لا يضبط القراءة أولاً بحسنها على ضبطها ونحويدها أو تحفظ فيه أثراً تاريخياً وأما حكم حل ومس الاسطوانات أو الألواح التي بها تتأدى القراءة الذي بني السؤال عنه على الاعتقاد بحركة حل المصحف أو مسه على المحدث وهو من يحتاج في صحة صلاته إلى الوضوء أو الفسل فيه وجهاً (أحدها) أن يقال إن اسطوانة الفونغراف أو لوحه الذي ينشأ عن قرع الابرة له الصوت المشتمل على الكلام ليس قرآنًا مكتوباً إذ لا يرى الناظر فيه شيئاً من كلمات القرآن ولا حروفه فلا يقتضيه الضمير في قوله تعالى (٥٦ : ٧٩) لا يحسه إلا المطهرون) الراجع إلى قوله (كتاب مكنون) بناءً على أن المراد بالكتاب القرآن وهو وجه ضيف في التفسير لأنه ليس بكتاب . وهذا الوجه ظاهر على طريقة الفقهاء الذين ينظرون في استنباط الأحكام إلى مدلولات اللفاظ في الغالب وهو الذي لاح لوسائل فيها يظهر (والوجه الثاني) أن ينظر في المسألة إلى حكمها وسرها فينبغي الحكم على ذلك . وبيان ذلك أن تلك النقوش التي تسمى كتاباً ما كان لها حكم الكلام إلا لأنها وسيلة للعارف بها إلى أدائه وقله وكذلك اسطوانات الفونغراف أو ألواحها وسيلة إلى ذلك . فإذا كانت الألواح والمصحف المكتوب فيها القرآن كله أو بعضه مخزونة لأنها وسيلة إلى أدائه فلماذا لا تكون ألواح الفونغراف واسطواناته مخزونة كذلك . ولصاحب هذا الوجه أن يتقضى الوجه الأول بأن العرف يسمى ما في هذه الاسطوانات والألواح قرآنًا إذ يقال إن هذا اللوح فيه سورة كذا أو قوله تعالى كذا وإذا نظرنا في الكتابة فنظر الفيلسوف يرى أن النقوش الدقيقة التي في ألواح الفونغراف أجدر من النقوش الكتابية بأن تسمى كلاماً ذلك بأنها كتابة طبيعية حدثت من تموج الهواء بالقراءة الفظية بواسطة الابرة المعروفة وهي تعيد الكلام كما بدأه القاري لا تخفى . وأما الكتابة الخطية المعروفة فهي كتابة اصطلاحية لا تؤدي الكلام بطبيعتها بل بالمواضعة والاصطلاح وقد يقع الخطأ فيها من الكاتب فلا يؤدي ما أملي عليه كما هو ، ومن القاري فلا يؤدي ما كتب على وجهه وإن كان

المناج ٦

عارفاً بالكتابة بل المتلقي القراءة لا يضبطها كما هي ذلك قال بعض علماء الأصول إن تواتر القرآن خاص فيما ليس من قبيل الأداء فالتأني لا تقطع بأن أداءنا لهذا القرآن المتواتر كأداء النبي صلى الله عليه وسلم ولو كان في عهده فونتراف حفظت به قراءته فقلعنا بذلك ولعدنا الأداء أيضاً متواتراً . ومن ثم قلنا إن من المقاصد الصحيحة أن يستعمل الفونتراف في أداء القرآن لأجل ضبطه إن احتيج إلى ذلك

هذا وإن تعزيم من المصحف على المحدث لا ينهض عليه دليل من الكتاب ولا من السنة ولكن بعضهم ادعى الإجماع على حرمة مسه للجنب ولا تسلم له هذه الدعوى والخلاف في غير المتروك أقوى . نعم إن احترام القرآن واجب قطعاً وأما من كباثر المظهورات بل من الكفر الصريح إذا كانت عن عمد ولكن حمل المحدث له لا ينافي الاحترام ولا يستلزم الإهانة فربما يحدث بحمل القرآن وهو له أشد احتراماً وحب متروكاً بحمله وهو مقصود في احترامه

الجنة والنار

(س ٣٨) من محمد أمين أفندي فوزي صاحب جريدة المعجائب بمصر
حضرة الأستاذ الفاضل صاحب مجلة المنار الفراء
تحيات وتسلميات وأرجو الجواب على السؤال الآتي تحت امضائي
هل الجنة والنار حقيقتان وإن كانتا كذلك فإن مقرها ؛ أفيدونا ولحضرتكم
التراب

(ج) إذا أردتم بالسؤال كونهما ثابتين أم لا فالجواب أنهما ثابتتان قطعاً وما أراكم تريدون هذا وقد قرأتم الآيات الصريحة في ذلك . وإن أردتم هل مدلولها على معناها حقيقي كما يفهم من اللفظ أم لا - وهو ما يقابل على الظن - فالجواب أنه ليس المراد منهما ما يفهمه العربي من اللفظ بل لكل منهما حقيقة شرعية أخرى يؤخذ وصفها من مجموع ما ورد فيها من التصوص ويقال بالأجمال إن الجنة دار الجزاء الحسن على الإيمان الصحيح والأعمال الصالحة لا يستأن كسباً بين الدنيا والنار دار الجزاء على الكفر والأعمال السيئة لا يجرد ما نسميه ناراً . أما مقرها

فهو في غير هذا العالم أي في عالم الغيب فلا فائدة في البحث عنه فنحن نؤمن
بهما إيماناً غيبياً اتباعاً لما جاء به الرسول عن الله تعالى . لا نزيد على ذلك ولا
نقص منه ولا نشبه عالم الغيب بعالم الشهادة بل نقوض ذلك إلى الله تعالى

﴿ القسم برب موسى وعيسى وإبراهيم . وأبجد هوز الخ ﴾

(س ٣٩ و ٤٠) من عبد الحافظ أفندي على (بشر بين)

سيدى العلامة الفضال مفتى مجلة المنار القراء

بعد الاحترام سئلت مرة وسألت علماء فامروا عن اليمين المتداول بين
الناس وهو (والله العظيم رب عيسى وموسى وإبراهيم) فلما نفي أنه لابد من
حكمة يعرف العالم العامل ولكني من الأسف لم أعتد على الجواب الثاني الكافي
وسألت أيضاً العلماء والادباء عن معنى (أبجد . هوز . حطى . الخ فلم أقف
على الحقيقة فترجوا أجابني في العدد الاتي ولستم الشكر وأضيه باهتمام
(ج) أما القسم المذكور فلا أعرف له حكمة ولا أرى البحث عنه أمراً ذا بال
ويسبق إلى القدر أنه جرى على لسان بعض محبي المعجم فاستحسنه الناس وسمعت
بعض العامة يحذف منه اسم عيسى فخطرت لي أنه ربما كان من أقسام اليهود وسرى
منهم إلى المسلمين

وأما أبجد هوز الخ فهي كلمات ضبطوا بها حروف المعجم ولهم فيها روايات
جمع المشهور منها الشيخ حسين والي في كتاب الاملاء قال

« هذا وكان تعليم الحروف في أول الامر على ترتيب - أبجد هوز حطى
كلن سغفص قرشت تمخذ ضفطخ قال في القاموس : وأبجد إلى قرشت وكلن رئيسهم
ملوك مدين - ووضعو الكتابة العربية على عدد حروف أسمائهم - هلكوا يوم
الظلة فقالت ابنة كلن

كلن هدم ركني	هلكه وسط المعلة
سيد القوم أتاه	محتف ناراً وسط ظله
جلت ناراً عليهم	دارم كللضطه

«ثم وجدوا بدم تُخذ ضغط فسموها الروادف اه فهم قوم شبيب صلى الله عليه وسلم وبواقته ما في الخطط المقررة

» وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص وعروة بن الزبير انها قالا -- أول من وضع الكتاب العربي قوم من الاوائل نزولوا في عدنان ابن ادين أول أسماؤم -- أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت -- فوضع الكتاب العربي على أسماؤهم ووجدوا حروفا ستة ليست من أسماؤهم وهي تُخذ ضغط فسموها الروادف اه أما الفقهاء فقد قال منهم محمد سمعت بعض أهل العلم يقول انها اسماء ولد سابور ملك فارس -- أمر من كان في طاعته من العرب ان يكتبوها -- قال فلا أرى لأحد ان يكتبها فانها حرام اه وقال سخون سمعت حفص بن غياث يحدث ان أبا جاد اسماء شباطين اه وبني على ذلك كراهة تعليمها الصبيان انتهى المراد من كتاب الاملاء

باب المناظرة والمراسلة

مطالب مسلمي روسيا من دولتهم

﴿ تمة رسالة الشيخ رضا الدين ﴾

الكلام على المادة الثامنة

نحن نعتبرها عاماً أن في هذه المادة «بالخصومات العائلية» توخيًا لسهولة وفي الواقع ان هذه الخصومات لا تمدد البيوت (العائلات) في الغالب وهي تفارق الخصومات الأخرى بوجوده عديدة . لاجتهاد المجتهد دخل كبير في سائر الخصومات وكثيراً ما يعول القاضي في فصلها عليه . وأما الخصومات العائلية فمعظمها -- ان لم نقل كلها -- يرجع في فصلها الى الكتاب والسنة فقط . وتقسيم التركة مثلاً لا حاجة فيه الى الاجتهاد بالمرة وإنما العدة في الكتاب والسنة . أو نقول: ان الحاجة فيه الى الاجتهاد شاذة نادرة ليست بمحاولة الحكومة الروسية أخذ فصل الخصومات العائلية من أيدي قضاة المسلمين وتسليمها الى المحاكم المدنية أمراً حديثاً . بل يظهر من مطالعة كتاب (رحلة تركستان) لرجل يقال له «شهلر» ان الحكومة همت بهذا الامر قبل اليوم بثلاثين سنة

غير أنه قد عرض حينئذ في سبيل اتمامه عوائق اضطررها الى إرجائه الى يوم يرانيها
لا ارى وسيلة معقولة تتوصل بها الحكومة الى سلب قضاة المسلمين حق فصل
« الخصومات العائلية » سوى زيادة هضم حقوق المسلمات ، وعدم اقتدار علماء
المسلمين على ثلاني هذا الخلل في الحكم والقضاء

اذا فاجأتنا الحكومة قائلة : أيها المسلمون قدم وطم ينكم ظلم النساء والاجحاف
بمقوقهن . وقضائكم لا يفكرون في اصلاح هذا الخلل . والخطب يتفاقم وما فيوما :
أفوجدنا نفعا ان نتجاوزها قائلين : نحن براء ما تنهيننا به ؟ أو ان نقول : ليق الامر
بأيدينا ولو كانت الحال كما تقولين : كلا

ان رجال الحكومة لا تخفى عليهم خافية من شؤنا اللهم يراقبوننا بقلوب متعطشة
ومعيون ساهرة وان كنا نخافهم غافلين عنها . نعم ان المراض التي ترفع الى المقامات
العالية من قبل المسلمات قليلة بالنسبة الى عدد النفوس . غير ان قتلها لائصلاح ان
تكون دليلاً على قلة وقوع الظلم عليهن . لان المسلمات في هذه البلاد متحجبات
لا يمكن التظلم والتشكي من حالهن بأنفسهن . وفريق نهن يزجن الايام في
العذاب الاليم والشقاء الدائم متسليات باحالة الامور الى القضاء والقدر

فايقاؤهن على هذه الحالة التعيسة جدير بان يعد ضرباً من الظلم وعدم
الاكتراث بشأن هؤلاء المسكينات . مطالبنا الحكومة بما في هذه المادة كما هو تشبه
قولنا لها : لا يهنا أمر المسلمات وانصافهن وانما يهنا بقاء الامر بأيدينا ؛ ولا أعلن
الحكومة قنع لنا بمثل هذه المطالبة العارية من كل حجة وبرهان

لا يقل الظلم والحيف ولا يكون الناس آمنين من قبل حكامهم الا اذا كان
القضاة الشرعيون يراعون مقاصد الشريعة العادلة وكانت القوانين التي يعول عليها
في الحكم وطيدة الاركان ، ثابتة البنيان وفصلت الدعاوي بالعدل ونهري
منهج الانصاف

اذا كانت القوانين ملائمة لمعاملات الناس وحالاتهم الاجتماعية فلا جرم انهم
يعيشون سعداء من هذه الجهة . وأما اذا كانت على العكس فلا تزيد أمورهم الا
ارتباكاً واختلالاً

لا بد في وضع علم الحقوق من ملاحظة عادات الناس وطرق معاملاتهم سواء
كلن مبنياً على أساس الوضع الالهي أو على أساس العقول السليمة والآراء الصائبة .
وعني عن البيان ان عادات الناس وأساليب معاملاتهم تتغير على اختلاف
الاعصار وتحوّل الدول

وهذا التغير الدائم يقتضي تبديل بعض قوانين الازمنة الناجمة في الازمنة
الحاضرة وببديل بعض قوانين الازمنة الحاضرة في الايام الآتية . ومن هنا
نرى الدول الأوروبية تجد وتقوم قوانينها في كل ربع عصر على الاقل . هذا
أمر لا مندوحة عنه في سبر المهنج البشري

لا ينبغي على المشتغلين بالعلم ان المتون المول عليها في علم الحقوق الاسلامية
أوفي الفقه الاسلامي وضمت قبل اليوم بسبعة أو ثمانية قرون في بغداد والري .
والشام (المسمى اليوم طاشكند) وسمرقند ومرغينان و مرو وما إليها من
البلدان الممورة في سالف الازمان . ولا شك ان مؤلفي تلك الكتب راحوا في
وضعها عادات تلك العصور ومناهج معاش أهل تلك البلاد . وبما اننا اليوم
نفيش في عصور غير عصورهم وفي بلاد غير بلادهم نجد طائفة من القواعد الفقهية
المذكورة في تلك الكتب يستحيل العمل بها في هذه الايام في بلادنا . ولذلك
نرى القضاة الشرعيين فينا يلجؤون حيناً بعد حين الى الحكم الجزائي . والحكم
الجزائي وان كان عظيماً عند الله لا تبسده مضاره الدينية في مرة أو مرتين
ولكنه اذا تكرر عدة مرات صار قاعدة مطردة في الحكم حتى ان الحكم بخلافه
يوقع الحكومة في ريبة ويضف ثقتها بقضائنا وقضائنا . وما ينشأ عن هذا من
الغاسد لا يحله الا أهل البصر من القضاة والحكام

وبالجملة ان كثيراً من القواعد المذكورة في الكتب الفقهية لا يمكن الاخذ
بها في الازمنة الحاضرة وان كثيراً من الاشياء التي ظهرت في هذه الايام لا ذكر
لها ولا اشارة اليها في تلك الكتب . فلهذه الاسباب نرى القضاة الشرعيين فينا
يتقلص ظله يوماً فيوماً . ولا يرتابن أحد في شيوخ الظلم وضياح الحقوق اذا لم
يكن القضاء مبنياً على أصول تكفل الملل وإيتاء كل ذي حق حقه

ولذلك يصعب جداً ان نرد على الحكومة نوجيها بنا ظلم النساء والاجحاف بحقوقهن بتطبيق الامر على الواقع وان كان الرد عليهما بالدلائل النظرية والقواعد المنطقية سهلاً ميسوراً

ومن هنا أقول: لا ينبغي لنا ان نطالب الحكومة بما أتى في هذه المادة بصورة مبينة مجملة بل يجب علينا ان نقرن بها بعض الدلائل قائلين مثلاً « نحن لا نرضى في بقاء فصل الخصومات العائلية بأيدي قضائنا لكون هذا الامر عادة معروفة فينا منذ عهد قديم فقط بل نطلبه لكونه أمراً دينياً يحتاج أيضاً لأن حكم القضاة غير المسلمين في مثل هذه الخصومات لا أثر له في نظر الشريعة الاسلامية . بل تصوير الفقه الاسلامي وجعله صالحاً للحكم به في هذا الزمان راجعاً الى علماء المسلمين أنفسهم.

وفي وسع الحكومة أن تؤلف لجنة من علماء المسلمين الكبار وتنوط بها وضع كتاب فقهي في الدعاوى العائلية وأبواب القضاء والشهادات والدعوى والبنات وما شاكلها من المباحث حتى يتخذ القضاة الشرعيون « دستوراً » لفصل في القضاء وفصل الخصومات

ويمكن تلخيص كلامنا على هذه المادة في المباحث الآتية :

- (١) كتبنا الفتمة لاتكني اليوم لفصل الخصومات العائلية
 - (٢) بعض القواعد الفقهية لا يمكننا الجري عليها في هذه الايام
 - (٣) القواعد الفقهية يجوز تغييرها بحسب اقتضاء الأزمنة والمصالح العامة
 - (٤) فصل الدعاوى العائلية من الامور الدينية
 - (٥) يجب وضع كتاب فقهي يكون عمدة للقضاة الشرعيين في قضائهم
- فتتكلّم هنا على هذه المباحث الخمسة مبحثاً مبحثاً ولو باختصار فنقول :
- (المبحث الاول) : لو شئنا سردنا هنا لاثبات هذا المدعى دلائل كثيرة بيد أننا لانحب أن نطيل المقال بإيراد الأمثلة الجزئية المختلفة . غني عن البيان أن كتبنا الفتمة ألغت في زمان لم تكن فيه البوسطة (البريد المنتظم الحاضر) والتلغراف والتليفون وما إليها من المخترعات الحديثة . وكذلك لم يكن فيه دفاتر لمواليه

والوفيات المنتظمة كالיום ولا محكمة الاشهاد التي عُرف في روسيا (بالناثاريوس)
ولا شهادة الحاكم والاطباء ولا النفي الى سيبيريا مؤبداً أو مؤقتاً بمدة مديدة
ولا الحكم بالانحراف في سلك المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة وماشا كلها من
النظامات المستحدثة في الدول المتمدنة اليوم . مع ان لهذه المذكورات دخلا
كبيرا اليوم في ماملاتنا ودعاونا وفصل المحصومات وعلان الاحكام
ولا يتسنى تطبيق احكام تلك النظامات الحديثة على ما في الكتب الفقهية
الا لافراد قلائل من نوابغ العلماء . والكتب التي لاتصلح أن تكون « حدة »
لكل قاض جديرة بأن يقال فيها : انها لا تكفي لحاجة العسر الحاضر .

يكلف رجل مقيم في احدى مدن سيبيريا امرأته الساكنة في أحد بلدان
روسيا المتوسطة بواسطة التفراف بعد اشهاد محكمة « الناثاريوس » على هذا
الكلاف . أو يبعث رجل في مدينه « موسكو » بكثاب الى زوجه في سيبيريا
يخبرها فيه بطلاقها بعد أن حول النقود التي تصرفها المرأة لتفقة المدة على احدى
البنوك . في مثل هذه النوازل يحار قضاتنا الشرعيون المتوسطون فلا يكادون
يستخرجون فيها حكما من كتب فقهية تنوء بيمين . واما كبار القضاة — وان لم
تملكهم الخبرة بالمره — فلا يعدو فكرهم مباحث « كتاب القاضي » ومبحث
« جواز العمل بالخط وعدم جوازه » . ولا يخفى على البصير ان فصل تلك القضايا
بأمثال هذه المباحث أصعب من خراط القتاد . فتضطر أولئك النساء الى تزجية
الايام كالمطلقات شاكيات القضاء والقدر الى آخر حياتهن

(المبحث الثاني) يقع أحيانا أن جزأ من دعوى واحدة ينظر في مقاطعة
« يا كوتسكي » (في أقاليم سيبيريا) وجزأ آخر في بلدة « بلاياي » (في أواسط
روسيا) تلجأ قضاتنا اليوم عند النظر في أمثال هذه الدعاوي الى ما في فصول
« كتاب القاضي الى القاضي » من الاحكام . مع ان أوجه الاقوال في هذه
الفصول (وهو قول أبي يوسف) لا يمكن تطبيقه على ما يجري في هذه البلاد .
هذه المرأة الساكنة في « بلاياي » مثلا تقضي ثلاثين أو أربعين عاما من حياتها
وهي تندب حظها . مع ان زوجها لا يزال في قيد الحياة وليس من المفقودين أيضا

ولا يتسنى لها الاجتماع معه ولو مرة في عمرها . ياليت مثل هذه المرأة كانت واحدة أو عشرة فقط . بيد أنهم لسوء الحظ يعددون بمئات في جميع أنحاء البلاد (الروسية) التي يسكنها المسلمون

لا يذهبن أحد الى أي ألحق بكلامي السابق على الكتب الفقهية وأحط من قدر مسائل « كتاب القاضي الى القاضي » فإن العمل بما في تلك الفصول كان موافقاً غاية الموافقة لمصوّر الأولى المحدث في كل أسباب العمران وشؤون المدن . وأما اليوم فقد انقلبت الأمور ظهرا لبطن حتى لو رجع الامام أبو حنيفة لنحى الكتب الفقهية التي ألفها تلميذه الامام محمد عن مستقرها الذي أقرتها فيه متفهمة الأزمنة المتأخرة ووضع فقهاً جديداً يلائم روح هذا الزمان لا محالة .

لا يحسن بنا البتة أن نحاول تطبيق الحوادث وجميع شؤون الناس المتجددة على القواعد المحصورة بين جلود الكتب الفقهية بل يجب على كل بصير أن يبذل غاية جهده في تطبيق تلك القواعد على الحوادث والمعادات . رأينا كثيراً من أئمة الدين على الكتب الفقهية كانوا بأبواب كل الإياء تصديق خبر روية الهلال الذي برد اليهم ممن يعرفونه في البريد إذ يجدونه غير مستوف لتقيود المذكورة في باب « كتاب القاضي الى القاضي » المذكور في كتب الفقه المتداولة

مع ان هؤلاء لم يكونوا يرتابون أدنى ارتياب في كونهم هم أئمة المساجد أصحاب المنشورات حين يتلقون منشوراتهم التي كانت ترسل اليهم من مراكز الولايات بمئات من الوسائط — من يد مستخدم روسي في المركز (بمعناه المعروف بمصر) .

يقضي قضائنا اليوم في المرأة التي يمجز زوجها عن الاتفاق عليها باستئنتها على زوجها ولا يجوزون الفرقه بهذا السبب أبداً

كان هذا الحكم موافقاً في المصور الأولى (وربما يكون موافقاً في هذا العصر أيضاً) لمعيشة من يسكنون الكوفة وبغداد وأمثالهما من البلاد الحارة . وأما بلادنا التي يحكم فيها البرد الشتوي الزهريري عدة شهور فنحال العمل فيها بهذا الحكم . لان المبلغ الذي يكفي في تلك البلاد الحارة تعيش عشر

نساء لا يكفي في بلادنا تعيش نصف امرأة .

ليت شمري ماذا نجني المرأة من وراء هذا الحكم الذي لا أثر له في الواقع .
لماذا لا يحكم باستدانة زوجها ؟ إذا لم يجد الرجل من يقرضه فن أين تعده المرأة
المستضعفة ؟ أتظنون المرأة تنصرف من عند القاضي مبهجة بحسن حالها عند
ما يقول لها : حكنا لك بأن تستديني على زوجك ؟ أي فرق بين حكم يمكن
تنفيذه وبين حكم لا يترتب عليه أثر مالي الواقع ؟

يشير علماءنا في مسألة العنة المضلة الى العمل بأقوال النساء . هذه المسألة
قد طالما اعترف نطس الاطباء بسجورهم عن إدراك حقيقتها في هذا العصر الذي
ارتقى فيه علم الطب والشريع ارتقاء رائعا (راجع كتاب حياتنا التناسلية)
فكيف يجوز لنا في مثل هذه المسألة الطبية المضلة ان نول على أقوال فساتنا
الجاهلات اللواتي لا يعرفن شيئا سوى الثروة بالسفاسف والتباهي بالثياب والريش ؟
طلبت ذات مرة امرأة الفرقه من زوجها في المحكمة الشرعية (باوفا - روسيا)
مدعية عنه . فحكمت المحكمة بالتأجيل المعروف في كتب الفقه . ثم ظهرت
مسألة أخرى وهي : هل الزوجان يقضيان الاجل المضروب مما أو يقضيانه كيفما
يشآن ؟ المرأة وضيت مسا كتنزوها الى انتهاء الاجل غير أنها اشترطت الإقامة
في غير منزل محبها . وأنت بعدة موانع تمنعها من الإقامة فيه . وأما الرجل فهو رد على
المرأة دعواها قائلا : انه لا يمكنه مفارقة منزل أبيه لأنه يقوم بمحاجاته ومهامه وكان
في مهنة واحدة . ولما أبطلت المحكمة في فصل هذه الدعوى فصلاً نهائياً رفعت
المرأة الى نظارة الداخلية مريرة شديدة الهمجة تشكو فيها إبطال المحكمة الشرعية
في حل القضية . فأخذت المحكمة تشغل من جهة بالجواب عن استعلام تلك
النظارة . ومن جهة أخرى كتب الى « القسم الطبي » (باصطلاح الحكومة هناك)
كي يعمل الكشف الطبي للرجل والمرأة جميعا . فعمل لهما الكشف الطبي عند
شاهد من قبل المحكمة الشرعية الى أن كتب القسم المد كود في شهادته - سلامة
الرجل من العنة وعدم تيقنه بشي في أمر المرأة . أمثال هذه القضية تقع في كل زمان .
ومن لنا بدلائل قهية من مختصر القدوري والهداية بل الجامع الصغير

يفصل أمثال هذه الدعاوي فصلا مرضيا ؟ ولا أظن أن هذا يتيسر لكل قاض من قضاتنا الشرعيين . فحين لنا عما سبق بالاجمال أن كثيرا من القواعد الفقهية لا يمكن الجري عليها في هذا الزمان .

(المبحث الثالث) : لا يستلزم تغير بعض مافي الكتب الفقهية بمذهب اقتضاء الزمان والمكان وتبدل قواعدها البالية بقواعد كافة لمصالح الناس في عصورهم التي يعيشون فيها تغيير أصول الشريعة الاسلامية العامة وتحريمها الفقه الاسلامي عبارة عن ركنين . ركن يتألف من أصول الشريعة المعروفة عند أهل كل المذاهب المتبعة . وركن آخر عبارة عن القوانين الاسلامية المولفة من آراء رجال معروفين وغير معروفين في أزمنة مختلفة القوانين الاسلامية لا فرق بينها وبين قوانين الروم القديمة أو قوانين فرنسا وأمريكا مثلا في كون كل منها موضوعة بأراء الرجال . كل الآراء التي ارتأها الفقهاء المتقدمون لما انتضت معاملات الناس وعاداتهم في زمانهم واتبعوها بقولهم « هذا هو الاوفق لهذا الزمان » أو « هذا هو الأرفق بالناس » أو « العقل السليم يقضي بهذا » أو « عموم البلوي يجيز العمل بهذه القاعدة » وما اليها من أقوالهم . كل هذه عبارة عن القانون الاسلامي الوضعي والسلام

ولا بأس ان نشفع كلامنا هذا بمثال : كون نصيب البنت الواحدة من الحركة نصفاً حكم شرعي لا هوادة فيه لأنه ثابت بالكتاب . أما قاعدة مراجعة النساء في مسألة العنين فهو قانون اسلامي لكونه رأيا بحثا من آراء الفقهاء . (لا أظن أن مسألة العنين وقعت على عهد النبي (ص) بجميع فروعها . لان العلامة ابن القيم مع التزامه جمع كل الوقائع التي وقعت والاحكام التي صدرت مما يتعلق بالاسلام في ذلك الزمان لا يذكر شيئا من ذلك القيل كتابه « زاد المعاد » المعروف بل مسألة التأجيل نفسها يروى الكمال في فتح القدير كونها منقولة عن الخليفة الثاني والرابع فقط . واما قاعدة العمل في هذه المسئلة بتأوى النساء فلم نضرب الى الآن على مبشركها مع طول بحثنا وتنقيتها عنه في الكتب الفقهية . هذا في العنين وأما الوسائل التي يذكرها الفقهاء فتوصل بها الى معرفة البكارية

فحدث عن غرايتها ولا حرج)

الحكم الشرعي الثابت بالكتاب مثلاً لا يجوز تغييره بوجه من الوجوه -
- الا في الضرورة الملحة - . وأما القانون الاسلامي فلا أرى بأساً في تغييره
وتطبيقه على مصالح كل زمان ومكان لانه مما تغير شكله وتبدلت صورته لا يخرج
عن كونه قانوناً اسلامياً

(المبحث الرابع) كانه يجب ان تكون أصول الاحكام التي يبنى عليها فصل
الدعوى الماثلة أحد الأصول الشرعية المروقة (لا يضر حكمتنا هذا ما في تلك
الاحكام من القوانين الاسلامية لأن أحكام الآراء انما هي في فروع الاحكام
دون جوهرها على ان القوانين الاسلامية نفسها لا مندوحة عن كون واضعها
مسلمين) فكذلك يجب ان يكون القضاة الذين يقضون بها قضاء شرعيين
واقاضي الشرعي لكونه نائباً في القضاء عن الرسول (ص) لا بد من كونه مسلماً
ومن أجل هذا نهد الخلفاء العباسيين لم يوسدوا القضاء الى غير المسلمين من
وسدوا الى علماء اليهود والنصارى والصابئين والمجوس أكبر الوظائف غير القضاء .
كان نكاح المسيحيين لا يد شرعياً الا اذا باشر عقده أحد الروحانيين منهم
فكذلك فصل الدعوى الماثلة في المسلمين لا يد شرعياً اذا جرى على يد قاض
غير مسلم مما كان بارعاً في الفقه الاسلامي . لأن القضاء في الدعوى الماثلة وظلمة
دينية بمحة كالإمامة في الصلاة سواء بسواء . فنعلم من هذا ان قضاء القاضي المسلم
بالقوانين الوضعية في الدعوى الماثلة ليس بشيء في نظر الشرع فكيف بقضاء
القاضي غير المسلم تلك القوانين ؟

ثم ان المذاهب المشهورة تشترط كون القاضي مجتهداً . قضاء القاضي غير المجتهد
وان كان ينفذ في مذهب الحنفية غير ان له شبهة قوية في كون هذا القول قول
أبي حنيفة نفسه . على أنهم لا يميزون قضاء القاضي المقلد الا اذا كان مستنداً الى
فتوى المفتي المجتهد . فلا يبقى كبير فرق بين المذهبيين . لأن الأول يقضي بكون
القاضي مجتهداً مباشرة وثاني يقضي بكونه مجتهداً بالواسطة . وعلى كل حال لا بد
في فصل الدعوى الماثلة من قاض مجتهد أو مفت مجتهد . ولا يجوز ان يفتى غير المجتهد

في المذهب الراجح . واشترط الاسلام للاجتهاد أمر لا خلاف فيه بين المسلمين
أوجزنا الكلام بهذا الشأن إيجازاً ولم نكتب ما كتبنا إلا بظن أنه قد يكون
عونا على إبقاء فصل الدعاوى المذكورة بأيدي علاننا . اذ نحن أنكرنا كون أئمة
مساجدنا قضاة شرعيين وذهبنا مع ذلك الى اقضاء عصر الاجتهاد وانداد باب
كنا كمن قضى يده من النظر في تلك الدعاوى باختياره وسلمها الى المحاكم
المدنية برضاء

فن البعث اذاً أن تتفاوض فيما بيننا في إبقائها على حالها الأولى
قال العلماء المحققون بمجاوز تفصيل القضاء ببعض الاحكام وكذلك قالوا
بوجوب اتخاذ ثلاثة نفر من المسلمين القاطنين في موطن واحد منهم قاضياً لهم .
صرحت الحكومة في قوانينها المتعلقة بأئمة المساجد بأن في وسع الأئمة ان يفصلوا
القضايا العائلية الحادثة في أحيائهم بمقتضى شريعهم وان يملئوا الحكم للمتخاصمين .
وليس اليهم فصل الدعاوى المالية ، فالذي يمنع ان يكون هؤلاء قضاة شرعيين ؛
لا يمنعهم من ذلك كونهم منصوبين من قبل حكومة غير اسلامية . لأن القضاء
يمحوز تقلده من أية حكومة كانت

ولا يمتل أن يكون المانع هو عدم تلقبهم بالقضاة . لان القضاء لا يشترط
فيه هذا القرب (القاضي) . ولا إخال ان أحداً يتنازعنا في ذلك ، فالأئمة اذاً ؟
ان الحكومة مكنت أئمة المساجد عندنا من النظر في دعاوى النكاح والطلاق وامثالها
تمكيناً ماحتمى أنها تؤاخذهم مؤاخذه عذبة اذا هم قصر وافي ذلك كما أنها تؤاخذهم
اذا تخلفوا عن الاماءة في صلاة الجمعة بلا عذر شرعي (ارجع الى القوانين المتعلقة بذلك)
ليست المنشورات التي تعطىها المحكمة الشرعية لأئمة المساجد هي التي تثبت
لهم وظيفة القضاء . لان نصب الأئمة والقضاء ليس الى المحكمة الشرعية في
هذه البلاد . واذا نظرتم الى مواد القانون التي تذكر في منشورات الأئمة
ظهر لكم هذا ظهوراً بديناً . فيما قلنا يتبين سقوط قول القائل : لا تكون أئمة
المساجد قضاة شرعيين الا اذا نصبتهم المحكمة الشرعية
لا يجوز لنا أن نتدخل في الأمور التي تناط بها حياة الامة وبقاؤها بل

يتحتم علينا أن نجعل قداح التشاور بعد أن فرغنا من قلوبنا كل غرض شخصي
وسخية كاملة .

إذا كان في ادعاء كون أئمة المساجد عندنا قضاء شرعيين شيء يصادم
الشرعية أو يضر بمستقبل الأمة فإنا لا يصعب على العدول عن هذا الرأي في كل حين
وما أفا إلا من غزية أن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

(المبحث الخامس) مسلمو روسيا في حاجة شديدة الى كتاب في علم
الحقوق الاسلامية (أو الفقه الاسلامي) ملائم لقتضيات هذا الزمان يكون «دستوراً»
لقضائنا الشرعيين في فصل الدعاوي العائلية .

إذا بقيت وظيفة فصل هذه الدعاوي بأيدي لماننا كما كان في السابق تحتم
علينا قبل كل شيء سواء أمرت الحكومة أو سكنت أن نبادر الى وضع مثل هذا
الكتاب .

وفي عن البيان ان وضع كتاب على هذا النحو إنما يكون بواسطة «لجنة»
مؤلفة من أكابر العلماء وأفاضل المدرسين ثم محور وينتج ما فيه من الأحكام
بحيث لا يتناقض الأصول الشرعية على ممر الأيام . بروى حديث معناه «يأتي
على كل رأس أئمة سنة مجددون يجددون الدين» وإذا صح هذا الحديث فلا
مندوحة من أن يكون في حاجات الأمة ومهمات . وأهم المهمات للمسلمين بل
لمجتمع الانساني بأسره هو علم الحقوق والفقه دون الشرع والتاريخ والتصوف .
لأن الفقه المعزو الى الدين إذا لم يكن كافلاً بحفظ حقوق الناس وصيانة مصالحهم
تقد يكون سبباً لرغبة الناس عن الدين نفسه . وإذا كانت الاحكام غير ملائمة
لمصالح الناس فلا جرم تضاف ثقتهم أيضاً بالقضاة الذين يحكمون بها . متى سمعنا
الناس يعززون العدل الى قضاة يحكمون احكام مشوشة مخلة ؟ متى سمعنا أمة
تراخت روابط المحبة بينها وبين قضائها وحكامها ثم حييت حياة طيبة وبقيت
وطيدة الأركان ثابتة البيان ؟ إذا كان هذا شأن الفقه مع الأمة الاسلامية فما
الذي اضطر بعضهم الى حل حديث التجديد على التصوف ؟ هل التصوف
وكن من أركان الاسلام حتى يعنى به هذا الاعتناء ؟

كيف بوضع هذا الكتاب ؟ هذا سؤال سابق لاوانه . لأنه لم يكن بعد وقت المناقضة في كيفية الوضع وما علينا الآن الا أن ننظر في أمورهمنا في الحالة الراهنة . ومع هذا وذلك فلا بأس علينا اذا ألمعنا هنا إلى كيفية الوضع أيضا . اذا جاء وقت وضع كتاب على نحو ما ذكرنا وجب علينا أن نضمه معتمدين على أصول الشريعة مما أمكن من غير تقييد بمذهب خاص . بل ترجع الى كتب المذاهب المعروفة قاطبة فيؤخذ الصالح مما فيها ويترك غير الصالح . ولا تضرنا تسمية هذا العمل (تلفيقا) . لأنه لم يقم الى الآن دليل ناهض على حرمة (التلفيق) و بطلانه

من ينكر علينا كون المذهب المدعو بمذهب الحنفية ملتقا من المذاهب الثلاثة المتخالفة أصولا وفروعا . اذا أنكر علينا هذا منكر فليتنفضل بدليله . يقول المحققون : ان الخلاف بين أبي حنيفة وصاحبيه أكثر وأشد مما بين الامام مالك وبين الامام أحمد

لم يوقع الامة في هذا الاقتراق الشنيع وفي مهاوي القل والفاقة والفوضى والمصعب الجاهلي الا فشو التقليد وتكثر المقلدين . يكون اجتماع الكلمة واشتداد الاواخي بين أفراد الامة بحسب كثرة المهتدين والباحثين وتقلص ظل المقلدين والباحثين هذه المذاهب المنبجة فنها لم تكن متبعة على عهد المهتدين أنفسهم وانما صارت متبعة بعدم عدة قرون

وحين كان المهتدون كثيرين لم تكن الامة مصابة بداء الاقتراق المضال الذي فت في عضدها وذهب بمتنها ولم تنفق اذذاك سوق التضييلات والتجهيلات كما نفقت بعد إغلاق المسلمين في وجوههم أبواب الاجتهاد بأيديهم . العلم قطعة كثرها الجاهلون . وأستغفر الله إن ظني القلم ، أوزلت القدم ، والعصاة لله المتعالم ، وما بعد الحق الا الضلال .

الاتقاد على محمد فريد أفندي وجدي

٢

وصف بعض المهررين في إحدى الجرائد اليومية فريد أفندي وجدي بأنه من عشاق الانتقاد عليه وكنا نحن على علم بقيني بأنه يحقت الانتقاد أشد المقت لأنه من أصحاب الدعوى العريضة والضرور ولأنه لما طبع كتاب (تطبيق الديانة الاسلامية على نواميس المدنية) وأهداه إلينا تصفحنا بعض صفحاته فألفينا فيه من الخطأ في المسائل الدينية والدعوى ما لا يجوز السكوت عليه وكنا قد عرفنا الرجل معرفة شخصية وأحسننا الظن به لما حدثنا به عنه بعض محبيه من انقطاعه لسطاة والكتابة فكرهنا أن فنقد الكتاب بدون استشارته واستئذانه فكتبنا إليه - وكان في دمياط - نطلب في الاستئذان ونلبسه من حلل الثناء ما يكون به حسناً جيلاً فكتب إلينا راجياً أن لا فنقد الكتاب وقال ان الانتقاد يصرف الناس عن المنتقد لأن الأمة لم تعود ذلك أو ما هذا معناه . فاكتبنا يومئذ بطرائه وإطراره كتابه تنشيطاً له الا أننا انتقدنا عليه شيئاً وحداً وهو دعوى ان أحداً لم يقم بالبحث عن أسباب ما حل بالمسلمين لما فيه من هضم المآثر (١)

(١) كتبنا في (ص ١١١ م ٢) تقريراً لهذا الكتاب قلنا فيه ما نصه :
وما انتقدناه (نأمل كلمة مما) على صديقنا الفاضل مؤلفه انه هضم حقنا في خدمتنا في المآثر حيث قال في فاتحة الكتاب ما نصه : نسع كل جمعة على المتأبر قاتلاً يقول لم يبق من الاسلام الا اسمه ولا من القرآن الا رسمه ولكننا لم نسع نخط بأن عاقلاً قام يبحث بدقة وثبات عن أسباب هذا الاضمحلال الشديد الذي وقعت فيه الامة الاسلامية من منذ (كذا) قرون كثيرة . اما والعلم لو بحث باحث عن علل هذا الهبوط المائل بسد ذلك الصمود السريع ما وجدها الا في ترك السنن واتباع البدع : اه نحن قد سبقناه الى هذا في المآثر إجمالاً وتفصيلاً حتي ان عبارة الخطباء التي قالها قد ذكرناها في مقالة افتتحنا بها العدد ١٩ من السنة الأولى وتكلمنا فيها على البدع . وقد كتب المؤلف لهذا العاجز كتاباً

لما كتب ذلك الكاتب في تلك الجريدة ما كتب قلنا لعل الزمان غير
منه فحُجب اليه الانتقاد أوله صار يحسن الظن بالامة فلا يخاف أن تصرفها كلمة
فقد عن الشيء القبي تنقده اذا كان حسنا في نفسه فكبتنا في جزء الشهر الماضي
ما كتبنا ولم يكده ينشر الجزء حتى يادر فريد أفندي وجدي الى كتابة أربع
مقالات في جريدة اللواء تمثل كل كلمة منها لقاريه اضطراب مجموعته العصبي
— وهو عصبي المزاج — وبلوغ النبط والفضب والامتناض منه منتهى ما تبلغ
من أمثاله المصبيين . على أنه يقرر ويكرر في كتاباته ما اقتنسه من النار وأغبره
من قول الامام مالك : كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه الا صاحب هذا
القبر : (يشير الى قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم) بل يصرح بأن هذا أصل من
أصول الاسلام « العمرانية » التي يفضل بها غيره . فلماذا عظم عليه الانتقاد
عليه وأخذته العزة بالاثم حتى استفرغ كل هاتيك الفيرة والإزراء بالمتقد
والتعظيم والتبجيل لنفسه وكلامها منكر عظيم ؟

ذكرنا في نبذة الجزء الماضي ان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى قال في
وصف ما يكتب فريد أفندي وجدي انه مقدمات وعود . وكان يرجى أن
تفيد هذه الموعظة الحريية من امام مصر وحكيم الشرق ومفخر مصر فيترك تلك
المقدمات والعود التي كلها دعاوى وتبجح ويشكلم في المقاصد من غير أن يدخل
نفسه فيها ولكنه كان بعد العلم بها أوغل في ذلك منه قبله وزاد على العود
الوعيد فوعدا اذا عدنا الى الانتقاد عليه بما يأتي

قال في آخر المقالة الاولى بعد دعوى أن الناس يهدون منه الى اليوم دفع

كثيرة يثني فيها على خدمتنا للاسلام وكأنه ذهل عن ذلك عند كتابة ما ذكر
وسبحان المنزه عن الذهول والسيان « اه ما كثبناه في المجلد الثاني . ولما قرأه
المؤلف يومئذ كتب الينا يعتذر ويمد بأن سبني النار حقه في طبعه ثابته (راجع
ص ١٢٧ م ٢) ولكنه لم يفعل على انه كان كتب الينا كتابا قال فيه انه بكتابه
هذا يعضد مشروعا ويقوي صوتنا

السيرة بالحسنة مانعه ، فإن لم يجد الشيخ رشيد الى صوابه ويحترم الامة التي يعيش بين أظهرها ويعرف مقامه من العلم والعمل اضطررنا لتقرب سقائنا في مجلة الحياة وشذنا عليه غارة لا يتم بعدها رأسا فيأخذ عنا درسا ينفعه هو وأمثاله ممن يريدون أن يعيشوا بين ظهراني هذه الأمة باحتقارها وتضييق أحلام قادتها . مهلا يا أخي فريد أفندي ولا تبطش البطشة الكبرى فاني معذور بما كتبت لأنه اعتقادي وأنت تدعي احترام حرية الاعتقاد حتى إنك تدعي تصحيح عقائد الماروقين من النابتة الجديدة ، مهلا يا أخي ولا تستعمل قدرتك كلها في الانتقام فاني لأعتقد أن بيان غلطك - وأنت غير معصوم - إهانة للأمة وترك لاحترامها . مهلا يا أخي واستعمل الحلم فاني ما علمت ولا سمعت بأفك من قواد الأمة ، ولا اعتقد أن انتقاد القائد إذا أخطأ في قيادته يكون احتقارا للأمة . بيتك يا أخي قد صاحب جريدة القواء في الفخر والدعوى ومدح النفس ولا تقلده في دعوي أن الامة تبع لك وأنها وراة لك فإن هذا هو الاحتقار لها لا بيان خطاك في فهم الشرع وتعريف الوحي وإنكار نبوة آدم عليه السلام ، ولا في فهمك العصية الجنسية الجاهلية

ثم قال في آخر المقالة الرابعة : واني قد تسامحت هذه المرة مع الشيخ رشيد وقاعاً عن مدرسة العلوم العالية ولو عاد للخط من كرامتي وكرامة مدوني ولم يلزم جادة المحاسبة في الكلام على القوم الذين يعيش بين أظهرهم بدأت له في المدرس القدي وعدته به وكذت أنا صوت السخط العام عليه والمائل من اختيار السلام والسلام . اهـ

رقابا يا أخي فريد أفندي واجعل الانتقام خاصا لأعاما ولا تسلط علي الامة اني ترى أنك أنت قائدها فانك ربما جربت ذلك فقضيت علي ثم ندمت !! وربما كشفت لك التجربة أنك لست قائدا للأمة الا في خيالك ووجهك وإن مكافأة أخيك أثبت فيها من مكاتك فيوت بالحياة

الانتقام الخاص الذي أذنت لك فيه هو ان تتبع سقعات المنابر وتثنياني الحياة فاني لا أبرئ المنابر من السقعات ولا أدعي العصية وأعني لو أبجد وقفا أقرأ فيه

مجلات النار النسيمة أو المشرقة لاستخراج منها ما علمي هتدى اليه من السقطات وأبينها قنار . واني في كل سنة أحث العلماء على نقد المثار وأشرك كل ما يرد الي من ذلك ولا أسخط على الناقد ولا أهينه ولا أتكبر عليه . واتي آمئى ان تستبين على نقد المثار بتبرك فما أراك وحدك اهلا لنسب اطلاقك على العلوم الدينية واتمنى ان يكون من تستعين به من غير المهين لي وأنصح لك ان تترك في ذلك مدح نفسك وذم غيرك وما اعتدته من المقدمات والوعود فإلك ان تفعل هذا انقل كلامك في انتقاد المثار وإلا أهملته ولم أحفل به

وأما الانتقام العام الذي نهيتك عنه مع علي بعجزك فهو تحريك العصية الجاهلية علي أعني عصية الجنسية لأنني لست مصر يا

العصية الجاهلية والاسلام

لم تكف يا أخي بالفتيرة والازراء في مقالناك حتى قددت جريرة القواء في شر ما جنت به على الاسلام من تحريك عصية الجاهلية بتفريق المسلمين الى جنسيات مناطها الوطنية فأخذت ترجف بأن الحامل لي على انتقاد كلامك كراهة ان ينجح للمصريين عمل عظيم (كدراسة العلوم العليا) ولماذا يا ترى أكره ان ينجح للمصريين عمل عظيم ؟ هل أنا على مذهب مصطفى كامل في العصية الجنسية الجاهلية التي يحياها الاسلام فقام هو يثبتها وجئت أنت اليوم تؤيده من حيث أيدك في نشر طعنك في أخيك

ألست قد حاربت هذه النزعة الجاهلية وديننت فسادها مرارا كثيرة ؟ على أنني بأذل كل حياتي لصيحة المصريين وخدمتهم قبل غيرهم من الشعوب الاسلامية التي هي عندي في مرتبة واحدة من حيث هم مسلمون لا أفضل سوديا على صيني ولا نونسيا على مصري

قلت بعد الارجاف بما ذكره المصري ببح بأنه ربما كان لطف أخلاق المصريين ومجاهداتهم سببا في جرأتي على الاتقيات عليك مانصه : « لم يكف هذا الرجل أن يتحكك في مجلتي بملوكنا وأمرائنا وعلماؤنا وكتابتنا ورجال صحافتنا على طريقة أصحاب الجرائد الساقطة حتى قام اليوم يفتات على أئمة الدين » الخ

أقول لو أنك قلت هذا القول قبل سنتين أو أكثر لأحسنت فيك الظن وقلت له لا يدري ماذا جنى هؤلاء الرؤساء على الاسلام والمسلمين فهو يعتقدان ما نسب اليهم خطأ بضر ولكنك في هذه المدة الاخيرة قلدتني في ذلك حتى غلوت في ذم هؤلاء الرؤساء غلوا كبيرا وحكمت بمروقهم مع معظم الامة من الاسلام وخصصت منهم أهل الازهر بأشد الطعن لاسيا في مقالاتك التي نشرت في المنبر وادعيت أنه لم يبق أحد من أصحاب العمامة يرجع اليه في فهم الدين وإنما انحصر علم الدين في بعض أصحاب الطرايش وإنما تعني طربوشك وحده فإنه يرجع بعده طرايش كما يرجع بالعمامة كلها . فكيف جاز لك هذا القول ولم يجوز لي ان ابين الحقائق بالاعتدال ؟ لعل السبب في ذلك أنك ولدت في مصر وان لم تكن مصري الاصل وأنا لم أتشرف بمثل هذا المولد

ان هذه الامة أمة واحدة كما جاء في الكتاب العزيز فكيف يفرقتها فريد افندي تبعا لصاحب جريدة القواء ويجعلها أما وتلك هي العصبية الجاهلية التي أزالتها الاسلام وجعل المؤمنين أخوة أينما كانوا ومن أي جنس كانوا . وقد قال صلى الله عليه وسلم « ليس منا من دعا الى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية » رواه أبو داود من حديث جبير بن مطعم . وقال صلى الله عليه وسلم « من قتل تحت راية عمية ينصر العصبية وينصب للعصبية فقتلته جاهلية » رواه مسلم والترمذي عن جندب وفي حديث البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر - وفاهيك بمكانه من الدين - « إنك امرؤ فيك جاهلية » أتدري لماذا قال له ذلك ؟ قاله له لما عير بلالا الحبشي بأمة الحبشية . أتدري ماذا فعل أبو ذر عند ذلك ؟ أنه وضع خده على الثواب وآلى أن لا يرضه حتى يطأ عليه بلال . فهل كنت وأنا عربي من سلالة الرسول أبعد عن مسلمي مصر في الجنس من بلال الحبشي عن أبي ذر . فإذا كان صاحب ورقة القواء يدعو الى العصبية الجنسية لأنه سبامي لا يبالى وافق الاسلام في سياسته أم خالفه فأنت يا فريد افندي لست سياسيا بل تنفج دائما بالدعوة الى الاسلام فما معنى إخراجك إياي من هذه الامة وتحريض من فننهم جريدة القواء بالعصبية

الجاهلية عن هدي الاسلام وأخوة الايمان علي وتبقيضي اليهم بإيها ملك إياهم
 أنني أحقر المصريين كافة ولا أحب لهم الخير لأنني لست منهم .
 إن أمثال هؤلاء المقتنين لقيمة لرضام ولا لسخطهم نفسي أن المؤمنين
 الصادقين من المصريين بروني أخا لهم وأرام أخوة لي وإن زعمت أنهم قليل
 لتصرحك بأن أكثر الأمة عواصم وعواصمها ليسوا على الاسلام الصحيح فإن
 هذا القليل من خير من كثير أهل العصية الجاهلية . على أنني أحب الخير
 لجميع الناس من جميع الشعوب والاجناس ويعرف لي هذا كثير من المؤمنين والمخالفين
 ظن فريد أفندي وجدي كأيظن صاحب جريدة اللواء أن العصية الجاهلية
 أصبحت سلاحاً قاتلاً في أيديهم لا يجرأ أن يجرأ على «دخيل» الا ويجدلانه حتى لا يرتفع
 له رأس ولا تقوم له قاعة (بالفرور) وظن فريد أفندي وجدي أنني لشدة رعي من هذا
 السلاح لم أرد على إبراهيم بك الموليحي اذ انحرف بي من نحو سنتين ونصف
 فكتب في المؤيد يقول أنني جئت مصر فقيراً ثم بعد أن صرت غنياً طعنت
 على أهلها . ونسي فريد أفندي أوتناسي أن المسألة كانت أكبر من ذلك وإن
 الموليحي لم يكن هو الذي طعن في وحده بل انبرى لي يومئذ المؤيد واللواء
 والجوائب وجرائد أخرى ولم أكن أنا المقصود وحدي يومئذ بمجلة هذه الجرائد
 ومن كتب فيها وإنما كان القرض الأول الذي تسدد سهامها اليه هو المحرم
 الأستاذ الامام فخر المصريين وأعظم نابغ في مصر . ولعلم فريد أفندي أن
 تلك الغارة الشعواء التي يعجز هو عن عشر مشارها ما زادت المنار الا انتشاراً ولعله
 لا يجهل مصدرها العالي وما أنفق فيها من بدر الذهب . فاكف يا أخي غربك،
 واستوقف سر بك ، واعلم أن الامر ليس في يدك ، وإن سبهك ربما عاد عليك،
 فهذه نصيحتي إليك ، ثم الى سائر المفرورين ، الذين يفرقون بالجسبة جماعة هذا
 الدين ، ولولا هذه النصيحة ، لما ذكرت عنك هذه النصيحة ، فلا يفرنك
 اعتقادك بجهل الأمة التي قلت بمروقها من الدين وبعلم استعادها للحكم النيابي
 فتظن أنك لمبث بها كائنات ، لاسيما اذا وازرك اللواء ،— فإن الأمة صارت تميز
 بين النافع والضار أكثر مما تظن ولذلك كانت مجلات أكثر السورين تفوق مجلتك

انتشاراً لم يصدحها عن ذلك هذيان الهواء بالصيغة الجاهلية لأن العلم لا وطنية فيه
فما بالك بالدين ؟ ثم أنكلم في المقصد

مدرسة العلوم العالية

قال بعض المتدلين ان كل ما انتقد به المناظر على فريد أفندي صواب ولا
مندوحة عنه الا تلك الكلمة في تصغير شأن مدرسته فانها ليست جوهريّة ولولاها
لم يكن له في الرد على صاحب المناظر كلمة نسمع . ومن نظر الى المسألة في ذاتها كان له
أن يقول ذلك إذ ليست الآن امرأة يكبر عمله الصغير لعظم في أمين الناس
فيقبل عليه قوم ويساعده آخرون ولذلك قال بعض الناس بل قتلوا عنه أنه مادعي
إنشاء مدرسة عالية إسلامية لتدرس فيها جميع العلوم العالية مع تطبيقها على الدين
الا لأجل تمويل أريحية الأغنياء عن الجامعة المصرية اليه هو لأن مدرسته
تحتوي (بحسب دعواه) على جميع العلوم التي تنشأ الجامعة لأجلها وتزيد عليها
علوم الدين . فاذا حولت اليها التبرعات والأوقاف كانت أولى بها وأجدر .
ويقال أنه لمعجب بعد ان مر على كتابة تلك المقالة بشأن المدرسة العليا في المويد
والهواء شهران ولم تنهل عليه الجنبات ، وتكتب لمدرسته الوقفيات ، ولعله هذا
هو سبب قوله في الجزء الأخير من مجلته إن الأمة المصرية غير مستعدة لأن
تحكم نفسها بحكومة نيابية

مهلاً أيها المتدلون لا تمجلوا بالاعتراض على هذه الجملة ولا على أصل المسألة
حتى أين لكم المراد منها وهو ليس بيان الخطأ في تسمية حجرة من مدرسة ابتدائية
مدرسة عالية كما ادعى فقام يشبه نفسه بفلاسفة اليونان ومدرسته بالاماكن التي كانوا
يلقون فيها فلسفتهم اذ لو كان هذا هو المراد لا عرفت بالخطأ وان كنت مصححاً
يمكنني أن أقول إنه يتكلم برف هذا المصر لا برف تلك العصور والمدارس
العالية في هذا المصر مباني عظيمة فيها كثير من الآلات والآثار والتحف المعدنية
والنابنية والحيوانية التي يحتاج اليها في تدريس تلك العلوم ولها كثير من المدرسين
اذ يستحيل أن يتقن العلوم العالية كلها ويستطيع تدريسها رجل واحد من
المتخرجين في تلك المدارس بل فريد أفندي وجدي الذي لم يبرح في العلوم

الأولى فيرتقى الى الوسطى كما يدل على ذلك سقوطه في امتحان شهادة البكالوريا التي يناها الجرم الفغير من الأحداث كل سنة

ليس هذا مانفي فانه من الامور الجزئية وإنما نفني أسراكليا أو مانا اليه في الجزء الماضي إيماء ولم نشرحه لأن في الشرح جرحا واليبب تكفيه الاشارة واذ كان ليبينا لم يكتف بالاشارة فانحن أولاً نشرح ذلك

المسألة ذات بال من جهة فريد أفندي نفسه ومن جهة الأمة . أما من جهته نفسه فان ما ادعاء من انشاء مدرسة عالية ليس هفوة عارضة لا يترتب عليها شيء فيفضى عنها وإنما ذلك شيء صار خلقاً له وملكة فيه وقد أضربه ذلك الخلق كما أضرب الناس ونصبر عن هذا الخلق بالتشيع بما لم يعط الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم « التشيع بما لم يعط كلابس ثوبي زور » متفق من حديث الشيخين

كتابه كنز العلوم والفة

مثال ذلك كتابه (كنز العلوم والفة) كتب في بعض الجرائد اليومية انه شرع في تأليف دائرة معارف كاملة في مجلد واحد يذكر فيها خلاصة ما انتهى اليه البشر في جميع العلوم والمعارف الفوية والدينية والعربية بجميع فنونها والفلكية والطبيعية والكجماوية والتشريعية والطبية والصحية والمدنية والنباتية والحيوانية والجغرافية والعمروانية والتاريخية والرياضية الخ وأندكر أنه وعد بأن يودعه رسوم (خرط) جميع البلاد والممالك وصور أشهر الرجال المثقدين والمتأخرين

فهل في استطاعة أحد من البشر أن يؤلف كتاباً كهذا ؟ كلالاه لم يوجد في البشر من يتقن هذه العلوم كلها إتقاناً يستطيع به تلخيصها في دائرة معارف وإنما يؤلف دوائر المعارف في أوروبا الجمعيات لا الأفراد . ولوفرضنا أن فريد أفندي وجدي أتقن علوم البشر كلها وان لم يتلق علوم الدين ولا طالع جميع علومه ولم يتلق من علوم الدنيا ما يؤهله لشهادة البكالوريا -- فهل في استطاعته أن يجمعها كلها في مجلد واحد مع الخرط والصور أو بدونها أليس اذا قيل إن هذا من المحال الذي لا تتعلق قدرة الله به يكون القول مقولاً

ظهر الكتاب فإذا في مقدمته أنه يحتوي تلك العلوم والفنون كلها - ولكنه لم يذكر الصور والخرط - ولكنك تراجع أم مسائل هذه العلوم فلا تجدها (بالطبع) وما أعناك نحمد منها فكثير الخطأ قليل الفائدة حتى قال أحد العلماء عند ما اطلع عليه : ان هذا الكتاب سيقضي على هذا الرجل ويذهب بمرور المغيرين به : وكان يسهل عليه أن يغير تلك المقدمة التي يكذبها الكتاب في مجموع مواده ويمتدح عن وعده في الجرائد . واننا نورد لك بعض الامثلة على تكذيب الكتاب لهائم نبين وجه تمثيل هذا الكتاب بالمدرسة العالية ووجه كون الانقاد عليهما واجب مفيد لفريد أفندي وللأمة وليس من المسائل الشخصية أو الجزئية

جل فريد أفندي أنواع علوم دائرة معارفه عشرة قال :

(أولا) العلوم الدينية كعلم التوحيد مما يجب أن يعلمه كل إنسان في حق الله تعالى وحق الرسل من عقائد أهل السنة وفي هذا القسم أسماء الرسل وتواريخهم الصحيحة وتراجم الصوفية واصطلاحاتهم وفيه تفصيل شاف لجميع مذاهب المعتزلة والمثلكيين وسائر العقائد التي ظهر بها فلاسفة المسلمين في عصر المدينة العربية . وفيه تنبيه على البدع التي طرأت على المسلمين وتوجيه الافكار لتتوفي منها . وفيه كل المسائل الفقهية التي يحتاج اليها كل مكلف تفصيلا كمسائل الطهارة والوضوء والاعتسال والصلاة والصيام والحج وجميع ما يحتاج اليه الانسان بحيث يستغني به عن السؤال . ولم تقتصر على مذهب واحد بل جشافه بالمذاهب الأربعة ليأخذ منه كل أحد ما يوافق طريقة إمامه اهـ هذا النوع

أقول انه جل العلوم الدينية عدة أنواع ووعد بما سمعت في كل نوع ولم يف به وكيف يف به وهو لا يعرفه واليك الامثلة

(١) أم مسائل علم التوحيد الالهية مسألة وحدانية الله تعالى التي جعلت كلمة التوحيد عنوانا على الاسلام لأجلها ومسألة صفات الله تعالى التي يشتبه السلف دون المعتزلة ومن على شا كلتهم وهو لم يبينها بل لم يذكرها في موادها كما كما وعد ومسألة القدر وقد ذكرها ولم يبين معناها بل اعترف بالعجز عن بيانها

(٢) أم مسائل علم التوحيد في النبوات مسائل الوحي وتكليم الله الانبياء وعصمة الرسل والتبليغ والمقتضيات في القرآن ولم يشرح شيئا منها . ولم يذكر أسماء الرسل المذكورين في القرآن الذين ذكروا في كتب العقائد أنه يجب الايمان بهم تفصيلا حتى انه ذكر داود ولم يذكر سليمان عليهما السلام والتصارى لا يقولون بنبونه ولم يبين تواربهم الصحيحة كما وعد . بل اكتفى في مومي عليه السلام وهو أكثرهم ذكرا في القرآن وأوسعهم تاريخا بقوله « هو رسول كريم أرسله الله الى بني اسرائيل لانهم ظلموا من ظلم فرعون مصر أحد خلفاء مفتاح من ملوك العائلة التاسعة عشر (كذا) المصرية قبل المسيح بنحو ألف عام » ولم يذكر انه أرسل الى فرعون وملأه أيضا وان كان ذلك صريحا في القرآن - وفي يعقوب عليه السلام بقوله « نبي من أنبياء بني اسرائيل هو أبو يوسف عليه السلام » ولم يذكر انه رسول ، وفي يوسف عليه السلام بقوله « هو ابن يعقوب كلاهما من أنبياء بني اسرائيل » ولم يذكر انه رسول . وفي يونس عليه السلام بقوله « هو أحد رسل الله عليهم السلام » أفلا يعلم « ناصر الاسلام » معنى النبي والرسول ؟

(٣) وذكر أن في هذا القسم تراجم الصوفية واصطلاحاتهم - ولا نفري ما معنى ذكر هؤلاء في قسم التوحيد دون قسم التاريخ - وذلك غير صحيح وإنما ذكر بعضهم وترك كثيرا من أشهرهم ومن ذكرهم لم يترجمهم وقد راجعنا مادة الوحدة والوجود والحال والمقام والسكر والوجد والسطح وهي أشهر اصطلاحاتهم فلم نجد قد بين شيئا منها

(٤) وقال « وفيه تفصيل شاف لجميع مذاهب المعتزلة والمتكلمين » وهذا غير صحيح أيضا فهو لم يذكر الواسطية ولا المبرية ولا الهذلية ولا النظامية ولا الاسوارية ولا الاسكافية ولا الجعفرية أصحاب جعفر بن بشر ولا الحائطية ولا المبرية ولا الصالحية ولا المردارية ولا الهاشمية هؤلاء أكثر فرق المعتزلة ومن ذكره من غيرهم وهم الأقل لم يبين مذاهبهم كلهم . مثال ذلك قوله في البشرية « فرقة من المعتزلة تنسب لبشر بن المثنى من أفاضل علماء المعتزلة » فهل هذا

المجلد العاشر ٥٩ المناجاة ٦

هو التفصيل الشافي لمذاهبهم كما قال ذلك أن تقيس على هذا زعم الاتيان بمذاهب المتكلمين وفلسفة المسلمين.

(٥) وقال « وفيه تنبيه على البدع التي طرأت على المسلمين وتوجيه الأفكار لتتوحي منها » وهذا غير صحيح أيضاً فإنه ترك الكلام على البدع وأصلها وحسبك أنه لم يبين بدعة القدر وهي أول بدعة ظهرت في الاسلام وتليها بدعة الارجاء وقد قد ذكر المرجحة ولم يوجه الأفكار الى التوفى من بدعتهم كما قال

(٦) قال « وفيه المسائل الفقهية التي يحتاج اليها كل مكلف تفصيلاً . . . وجميع ما يحتاج اليه الانسان بمبحث يستفي به عن السؤال » وهذا غير صحيح أيضاً ففي كلمة طهارة لم يذكر جميع المطهرات عند جميع أبواب المذاهب وفي مادة نجس لم يذكر جميع النجاسات وما ذكره فيه ما فيه مما لا عمل لبيانه هنا : ولم يبين الوضوء تمام البيان حتى أنه لم يذكر النية فيه ولا غسل اليدين الى المرفقين ولم يذكر موجبات الوضوء أو نواقضه ولا التيمم . وكذلك الفصل لم يذكر فيه كل ما يحتاج اليه المكلف لم يذكر كيفيته ولا وجوب اتية وعدمه فيه . ولا ان الاحتلام موجب له . وفي كلامه عن الصلاة لم يبين الأركان والواجبات عند جميع الأئمة كالاتي من الركوع والطأئنة فيه فما ركعنا عند بعضهم وكذلك الجلوس بين السجدين والطأئنة فيه . فمن ترك شيئاً من ذلك بطلت صلاته . والطأئنة عند أبي حنيفة واجبة لا دكن فمن تركها وجبت عليه إعادة الصلاة في الوقت . . . وكذلك فصل في الزكاة والصيام والحج . فاذا كابر في شيء مما قلنا فافتنا نمود ونبين خطأه فيما ذكر كما بينا عدم صدقه فيما قال أنه بينه وهو لم يبينه

والنوع الثاني من علوم الكتاب الفنون العربية كلها وهو فيها أشد تعصباً وخطأ وإخلافاً من العلوم الشرعية . مثال ذلك علم المنطق واجننا فيه الكليات والحد والرسم والقضية والقياس والشكل والبرهان والمكس والنقيض فلم نجد لشيء من ذلك ذكراً فهذه أشهر اصطلاحات المنطق . نعم قال في مادة (شرح) : القول الشارح في الاصطلاح المنطقي ما يدل على معنى الاسم في اللغة أو ذات المسمى في الحقيقة : وهذا خطأ ظاهر وأني لثقل فريد أفندي أن يعرف شيئاً ما من اصطلاحات المنطق

الذي يذمه دائماً « ومن جهل شيئاً عاداه »

فهذا نموذج بريك أن هذا المؤلف لم يصدق في معظم مادته أنه أوردته كتابه وأنه لم يوفق في صواب في كثير مما ذكره وقس عليه سائر ما ذكره من العلوم التي جعلها عشرة أنواع تحت كل نوع أفراد كثيرة لا يعرف هو من مجموعها إلا أسماءها . وسنبين في جزء آخر نموذجاً من خطأ في أشهرها

قد ارتكب فريد أفندي بهذا الكتاب أنواعاً من المنكرات تزيد على أنواع العلوم التي ادعاهما نمد منها ما يخطر في البال الآن ولا نقول أنه تمدها فإن بعض من يطلب عليهم الزواج المصبي يستمدون في أنفسهم وفي علمهم ما يبين الحقيقة كما يعتقد بعضهم أنه المهدى المنتظر فهو في الغالب يعتقد أن كتابه حوى جميع تلك العلوم ولكن الكتاب في نفسه يمثل هذه المنكرات وهي

(١) القول في الدين بغير علم وهو من أصول الكيثر إلى قرننا الله تعالى بالشرك في قوله (٣٣:٧) قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والأثم والبيغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون

(٢) الكذب ونأهيك به وبما ورد فيه

(٣) (٤) إخلاف الوعود وعدم الوفاء بالهود والعقود فهو بما كتب في الجرائد من الدعوة إلى الاشتراك قد عاهد المشركين على أن يوافيهم بكتاب فيه كذا وكذا (٥) عدم الأمانة في نقل العلم فإنه ينقل المسألة ويتصرف فيها بما يغير المعنى .

وما ورد في هذه الخصال معروف

(٦) أكل أموال الناس بالباطل فإن الذين اشتركوها في الكتاب لقراءة تلك المقالة الطويلة ذات الوعود المريضة لم يشتركوها في كتاب مشتمل على كذا وكذا من العلوم والمسائل وكثر العلوم والفئة الذي أرسل إليهم غير مشتمل على ما ذكر كما يبين في الأمثلة السابقة فكان شأن المؤلف معهم شأن الصانع يعاقد على حمل شيء موصوف بصفات معينة بشئ معين فبأنه به غير واف بها فهو لا يستحق ذلك المال فهذا الاشتراك في الكتب والجرائد من قبيل ما يعرف في الفقه بالاستصناع . وكذلك من يشترى الكتاب بمد تمام طبعه لاطلاعه على

مقدمته . فمثل هؤلاء المشتريين والمبتاعين كمثل من يعرض عليه رسم دار فيها كذا وكذا من الحجرات والفرقات والمرافق المتصفة بكذا وكذا الصفات كالحسن والاتساع فينذل المال ويأخذ داراً يخالف ذلك الرسم في عدد ما فيها وفي صفاته . واتني أعتقد أنه إذا تاب فريد أفندي وجدي من هذه المنكرات بعد أن نبهناه عليها وكتب إلى من اشترى كذا في كتابه انكم قد اشتر كنتم في هذا الكتاب لما وعدتكم به من اسبقائه لكذا وكذا من العلوم القنوية والدينية الخ وقد جاء ناقصا معظم ذلك فكأن الاشتراك باطلا فمن شاء أن يقبله على علانه فذاك ومن شاء أن يرده ويسترد دوامه فله ذلك — أعتقد أنه إذا فعل هذا فإن الكثيرين أو الاكثريين يردون له الكتاب . وقد رأينا في جريدتي الظاهر والمقطم كتابة لبعض الفضلاء يطلب منه فيها أن يرد له دوامه ويسترد كتبه وجماعه

(٧ و ٨) النش في الماملة كما علم مما بينا آتيا وفي العلم والدين كما علم مما قبله وفي الحديث « من غشنا فليس منا » رواه مسلم وغيره من أصحاب السنن والمسائيد وفي رواية لترمذي « من غش فليس منا » وفي رواية لأبي داود « ليس منا من غش »

(٩) التفرير وهو غير النش وقد بهامه ويترب عليه مفسد كثيرة فمن صدق المؤلف في زعمه ان هذا الكتاب يحوي كل ما يحتاج اليه في النحو والقنة الخ وكان عنده كتب في هذه العلوم يستعين بها فرما باعها واشترى بشئها الكتاب وهو لا يغنيه عن شيء منها حتى يفتار الصحاح أصغر كتاب في القنة . وقس على هذا سائر العلوم التي وعد بها (١٠) التشيع بما لم يسطروا دعوى العريضة وقد عرفت حديث الصحيحين في ذلك

مدرسة العلوم المالية

واعلم ان مجموع هذه الخاوي التي يمثلها كتاب كنز العلوم والقنة ماثلة في مدرسة العلوم المالية وقادرقه في أنه لم يترتب عليها أكل أموال الناس بالباطل . والجامع بينهما دعوى فريد أفندي ان كلا منهما جامع لكذا وكذا من العلوم التي لا يبرفها وربما كان النش والتفرير بالمدرسة أعظم . لما لا يجوز أن يقرر بعض قراء المؤيد

والقواء من أهل الاقطار البعيدة بما كتب فيها فريد أفندي عن هذه المدرسة الموهومة فيرسل ولده الى مصر ليتلقى فيها علوم الدنيا مطبقة على الدين بعد أن نطم في المدارس الابتدائية والثانوية حتى اذا جاءها لم يجد فيها شيئاً وإنما وجد فريد أفندي يشجع بالدعوى ويفيض بالوعود واذا ذكر بعض المسائل خبط فيها على غير هدى كما خبط في المسائل التي انتقدناها في الجزء الماضي

أبجوز لنا أن نكسك على هذا كله ونحن نرى الرجل بجمل عدم الانكار عليه حجة على أنه مصيب . بل غره هذا السكوت فقال في أواخر مقالاته الراجعة في القواء « واني لأعجب للشيخ رشيد في إثارة أئمة الدين عليّ مع أنهم قرروا كنز العلوم والفة في الأزهر وملحقاته رسمياً وهم على وشك تقرير موافاتي الأخرى » والذي يفهم من هذه العبارة أنهم قرروا تدريس هذا الكتاب وهذا غير صحيح وكيف يقررون تدريس كتاب هو عبارة عن أمشاج من فنون قديمة وحديثة يكثر فيها الخطأ وتقل الفائدة وفيه التشنيع على التقليد والقول بالاجتهاد وبأبائات مذهب الروائية والتشنيع على مذهب المتكلمين وبإنكار الشفاعة والحلف في مسائل الشريعة كما سفيته في جزء آخر . على أنه ليس من الكتب التي يدرس مثلها . وقس على هذه الدعوى دعواه أن الدولة التركية قربت تدريس بعض كتبه في مدارسها

أنه لم يقرر تدريس الكتاب ولا مطالعته في الأزهر ولا في ملحقاته وإنما بلغنا أنه اشترى منه بعض نسخ لدار الكتب (الكتبخانة) الأزهرية فهل يعد هذا تقريراً من أئمة الدين لكتابه . وهل صار أهل الأزهر اليوم أئمة ولم يعض سنة على تلك السهام التي سددوها اليهم حتى جردهم من العلم والدين وجعلهم أكبر بلاء على المسلمين ؟؟ لهم اذا اشترؤا منه كتاباً آخر بمنهم شهادة بأنهم أئمة في العلوم العمرانية والكونية الخ الخ !! هكذا يكون الإصلاح

وجملة القول في هذا الجزء انه هذا الرجل ادعى دعوة كبيرة وجمل السكوت عليها دليلاً على صحتها وهي غير صحيحة فتقدمه يعرفه حده وينبه على ما هو غافل عنه من المنكرات في عمله ويخرج المارقين به من معصية السكوت على المنكر

ولسنا في حاجة الى إيراد ماورد في الكتاب الالهي والاحاديث النبوية
من إعجاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والوعيد على تركها ونهايك بلعن
الله تعالى للذين لا يقاتلون عن منكر فعلوه

أجوبه على ما انتقدنا عليه

جعل فريد أفندي وجدي مقالته الاولى مقدمة في شتمنا وإطراء نفسه
بالمدح والفضح وقال في أول الثانية ما نصه :

« أتيت أول أمس على مقدمة في موضوع الشغب الذي أثاره على مدرسة
العلوم العالية الشيخ رشيد رضا وأريد اليوم أن أناقشه في جزئيات هذا الشغب
ردعا له ولأمثاله عن التعاول الى ما لا يعنينهم من أمورنا حتى نفرغ لأداء واجباتنا
والقيام بأعباء أعمالنا المفروضة علينا لامتنا وملتنا . واني أرجو من وراء مناقشته
في جزئيات كلامه أن يعرف مكافئه من هذه العلوم فيثوب الى صوابه وينخرط
في سلك طلبة هذه المدرسة التي مأسستها الاله ولأمثاله ممن لا يعرفون اللغات
الأجنبية وهم في أشد الحاجة الى الاسام بأصول العلوم الأوروبية العالية التي
لا كتب لها باللغة العربية »

أقول له (أولا) كيف لا يعنيني أموركم لأمتكم وملتكم ؟ ألسنت أنا من أبناء
هذه الأمة وسببي هذه الملة ؟ اذا كانت أمتك هي المصرية لا الاسلامية فهل
ملكك يا فريد أفندي هي الملة المصرية القديمة دون الاسلامية حتى تضيقها اليك وإلى
قومك - إن كان لك قوم يرضون ذلك - وتعملني ممن لا يعنينهم أمرها ؟

(وثانها) كيف تقول أنه لا يوجد كتب عربية في العلوم الأوروبية حتى كأنك
بمعزل عن النهضة العلمية العربية في سوريا ومصر . ألم تعلم أن جميع العلوم كانت تدرس
باللغة العربية في المدرسة الكلية الامر بكافية بيروت وفي مدارس أخرى عالية وابتدائية
فيها وفي غيرها منها مدرسة كفتين بجوار طرابلس (بندرن) والمدرسة الوطنية الاسلامية في
نفس طرابلس ألم تطلع على دائرة المعارف العربية وعلى المجلات العلمية كالمقتطف ومغلفها
مترجم عن أحسن المجلات والكتب الا فرنجية وعلى الكتب الكثيرة المترجمة في

مصر وسوريا ومنها في فلسفة التشريع كتاب بنّام وكتاب مونتسكيو ؟ فهل كنت أوسع علما وفهما في اللغات الافرنجية من مولني ومنرجي هذه الكتب والمجلات من العلماء والذكاة وأنت لم تحصل من الإلمام باللغة الفرنسية وعلومها ما يرتقي بك الى شهادة البكلوريا التي يحملها الآلاف من الاحداث في بلاد مصر وسوريا ؟ فكيف ساغ لك أن ترفع نفسك بفوقك على جميع هؤلاء العلماء وأنت تعلم أن أهراب الأهرام وبجاعة الاسكندرية يعرفون من اللغات الافرنجية مالا تعرف وما كل من عرف لغة عرف علومها

انني ما وجهت اليك هذه التذكرة الا لأنك أفرطت جدا في التبجح بالملك الضعيف باللغة الفرنسية حتى جعلت نفسك في مرتبة الاستاذ الامام زاعما انه ما كانت له تلك المكانة العليا في القلوب الا باللغة الفرنسية التي تدعي انك تساويه في معرفتها ونجرات على كتابة ذلك فلم تكشف بما ينقل عنك من ادعائه باللسان يوجد آلف ممن اقتنوا هذه اللغة ابتغاء لا تطعم بالذرة منه ولم يخطر على بال أحد منهم ولا من الناس أنهم على مقربة من الاستاذ الامام في الحكمة والعلم ولا في المزايا والأعمال ولم يقل في أحد منهم علماء اوربا — كالكنتور براون الاستاذ المدرس في أعظم مدرسة جامعة في انكلترا تفوق مدرسة العلوم الوجدية — مثل ما قالوا في الاستاذ الامام إذ قال هذا العلامة الانكليزي أنه لم ير مثله في الشرق ولا في الغرب . بل كان للاستاذ الامام من المكانة في الفلسفة والعلوم والاستنباط على العقول والقلوب قبل أن يتعلم اللغة الفرنسية ما يسهل عليك أن تعرف بعضه من مراجعة تاريخه

الانتقاد الاول وجوابه

أجاب فريد أفندي عن انتقادنا عليه جعله المحدثين والفقهاء شارعين بقوله : « ونحن نرد هذه السفطة الغريبة بقولنا أن لفظة المشرع والمشرع والشارع كلمات تطلق اليوم على المشتغلين بالبحث في الشرائع ولكل جيل اصطلاحه واللغة تابعة لأذواق أهلها في كل عصر »

وهذا الجواب يدل على أنه لا يفهم المسائل الأولية البديهية من فلسفة

التشريع التي تصدر لئلا يسأله لا يقول أحد من أهل العصر بأن الباحث في الشرائع يسمى شارعا ومشروعا وإنما يطلقون لفظ الشارع والمشرع على واضع القانون برأيه وعلمه اذ يسمون القانون شريعة ولو كان كل باحث في الشرائع شارعا لكان جميع التلاميذ في مدرسة الحقوق شاربين فليسأل فريد أفندي شقيقه هل يطلق عليه وعلى اخواته من الطلاب أو المتخرجين لقب الشارع أو المشرع؟ فاذا أجابه بالسلب فيترك تدريس فلسفة التشريع حتى يشتم بعض اصطلاحاته الأولية ولو ممن يجهلون اللغة الفرنسية !!! على ان كلامنا كان في الاصطلاحات الاسلامية الدينية وليس لفريد أفندي أن يثيرها ببعالرف العصر ومن هنا يعلم انه لا وجه لقياس أحد من الصحابة والفقهاء على النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته شارعا مثله لأن ما جاء عن النبي (ص) ما كان يهرف من غيره وهو مما يجب اتباعه فيه وليس لأحد غيره هذه المزية في الاسلام فسقط الإلزام الذي وجهه اليها فريد أفندي اذ قال بعد ما تقدم عنه

«واذا صح تسمية النبي (ص) الشارع مع انه ليس بواضع الشريعة بل مفسرها ومبينها فقط فلم لا يصح تسمية أصحابه مشرعين باعتبار انهم مبيّنو الشريعة ومفسروها قلنا»

فأكل كيف جعل النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة سواء ونسي ان النبي (ص) مبلغ عن الله تعالى على ان بعض العلماء صرحوا بأن الله تعالى اذن له ان يشرع من قبل نفسه واستدلوا بمثل حديث «الا الإذخر» ولا محل هنا لشرح ذلك

الانتقاد الثاني

لم يستطع فريد أفندي ان يكابر فيما انتقدناه على ما زعمه من تدوين الشريعة عند اتساع العمران وكلمها في عهد الشورى وانحطاطها عند ما صارت الحكومة الاسلامية استبدادية فزعم ان ما قلناه لا يفهم من كلامه ولعله لا يفهم هو من كلامه وكلام الناس ما يفهم الناس كما نعلم مما يأتي

الانتقاد الثالث

زعم فريد أفندي أنه لما جاء القرن الثالث استحال أمر المشرعين الاسلاميين

الى حنفلة أقوال المتقدمين وبطل الاجتهاد لعدم نبوغ العلماء الضليعين الخ ما عرفه اقراء
فردنا عليه بقولنا « ان علماء القرن الثالث لم يكونوا كما ذكر ولا القرن
الرابع ولا القرن الخامس فالفقه ما اتسع نطاقه الا في هذه القرون » أي الثالث
والرابع والخامس فقللنا هذه العبارة بنصها في آخر مقالته الثانية ورد عليها بقوله :
« نقول هكذا فهم الشيخ رشيد رضا تاريخ الفقه الاسلامي فهو يرى الفقه في
القرون الخمسة الأولى أيام نبوغ الأئمة المجتهدين والمشرعين الأولين والمؤلفين
السابقين الذين ملأوا مكاتب الدنيا فقها ونشرها لم يلبثوا درجة الفقهاء في هذه
القرون التي قديم القرن ولا يظهر فيه مؤلف الخ »

ان هذا لهو جوابه بحروفه وقطعه فهل يفهم هذا الرجل اللغة العربية ؟ كيف
يفهمها وهو ينقل عني انكاري عليه زعمه ان الفقه قد انحط في القرن الثالث ولطيفي
إياه أنه ما اتسع نطاقه الا فيه وفي القرنين الرابع والخامس ويقول بعد ذلك من
غير فصل اني أقول ان علماء القرون الخمسة لم يلبثوا درجة الفقهاء في هذا العصر !!!
ان كان يفهم اللغة العربية فلا شك أنه ما أوقفه في هذه الهوة الا التبيج العصبي
الذي غلب عليه . ولكن ما بال أصحاب جريدة الاواء لم يحذفوا له هذه العبارة
الفاضحة ؟ ألم لهم لم يفهموها والا فهم غير ناصحين له

الاتقاد الرابع

انتقدنا عليه انه وعد ببيان بضع مسائل في ذلك الدرس ولم يبينها فأجاب
بما حاصله أنه يريد بالدرس جنس الدرس لا هذا الدرس الأول . وله في هذا
الجواب وجه وكان خطر ذلك بياني عند الاتقاد لكن العبارة والقرينة وما اعتاده
من الوعود وعدم الوفاء كل ذلك رجح عندي أنه يعني بالدرس ذلك الدرس الأول
والخطاب سهل وقد كثرت الدروس بعد الاول فهل بين تلك المسائل وفي تلك الوعود ؟

الاتقاد الخامس

انتقدت عليه تعريفه الدليل بأنه ما أدى اليه العقل من الأحكام لأن هذه
الأحكام منها الماحل ومنها الجائر فقلل عني ذلك وقال في الجواب عنه « واني

برى. مما نسبته الى الشيخ رشيد فقد قلت بالحرف الواحد ٥٠٠٠ وقلل عبارته في تحكيم الحكومة للعقل عند الحاجة اليه وتيجتها قوله « تحسنت الحكومة (العقل) وما أداها اليه هذا العقل من الاحكام سمته (عدلا) فالعدل اذن مظهر من مظاهر العقل » اه ومنه يعلم القارىء ان فرهد أفندي لم يفهم ما كتبت ولا ما كتب هو فانه لا معنى لعبارة الاماقلت . ويانه ان قوله « ما أداها اليه العقل » مبتدأ وقوله « من الاحكام » بيان لما وقوله « سمته عدلا » خبر المبتدأ فصار المعنى والاحكام التي أداها اليها العقل هي التي سميتها عدلا . ثبت أنه جعل الاحكام التي استنبطها العقل عين العدل . فاذا كان لا يعرف النحو فليراجع كنز العلوم والفتنة لهله يمد هذا الحل صحيحا ۱۱

الانتقاد السادس وما يليه

انتقدت عليه ما قوله على علماء المسلمين من انهم يقولون ان أصول الشرائع كلها من الله وأنكرت عليه ما قاله في الجواب من تفسير الوحي الى آخر ما عرفه القراء فأجاب عن ذلك بكلام يتلخص في أجوبة أولها (ان الخاص والعالم يملكون أنه أسس هذه المدرسة لتمرين حملة الدين على الدفاع عن حوزة الاسلام (وثانيها) أن غرضه تأييد الدين (وثالثها) أنه وقف جزء كبيرا من أوقاته على المدرسة (ورابعها) ان الشيخ رشيدا آله وجود هذه المدرسة حتى أخرجه الألم عن حده (وخامسها) ان الشيخ رشيدا يوم الناس انه عالم بفلسفة التشريع وانه مطلع على أقوال الأوربيين كافة (وسادسها) ان الشيخ رشيدا لا يعرف من لسان الأوربيين كلمة (وسابعها) انه يبنى بقوله ان علماءنا يتقنون أن أصول الشرائع كلها من الله اهم » يقرون بان الانسان لم يوهب من العقل في مبدأ وجوده ما يكفي لإقامة حياته فكان الوحي الالهي مرشده في كل أموره في بناء شريعته وفي إقامة صنائعه وفي هدايته الى جوده معيشته حتى في تلقيه لفته » (وثامنها) أن كلامه « في أصول انشراح الأولى في عهد طفولية الانسان لاني عهد شبوبيته أيام الرسل والأنبياء » (وتاسعها) انه لو كان الشيخ رشيد يستطيع أن يطلع على تحقيقات العلماء في شأن الانسان في هذين

المهدين لحولته على كتب «فلان وفلان وختم الأجوبة بشي» من الطعن والتضليل
للشيخ رشيد

وأقول لا شيء من هذه الأجوبة في الموضوع الا السابع والثامن. فاما السابع
فهو دعوى جديدة على علماء الاسلام ليست من عقائده في شيء وان وجد شيء
من فروعها في مباحث بعضهم. فهم لا يمدون كون واضح اللفظ هو الله على القول
به انه من عقائد الدين حتى يحتاج الى أسلحة فريد أفندي التي يدعي انها يسلح
بها حملة الدين فاذا ثبت أن هذا القول خطأ فهو لا يعد شبهة على الدين فكيف
ندافع عن الدين بتكثير الشبهات عليه ومحاولة الجواب عنها بما هو شر منها

وأما الثامن فهو على كونه كما يقول علماء المناظرة من قبيل «المراد لا يدفع
الایراد» لا يمكن حل مانسبته الى اعتقاد علماء الاسلام عليه لأنهم لم يقولوا بأن
حياة البشر دور طفولية ودور شبوية ظهر فيه الرسل حتى يحمل كلامهم عليه.
بل يقولون ان أول البشر نبي مرسل ومن بحث أمثال هذه المباحث كالاستاذ
الامام فقله فيها لاشبهة عليه ولا يحتاج هي الى تأويلات فريد أفندي وجدي التي
تحتاج الى تأويل

الانتقاد التاسع

انتقدنا عليه انكاره رسالة آدم عليه السلام وكون الله تعالى أوحى اليه كما أوحى
الى غيره من النبيين فاجاب عن ذلك بكلم يؤخذ منه أجوبة - أحدها انه بخدمة الاسلام
يعيد له سلطانه الأول - ثانيا ان أحق الناس بالانتفاع بخدمته للدين الناشئة
الجديدة العاملة في الادارة والسياسة والقضاء - ثالثا ان الشيخ رشيد لو كان قرأ
كتابا واحدا في علم الفيزيولوجيا لمسكلى أو لداروين الخ وما فيها من الشبهات
على نبوة آدم لعلم أن المسألة تحتاج الى نظر والا لتبذ أقوال أهل الشرع بنبوة
آدم أولفظ قول الفيزيولوجيين وضرب بتحقيقاتهم في الحفريات والمعاديات عرض
الحائط وسهل لطلافة المتعلمة ترك الدين - رابعا أن قادة الدين يشكون من
مروق المتعلمين وما مروهم الالمدم وجود أحد من قادته يشاركهم في معلوماتهم

- خامساً ان إرادته تلك المسألة بعبارة لا تشتر بالجزم هو كالأعلام لهؤلاء المارفين أو الشاكين في الدين بأنه عالم بأقوال علماء الفيزيوجيا وعامل على حلها بما وافق القرآن والعلم . وختم هذه الاجوبة بقوله « فإسميه الشيخ رشيد سقطه كبيرة هو في الحقيقة نهضة كبيرة »

أقول الجواب الحقيقي من هذه الجمل التي لخصنا بها كلامه هو انه لم يجد سلاحاً يدافع به عن اعتقاد المسلمين بنبوته آدم الا التشكيك فيها قبل سماع أحد من البشر بان التشكيك في الدين دفاع عنه ، وليس الشك في الدين كالانكار لقضايه ككلامها كفر صريح ، أبشرك يا فريد أفندي بأنني مطلع على ذهب داروين وعالم بأنه لايمس الاسلام واذا أردت أن تفهم ماورد في آدم فيما مطابقتاً فاعلم فراجع المنار مع بعض من يفهم من أهل العلم ليفهموك ما يحفظ به الدين ثم الله في مدرستك ان استطعت

الاعتقاد الثامن

انفقنا عليه جهله تفضيل الشريعة الاسلامية على غيرها مبنيًا على قاعدة ارتقاء الشرائع بارتقاء أهلها ، وزعمه انها أي الشريعة الاسلامية ماجات راقية الا لارتقاء أهلها وقلنا ان هذه القاعدة إنما تصح في الشرائع أي القوانين الوضعية التي يكون ارتقاؤها تابعاً لارتقاواضعها والشريعة الاسلامية وضع إلهي أنزلت على قوم غير مرتقين فكان ارتقاؤهم ولم يكن ارتقاؤها بهم . فأجاب فريد أفندي عن هذا الاعتقاد بكلم يتلخص منه أجوبة (أحدها) ان ماأورده « هو من مقررات فلسفة التشريع ذلك العلم الذي أفنى المشرعون قوام وأعمارهم في رضاه (ثانيها) قوله « فبأي سلطان يستطيع الشيخ رشيد الذي لم يقرأ في العلم سطرًا واحدًا ان يرد هذه المقررات البدئية ؟ وهل لو قال بسمع له أحد ؟ » (كذا) (ثالثها) قوله « فأقول له ان كلامي كله موجه الي ان الشريعة الاسلامية وحى من الله لانها شريعة وضعية تابعة لأهواء الناس حتى يتوهم الشيخ رشيد أنه يفالطني فيما قلته »

أقول ان هذا الكلام يشبه أضافات الاحلام كما هي المدّعة في أكثر كلامه وهو

مؤذن بأنه لم يفهم ما كتب ولا ما انتقد به عليه . نحن نقول ان ارتقاء الشرائع لا يكون نتيجة لارتقاء أهلها الا في النوازين الوضعية فيقول انك خالفت مقررات فلسفة التشريع وانك لم تقرأ منها سطرا وما هذا بمخالفة لها وقد قرأت فيها كذبا وتقول ان الشريعة الاسلامية ليست تلك القوانين لانها الهبة فيقول ان كلامي موجه الى أنها الهبة !!!

ويقول بأي سلطان يستطيع الشيخ رشيد ان يرد مقررات أهل الفلسفة وأجبيه بأنني أردتها بسلطان الاسلام اذا هي خالفته ولو صح قوله اني لم أقرأ منها سطرا فحسبي أنني قرأت حكمة التشريع الاسلامي اني لم يقرأ هو منها سطرا ولذلك بهل البدعيات فيها ككون الشريعة هي التي رقت الأمة الاسلامية دون العكس

الانتقاد التاسع

قال فريد أفندي في درسه بعد ان قرر ان ارتقاء الشريعة تابع لعلية أهلها من ولا ارتقاء في الاخلاق « من هنا يرى الراي ان كل انقلاب حدث في أخلاق أمة عتادى بطبعه الى انقلاب في شريعته ويدرك تبعا لهذا فساد الاحكام وبعدها ان العدالة في بعض الأمم المتدنية التي تقرر مبدأ التمايز في افراد الجمعية تنهب لبعضهم حقوقا تسلبها عن الآخرين باعتباريات دينية »

فأثناء مما يعني ببعض الأمم المتدنية - اليهود وليس لهم حكومة أم النصراني وقد بالغ في وصف ارتقاء شرائعهم وفن بها حتى ليقن أنهم اذا قالوا قولا يخالف الاسلام لا يمكن رده وانما يجيب عنه بتأويل ما جاء في الاسلام أو بانكاره أو التشكيك فيه . أم يعني بعض الوثنيين ؟ سألتاه لأن الشبهة قائمة على انه يريد بذلك المسلمين ، ولا غرو فقد جعل منهم الشارعين ، فأجاب عن هذا السؤال بما نصه « يكفيني ان أتدع من هذه الردود وأنرفع عن الرد عليها ذلك أولي وأولى بالقاري » (كذا)

الانتقاد العاشر

سألته بناء على ما تقدم : ماذا يقول في جعل الخلافة في قريش ؟ فأجاب عن هذا

— بعد القول بانني أثرت بهذا السؤال وما بعده مما يأتي شيها على الاسلام ما كان بتخيل صدورهما من مسلم — بأجوبة ١ أحدها) ان الخلافة بيد المؤمنين يولون عليهم بالاجماع من شاؤا ولو كان عبدا حبشيا (ثانيا) لو كانت الخلافة مقصورة على القرشيين لاني في ذلك نص قرآني أوحديث متواتر ولما اختلف المهاجرون والانصار عليها (ثالثا) ان خليفتنا الحالي تركي الاصل طاعته مفروضة علينا ولا يحاول قرض هذا الاصل الا من يريد أن تنفكك جامعة المسلمين ونفهم عروتهم وحسبنا الله ونعم الوكيل »

أما الأول ففيه جهالات منها اشتراطه الاجماع ومنها قوله من شاؤا مطلقا مع ان النبي صلى الله عليه وسلم جعل الأمر في قریش كما ثبت في الأحاديث الصحيحة وجرى عليه المسلمون في خير القرون حتى بعد ان صار الحكم استبداديا الى اقراض الدولة العباسية وقتل بعض أئمة الاصول والحديث الاجماع عليهم من أهل السنة ولم يمتدوا بخلاف الخوارج وبعض المنزلة قال الامام أبو بكر الباقلاني في قول ضرار بن عمرو من الخوارج بأن غير قریش أولى بها : لم يعرج المسلمون على هذا القول بعد ثبوت الحديث « الأئمة من قریش » وعمل المسلمون به قرنا بعد قرن وانعقد الاجماع على اعتبار ذلك قبل أن يقع الاختلاف : وقال القاضي عياض : اشتراط كون الامام قرشيا مذهب العلماء كافة وقد عدوها في مسائل الاجماع ولم ينقل عن أحد من السلف فيها خلاف وكذا من بعدهم في جميع الامصار »

وأما الثاني ففيه من الجهل بأحكام الاصول عدم الاعتداد بالحديث النبوي إذا لم يكن متواترا وان كان في غير العقائد وكأنه يقرأ في المنار ان هذا الحديث لا يؤخذ به في هذه المسألة فيظن ان جميع المسائل سواء على ان المحققين اختلفوا في العمل بأحاديث الآحاد الصحيحة في العقائد ولم يتفقوا على عدمه واما في غير العقائد فلا خلاف ثم ما ذا يقول في الاجماع ؟ وفيه من الجهل بتاريخ الاسلام الاحتجاج بخلاف المهاجرين والانصار اذ لم يعلم ان هذا الخلاف قد ارتفع باحتجاج أبي بكر رضي الله عنه بكون الأئمة في قریش وان الانصار أذعنوا لذلك

وأما الثالث ففيه من الجهل ان خلافة خليفتنا الحالي ليست منطبقة على قوله

آفنا ان المسلمين هم الذين يولون الخليفة بالاجماع فكأن قاعدته تقضى بطلان خلافته لانها بالوراثة لا بانتخاب المسلمين بالاجماع ١١ اراد فريد أفندي ان يمرض بأن سؤا لنا المبني على الحديث الصحيح وإجماع أهل السنة بنفي خلافة السلطان لبيع علينا العوام فكأن كلامه هو الذي نفي خلافة هذا السلطان . واما نحن فنقول ان خلافة هذا السلطان ووجوب طاعته بالمعروف لا تنفي ذلك الحكم المقرر في كتب العقائد وكتب الحديث والفقه المتداولة في الاساندة وكل بلاد المسلمين من كون الاصل في الخلافة ان تكون لقريش كما هو مشروح في محله فليسأل عنه فريد أفندي بعض مجاوري الأزهر لأن ذلك مبني على وجود من يصلح منهم للخلافة ومبرحوا بأن المتخلف يجب طاعته

الانتقاد الحادي عشر

وسأله عن شهادة غير المسلم على المسلم فأجاب « بأنها لا تجوز لأن التعصب الديني جعل اتباع أولئك الملل يكذبون على الله في كتبهم ويؤمنون أن كل ضرر يلحقونه بغيرهم حتى القتل لا ياقبون عليه عند الله .. إلى أن قال بعد ان ذكر ان دوائر المعارف الاوربية صرحت بذلك - فان كانت الشريعة الاسلامية قد روت قبول شهادتهم على المسلم مع وجود هذه النصوص الصريحة في شروح كتبهم لكانت (كذا) أنت بغير العدل والله يشتره عن ذلك »

أقول ان الشريعة الاسلامية شريعة عامة دائمة فهل يقول فريد أفندي ان كل من كان غير مسلم يستحل شهادة الزور وان هذا كان عاما في زمن نزول الشريعة وعلم الله انه لا يزول وان دوائر المعارف تثبت هذا ؟ ان قال هذا فلا أحاجة يبداهة بطلانه ولكنني أورد عليه مثل قوله تعالى في اليهود وهم الذين كانوا أشد الناس عداوة للذين آمنوا (٦٦:٥) منهم أمة مقتصدية وكثير منهم ساء ما يعملون) وقوله (١٥٩:٧) ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) وما في معناهما من الآيات . وقوله تعالى (١٠٦:٥) يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم اهل جاء هذه الآية بغير العدل أم أنت يا فريد لا تفهم معنى العدل ولا تعرف أحكام الشريعة اذا

أردت ان تفهم فلسفة الشريعة في أمثال هذه المسألة وما قبلها فالتبس من يفهمك ما كتبناه عنهما في المنار وأسأل عنهما من قرأ لهم تفسير القرآن الحكيم وصحيح الاحاديث هذا ما أجاب عنه من انتقاداتنا على أحد دروسه ولم يتفق له الصواب في شيء ولم يقارب الا في ذلك الاحتمال في الانتقاد الرابع كما تقدم على أنه لم يذكر جميع الانتقادات التي وجهناها اليه قدماً أثناء حل الشريعة التي قال أنها مبنية على قوله تعالى (إنما المؤمنون إخوة) خاصة بالمؤمنين أم عامة يحكم بها غيرهم وإذا قل بالثاني فهل أخوة بعضهم لبعض تقتضي مساواتهم لنورهم أم لا ؟ فإن قال بالسلب فكيف يتم قوله . ولم يذكر في مقاله هذا

﴿ جواب سؤال ﴾

قلت ان فريد أفندي لم يتلق شيئاً من علوم الدين فسألني عن تلقيت عنهم الدين وعن الشهادات التي تأخذ لي بالأفادة والفتوى . فأجيبه بأن يرسل الي صديقه الذي كلمني في ترك الرد عليه لأطلع على الشهادات التي عندي والاجازات بالتدريس او ليحضر بنفسه لأريه ذلك

ولي هنا أن أسأله أين تعلم هو فلسفة الشريعة وسائر العلوم الأوربية التي يتبجح بها ويفاخر ومن أين أخذ الشهادات بالعلوم العالية ومن أذنه بتدريسها ونحن نعلم أنه عرض نفسه على امتحان الشهادة الثانوية فحجز وسقط فهل يليق به مع هذا ان يدعي ان يدرس جميع علوم أوربا العالية كما يدرس علوم الشريعة في جميع المذاهب الاعتقادية والعملية ؟ هل يليق به ان يدعي انه قائد الامة ومعلم علماء الدين وعلماء الدنيا ؟ هل يليق به ان يدعي ان اعادته الإسلام وقف عليه ومحصورة فيه ؟ فأنصح له ان يترك هذه الدعاوى العريضة ويوطن نفسه على الاستفادة أكثر من الافادة والا فافاننا قرأ جميع مؤلفاته المملوكة ونبين خطأها الكثير وما أخذ صوابها القليل من كتابة بعض من يتبجح عليهم ويدعوهم الى الاستفادة منه

هذه المجز من يتامسون وقت المكتة هذا وهي
جدا كبرا وما يسكر الا اول الاليل

المجز
١٣١٥

فهم مادي القنى يستعمل القول فيتمون أحسن
اولئك الذين حدهم اقداروا ذلك هم اول الاليل

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كثار الطريق

« مصر رجب سنة ١٣٢٥ - آخره الاحد ٨ سبتمبر (اللول) سنة ١٩٠٧ »

نموذج من انجيل برنابا

(الهوامش التي علامتها حروف مأخوذة من النسخة الطليانية يظهر ان واضعها يزعم انها لما وافق هذا الانجيل فيه القرآن والهوامش التي علامتها أرقام بين أقواس فهي لما وافق فيها العهد القديم والعهد الجديد وهي من النسخة الانكليزية)

الفصل السادس عشر (٣)

(التلاميذ العجبة التي علمها تلاميذه بخصوص الارتداد عن الحياة الشريرة)
 وجمع يسوع ذات يوم « تلاميذه وصعد الى الجبل »^(١) فلما جلس هناك دنا منه التلاميذ ففتح فاه وعلمهم قائلا ٣ « عظيمة هي النعم التي أنعم بها الله^(٢) علينا فترتب علينا من ثم ان نمجده باخلاص قلب ٤ وكما ان الحق الجديدة توضع في أوعية جديدة: »^(٣) هكذا يترتب عليكم ان تكونوا رجلا جددًا اذا أردتم ان تموا التلاميذ الجديدة التي ستخرج من في • الحق أقول لكم كما انه لا يتأتى للانسان ان ينظر بعينه السماء والارض معًا في وقت واحد فكذلك يستحيل عليه ان يحب الله والعالم^(٤) ٦ لا يقدر رجل أبداً ان يخدم سيدين^(٥) أحدهما عدو للآخر^(ج) لانه اذا أحبك أحدهما ابغضك الآخر ٧ فكذلك أقول لكم حقًا انكم لا تقدر ان تخدموا الله والعالم ٨ لان العالم موضوع في النفاق والبشع والخبيث^(٦) ٩ لذلك لا تجدون راحة في العالم بل تجدون بدلًا

(١) الحمد لله (ب) سورة ترك الدنيا (ت) نعمة الله كبر (ث) مثلًا في بني آدم عيان لكن لا يمكن ان ينظر الى السماء والارض في حالة واحدة وكذلك لا يمكن ان نجمع محبة الله ومحبة الدنيا في حالة واحدة منه (ج) لا يمكن العبد ان يخدم سيدين عدوين أحدهما الآخر وكذلك لا يمكن ان يخدم الهد الدنيا والله تعالى منه (١) ت ١٥: ٩ (٢) مت ٩: ١٧ (٣) مت ٦: ٢٤ ولو ١٦: ١٣ (٤) ١ يو ١٦: ١٥

منها اضطهاداً وخسارة ١٠ إذا فاعبدوا الله واحتقروا العالم ١١ إذ مني
تجدون راحة لنفوسكم^(١) ١٢ اصيخروا السمع لكلامي لاني أكلّمكم بالحق
١٣ طوبى للذين ينوحون على هذه الحياة لانهم يتمزون^(٢)
١٤ طوبى للمساكين^(٣) الذين يعرضون حقاً عن ملاذ العالم لانهم
سيتممون بملاذ ملكوت الله
١٥ طوبى للذين يأكلون على مائدة الله^(٤) لان الملائكة ستقوم

على خدمتهم

١٦ أنتم مسافرون كسياح ١٧ أبتعد السائح لنفسه على الطريق قصوراً
وحقولا وغيرها من حطام العالم ١٨ كلاً ثم كلاً ولكنه يحمل أشياء خفيفة
ذات فائدة وجدوى في الطريق ١٩ فليكن هذا مثلاً لكم ٢٠ وإذا أحبيتم
مثلاً آخر فاني أضربه لكم لكي تفعلوا كل ما أقوله لكم
٢١ « لا تشغلوا قلوبكم بالرغائب العائلية قائلين من يكسونا^(٥) أو من
يعطمنا ٢٢ بل انظروا الزهور والاشجار مع الطيور التي كساها وغذاها
الله (أ) ربنا بمجد أعظم من كل مجد سليمان ٢٣ والله (ب) الذي خلقكم
ودعاكم الى خدمته هو قادر ان يفتديكم ٢٤ الذي أنزل المني^(٦) من
السماء^(٧) على شعبه اسرائيل في البرية أربعين سنة وحفظ أثوابهم من
ان تعق أو تبلى^(٨) ٢٥ أولئك الذين كانوا ست مئة وأربعين ألف رجل^(٩)
خلا النساء والاطفال ٢٦ الحق أقول لكم ان السماء والارض

(١) (الله رازق وخالق الله سلطان (ب) الله قدير الله رازق (ت) منوا وسلوان ذكر منه

(١) مت ٢٩: ١١ (٢) مت ٤: ٥ (٣) مت ٣: ٥ (٤) مت ٦: ٥ (٥) مت ٢٥: ٦

(٦) مت ١٦: ٣٨-١٦ (٧) مت ٤: ٨ (٨) خر ٣٧: ١٢ عدد ٤٦: ١ و ٢١: ١١

هنا^(١) بيد ان رحمته لاتهن للذين يتقونه^(٢) ٢٧٢ اغنياء العالم هم على رعايتهم
جياح وسيلكون^(٣) ٢٨ كان غني ازدادت^(٤) ثروته فقال ماذا أفعل
يا نسي ٢٩ اني اهدم اهراي لانها صغيرة وأبني أخرى جديدة أ كبر
منها فتظفرين بملك يا نسي « ٣٠ انه خلّاس لانه في تلك الليلة توفي ٣١
ولقد كان يجب عليه الطف على المسكين وان يحمل نفسه اصدقاء من
صدقات أموال الظلم في هذا العالم لانها تأتي بكنوز في عالم السماء ٣٢
وقولوا لي من فضلكم اذا وضعتم دراهمكم في مصرف عشار فاعطاكم
عشرة اضعاف وعشرين ضعفا أقلّ تعطون رجلا كهذا كلّ مالكم ٣٣
ولكن الحق أقول لكم انكم معاً أعطيتم وترحّمتم لاجل محبة الله
فستردونه مثّة ضعف مع الحياة الابدية^(٥) ٣٤ فانظروا اذا كم يجب
عليكم ان تكونوا مسرورين في خدمة الله

الفصل السابع عشر (٧)

(عدم ايمان التلاميذ ودين « المؤمن » الصحيح)

١ ولما قال يسوع ذلك اجاب فيليس انا لراغبون في خدمة الله
ولكننا نرغب أيضاً ان نعرف الله^(١) لان اشعيا النبي قال « حقاً انك
لا إله^(٢) تحتجب^(٣) ٣ وقال الله لموسى عبده « أنا الذي هو أنا^(٤) »

(١) أقول لك هذا السلام حق يهبهم السماء والارض واما من يخاف الله لا ينقطع
رحمة الله عليه أبداً منه (ب) أقول لكم الحق ما أعطيتم في سبيل الله من
الاشياء اعطىكم الله في مقابله مائة خيراً منه (ت) هنا سورة إخلاص (ث) الله مخفي
(١) مر ٣: ١٣ (٢) يوح ١: ٥ (٣) لو ١٦: ٣ (٤) مت ٢٩: ١٩
(٥) يو ٦: ١٤ (٦) اش ١٥: ٤٥ (٧) خر ١٤: ٣

٤ أجاب يسوع يا فيلبس ان الله صلاح بدون صلاح • ان الله موجود بدون لا وجود ٦ ان الله حياة بدونها لا أحياء^(أ) ٧ هو عظيم حتى انه يملأ الجميع وهو في كل مكان ٨ هو وحده لا ند له ٩ لا بداية ولا نهاية له^(ب) ولكنه جعل لكل شيء بداية وسيجعل لكل شيء نهاية^(ت) ١٠ لا أب ولا أم له ١١ لا ابناء ولا إخوة ولا عشاء^(ث) له ١٢ ولما كان ليس لله جسم فهو لا يأكل ولا ينام ولا يموت ولا يمشي ولا يتحرك ١٣ ولكنه يدوم الى الابد بدون شبهة^(ج) بشري ١٤ لانه غير ذي جسد وغير مركب وغير مادي وإبسط البسائط^(ح) ١٥ وهو جواد لا يجب الوجود ١٦ وهو مقسط حتى اذا هو قاص أو صنف فلا مرد له ١٧ وبالاختصار أقول لك يا فيلبس انه لا يمكنك ان تراه وتعرفه على الارض تمام المعرفة ١٨ ولكنك ستراه في مملكته الى الابد حيث يكون قوام سعادتنا ومجدنا ١٩ أجاب فيلبس ماذا تقول يا سيد حقاً لقد كتب في أشعيا ان الله أبونا^(١) فكيف لا يكون له بنون ؟

٢٠ أجاب يسوع انه في الانبياء مكتوب امثال كثيرة لا يجب ان

(أ) الله واحد لا كف له حق سبحانه وتعالى خيراً لا خيراً الا هو وكذلك حيونه وفاته منه (ب) الله أكبر الله قديم وباق (ت) لا أول لله «لا أول لله» ولا آخر له اما خلق لكل شيء أولاً وآخر (ث) الله تعالى لا أب له ولا أم له ولا ولد له ولا أخ له ولا شريك له ولا بدن له لاجل هذا لا يشك ولا يشام ولا يموت ولا يذهب ولا يتحرك لكن قائم ابداً منزّه من كل مخلقات ولا مركب له ولا يتركب من الاشياء لكن لطيف بالذات منه (ج) الله قائم وباق وسبحان ولطيف وخير فوائتقام وغفور منه (ح) الله لا تدره الاجسام منه

(١) أش ٦٣ : ١٦ و ٦٤ : ٨

تأخذها بالحرف بل بالمعنى ٢١ لان كل الانبياء البالغين مئة وأربعة وأربعين
 ألقا الذين أرسلهم (أ) الله الى العالم قد تكلموا بالمعيات بظلام ٢٢ ولكن
 سيأتي بعدي بهاء (١) كل الانبياء والاطهار (ب) فيشرق نورا على ظلمات
 سائر ما قال الانبياء ٢٣ لانه رسول الله (ت) ولما قال هذا شهد يسوع
 وقال ٢٥ أرأف بإسرائيل أيها الرب الاله (ث) وانظر بشفقة على ابراهيم
 وعلى ذريته لكي يخدموك باخلاص قلب

٢٦ فأجاب تلاميذه ليكن كذلك أيها الرب الاله (ج)

٢٧ وقال يسوع الحق أقول لكم ان الكتب والعلماء قد أبطلوا
 شريعة (٢) الله بشبواتهم (ح) الكاذبة المخالفة لنبوات أنبياء الله (ع) الصادقين
 ٢٨ لذلك غضب الله على بيت اسرائيل وعلى هذا الجيل الثليل الايمان
 ٢٩ فبكي تلاميذه لهذه الكلمات وقالوا أرحمنا يا الله (د) (٣) أرأف على المهكل
 والمدينة المقدسة ولا تدفعها الى احتقار الامم لكي لا يحترقوا عهدك
 ٣٠ فأجاب يسوع وليكن كذلك أيها الرب الاله أبانتما (ذ).

(أ) الله مرسل (ب) قال عيسى بن مريم سيحي من بعدي نورا لانبياء والاولياء منه
 (ت) رسول الله (ث) الله الرحمن الله الكريم (ج) الله سلطان (ح) الله
 قهار (خ) اليهود ومحرفون الكلم من بعد مواضعه منه هذا وبهده التصار هذا انا
 شهيد وهذا الكتاب يحرفون الكلم في الانجيل (د) الله الرحمن (ذ) سلطان
 لها آياتنا

١ (١) مر ٧: ١٣ (٢) مر ٧: ١٣ (٣) فاما ٩: ١٦

الفصل الثامن عشر (١)

(يوضح هنا اضطهاد العالم لخدمة الله وان حماية الله تقيم)

١ وبعد ان قال يسوع هذا قال : « لستم أنتم الذين اخترتموني ^(أ) بل أنا
اخترتكم لتكونوا تلاميذي ٢ فاذا أبغضكم العالم تكونون حقاً تلاميذي ^(ب)
٣ لان العالم كان دائماً عدو عبيد خدمة الله تذكروا الانبياء الاطهار الذين قتلهم
العالم كما حدث في أيام ايليا ^(ب) اذ قتل ايزابيل عشرة آلاف نبي حتى بالجد نجا
ايليا المسكين وسبعة آلاف من أبناء الانبياء ^(ب) الذين خيأهم رئيس جيش
أخاب ٦ أراه من العالم الفاجر الذي لا يعرف الله ٧ اذا لا تخافوا أنتم ^(أ) لان
شعور رؤسكم محصاة كي لا تهلك ٨ انظروا المصفور الدروي والطيور الأخرى
التي لا تسقط منها ريشة بدون ارادة الله ٩ أيعتي ^(ت) الله بالطيور أكثر
من اعتناؤه بالإنسان الذي لاجله خلق كل شيء ١٠ ايتفق وجود انسان
أشد اعتناء بمخذه منه بانه ١١ كلامكم كلا (١٢) أقلا ^(ث) يجب عليكم
بالأولى ان تظنوا ان الله لا يهلككم وهو الممتني بالطيور ١٣ ولكن لماذا
اتسلكم عن الطيور بل لا تسقط ورقة شجرة بدون ارادة الله ^(ج)

١٤ « صدقوني لاني أقول لكم الحق ان العالم يرهبكم اذا حفظتم
كلامي ١٥ لانه لو لم يخش فضيحة فجوره لما أبغضكم ولكنه يخشى فضيخته

(١) سورة توكيل (ب) في زمان الياس يقتل اليهود عشرة آلاف أنبياء

غير الحق منه (ت) الله وكيل وحافظ (ث) الله رب (ج) لا يسقط
ورق من الشجر الا بإرادة الله تعالى منه

(١) يو ١٥ : ١٦ (٢) يو ١٥ : ١٩ (٣) ١ مل ١٨ : ٤ و ١٣ (المدد هناك مثلاً

ولعل ما هنا هو المراد بما في ١ مل ١٩ : ١٨ (٤) مت ٢٨ : ٣٠ ولو ١٢ : ٥١ - ٥٧

ولذلك ينفضكم ويضطهدكم^(١) ١٦ فاذا رأيتم العالم يستهين بكلامكم فلا تحزنوا بل تأملوا كيف ان الله وهو أعظم منكم قد استهان به أيضاً العالم حتى حسبته حكته جهالة ١٧ فاذا كان الله يحتمل^(ب) العالم بصبر فلماذا تحزنون أنتم يا تراب وطين الارض ١٨ فبصبركم تملكون أن تقسم^(١) ١٩ فاذا لطمكم أ^د على خد خولوا له الآخر ليلطه^(٢) ٢٠ لا تجازوا شراً بشر^(٣) لان ذلك ما تفعله شر الحيوانات كلها ٢١ ولكن جازوا الشر بالخير^(ت) وصلوا لله لاجل الذين ينفضونكم^(٤) ٢٢ النار لا تطفأ بالنار بل بالماء لذلك أقول لكم لا تغلبوا الشر بالشر بل بالخير^(٥) ٢٣ انظروا الله^(ث) الذي جعل شمس تطلع على الصالحين والطارحين^(٦) وكذلك المطر ٢٤ فكذلك يجب عليكم ان تفعلوا خيراً مع الجميع لانه مكتوب في الناموس كونوا قدسين لاني انا الحكم قدوس^(٧) كونوا أقياء لاني انا نقي وكونوا كاملين لاني انا كامل^(ح) ٢٥ الحق أقول لكم ان الخادم يحاول ارضاء سيده فلا يلبس ثوباً ينفر منه سيده ٢٦ وآثوا بكم هي ارادتكم ومحبتكم ٢٧ احذروا اذا آمن ان تريدوا أو تحبوا شيئاً غير مرضي لله^(غ) ربنا ٢٨ ايقنوا ان الله يفيض بهرجة وشهوات العالم لذلك انفضوا أنتم العالم

« ١ » الدنيا لأحب عباد الله الاخيار لانها خافت ان يكشف واوشاقها يكشفوا شقاوتها « ٢ » وقصد للعباد ان تصيب البلاء والضرر منه « ب » الله صبر « صبور ٢ » الله عليم « ت » مثلاً لا يدفع النار « بالنار » كذلك لا يدفع الشر « بالشر » منه « ث » الله رازق « ج » الله ولي وقدوس وكامل « ح » يقول الله تمل في التوراة يا بني اسرائيل كنوا ولياً فاني ولي وكنوا طاهراً فثني طاهر وكنوا كاملاً فثني كامل منه « خ » الله سلطان

« ١ » لوقا ١٩ : ٢١ « ٢ » مت ٣٩ : ٥ « ٣ » ١ بط ٩ : ٢ « ٤ » مت ٤٤ : ٥ ولوقا ٢٨ : ٦

« ٥ » روم ١٢ : ٢١ « ٦ » مت ٤٨ : ٥ « ٧ » لا ٢١ : ٢ « ٨ » مت ٥ : ٤٨

حجة الاسلام أبو حامد الغزالي

إن سيرة عظماء الرجال ، أظهر عون على تربية الاجيال ، وقد كان الامام أبو حامد محمد الغزالي من علماء الاسلام المصلحين في أصول الاسلام وفروعه وآدابه اعترف له بذلك العلماء وعدوه من المهددين المشار اليهم بمحدث « إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها » رواه أبو داود والحاكم في المستدرك والبيهقي في المركة من حديث أبي هريرة وعلم عليه في الجامع الصغير بالصحة . وسبأني ذكر شي . من أقوال الفقهاء والمؤرخين والصوفية فيه . لذلك همت منذ سنين بأن أكتب في المنار شيئاً عن الرجال النظام ابدأ فيه بملخص سيرته في المنار ولم أوفق إلى ذلك قبل اليوم . وارجو أن يكون فيما أكتبه الآن عبرة لأولي الالباب

﴿ أصله ومنشؤه ﴾

هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد لم أر احدا ذكر له أكثر من ثلاثة آباء وأسماؤهم عربية ولكن نسبة لا يعرف منها فهو امان من العرب الذين تطلقوا في بلاد الفرس من أول الفتح الاسلامي واما من الفرس الذين غلبت عليهم الاسماء العربية لعراقهم في الاسلام . وانك لتجد كثيراً ممن يتكلمون في التاريخ يجهزون بنسب العلماء الذين نشأوا ببلاد الفرس في الاسلام فيقولون أنهم من الفرس وان فلانا فارسي الاصل والمنشأ حتى ان منهم من يمد أصصاب الانساب العربية المصروفة من الفرس كصاحب القاموس وصاحب الأغاني واضراهم . ومن أسباب هذا القلط فيما أرى اشتهار قول ابن خلدون ان أكثر علماء الملّة من العجم وهو مخطئ . في هذا الحكم ومخطئ . فيما عله به . والصواب أن علماء الاسلام الذين نشأوا في بلاد الفرس وغيرها من بلاد الاعاجم منهم العربي كن ذكرنا أنفأ ومنهم العجمي كسيبويه ومنهم المجهول نسبة كأبي حامد الغزالي فيتوقف في مثله حتى يظهر الدليل وقد يستدل على أنه من سلالة عربية بما يأتي في فصل اشتغاله

العلم من بلاغته مع قلة ممارسته للفنون العربية
 أما ما ينسب إليه الفزالي فقد اختلف فيه وفي ضبطه هل هو بالتخفيف أو
 التشديد وقد جاء في ترجمة أبي حامد لشارح الأحياء في ذلك مانصه :
 «قال صاحب نسخة الإرشاد قفلا عن الامام النووي في دقائق الروضة التشديد
 في الفزالي هو المعروف الذي ذكره ابن الأثير وبلغنا أنه قال منسوب الى غزالة
 بنخفيف الزاي قرية من قرى طوس : قلت وهكذا ذكره النووي أيضاً في
 الثبيان . وقال الذهبي في السير : وابن خلكان في التاريخ عادة أهل خوارزم
 وجرجان يقولون القصاري أو الحباري بالياء فيها فتسبوه لفنزل وقالوا
 الفزالي ومثل ذلك الشحامي وأشار لذلك ابن السمعاني أيضاً وأنكر التخفيف
 وقال سألت أهل طوس عن هذه القرية فأنكروها وزيادة هذه الياء قالوا
 لنا كيد وفي تقرير بعض شيوخنا لتمييز بين المنسوب الى نفس الصنعة وبين
 المنسوب الى من كانت صنته كذلك وهذا ظاهر في الفزالي فإنه لم يكن ممن
 ينزل الصوف ويبيعه وأما هيمنة والده وجده . ولكن في المصباح الفنبوي ما يؤيد
 التخفيف وإن غزالة قرية بطوس والياء نسب الامام أبو حامد . قال أخبرني بذلك
 الشيخ محمد الدين بن محمد بن أبي الطاهر شروان شاه بن أبي الفضائل خوارزم
 ابن عبيد الله بن ست المنا بنت أبي حامد الفزالي يفتد سنة عشر وسبعمائة وقال لي
 أخطأ الناس في تثقيب جدنا وأما هو مخفف . وقال الشهاب الخفاجي في آخر شرح
 الشفا : ويقال أنه منسوب الى غزاله ابنة كعب الحبار وهذا انصح فلا محيد
 عنه : والمعتمد الآن عند المتأخرين من أئمة التاريخ والانساب أن القول قول
 ابن الأثير أنه بالتشديد»

وله أبو حامد في مدينة طوس من عمل خراسان سنة ٤٥٠ قال ابن السبكي
 في طبقات الشافعية الكبرى : وكان والده ينزل الصوف ويبيعه في مكانه بطوس
 فلما حضرته الوفاة وصى به وبأخيه أحمد الى صديق له متصوف من أهل الخيبر
 وقال له ان لي ثاسفا عظيما على تعلم الخط وأشتعي اسدراك ما فاني في ولدي
 هذين فلمهما ولا عليك أن تنفذ في ذلك جميع ما أخلقه لهما . فلما مات أقبل

الصوفي على تعليمهما الى أن فني ذلك النور اليسير الذي خلفه لها أبوها وتمذر على الصوفي القيام بقوتهم فقال لهما : اعلماني قد أنفقت عليكما ما كان لكما وأنا رجل من الفقر والتجريد بحيث لا مال لي فأواسيكما به ، وأصلح ما أرى لكما أن تلجأ إلى مدرسة فانكما من طلبه العلم فيحصل لكما قوت يسكنكما علي وتكسبكما : ففعلنا ذلك وكان هو السبب في سعادتهما وعلو درجتهم . وكان الفزالي يحكي ذلك ويقول « طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون الله » اهـ

فأنت ترى أن الفزالي نشأ فقيرا وكذلك أكثر التافئين في الأمم أو العصور التي لا إلزام فيها بالتعليم والبرية يخرجون من بيوت الفقراء أو من هم على مقربة منهم . والأغنياء يشغلهم الترف والنعيم عن الجهد والاجتهاد في العلم لاسيما في تلك الأزمنة التي كان فيها طلب العلم لا يتم الا بالرحلة الى العلماء المشهورين كما ترى فيما يلي ونهيك بما كان في طي المسافات من المشاق

﴿ طلب الفزالي للعلم ﴾

قرأ في صباه طرفا من فقه الشافعية على أحمد بن محمد الراذكاني في بلدة (طوس) ثم سافر الى الامام أبي نصر الاسماعيلي في جرجان وعلق عنه كتاب التعليلة وعاد الى طوس . قال الامام أسعد الميهني فسمعه يقول فطعت علينا الطريق وأخذ العيارون جميع مامعي ومضوا فتبعتهم فالتفت الي مقدمهم وقال ارجع وبحك والا هلكت فقلت له أسألك بالذي ترجو السلامة منه أن تود علي تعليفي فقط فما هي بشيء تنفعون به . فقال لي وما هي تعليفتك ؟ فقلت كتب في تلك الححلة هاجرت لساعا وكتابها ومعرفة عليها . فضحك وقال كيف تدعي انك عرفت عليها وقد أخذناها منك فتجردت من معرفتها وبقيت بلا علم ؟ ثم أمر بعض أصحابه فسلم الي نخلة (قال الفزالي) هذا مستطاع أنقله انه ليرشدني به في أمري فلما وافيت طوس أقبلت على الاشتغال ثلاث سنين حتى حفظت جميع ما علمته وصرت بحسب لو قطع علي الطريق لم أنجرد من علمي . قال التاج السبكي وقد روى هذه الحكاية عن الفزالي أيضا الوزير نظام الملك

أقول وفيها من العبرة لمثل طلاب الأزهر ان هذا الامام العظيم ما وصل الى ما وصل اليه الا بعد أن جعل قصده في طلب العلم أن يكون العلم صفة من صفاته لأن بهم ما يأخذ من العلماء اذا هو قرأه فقط فيبقي لكل طالب علم أن يتلقى العلم لأجل أن يكون له فيه حكم ورأي ولا يكتفي بأن يكون راوياً لأقوال العلماء ولوم الفهم لأن من فهم علم غيره لا يهدى هو عالماً الا اذا هو أشرب العلم وصار له فيه فهم خاص يقدر على الاستدلال عليه ودفع معارضة المخالفين عنه، وصار بحيث لم يرجع عنه من قل عنه لا يرجع هو

قال السبكي ثم ان الفرزلي قدم نيسابور ولازم امام الحرمين وجد واجتهد حتى برح على يديه في مذهب الشافعي والخلاف والجلد والأصلين والمنطق وقرأ الحسنة والفلسفة وأحكم كل ذلك وفهم كلام أرباب هذه العلوم وتصدى لرد عليهم وإبطال دعاويهم وصنف في كل فن من هذه العلوم كتباً أحسن تأليفها، وأجاد وضماً وترصيفها، كذا نقل الثقة عنه وأتالم أنه مصنف في أصول الدين بعد شدة النقص الا أن يكون قواعد العقائد وعقائد صغرى (كذا)

أقول وفاته كتاب الاقتصاد في الاعتقاد - وظاهر قوله « وقرأ الحسنة والفلسفة » أنه لم يقرأها على امام الحرمين وهو كذلك كما يعلم من كتابه (المتن) من الضلال) وفيه انه صنف كتاباً في الكلام وستأتي عبارته فيه

وقال الزبيدي في ترجمته بعد ان ذكر من مشايخه بطوس أحمد بن محمد الراذكاني وفي جرجان أبا نصر الامام عيسى وفي نيسابور امام الحرمين وشيخه في التصوف « ومن مشايخه أيضاً يوسف السجّاج وفي الحديث أبوسهل محمد بن أحمد ابن عبيد الله الحفصي المروزي والحاكم أبو الفتح نصر بن علي بن أحمد الحاكمي الطوسي وأبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الخواري خوار طبران ومحمد بن يحيى ابن محمد السجّاعي الزوزني والحافظ أبو الفتيان عمر بن أبي الحسن الرواسي الدهستاني ونصر بن ابراهيم المقدسي على قول الذهبي وقال غيره لم يدركه هؤلاء شيوخه في العلوم الثلاثة - يعني الفقه والتصوف والحديث - أقول وهذه الكثر من الذين سمع منهم الحديث إنما سمعه منهم في آخر أمره بعد ان رجع من سياحاته -

ثم قال الزبيدي: ولم أطلع على أسماء شيوخه الذين قرأ عليهم في الكلام أول الجدل فإن عثرت على شيء بعد ذلك ألحقت به إن شاء الله تعالى . وأما علوم الفلسفة فلا شيخ له فيها كما صرح بذلك في كتابه المنقذ من الضلال : اهـ

أقول أنه أخذ الكلام والخلاف عن إمام الحرمين لأنه كان من المبرزين فيهما وما كان لازماً يدي أن يغفل عن ذلك . ولم يذكروا شيوخه في الفنون العربية كالنحو والصرف والبيان والأدب ويحتمل أنه أخذ عن الراذكاني مع الفقه شيئاً من مبادئها واعتمد بعد ذلك فيها على اشتغاله بنفسه فقد قال عبد الغافر الفارسي خطيب نيسابور وكان من معاصريه أنه كان مما يفترض به عليه وقوع خلل من جهة النحو يقع في أثناء كلامه وروجع فيه فأنصف من نفسه واعترف بأنه مامرس ذلك الفن واكتفى منه بما يحتاج إليه في كلامه مع أنه كان يؤلف الخطب ويشرح الاختصاف بالعبارة التي تتميز الأدياء والفصحاء عن أمثالها ، وأذن فذين يطالعون كتبه فيعثرون على خلل فيها من جهة اللفظ أن يصلحوه و يسدروه فما كان قصده الالمامي وتحقيقها ، دون الألفاظ وتلفيقها ، اهـ كلام عبد الغافر

ونحن نرى أن كلامه في كتبه أعلى من كلام أقرانه أسلوباً وأحسن بياناً وأشد تأثيراً كما نجد فهمه لكلام العربي أدق من أفهامهم وذلك متبعاً المقصد من الفنون العربية كلها فإذا كان الوصول إلى هذا المقصد ممكناً مع الإقلال من الاشتغال بالنحو فلماذا يضيع الماقل الوقت الطويل في قراءة الكفراوي والشيخ خالد والأزهري والقطر والشذور وابن عقيل والاشموني وحواشي هذه الكتب على أن كتاباً منها يكفي الطالب ما لا بد منه من النحو ولعل من فهم الشذور أو ابن عقيل يكون أعلم من النزالي بنفس النحو فليد أن يفكر في الطريقة التي يكون بها مع ذلك مثل النزالي أو على مقربة منه في فهم الكلام العربي الذي وضع النحو لضبطه وللإتيان بالكلام البليغ منه قولاً وكتابةً ولذلك طريق غير كثيرة مزاولة كتب النحو التي يضعف منها ملكة اللسان كما قال ابن خلدون فليفكر في ذلك طلاب الأزهر الأذكياء لاسيما من كان منهم عربي لسان يسئل عليه فهم الكتب البليغة في الأدب والتاريخ وغير ذلك بالممارسة قبل تلقي الفنون .

فان كاتب هذه السطور قرأ كثيراً من هذه الكتب قبل طلب العلم ومنها كتاب إحياء علوم الدين لصاحب السيرة . ولكن هذا لا يتيسر للأعاجم . وقد يستدل بهذا على ان الفزالي من عشيرة عربية بقيت محافظة على أصل لغتها الا مالا تخلو عنه طيبة الخالطة للأعاجم من التحريف والتخيل الا أن يقال لغة الفرس كافة كانت قد تحولت عربية في ذلك العهد وصار العارف بالفارسية يتلقاها بالتعلم وهذا ما ينكره كثير من العارفين منهم صاحبنا الدكتور محمد مهدي خان فانه يقول ان لغة العامة هناك في القرن الرابع والخامس كانت الفارسية . وقد كان الفزالي يعرف الفارسية وألف فيها ولو كان فارسي الاصل وهو من العامة لكانت لنته الأصلية ومثله لا يصير بليفاً بالعربية الا بعد اشتغال بالفنون طويلاً فبلاغته وفصاحته وسلامة عبارته من العجبة على كونه من العامة يرجح كونه عربي الاصل فهذا ما رأينا أن نبينه من سيرة حجة الاسلام في تلقي العلم والعبرة فيها للطلالين

﴿ تخرجه وتصدية للإفادة ﴾

قلنا أنه اشتمل أولاً بطوس وكانت مدينة آهلة بالعلم والعلماء في الجلة وكان يومئذ مرافقاً ثم في جرجان وكانت فوق طوس في العلم والعمران ثم في المدرسة النظامية بنيسابور أعظم معاهد العلم في خراسان وما زال فيها يختلف الى دروس امام الحرمين علامة ذلك العصر الزاهر حتى تخرج به واشتهر وقد قيل ان شيخه كان يحمد منه شيئاً في نفسه وان كان يفخر به في الملاء كاسياني . ولما توفي امام الحرمين سنة ٤٧٨ هـ خرج الفزالي الى المسكر وهي محلة بالقرب بنيسابور كان يقيم فيها نظام الملك الوزير نصير العلم وكعبة العلماء فخل من مجلس الوزير محل القبول . قال معاصره أبو الحسن عبد افاض بن اسماعيل الفارسي خطيب بنيسابور في ذلك : محمد بن محمد بن محمد أبو حاحد انزالي حجة الاسلام والمسلمين ، امام أئمة الدين ، لم تر السيون مثله لساناً وبياناً ونطقاً وخاطراً ، وذكاء وطبعاً ، أخذ طرفاً في صباه بطوس من افقه على الامام أحمد الراذكاني ثم قدم بنيسابور فختلفا الى درس امام الحرمين في طائفة من الشبان من طوس وجد واجتهد حتى تخرج في مدة قريية وبرز الأقران ، وحل القرآن ، وصار أنظر أهل زمانه ، وأوحد أقرانه ، في أيام امام الحرمين .

وكان الطلبة يستفيدون منه ويدرس لهم ويرشد لهم ويجتهد في نفسه ،
 وبلغ الأمر به إلى أن أخذ في التصنيف . وكان الامام مع علو درجته وسمو
 عبارته وسرعة جريه في النطق والكلام لا يصغى نظره إلى الفزالي سراً لا رباً به
 عليه في سرعة العبارة وقوة الطبع ، ولا يطيب له تصديه لتصانيف وان كان متخرجاً
 به منتسباً إليه كما لا يخفى من طبع البشر ولكنه يظهر التبحر به والاعتداد بمكانه
 ظاهراً خلافاً لما يضره .

ثم بقي كذلك إلى اقضاء أيام الامام فخرج من نيسابور وصار إلى العسكر
 واحتل من مجلس نظام الملك محل القول وأقبل عليه الصاحب لعلو درجته وظهور
 اسمه وحسن مناظرته ، وجري عبارته ، وكانت تلك الحضرة محط رجال العلماء
 ومتصدر الأئمة والفصحاء ، فوقعت لفزالي اتفاقات حسنة من الاحتكاك بالأئمة
 وملاقة الخصوم اقدم ، ومناظرة الفعول ، ومناقدة الكبار ، وظهر اسمه في الآفاق ،
 وارتفع ذلك أكمل الارتفاق ، حتى أدت الحال به إلى أن رسم للمصير إلى بغداد
 لقيام بتدريس المدرسة الميمونة النظامية بها فصار إليها وأعجب الكل بتدريسه
 ومناظرته وما بقي مثل نفسه وصار بعد إمامة خراسان إمام العراق

ثم نظر في علم الأصول وكان قد أحكمها فصنف فيه تصانيف ، وجدد المذهب
 في الفقه فصنف فيه تصانيف ، وسبك الخلاف فجدد فيه أيضاً تصانيف ، وعلت
 حشمته ودرجته في بغداد حتى كانت تغلب حشمة الأكارم والأمرء ودار الخلافة
 فانقلب الأمر من وجه إلى آخر ، اه المراد من كلام عبد الفارها ومنه تعلم
 أن رئاسة العلوم الظاهرة قد انتبت إليه في سن الشباب حتى كان يرصف بحجة
 الاسلام وإمام أئمة العصر وهو لم يشتغل بالتلقي عن العلماء إلا بضع سنين
 أقول إنه تخرج في بضع سنين أخذاً مما مر من أنه لم يطلب العلم من أول سن التمييز بل بعد
 عجز الوصي عليه وعلى أخيه من الفقه عليهما ، ومن قوله في أول كتابه المدة زمن
 الضلال . ولم أزل منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ المشرين إلى الآن - وقد
 أنافت السن على الحسين - اقتحم لجة هذا البحر الخ ماسياًني . وقد علم من
 كلام معاصره عبد الفار من كلام غيره من المؤرخين أنه تخرج في عهد أستاذه

امام الحرمين في مدة قليلة وقد توفي امام الحرمين سنة ٤٧٨ وكانت سن الفزالي ٢٨ سنة أي انه كان متخجراً قبل ذلك

غرضنا من هذا التحقيق تنبيه طلاب العلم الى مسألة أرجو انتفاع أذكيائهم بها وهي أن طول مدة الاشتغال بالعلمي والتحصيل قلما تأتي بفائدة بل هي عنوان البلادة وخود القمهن وخول النفس ودليل على فساد التعليم وأكثر النابغين من العلماء والحكماء لم يقيموا في معاهد التعليم والتلقي زمناً طويلاً . وقد قرر هذه الحقيقة الفيلسوف سبنسر . وقد كان الأستاذ الامام بعد سنوات قليلة يحضر دروس بعض العلماء في علم ويده كتاب في علم آخر يطالع فيه

﴿ تربية الفزالي لنفسه وفلسفه وتصوفه ﴾

العلوم والفنون في نفسها صناعات وآلات يستعان بها على اصلاح الانسان والعمل والنفس والعقل فمن طلب فنا منها كان له في طلبه ثلاثة مقاصد - أحدها أن يعرف الفن بحسب ما قاله الواضعون له والمصنفون فيه اتباعاً لهم وتقليداً . ثانيها أن يعرفه كما عرفه الواضعون بما آخذوه ودلائله بحيث يكون له فيه رأي وحكم لا يباي في فيه وافق الواضعين أو خالفهم وإنما يتحرى فيه ما يراه صواباً . ثالثها أن يعرفه ليستعمله فيما وضع له وبجملة وسيلة للعمل . وهذا الأخير يجتمع مع كل من الأول والثاني وقد وجدنا بدونه يوجد ألوف من الصنف المعروف عندنا بصنف العلماء قرواً الفنون العربية والشرعية وبعض العقلية بالقصد الأول ووجد كثير من قرواها بالقصد الثاني وما كان المصنفون ثمراتها من الآخرين فضلاً عن الأولين إلا الأقابن فكمن عالم بمسائل النحو البلاغة واسع الاطلاع لم يصلح لادائه ولاقله فهو عاجز عن الاتيان بالكلام الصحيح ، به البليغ الفصيح ، وكمن عالم بأحكام الحلال والحرام ، والفضائل والذائل ، فاسد لاخلق ، مرتكب للمحرمات ، وكمن عالم بقوانين المنطق بعجز عن تحديد حقيقة ، واقامة البرهان على عقيدة ، وتم من بارع صناعة الحجة ، تعجز في علم الكلام ، وهو فاسد الاعتقاد ، أو منطو على الإلحاد ، وإن لنا في سيرة حجة الاسلام ، أكبر حجة على هؤلاء الاقوام ،

شرح أبو حامد في طلب العلم على طريقة أهل المقصد الأول أعني المتقين فأرشده رئيس الميادين القدين نبيهه منصرفه من جرحان إلى الطريقة الثانية طريقة الاستقلال فلم يلبث أن صار اماماً في زمن قصير لأن المستقل بنظره يحصل في سنة ما لا يحصله المقلد القوي يأخذ كل ما يلقي إليه بالقسليم في سنين كثيرة. وما كل أحد كالغزالي ترشده كلمة يلفظها قاطع الطريق إلى مثل هذه الحقيقة التي يجهلها أكثر المشتغلين بالعلم . وإنما يسترشد الناس بالحكمة على قدر استعدادهم وكان استعداد الغزالي في القوة العليا وقد يقرأ سيرته هذه بطولها وتفاصيلها كثيرون من طلاب العلم في الأزهر وغيره ثم لا يخرجون من ظلمات التقليد إلى نور الاستقلال لضعف استعدادهم

لم يرض أبو حامد من العلم بالمقصد الثاني القوي لا يعلو به صاحبه عن مرتبة الصانع بل حاول في كل علم قرأه الوصول إلى غايته ، والتحقق بحقيقته ، فكما كان بالعلوم العربية كاتباً بليغاً وخطيباً مفوهاً وعلوم الكلام والفقه والخلاف حجة على الخصم وركناً للذهب ، أراد أن يكون هو في نفسه على يقين من كل ما يعتقد وأن يكون عمله ثمرة علمه ، فربى نفسه لذلك تربية خاصة ومثل هذا لا يأتي بمعرفة المسائل والدلائل فقط بل لابد فيه من التربة والمجاهدة وذلك ما كتبه عن نفسه في ذلك ملخصاً من كتابه (المنقذ من الضلال) . قال بعد البسملة والخلة والتصلة

« أما بعد فقد سألتني أيها الأخ في الدين أن أبث إليك غاية العلوم وأسرارها ، وغائصة المذاهب وأغوارها ، وأحكى لك ما قاسيته في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق ، مع تباين المذاهب والطرق ، وما استجرات عليه من الارتقاء عن حضيض التقليد إلى بياض الاستبصار ، وما استفدته أولاً من علم الكلام ، وما احتوته ثانياً من طرق أهل التعليم القاصرين لدرك الحق على تقليد الإمام وما ازدريته ثالثاً من طرق التفلسف ، وما ارتضيته آخرها من طريقة التصوف ، وما أنجلي لي في تضاعيف تفنيشي عن أقاويل الخلق ، من لباب الحق ، وما صرقتي عن نشر العلم ببغداد مع كثرة الطلبة ، ومادعاني إلى معاودتي بنيسابور بعد طول

المدة ، فابتدعت لاجابتك الى مطلبك ، بعد الوقوف على صدق رغبتك ، وقلت مسليتنا بالله ومتوكلا عليه ، ومستوفقا منه ومتلجنا اليه ،
 « اعلوا أحسن الله ارشادكم » ولأن الحق قيادكم ، أن اختلاف الخلق في الأديان والمثل ، ثم اختلاف الأمة في المذاهب على كثرة الفرق ، وتباين الطرق ، بحر عميق غرق فيه الأكرثون ، وما نجا منه الا الأقلون ، وكل فريق يزعم انه الناجي و « كل حزب بما لديهم فرحون » وهو الذي وعدنا به سيد المسلمين وهو الصادق المصدوق حيث قال « ستفرق أمتي ثلاثا وسبعين فرقة الناجية منها واحدة » (١) فقد كاد ما وعد أن يكون ،

« ولم أزل من عفوان شبابي وقد أنافت السن على التحسين أقنعم لجة هذا البحر العميق اتحام الجور ، لاخوض الجبان المذور ، وأتوغل في كل ، مظلمة ، وأتهجم على كل مشكلة ، وأتقنم كل ورطة ، وأنقص عن عقيدة كل فرقة ، وأستكشف أسرار مذهب كل طائفة ، لا مميزين بحق وببطل ، ومسنن ومبتدع ، لا أغادر باطنيا الا وأحب ان أطلع على بطائنه ، ولا ظاهرا الا وأريد أن أعلم حاصل ظهاره ، ولا فلسفيا الا وأقصد الوقوف على كنه فلسفته ، ولا متكلميا الا وأجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ، ولا صوفيا الا وأحرص على العثور على سر صفوته ، ولا متعبدا الا وأترصد ما يرجع اليه حاصل عبادته ، ولا زنديقا مطلقا الا وأنجس وراءه لفتنه لاسباب جرأته ، في تعطيله وزندقته ، « وقد كان التبعث الى حقائق الأمور دأبي وديني ، من أول أمري ، وريهان حمري ، غريزة وفطرة من الله وضعتا في جبلي ، لا باختياري وحيثي ، حتى انحلت عني رابطة التقليد ، وانكسرت على (كذا) العقائد الموروثة ، على قرب عهد بسن الصبا ، اذ رأيت صبيان النصارى لا يكون لهم نشوء الا على التنصر ، وصبيان اليهود لا نشوء لهم الا على اليهود ، وصبيان المسلمين لا نشوء لهم الا على الاسلام ، وسمعت الحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « كل مولود يولد على فطرة الاسلام فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه »

تتحرك باطني الى طلب حقيقة النظرة الاصلية ، وحقيقة العقائد المارضة بتقليد
الوالدين والاستاذين ، والتمييز بين هذه التقاليدات ، وأوائلها تلقينات ، وفي تمييز
الحق منها عن الباطل اختلافات ،

« قلت في نفسي أولاً انما مطلوبني العلم بمحقائق الأمور فلا بد من طلب
العلم بمحقائق الأمور فلا بد من طلب حقيقة العلم ما هي فظنرت لي ان العلم اليقيني
هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافاً لا يبقى معه ريب ولا يقارنه امكان الغلط
والوهم ولا يتسع القلب لتقدير ذلك بل الامان من الخطأ ينبغي أن يكون مقارناً
ليقين مقارنة لوعدى بإظهار بطلانه مثلاً من يتلب الحجر ذهباً والحية ثياباً ،
لم يورث ذلك شكاً وإنكاراً ، فاني اذا علمت أن العشرة أكثر من الثلاثة
فقال لي قائل « لابل الثلاثة أكثر دليل أي قلب هذه الصا ثياباً » وشاهدت
ذلك منه لم أشك بسببه في معرفتي ولم يحصل لي منه الا التعجب من كيفية قدرته
عليه فأما الشك فيها علمته فلا . ثم علمت أن كل ما لا أعلمه على هذا الوجه ،
ولا أتيقنه هذا النوع من اليقين ، فهو علم لا ثقة به ولا أمان معه ، فليس لعم يقيني

(القول في مداخل السفطة وجهد الموم)

« ثم فحشت عن علمي فوجدت نفسي عاطلاً من علم موصوف بهذه الصفة
الآني الحسابات والضروريات قلت الآن بعد حصول اليأس لامطعم في اقتباس
المشكلات إلا من الجليات وهي الحسابات والضروريات فلا بد من إحكامها
أولاً لآئين أن تقني بالمحسوسات وأمانني من الغلط في الضروريات من جنس
أمانني التي كان من قبل في التقاليدات ومن جنس أمان أكثر الخلق في النظريات
أم هو أمان محقق لا غدر فيه ولا غاية له ؟ فأقبلت بمجد بليغ أتأمل في المحسوسات
والضروريات وأظنر هل يمكنني ان أشكك نفسي فيها فأتعنى بي طول التشكك
الى أن لم تسمح نفسي بتسلم الامان في المحسوسات أيضاً وأخذ يقنع هذا الشك
فيها ويقول من أين الثقة بالمحسوسات وأقواها حاسة البصر وهي تنظر الى الظل
فتراه واقعاً غير متحرك ونحكم بنفي الحركة ثم بالتعبيرة والملاحظة بعد ساعة تنصرف

أنه يتحرك وأنه لم يتحرك بقنة ودقة بل على التدريج ذرة ذرة حتى لم تكن له حالة وقوف . وتنتظر الى الكوكب فتراه صغيرا في مقدار دينار ثم الأداة الهندسية تدل على أنه أكبر من الأرض في المقدار

« هذا وأمثلة من المحسوسات يحكم فيها حاكم الحس بأحكامه ويكذبه حاكم العقل ويخونه تكذيبا لا سبيل الى مدافعته . قلت قد بطلت الثقة بالمحسوسات أيضا قلعة لا ثقة الا بالعقليات التي هي من الأوليات تقولنا العشرة أكثر من الثلاثة ، والتي والاثبات لا يجتمعان في الشيء الواحد ، والشيء الواحد لا يكون حادثا وقديما موجودا ومدوما واجبا محالا

« وقالت المحسوسات : بم تأمن أن تكون ثقتك بالعقليات كثقتك بالمحسوسات وقد كنت واثقا بي لجاء حاكم العقل فكذبني ولولا حاكم العقل لكنت تستمر على تصديقي ، فلم وراء ادراك العقل حاكم آخر اذا نهمل كذب العقل في حكمه كما نهمل حاكم العقل فكذب الحس في حكمه ، وعدم نهمل ذلك الادراك لا يدل على استحالة : فتوقفت النفس في جواب ذلك قليلا وأيدت استحالتها بالنام وقال : اما تراك تستند في النوم أمورا وتخيّل أحوالا وتعتقد لها ثباتا واستقرارا ولا تشك في تلك الحالة فيها ثم تستيقظ فتعلم أنه لم يكن لجميع متخيلاتك ومعقداتك أصل وطائل فبم تأمن أن يكون جميع ما تعتقده في يقظتك بحس أو عقل هو حق بالإضافة الى حالتك . لكن يمكن أن تطرأ عليك حالة تكون نسبتها الى يقظتك كنسبة يقظتك الى منامك وتكون يقظتك نوما بالإضافة اليها فاذا وردت تلك الحالة نيقنت أن جميع ما توهمت بنفسك خيالات لا حاصل لها أولم تلك الحالة ما يدعيها الصوفية أنها حالتهم اذ يزعمون أنهم يشاهدون في أحوالهم اذا غاصوا في أنفسهم وغابوا عن حواسهم أحوالا توافق هذه العقوليات ولعل تلك الحالة هي الموت إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الناس قيام فاذا ماتوا اتبوهوا » (*) فقل الحياة الدنيا نوم بالإضافة الى الآخرة فاذا مات المرء ظهرت له الأشياء

(*) قال في الدرر المنتثرة هو من كلام علي رضي الله عنه

على خلاف ما شاعده لآتن ويقال له عند ذلك (٢٠:١٥٠) فكشفنا عنك غطاءك
فبصرك اليوم حديد)

« فلما خلطت هذه الخواطر اتقدحت في النفس فحاولت لذلك علاجاً فلم يقبسر
اذلم يكن دفعه الا بالدليل ولم يمكن نصب دليل الا من تركيب العلوم الأولية فاذا
لم تكن مسلمة لم يمكن تركيب الدليل فأعضل هذا الداء ودام قريباً من شهرين
أنا فيهما على مذهب السفطة بحكم الحال ، لا بحكم النطق والمقال ، حتى شفى الله
تعالى من ذلك المرض وعادت النفس الى الصحة والاعتدال ورجعت الضرورات
العقلية مقبولة موثوقاً بها على أمن و يقين ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام
بل بنور قدفه الله تعالى في الصدر وذلك النور (١) هو مفتاح أكثر المعارف
فن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المجردة فقد ضيق رحمة الله الواسعة
ولما سئل رسول الله عليه السلام عن الشرح ومعناه في قوله تعالى (٣٩ : ٢٢) أفمن
شرح الله صدره للإسلام) قال « هو نور يقدفه الله تعالى في القلب » فقيل وما
علامته فقال « التجاني عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود » (٢) وهو الذي
قال عليه السلام فيه « ان الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره » (٣)
فن ذلك النور ينبجس من الجود الالهي في بعض الأحيان وبسبب التردد له
كما قال عليه السلام « ان لي بكم في أيام دهركم فتحات لا تخرصوها » (٤)
« والمقصود من هذه الحكايات أن يعمل كمال الجهد في الطلب حتى ينتهي

- (١) سئلتكم عن هذا النور في موضع آخر بما يزيد فأتينا (٢) ورواه الحاكم
والبيهقي في الشعب وابن مردويه من حديث ابن مسعود بلفظ آخر في أوله وهو
انهم سأوه (ص) عند تلاوة الآية كيف انشراح الصدر فقال « اذا دخل النور
القلب انشراح له وانفسح » قالوا فما علامة ذلك يا رسول الله فقال « الانابة الى
دار الخلود والتجاني عن دار الغرور » وهو في الظاهر خلاف الآية فافهم
- (٣) رواه احمد والترمذي والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وعلم له في الجامع
الصغير بالصحة وثمنه « فن أصابه ذلك النور يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل »
- (٤) رواه الطبراني عن ابن عباس بسند ضعيف

الى طلب مالا يطلب فان الاوليات ليست مطلوبة قائلها حاضرة والحاضر اذا طلب فقد واخفى ومن طلب مالا يطلب فلايتهم بالتقصير في طلب ما يطلب
(القول في اصناف الطالبين)

« ولا شفا في الله تعالى من هذا المرض (أي مرض السفسطة) فضله
وسعة جوده انحصرت اصناف الطالبين (أي الحق في الاعتقاد) في أربع فرق
التكلمون وهم يدعون انهم أهل الرأي والنظر ، والباطنية وهم يزعمون انهم أصحاب
التعليم والخصوصون بالاعتباس من الامام المعصوم ، والعلافة وهم يزعمون انهم
أصحاب المنطق والبرهان ، والصوفية وهم يدعون انهم خواص الحضرة وأهل
المشاهدة والمكاشفة . فقلت في نفسي الحق لا يمدو أصحاب هذه الأصناف
الاربعة فهو لا هم السالكون سبيل طلب الحق فان شا الحق عنهم فلا يبق في
ذلك الحق مطمح اذ لا مطمح في الرجوع الى التقليد بعد مفارقه اذ من شرط المقلد
أن لا يعلم أنه مقلد فاذا علم ذلك انكسرت زجاجة تقليده وهو شعب لا يرأب
وشمت لا يلج بالتلفيق والتأليف إلا أن يذاب بالنار ويستأنف لها صبغة أخرى
مستجدة . فابتدرت لسلك هذه الطرق ، واستقصاء ماعد هذه الفرق ، مبتدئا
بلم الكلام ، وثانيا بطريق الفلسفة ، ومثلثا بتطبيقات الباطنية ، ومرمعا بطريق
الصوفية ، »

هذا ما كتبه الامام الفزالي عن نفسه بعد ان تلقى ما شاء الله من
العلم بطريق التقليد زمنا وبطريق الاستقلال زمنا آخر . وقد ذكر بعد ما تقدم
فصلا في مقصود علم الكلام وانه حصه وعقله وطالع كشب المحققين فيه وصف
فيه ماشاء أن يصنف قال فصادفته علما وافيا بمقصوده غير واف بمقصودي : وبين
أن مقصود علم الكلام حفظ عقيدة أهل السنة وخراسناعن تشويش أهل البدعة
وان المتكلمين اعتمدوا على مقدمات تسلموها من خصومهم والجوهم الى التسليم
بها وهي التقليد أو الاجماع أو مجرد القبول من القرآن أو الاخبار . قال « وكان
أكثر خوضهم في استخراج مناقضات الخصوم ومواخذتهم بلوازم مسلطتهم وهذا

قليل النعم في جنب من لا يسلم سوى الضرورات شيئاً أصلاً فلم يكن الكلام في حق كافياً ، وللهاني الذي كنت أشكوه شافياً ، نعم لما نشأت صنعة الكلام وكثر الخوض فيه وطالت المدة تشرف المتكلمون الى مجاوزة القرب عن السنة بالبحث عن حقائق الأمور وخاضوا في البحث عن الجواهر والاعراض وأحكامها ولكن لما لم يكن ذلك مقصود علمهم لم يبلغ كلامهم فيه الغاية القصوى فلم يحصل منه ما يجرى بالكيفية غلات الحيرة في اختلافات الحق ولا أبعد أن يكون حصل ذلك لغيري بل لست أشك في حصول ذلك لطائفة ولكن حصولاً مشوباً بالتقليد في بعض الأمور التي ليست من الأوليات . والنقض الآن حكاية حالي لا الانكار على من استثنى به فلا أدوية الشفاء تختلف باختلاف الهداء وكم من دواء ينتفع به مريض ويستضر به آخر ، اه

القول في الفلسفة

ثم تكلم عن الفلسفة وما ينجم منها ويكفر منحلها وما ليس كذلك قال « ثم اني ابتدأت بعد الفراغ من علم الكلام بعلم الفلسفة وعلمت يقيناً انه لا يقف على فساد نوع من العلوم من لا يقف على منتهى ذلك العلم حتى يساوي أعلمهم في أصل العلم ثم يزيد عليه ويجاوز درجته فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم من غور وغائلة فاذا ذلك يمكن أن يكون ما يدعيه من فساد حقا ولم أر أحداً من علماء الاسلام صرف عنايته ومهنة الى ذلك ولم يكن في كتب المتكلمين من كلامهم حيث اشتغلوا بالرد عليهم الا كلمات مفقودة ظاهرة التناقض والفساد لا يظن الاغترار بها بقاقل عامي فضلاً عن يدعي دقائق العلوم فعلمت أن رد المذهب قبل فهمه والاطلاع على كنهه رعي في عمية

« فشمرت عن ساق الجد في تحصيل ذلك العلم من الكتب بمجرد المطالعة من غير استعانة باستاذ وأقبلت على ذلك في أوقات فراغي من التصديق والتدريس في العلوم الشرعية وأنا ممنو بالتدريس والافادة ثلاث مئة نفر من الطلبة يفتقدون فاطمني الله سبحانه بمجرد المطالعة في هذه الاوقات المخلصة على منتهى علومهم في أقل من سنتين ثم لم أزل أوأظب على التفكير فيه بعد فهمه قريباً من سنة أعاوده

وأردده واتفق فروائده وأغواره حتى اطلمت على ما فيه من خداع وتليس وتحقيق
ونخبيل اطلاعاً لم أشك فيه »
ثم ذكر أصناف الفلاسفة وأنواع علومهم من رياضيات ومنطقيات وطبيعيات
والهيات وسياسيات وخلقيات وبين وأيه فيها وسنذكره . وانتقل من ذلك الى
الكلام في مذهب الباطنية

مذهب التعليم وفائده

قال « ثم اني لما فرغت من علم الفلسفة وتحصيله وقهيته وتزيف ما يزيف منه
علمت ان ذلك أيضاً غير واف بكال الفرض وأن العقل ليس مستقلاً بالاحاطة
بجميع المطالب ولا كاشفاً للغماء عن جميع المضلات وكان قد ثبت ثابتة التعليمية
وشاع بين الخلق تحديدهم بمعرفة معنى الأمر من جهة الامام المعصوم القائم بالحق،
عن لي أن أبحث عن مقاتلهم لأطلع على ما في كتبهم . ثم اتفق أن ورد علي أمر
جازم من حضرة الخلافة بصنف كتاب يكشف عن حقيقة مذهبهم فلم يسعني
مدافعتي وصار ذلك مستحاثاً من خارج ضحية لباعث الأصلي من الباطن

« فابتدأت بطلب كتبهم وجمع مقالاتهم وكان قد بلغني كلماتهم المستعذرة
التي ولجتها خواطر أهل المصر لأعلى المناهج المبهود من سلفهم فجمعت تلك الكلمات
ورتبها ترتيباً محكماً مقارناً لتحقيق واستوفيت الجواب عنها حتى أنكر بعض أهل
الحق مني مبالغتي في تقرير حجتيهم وقال : هذا سعي لهم فانهم كانوا يعجزون عن
نصرة مذهبهم لثل هذه الشبهات لولا تحقيقك لها وترتيبك إيها ؛ وهذا الانكار
من وجه حق فلقد أنكر أحمد بن حنبل على الحارث المحاسبي تصنيفه في الرد على
المتزلة فقال الحارث الرد على البدعة فرض : فقال أحمد نعم ولكن حكيت شبهتهم
أولاً ثم أجبت عنها فلم تأمن ان يطالع الشبهة من تعلق بفهمه ولا يلتفت الى الجواب
ولا يفهم كنهه ؛ وما ذكره أحمد حق ولكن في شبهة لم تنتشر ولم تشتهر . اما
اذا انتشرت فالجواب عنها واجب ولا يمكن الجواب الا بعد الحكاية . نعم ينبغي
أن لا يتكلف لهم شبهة لم يتكلف . ولم أتكلف انا ذلك بل كنت قد سمعت

فلك الشبهة من واحد من أصحابي المختفين التي بعدان كان قد اتفق بهم واتحل مذهبه وحكى أنهم يضحكون على تصانيف المصنفين في الرد عليهم فأنهم لم ينفموا بعد حجتهم فلذلك أوردتها لئلا يظن بي أنني وإن سمعتها لم أفهمها فلذلك قررتها. والمقصود أنني قررت شبهتهم إلى أقصى الامكان ثم أظهرت فسادها « ثم بين ذلك ملخصاً في عدة صفحات . وليس بيان ذلك من مقصدنا إنما المقصد سيرة هذا الإمام وبيان كيفية تربيته لنفسه ونمرة ذلك فيها وفيها قصد إليه من الإصلاح

التحول في طريق الصوفية

« ثم أنني لما فرغت من هذه العلوم أقبلت بهمتي على طريق الصوفية وعلمت أن طريقهم إنما تم بهلم وحمل وكان حاصل علمهم قطع عقبات النفس والتغلب عن اخلاقتها المذمومة وصفائها الحبيثة حتى يتوصل بها إلى غلبة القلب عن غير الله تعالى وتخليته بذكر الله وكان العلم أسير علي من العمل فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل قوت القلوب لأبي طالب المكي رحمه الله وكتب الحارث المحاسبي والمنفرقات المأثورة عن الجنيد والشبلي وأبي يزيد البسطامي وغير ذلك من كلام مشايخهم حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلمية وحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع وظهر لي أن أخص خواصهم ما لم يمكن الوصول إليه بالتعلم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات فكمن الفرق بين أن يعلم حد الصحة وحد الشبع وأسبابهما وشروطهما وبين أن يكون صحيحاً وشبعان وبين أن يعرف حد السكر وأنه عبارة عن حالة تحصل من استئلاء أبخرة تصاعد من المعدة على معادن الفكر وبين أن يكون سكران بل السكران لا يعرف حد السكر وعلمه وهو سكران وما منه من علمه شيء. والصاحي يعرف حد السكر وأركانه وما منه من السكر شيء والطبيب في حالة المرض يعرف حد الصحة وأسبابها وأدويتها وهو فاقد للصحة فكذلك فرق بين أن تعرف حقيقة الزهد وشروطها وأسبابها وبين أن يكون حالك الزهد وعزوف النفس عن الدنيا فعلمت يقيناً أنهم أرباب أحوال لا أصحاب أقوال وإن ما يمكن تحصيله بطريق العلم قد حصلته ولم يبق

الا ما لاسبيل اليه بالسماح والتعلم بل بالذوق والسلوك وكان قد حصل معي من العلوم التي مارسها والمسالك التي سلكتها في التنقيش عن صنف العلوم الشرعية والمقتلة ايمان يقيني بالله تعالى وبالنبوة وباليوم الآخر فهذه الاصول الثلاثة من الايمان كانت رسخت في نفسي لا بدليل معين مجرد بل بأسباب وقرائن وتجارب لا تدخل تحت الحصر تفاصيلها وكان قد ظهر عندي انه لا مطلق لي في سعادة الآخرة الا بالتقوى وكف النفس عن الهوى وان رأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا بالتجاني عن دار الفرور والاناة الى دار الخلود والاقبال بكنه المهمة على الله تعالى وان ذلك لا يتم الا بالاعراض عن الجاه والمال والمهرب عن الشواغل والملاقات ثم لاحظت أحوالي فاذا أنا منغمس في العلاقات وقد أهدقت بي من الجوانب ولاحظت أعمالي وأحسنها التدريس والتعليم فاذا أنا فيها مقبل على علوم غير مهمة ولا نافعة في طريق الآخرة ثم تفكرت في نيتي في التدريس فاذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى بل باعثا ومحركا طلب الجاه واقتشار الصيت فبينت اني على شفا جرف هار واني قد أشفيت على النار ان لم اشتغل بتلافي الأحوال فلم أزل أفكر فيه مدة وأنا بعد على مقام الاختيار أصمم العزم على الخروج من بغداد ومفارقة تلك الأحوال يوما وأحل العزم يوما وأقدم فيه رجلا وأؤخر عنه أخرى لا تصفولي رغبة في طلب الآخرة بكرة الا ويحصل عليها جند الشهوة حملة فيقتربها عشية فصارت شهوات الدنيا تنجاذبني سلاسلها الى المقام ومنادي الايمان ينادي: الرحيل الرحيل، فلم يبق من العمر الا قليل، وبين يديك السفر الطويل، وجميع ما أنت فيه من العمل والعلم ورياء وتخييل، فان لم تستند الآن للآخرة ففي تستعد، وان لم تقطع الآن ففي تقطع: فبعد ذلك تنبث الداعية وينحزم العزم على الحرب والفرار ثم يعود الشيطان ويقول هذه حالة عارضة واياك أن تطاوعها فانها غريمة الزوال وان أذعنت لها وترك هذا الجاه المريض والشان المنظوم الحالي عن التكدير والتفكير والاصم المسلم الصافي عن منازعة المحصور وبما ألقت اليه فسك ولا يتيسر لك الماودة فلم أزل أتردد بين تجاهب شهوات الدنيا ودواعي الآخرة قريبا من ستة أشهر أولها رجب سنة ثمان وثمانين

وأربع مئة وفي هذا الشهر جاوز الأمر حد الاختيار الى الاضطراب اذ قل الله على لساني حتى اعتقل عن التدريس فكنت أجاهد نفسي أن أدرس يوما واحدا تطبيقاً لقلوب المختلفة وكان لا ينطق لساني بكلمة ولا أستطيعها ألبتة ثم أودت هذه العقلة في القسان حزنا في القلب بطل منه قوة الهضم وقرم الطعام والشراب فكان لا ينساغ لي شربة ولا تنضم لقمة وتمدى الى ضعف القوى حتى قطع الاطباء طعمهم عن العلاج وقالوا: هذا أمر نزل بالقلب ومنه يمرى الى المزاج فلا سبيل اليه بالصلاج الا بأن يتروح السر عن المم المم: ثم لما أحسست بمعزي وسقط بالكلية اختياري التجأت الى الله تعالى اتجاء المضطر الذي لا حيلة له فأجاني الذي (يجيب المضطر اذا دعاه) وسهل على قلبي الاعراض عن الجاه والمال والأهل والولد والأصحاب وأظهرت عزم الخروج الى مكة وأنا أودي في نفسي سفر الشام حذرا من أن يطلع الخليفة وجملة الأصحاب على عزمي في المقام بالشام فلطفت بطائف الحبل في الخروج من بغداد علي عزم أن لأعاديها أبدا واستهدفت لأمة أهل العراق كافة اذ لم يكن فيهم من يجوز أن يكون الاعراض مما كنت فيه سببا دينيا اذ ظنوا أن ذلك هو المنصب الاعلى في الدين وكان ذلك مبلغهم من العلم ثم ارتبك الناس في الاستنباطات وظن من بعد عن العراق ان ذلك كان لاستشعار من جهة الولاة وأما من قرب من الولاة فكان يشاهد إلحاحهم في التعلق بي والانكار علي واعراضي عنهم وعن الالتفات الى قولهم فيقولون هذا أمر معاوي وليس له سبب الاعين أصابت أهل الاسلام وزمرة العلم « ففارقت بغداد وفرقت ما كان معي من المال ولم أذكر الا قدر الكفاف وقوت الأطفال ترخصا بأن مال العراق مرصود للمصالح لكونه وقفا على المسلمين فلم أر في العالم ما يأخذه العالم لعماله أصلح منه ثم دخلت الشام وأقمت به قريبا من سنتين لاشتغل لي الالزمة والحلوة والرياضة والمجاهدة اشتغالا بركة النفس وتهذيب الاخلاق وتصفية القلب كذا الله تعالى كما كنت حصله من علم الصوفية فكنت أعتكف مدة في مسجد دمشق اصعد منارة المسجد طول النهار وأغلق بابها علي نفسي ثم دخلت منها الى ربات المقدس ادخل كل يوم الصخرة وأغلق

بأبها على نفسي ثم تحركت في داعية فريضة الحج والاستمداد من بركات مكة والمدينة وزيارة رسول الله تعالى عليه السلام بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه فسرت الى الحجاز

« ثم جذبني المهم ودعوات الاطفال الى الوطن فضاودته بعد ان كنت أبعد الحقن عن الرجوع اليه وآثرت العزلة أيضاً حرصاً على الخلوة وتنصيف القلب لذكر وكانت حوادث الزمان ومهمات السبال وضرورات المعاش تغير في وجه المراد وتشوش صفوة الخلوة وكان لا يصفو الحال الا في أوقات متفرقة اكني مع ذلك لا أقطع طمعي منها قد دفني عنها العوائق وأعود اليها »

ودمت على ذلك مقدار عشر سنين وانكشف لي في أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها والقدر الذي أذكره ليتضح به أنني علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة وان سيرتهم أحسن السبى وطريقهم أصوب الطرق وأخلاقيهم أزكى الاخلاق بل لو جمع عقل العقلاء وحكم الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء لينبغوا شيئاً من سيرهم وأخلاقيهم وبذلوه بمأهرو خبر منه لم يجهدوا اليه سبيلاً وان جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة على وجه الارض نور يستضاء به وبالجمله فإذا يقول القائلون في طريقة طهارتها وهي أول شروطها تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ومفتاحها الجاري منها مجرى النحر من الصلاة استغراق القلب بالكلية بذكر الله وآخرها الفناء بالكلية في الله وهذا آخرها بالإضافة الى ما يكاد يدخل تحت الاختيار والكسب من أوائها وهي على التحقيق أول الطريقة وما قبل ذلك كالدليل على السالك اليه ومن أول الطريقة يُبتدئ المكاشفات والمشاهدات حتى انهم في يفتلتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الانبياء ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فرائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والامثال الى درجات يضيئ فيها نفاث النطق ولا يحاول معبر أن يبرعنا الا اشتغل لنظفه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز عنه وعلى الجملة ينتهي الامر الى قرب يكاد يتخيل منه طائفة الحلول وطائفة الاتحاد وطائفة الوصول وكل

ذلك خطاء وقد بينا وجه الخطأ فيه في كتاب المقصد الاقصى بل القدي لا يسته
تلك الحالة لا ينبغي أن يز يدعى أن يقول (شعر)

وكان ما كان مما لست أذكره * فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

وبالجملة فن لم يرزق منه شيئاً بالذوق فليس يدرك من حقيقة النبوة الا الاسم
وكرامات الأولياء على التحقيق بدايات الانبياء وكان ذلك أول حال رسول الله
عليه السلام حين أقبل الى جبل حراء حين كان يخلو فيه بربه ويتمدد حتى قالت
العرب أن محمداً عشق ربه وهذه حالة يتحققها بالذوق من يسلك سبيلها فن لم
يرزق الذوق فثبقتها بالتجربة والتسامع إن أكثر مهم الصحة حتى يفهم ذلك
بقراءة الأحوال يقينا فن جالسهم استفاد منهم هذا الايمان فهم القوم لا يشقى
جليسهم ومن لم يرزق صحبتهم فيعلم امكان ذلك يقينا بشواهد البراهين على ما ذكرناه
في كتاب عجائب القاب من كتب احياء علوم الدين والتحقيق بالبرهان علم
وملازمة عين تلك الحالة ذوق والقبول من التسامع والتجربة بحسن الظن بايمان
فهذه ثلاث درجات (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)
وراء هؤلاء قوم جهال هم المنكرون لاصل ذلك المتعجبون من هذا الكلام يستمعون
ويسخرون ويقولون العجب انهم كيف يهذون وفيهم قال الله تعالى (١٦٤٧)
ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً
أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم) اه المراد من كلامه

أقول هذا ما رأينا أن نبين به كيفية نشأة هذا الامام وطلبه العلم وتربيته
لنفسه واننا نحكي فيها على ذلك أثر هذا التلميم والتربية وما استقر عليه رأي الرجل
في العلم والدين (لها بقية)

أثره من التاريخ

بغداد في القرن السادس

« وجلس شيخا الشافعية والحنابلة رضي الدين القزويني وابن الجوزي
قال الكاتب الأديب أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكنتاني الاندلسي
البلسني في رحلته الشهيرة في الفصل الذي أنشأه الكلام عن بغداد :
« هذه المدينة العتيقة وإن لم تزل حضرة الخلافة العباسية ، ومثابة المدعوة
الامامية القرشية الهاشمية ، قد ذهب أكثر رسمها ، ولم يبق منها الا شهر اسمها ،
وهي بالإضافة الى ما كانت عليه قبل انحاء الحوادث عليها ، واتفات أعين
النواب اليها ، كالمطلل الدارس ، والأثر الطامس ، أو مثال الخيار الشاخص ،
فلاحسن فيها يستوقف البصر ، ويستدعي من المستوفز النغلة والنظر ، الادخلتها
التي هي بين شرقها وغربها منها كالرآة المجلوة بين صفحتين ، أو المقد المنظم
بين لبنتين ، فهي تردحا ولا نظما ، وتطلع منها في مرآة صقيلة لا تصدأ ، والحسن
الحريمي بين هواها وماثها ينشأ ، هي من ذلك على شهرة في البلاد معروفة موصوفة ،
فتن لموى منها إلا أن يصمم الله مخوفة ،

« وأما أهائها فلا تكاد تلقى منهم الامن يتصنع بالتواضع رياء ، ويذهب
بنفسه عجباً وكبرياء ، يزدرون الغرباء ، ويظهرون لمن دونهم الانفة والاباء ،
ويستصغرون عن سوام الأحاديث والانباء ، قد تصور كل منهم في معتقده
وخلده ، ان الوجود كله يصغر بالإضافة لبلده ، فهم لا يستكرمون في معور
البسيطة مشوى غير مشوام ، كأنهم لا يعتقدون أن الله بلادا أو عبادا سوام ،
يسحبون أذيالهم أشرا وبطرا ، ولا يغيرون في ذات الله منكرًا ، يظنون أن أسنى
الفخار ، في سحب الإزار ، ولا يطمعون أن فضله بمقتضي الحديث المأثور في النار ،
يتبايعون بينهم بالذهب قرضا ، وما منهم من يحسن لله قرضا ، فلا نفقة فيها الا
من دينار فقره ، وعلى يدي محسر للميزان فقره ، لا تكاد تظفر من خواص
أهلها بالورع العفيف ، ولا تقع من أهل موازينها ومكاييلها الاعلى من ثبت له

الويل في سورة التطفيف ، لا يزالون في ذلك بعب ، كأنهم من بقايا دين قوم النبي شعيب ، فالقريب فيهم معدوم الارقاق ، متضاعف الإفتاق ، لا يجد من أهلها الامن بهامه بفتاق ، أو يهش اليه هشاشة انتزع واسترقاق ، كأنهم من انزعام هذه الخلقة التبيحة على شرط اصطلاح بينهم واتفاق ، فسوء معاشره أبنائها ، يظلب على طبع هواها وماها ، ويعطل حسن المسموع من أحاديثها وأبائها

« أسئفر الله الاقهاء المحدثين ، ووعاظهم المذكرين ، لاجرم إن لهم في طريقة الوعظ والتذكير ، ومداومة التنبية والتبصير ، والمثابرة على الانذار المخوف والتحذير ، مقامات تستزل لهم من وحة الله تعالى ما يحبط كثيرا من أوزارهم ، ويسحب ذيل الغفوة على سوء آثارهم ، ويمنع القارعة الصماء أن تحمل بديارهم ، لكنهم معهم يضربون في حديد بارد ، ويرومون تفجير الجلامد ، فلا يكاد يخلو يوم من أيام جماعاتهم من واعظ يتكلم فيه فالوفق منهم لا يزال في محاسن ذكرايامه كلها لهم في ذلك طريقة مباركة ملتزمة

« فأول من شاهدنا مجلسه منهم الشيخ الامام رضي الدين القزويني رئيس الشافعية ، وقيه المدرسة النظامية ، والمشار اليه بالتقديم في العلوم الأصولية ، حضرا مجلسه بالمدرسة المذكورة إثر صلاة العصر من يوم الجمعة الخامس لعصر المذكور فصعد المنبر وأخذ القراءة أمامه بالقراءة على كراسي موضوعة فتوقوا وشوقوا وأتوا بتلاحين معجبة ، ونضات محرجة مطربة ، ثم اندفع الشيخ الامام المذكور لخطب خطبة سكون ووقار وتصرف في أفانين من العلوم من تفسير كتاب الله عز وجل وإبراد حديث رسوله صلى الله عليه وسلم والتكلم على معانيه . ثم رشتته شائيب المسائل من كل جانب فأجاب وما قصر ، وتقديم وما تأخر ، ودفت اليه عدة رقايع فيها (١) لجمعها جملة في بيده وجمل يجاوب على كل واحدة منها وينذب بها الى أن فرغ منها وحان المساء فنزل واقترب الجم . فكان مجلسه مجلس علم ووعظ وقورا هينا ليناً ظهرت فيها البركة والسكينة ، ولم تقصر عن

(١) كذا في الأصل وفي نسخة الأخرى « منها » ولعل الأصل « فيها مسائل

إرسال عبرتها فيه النفس المستكين ، ولا سبأ آخر مجلسه ، فانه سرت حيا وعظه الى النفوس حتي أطارتها خشوعا ، ونجرتها دموعا ، وبادر التائبون اليه سقوطا على يده ووقوعا ، فكلم من نصية جز (١) وكم مفصل من مفاصل التائبين طبق بالموعظة وحز ، فبمثل مقام هذا الشيخ نبارك رحم العصاة ، وتتفقد الجنة ، وتستدام العصاة والنجاه ، والله تعالى يجازي كل ذي مقام عن مقامه ، ويتفقد بركة العلماء الأولياء عباده العاصين من سخطه وانتقامه ، برحمته وكرمه انه المنعم الكريم لارب سواه ، ولا معبود إلاياه ،

« وشهدنا له مجلساً ثانياً إثر صلاة العصر من يوم الجمعة الثاني عشر من الشهر المذكور وحضر مجلسه ذلك اليوم سيد العلماء الخراسانية ، ورئيس الأئمة الشافعية ، ودخل المدرسة النظامية بهز عظيم وتطريف آفاق (٢) تشوقت له النفوس فأخذ الامام المتقدم القد كوفي وعظله مسروراً بحضوره ومتعجباً به ، فأنى بأفانين من العلوم على حسب مجلسه المتقدم القد كوفي . ورئيس العلماء المذكور هو صدر الدين الخجندی المتقدم القد كوفي هذا التقييد (٣) المشتهر المأثور والمكالم ، المتقدم بن الأكلب والأعظم ،

« ثم شاهدنا صبيحة يوم السبت بعده مجلس الشيخ الفقيه الامام الاوحد جمال الدين أبي الفضائل بن علي الجوزي بإزاء داره على الشط بالجانب الشرقي وفي آخره على اتصال من قصور الخليفة ومقررة من باب البصلية آخر أبواب الجانب الشرقي وهو يجلس به كل يوم سبت فشاهدنا مجلس رجل ليس من عمرو ولا زيد ، وفي جوف الفراكل الصيد ، آية الزمان ، وقرة عين الايمان ، رئيس الحبشية ، والمخصوص في العلوم بالرتب العالية ، إمام الجماعة ، وفارس حلبة هذه الصناعة ، والمشهور له بالسبق الكريم في البلاغة والبراهه ، مالك أزمة الكلام

(١) كان الثائب في ذلك العصر يهز ناصيته . وأما من الفصل الذي بعده فهو مجاز (٢) العبارة غير مفهومة ولعل فيها تحريفاً أو تصحيحاً ولا يبعد أن يكون أصل « تطريف » تطريق بالثقاف وأن يكون استعمالها بمعنى الاطراق . ولجندني بضم الجيم وفتح الحاء (٣) يريد بهذا التقييد كتاب الرحلة

في النظم والنثر، والفائض في بحر تلك على فائض البحر، فأما نظمه فرضي الطباع،
مهياري الانطباع، وأما نثره فيصدم بسحر البيان، ويعطى المثل بقس وسحبان،
«ومن أكبر آياته، وأكبر معجزاته، أنه يصعد المنبر ويبتدئ القراءة
بالقراءة وعدد ثم ينف على المشرىين قارئاً فينتزع الاثنان أو الثلاثة آية من القرآن
يثقلها على نسق بطريب وتوحيق فاذا فرغوا تلت طائفة أخرى على عددهم آية
ثانية ولا يزالون يتناوبون آيات من سور مختلفات إلى أن يتكاملوا قراءة وقد اتوا
بآيات مشتهرات لا يكاد المتقيد الخاطر يحصيها عدداً أو يسمي نسقاً. فاذا فرغوا
أخذ هذا الامام الغريب الشأن في إيراد خطبته عجلًا مبتدراً، وأفرغ في أصداف
الاسماء من ألفاظه دروا، وانتظم أو تلى الآيات لقروأت في أثناء خطبته
قروا، وأتي بها على نسق القراءة لا مقدماً ولا مؤخراً، ثم أكل الخطبة على قافية
آخر آية منها. فلأن أبداع من في مجلسه تكلف تسمية ما قرأ القراء به آية آية
على الترتيب لمعجز عن ذلك فكيف بمن يتخطها مرتجلاً، ويورد الخطبة القراء بها
عجلًا، (أفسح هذا أم أقم لا تبصرون) أن هذا هو الفضل المبين (فحدث
ولاحرج عن البحر، وهيبات ليس الخبر عنه كالخبر،

«ثم أنه أتى بعد أن فرغ من خطبته برقائق من الوعظ وآيات بينات من الذكر
طارت لها القلوب اشتياقاً، وذابت بها الأنفس احتراقاً، إلى أن علا الصبح، وتردد
بشهقانه النشيج، وأعلن الثابون بالصباح، ونساقطوا عليه تساقط الفرائش على المصباح،
كل يلقي ناصيته بيده فيجزها ويسمع على رأسه داعياله. ومنهم من يفشى عليه،
فيرفع في الأذرع إليه، فشدهدنا حولاً يعلأ النفوس إناة وندامة، ويذكرها هول
يوم القيامة، فلم تترك ثبيج البحر، وتعتسف مقازات القفر، إلا لمشاهدة مجلس
من مجالس هذا الرجل أكانت الصفقة الرابعة، والوجهة المغلحة التاجحة، والحمد
لله على أن من بقاء من تشهد الجمادات بفضله، ويضيق الوجود عن مثله،

«وفي أثناء مجلسه ذلك يندردون المسائل وتطير إلى الرقاع فيجواب أمصرع
من طرفه عين. وربما كان أكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك المسائل والفضل
يبد الله برؤيته من يشاء لا إله سواه

«ثم شاهدنا مجلساً له ثانياً له بكرة يوم الخميس الحادي عشر لصفرياب بدر في ساحة قصور الخليفة ومناظره مشرفة عليه وهذا الموضع المذكور هو من حرم الخليفة وخص بالوصول اليه والتكلم فيه ليسمعه من تلك المناظر الخليفة ووالدته ومن حضر من الحرم . ويفتح الباب العامة فيدخلون الى ذلك الموضع وقد بسط بالحصر . وجالسه بهذا الموضع كل (يوم) خميس . فبكرنا لمشاهدته بهذا المجلس المذكور وقعدنا الى أن وصل هذا الخبر المتكلم فصعد المنبر وأرعى طيلسانه عن رأسه تواضعا لحرمة المكان وقد تسطر القراء امامه على كراسي موضوعة فابتدروا القراءة على الترتيب وشوقوا ماشاءوا وأطربوا ما أرادوا ، وبادت العيون بإرسال الدموع ، فلما فرغوا من القراءة وقد أحصينا لهم تسع آيات من سور مختلفات ، صدع بخطبته الزهراء الفراء وأتى بأوائل الآيات في أثنائها منقطعات ، ومشى الخطبة على قرة آخر آية منها في الترتيب الى أن أكملها وكانت الآية (٦١:٤٠) الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً ان الله ذو فضل على الناس) فهاذى على هذا السبيل ، وحسن أي نصحين ، فكان يومه أعجب من أمسه ، ثم أخذ في الثناء على الخليفة والدعاء له ولوالدته وكفى عنها بالستر الأشرف ، والجناب الأرفع ، ثم سلك سبيله في الوعظ كل ذلك بديهة لاروية . ويصل كلامه في ذلك بالآيات المتروكات على النسق مرة أخرى . فأرسلت وأبلى العيون ، وأبدت النفوس سرشرفها المكنون ، وتطارح الناس عليه بذنوبهم مترفين ، وبالتوبة مملتين ، وطاشت الابواب والعقول ، وكثر الوله والذهول ، وصارت النفوس لا تملك تفصيلاً ، ولا تميز معقولا ، ولا نجد للصبر سبيلاً ،

«ثم في أثناء مجلسه ينشد بأشعار من النسيب مبرحة انشوبق ، بديعة الترفيق ، تشمل القلوب وجدا ، ويعود موضوعها النسيبي زهدا ، وكان آخر ما أشده من ذلك وقد أخذ المجلس مأخذه من الاحترام ، وأصابته المقاتل سهام ذلك الكلام

أين فؤادي اذا به الوجد وأين قلبي فما صحا بعد

باسمزدني جوى بذ كرم بالله قل لي فديت باسمد

ولم يزل يردد هذا والانفعال قد أثر فيه ، والمدامع تكاد تمنع خروج الكلام

من فيه ، الى أن خاف الانحرام ، فابتدر القيام ، ونزل عن المنبر دهشاً عجلاً ، وقد أطار القلوب وجلاً ، وترك الناس على أحر من الجمر ، يشعونه بالمدايح الحمر ، فن أعلن بالانتحاب ، ومن متحضر في التراب ، فياله من مشهد ما هول مرآه ، وما أسعد من رآه ، فنعنا الله بركته ، وجعلنا ممن فاز نصيب من رحمته ، بحبه وفضله » ثم ذكر أنه حضر له مجلساً ثالثاً وأثنى عليه وفضله على كل من رأى في الحجاز وال عراق وفضل وعاط الشرى على وعاط الغرب أهل بلاده (الاندلس)

**

المبرة في هذه الأثرية التاريخية من وجوه

أحدها — أن بغداد لما ضعفت مدنيتهما ، ونضأت العلوم والمعارف فيها ، أعقب ذلك أهلها فساداً في الاخلاق ، وشرها في الارتزاق ، وعجبا بما كلف على عهد الآباء ، واحتقاراً للرباء ، وقد كانت في أيام حياتها العلمية تقدر كل أحد قدره حتى كان يجيئها الغريب فيكون رئيس العلماء فيها فيدعونه له ويعترفون بأمامة وهذه سيرة الفزالي حجة الاسلام حجة على ذلك . فليعتبر بذلك دعاة العصبية الجاهلية بمصر ليعلموا ان هذه العصبية من علامات الموت لامن آيات الحياة ولو كان عند أسلافنا شيء من هذه العصبية لما أصابوا من العلم والمدنية شيئاً مما أصابوا ثانياً — أن الزمن الذي زار فيه بغداد ابن جبير ووصفها فيه بالانحطاط والتأخر مما كانت حتى تمثل فيها قول أبي تمام « لانت أنت ولا الديار ديار » هو الزمن الذي كان فيه من بقايا العلماء فيها مثل رضي الدين القزويني وابن الجوزي فن لنا الآن بعثهما وقد سرى بك التنوية بشيء من فضلها

ثالثاً — أن أكابر العلماء وأئمتهم كانوا لا يزولون بمقدون مجلس الوعظ العامة وقد صار كبار علمائنا في أكثر البلاد يستنكفون عن الوعظ ويعدون مزرباً بهم حتى عم الفساد وعزّ ثلثه وقد بذل الاستاذ الامام رحمه الله تعالى جهده في إحياء هذه السنة الحسنة سنة الوعظ والنداء بترغب العلماء فيها بالقول وبما سعى من ترتيب المرتبات لها من الاوقاف ولكن لا تكاد تجد في العلماء من له قلب يبعثه الى العمل وانا لنعلم أنهم يشعرون من أنفسهم بالعجز عن الوعظ النافع ولو وجد الباحث

النفسي لا تثن ذلك كثيرون

رابعا - أن وعظ ذلك العصر كانوا يظنون الناس بالكلام الفصيح المشتمل على الاشارات الى الآيات والأحداث ووقائع التاريخ (وسنشر في المنار نموذجاً من وعظ ابن الجوزي) وكان العوام يفهمون كلامهم ويثبطون به وقد سمعت خبر كثرة الثائنين في مجالس الوعظ . أما الآن فقد جهلت الفنتا حتى انك لتجد أكثر المتعلمين لا يفهمون الكلام البليغ والاساليب العالية حق الفهم فما بالك بالاميين . فوالله في على تلك القلوب الرقيقة ، والفطر السليمة ، والسبر القويمة ، على أن ضعف الفاعل ، قد صار أشد من ضعف القابل ، فالعوام لا يزالون يفهمون بالاجمال من الواعظ المحسن الذي يحرى السهولة وبراعي درجة استعدادهم ما يثبطون به ويتذكرون ولكن لا نكاد نجد هذا الواعظ في الخاصة لا لسبب الا عدم اهتمامهم بأمر العامة وغيرتهم على الدين . وقد جربنا وعظ العامة وتذكروها فرأينا من الاستعداد ما نهزم معه بأن إحياء سنة الوعظ تحيى الدنيا وتصلح الاخلاق في زمن قليل

خامسا - ان الخليفة ونساء كانوا في ذلك العصر ينون بسماع الوعظ الذي يلقي على العامة مع شدة ما أخذوا من التحجب الذي كان من أسباب زوال سلطتهم واختلال أمر الامة بكثرة السلاطين المستبدين فأين ذلك من ملوكنا وأمرائنا اليوم وسلاطان المغرب الأقصى يعتقد كما يعتقد الجمهور من خاصته انه اذا قرىء تفسير القرآن في بلادهم يموت السلطان !! أفيرجى بقاء مملكة يعتقد خواصها هذه الحرافة وما هي الا واحدة من ألوف من خرافاتهم ، وأما الامراء المتفرنجون ، فلهم أحوال من دون ذلك هم لها عاملون ، وبها مشغولون ، فماذا تقول في نساء الملوك والامراء وعدم سماعهم شيئا من أمر الدين

وقد يقول قارىء تلك الأثر ان ابن جبير ذكر من فساد أخلاق أهل بغداد ما ذكرتم ماعين ان ذكر ان الدين يتوبون منهم في كل مجلس وعظ كثيرون فقد ناقض نفسه . ومجيب عن ذلك بأن الذين كانوا يسمعون الوعظ لم يكونوا كلهم من أهل بغداد نفسها بل كان فيهم كثيرون من الضواحي والقرى القريبة (المنار ج ٧) (١٦٧) (المجلد العاشر)

بل كانت الرواحل تشد الى امثال هؤلاء الوعاظ من الايمان البصيرة كما يعلم من التاريخ على أن كثرة التائبين والصالحين في بلد عظيم كجنداد لايتاني كون انصاة فيها أكثر أو كون المعاصي فاشية فيها



فَتَاوِي الْمَنَارِ

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسهل على الناس عامة ، ونشر على السائل ان يبين اسمه ولقبه وعلمه ومهله وظليته (وله بعد ذلك ان يرزالي اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالباً وبقا قد متنا آخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لثقل هذا ، ولن نضي على سؤاله شهران وثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لافحاله

س ٤٤: عن هلال الصوم والفطر من سواكن (السودان)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده
مستجداً بعدد

حضرة الاستاذ الفاضل رب العلوم ومعدن الفهم الحبيب النسيب السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الفراء حفظه الله وتولاه

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد فقد اشكلت علينا مسئلة منذ أعوام وكثر اليرج لاجلها فأحييت ان أقدمها لجنابكم سائلاً حلماً واجابني عنها جواً باسافيا وافيها على صفحات المنار ليمتدني كل من استهدى به . وذلك عند حلول رمضان واثبات الصوم أو الفطر حتى افرق أهل البلدة ثلاث فرق واليك نيأماً بالتفصيل (الفرقة الاولى) تحتج بظهور هلال رمضان أو الفطر عياناً في قطرها وثبوته بالتواتر كما هو محرز بالكتب الفقهية فاذا ثبت هلاله صامت وكذا اطلوت واذا غم أكلت عدة شعبان ثلاثين يوماً وهؤلاء هم فقهاء البلدة ومشايخهم

(الفرقة الثانية) تصمد في صومها واطارها على قنابل الحكومة المطلقة الهذفاً لمطلوع رمضان أو الفطر محتجة بأن هذه القنابل لا تطلق الا باذن شيخ الاسلام

بعد ثبوت هلال الشهر لديه ويصل الى البلاد الأخرى على لسان البرق
(الفرقة الثالثة) تمول في صومها واطارها على قاعدة منسوبة للإمام جعفر
الصادق «رضه» وهي في كتاب عجائب الخلوقات للزويني ونصها «قال جعفر الصادق
«رضه» اذا أشكل عليك أول شهر رمضان فعد الخامس من الشهر القمي صمته في
العام الماضي فإنه أول يوم من شهر رمضان القمي في العام المقبل وقد امتحنوا ذلك
خمسین سنة فكان صحيحا» اهـ من عجائب الخلوقات

فارجو الاستاذ افادتي عن المسئلة هذه ميثا وجه الحق في الاتباع وأرجو أن
لا يهملونا على ماضى اذا سبق في هذا الموضوع جواب ليقى الله الحق ويخرجنا
من ظلمة التقليد بساطع أنوار الحق التليد والسلام مـ كـ كـ

٢٣٤٠ هـ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٥
عبد القادر ملاقلندر البخاري

(ج) كتبنا في باب الاخبار النبوية الواردة في الصيام فصلا فيما ثبت به الصيام
والفطر هذا نصه (ص ٦٨١٤) وعدد الاحاديث فيه تاج لا يقبه

فصل فيما ثبت به الصوم والفطر

(٧) جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : اني رأيت الهلال
رمضان فقال : «أتشهد أن لا اله الا الله» قال نعم قال «أتشهد أن محمدا
رسول الله» قال نعم . قال «يا بلال أذن في الناس أن يصوموا غدا» رواه
الشيخان واصحاب السنن عن عكرمة عن ابن عباس . وفي رواية لأبي داود قأمر
بلالا فنادى في الناس أن يصوموا وان يقوموا . وفي حديث آخر عند أبي داود
أن النبي عليه السلام اكنفى مرة بشهادة ابن عمر في الصيام . وهو حجة على ثبوت
الصوم بشهادة رجل واحد

(٨) عن ربيعة بن خراش عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :
اختلف الناس في آخر يوم من رمضان فقدم اعرابيان فتشهدا عند
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باقلا هلالا أمس عشية قأمر رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم الناس أن يفطروا . رواه أحمد وأبو داود وزاد في رواية .
وان يندوا الى مصلاتهم

(٩) قال صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا رأيتموه فصوموا وإذا رأيتموه فافطروا فإن غم عليكم فاقدروا له » رواه الشيخان والنسائي وابن ماجه عن حديث ابن عمر . وفي رواية للبخاري وغيره « الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروه فإن غم عليكم فاكلوا المدة ثلاثين » وفي رواية نسلم وغيره « الشهر هكذا وهكذا » وأشار بالعدد الى ٣٩ و ٣٠ وفي لفظ الشيخين « صوموا رؤيته فإن غم عليكم فاكلوا عدة شعبان ثلاثين » وظاهر ان الكلام في رؤية الهلال وعدمها . ومعنى اقدروا له احسبوا وقدروا يقال قدره (من باي ضرب ونصر) واقدره وقدر له وغني هنا بمعنى غم في الروايات الاخرى أي لم يظهر . والاحاديث نص في أن العبارة بروية الهلال لا بحساب الحاسبين وتقويم المنجمين وذلك ان هذا الدين عام للبدو والحضر فوجب أن تكون مواقيت عباداته معروفة عند عامة المكلفين ، غير مخصوصة بطائفة الحاسبين ، وجاء في بعض الروايات « وانسكروا له » فواقيت الحج تعرف بروية الهلال أيضا

(١٠) عن كريب ان أم الفضل بنته الى معاوية بالشام (قال) قدمت فقصيت حاجتها واستحل عليّ رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة ثم قدمت المدينة في آخر الشهر فسألني عبد الله بن عباس ثم ذكر الهلال: متى رأيتم الهلال؟ فقلت رأيناه ليلة الجمعة فقال: أنت رأيته؟ فقلت نعم ورواه الزهري وصاموا وصام معاوية فقال: ولكننا رأيناه ليلة السبت فلانزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه؛ فقلت: ألا تكفي بروية معاوية وصيامه؟ قال: لا - هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن الاربعة الاظهر ان المشار اليه بقوله « هكذا أمرنا رسول الله » هو قوله « لكننا رأيناه ليلة السبت » الخ فإنه هو المنطوق الموافق للمروي وقيل انه أشار الى ما يفهم من قوله من عدم اعتداد أهل بلد بروية أهل بلد آخر وهو غير مروي في المرفوع ولا هو صرح به فنكتفي بروايته فالراجع اذا حمل قوله على المروي المعروف . وقد اختلف علماء السلف في المسألة قليل يعتبر كل أهل بلد رؤيتهم بحدت البلاد أو قربت وقيل لا يلزم أهل بلد العمل بروية أهل بلد آخر الا اذا ثبت عند الامام الاعظم قبلته لان حكمه

افذ في جميع البلاد وقيل ان قاربت البلاد كان حكمها واحد وان تباعدت عمل كل برويته واختلفوا في حد البعد فبعضهم ناطه باختلاف المطالع وهو الوجه العلمي وبعضهم ناطه بمسافة القصر وهو قياس فقهي وقد رجح النووي وغيره من الشافعية كل واحد من القولين وقطع بكل منهما جماعة من الفقهاء

وقول اذا اختلفت الروية في البلاد المتقاربة فان كان هناك حاكم شرعي ورجح شهادة وبلغها للناس وجبان يستندوا عنها ولا يلتفتوا الى الروية الاخرين لينضبط الامر ولا يكونوا فوضى في اقامة ركن من أركان دينهم هذا صائم وهذا مفطر، وان اختلفت في البلاد المتباعدة فهناك النظر والاجتهاد وقد رأيت ان بعضهم اعتبر البعد باختلاف مطالع القمر وبعضهم اعتبره بمسافة القصر والاول يستلزم تحكيم علماء الفلك وقد ذكرنا ان غرض الشرع ان يجعل ما تعرف به مواقيت العبادة عاما يعرفه العوام والخواص حتى لا يتحكم الكبراء في المسائل الدينية كما فعلوا في الامم السالفة والثاني يمكن أن يتجه لوورد حديث يذكر فيه اختلاف الحكم بين البلاد فيقال حينئذ ان مسافة القصر هي البعد الشرعي الذي يختلف به الاحكام وهناك وجه آخر في البعد والقرب ربما كان أجدر بالاعتبار وهو ان البلاد المتصلة التي بين أهلها امتزاج وتعامل كالبلاد المصرية كلها تعد بلادا متقاربة ولا ينبغي ان يكون بعض أهلها مفطرا وبعضهم صائما بحجة اختلاف الروية فاذا ثبتت الروية في بعضها بصوم الجميع والا أكلوا عدة شعبان ثلاثين وصاموا متفقين وما يفعلونه الآن في الاقطار الاسلامية من الاثبات في مكان واعلام الآخرين بحسن في ذاته وغير حسن ما يخفف به من البدع. وأما البلاد التي لاصلة بينها قوية سهلة ولا تعامل بينها الا بمهاجرة بعض أهلها من أحداها الى الاخرى فلا بأس باعتبار كل ما ثبتت عنده ون تيسر اعلام كل قطر الآخر بنبا البرق الذي يؤمن تزويره، ولو كان للمسلمين امام أعظم ينفذ حكمه الشرعي في جميع بلادهم وتيسر له اعلامهم بما ثبتت عنده من الروية وصاموا بذلك لكن له وجه من الحسن واتجه قال ابن الماجشون «اهما في المجلد السادس وقد سقط من آخره شيء» وأصله وأتجه ما قاله ابن الماجشون من أنه لا يلزم أهل بلد بروية غيرهم الآن. ثبت ذلك عند الامام الاعظم لأن البلاد في حقه كابلد الواحد

لنفرد حكمه فيها « وجعل القول أن العبرة بالرؤية أو اكمال العدة فإذا ثبتت عند الحاكم وأعلم بها الناس عملوا بإعلامه

« وَالْآن أَوْ أَسْئَلُهُ مِنْ « جَاوَهُ »

علق جميع المبيد والاذن بتزويج المتوفات

أرسل التي بعض أهالي سليس هذان السؤال والنس مني أوسالها إليكم لكي تنشر وهما في المنازع الجواب وهما الأولى في الاعتاق والاذن بالتزويج بصيغة الجمع (س ٤٥ و ٤٦) أنه لما استولت حكومة هولندا على جزيرة سليس وأخذت سلطان يوتي أسيرا كان لديه أرقاء كثيرون وكذلك أهالي تلك تلك الجهة لديهم كثير من الأرقاء فلما استولت هولندا على تلك المتواجي هرب أولئك المالك وتتركوا مالكهم فما قولكم رضي الله عنكم فيمن أعتق أرقاءه بصيغة الجمع قائلا: إني أعتقت جميع مما يليكي وجعلتهم أحرارا لوجه الله ذكورا وإناثا . وإذا أذن المعتق بتزويج معقوقاته قائلا: إني أذنت لكل من يتولى عقود الانكحة من قضاء المسلمين أن يزوج كل معقوقة لي عند عدم وليها الشرعي على من يريد: فهل يكفي في كل الاعتاق والاذن بالتزويج صيغة الجمع أم لا أفيدونا ولكم الاجر والثواب

« الثاني من صلى بالناس الجمعة في مرض النبي (ص) »

(س ٤٧) لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي به فن صلى بالناس الجمعة التي وقعت في حال مرضه (ص) ومن الذي خطب بهم الخطبة أفيدونا مأجورين

« الجواب عن السؤالين الأولين »

يصح المني بصيغة الجمع ويتناول كل فرد لانهم في ذلك خلافا . وأما لأذن بالتزويج ففيه تفصيل فإذا أرادت الممتعة أن تتزوج في بلد ليس لها فيه

ولي غير مولى العتاقة وقامت البيئة عند القاضي على ذلك الاذن كلله أن يزوجها
واذا لم تتم عنده بيئة طلبه ليزوج هو وأما اذا كان المولى غائباً ولاولي سواء
فلقاضي أن يزوج سواء كان هناك اذن أم لا لأن الولاية له حينئذ

﴿ الجواب عن السؤال الآخر ﴾

قالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم مرض مرض الموت في اواخر صفر أو أوائل
ربيع الاول وقالوا ان المرض قد اشتد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث ليال وقالوا انه
توفي حين اشتد الضحي من يوم الاثنين وقالوا ان أبا بكر رضي الله عنه هو الذي كان يصلي
بالناس بأمره عليه الصلاة والسلام في المدة التي لم يكن يستطيع الخروج فيها وقالوا
أنه خرج في صبيحة يوم الاثنين وأبو بكر يعلي الصبح بالناس فضحك سرورا
برؤيتهم وكادوا يفتنون في صلاتهم فرحابه اذ ظنوا أنه عوفي وأراد أبو بكر ان
يتأخر ليم صلى الله عليه وسلم الصلاة بالناس فأشار اليه بأن يمضي في صلاته
وقال بعضهم ان أبا بكر صلى في الناس سبع عشرة صلاة ولم أرا احدا قال
ان منها صلاة الجمعة . ورأيت في الاحياء ان ابتداء الاذن لأبي بكر رضي الله عنه
بالصلاة بالناس كان في أول ربيع الأول فإذا كانت وفاته صلى الله عليه وسلم في
الثاني عشر منه كما هو المشهور فالصلوات التي أم أبو بكر بها الناس كانت متفرقة
ومنها القبالي التي اشتد بها المرض فلا عجب اذا كان صلى الله عليه وسلم هو الذي
صلى بالناس آخر جمعة من أيام حياته الشريفة

باب المناظرة والمراسلة

الانتقاد على المنار

(المصيبة الجنسية والقواء)

أرسل إلينا بعض طلبة مدرسة الحقوق مقالا من الاسكندرية عنوانه « المنار والسياسة والدين » ولكن موضوعه الدفاع عن صاحب جريدة القواء، وإطراؤه بالمدح والثناء ، ومواخذة المنار على إنكاره عليه ما أدخله في دعوة الوطنية ، من نزغات المصيبة الجنسية الجاهلية، وإقامته الحجج على أن ذلك مناف لما قرره الاسلام من أخوة الدين ومن الحقوق الأخرى لكل مقيم في دار الإسلام أما كان جنسه . ذكره بذلك ما كتبناه في الجزء الماضي ردا على فريد أفندي وجدي قال الكاتب « أما بعد فإن لي كلمة يدفعني الشعور بالواجب أن أقولها لكم وهي وإن كانت لا تتفق إلى الآن مع رأيكم إلا أن لي ملء الثقة في أنكم لا ترفضون كل ما يخالفكم لما ناديتم بذلك كثيرا وشهدناه منكم غير مرة فانا أرسل إليكم تلك الكلمة معتقدا أنني أخدم بها الحق كما أخدم بها المنار فرجائي أن تنشرها في مجلتكم ولكم بعد ذلك أن تعلقوا عليها ما شئتم أن تعلقوا »

نقول أننا لا نرفض كل ما يخالفنا ولا ننشر كل ما وافقنا وإنما نختار ما نرى فيه الفائدة من الأمرين ومنه الانتقاد علينا في المسائل الدينية والعلمية من يبحث في المسألة نفسها لا في اعتقاده بنية صاحبها وشؤونه الخاصة فلو كان الكاتب جعل مقاله في انتقاد رأينا في المصيبة الجنسية لنشرناها ولكن معظمها في بيان اعتقاده في صاحب جريدة القواء وما يروجوه من سعادة البلاد بدعوته وهو ما نعتقد خلافه . فهو يذكر اعتقاده فيه ويقول « فإذا تنتقدون عليه في ذلك وماذا ترون فيه مما يخالف روح الدين » كأنني بانتقاد المصيبة الجنسية الجاهلية عليه انتقدت عليه كل شيء . يقوله . وقد غلا في ذلك حتى حكم بأنني أعد المبادي التي تنهض بها الامم . وهي مبادي صاحب جريدة القواء في رأيه - مخالفة للإسلام وأنني أجعل الحياة الوطنية عين المصيبة الجنسية الجاهلية وبذلك أكون مغترا عن الإسلام . وهذا غير صحيح فافائدة التعلو بل بشرح رأي غير منطبق على الواقع .

ليس في المقال دفاع حقيقي عن صاحب جريدة القواء في موضوع العصية الجنسية الا إنكار أن تكون مما يدعو اليه قال « لعلكم تريدون بذلك ما يطمئن به على الفخلاء ونحذير المصريين منهم في القواء . ان كنتم تريدون ذلك — وهو الواقع — فما أهدد دعوته عن عصية الجنسية !! لأن مصداقي كامل باشا قد عرف معنى الفخلاء غير مرة وفهم ذلك عنه الكثيرون من قراء القواء فهو يعني بالخيل من يزوج نفسه في أهل أمة ويسمي في ضررم وهو يطلق هذا اللفظ على فئة من نصارى سوريا رأينا من أمثالهم أنهم يحملون في صدورهم أقيج النبات فهو ناسيا وراء مصالحهم وأهوائهم » ثم ذكر انه ان كان قد أدمعنا في تلك الزمرة فما ذلك الا لاعتقاده أنا فعل فعل تلك الزمرة وأنا لا يخلص في فائدة الأمة المصرية ثم استدل على ذلك باجلاله لبعض السوريين كرفيق بك القلم أقول ليست العصية الجنسية في القواء مأخوذة من كلمة الفخلاء التي جعلها

هجيراء قطع بل يرى روحه فائضة بهذه العصية التي جعلها مضادة للسوريين بوجه خاص فما غاضت آونة لعدم الحركة الا وفاضت أخرى . وقد ظفت حتى تجاوزت السوريين القبيين في مصر الى غيرهم كما ظهر ذلك عند ما علل تألب الصاكر السورية السوق الى اليمن بخسة المنبت . وقد ظهر أثرها في الأفرار الحدوديين بمجموعة هذه الجريدة حتى صار مثل محمد فريد أفندي وجدي لا يسمح لمحمد رشيد رضا أن يتكلم في شؤون الأمة المصرية بل ولا في شؤون ملتها ولا يجد أحدا ينشر له هذا الا القواء صاحب الدعوة وناشرها . وان مثل هذه العصية يكون مظهرها في القسان أقوى منه في الكتابة وقد سمعنا من خاصة أصدقائنا الفضلاء من المصريين أنها قد قويت حتى صار بعض المتعلمين بل والمعلمين يمدون من اخوانهم من يعرف بفضل سوري أو يخلص له في الصداقة ورأينا أهل الفضل والدين من المصريين يألمون لطوء هذه النزعة الجاهلية على المسلمين . ولعل المتفقد قد قرأ ما كتبه بعض اخوانه طلاب الحقوق في بعض المجلات المحدثه من كرههم يطلبون بيان الدين والدفاع عنه من المصريين !!!

بل وصل شر العصية الجاهلية الى بعض علماء الازهر الذين يعيشون في مع طوائف

المسلمين من جميع الاقطار حتى قال أحد كبارهم مرة عندما مدح أمامه « مسجد الست الشامية » في موقعه وظافته : نعم ولكن من الاسف أنهم حشوه بالشوام؛ وهو وإن بناه الشوام ووقفوه ووقفوا عليه ليس فيه مستخدم شامي الا الخطيب الصالح الذي يقصد المسجد لأجله من الاماكن البعيدة ممن لم تفسد دينهم عصبية الجاهلية . أتدري من هو ذلك العالم ؟ اني لاصيبه وإبما أقول لك أنه صديق صاحب جريدة القواء من علماء الازهر الذي كان يزوره كما يزوره هو

بل أرتقى صاحب جريدة القواء بهذه المصيبة الى مستوى اسمى فصرح بأن أمير البلاد أشار في خطبته يوم خلع على الشريفي خلة مشيخة الازهر الى وجوب خروج صاحب النار من مصر لأنه هو الغريب الذي هو غير راض عن طريقة التعليم في الازهر

على أننا لو سلمنا أن القواء لا يعني بالدخلاء الذين يفرغ عنهم وينفض فيهم غبرة من نصارى السوريين كما يرى انتقد الحسن الطن لما كنا الا قائلين بأنه مختلئ خطأ ضاراً بالبلاد لأن أول من يخطر بالبال من هذه الفئة أصحاب المقطم وهم لم يذهبوا مذهبهم المعروف في السياسة لأجل فائدة سوريا ومصلحتها حتى يقال انه مذهب سوري ويذم متحله بأنه او لأنه سوري أو دخيل ؟ كلا انه ماذهب أحد منهم هذا المذهب لأنه سوري دخيل في البلاد المصرية يتعصب عليها وعلى أهلها ليحول مصالحها ومناقبها الى وطنه وأبنا قصاري سوء الظن فيهم أن يكونوا يلتمسون بهذا منفعتهم الخاصة فما معنى نيزم بلقب الدخلاء وجعل ذلك علة لعداوتهم للمصريين ؟

أليس من المقرر في علم الأصول والمعروف عند أرباب الاذواق والمقول أن ترتيب الحكم على المشتق يؤخذ بعلمية مامنه الاشتقاق ؟ أليس الاسم المنسوب من قبيل المشتقات ولذلك يعمل على اسم المفعول ؟ فهذا تبين أن ترتيب الطن في قوم على كونهم سوريين دخلاء يؤخذ بأن كونهم سوريين هو علة ذلك الطن وما ترتب عليه وحينئذ يكون طعنا في جميع السوريين من حيث هم سوريون وهو على كونه خرقاً وأخاً في الرأي ضاراً لأنه تارث عداوات وضغائن بين أهل قطرين

متجاورين في الأرض متساوين في اللغة والثابة العثمانية متقاربين في العادات وأكثر أهلها مع هذا متفقون في الدين

ان السوريين المقيمين بمصر وحدهم لا يستهان بعداوتهم فانهم اصحاب قوة مالية تقدر بنحو خمسين مليون جنيه وقوة أدبية لا تحتاج الى تعريف . وما من أحد منهم يعد من اصحاب الرأي والاشراف على أحوال العصر الا وهو يعتقد بأن خطة جريدة اللواء تضعه من المصريين موضع العدو من عدوه . ومن هؤلاء من هو مخالف لاصحاب المقطم في الرأي والسياسة ومنهم من يفضيهم ويطعن فيهم أي قول قال به اصحاب المقطم وليس في المصريين مسلمهم أو قبطهم من يقول بثقه فما بالك بسائر الشعوب التي يوجد منها ألوف تقيم في مصر ولهم جرائد تخالف رأي اللواء كما يخالفه المقطم وهي أشد خلافا فلماذا لا ينوط ذنبها في رأيه يكون اصحابها من جنس كذا أو من بلاد كذا ؟

ان كل أجنبي بمصر يرى جنسه أشرف من الجنس المصري وأجل من ان يخضع لقانونه وهو يعمل في هذه البلاد لأمنه وبلاده وما أصابه من الثورة ينقلب به الى أهله . والسوري يرى نفسه شقيقا لمصري ومساويا له في كل شيء . وقلا يرجع سوري الى بلاده بما كسب من مال ولكن كثيرا منهم جاؤا الى مصر بأموال عظيمة لاسيما في هذه السنين الاخيرة . فلأي شيء يعد اللواء ذنب الواحد منهم عارا عليهم . وما هو الفرق بين السوري والمصري والافرنجي في ذلك ؟ على ان جميع الاجناس صارت تشتم بأن اللواء يدعو الى عدوانها بل طفقوا يعتقدون أن المصريين يفضون كل غريب فما أشأم اللواء

المتصم اللواء يرى ان خطته هي التي تنجحها الامم وأنه لا نجاح بسواها ونحن نرى ضد ما يرى وما توسنا في مسألة الجنسية الآن وقبل الآن الا لانها منافية لروح الاسلام من جهة ولصالحه المصريين ثم السوريين من جهة أخرى ولو شئنا لبينا تنفير هذه الخطة جميع الاوربيين من المصريين وكيف جعلتهم عوناً للانكليز عليهم . بعد أن كانوا عوناً لهم على الانكليز ، وبينما كيف شغلت هذه الخطة المصريين بالسياسة العقيمة عن الطريقة المستقيمة وغير ذلك مما نذكره على هذه الجريدة المتحورة

وصاحبها ولكننا ندع ذلك للأهـام ، فـهي التي تـكشف للـناس كيف كانت هذه الوطنية عبارة تبغـيض المصريين الى جميع الشعوب وكثرة الفخر والـمـدحـوى والمـعـظمة ولـمـل الـيـوم الـذي تـنـكـشـف فيـه الحـقائـق لـيس يـمـيد

الجرائد وتاريخ الاستاذ الامام

وصاحب جريدة اللواء

جاءتنا رسالة من الشيخ أحمد المنوفي امام الجامع الكبير بكلكتة (الهند) في موضوع انتقادنا على بعض الجرائد فيها كتبت عن تاريخ الاستاذ الامام أنجي فيها على صاحب جريدة اللواء إنحاء شديدا يتعلق بسيرته وسياسته كما أعطاه صاحب الرسالة السابقة في ذلك . فتمتدح عن نشرها بمثل ما اعتدنا به عن نشر تلك لأنها لا تفيد القراء وإنما تفيدنا نحن وقد قرأناها وإنما نذكر جملة منها على سبيل النموذج لما فيها من اعتقاد كاتبها في الاستاذ الامام عليه رضوان الله لا مجازاة اللواء على شمه ايا فامرة بمد أخرى اذ لو كان غرضنا ذلك لنشرناها برمتها . قال الكاتب في عرض الكلام على صاحب جريدة اللواء :

« ثم ازدادوا فجعل مداد قلمه قامورا المسلمين ومهجة المصريين لا استغراب ماصدر منه من هذه اللفظة الشنيعة التي منشأها الفطوسة وسوء الادب مع أئمة الدين وقادة المسلمين الا وهي قوله « تاريخ الشيخ عبده » إذ مثل هذه اللفظة يتحاشا من كتابتها وجعلها عنوانا على امام الأئمة المرحوم الاستاذ الامام أقل الناس أدبا وأشدم تكبرا وأجهلهم بحقيقة نفسه بل لا ينبغي لأديب ان يجعلها عنوانا على أصغر تلميذ فضلا عن الاستاذ الامام فبالك بصاحب (جريدة) اللواء الذي يعتقد انه خالص المسلمين وعلى الاخص المصريين من ذكوه أو أخرجهـم من سـلـى جـمـل وانـهم لولاه لم تـم لهم قائمة » الخ ما قال ومنه عدم التفرقة بين ما يكتبه صاحب هذه الجريدة وما يكتبه خلفاؤه لأنهم كما قال الكاتب « لا يكتبون الا ما يوافق مشربه » وجملة القول اننا لانحب البحث في مذهب جريدة اللواء وسيرة صاحبها في سياسته ومشربه ولا نحاول إقناع المعجبين بها وبه بما نعتقد فيها لأنهم يقيمون في ذلك الاعجاب الشعور والوجدان، دون الرأي والبرهان ، والوجدان يستغفره

الفلو والشذوذ ولذلك قال عبد الله أفندي نديم رحمه الله من اعجاب الجماهير وتصفيق القلوبهم وأيديهم ما لم يصل إلى مثله ولا إلى عشره صاحب جريدة القواء إلى اليوم لأنه كان يقول لهم فيما يكتب ويخطب أن قذائف مدافع الاسكندرية تصل إلى قبرص من هذه الناحية وقذائف مدافع الاسكندرية تصل إليها من الناحية الأخرى فكيفما جالت المراكب الانكليزية فهي نحت رحمة مدافعنا : ومصطفى كامل يهزأ بالانكليز ويهددهم بما يقرب من هذا وهو وصل إلى مثله - وما ذلك ببعيد - بصيرا عجاب الجماهير به أشد منه اليوم لأن إعجابهم يكون دائما على قدر الفلوكا قلنا . ولكن اذا وقع بالبلاد متحمي ما يوقه القلاء من عواقب هذا الفلو - وما وقع إلى اليوم ليس بقليل - أو اذا تدارك هؤلاء القلاء الخطب قبل وقوعه وهم أولو الشأن في البلاد كما يرجى منهم فيومئذ يعلم المفرورون أن ليس كل مخالف قواء بدو قبيلا ولا بدخيل ولا بضار بل الضار هو القواء وصاحبه المتغاضي في حب الشهرة والعلو لا في حب الوطن (١٦: ٩) وعلى الله قصد السبيل ومنها جائز ولو شاءت إلهامكم أمعاين

الانتقاد على محمد فريد أفندي وجدي في كتبه

٣

كنز العلوم والفن

نكتفي في هذا الجزء بالانتقاد على مادة واحدة من مواد كذاب كنز العلوم وافئة لأن باب المناظرة لا يتسع فيه لأكثر من ذلك
أخطأ فريد أفندي وجدي فيما كتبه في لفظ (حديث) أنواعا من الخطأ تدل على أنه لا ثقة بنقله وروايته كما أنه لا ثقة بفهمه ورأيه
(الخطأ الاول) تعريفه الحديث في الاصطلاح بقوله « والحديث في الاصطلاح أطلق على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكلام » وهذا غير صحيح وهو يدل على أنه لم يتأنق ولم يقرأ شيئا من كتب الحديث مطلقا أو قرأ شيئا قليلا لم يفهمه والصواب أن الحديث في اصطلاحهم ما أضيف إلى النبي صلى الله

عليه وسلم قولاً أو فعلاً أو تقريراً أو وصفاً ويطلق كافي التخيبة على كل من المرفوع والموقوف والمقطوع (الثاني) قوله أنه لم يصح عند أبي حنيفة الائمة عشر حديثاً فقط فان من يعرف غير هذا العدد من الصحاح لا يعرف له أحد بالإمامة والاجتهاد المطلق . نعم ان الرواية عن أبي حنيفة قليلة و فرق بين ما بروى عنه وما يصح عنه (الثالث) قوله « أنه لم يصح عند الامام مالك الا ثلاث مئة حديث » وهذا خطأ كبير فقد قال الحافظ ابن حجر كتاب مالك صحيح عنه وعند من يقلده على ما اقتضاه نظره من الاحتجاج بالمرسل والمنقطع وغيرها . وقد نقل عن الامام الشافعي ان الموطأ أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى . نعم ان الشافعي قال ذلك قبل وجود صحيح البخاري ومسلم اهذين قدمهما العلماء بعده على الموطأ ولكن ذلك لم يخرج الموطأ عن كونه صحيحاً . وقد نقل السيوطي في تنوير الحوائك عن القاضي أبي بكر بن العربي ان الموطأ هو الاصل الاول والبخاري هو الاصل الثاني وان مالكا روى مئة ألف حديث جمع منها في الموطأ عشرة آلاف ثم لم يزل يرضها على الكتاب والسنة (أي العملية) حتى رجعت الى خمس مئة . وعن الكيا المراسي كان تسعة آلاف فرجع الى سبع مئة . أقول والظاهر ان الخلاف في العدد خاص بالاحاديث المسندة وهي كما نقل عن الاهري ست مئة وعن ابن حزم خمس مئة ونيف . وبجريح الاحاديث والآثار فيه ألف وسبع مئة وعشرون قال الاهري المرسل منها ٢٢٢ والموقوف ٦١٣ ومن أقوال النابيين ٢٨٥ وكل ما فيه قد صح عند مالك وان قل بعض المحدثين بعده بضعف قليل من رواياته . وقد نقل عنه انه قال « عرضت كتابي هذا على سبعين فقيها من فقهاء المدينة فكلهم واطأني عليه فسميته الموطأ » فليُنظر الناظر الى مبلغ علم فريد أفندي بالآثار وجرأته على كتابة ما ليس له به علم

(الثالث) قوله « ولم يصح عند البخاري الا ٦٢٠٠ حديثاً (كذا)

من أكثر من ٦٠٠٠ سمعها من الناس »

أقول لاندري اعترع فريد أفندي وجدي هذه الاقوال اختراعاً ام سأل بعض من يظن فيه العلم أن يكتب له ذلك ليفخر به بل غير فكل ان فخاره بالجهل

أما المعروف المشهور في كتب الحديث فهو أن مافي الجامع الصحيح البخاري هو بعض ما صح عنه وهو بالمكرر يزيد عما قال وبدونه ينقص قال الحافظ ابن حجر في مقدمة الفتوح جميع أحاديثه بالمكرسوى الملققات والمناجات سبعة آلاف وثلاثة مئة وسبعة وتسعون حديثاً والمخالص من ذلك بلا تكرار ألفاً حديث وست مئة وحدثان . ثم نكلم في احصاء المتون المطلقة المرفوعة بنير وصل . ولا يتفق زعم فريد أفندي وجدي مع عد المكرر ولا مع تركه . هذا اذا فرضنا أنه لم يصح عند البخاري الا أحاديث الجامع والصواب أنه قد صح عنه غيرها وقد صح عنه أنه قال « لم أخرج في هذا الكتاب الا صحيحاً وما تركت من الصحيح أكثر حتى لا يطول »

(الرابع) قوله أول من ألف في الحديث مالك في الموطأ (كذا) توفي سنة

١٧٩ وقيل ابن جريج »

والصواب أن أول من دون الحديث ابن شهاب الزهري بأمر عمر بن عبد العزيز كما قال الحافظ ابن حجر في الفتوح ورواه أبو نعيم في الحلية عن مالك نفسه وفي باب اكتاب العلم من الموطأ رواية محمد بن الحسن وعلقه البخاري « أخبرنا مالك أخبرنا يحيى بن سعيد أن عمر بن عبد العزيز كتب الى أبي بكر عمرو بن حزم أن أظرم ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أوسطه وحديث عمرو ونحو هذا فأنشبه لي فأنى قد كتبت دروس العلم وذهاب العلماء . نعم انهم ذكروا أن مالكاً وابن جريج من أول من صنف الحديث مرتباً على الابواب وهذا أخص من مطلق التأليف والتدوين فان الذين كتبوا الحديث على أقسام منهم من كتب ما اجتمع له كيفما اتفق ومنهم من رتب على الابواب ومنهم أصحاب المساند الذين ذكروا ما أسنده كل صحابي على حدة بحسب رواياتهم ومنهم أصحاب المعاجم الذين رتبوه على حروف المعجم . وقد كان ممن ألف الحديث مرتباً على الابواب في القرن الثاني مالك بالمدينة وابن جريج بمكة وسفيان الثوري بالكوفة والاوزاعي بالشام والربيع بن صبيح او سعيد بن أبي عروبة او حماد بن سلمة بالبصرة وهشيم واسط ومعمر باليمن وجري بن عبد بن حميد بالري وابن المبارك بخراسان . قال الحافظان ابن حجر والراقي وكان هؤلاء في عصر واحد فلا يدري أيهم اسبق .

كذلك كتب المسند غير واحد في عصر واحد فاختلوا في الأول منهم . فلو كان فريد أفندي وجدي مطلقاً على أقوال المحدثين في ذلك لقال ان مالكا وابن جريج هما أول بل من أول من صنف الحديث مبوا كما يقال أول-او من أول-من كتب المسند نعيم بن حاد وأسد ابن موسى وعبد الله بن موسى . وأنى مثل فريد أفندي وجدي أن يعرف شيئا من هذه الفروق والدقة ثم أو مثل من وصفه بالتدقيق والتحقيق في كل ما يكتب كمض محرمي المؤيد على أن القول بسبق ابن جريج للمالك أقوى من عكسه كما أطلق ذلك غير واحد ومنه ما في التذكرة للعافظ ابن حجر عن الامام أحمد أن ابن جريج وابن أبي عروبة أول من صنف الكتب

(الحامس) قل فريد أفندي وجدي ثم نالت بعد ذلك المجموعات السبع الشهيرة بكتب السنة الصحيحة وهي مجموعة البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ ومسلم المتوفى سنة ٢٦١هـ وأبو داود (كذا) المتوفى سنة ٢٧٥هـ وابن ماجه المتوفى سنة ٢٨٢هـ والنسائي المتوفى سنة ٣٣٣هـ والدارقطني المتوفى سنة ٤٨٥هـ

أقول أنه ذكر ان المجموعات سبع وعد ستافقط فلا نجد هذا عليه وإنما نجد عليه أنه ترك من الكتب الستة كتاب الترمذي واستبدل هو به الدارقطني وهذا يدل على الجهل المطلق بهذا العلم ولو ترك ابن ماجه لقائل أنه تركه لخلاف فيه وإن جرى جميع المتأخرين على عدم السادس من الستة ولكن أنى لك ولبن يقرط له كتبه فيصفها بالتحقيق والتدقيق أن يعرف هذا

(السادس) زعمه ان ابن ماجه توفي سنة ٢٨٢هـ والصواب أنه توفي سنة ٢٧٢هـ وقيل ٢٧٥هـ

(السابع) زعمه ان النسائي توفي سنة ٣٣٣هـ والصواب أنه توفي سنة ثلاث وثلاث

مئة . فبأي شيء مما يكتب فريد أفندي يوثق

ان كل ما كتبه في هذه المادة لا يزيد الا قليلا عن الصفحة وقد رأيت ان معظم ما هو قولي من ذلك فهو خطأ لأن منه الكلام في النسخ والوضع وله في ذلك عبارات لم تتبعناها واتخذناها لفظا ومعنى لا طنا في احصاء ما يمتد إحصاءه ومن قرأ قوله في آخر هذه المادة «هذا واننا في عصر كثير فيه النباه وأخذ كثير منا في احتذاء مثال أثمتنا في مسألة الاحاديث من الاكتفاء بالصحيح

السليم وان كان قليلا وترك المشكوك فيه مهما كان كثيرا من قرأ قوله هذا يظن انه هو في مقدمة هؤلاء النباه القرين ذكرهم ولكنه اذا تتبع الاحاديث التي يحتج بها فيها يكتب يرى انه يشكك في أصح الروايات كأحاديث الشفاعة ويستند في الأكثر على الاحاديث المشكوك فيها أو المقطوع بعضها أو وضعها وهو لا يعلم وسفين ذلك في فصل مستقل ان شاء الله تعالى

أَنَّ عَلَى الْمَرْءِ شَيْءٌ

❦ لباب الخيار، في سيرة المختار ❦

ألف الشيخ مصطفى الفلايني البيروني مختصرا في السيرة النبوية سماه بهذا الاسم وطبعه طبعا جميلا على ورق حسن ضبط فيه بالشكل ماراه مما يشبه فيه غير العالم فكانت صفحته ٨٢ صفحة وهو أسهل المختصرات وأقر بها الى افادة التلاميذ المبتدئين والعوام

ذكر في أول هذا المختصر ان الاسلام قام أو نشر بالهجرة ولا بالسيف وقسم حياة النبي صلى الله عليه وسلم الى ثلاثة أدوار ما قبل البعثة وما بعدها الى الهجرة وما بعد الهجرة وذكر المسائل والفروقات دون السرايا ونبه على مواضع البعثة في كثير من المواضع وختم المختصر بأحاديث من الحكم وجوامع الكلم بلغت ٢٢١ حديثا رتبها على حروف المعجم . وثمن النسخة من هذه السيرة قرشان صحيحان ما عدا أجرة البريد وتطلب من مكتبة المنار بمصر

❦ فلسفة الاسلام ومدنية القرآن ❦

كتاب جديد يؤلفه أحد أفندي يدوي النقاش أحد ضباط الجيش المصري في سكة الحديد السودان وقد طبع الجزء الاول منه في مطبعة الآداب والمؤيد . يعد يتعجب القاري من نسبة كتاب في الفلسفة الى ضابط مصري لاسيما اذا

كان عالماً بحال التعليم في المدرسة الحربية المصرية وأنه تعلم صناعي ليس فيه شيء يرقى الفكر حتى أن دراسة التاريخ قد ألغيت من هذه المدرسة منذ سنين ولا تروى جريدة من المرائد المبالغة في انتقاد نظارة المعارف تنتقد ذلك على نظارة الحربية،

نعم يتعجب القارىء من تأليف ضابط مصري كتاباً في فلسفة الدين ولا يذهب بتعجبه إلا تذكر تفاوت استعداد البشر فإن في الضباط المصريين أفراداً من المفرمين بقراءة كتب العلم والدين والتاريخ والمجلات الدينية والعلمية. ومؤلف هذا الكتاب من المستعدين لفلسفة ويأبى تربيته لم تصرفه عما خلق استعداد له إلى غيره. قرأنا مسائل من الكتاب فرأيناها نتائج فكر دقيق، جاءت من كل فج سحيق، بعضها جلي وبعضها خفي لم تقو العبارة على إيانه. ومن مباحث الكتاب طبيعة الفكر الانساني والارادة والعقل وحرية الانسان واستقلاله. والله اعلم والفلسفة الالهية وإيصال القرآن الى السعادة وغير ذلك.

حجج الدليل . في موارد أعالي النيل

كتاب جديد كبير الحجم والفائدة صنفه بالانكليزية المر ولهم جارستن مستشار نظارة الاشغال العمومية بمصر ونقله الى العربية ابراهيم مصور بك رئيس الترجمة في هذه النظارة وطبع بمطبعة المعارف طبعاً في متعنى الحسن وهو يشتمل — كما كتب في طرته — « على مطالب التعديل والاصلاح . ويليّه نبذة لكتاب المسترديوي مقتش محوم ري السودان شرح فيها خبر رحلته الى بحيرة نسانا وأتهار السودان الشرقي . وفي درج الكتاب رسوم جمة وله ملحقات »

تقول أما الكتاب فهو قسمان وخاتمة وفي القسم الأول منهما ١٢ فصلاً في الكلام على بحيرة فيكتوريا وبحيرة ألبرت أدوردو وبحيرة ألبرت وهي يتابع النيل وأصوله وعلى نيل فيكتوريا والنيل الأعلى المعروف ببحر الجبل وعلى البحرين الأبيض والأزرق وهما فرعا النيل العظيمين وغير ذلك . والقسم الثاني في « تصرفات الأنهار وممكنات المشاريع » وفيه فصلان . وأما الملحقات ففيها فوائد كثيرة

في مشروعات ومباحث مهمة كتعليق حبس أسوان ومشروع وادي الريان وفرع رشيد،

وأما الرسوم الشمسية فيه فهي ٤٦ ربما وهناك رسوم أخرى كثيرة منها الملون كخرائط الجغرافية ومنها غير الملون وهي في غاية الاتقان

ومن خدمة اللغة في هذا الكتاب أن مترجمه بالعربية قد فسر في هوامشه الألفاظ التي احتاج إلى استعمالها فني بالبحث عنها ووضعها في مواضعها ولم تكن مستعملة عند كتاب المصر كالمساك بوزن سحاب وهو مكان من النهر تتراصف إليه حطامه الاغصان ورفاض الحطب والمشب وغيرها فتجس ماؤه وتغرق سيرة ويعرف بالسد . وكالفجرة بوزن المترية قال وهي أرض تطلن وتنفجر فيها أودية وبالتخصيص فجوة ما بين جبلين وهي الفجة والوادي والنور . وهو يفسر أيضا كل ما ورد في الكتاب من الاصطلاحات والمصطلحات

وأسلوب الترجمة عربي فصيح قلما نجد لأحد من كتاب هذا المصر ومترجمه مثله وإن لم يخل من بعض ما ينتقد على نابشهم وهاك هذا النموذج منه في الكلام على بحيرة ألبرت :

« أما بحيرة ألبرت فالحادثات فيها على خلاف ما تقدم ولكن لاسم ذلك وقوعها وفضلها أكد . ذلك أن مناجل جبل روزوري والفواغل الجوية فيه تؤدي إلى تحات جوانبه على الدوام وتفتتها وكل ما ينساب منها من الرفاض (١) تجرفه السيول إلى أخاديد (٢) ومضائق ذاهبة به إلى نهر سملنكي وهو يري بها إلى بحيرة ألبرت ومعها مقادير من الطين التي تجلبها مياهه من أنحائه العليا . هذا وانحدار النهر عند الطرف الجنوبي لبحيرة ألبرت يقل فتخف بذلك جريته فتصبح مياهه وليس لها قوة دافعة تستاق تلك المواد فتستقر جميعها في بطاح البلاد المجاورة . وعليه فقد كونت روا سب الأجراف (٣) في الأطراف الجنوبية من بحيرة ألبرت سهلا

(١) رفاض الشيء (كقرب قشارته وما تحطم منه فتفرق) (٢) جمع أخدود وهو الحفرة المستطيلة في الأرض (٣) أجراف جمع جرف (بالضم) وجرف (بضمين) وهي ما تجرفه السيول وأكلته من الأرض (المغرب)

بسيطاً من الأرض يتداخل شيئاً شديداً بمياه هذه البحيرة فيرفع منسوب قاعها ولا تزال هذه الرواسب تعمل هذا العمل على التوالي . ومثل ذلك يملأ بحر فيكتوريا في الطرف الشمالي للبحيرة فهو يلقى باليليزه وأجرانه في البحيرة فضيقه فنشكر لواقع الكتاب خدمته لهذه البلاد ولترجمه خدمته لها ولقنتها بما لم يخدمها أهلها

﴿ هذا يلاشي تلك ﴾

لفيلسوف شعراء فرنسا أو شاعر فلاسفتها فيكتور هيجو أو هوجو (أو الاسم بالفرنسي أو الكاف بدل الجيم على ما ترى عليه المعريين والمترجمين من الخلاف) مقال عنوانه (هذا يلاشي تلك) وصف فيه مباني الأقدمين ونظامها كالأهرام وقصر الكرنك وعمود السواري والبادثيون والباتثيون ذهب خياله فيه إلى فلسفة اجتماعية دقيقة فجعل ذلك رمزاً للسلطة الروحية والسياسية التي استعبد البشرية الكهنة والملوك وبين أن اختراع المطبعة الذي سهّل نشر العلم بين جميع الناس يلاشي تلك السلطة ويذهب العلم بالكنيسة . واتخذ على ذلك بعض الكتاب وحاول بيان أن المطبعة لم تقدم الكنيسة بل خدمتها ورد عليه المترجم ثانية . نشر ذلك في جريدة البصير ثم طبع على حدته

﴿ مطمح الفصحاء ﴾

كتاب ألفه الشيخ علي فؤاد المنوفي في شيء من الانشاء وجعله عشرة أقسام في رسائل الود والشوق والعتاب والاعتذار والقطعة والاستعطاف والرجاء والشكر والتعازي والنهائي وأودعه أربع مقامات وجعل له شرحاً كبيراً منه وإن شئت فقل أنه صنف كتاباً آخر جعله هامشاً له ومباه شرحاً وإن كان أكثر ما فيه ليس بشرح ولا مناسبة بينه وبين المشروح في معنى الأصل . مثال ذلك شرحه للبيت الآتي إني لأبصر من أفعالها عجايب الوصل يفضيها والصد برضيا فإنه لا يبين المراد من البيت في شرحه وإنما يتكلم عن أقسام الفعل سيفه الصرغ فيذكر المجردة والمزينة والملحقة والسائلة والمضاعفة والمهوزة وغير ذلك . كذلك شرحه للبيت الآخر

أ كنتم الوجد والالام تظهره هيات هيات ذوطب يداويها
قانه لا يذكرك في شرحه الانحو صفحتين في أنباء الأفعال كأنه يشرح كتابا
في النحو والصرف

قال المؤلف في فاتحة كتابه « وكل ما فيه من المنشآت ابتكاري ، كما أن
بعض ما به من الأيات اختباري »

« يعرف المرء باختيار وجمع ودليلي على الأدب اختياره »
وتقول أنه ليس فيه شيء من الابتكار ، وهاك هذا النموذج مما فيه من
المنظوم والمشور وهو ما قاله في أول قسم الاستعطف بعد أيات لغيره
« مهاني اللجني علي أفرط ، وأذقتني بصدك الهوان ، فروحى بلودنك أوهبت ،
يا إنسان كل إنسان ،

لله أشكو غرامي وما أعاني وألتي

قطعت جبل ودادي ولم أعنك حقا

وبني تبدلت غبري قلله خبر وألتي

لكن ... عهدي بجميل خصاك ، وقوفي على شيب هجرانك

لئن كان بالسوان عني عواذلي لكم حدثوا والله قد كذبوا بما

عن الحب والهد القديم وودكم وحق الهوى ماضل صاحبكم وما

لهجتي الشجو أوردت ، ولمعني السهد وهبت ، والي الاوق بشت ، ولهي قد روعت

فزاد اشتياقي وقل اصطباري ولم أستطع في هواك المجهوع

فؤادي أسرت قبادي ملكك اما آن عفوك عن صادق

سميع مطيع مشوق ولوع

حذار العذول كتمت وجدي يا خير مأمول عدت رشدي

فن على بزد الجواب وحقت أني به لقنوع

دامت لك عليك ولا أعدمني الله بحبك والسلام هـ

ولا يحسبن القاريء اننا تمعدنا نشر أدنى ما في الكتاب بعد البحث عنه
ل هذا من أحسنه فإن أساء بنا الظن أوردناه أينا كنا كتبها الى صديق آخر وهي

يا من فاق أهل المعرطرا بما أبداه من شرف الطباع
أسأت إليك فاستوحشت مني وأبدلت التواصل باقطاع
فصرت أقارع الأحوال ضنكا وأتفت شعرا مني من مجامع
وأصرخ في (الشوارع والحواري) بأصوات كأصوات الضباع
وأزري دمع عيني فوق خدي ومن أسني أعض على صباغي
ولما أن رأيت عينا مني موتي وإن الروح مني في التزعزع
أتيت إليك مستترفا بدني ورجلي فوق كتفي بانخفاض
أؤمل فيك أنك تف عني لأنك بحر جود ذوات واسع
فأتقني بفضلك ندي عفو لاشفي القنب منه بالرضاع

هكذا جاءت هذه الايات في الكتاب فلا نلظن ان مطمحنا حرفت

فيها أو صحت

هنا يقول انقاريء ما بال المنار أطال في الكلام على هذا الذئب وخالف
عادته في مثله وأنا أقول له ان السبب في ذلك التعريف بمكانة كتاب كنب مصنفه في
أوله أنه ورد اليه ٢٦ تقريظا له من أكابر العلماء والفاضل الشعراء وذ كرمها تقريظا
لشيخ سليم البشري الذي هو شيخ المالكية اليوم وكان شيخ الأزهر بالامس يشهد
فيه لكتاب بأنه مفيد نافع

وتقر يظا لشيخ محمد بن نجيح الحنفي المشهور يقول فيه « وبعد فقد أطاعت على
كتاب مطمح الفصحاء بل مرتع البلاء فوجدت من بحور الادب درر منظومة في
سلوك الذهب تزري بقلائد العقيان في نخبور الحسان كيف لا وقد حوى
النثر أغلاه ومن الشعر أعلاه فجزا (كذا) الله مؤلفه أحسن الجزاء وأكثر من
أمثاله البلاء وجل به وجه هذا الزمن ونفع بمؤلفه الأمة والوطن آمين »

وقد كان حظ من كبر الجرائد كحفظ من أكابر العلماء فان جريدة المؤيد
قرظه تقر يظا جملة فيه منتهى البلاغة . . . افيلام المنار بعد كله أن أطال القول فيه

﴿ نخب من مبتكرات مكسيم غوركي ﴾

مكسيم غوركي من كتاب الأمة الروسية قد اشتهر بما كتب من المقالات والرسائل في الإصلاح السياسي والاجتماعي وله أسلوب رشيق وكثيراً ما يبرز المعاني في قوالب الوقائع . وقد اختار سليم أفندي قبعين وهو من أدباء السوريين العارفين باللغة الروسية - أربع مقالات لهذا الكاتب وترجمها بالعربية وطبعها فبلغت صفحاتها ثمانين صفحة ونيفاً . عنوان المقالة الأولى (الملك الراحل القواء) وعنوان الثانية (أحد ملوك الجمهورية) وعنوان الثالثة (فرنسا الجديدة) وعنوان الرابعة (اليهود) وثمن هذه النخب ٣ قروش صحيفة

﴿ غرائب الاسرار - جاسوس الاژاس ﴾

غرائب الاسرار قصة موفعة من أجزاء ترجم الجزء الاول منها واسه (جاسوس الاژاس) حسن أفندي موسى (ضابط بالاستيداع) فأما وقائع الجزء فهي تكاد تكون في غرايتها من الحوارق أو الشعوذة وفيها من الرموز والاسرار ما يشوق النفس الى الجزء الثاني لتقف على حل تلك الرموز وكشف هاتيك الاسرار . وأما الترجمة فهي أقرب الى العامية منها الى العربية الصحيحة . وصفحات الجزء الذي طبع ١١٢ وثمنه خمسة قروش

﴿ الفضيلة والذيلة ﴾

قصة أدبية غرامية من تأليف جورج أونيه أحد كتاب الفرنسيين وترجمها بالعربية محمد أفندي كرد علي منشى بمجلة المقتبس وأحمد محري المؤيد . وموضوعها علم الادب (الكتابة والشعر) والادباء في فرنسا فهي مساجلات ومنافسات بين فرم من الادباء والأدبيات ، وقليلاً نحمد شيئاً من ذلك في الكتب المترجمة بالعربية فالقصة تفيدك ما لا تكاد تعرفه من كتاب اخر في اخلاق الأدباء وعاداتهم ومكانة الأدب عندهم وتأثيره فيهم . وقد طبعت القصة بمطبعة الشعب وتطلب من مكتبتها وثمنها ١٥ قرشاً

﴿ المحرم البريء ﴾

قصة فرنسية الاصل نوجها محمد أفندي كرد علي لجهة مسامرات الشعب وطبعت في أربعة أجزاء من أجزائها وهي على كونها قصة غرامية تشرح لقارئ مسألة شرعية قانونية من أهم المسائل وهي الاعهاد على القرائن القوية في إثبات الجنايات والحكم بمقتضاها والخلاف في ذلك معروف فمن لا يبيع الحكم بالقرائن يقول انها قد تكون قطعية في الظاهر وهي لاحقة لها في الواقع وهذه القصة تؤيد هذا القول فهي تمثل لك في أولها رجلا عدا على آخر في بيته قتله وأخذ ما أخذ من ماله وكان المال قراطيس لامعدنا وقد رآه من داره وهو مثلبس بقتل جاره كل من زوجه وبنته وخادماتها وكان ذلك ليلا والاوار في بيت القاتل متأقة ولما عاد الى داره وكان قد تأخر خلافا لمادته عاد شتما مضطرا ولم يستطع الى النوم سبيلا ولما اتهم كان مما ظهر في التحقيق ان الاوراق المالية التي فقدت من القاتل وجدت في صندوقه وهو لم ينكر ذلك . والحق أنه لم يكن هو القاتل وان هذه القرائن والدلائل وغيرها مما لم نشر اليه كلها شبهات تشرح القصة حقيقتها بعد شرحها بالاسباب

﴿ محمد علي ﴾

قصة تاريخية غرامية في محمد علي باشا من أول نشأته الى أن استقر له أمر الحكم في مصر ألفت بالألمانية وترجمت بالانكليزية ثم ترجمها عن الانكليزية بالمرية نسيب أفندي المشعلاني بطلب ادارة الهلال وعلى نفقتها طبعت ومن مكثبتها تطلب . وقد سلك مؤلف القصة في بيان نشأة محمد علي مسلكا فلسفيا بين فيه أنه قد أوتي منذ صغره الاستعداد الفطري لرياسة وجاءت الحوادث مربية لهذا الاستعداد حتى بلغ مثناه . والقصة في مجلتها مفرغة في قالب مقبول ونسقا معقول غالبا يقل فيها الغلو المنتقد كزعم الانتقال من قرب دمنهور الى قرب الاهرام في صحراء الجيزة في ليلة أو بعض ليلة

﴿ الجامعة الاسلامية وأوروبا ﴾

رسالة لرفيق بك العظم المشهور بمباحثه التاريخية والاجتماعية سنشر بعض فصولها في الجزء الآتي من المنار ان شاء الله تعالى

﴿ الأمين والمأمون ﴾

هي الحلقة الحادية عشرة من سلسلة القصص الغرامية التاريخية التي يؤلفها جرجي أفندي زيدان وينشرها في الهلال «وتشتمل على ما قام بين الأمين والمأمون من الخلاف بعد وفاة والدهما الرشيد وقيام الفرس لنصرة المأمون حتى فتحوا بغداد وقتلوا الأمين وأعادوا الخلافة إلى ابن اختهم (المأمون) ويتخلل ذلك وصف دخائل السياسة بين العرب والفرس وما يقتضي المقام ذكره من الآداب الأجنبية والعادات والأخلاق» . وما يشرحه فيها أن الفرس كانوا معتمدين بالعصية الجنسية متمدين إزالة الملك من العرب وجعله فيهم وإقامة خليفة من العلويين يكون آلة دينية في أيديهم وأن الكثيرين منهم كانوا يظهرن الإسلام ويخفون المحوسية ليتمكنوا من محاربة المسلمين عربهم وفرسهم . فذكرنا هذا بالصيغة الجنسية التي يحاها الإسلام وأماها فأحياء بعض المنافقين فكان من شرها ما كان ويريد إحياءها في هذا العصر بمصر باسم الوطنية بعض المتنوين بالشهرة فنسأل الله أن يقي الإسلام والمسلمين شرها لأن التفريق في هذا العصر ينتهي بهلاك جميع المسلمين لا بتقلب جنس منهم على جنس آخر كما كان من قبل

﴿ رحلة ابن جبير البلنسي الاندلسي ﴾

نشرنا في هذا الجزء أثاراً تاريخية من هذه الرحلة وسنقل غيرها وهي رحلة جليلة ذات فوائد طبعها ثانية العالم المستشرق كوريج في هذا العام طبعاً متقناً على ورق جيد وناهيك بأقان الأفرنج وعنايتهم بالضبط وما يضعونه للكشف من فهارس الاعلام والمواضع التي تسهل المراجعة والاستفادة وأهدى إلينا نسخة منها مجلدة تجليداً حسناً فنشكره لثنا سلفنا وخدمته هو وأمثاله فنتنا

الصراط - مجلة جديدة لطبع في الاسكندرية وقد كتب عليها «مجلة أخلاقية أدبية علمية تاريخية تصدر في الشهر مرتين بمعرفة جمعية محامد الأخلاق بالاسكندرية» قيمة الاشتراك سنوياً عشرة قروش صاغ ولتلامذة المدارس خمسة قروش» وهي قيمة قليلة وإن كانت صفحات الجزء من المجلة لا تزيد على عشرين صفحة فتتمنى أن يكون هذا الصراط موصلاً إلى الفوائد النافعة

بَابُ الْحَبْلِ الْأَلْوَنِ

﴿ المسألة المراكشية وحرب الدار البيضاء ﴾

كتبنا في السنة الأولى للنار نصيحة فيه لسلطان مراكش أنفروا فيها بأن طوفان أوروبا لا بد أن يفيض على بلاده فيضها ان لم يبادر هو الى إصلاح شأنها بما تقتضيه حال العصر من التربية والتعليم لاسيما تعليم الفنون العسكرية والمالية. ثم كنا نعيد النصائح والنذرة بعد أخرى وآخر عهدنا بها ما كتبناه في أيام انعقاد مؤتمر الجزيرة من العام الماضي ١٩٠٤ و١٩٠٥ وما نغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون (بالاسباب والمسببات وسن الله تعالى في الامم وانما يستمدون في دفع الضرر وحفظ المصالح على الحوارق وكرامات الاولياء مع ما درجوا عليه من التقاليد والعادات لا يقبلون وراء ذلك إصلاحا ، ولا يتخون بدونه فلاحا ، وقد سبق لنا بيان النجاة لهم الى قبر مولاي إدريس وجوار أهل العلم الديني عنده بكلمة « يا عفيف » ليدفوا بذلك ما طلبته فرنسا من السلطان بومثد فليرجع الى ذلك في المجلد الثامن من اراد

مرت الأيام والسنوات وأهل هذه البلاد « يفتنون في كل عام مرة أو مرتين » أو مرات « ثم لا يتوبون » من غريبتهم وغرورهم « ولا هم يذكرن » ما حل بأمتهم من الأمم والشعوب الجاهلية بحال هذا المصروقي أمة وما يجب من اعداد القوة لمداخنها اذا عدت بحسب الاستطاعة وعلى قدر ما هي عليه من الاعتماد وكل ذلك مما يرشد اليه الاسلام ويفرضه بنص القرآن ولكن اين أولئك الجاهلون من الاسلام والقرآن وهم يعتقدون أن قراءة تفسيره تحمي السلطان، وحياته عندهم أولى من احياء القرآن ، ثم ماذا تفيدهم قراءته اذا كانوا يعتقدون ان الاهتداء به من الاجتهاد المنوع بحكم شيوخ التقليد الجامدين ، وان الدين لا يؤخذ الا من كتب الفقهاء الميتين ، كما يفهمها أصحاب الجاه من الشيوخ الحاضرين ، وهم يرون ان العلوم

والفنون والصنائع التي بها تصنع آلات القوة كالبنادق (ويسمون بها المكاحل) والمدافع والبوارج الحربية كلها محرومة لا يجوز للمسلمين الاشتغال بها كما يرى ويعتقد ذلك أشباههم من أصحاب العصائم في أكثر بلاد المسلمين ، وبذلك أضاعوا الدنيا والدين ، وكانوا سبب هلاك المسلمين ،

مرت الأيام والسنوات فدخلت (مسألة مراكش) أي مسألة محاولة أوروبا استعمارها والاستيلاء عليها في طور جديد فقد اضمدى بعض المغاربة على الصلة الأوربيين في مرفأ « الدار البيضاء » وهي من حواضر مملكة مراكش ففتح بذلك لفرنسا باب استعمال القوة في هذا الثغر فدخلت منه وذلك ماكانت تبغي أصبحت فرنسا مع قبائل المغرب في حرب تعددت وقائعها فالقبائل تهاجم الدار البيضاء فحلبها السراكر الفرنسية بمدافعها ومن ورائها البوارج تساعدها يد فيها فتمزق شمل القبائل وتسفهم في الهواء نسفاً ولكن الفرنسيين قد دهشوا من شجاعة المغاربة وامتنعوا عنهم فسلطوا عليهم عسكرهم من مساهي الجزائر لطعنهم بأنه لا يفل الحديد الا الحديد وقد ترك المغاربة الهجوم الى حيث نزلهم مدافع البحر مهما عظمت شجاعة المغاربة فإنها والجبل قائدها لا تنكفي لحفظ استقلال البلاد ولا تدفع عنها مايزيد فرنسا منها فان الجبل لا يقلب العلم والاخلال لا يملو النظام فاذا كان أهل المغرب الاقصى أسوداً كان العلاء من البشر قد عهد منهم التصرف في الاسود وحبسها في بلاد ما هي مواطنها وما عهد أن تعيش فيها وجعلها مع ذلك في مواضع الزهمة يأنس برؤيتها حتى النساء والولدان . نعم ينظر أن تنصب فرنسا في تذييلهم كما نعت في الجزائر ولكن العاقبة للمتقين كما قال الله تعالى واتقوا نفسى ففى كل مقام يحسبه فهمى ففى باب الحرب والصدام باتقاء أسباب الانكسار والخذلان ولا شك أن فرنسا هي المتقية مايجب اتقاؤه فى هذا المقام بالتدبير التام وإعداد ما تستطيع من قوة كما أمر الله تعالى

ومن التدبير الذي يتخذ العلاء ولا يدري به الجهلاء وهو من قبيل السبل يضرب جلوداً بجلود ايقاع الشقاق بين زعماء فى المغرب وما وقف ذلك عند حد الخارجين على السلطان والمخربين له بل قامت طائفة عظيمة من الامة فبايست

بالملك مولاي حفيظاً (أوجيد الحفيظ) أخا السلطان عبد العزيز بنتوى من العلماء فصار في البلاد سلطاناً سيحارب كل منها الآخر فيكفرن فرنسا شرقة البلاد يظن كثير من الناس أن السلطان عبد العزيز سيلجأ الى فرنسا لتحفظ له سلطانه وتكفيه شر أخيه كجلاً توفيق باشا الى انكسروا في إبان القوة المراكشية وبذلك نحتل فرنسا بلاد مراكش احتلالاً رسمياً يسمى موقتاً وتعمل عملها فيها باسم السلطان كما تحكم تونس باسم الباي وهذه هي الطريقة التي استقر عليها رأي ساسة أوربا في استثمار بلاد المسلمين لأن حكمهم باسم أمراءهم وملوكهم أقرب الى السلام وأبعد عن النزاع والخصام

انه ليحزننا أن نرى مملكة اسلامية في الشفاء القوي أحاط بمملكة مراكش ولايسرنا أن تبقى على ما هي عليه أو على ما كانت عليه اذا كان ما اتت بها الآن مبدأ للانتقال من حال الى حال

وانه ليحزننا أن يكون اتقالتها بقوة الاجانب لا بتدبير رجالها وحكمتهم ولكننا لانرى منفذاً لحيط من خيوط أشعة الرجاء في أولئك الرجال الجاهل فباطلنا نصحتنا لهم وأنذرناهم البطشة الكبرى (٣٦ : ٥٤) قهاروا بالندى بل كان مثلاً ومثل سائر الناصحين معهم (١٧١ : ٢) كثر القدي ينطق بما لا يسمع الادعاء ونداء صم بهم عي فهم لا يفتلون

ان أهل العقل والعلم من طلاب الإصلاح المسلمين تنسى قلوبهم لو يدوم لسلطنة مراكش استقلالها ويحول طوفان أوربا عنها حتى يكون إصلاح حالها من نفسها ولو بعد حين ولكن عقولهم تحكم بأن هذا شيء لا مطمع فيه وتذكر ان من المدالة العامة في الاكوان ومن سنن المبدع في اجتماع الانسان أن يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق (راجع سورة الانبياء ٢١ : ١٨) وأن الارض يرثها عباد الله الصالحون أي لعائنها (راجع آية ١٠٥ من السورة المذكورة) ولا شك أن العلم بالنظام وبطرق العمران وثأمين السكان من الحق وهو مما يقوم به الاوربيون وان ما عليه المغاربة من ضد ذلك هو من الباطل وان الاوربيون يمدون بالنسبة الى المغاربة من الصالحين لاستعمار الارض الذي آمن الله علينا كما قال تعالى

(١١: ٦١ هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) فكان الكتاب المميز مؤيداً لحكم العقل في وجوب زوال استقلال المغاربة وكل دولة لا تحسن الاستعمار ولا تقيم النظام إلا أن تتوب وتقيم الميزان بعد الاستعداد له بما تقتضيه حال الزمان. ولا يظهر صدق الآية الكريمة في أرث الأرض إلا بهذا التفسير ولنا فيه سلف صالح فهو منقول لا مخترع إن حكم الفرقان والقرآن بأن دول العلم والنظام والاستعمار هي التي تسود على دول الجبل والخلل والافساد في الأرض هو الذي يخفف من ألم حسرة العقلاء على زوال استقلال دول المسلمين ولا أقول دول الإسلام فإن من يقضي القرآن بزوال دولته لا تكون دولته إسلامية ولكن قد تكون مسلمية وبهذا نبرى الإسلام بحق من مناقضة أصول الممران العلمي ونجمل ذلك على أعتاق المسلمين

﴿ غرور متعلمي اللغات الأوربية ﴾

إن أصحاب العقول الصغيرة من متعلمي اللغات الأوربية يذخولون أن كل من تلقف لغة منها صار من العلماء الاعلام والحكماء المرشدين للأنام ولكن هؤلاء المتعلمين يعدون بالألوف ولا تكاد نجد واحداً منهم في الألف يفيد أمته بكتاب يفضل به غير العارفين بهذه اللغات وأنا نرى أئتمرا يكتب كاثيرون في الجرائد وأغبرها في متهمي السخف وضعف الفكر والسبب في هذا أن اللغة الأوربية وسيلة للعلم ليست هي عين العلم ولا عين العقل الذي لا علم بدونه ولا فهم

إذا وجد في متعلمي هذه اللغات أفراد كفتحي باشا زغلول وقاسم بك أمين لهم آثار في الترجمة والتصنيف تدل على أنهم استفادوا من اللغة الأوربية علماً وبصيرة فإنه يوجد فيهم ألوف لم يستفيدوا إلا القليل والتبجح والدعوى ومنهم من أضاع ثروته الموروثة وأهان نفسه وذوي قرابته بسوء سيرته وما كانت اللغة الأجنبية التي يعرفها إلا عوناً له على إضاعة ماله وشره ثم هو يفاخر بألفته وعلومها ويحتقر علوم العربية من دينية وغيرها ويحط من قدر أهلها

للاستاذ الامام آثار جلية كتبها قبل أن يتعلم اللغة الفرنسية كمقالات الوقائع المصرية ومقالات المروة الوثقى وقد كان ما يكتبه بعد تعلم هذه اللغة أدل على

كثرة الاطلاع والسعة في العلم ولكن هل وجد في هؤلاء الأتوف من المتعلمين من يستطيع أن يكتب مثل تلك المقالات التي كان العالم يهتز لها حتى ان انكثروا ذات الحرية الواسعة منعت العروة الوثقى من مصر والمهند . ولا غرو فان العقول التي وسعت دائرة العلوم باللغات الأوربية حتى صارت هذه اللغات تتعلم لأجل ذلك يوجد مثلها في الأمة العربية وفي غيرها من الأمم . وقد كان السيد الكواكبي غير عارف باللغات الأوربية ولكن ما كتبه في الاستبداد لا يوجد في فلاسفة أوربا كثيرون يكتبون أحسن منه أو مثله به الذين يعرفون لغات أوربا وليس لهم من علومها سهم يستد به .

وما لي لا أضرب لمولاء المرورين الأمثال الا بمن ماؤا فهذا رفيق بك العظيم فليأتونا بكثير من مثله من متعلمي اللغات الأوربية . وهذا صاحب جريدة المؤيد لا يختلف عاقلان في تفضيل ما يكتبه وهو لا يعرف لغة أجنبية على ما يكتب صاحب جريدة اللواء العارف باللغة الفرنسية

فليخض المرورون برطنة اللغة الأجنبية من غرورهم فان الناس تفاضل بالعقول لا باللغات فذو العقل الكبير قد يقتبس العلم من الوجود كما اقتبس جميع الفلاسفة وان لما قل الشرقي من موارد العلم الغربي كتباً كثيرة ومجلات مترجمة يستفيد منها مالا يستطيع صاحب العقل الصغير ان يستفيدة من ثنائيمها وأصولها . نعم ان صاحب العقل الكبير اذا اطلع على تلك الأصول يكون أوسع علماً منه قبل الاطلاع عليها وان الأمم الشرقية لا تستغنى عن طائفة من الاذكياء ينفرون لاقتباس تلك العلوم من لغاتها ونقلها الى قومهم كما أنها لا تستغنى عن طائفة يحيون لغتها وعلومها الدينية والأدبية والتاريخية ولا يجوز تفضيل أفراد إحدى الطائفتين على الأخرى لان كلا منهما يخدم الأمة بما لا بد لها منه فان جاز التفاضل كان تفضيل من يشغل لإحياء الأمة بقومانيه الاصلية من اللغة والدين والعلوم على من يجلب لها علوماً من غيرها أظهر لان فقد العلوم الأجنبية عنها نقص وفقد مقوماتها القدائية موت وفناء فهل بقي بعد هذا البيان من عذر لبعض الأغرار المغضوبين بما لقفوا من العلم الناقص بلغة أجنبية في تقيص العلماء بدينهم ولغتهم وتاريخهم اذا كانوا برطنون مهمم بتلك اللغة

على أن وراء العلم الذي تعد الفئات وسائل له أمراً آخر هو مناهج الافادة بالعلم لمن يحصله وهو مكارم الأخلاق كالصدق والإخلاص والاستقلال والعزيمة والشجاعة والعفة وغير ذلك من الفضائل فإذا أغضينا عن الذين يتعلمون بعض لفات العلم ولا يستفيدون من العلم نفسه الاحتمال من قشوره ونظرنا في حال الذين يقال انهم أتوا نصيباً من العلوم نجد الكثيرين منهم قد شغلهم شهواتهم وأهواؤهم عن بث ما استفادوا في قومهم وعن الاستزادة منه وعن العمل به على الوجه النافع فالعلم لأمثال هؤلاء كالسيف في يد المجهنم يخشى ضربه ولا يرجى نفعه للأمة

﴿ حياة المعارف في مصر ﴾

دخلت المعارف بمصر في حياة جديدة على عهد سعد باشا زغلول فأسس مدرسة القضاء الشرعي التي وضع مشروعا لها الأستاذ الامام وسفتيح أبو البها الطالبيين الذين نجحوا في الامتحان في الشهر الآتي وهذه أعظم خدمة للإسلام في هذا العصر وأعاد التعليم المجاني وجعل من المزايا لمن يتعلمون في التعليم ما يرغبهم فيه ككونهم يتعلمون مجاناً ويتقدمون في المدرسة ومنهم من يأخذ مرتباً شهرياً وهم أصحاب القسم الثاني من تلاميذ مدرسة المعلمين الحديثية وأرسل البحوث إلى أوربا لتلقي العلوم العالية في انكلترا وبها في البلاد بعد عودتهم فائزين ان شاء الله تعالى وهذه البحوث أكثرها من الذكور وبعضها من الاناث وقد انتقد ارسال بعض البنات إلى أوربا من اتخذوا تقييح أعمال الحكومة دلائل على حبهم لوطن وأهلهم لعلهم أن السواد الأعظم لا يزال من الجبلية الذين يمدون تعليم البنات من المنكرات فهم يحتجون على قبح ارسال البنات إلى أوربا بكونه مخالفاً لرأي الأمة ولو أن الحكومة اتبعت رأي الأمة من عهد محمد علي إلى اليوم لما تعلم أحد من أبنائها ولا بناتها كلمة في غير تلك الكتابات القديمة والازهر ان جميع عقلاء الأمة العارفين بما ينفعها ويضرها متفقون على ان تعليم البنات ركن من أركان الحياة أو شرط لحصولها أو كمالها نعم انهم يختلفون في قدر ما ينبغي أن تتعلمه البنات، ورأي كثير من المعتدلين أن التعليم الابتدائي كاف لمن وانه لا حاجة ولا ضرورة إلى تعليمهن لغة أجنبية. ولكن هذا الرأي خاص بالتعليم العام وهو لا يمارس وجوب تمييز من تتعلم لتكون معلمة في المدارس على سائر

المطلبات فان من لا يتجاوز علمها ما يلقى في المدارس الابتدائية لا تصلح أن تكون معلومة فيها . ثم اننا مادنا عالة على الافرنج في علومنا وديننا وما دام أمر حكومتنا ومنها ادارة معارفنا في أيديهم أو تحت اشرافهم فلا بد لنا من معلمين ومعلمات من أهل العلم الاوربي الذين يتلقونه من معنده عن أهله بلفتة حتى لا تقوم علينا حاجة القوم بأنه ليس فينا أكفاء يتولون التعليم لاسيما تعليم البنات . فأرسال بعض البنات الهواني يرغبن هن وأولياؤهن بأن يكن معلمات في المدارس الى أوروبا لتلقي العلوم فيها هو الوسيلة الى اغناء نظارة المعارف عن المعلمات الاوربيات لاوسيلة سواها . وينبغي أن يحزن من البيوت التي حست ترينها بالدين والأدب على أن الامة اذا سرت فيها الحياة المصنوية مريانا تاما فانه لا بد أن يوجد فيها من البنات من ينهض بين استعدادهن الى تلقي العلوم العالية وليس من اعتدال المعتدلين أن يمنع هؤلاء من ذلك بعد العلم بصدق الرغبة وقوة الاستعداد فقد كان في الامة الاسلامية أيام حياتها الاولى كثيرون من المشتغلات بالعلوم السكالية التي هي من فروض الكفايات التي لا يقوم بها الا بعض الرجال حتى رواية الحديث بالاسانيد والتصدي للتحديث

خطبة الشيخ محمد شاكر وتنديده بلورد كرومر

أرسل الينا الشيخ محمد شاكر شيخ علماء الاسكندرية خطبته التي قرأها في مجمع الاحتفال بتوزيع المكافآت على نجباء الطلبة فاذا هو قد اقتبس في فائدتها معنى بعض آيات الجهاد واذلال الله الجبابرة للمجاهدين وإيراثهم أرضهم وديارهم حتى كأنها خطبة قائد جيش فتح أو يحاول فتح الممالك وقد بينا رأينا في الخطبة من خمس جهات — كونها من عالم رسمي وكونها من رجل يعد من بطانة الأمير والمقرين منه وكون التنديد بكلام لورد كرومر تأخر عن وقت الحاجة وكونه جاء بعد نصريح اللورد بأنه لم يرد فيما كتبه عن مبادئ الجامعة الاسلامية الدين الاسلامي نفسه فهذه أربع والخامسة قيمة كلام الخطبة في نفسه وهل يصلح دفعا لشبهات التي تضمنها كلام اللورد على الفقه الاسلامي كما قال أو على الاسلام كإبريد الشيخ شاكر وأمثاله ؟ ولكن هذا الجزء لم يتسم لما كتبناه فاشرنا اليه بهذه الكلمات

المجلد

١٣١٥

فهر عبادى القين يستعملون القول يلبسون أحسنه
أولئك الذين صدام اقدوا ولطقتهم أولو الالباب

في المحاكم من ينامون في تلك المحاكم عادي
عنا كثيرا وما يفسدك الاولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كنفار الطريق

(مصر شعبان سنة ١٣٢٥ - آخره الاثنين ٨ أكتوبر (١) سنة ١٩٠٧)

السنوسية والجامعة الاسلامية *)

﴿ حقائق نافع يانها ﴾

لعله ظهر للتأري من المقالة التي ترجمتها الجريدة من قلم ضابط انكليزي له اطلاع على أحوال أفريقيا الاسلامية ان الاوربيين غير غافلين عن سير المسلمين في سائر شؤونهم وجميع أقاليمهم ورام يظهرون من الاهتمام بعض الذين لهم زعامة دينية وبكل ما هو مظنة القوة والاجتماع ما يبين للسامع ان رابطة صغيرة بين جماعة قليلة من المسلمين ترى في نظر الاوربيين غولا يفضى اغتياله ويجب ان يحال بينه وبين النمو لئلا يكون شره مستطيراً
والامثلة على ذلك كثيرة نكتفي منها الآن بما يقوله هذا الكاتب الانكليزي الذي ترجمته «الجريدة» قال :

«وقل ان ترى في أوروبا من يعلم شيئاً كثيراً عن هذا المذهب حتى لو سمع معظم الاوربيين كلمة «سنوسية» لما فهموا شيئاً مع انها لفظة لما في آذان فاهمها وقم شديد ومعنى مريض . وما يعلم عن هذا المذهب وان قل ينفي . باقتدار نفوذه وقوته وانه على مضاده لاوربا لا يبعد ان يكون السبب في اخطار واهوال ربما افضت الى كسح النصر الابيض من أفريقيا كما نلنا بذلك الدكتور كارل يثير وهو حجة»
ان هذا الكاتب الانكليزي قد عظم من هول زعامة السنوسي تعظيما جعله يستدبر الصواب استدباراً وتراء قد عزا لهذه الطائفة كل حركات عروق المسلمين في قلوبهم واحشائهم ولا يستطيع المواقف على حقيقة الحال الا ان يضيء في المعجب اذ يراه يقول ان مصر من جملة البلاد التي يسري فيها نفوذ السنوسي وانها تحركت بأصابع من هذا النفوذ فيما لمعجب متى تحركت مصر وكيف تحركت وما هي حركتها وابن هو سلك الاتصال بين حركتها والكهر بائية السنوسية ولكن ليست مصر وحدها في الانجذاب الى هذه الكهر بائية على رأي الكاتب بل كل حركات

*) نشرت (الجريدة) ترجمة مقالة لضابط انكليزي نكلم في السنوسية والجامعة الاسلامية كلاماً خالياً بقص عليه السيد عبد الحيد الزهري المحرر بالجريدة بهذه المذلة

قُطُوبَ الْمُسْلِمِينَ عُمُومًا وَأَفْرِيقِيَا الْمُسْلِمَةِ خُصُوصًا : فَيَقُولُ :

« وَلَا يَنْكُرُ أَحَدٌ مَا يَشْمَلُ الْإِقْطَارُ الْأَفْرِيقِيَّةُ الْمُسْلِمَةُ وَغَيْرَهَا مِنَ السَّخَطِ الْعَامِ الْآنَ وَالْيَكْ شَاهِدًا عَلَى ذَلِكَ حَرْبُ الصُّومَالِ وَالْحَرَكَةُ الْمَعْرِيقُوتُورُوزُ وَلَوْ الْتَقَلَّتِ الْفِي مَسْتَمَرَّةِ الْمَانِيَا الْجَنُوبِيَّةِ الْفَرِيقِيَّةِ وَحَوَادِثُ شَيْءٍ بِالشَّاطِئِ الْفَرِيقِيَّةِ خُطُوبِ صَخِيرَةٍ لَكِنَّمَا تَنْتَرُ بِالْخَطْبِ الْإَكْبَرِ وَالْمَذَاهِبِ الْهَدْيَا » ثُمَّ أَضْفَ إِلَى ذَلِكَ مَسْأَلَةَ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى وَمَصَاعِبَ فَرَنْسَا فِي شِمَالِ أْفْرِيقِيَّةِ وَالْحَرَكَةُ الْإِثْيُوبِيَّةِ (الرَّغْبِيَّةُ) فِي الْجَنُوبِ » وَيَقُولُ فِي مَكَانٍ آخَرَ : وَيُظْهِرُ أَنَّ الْأَضْطْرَابَ الَّذِي جَرَى عَمْرٍاءَ حَدِيثًا كَانَ سَبِيهِ دَعَا الطَّرِيقَةَ السُّنُوسِيَّةَ هُنَاكَ وَإِنْ كَانَ السُّنُوسِيُونَ لَمْ يَرِيدُوا ذَلِكَ الْهَلَاكِ وَلَمْ يَسْتَحْبُوهُ لِهَيْئَتِهِ قَبْلَ أَوَانِهِ وَلَقَدْ لَمْ يَنْهَضُوا بِتَغْذِيَةِ الْفِتْنَةِ الَّتِي اتَّبَعَهَا » وَيَقُولُ فِي الْخَتَامِ : « وَخِلَاصَةُ الْقَوْلِ أَنَّ السَّخَطَ بَيْنَ أَهْلِي أْفْرِيقِيَّةِ عَامَ طَامِ فَتْرَةِ وَاحِدَةٍ نَفَرَمُ الْبُتْرَانَ مِنْ أَقْصَى أْفْرِيقِيَّةِ إِلَى أَقْصَاهَا وَفِي زَعْمِي أَنَّ السُّنُوسِيَّةَ هِيَ مَصْدَرُ الشَّرِّ الَّتِي لَا بَدَّ أَنْ تُصِيبَ لَهَا السَّخَطُ الْمُسْتَقَرُّ فِي صَدُورِ الْإِهَالِي »

أَنَّ امْتِثَالَ هَذِهِ الْكِتَابَةِ تَدْعُونَا إِلَى أَنْ تَتَفَكَّرَ وَتَسْتَفْصِي بِالْبَحْثِ عَنْ تَفَاسِيرِهَا . وَلَا يَظْهَرُ لَنَا مِنْ خِلَالِ الْمَذَاهِبِ الْمُتَعَدِّدَةِ فِي تَفْسِيرِ هَذَا الْأَهْتَامِ الَّذِي يَظْهَرُ هُوَ لَا الْكِتَابَ إِلَّا أَنَّ أَهْلَ مَضْطَرُونَ لِهَذَا السَّهْرِ وَالتَّجَسُّسِ عَلَى شُؤْنِ الْبِلَادِ الَّتِي يَمْلِكُوهَا وَالَّتِي يَطْمَعُونَ أَنْ يَمْلِكُوهَا فَهَمُّ قَدْ عَرَفُوا أَنَّ الْقُوَّةَ بِالتَّضَامِ وَالْإِتِّفَاقِ وَهُمْ يَرِيدُونَ أَنْ يَقْطَعُوا مِنَ الْبِلَادِ الَّتِي يَطْمَعُونَ بِهَا كُلِّ أُرُومَةٍ لِلتَّضَامِ وَبِحَرَصُونَ عَلَى أَنْ يَمْحُثُوا كُلَّ سَنَةٍ قُوَّةً . وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الطَّرِيقَةَ الَّتِي عَلَيْهَا السُّنُوسِيَّةُ هِيَ أُرُومَةُ عَظِيمَةٍ لِجَمْعِ الْمُسْلِمِينَ الْتَائِقِينَ عَلَى أَوْرَبَا وَإِنَّ هَذِهِ الْجَمَاعَةَ الَّتِي حَوْلَهُ سَيَكُونُونَ يَوْمًا جَيْشًا جَرَارًا كَالْجُرَادِ يَلْقَفُ فِي طَرِيقِهِ كُلَّ نَابِئَةٍ مِنَ الْأَوْرَبِيِّينَ

إِمَّا أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْمَزَاعِمُ مَصْطَنَعَةٌ لِمُعْظَمِ الْحُكُومَاتِ الْأَوْرَبِيَّةِ فِي أَعْيُنِ شُعُوبِهَا هَوَلُ « الْخَطَرُ الْإِسْلَامِي » كَيْ تَكُونَ تِلْكَ الشُّعُوبُ رَاضِيَةً عَنْ كُلِّ فِتْنَةٍ بِهَذِهِ الشُّعُوبِ لِقَطْعِهَا دَابِرَ كُلِّ تَحَابٍ بَيْنَهُمْ وَتَعَارُفٍ وَتَعَاوُفٍ حَتَّى يَكُونُوا أَفْدَاذَا مُقْطَعِي الْأَطْرَافِ مُشْرِفِينَ عَلَى الْإِتْقَارِضِ مِنْ غَيْرِ رِثَاءٍ وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ قَائِمَةً فِي أَفْهَاتِهِمْ خَطَأً أَوْ اسْرَاقًا فِي سُوءِ الظَّنِّ أَوْ تَكْبُرٍ فِي غَيْبِلَاتِهِمْ مِنْ مَظَاهِرِ التَّأَخِّي

الديني . وخلق بنا على كلا الوجهين أن لا نمر بهذه المسئلة متجاهلين هذه المزايع التي عليها يبنون صرحاً من سياسة الاسراف بسوء الظن . والكلام في روح هذه المسئلة وهي الرابطة الدينية والجامعة الاسلامية تدور حوله اغلاط كثيرة تقع من باحثينا وباحثيهم والاعلاط منشأ سوء التفاهم ومنشأ التنافر الذي ما برحنا نراه يمتد في عهد كنا نظنه يتقلص فيه . فلذا رجحنا اليوم أن نخوض غمار هذا البحث غير رامين الا الى تجلية الحقائق التي فعلها وكلامنا ان لم ينفع في دوائر السياسة ينفع في دوائر العلم التي يملوف حولها الشرقي والغربي متصافحين ورجو أن يأتي يوم نلوه فيه الحقيقة في هذه المسئلة على المزايع - مصطنعة كانت أم خطأ -

(١)

اللفظ في الجامعة الاسلامية

مركز الدائرة في هذه المسئلة هي الجامعة الاسلامية وقد شغل كثير من الباحثين منا ومن الاوربيين بلوغ الحقيقة في هذه النقطة فأبت على أكثرهم واستصعبت بحسب من التشابه فسمى السبيل على الطالبين واتقسموا فرقاً وسلوكوا مذاهب أعظمهم الذين اعترفوا بأنهم لم يروا وجه الحقيقة ومنهم من وصف الذي شبهه زاهمانها هي الحقيقة . والذين اشتبهوا الوصف والبيان ولم يطبقوا ان يظهروا المميز من بعد البحث والنظر قد اختلفت أقوالهم فمنهم من يثبت وجود هذه الجامعة ومنهم من ينفيه . والمثبتون منهم من يقشاهم به ومنهم من يتيقن . ومنهم من لا يبيح عليه أملاً . ومنهم من لا يوجس منه وجلاً

لكن يظهر من الفصول والمقالات الكثيرة التي قرأناها الكتاب الأوبيين ان في أوربا كلمة واحدة عامة بوجود هذه الجامعة وان فيها خطراً على المستعمرات الاوربية أو قد ندون عاتقاً عظيماً يوم ما عن بلوغ أوربا أمانها من ابتلاع كل بلاد المسلمين ابتلاعاً تاماً . ويؤذن هذا بأن من يقول غير هذه الكلمة منهم هو من الشاذين

والكتاب المسلمون ببطل أكثرهم الى تصديق هذا الحدس الاوربي وتنفق أقلامهم بان المسلمين كثيرون وكلمهم في الدين اخوان وان مستقبلهم حسن بواسطة (المنار ٨) . (٧٤) (المجلد العاشر)

كثرتهم وجامعتهم الدينية وعلى شيء من هذا بنى السيد توفيق البكري كتابه « مستقبل الاسلام »

والغريب في الامر ان أكثر الباحثين في « الجامعة الاسلامية » يتبنون فيها الاحكام من غير ان يقولوا لنا ما حقيقتها وما تاريخها . أفذلك لشدة وضوحها أم لأنها ليس لها صورة حقيقية واحدة فهي تصور كما يقوم ظنها في خيال الكاتبين

(٢)

— حقيقتها —

ما الجامعة الاسلامية الا اتفاق في كلمة واحدة وهي أن القرآن كتاب الله جاء به محمد رسول الله ولكن المطلع على تاريخ المثقفين هذا الاتفاق يعلم أنه لم يدفع عنهم الاختلاف الذي لا اتفاق معه بعد فندد اختلف المسلمون ثلثت جامعتهم ولم يتفقوا اتفاقا سياسيا بعد عهد عمر ولا اتفاقا دينيا بعد عهد علي . فانهي جامعة قوم مختلفين منذ ثلاثة عشر قرنا اختلافيا سياسيا واختلافيا دينيا يقتل بعضهم بعضا ويستعين بعضهم على بعض بأهل الملل الخافقة من الاساس . ماهي جامعة قوم لم يحل يوم من أيامهم من قتال فئة منهم فئة أخرى منذ مقتل خليفةهم الثاني الى يومنا هذا . ماهي جامعة قوم يسر ملوكهم المختلفون بذهاب ممالك ملوك آخرين منهم . ماهي جامعة قوم حدثنا التاريخ من حديثهم أن أجنبيًا شريكًا (هولاء) أكنسح بلادهم وهم في عزهم فلم تتضام أيديهم على مقاتته وكانت لانزال قوية على قتال بعضها بعضا . وحدثنا التاريخ من حديثهم أن أجنبيًا غريبًا (الصليبيين) هاجم بلادهم فلم يجتمعوا كلهم على طرده حتى حركت الهمة طائفة منهم قويت وحدها على صدّه

الجامعة التي يلتطون بها هذه هي : « صورة مكبرة في خيال الأوربيين منثورة : من دعوى المسلمين الأخاء الديني . وصورة مخبوءة في خيال المسلمين منثورة من مس الحاجة الى مثلها على رأيهم » ثم قد أصبح لهاتين الصورتين ظل في الوجود قام عليه الحساب الحاضر فالأوربي يقول يجب محو هذا الظل لئلا يصير شعبًا حقيقيًا هاتلا ويزدهبون في محو مذاهب كاريين في كتاباتهم المتنوعة المختلفة . والمسلم

يقول يجب جعل هذا الظل شعباً حقيقياً ليكون بهيئته حامياً حقوقنا أجمعين ولهذا عظم تشبث المسلمين هذه السنين الأخيرة بمسألة هذه الجامعة الإسلامية للدلالة على التضام والترابط ولكن لا يصنع هذا شيئاً ما دام الاختلاف الديني والسياسي قاضيين أن يدوم تقتيل المسلمين بعضهم بعضاً ويقعد بعضهم عن نصرة الآخر . ولو تدبر الأوروبي والمسلم لالتفتا إلى أمر نافع غير هذا لأن الظل لا يصير شعباً . لو تدبر الأوروبي لعرف أن الجامعة الإسلامية قد مخلقتها الأسراف في إبادة ملك المسلمين ولعرف المسلم أن هذه الجامعة لا تنفع حتى يقوم العلم الصحيح عندهم مقام التقاليد وتكون الجامعة يومئذ جامعة قومية

(٣)

— السخط العام من الأوروبيين —

لو تدبر الأوروبيون لعلوا أن السخط العام الحقيقي الذي يرونه ويسمعونه ليس ناشئاً من الجامعة الإسلامية بل هو ناشيء من سوء الإدارة وهو يجر إلى هياج الشعوب نفسها باسم الخلاص من الظلم لا باسم الدين ويشهد التاريخ أن شعوباً كثيرة هاجت على حكوماتها نفسها باسم الخلاص من الظلم لا باسم الدين فإذا لم ينتظر الأوروبيون من المسلمين الذين تحت حكمهم هياجاً إلا باسم الدين قاتهم سوف يتعبون من سوء نتائج هذا الخطأ على تمادي الأيام

(٤)

— خطر الجامعة الإسلامية —

وعندي أنه إن صح أمر الجامعة الإسلامية لا ينتظر منها الشر الذي يندب به كتاب الأوروبيين إلا أن يكون الشر عندهم هو صد الطامع وإيقافها عند حد . ولماذا لا ينتظرون إلا الشر من قوم كان لهم دول عظيمة فلم يسيئوا إلى بني آدم كما ينتظرون منهم الآن

(٥)

— السوسية —

أما السوسية فطائفة في الصحراء بين طرابلس ومصر ملتفون حول شيخ

طريقة في الارض كثير من أمثاله وأمثاله. واضح هذه الطريقة هو السيد أحمد بن ادريس وهو رجل من صوفية المغرب وعلاؤه رحل الى اليمن وتوفي فيها وهو شيخ الاستاذ المرعي المشهور وشيخ الشيخ ابراهيم الرشدي وشيخ العلامة السيد السنوسي «محمد علي» المولود عام ١٢٠٤ في مستقائم وقد طلب العلم في فاس ثم رحل الى مكة فلقى أحمد بن ادريس فأخذ عنه التصوف وخلفه في الطريقة واحب أن يؤسس له مركزا في الحجاز فلم يساعد على ذلك فغادر الزاوية التي بناها في جبل أبي قبيس (عند مكة) ورحل الى طرابلس الغرب سنة ١٢٥٥ هـ ونزل في الجبل الاخضر وبقي هناك عدة زوايا ثم رجع الى الحجاز سنة ١٢٦٣ فأقام بمكة سبع سنين يقرئ الحديث فلما ذكره وزار مصر عائدا من الحجاز فاجله عباس باشا الخديوي اذذاك وهرع الناس لزيارته. ولما كثر مراده في صحراء ليبيا أراد أن يستقر في البلاد التي فيها الأمر والنهي لحكومات معروفة فأرشدته مراده الى جنوب لوزنتها ووجد الماء هناك فبنى زاوية عام ١٢٧٣ هـ وأقام فيها بين عربان البداية الى أن توفي عام ١٢٧٦ هـ خلفه ابنه السيد محمد المدي السنوسي وقام مقامه بنشر الطريقة وازداد عدد المريدين على عهده هذا ودخل في مراده ملك واداي فلذلك أصبح مقامه في تلك الجهات ك مقام الملوك لأن مراده يجوبون له عن طيب نفس المفروض عليهم من زكوات اموالهم وهو يصرفها على اللاجئين الى تلك الزوايا من الضعفاء والمراطين وبناء السبيل

وكل من عرف السنوسية حتى المعرفة يمتدحهم على قيامهم في كبد هذه الصحراء بما ينفع بني آدم من المؤاخاة وتقليل الشرور بين القبائل وإيواء ابن السبيل وتعليم الجاهل وارشاد الضال فلذا لا يترقب كتاب الأوربيين من هؤلاء الا كل شروم قوم قد بعدوا جهد استطاعتهم عن هذه السياسات المبنية على مالا حذله من العلم . ولا ذنب لهم الا شبه قوة على الدفاع

هذه حقيقة السنوسية لا مازعها الكاتب من أنها جمعية سياحية في لباس ديني تترصد بالاوربيين يوما عبوسا قطريا يكون شره من سيوفهم وبنادقهم مستطيرا هذا ولقد حاول جلالة السلطان استدعاء السنوسي الى الاستشارة بايدازمن

سياسة أوربية فلم تصبح هذه الدعوة ولم تكن نتيجة البعثة التي بعثت لهذه المهمة
الابتدال التحات والهدايا فالنسوية في منزل عن هذه الأمور ولا نطق بالسيد
السنوسي شيخ هذه الطائفة اليوم أنه ينبغي من وراء هذه العزقة الفخول بنفوس
خلق الله الى المذابيح البشرية وأبعد شيء عن الصواب زعم الكتاب وأمثلة
ان الفروض الدينية هي التي تحمل على ابادة غير المسلم وهذا انتهى الجبل بالتاريخ
وقانا الله سوء نتائج الجهالات عبد الحيد الزهراوي



﴿ الجامعة الإسلامية ﴾

كتب وفق بك العلم الشهير بمباحث التاريخ والاجتماعية رسالة في الجامعة
الإسلامية أشرنا إليها في الجزء الماضي ووفاء بالوعد نقبس منها ما يأتي

هل صحيح ما تقوله أوروبا ؟

﴿ عن الجامعة الإسلامية ﴾

علت أيها القارئ من هذا التهيد ان الاجماع يستدعي بطبيعته وجود
الروابط القومية والوطنية الخ وان الفرض من هذه الروابط حفظ التوازن بين قوي
المجتمعات الانسانية الحالية الى المغالبة بحكم الانانية والطمع وان أقل هذه الروابط
تأثيرا في المجتمعات رابطة الدين وان المسلمين لم تفهمهم هذه الجامعة يوما حتى
ولاعى التعاون على دفع الكوارث الكبرى التي حلت ببلاد الاسلام من هجمات
أهل الصليب والتار ولو اجتمع المسلمون امام أمثال هذه الجوامع الكبرى سواء
في ذلك الوقت أو الآن أو كل زمان لأتوا عملاً تسديعه طبيعة الوجود لاسية
فيه ولا مأخذ عليه الا اذا سميت من صفحات الوجود قوانين الروابط الاجتماعية
بحكم الاخوة الانسانية والمساواة العامة بين افراد البشر وأقوامهم ولا يكون هذا الا
اذا استبدل البشر بخلق آخرين من جنس الملائكة المطهرين
اذا تقرر هذا فاعلم ان دعوى القائلين بخطر الجامعة الإسلامية المتوجه بمعضاه

الذي يريد أولئك القائلون مدفوعة من وجوه

الوجه الأول : أن الجوامع الجنسية غالبية عند الأمم وأخصها الأمة الإسلامية لهذا نرى المسلمين قد مزقهم الأوروبيون وتشاطر ملكهم الدول المسيحية دون أن يمد بعضهم يد العونة إلى بعض باسم الدين والجامعة الإسلامية لقلب العصية الدينية ولتخادظم المرفوف المثاني عن تحاسد أمراءهم الذين أحمام الجبل وحب القات والآنانية الباطلة حتى عن الاعتصام بالجوامع السياسية التي تقضي بها أحياناً المصالح المتحدة بين دول الأرض

الوجه الثاني : أن المسلمين ولو اجتمعوا باسم الدين لمناهضة دول أوروبا فلا يكون اجتماعهم خطراً على المدنية كما يذهب إليه سياسيو المغرب بل يكون وقاء بحق القومية ورجوعاً إلى الاعتصام بالرابطة العامة التي يمكنها أن تقابل رابطة الدول المسيحية القوية التي اجتاحت أغلب ممالك الإسلام وكانت خطراً كبيراً على حياة المسلمين السياسية وقد أبنا فيما سبق أن قوانين الاجتماع الطيمية تقضي على الشعوب بالقدود عن مجتمعا والذب عن استقلالها ما لم يصيب البشر كله في حقوق الإنسانية والتمتع بشيرات الحياة سواء

الوجه الثالث : أن القول بالجامعة الإسلامية واتحاد الإسلام وغير ذلك من الالفاظ الوضعية التي أراد واضعوها إيقار صدور الأمم على المسلمين انما هي من موضوعات السياسيين في هذا العصر لم ترد في تاريخ الإسلام وليس لها في الدول الإسلامية شأن غير سياسي أصلاً وهو شأن الدول القائمة والأمم الفاتحة في كل عصر وعلى تقدير أن هناك ما يدعو إلى الظن باتحاد المسلمين في هذا العصر فنشأوه اتحاد أوربا على اكتساح ممالك الإسلام واستعباد المسلمين فليسوا اتحاد المسلمين بازاء اتحادم الاتحاد الديني أو الجامعة الإسلامية أو الشرق والغرب أو ماشاؤا من الاسماء أفليس معنى ذلك كله أن المسلمين يريدون الاعتصام بمجاعة كهوى تقابل اجتماع الدول المسيحية على احتضام حقوق الأمم الإسلامية

من العجيب أن الدول الأوروبية التي تسوغ لنفسها الحق بالاستيلاء على الممالك الشرقية والقضاء على حياة المسلمين السياسية لا تسوغ للمسلمين الحرص على هذه

الحياة بأن يحصوا بقوة الاجتماع والتآلف ذمارهم ويصونوا من عبث العاشين استقلالهم وإن ينادي ساستهم أن في وجود الجامعة الإسلامية خطراً على أوربا وبسبابة أوضع على سياسة دولها الموجهة الي تدوير الممالك الاسبوية والافريقية ولا يجوز أن يقول المسلمون أن في وجود الجامعة المسيحية الاوربية خطراً على الممالك الإسلامية مع تحقق الخطر من قبل هذه وانتفاه من قبل تلك

ان ساسة المغرب يوهمون العالم أن الجامعة الإسلامية خطر على المدنية لاصطحابها بصيغة دينية مع أنها خير على المدنية وأرجى لنفع الانسانية لو قام بها المسلمون واليك البيان

﴿ الاسلام والجامعة الإسلامية ﴾

من المعلوم بالضرورة أن معنى الدعوة الى الدين هو ربط افراد كثيرين وأقوام عديدين بمقيدة واحدة فالأمة التي تدين بدين واحد مسوقة بضرورة المشاركة في الاعتقاد الى المشاركة في الوظائف وهذا هو الارتباط الهديني الذي قلنا أنه كباقي الروابط طبيعي بين البشر مادام لهم دين أو أديان والاسلام من هذه الوجهة كباقي الأديان الا أنه يمتاز بأمرين جديرين بالنظر والاعتبار وهما تنويه بشأن الارتباط الأخوي بين المسلمين ارتباطاً خاصاً ثم الارتباط الانساني بين الناس كافة ارتباطاً عاماً ومما جاء في الأمر الأول قوله تعالى في القرآن الكريم (إنما المؤمنون أخوة) وقوله (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) وقوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) وفي الحديث النبوي (المسلمون تتكافأ دماهم ويسمى بدمهم أديانهم وهم يد على من سواهم) وفي الحديث أيضاً (المؤمن لمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) ولذا كانت رابطة التعاون والإخاء عقيدة من عقائد المسلمين وإن تناسوها ولم يعملوا بها الا قليلا

ومما جاء في الأمر الثاني في الرابطة الانسانية قوله تعالى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وفي الحديث (لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى) (١)

(١) أين هذا عما يمتقده الاوربي من أنه أفضل البشر وأسماهم

وأنت ترى من هذا أن الاسلام له رابطتان وابطة العواطف التي يشاركها كل أرباب دين ورابطة التعاون والأخاء التي يدعو اليها بالفعل إلا أنه بين معنى هذا التعاون في أنه على الخير دون الشر وعلى البر بالناس دون العدوان عليهم لكي يكون ارتباطهم بجماع الاخاء الديني واجتماعهم عليه غير مقصود بالعدوان بل بالحسنة والاحسان وصريح قوله بالاجتماع وعدم التفرق يهول على ما تستدعيه حالة الاجتماع من لزوم حفظ البيضة وكف الايدي العادية من المجتمع وهذا ضروري للمجتمعات كما أشرنا اليه في التمهيد

ثم لكي لا نكون جامعة الدين سبباً للعدوان مع الآخرين بل وسيلة الى التدرج في مدارج الانسانية في أعم مظاهرها وهي المساواة العامة بين أفراد البشر وأقوامهم فيما تقتضيه حقوق الانسان على الانسان من الكرامة وحسن الجوار وتبادل المنافع والأعمال التي جعلت الانسان مدنيا بالطبع أي محتاجاً الى التعاون مقترراً بعضه الى بعض قال الله تعالى ارشاداً للمؤمنين الى ذلك (يا أيها الناس اتقوا الله ما خلقناكم من ذكر وأنثى) الآية

هذه هي الوحدة الدينية التي يدعو اليها الاسلام أقلها يرى المنصفون من كل قبيل أن الجامعة الاسلامية التي يؤهم ساسة الغرب العالم المسيحي بخطرها على المدنية اذا اصطفت بصيغة الدين هي خير للمدنية من أن لا تصبغ بهذه الصبغة (٢) وأن فرضي العقول عند الطوائف الاسلامية تأني بما هو شر على المدنية مع تنكر نفوس المسلمين لهذا العهد لما تأني به دول أوربا المضادتهم ومضادة دولهم من أصاليب المكر والحدينة توصلنا لامنهم حقوقهم وسلب استقلالهم ووطء بساط ملكهم حيثما كان

الهم ان المسلمين ما قذف بهم في لج الحيرة ووقف بهم عن السير مع الامم الراقية في سبيل المدنية الصحيحة وكشف ما بينهم وبين الامم المتعدنة فرموهم بكل قبيصة ونالوهم بكل سوء الا انقسام عروة وحدتهم الدينية والخروج عن

(٣) ان حزب الإصلاح الاسلامي الداعي الى اصلاح الدين هو الذي يريد

مثل هذه الوحدة ويدعو اليها لما فيه من التقارب بين الشعوب

قانونها الجامع الذي يرمي الى غرض الاجتماع الصحيح والمدينة الفاضلة ويريد الشعوب على توحيد الكلمة لضرورة القيام على شؤون الحياة المدنية وأما يتحقق معنى الحياة في قوم أعزوا جانبهم وذاذوا عن حوضهم وكانوا يدا على من فاواهم واقتسوا في المعاملة الى من عداهم وهذا ما يريده الاسلام

من الظلم أن يمثل ساسة المغرب الجامعة الإسلامية بصيغتها الدينية في صورة ينكرها الاسلام ويأبأها العدل ولا تنطبق على نص من نصوص الدين كما رأيت وحسبك من الدين والتاريخ دليلا على أن الاسلام لا يعرض أهله على الجامعة الا ليكونوا يدا على من فاواهم وأن يقتسوا الى من سواهم وإن افترق عنهم في الدين مالم يبادئهم بالعدوان ويردهم السوء . إن بعض القرشيين من المشركين كانوا يزورون بعض المهاجرين من ذوي قرابتهم في المدينة فلا يقبلون عليهم ولا يحسنو اليهم لما عرفت به قریش من الشدة على المسلمين والاصرار على الشرك فغلبت في نفوسهم الى أن الدين لا يمنع من الاحسان الى غير أهله ماداموا غير مناوئين للمسلمين هذه الآية (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين)

وهذا التسامح الذي عرف به الاسلام ونبه عليه القرآن هو الذي سد كل منفذ من منافذ الاغراض السياسية التي تفسد نظام الاجتماع وتفرق وحدة الانسانية وتلقي العداوة والبغضاء بين بني الانسان فلم يستطع زعماء السياسة في الدول الاسلامية جمع الشعوب المائتة في البسيط الاسلامي على كلمة الاسلام بقوة الاكراه ولم يسمح أن يعاملوا مخالفيهم في الدين بضروب من العنت تلجئهم ولو الى الهجرة والجلاد . من بلاد بسط عليها الاسلام جناح سلطانه وآخر من نهده انه حاول ذلك من ملوك المسلمين السلطان سليمان العثماني فإنه لما رأى شغب المسيحيين في ولاياته الأوربية وتوالي خروجهم عن الطاعة وعلم ان بقاءهم على النصرانية خطر على تلك الولايات استغنى علماء عصره في اكرامهم على الاسلام فأبوا أن يقتوه بذلك وكان ما توقعه ذلك السلطان من الخطر على تلك البلاد فضلاً عما لاقته الدولة العثمانية من النصب والتعيب في سياسة أهلها ولم تزل تلاقيه فيما بقي منها في حوزتها الى الآن

(المناويع ٨) (٧٥) (المجلد العاشر)

ان السياسيين وأهل الانانية المنوحلة في أوروبا الذين يرجون بخطر الجامعة الإسلامية لا يرون ان من الخطر على المدنية والعبث بنظام الألفة الانسانية والوحدة البشرية اضطهاد المسلمين الذين تحت كنفهم وارضاتهم بضروب من الاذلال والاعتات قصد القضاء عليهم واستئصال شاكلتهم باسم السياسة ويرون ان من الخطر على المدنية وجود جامعة إسلامية تعامل باسم الدين مخالفين في السياسة والدين معاملة الاكفاء في الانسانية والعشراء في الوطنية كما سبق بيانه أفلين في هذا ما يدعو الى الحكم على رجوع الانسانية القهقري وتقدم المدنية الى الوراء حقاً ان هذه (السياسة) المطلقة من قيود الانسانية والوجدان ومن قيود الحق والعدل تشبه في تشكيلها حكايات النيلان الواردة في أساطير الأولين وتماثل إليه الشر عند اليونانيين فالسياسيون اذا ساقوا الشعوب الى الدمار وقتلهم بالسيف والنار قالوا انها السياسة واذا وطنوا بأقدامهم الحقوق وامتنعوا الشرائع اتهموا السياسة واذا أخطوا خطأً يجلب على بلادهم الدمار وعلى دولتهم العار تذرعو بالسياسة وبالجملة حيثما سنحت لهم ساحة شر قدموا امامهم السياسة فالسياسة عندهم (كلجسم المرن) قابلة لتشكيل بأشكال الأهواء التي تنبثق في نفوسهم وتدعوم اليها اطماعهم ولهذا لما استباحوا لجامعتهم الأوربية المسيحية السياسية اضطهاد الجامعة الإسلامية في ملكها ودينها وأهلها ورأوا أن يأتيوا لهذا العهد على البقية الباقية أخذوا يصيحون بخطر الجامعة الإسلامية تمهدوا لمقاصدم السيئة وتكفروا عن اجرامهم الى المسلمين أمام العقلاء وانصار العدل والفضيلة من أهل البلاد الأوربية وسوف يطعنون أنهم مخطئون اه

(النار) ويلى هذا فصل في الرسالة عنوانه « أوروبا والجامعة الإسلامية » فيه كثير من الحقائق التاريخية والعبور



حجة الاسلام أبو حامد الغزالي

﴿ رأيه في التعلم والتعليم ﴾

بيننا كيف تعلم أبو حامد الغزالي حتى صار حجة الاسلام، وإمام العلماء الأعلام، وهو أنه اجتنب التقليد وجرى على طريق الاستقلال، وكيف دبر نفسه بالرياضة والعمل حتى صار شيخ العارفين، وصفوة الصديقين، وتقي على ذلك بيان رأيه في التعلم والتعليم والعلوم وتربية النفس والكمال البشري في الدنيا باستخلاص ذلك من كتبه وتقديمه زبدة تقيه لطلاب الكمال في العلم والمعرفة والعمل والمجاهدة وما يتبع ذلك حتى كأن المطلع عليه أدرك حجة الاسلام في نهايته، وأخذ عنه صفوة حكمته، وما كان ليقيسر لنا هذا لولا أن سبق لنا مطالعة هذه الكتب من قبل بقصد الانتهاء بها، وأخذ الحقائق منها، وقد كنا ذكرنا في المنار أن كتابه إحياء علوم الدين كان أستاذنا الأول وأنا وقتنا لمطالعة قبل الشروع في طلب العلوم الآلية والشرعية وبارشاده كان لهذا العاجز طريقة خاصة في الطلب مقرونة بالنية الصالحة كان من أثرها ما عبر عنه شيخنا الشيخ حسين الجسر بقوله في ملأ من الناس بدار علي أفندي السمين بطرابلس الشام: إن فلانا ساوى في سنة واحدة من سبق لهم الاشتغال علي سبع سنين من أذكاء الطلاب؛ والفضل في هذا بعد عناية الله وهدايته لأبي حامد الغزالي جزاء الله عنا خير الجزاء. وإنما صرحت بهذا ليعلم من يقرأ ترجمة حجة الاسلام في المنار أنني أجري فيها على بينة وخيرة. شمسكنا لاكن يريد أن يكتب عن عالم أوحكم فينظر عند الكتابة إلى بعض ما قيل فيه وبعض ما يؤثر عنه فيختطف من ههنا عبارة ومن هناك إثارة ويحصل ذلك ترجمة، ولترغيب طلاب العلوم لاسيما الأزهريين منهم في التأمل والتبصر فيما نكتب عن هذا الامام ونعري الاستفادة منه ولعل ذلك يكون مشوقا لهم إلى مطالعة الاحياء وغيره من كتبه

﴿ رأي الغزالي فيما يطلب من المتعلم ﴾

فلخص ما يأتي من كتاب العلم من الإحياء مقروناً بالعبارة فقد جاء في الباب الخامس منه في آداب المتعلم والمعلم ما يأتي : أما المتعلم فأدبه ووظائفه (*) كثيرة ولكن ينظم تغاريسها عشر جل
وظائف طالب العلم وآدابه

(الوظيفة الأولى) تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف
إذ العلم عبادة القلب وصلابة السر وقربة الباطن إلى الله تعالى وكما لا تصح الصلاة
التي هي رغبة الجوارح الظاهرة إلا بتطهير الظاهر عن الأحداث والأخبار
فكذلك لا تصح عبادة الباطن وحرارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته عن خبائث
الأخلاق وأنجاس الأوصاف ،

أقول ثم أطال في هذا وقد اشترطه مثله صاحب الدررمة إلى مكالم الشريعة
لطالب علم الحقائق فقال « حق الترشع لتعلم الحقائق أن يراعي ثلاثة أمور
- الأول أن يطهر نفسه من ردي الأخلاق تطهير الأرض للبذر من خبائث
النبات وقد تقدم أن الطاهر لا يسكن إلا بيتاً طاهراً وأن الملائكة لا تدخل بيتاً
فيه كلب » وقد شرح الغزالي هنا حديث عدم دخول الملائكة بيتاً فيه كلب
(وهو في الصحيحين) بطريق الإشارة والاعتبار فقال :

« واعلم أن القلب المشحون بالغضب والشره إلى الدنيا والتكلم عليها
والحرص على التزيق لأعراض الناس كلب في المعنى وقلب في الصورة ، فنور
البصيرة يلاحظ المعاني لا الصور ، والصور في هذا العالم غالبية على المعاني أظنه فيها ،
وفي الآخرة تتبع الصور المعاني وتغلب المعاني فذلك بمحشر كل شخص على

(*) هي جمع وظيفة وهو استعمال موهب وأصل الوظيفة من الشيء ما يقدر له في كل
يوم من رزق أو طعام أو شراب أو علف للدواب ذكره في لسان العرب وقال : وظفنه
توظيفاً أزمها إياه (أي الوظيفة) وقد وظفت له توظيفاً على الصبي كل يوم حفظ
آيات من كتاب الله عز وجل : اه فإطلاق أهل العصر الوظيفة على أعمال
الحكومة له وجه وجيه

صورته المنوية » ثم قال

« فإن قلت كم من طالب رديء الأخلاق حصل العلوم فبهيات ما أبده عن العلم الحقيقي النافع في الآخرة الجالب للسعادة فإن من أوائل ذلك العلم أن يظهر له أن المعاصي مسموم قاتلة لهلكة وهل رأيت من يذاول سما مع علمه بكونه سما قاتلا إنما الذي تسفه من المتوسمين حديث يلقونه بالسنتهم مرة ويرددونه بقلوبهم أخرى وليس ذلك من العلم في شيء قال ابن مسعود رضي الله عنه: ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم تور يقذف في القلب: وقال بعضهم إنما العلم الحشية لقوله تعالى (٣٥ : ٢٨) إنما يخشى الله من عباده العلماء) وكأنه أشار إلى أخص ثمرات العلم ولذلك قال بعض المحققين معنى قولهم تعلمنا العلم تغير الله فإبى العلم أن يكون إلا الله أن العلم أبى وامتنع علينا فلم تنكشف لتأقيقته وإنما حصل لتأقيقه وألفاظه . » فإني قلت أنني أرى جماعة من العلماء الفقهاء المحققين برزوا في الفروع والاصول وعدوا من جملة النحول وأخلاهم ذميمة لم يتطهروا منها فيقال اذا عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الآخرة استبان لك أن ما اشتغلوا به قليل الفناء من حيث كونه علما وإنما غناؤه من حيث كونه عملا لله تعالى إذا قصد به التقرب إلى الله تعالى وقد سبقت إلى هذا إشارة وسيأتي فيه مزيد بيان وإيضاح إن شاء الله تعالى »

أقول المراد بهذه الوظيفة ما نفع عنه بالنزوية النفسية فمن رأيه أنها مقدمة على التعليم وأن من يعلم من لم تهذب أخلاقه كان كمن يقدح الدر أعناق الخنازير، ويعطى السلاح للمجانين، وذلك أن التعلم الفاسد الأخلاق يستعين بعلمه على الشرور والفساد في الأرض كما هو مشاهد . ومن رأي كثير من العقلاء أن علة سوء حال أهل الأزهر هي كونهم أكثرهم ممن لم يتحلوا بهرية ولا تأديب لكونهم من بيوت لا تعرف للبرية معنى ولا لتهذيب سبيلا ولا لعلم قيمة وإنما يقذف أهلها بأولادهم في الأزهر لأجل الخلاص من خدمة العسكرية ولأجل الجراية وأرقم من يقصد أن يكون بعد التعليم قنصيا أو مفتيا ولا شيء من ذلك يمد من طلب العلم لوجه الله وإذا لم يقصد بالعلم الدين وجه الله إحياء هدي كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا إصلاح

حال مجاهد في نفوسهم وأحوالهم الاجتماعية فأبي غناء فيه وكيف يرجى الخير من صاحبه بل لا يشك عاقل في كون طلب العلوم الدنيوية لا يكون مرقيا لنفس صاحبه وحاملا له على خدمة أمته بالاخلاص النافع الا اذا صحبته تربية النفس وتهذيب الاخلاق وحسن النية فن كل فاسد الاخلاق اتخذ العلم وسيلة لحفظ الدنيا وشهواتها لا ليالي في سبيلها بأمة ولا ملة . ففساد الاخلاق هو السبب في قلة النافعين في علوم الدنيا والدين ، وقلة العاملين المخلصين من يعدون نافرين ، ولو كانت نفوس أكثر المتعلمين منا أو الكثير منهم عالية وأخلاقهم كاملة لسهل عليهم النهوض بهذه الامة الى أوج العزة في زمن قصير ، ولكن بلاءنا بفقد التربية أضاعف بلاننا بنقص التعليم ، واذا قد قرأت بعض كلمات حجة الاسلام في علماء الدين في عصره المنير فإذا تقول فيهم في عصرنا هذا ؟ ثم قال

(الوظيفة الثانية) ان يقلل (وفي نسخة يفرغ) علائقه من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الاهل والوطن فان الملائق شاغلة وصارفة (٤: ٣٣) ما جعل الله لرجل من قلوبين في جوفه) ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ولذلك قبل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا أعطيتك كلك فأنت من اعطائه إياك بعضه على خطر (يريد على شك) والفكرة المتوزعة على أمور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فنشفت الارض بعضه واختطف الهواء بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ المزارع ، أقول انه جعل الرحلة ومقارعة الوطن والاهل وتقليل الملائق والشواغل وظيفة واحدة لأن الغرض منها فراغ الفكر وصفاء الذهن فكأنه هو الوظيفة المقصودة وقد عقد ابن خلدون في مقدمته فصلا للرحلة في طلب العلم وكونها مزيد كمال في التعليم وما زال الناس على هذا في الشرق والغرب حتى ان أهل المملكة الواحدة من ممالك أوربا لا يكتفون بالرحلة من بلد من بلادهم الى آخر لجودة التعليم في مدارسها واتساع دائرة العلوم فيها بل يرحل منهم كثيرون الى مدارس مملكة أخرى كرحلة أهل فرنسا وانسكترا الى سويسرا وألمانيا . ثم قال

(الوظيفة الثالثة) أن لا يشكبر على العلم ولا يتأمر على المعلم بل يلتقي به زمام أمره بالكيفية في كل تفصيل ويدعن لتصبيته اذعان المريض الجاهل لطبيب

المشفق الحاذق . وينبغي ان يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرع بخدمة ...
 فلا ينبغي لطالب العلم ان يشكبر على المعلم ومن تكبره على المعلم أن يستكشف عن
 الاستفادة الا من المرموقين المشهورين وهو عين الحماقة . ومهما أشار عليه المعلم
 بطريق في التعلم فليقلده وليدع رأيه فان خطأ مرشده أضع له من صوابه في نفسه
 اذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع انه يعظم فعها وبالجملة كل
 متعلم اسبق لنفسه رأيا واختيارا دون اختيار المعلم فاحكم عليه بالاخفاق والخسران ،
 أقول ذكر في هذه الوظيفة كثيرا من الاداب قد يتوقف في تقليد المعلم منها
 ويظن ان هذا مخالف لما ذكرناه عنه من سلوك طريق الاستقلال في العلم وانما
 يظن هذا من يغفل عن الفرق بين العلم نفسه وبين طريق التعليم فتحكم الطلاب
 في طريقة الاستاذ في التعليم خرق وفساد لا يجوز بحال ولو جاز هذا لكان مؤديا
 الى الحال عند ما يقترح كل طالب طريقة غير القدي اقترحها الآخر وأنى يكون
 للتلميذ رأي في طرائق التعليم وهي مما لا يعرف الصواب فيها الا بعض العلماء المجهزين
 وانما ينته هذا على ظهوره ليمتد به طلاب العلم في الازهر فان كثيرا منهم يمدون
 عقبة في طريق اصلاح التعليم بما جروا عليه من الفادات في المطالعة والفهم بطريق
 التفكيك وتبعية المفردات والاعراض عن الاساليب والنظام الشروح والخواشي
 والتقارير وقد كملت غير واحد من المدرسين في تحسين طريقة التعليم بالجري
 على الاساليب الحديثة فاعترفوا بأن المهاجرين يتوكون دروسهم اذا هم تركوا
 المؤلف فيها . وانما يأتي هذا الافساد من المهاجرين الذين ألفوا طريقة الازهر
 الصيقة بطول الجري عليها اذا المبتدى . لا رأي له وكان المنتظر من هؤلاء اذا تحكوا
 في ذلك أن يكونوا وسيلة للاصلاح لا لبقاء على الخطأ القديم . نعم ان فيهم من يطلب
 الاصلاح فلا يجدهم وهم الاذكياء من تلاميذ الاستاذ الامام رحمة الله تعالى وقد
 وجدوه الآن بمدرسة القضاء الشرعي وسيظهر أثر ذكائهم واستقلالهم بعد زمن
 قصير ان شاء الله تعالى

على أن التقليد في العلم نفسه ضروري بالمبتدى حتى يصور اهلا للنظر والاستدلال ،
 فعند ذلك يسلك طريق الاستقلال ، ثم قال

(الوظيفة الرابعة) أن يحترز الخاض في العلم في مبدأ الامر عن الاصناء الى اختلاف الناس سواء كان ماخاض فيه من علوم الدنيا أو من علوم الآخرة فإن ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رأيه ويؤسسه من الادراك والاطلاع بل ينبغي ان يتقن أولا الطريقة الحميدة المرضية عند أسناذه ثم بعد ذلك يصغي الى المذاهب والشبهه وإن لم يكن أسناذه مستتلا باختيار رأي واحد وإنما عادته نقل المذاهب وما قيل وفيها فليحذر منه فإن إضلاله أكثر من إرشاده فلا يصلح الاصحى لقود العميان إرشادهم . ومن هذا حاله فهو يمد في هي الحيرة وتيه الجبل

« ومنع المبتدي من الشبه يضاهي منع الحديث الهد بالاسلام من مخالطة الكفار . وندب القوي الى النظر في الاختلافات يضاهي حث القوي على مخالطة الكفار ولهذا يمنع الجبان عن التهجيم على صف الكفار وندب الشجاع له . ومن النقلة عن هذه الحقيقة ظن بعض الضعفاء ان الاتقاء بالأقوياء فيها ينقل عنهم من المساهلات جائز ولم يدرك أن وظائف الأقوياء تخالف وظائف الضعفاء » الخ أقول وقد جربته هو على ذلك فإنه أقرن في الفقه مذهب الشافعي وفي الكلام مذهب الأشعري ثم نظر في سائر المذاهب والآراء على طريق الاستقلال ومن لم يتقن في أول أمره شيئاً قلما يستفيد بذلك من الخلاف الاجرة واضطراباً . وما حذر عنه من الاخذ عن الذين يتقلون المذاهب والاقوال ويعجزون عن تأييد شيء منها هو من أنفع ما يساق الى مجاوري الازهر الذي يكثر فيه أمثال هؤلاء المعلمين الذين لا يكادون يميزون في مسألة خلافية بشيء واشتهر بعض كبارهم بذلك حتى صار بعض المجاورين يظن ان سرد الاقوال والآراء في المسألة هو السكال في العلم وما هو الا متعدي الجهل الذي ينصب بالاستعداد للعلم حتى ان من طال عهده به لا يمكن أن يكون عالماً وحسبك بحجة الاسلام مخبراً وناصحاً . ثم قال

(الوظيفة الخامسة) أن لا يدع طالب العلم فنا من العلوم المهمة ولا نوعاً من أنواعه الا وينظر فيه نظراً يطلع به على مقصده وغايته ثم ان ساعده العمر طلب التبحر فيه والا اشتغل بالأهم منه واستوفاه وتعرف من البقية (أي أخذ منها الحرف

والتوادر) فان العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض ويستفيد منه في الحال الانفكاك
عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس أعداء ما جهلوا قال تعالى (١١:٤٦)
واذ لم يهتدوا به فسبقولون هذا إلك قديم) وقال الشاعر:

ومن بك ذا فم مريض يمد مرا به الماء الزلالا

فالعلوم على درجاتها اما سالكة بالبعد الى الله تعالى أو معينة على السلوك
نوما من الاعانة ولها منازل مرتبة في القرب والبعد من المقصود. والقوام بها حفظة
كحفاظ الرباطات والثغور ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته أجر في الآخرة
إذا قصد به وجه الله تعالى « اه كلامه

أقول وهذا الكلام الاخبر مبني على ماقرره في هذا الكتاب من كون جميع
العلوم النافعة في الدين أو الدنيا مفروضة ديناً حتى فنون الصناعات التي عليها مدار
العميشة فانها من فروض الكفايات كفنون اللغة وكصناعة الجنازة ومتى صلت
نية القائم بها وأحسن عمله بالصدق وعدم الفش كان يتعلمه هذه الفنون وبسببه
فيها عابداً لله تعالى مستحقاً لثواب في الآخرة

وأما ماقرره من طلب الاطلاع على جميع العلوم والفنون المتداولة في العصر
فهو ما جرى عليه في تربيته لنفسه وعليه علماء فن التعليم من أهل هذا العصر وهو
حجة على كثير من شيوخ الدين عندنا فانهم لجهلهم بأنفع علوم العصر الكونية
والعقلية يهادونها ويفترون طلاب العلوم الدينية منها فيجتنون بذلك على دين أمتهم
ودنياها ويمدون الناس عن الدين بزعمهم ان هذه العلوم تنافي الدين كما قاله
الامام الغزالي في أمثالهم من أهل عصره وسيأتي نقله عنه في فصل الكلام عن
رأيه في العلوم . ثم قال :

(الوظيفة السادسة) ان لا يخوض في فن من فنون العلوم دفعة بل يراعي
الترتيب وينتدى بالام فان العمر اذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالباً فالخزم ان
يأخذ من كل شيء أحسنه ويكتفي منه بشيء ويصرف جهام قوته في الميسور من
علمه الى استكمال العلم الذي هو أشرف العلوم وهو علم الآخرة »

أقول ان هذا مسلم في جملة عند علماء فن الترية والتعليم من أهل هذا المصر وهو مرتبط بما تقدم في الوظيفة الخامسة وقد صار الكثيرون من أهل الغرب الذين اتسعت عندهم دائرة العلوم وكثرت فروعها يصرفون جهام قوتهم الى اتقان فرع من فروع العلم الواحد كطب الميون أو طب الأذان أو طب الامراض العصبية من علم الطب مثلاً وذلك بعد تناول طرف من كل علم وفن كما تقدم . وأما كون علم الآخرة هو أشرف العلوم فسيأتي بيان المراد منه وقد ذكر فيه هنا ما لم نر من الصواب ذكره ثم قال

(الوظيفة السابعة) ان لا يجوز في فن حتى يسوفي الفن الذي قبله فان العلوم مرتبة ترتيباً ضرورياً وبعضها طريق الى بعض والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدرج قال تعالى (١ : ١٢١) الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته (أي لا يجاوزون فنا حتى يحكموه علماً وعملاً . وليكن قصده في كل علم يتحواه الترقى الى ما فوقه . فينبغي ان لا يحكم على علم بالنسبة لوقوع الخلف بين أصحابه فيه ولا بخطأ واحد أو آحاد فيه ولا بمخالفتهم موجب علمهم بالعمل . فتري جماعة تركوا النظري العقليات والفقهيات ممثلين فيها بأنهم لو كان لها أصل لأدركه أربابها وقد مضى كشف هذه الشبهة في مهبّار العلم . وتري طائفة يستمدون بطلان الطب خطأ شاهده من ظيب ، وطائفة اعتقدوا صحة النجوم لصواب اتفق لواء وطائفة اعتقدوا بطلانه خطأ اتفق لآخر . والكل خطأ بل ينبغي ان يعرف الشيء في نفسه فما كل علم يستقل بالاحاطة به كل شخص ولذلك قال علي رضي الله عنه : لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله : »

أقول ان هذه الوظيفة توجد في أكثر النسخ ومقطعت من النسخة التي شرح عليها الزبيدي فالوظائف فيها تسع . وقد ذكر فيها أمران أحدهما ترتيب العلوم وهو مما لا مجال للخلاف فيه لاسيما في العلوم المتحددة في النوع كالرياضيات فان من لا يتقن الحساب لا يفهم الهندسة لتوقفها عليه والهئية الفلكية متوقفة عليها جميعاً . ولأهل هذا المصر في ترتيب العلوم بالمدارس النظامية إتقان أي إتقان . والامر الثاني الحكم على العلوم بالوقوف عليها ومعرفة موضوعها وغايتها وأهم مسائلها

لا باعتبارات خارجة تؤخذ من حال أهلها كما ينفر بعض شيوخنا عن علوم المصر بشبهة قلة التمسك بالدين من أكثر متعلميها وما يدرهم أن ذلك جاء من سوء التربية لا من طيبة العلوم والحكم على الشيء فرع عن تصوره كما يقولون قال (الوظيفة الثامنة) أن يعرف السبب الذي به يدرك أشرف العلوم وأن ذلك يراد به شيان أحدهما شرف الثمرة والثاني وثاقة الدليل وقوته وذلك كعلم الدين وعلم الطب فإن ثمرة أحدهما الحياة الأبدية وثمره الآخر الحياة الفانية فيكون علم الدين أشرف . ومثل علم الحساب وعلم النجوم فإن علم الحساب أشرف لوثاقته أدلته وقوتها . وإن نسب الحساب إلى الطب كان الطب أشرف باعتبار ثمرة ، والحساب أشرف باعتبار أدلته ، وملاحظة الثمرة أولى ولذلك كان الطب أشرف وإن كان أكثره بالتخمين . وبهذا تبين أن أشرف العلوم العلم بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل إلى هذه العلوم فأياك وإن توجب الإفيه وإن تحرص الإعليه »

أقول يعني بالطريق الموصل طريق الصوفية الذي وصل هومنه بمدان انقطعت به الطرق الأخرى من الكلام والفلسفة ومذهب الباطنية . وهكذا شأن الدعاة يطرقون إلى مقصدهم من كل ناحية اتحوها . ومن الناس من يقول أن أبا حامد يجذب الناس إلى الآخرة حتى يوشك أن تكون قراءة الإحياء وما شاكلة من كتبه من أسباب تعطيل مصالح قارئيه وإضاعة دنياهم وهجر سائر العلوم والفنون وليس كذلك كما ترى في الوظيفة الآتية وإنما هو دعوة إلى الكمال وسنين تحقيق ذلك بعد . ثم قال

(الوظيفة التاسعة) أن يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنة وتجميه بالفضيلة وفي المسالك القرب من الله سبحانه والترقي إلى جوار الملأ الأعلى من الملائكة والمنقرين ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه ومعاراة السفه ومباهاة الأقران . وإذا كان هذا مقصده طلب للاحالة الأقرب إلى مقصده وهو علم الآخرة ومع هذا فلا ينبغي له أن ينظر بين المقاربة إلى سائر لعلوم أضي علم المتأوى (يعني به ما يسمى الفقه) وعلم النحو والفقه المتعلقين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما

أوردناه في المقدمات والتمتات من ضروب العلوم التي هي فرض كفاية (كنفون الصناعات كلها) ولا تفهم من غلونا في الثناء على علم الآخرة تهجين هذه العلوم فالتكفلون بالعلم كالتكفلين بالتقوى والمراغبين بها والفرقة المجاهدين في سبيل الله منهم المقاتل ومنهم الردء ومنهم الذي يسقيهم الماء ومنهم الذي يحفظ دوابهم ويتعهد بها ولا ينفك أحد منهم عن أجر إذا كان قصده إعلاء كلمة الله تعالى دون حيازة الثنائيم فكذلك العلماء قال الله تعالى (٥٨ : ١١) برفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات (وقال تعالى (٣ : ١٦٣) م درجات عند الله) والفضيلة نسبية (أي بينهم) واستحقاقنا الصيافة عند قياسهم بالملك لا يدل على حقارتهم إذا قيسوا بالكناسيين . فلا تظن أن منازل عن الرتبة القصوى ساقط القدر بل الرتبة العليا للأنبياء ثم الأولياء ثم العلماء الراسخين في العلم ثم الصالحين على تفاوت درجاتهم . وبالجملة من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ، ومن قصد الله بالعلم أي علم كان فعه ورفعه لأمحالة أقول يعني رحمه الله تعالى أنه ينبغي لطالب الكمال أن يطلب بالعلم الذي يتوجه لتحصيله وجه الله تعالى أي الوجه الذي يرضيه وهو الذي فيه إقامة سنده في النظام العام ومنفعة الأنام وذلك مدعاة لاتقان الأعمال وحسن النية فيها وانتفاء الفش بها وهل ثم من طريق الكمال الانساني أقرب من هذا ؟ ألسنا نشاهد نشوء الفش والطمع والاحتبال والقسوة وأشياء هذه الرذائل في أهل العلوم والفنون والصنائع الذين لا يعرفون الله ولا ينتفون وجهه ؟ ثم قال :

(الوظيفة المباشرة) أن يعلم نسبة العلوم الى المقصد كما يؤثر الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره ومعنى المهم ما يهتك ولا يهتك الا شأنك في الدنيا والآخرة وإذا لم يمكنك الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن ، وشهد له من نور البصائر ما يجري له من مجرى البيان ، فالأهم ما يقي أبد الآباد ، وعند ذلك تصير الدنيا منزلا والبدن مركبا والأعمال سعيًا الى المقصد ولا مقصد الا لقاء الله تعالى فيه التميم كله وان كل لا يعرف قدره في هذا العالم الا الأقول « الخ ما أطال به في هذه المسألة

أقول اذا أخذنا قول أبي حامد هنا على ظاهره نحكم بأنه غلط في قوله إن القرآن نطق بأنه لا يمكن الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة فإنتنا نسمع منادي القرآن يتلو علينا في سورة الاعراف وهي من السور المحكية التي بين فيها أصول الدين وكنياته ﴿ ٧٠ : ٢٣ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هي لذن آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك فصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ ولكن المقول الذي نطق به القرآن هو أن من آثر الحياة الدنيا على الآخرة وكان لا يعمل إلا لذاتها وشهواتها يفوته حفظه من الآخرة كله أو بعضه وذلك ان حظ الانسان في الآخرة يكون على حسب ارتقاء نفسه في الحق والخير والاخلاص وغير ذلك من ثمرات الايمان ، وإيثار الشهوات يضيف هذه الاشياء حتى يذهب بها من النفس شتى حيوانية شيطانية . ومن الآيات المثبتة لهذا التفصيل قوله (٢ : ٢٠٠) فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق ٢٠١ ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ٢٠٢ أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب) وقوله (٢٩ : ٣٧) فأم من طغى ٣٨ وآثر الحياة الدنيا) انخ الآيات . وإنتا نجد في كلام أبي حامد ما يوافق هذا التفصيل في مواضع من الاحياء ككتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال والجاه وغيرها من كتب الاحياء ولذلك يمكن حمل كلامه هنا على ان المراد بكل من ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة مرتبة السكال فيهما فان من كان همه استكمال الذات البدنية لا يمكنه ان يستمد لتحصيل كال نعيم الآخرة المدبر عنه بقاء الله تعالى والفوز برضوانه الاكبر بل ربما تغذر عليه الاستعداد لما دون ذلك كما ينهم من التفصيل المذكور آنفاً

ثم بين أبو حامد بعد وظائف المنعلم وظائف المعلم المرشد ويعني بالمرشد -
المرابي لنفس المذهب للأخلاق فقال :

بيان وظائف المعلم المرشد

« اعلم ان للانسان في علمه أربعة أحوال كحاله في اثنائه الأموال اذ لصاحب المال حال استفادة فيكون مكتسباً وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنياً عن

السؤال وحال اتفاق على نفسه فيكون منتفعا وحال بذل لغيره فيكون به سخيا منتفلا وهو أشرف أحواله . فكذلك العلم يقتضى كمالا فله حال طلب واكتساب وحال تحصيل يفتى عن السؤال وحال استبصار وهو التفكير في الحاصل والمنتج به وحال تبصير وهو أشرف الأحوال فمن علم وعمل فهو الذي يدعي عظياني ملكوت السموات فإنه كالشمس تضيئ لغيرها وهي مضيئة في نفسها وكالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب . والذي يعلم ولا يعمل به كالمقدر الذي يبيد غيره وهو خال عن العلم ، وكالمسنن الذي يشعد غيره ولا يقطع ، والابرة التي تكسو غيرها وهي عارية ، وذباة المصباح (فتيلته) تضيئ لغيرها وهي تحترق كما قيل :

ما هي الا ذباة وقدت تضيئ للناس وهي تحترق

ومما اشتغل بالتعليم قد تقلد أمرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ آداب ووظائفه (الوظيفة الاولى) الشفقة على المتعلمين وأن يجربهم مجرى بنيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما أنا لكم مثل الوالد ولده » (١) بأن يقصد إيقادهم من نار الآخرة وهوأم من إيقاد الوالدين ولدها من نار الدنيا ولذلك صارحق المعلم أعظم من حق الوالدين فإن الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة القانية والمعلم سبب الحياة الباقية ولولا المعلم لانساق ما حصل من جهة الأب الى الملاك الدائم وإنما المعلم هو المفيد للحياة الآخورية الدائمة أعني معلم علوم الآخرة أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا فهو هلاك وإهلاك نموذج بالله منه

« وكما أن حق أبناء الرجل الواحد أن يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد كلها فكذلك حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتواد ولا يكون الا كذلك اذا كان مقصدهم الآخرة ولا يكون الا التحاسد والتباغض إن كان مقصدهم الدنيا » الخ أقول غرض أبي حامد رحمه الله تعالى أن أول شيء يطلب من المعلم المربي

(١) رواه أبو داود والنسائي وإبنا ماجه وحبان من حديث أبي هريرة وليس فيه كلمة « ولده » ولفظ أبي داود « إنما أنا لكم مثل الوالد أعلمكم » الخ وفي سنده من تكلم فيه

هو أن يكون تلاميذه كأولاده في تربيتهم بالشفقة والرحمة دون النلفة والقسوة ومن لوازم الرحمة والشفقة حفظ كرامة الناشئ وتربية ملكة العزة والشرف في نفسه ومن لوازم القسوة إهائته وتقصيره ولا شيء يفسد الاخلاق كالقسوة في التربية وامتهان المربي واحتقاره بالقول أو المعاملة . ولا أعون على التربية مع الرحمة والتكريم من السير فيها على هدي الدين . من قصد الآخرة والتجذير من الفرور بمفاسد الدنيا وحفظها المحقرة وقد جرى أهل المدارس الدينية في هذا العصر على طريقة الرحمة والتكريم في التربية ولكنهم أهملوا أمر الدين فكان أكثر المتخرجين في مدارسهم لاهم لهم من حياتهم الا التمتع بالشهوات وطلب المال من غير مبالاة بمحرام ولا حلال . ثم قال

(الوظيفة الثانية) أن يقتدي بصاحب الشرع صلوات عليه وسلامه فلا يطلب على إفاضة العلم أجرا ، ولا يقصد به جزاء ولا شكرا ، بل يعلم لوجه الله تعالى وطلباً لتقرب اليه ولا يرى لنفسه منة عليهم وان كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم إذ هذبوا قلوبهم لأن تقرب الى الله تعالى بزيادة العلوم فيها كالذي يصيرك الأرض لتزرع لنفسك فيها زراعة فتغنئك بها تزيد على منفعة صاحب الأرض فكيف تغد منة ؟ وثوابك في التعليم أكثر من ثواب المتعلم عند الله تعالى ولولا المتعلم ما نلت هذا الثواب فلا تطلب الاجر الا من الله تعالى كما قال عز وجل (٢٩: ١١) ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجري الا على الله) فان المال وما في الدنيا خادم البدن والبدن ركب النفس ومطيتها والمخدوم هو العلم إذ به شرف النفس فمن طلب العلم بالمال كان كمن مسح أسفل نعله بوجهه لينظفه فجعل المخدوم خادما والمخدوم مخدوماً وذلك هو الاتسكاس على أم الرأس ومثله هو الذي يقوم في العرض الأكبر مع المجرمين ناكس الرأس وسهم عند ربههم وعلى الجملة فالفضل والمنة للعلم . فانظر كيف انتهى أمر الدين الى قوم يزعمون أن مقصودهم التقرب الى الله تعالى بما هم فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيها وفي غيرها فإنهم يبذلون المال والجاء ويتعاملون أصناف القل في خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات ولو تركوا ذلك تركوا ولم يختلف إليهم

« ثم يتوقع المعلم من المتعلم أن يقوم له في كل نائبة وينصر وليه ويمادي عدوه ويتشبه حمارا له في حاجاته مسخرا بين يديه في أوطاره فان قصر في حقه ثار عليه وصار من أعدى أعدائه . فأخس بعالم يرضى لنفسه بهذه الموقلة ثم يفرح بها ثم لا يستحي من أن يقول : غرضي من التدريس نشر العلم ثوبا الى الله تعالى ونصرة لدينه : فانظر الى الأمارات ، حتى ترى ضروب الاعتقادات »

أقول أما أخذ الأجرة على التعليم ففيه بحث وان كنا لانخالف أبا حامد في كون ما ذكره هو الكمال اللائق بعلماء الدين لاسيما اذا كانوا في سمة من العيش ولكن التعليم قد صار صناعة لا يتقنها الا من اقتطع لها عن الأعمال والمكاسب فمن كانت هذه حاله لا يمنع إخلاصه في التعليم وإتقائه وجه الله به قبول الأجرة عليه لاسيما اذا كانت الأجرة من المصالح العامة كالأوقاف وغزائن الحكومات وإدارات المدارس التي تنشئها الجمعيات أو الأفراد

وأما ما قاله في العلماء الذين جعلوا الدين أحبوة لصيد المال والجاه والتقرب من الأمراء والحكام فهو الحق الأبلغ وكذلك كلامه فيمن يحاولون استخدام تلاميذهم وتسخيرهم في منافعهم والاتصار لهم . وإذا كان هذا شأن الكثير من الفقهاء والمتكلمين في عصره فاذا كان يقول لورأى علماء الدين في عصرنا هذا ؟؟

فليعتبر المستبرون ثم قال

﴿ الوظيفة الثالثة ﴾ أن لا يدع من نصيح المتعلم شيئا وذلك بأن يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها واتشغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي . ثم ينبه على ان الغرض بطلب العلوم القرب من الله دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ويقدم تقييد ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن . فليس ما يصلحه العالم الفاجر بأكثر مما يفسده . فان علم من باطنه أنه لا يطلب العلم الا لدنيا نظر الى العلم الذي يطلبه فان كان هو علم الخلاف في الفقه والجدل في الكلام ، والفتاوى في الخصومات والأحكام ، فيمنعه من ذلك فان هذه العلوم ليست من علوم الآخرة ولا من العلوم التي قيل فيها : تملنا العلم لنهر الله فأبني العلم أن يكون الا لله : وإنما ذلك علم التفسير وعلم الحديث وما كان الأولون يشغلون به من علم الآخرة

ومعرفة أخلاق النفس وكيفية تهذيبها فإذا تعلمه الطالب وقصده الدنيا فلا بأس أن يتوكله فإنه يشمله طمعا في الوعد والاستباحت ولكن قد يتنبه في أثناء الأمر أو آذره اذ فيه الصلوم المحرقة من الله تعالى المحقرة للدنيا المظلمة للآخرة وذلك يوشك أن يؤدي الى الصواب في الآخرة حتى يتم بما يعط به غيره ويمجى حب القبول والجاه يمجرى الحب الذي يثر حوالى الفخ ليقتنص به الطير وقد فضل الله ذلك بمباهة إذ جعل الشهوة ليصل الخلق بها الى بقاء النسل ، وخلق أيضا حب الجاه ليكون سببا لاجراء العلوم وهذا متوقع في هذه العلوم

« فاما الخلافات المفضة ومجادلات الكلام ومعرفة التفاريع الغريبة (أي في الفقه) فلا يزبد التفريغ لها مع الإعراض عن غيرها الا قسوة في القلب وغفلة عن الله تعالى وتعاديا في الضلال وطالبها لجاه الامن تداركه الله تعالى برحمته أو مزج به غيره من العلوم الدينية ولا يبرهان على هذا كالتجربة والملاحظة فانظر يا أخي واعتبر واستبصر لتشاهد تحقيق ذلك في السباد والبلاد والله المستعان »

أقول هذا ما يقوله حجة الاسلام في الفقهاء والمتكلمين أيام كانوا أئمة في هذه العلوم بهم ارتقت واتست دوائرها وكانت محتاجا اليها لوجود الفلاسفة والمبدعة الذين يرد عليهم المتكلمون ولكن جميع الاحكام في بلاد المسلمين كانت جارية على أحكام الفقه وهو مع ذلك يمد علومهم دنيوية ويقول إنه علم بالتجربة كما علم بالبرهان أنها لا تزيد القلب الا قسوة وحبا في الدنيا وإعراضا عن الله تعالى فإذا نقول في المنقطعين لهذه العلوم اليوم وهم مقلدون لأوائلك الذين كانوا في عصره ولكن دونهم ممن يعدم الحاجة الى علومهم الآن ليست كالحاجة اليها في عصره فان معظم فقهم لا يحكم به أحد من حكام المسلمين اليوم ومعظم علم الكلام الذي يزاولونه لا حاجة اليه لأنه عبارة عن رد على الفلسفة اليونانية التي نسخت بالفلسفة المصرية وعلى المعترضة الذين انقضوا

مع هذا ترى شيوخ العصر في الأزهر وأمثاله من المدارس الاسلامية في سائر البلاد يتبعون بأنهم رجال الدين المحافظون عليه وهم لا يلتفتون الى علومه

الحقيقة التي تهذب النفوس وتصلح القلوب وتربي الارواح من التفسير والحديث والاخلاق وسنن الله في النفس والآفاق وحكمه في المخلوقات كما أوضحه حجة الاسلام في الاحياء . وقد تعب الاستاذ الامام محمد عبده رحمه الله تعالى واجتهد وقامى البلاء ليحصل علم الاخلاق وتاريخ نشأة الاسلام والتفسير الحقيقي مما يدرس في الازهر فلم يصادف من القوم الا إعراضا فاما تفسير كتاب الله على أنه هدى ورحمة وموعظة وعبرة فقد أحياه بنفسه ولذلك مات بموته وأما الأخلاق وآداب الدين وتاريخ الاسلام فقد قرر بحجة تدريسها رسميا ولكنها لا تدرس ولا يحفل بها أحد ومع ذلك كله كانوا يحاربونه بزعم أنهم يشغلهم عن علوم الدين ويرددون بالسنتهم وأقلام الجرائد المنتصرة لهم كلمة « الازهر مدرسة دينية محضة » فليعرضوا هذا القول على ماقرره حجة الاسلام في الاحياء في هذا الموضوع وغيره ولينظروا بعد ذلك مكانه من الصدق . ألا إن الازهر وأمثاله مدارس دنيوية محضة بحسب ماقرره أبو حامد ولا نعرف أحدا من العلماء نازعه فيها قرره ويشهد لذلك أننا لا نرى المتخرجين فيها يحفلون بأمر الدين وإرشاد المسلمين . أين المتصدون تهذيب النفوس وتريسة الأرواح ؟ أين حاة العقائد من شيعات الموم المصرية ، وأهل الغيرة على دين النابتة الحديثة ، أين أنصار السنة ، الحاذلون للبدعة ، أين الدعاة الى الدين ، بحسب مايليق بحال المعاصرين ؟ مهابت صوتك بالنداء لا تسمع منهم مجيباً . ثم قال أبو حامد

(الوظيفة الرابعة) وهي من دقائق صناعة التعليم أن يزجر المتعلم عن سوء الاخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح و بطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان التعريض يهتك حجاب الهيبة ويورث المرأة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرس على الاصرار اذ قال صلى الله عليه وسلم وهو مرشد كل مسلم « لو منع الناس عن فت البعر لقتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شيء » (١) وينبئك على هذا

(١) قال العراقي في الحديث لم أجده الامن حديث الحسن مرسل وهو ضعيف رواه ابن شاهين ؛ قال شارح الاحياء ووجدت بخط الداودي مانصه : ولفظ ابن شاهين « لو منع الناس فت الشوك لقتلوا فيه الند » وفي مناه حديث آخر

قصة آدم وحواء عليهما السلام وما نهيها عنه فا ذكرت القصة لتكون سمرًا بل لتنبه بها على سبيل العبرة . ولأن التعريض أيضاً يميل النفوس الفاضلة والأذهان الدكية الى استنباط معانيه فيفيد فرح التطلع لمعناه رغبة في العلم به ليعلم أن ذلك مما لا ينبغي عن فطنته »

أقول رحم الله أبا حامد ما كان أحرصه على تكريم الطلاب وتنشئتهم على العزة والشرف فهو يدخل على هذا المعنى من كل باب ، ويوصل اليه بأنواع الاسباب ، فأين من هذا ما يجري عليه شيوخ مشهورون من الفلظة والاسباب ، ونبز تلاميذهم بأقبح الألقاب ، حتى صار الذين يثلمون في المدارس الدنيوية يظنون أن التواضع والتكريم للطلاب ، مما وضعه الاقرنج من الآداب ، وهكذا جردنا أنفسنا من آداب ديننا ، حتى صارت تمرى الى غيرنا ، ثم قال

(الوظيفة الخامسة) إن المتكفل ببعض العلوم ينبغي أن لا يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه كعلم الفقه إذ عاده تقييح علم الفقه ومعلم الفقه عاده تقييح علم الحديث والتفسير وإن ذلك نقل محض وسامع وهو شأن العجائز ولا نظر للمقل فيه ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول ذلك فروع وهو كلام في حيز النسوان ، فأين ذلك من الكلام في صفة الرحمن ، فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين ينبغي أن ينجذب بل المتكفل بعلم واحد ينبغي أن يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيره وإن كان مثكلاً معلوم ينبغي أن يراعي التدريج في ترقية المتعلم من رتبة الى رتبة »

أقول إن السبب في مدح كل متكفل بمن أو علم له وذم غيره أو تنقيله شأنه هو ما يسمونه حب الذات فهو لا يريد بذلك الامدح نفسه وتفضيلها على أقرانه ومعاصريه فهو قد يذم العلم الآخر وإن كان عارفاً بآدائه فكيف اذا كان جاهلاً به . ثم قال

(الوظيفة السادسة) أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقى اليه مالا يهله عقله فينفره أو يخط عليه عقله اقتداءً في ذلك بسيد البشر صلى الله عليه وسلم حيث قال « نحن مآشر الأنبياء أمرنا أن نزل الناس منازلهم ونكلمهم على

قدر عقولهم » (١) فليث اليه الحقيقة اذا علم أنه يستغل بفهمها قال صلى الله عليه وسلم « ما أحد يحدث قوماً بحديث لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة على بعضهم » (٢) وقال علي رضي الله عنه وأشار الى صدره : إن ههنا لعلوماً جمة لو وجدت لها حلة : وصدق رضي الله عنه (وفي نسخة الشارح عليه السلام) في قوله قلوب الأبرار قبور الاسرار

(١) هذان حديثان أوردهما في سياق واحد أما الأول فذكر في الجامع الصغير وفي كنوز الحقائق من حديث عائشة بلفظ « أنزلوا الناس منازلهم » معزواً في الأول الى مسلم وأبي داود وفي الثاني الى مسلم فقط . وعزوه الى مسلم سهو من السيوطي والمناوي فإن مسلماً لم يخرج في صحيحه وإنما ذكره في مقدمته بغير إسناد وغير جزم إذ قال « ويذكر عن عائشة » وأما أبو داود فقد أخرجه في الأدب من سننه ورواه كثيرون فمنهم من تكلم في سننه كقول أبي داود إن ميمون ابن أبي شبيب لم يدرك عائشة ومنهم من صححه كالخام وباب خزعة وقال السخاوي حديث حسن . ورواه بعضهم عنها بلفظ « أمرنا رسول (ص) أن ننزل الناس منازلهم » وورد بألفاظ أخرى

وأما الثاني فقد روي في الجزء الثاني من حديث ابن الشخير عن ابن عمر مرفوعاً بلفظ « أمرنا معاشر الانبياء أن نكلم الناس على قدر عقولهم » كذا قال العراقي في تخريج أحاديث الأحياء والحافظ السخاوي في كتابه الجواهر والدرر وفي معناه حديث « حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله » رواه الهيثمي في مسند الفردوس عن علي مرفوعاً وهو في البخاري موقوف ووضع السيوطي في الجامع الصغير بجانبه علامة الحسن .

(٢) ذكر المصنف هذا الحديث في باب قبل هذا الباب بلفظ « ما حدث أحدكم قوماً بحديث لا يفهمونه الا كان فتنة عليهم » ونقل شارح الكتاب عن الحافظ العراقي أنه قال : أخرجه المصنف في الضعفاء وابن السني وأبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف ومسلم في مقدمة صحيحه موقوفاً على ابن مسعود نحوه : اهـ قال الشارح ولفظ حديث ابن عباس « ما أنت يحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم الا اذا كان على بعضهم فتنة »

فلا ينبغي ان يفشي العالم كل ما يعلم الى كل أحد هذا اذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن أهلاً للاقتناع به فكيف فيما لا يفهمه . وقال عيسى عليه السلام « لا تملقوا الجواهر في اعتناق الخنازير » فان الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من الخنازير ولذلك قيل : لكل لكل عبد بعميار عقله ، وزن له بميزان فهمه ، حتى تسلم منه ، ويفتفع بك ، والا وقع الإنكار ، لثفاوت المعيار ، : وسئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب فقال السائل : أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من كنتم علماً نافعاً جاء يوم القيامة ملجأً بلجام من نار » ؟ (*) فقال أترك الهجام واذهب فان جاء من يفقه وكنتمه فلياجني فقد قال الله تعالى (٤ : ٤) ولا تؤثروا السفهاء أموالكم) تنبيهاً على ان حفظ السلم ممن يفسده ويضره أولى وليس الظلم في إعطاء غير المستحق بأقل من الظلم في منع المستحق * اهـ

أقول يجمل بعض أهل النظر هذه المسألة - إظهار الحقيقة لكل أحد في كل وقت - محل بحث ولبحث فيها من الجهة النظرية مجال ولكن من بلا الناس وعرف شوونهم يحكم في هذه القضية بالسلب حكماً لا ترد فيه ولقد كان الانبياء المؤيدون بعناية الله وآبى يظهرون حقائق الدين بالتدرج ويستعملون الكلام المجمل والكنايات والتجوزات والمتشابهات التي يأخذ منها كل ذي عقل وفهم على مدار عقله وعلمه . نعم لا يجوز لأحد ان يقول قولاً يخالف الحقيقة ليقبله الناس فان فاعل ذلك من الكاذبين الخاشين ، لامن الحكماء الناصحين ، واذا كان هذا ينافي الصدق والحكمة ، فهو أشد منافاة للنبوة ، ومن ثم تعلم ان ما يقوله بعض الباطنية حتى في زماننا هذا من ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام قالوا اشياء تخالف الحقيقة مراعاة لافهام الناس واستعدادهم هو من الباطل الذي لا يدنو من

(*) قال الحافظ العراقي أخرجه ابن ماجه من حديث أبي سعيد ولفظه عند السيوطي في الجامع الكبير « من كنتم علماً مما ينفع الله به الناس في أمر الدين ألجئه الله يوم القيامة بلجام من نار » اهـ أقول وفي الجامع الصغير من حديث ابن مسعود عند ابن عسدي « من كنتم علماً عن أهله ألجم يوم القيامة لجأماً من نار » وهو ضعيف

الصواب منه بل هو دليل على أن هؤلاء الباطنية يستحلون الكذب والفش والخذاع فلا ثقة بأقوالهم ولا بعقائدهم أعني أنه لا يوثق بأنهم يستقدون ما يقولونه ويدعون إليه بل هم طلاب رياسة من طريق الانتحال في الدين وتشكيله بشكل وثني كما يعلم من تاريخهم منذ وجدوا إلى أن ظهروا باسم البائية والبهائية في هذا الزمان . ولهذا الذي قرره أبو حامد في هذه الوظيفة جعل كتابه هذا مرتباً على ما يشبه ترتيب الفقه الذي كانت الرغبات كلها أوجها متوجهة إليه في ذلك العصر استدراجاً لقلوب إليه في ذلك العصر وحذراً أن تنفر منه كما صرح بذلك في فائضه ، ولأجله جعل أحكام الفقه فيه على مذهب الشافعي إلا قليلاً على أن رأيه في الإصلاح قائم على قاعدة إبطال التقليد كما سيأتي عنه فكانه أراد أن يجعل الأحياء مقدمة لما قرره في كتبه التي ألفها بعد ذلك كالتعطاس المستقيم والمنقذ من الضلال والمضنون به على غير أهله . ثم قال

(الوظيفة السابعة) ان المعلم القاصر ينبغي أن يلقي إليه الجلي اللائق به ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقاً وهو يدخره عنه فإن ذلك يفترقه في الجلي ويشوش عليه قلبه ويؤم إليه البخل به عنه إذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق فما من أحد إلا وهو راض عن الله سبحانه في كمال عقله وأشد دم حماقة وأضعفهم عقلاً هو أفرحهم بكامل عقله

« وبهذا يعلم أن من قيد من العوام بقيد الشرع ورسخ في نفسه العناد المأثورة عن السلف من غير تشبيه ومن غير تأويل وحسن مع ذلك سيرته ولم يحتمل عقله أكثر من ذلك فلا ينبغي أن يشوش عليه اعتقاده بل ينبغي أن يخفى وحرقة فانه لو ذكر له تأويلات الظاهر انحلت عنه قيد العوام ولم يتيسر قيده بقيد الخواص فيرتفع عنه السد الذي بينه وبين المعاصي ويتقلب شيطاناً مريداً يهلك نفسه وغيره . بل لا ينبغي أن يخاض مع العوام في حقائق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وتعليم الامانة في الصناعات التي هم بصورها وعملها قلوبهم من الرغبة والرهبة في الجنة والنار كما نطق به القرآن ولا يحرك عليهم شبهة فانه ربما تعلق الشبهة بقلبه ويسر عليه حلها فيشتكي ويهلك

« وبالجملة لا يفتح على العوام باب البحث فانه يعمل عليهم صناعاتهم التي بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص »

أقول أرشد في هذه الوظيفة الى نوع من أنواع التدريج في تعليم طلاب العلوم والى طريق تعليم العامة ومن هذا يتبين لك ان ما يلح بالدعوة اليه من الاعراض عن الدنيا والرغبة في معرفة الله تعالى والعلوم التي تقرب اليه انما هو موجه الى الخواص أصحاب الاستعداد للكمال كما أشرنا الى ذلك وسنزيده بياناً . ثم قال

(الوظيفة الثامنة) أن يكون المعلم عاملاً بعلمه فلا يكذب قوله فله لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالابصار وأرباب الابصار أكثر فاذا خالف العلم العمل منع الرشد وكل من تناول شيئاً وقال للناس لا تتناولوه فانه سم مهلك سخر الناس به واهموه وزاد حرصهم على ما هو عنه فيقولون لولاه أطيبت الاشياء وأقدها لما كان يستأثر به . ومثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والنخل من العود فكيف ينقش الطين بما لا ينقش فيه ومضى استوي الغل والعود أعوج ولذلك قيل في المعنى :

لانه عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم
وقال الله تعالى (٢ : ٤٤) أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم (ولذلك كان وزر العالم في معاصيه أكثر إذ يزل بوزنه عالم تشبه و يقتدون به « ومن سن سنة سيئة فعله وزرها ووزر من عمل بها «) « ولذلك قال علي رضي الله عنه : قصم ظهري رجلان عالم متهنك ، وجاهل متفك ، فالجاهل يفر الناس بتسكك ، والعالم يفرهم بهتك ، والله أعلم « اهـ

أقول يجب أن يكون المعلم مربياً وقوام التربية بالقدرة فاذا كان المعلم لعلوم الدنيا أو الدين سبب الاخلاق فاسد الآداب فانه يفسد نفوس تلاميذه بالفعل وما يقوله لهم من النصائح يكون عندهم من الأقوال التي يقصد بها الفس والرياء فالجهل بها خير لهم من معرفتها

(* العبارة مقتبسة من حديث رواه أحمد ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه

أثار من التاريخ

قطعة من مکتوب شهاب الدين بن مري تلميذ ابن تيمية يعزي اخوانه تلاميذ
شيخ الاسلام عنه ويحثهم على جمع مصنفاته
(أبها الاخوان)

لا نفوسا تقريرات شيوخنا الحاذق الناقد الصادق قدس الله روحه لما في قوله ببارك
ونعالى في بيان الحكم الاربع التي أودعها الله سبحانه في ضمن انكسار عسكر
الرسول في يوم أحد وهي قوله تعالى (وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء
وليمحص الله الذين آمنوا ويحق الكافرين) فلا نهملوا أمر الفكرة الصالحة في
هذه الممانى الشريفة وشيورها ولا تجزئوا لما حصل فإن الله حي لا يموت وهو المتكفل
سبحانه بنصر الدين وأهله والختبر لمبادء بما يتلهم به والخبر بمجمل مصالحهم
والرؤف بهم والمهادي لمن يشاء الى صراط مستقيم ولا يهلك على الله الا هالك
والسميد من قام بما عليه الى وفاته ومن أراد عظيم الاجر التام، ونصيحة الانام،
ونشر علم هذا الامام، الذي اختطفه من بيننا محتوم الحما، ويخشى درس كثير
من علومه المنفردة الفاتحة مع تكرر مرور القياي والايام، فالطريق في حقه هو
الاجتهاد العظيم على كتابة مؤلفاته الصغار والكبار، على جليلة من غير تصرف فيها
ولا اختصار، ولو وجد فيها كثيرا من التكرار، ومقابلتها، وتكثير النسخ بها واشاعتها
وجمع النظائر والاشياء في مكان واحد واغتنام حياة من بقي من اكابر الاخوان، فكاننا
جميعا بكمال الفوت وقدحان، ويكفينا ما عندنا على ما فرطنا من عظيم الأسف، فلو جبه
الله معشر الاخوان لاتعاملوا الوقت الحاضر بما عاملهم به الوقت الذي قد سلف،
فان حياته رحمه الله ورضي عنه كانت مأمولة الاستدراك الفارطات الفاتحات،
وتكثير الفايات والنهايات، فاغتنموا تحصيل كل مهمة في وقتها بلا كسل ولا ملل،
ولا تشاغل ولا بخل، لان هذا المهم الكبير، أحق شيء يبدل في نهضته المال الكثير،
وقد علمتم مضرة التعليل والتسوف وكون ذلك من اكبر القواطع عن مصالح
الدنيا والآخرة فاحتفظوا بالشيخ أبي عبد الله (١) أيده الله وبما عنده من القباثر

والنفائس وأقيموه لهذا المهم الجليل بأكثر ما تقدرون عليه ولو تألم أحيانا من مطالبتلانه قد بقي في فنه فريدا ولا يقوم مقامه غيره من سائر الجماعة على الإطلاق وكل أحوال الوجود لابد فيها من العوارض والانتكار فاحتسبوا مساعدته عند الله تعالى وانهمضوا بمجموع كلفته فإن الشدائد تزول والخيرات تنضم فاحتسبوا مساعدته وليكتب ما عندهم وأنا أستودع الله دينه وما عنده وأوصيه بالصبر أيضا وبمعاونة الله سبحانه فيها هو فيه وإن قصر الاخوان في حقه وليطلب نصيبه من الله تعالى متكلا عليه في رزقه المضمون وبجلا في الطلب لأن ما قسم لابد أن يكون وإنما أحث همكم الصالحة عليه لتحصيل كرايس الرد على عقائد الفلاسفة لأنه ليس في الوجود بهذا المؤاف نسخة كاملة غير النسخة التي بخطي وكانت في الخرستان الشمالي من مدرسة شيخنا وأخبرني الشيخ شرف الدين رحمه الله تعالى أنه أودع المجمع في مكان حرير ولقد شح علي بافناذ هذه الكرايس وقت الذهاب من الشام ولا قوة إلا بالله والكراس الرابع منها أخذه أبو عبد الله من يدي وهو عنده ونسخة الاصل التي بخط الشيخ هي في القطع في الكبير وكانت هناك أيضا وقد بقي من آخر نسختي أقل من ورقة فأوصلوا ذلك الى أبي عبد الله ليكمل النسخة الى عند قوله « فهذا باب وذلك باب والله أعلم بالصواب » ولعلولي نسخة بخط كيس وكلوها لأنه مؤلف لا نظيره ولا يكسر الفلاسفة مثله ومن الله نسأل المعونة على جمع شمل هذه المصالح الجليلة بد شائها، ونعوذ به من عوارض القواطم وأفاتها، لأن الفوت صعب، وغائلة التفريط ردية، وانتهاز الفرص من أهم الأمور وأجمعها لمصالح الدنيا والآخرة وما يملكها الا المأمون، وسيندم المفرطون في استدراك بقايا هذه الأمور الكاملة والمقصرون، كما ندم المنخيلون بطول حياة الشيخ والمفترون وهذه الأمور التي قد أشرت إليها في هذه الأوراق الحفيفة هي أعلا أبواب النصيحة وأنما فيها أعلم لأن الذهاب مضي، والوقت سيف متضي، وكل من ذهب بعده من أكابر الاخوان ماعنه عوض والدهر في إدهار والشروع في زيادة واذا جمعت هذه المؤلفات العزبة الكثيرة ونقل من المسودات عالم ينقل وقبل رأي أبي عبد الله في ذلك كله لأنه على بصيرة من أمره وهو أخبر الجماعة بمخاطن المصالح

المفردة التي قد انقطعت مادتها وقوبل كل ما يكتب مع أصلح الجماعة أو على نسخة الأصل وروجع شيخنا الحافظ جمال الدين الذي هو بقية الخير لثقتهم وخبرته وشغفته ومحرقة على ظهور هذه المواد الصالحة في الوجود ولسة علمه واحاطته بكثير من مقاصد شيخنا المؤلف وروجع الشيخان العالمان الفاضلان المفتنان (القاضي شرف الدين وشمس الدين بن أبي بكر) فانها أحق الجماعة على الإطلاق في المناهج العقلية وغيرها واذكروا للمباحث الأصولية فيها يشبه من المقاصد خوفاً من التصحيف وتغيير بعض المعاني وروجع غيرهم من أكابر الجماعة أيضاً كان في ذلك خير كثير واستدراك كبير ان شاء الله تعالى

(والشيخ أبو عبد الله) سلمه الله هو بلا تردد واسطة نظام هذا الامر العظيم فساعدوه وأزيلوا ضرورته واجمعوا ممتة واغتنموا بقية حياته واقبلوا نصيحتي فيها أتبعته من هذا كله كما كتبت أتتبع ان اغتنم أوقات الشيخ وجمعها على التأليف والاتقان والمقايسة خير من صرفها في مجرد المفاكة والذيفة والمنازمة والنفوس فرطت كثيراً في ذلك الحال والله المسؤول بأن يكفينا مضرة كل الفتور الذي لا حوض عنه بهمال، انه رؤف رحيم، جواد كريم، فان يسر الله تعالى وأعان على هذه الامور السلفية صارت ان شاء الله تعالى موافقات شيخنا فخرية صالحة للاسلام وأهله وخزانة عظيمة لمن يؤلف منها وينقل وينصر الطريقة السلفية على قواعدها ويستخرج ويختصر الى آخر الدهر ان شاء الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم «لا يزال الله يفرس في هذا الدين غرسا يستعملهم فيه بطاعة الله» وقال «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة» والله سبحانه يقول في كتابه (ويخلق ما لا تعلمون) وكما انتفع الشيخ بكلام الأئمة قبله فكذلك ينتفع بكلامه من بعده ان شاء الله تعالى فاتبعوا أمر الله واقصدوا رضى الله بجمع كل ما تقدمت عليه من أنواع المؤلفات الكبار وأشتات المسائل الصغار وسما نسخ الفتاوى المتفرقة وسائر كلامه الذي قد ملئ والله الحمد من الفوائد والفرائد والشوارد فأينظروا الهمم وانذروا الأموال الكثيرة في تحصيل هذا المطلب العظيم الذي لا يصير له هذا هو الذي يلزمنا من حيث

الاسباب، والهام على رب الارباب ومسبب الاسباب، وفاتح الأبواب، الذي يقيم دينه وينصر كتابه وسنة نبيه على الدوام، ويثبت من بؤسه تلك من أنواع الخاص والعام، وكل مجزي في القيامة بسمه (وما ربك بظلام للعبيد)

وقد علم أن الامام أحمد بن حنبل كان ينهى في حال حياته عن كتابة كلامه ليجمع القلوب على المادة الأصلية العظيمة ولما توفي استدرك أصحابه ذلك الامر الكبير فقتلوا عليه وبينوا مقاصده وشهروا فوائده فانتصرت طريقته واقتضت آثاره لأجل ذلك والوجود هو على هذه الصفة قديما وحديثا فلا نياسوا من قبول القلوب القريبة والبعيدة لكلام شيخنا فانه والله الحمد مقبول طوعا وكرها وأين غايات قبول القلوب السليمة اكملانه وتقييم الهمم النافذة لمباحته وترجيحاته ووالله ان شاء الله ليقمين الله سبحانه لنصر هذا الكلام ونشره وتدوينه وفهمه واستخراج مقاصده واستحسان عجائبه وغرائب رجاله الى الآن في أصلاص آبائهم وهذه هي سنة الله الجارية في عبادته وبلاده والذي وقع من هذه الأمور في الكون لا يحصي عدده غير الله تعالى ومن العلوم ان (البخاري) مع جلالة قدره أخرج طريقا ثم مات بعد ذلك غريبا وعرضه الله سبحانه عن ذلك بما لاخطر في باله ولامر في خياله من عكوف الهمم على كتابه وشدة احتفالها به وترجيحها له على جميع كتب السنن وذلك لكمال صحته وعظمة قدره وحسن ترتيبه وجمعه وجميل نية مؤلفه وغير ذلك من الاسباب ونحن نرجو أن يكون مؤلفات شيخنا (أبي العباس) من هذه الورثة الصالحة نصيب كثير ان شاء الله تعالى لانه كان بنى جملة أمور على الكتاب والسنة ونصوص أئمة سلف الأمة وكان يقصد تحرير الصحة بكل جهده ويدفع الباطل بكل ما يقدر عليه لايهاب مخافة أحد من الناس في نصر هذه الطريقة وتبيين هذه الحقيقة وقد علم ان لكتبه من الخصوصية والنفع والصحة والبسط والتحقيق والاتقان والكمال وتسهيل العبارات، وجمع أشد المتفرقات، والتعلق في مضائق الأبواب، بمحائق فصل الخطاب، ما ليس لأكثر المصنفين في أبواب مسائل أصول الدين، وغيرها من مسائل المحققين، لانه كان يحمل النقل الصحيح أصله وعدته في جميع ما يني عليه ثم يعنض بالعقليات الصحيحة التي توافق ذلك

وبغيرها ويجتهد على دفع كل ما يعارض ذلك من شبه المقولات ويلتزم حل كل شبه كلامية وفلسفية كما تقدمت الإشارة الى ذلك ويلتزم أيضاً الجمع بين صحيح المنقول وصريح المقول ويجزم بأن فرض دليلين قطعيين متعارضين من الحال أن كان عقليين أو عقلياً وتقلياً قال لأن الدليل هو الذي يجب ثبوت مدلوله فاما ان لا يكونا قطعيين واما أن لا يكون مدلولاهما متناقضين وعلى هذا المقصد الجليل بنى كلامه المذهب وتقاسمه العجيبة في أول قاعدته الكبيرة الباهرة التي فيها في دفع تعارض العقل والنقل فكانت مقاصده وتحقيقاته في هذا الباب العظيم عجباً من عجائب الوجود وكان يقول لا ينصور ان يتعارض حديثان صحيحان قط الا ان يكون الثاني منهما ناسخاً للاول قال والامام أحمد بن حنبل كان في زمنه يصرح به ويلتزم تحقيقه وانا في زمني التزم حكم هذه القاعدة أيضاً والنهوض بالجواب عن كل ما يعارضها وكان رحمه الله ورضي عنه يذهب عن الشريعة ويحرم حوزة الدين بكل ما يقدر عليه وكان كما علم من حاله لا يخاف في هذا الباب لومة لائم ولا ينثني عما يشقق عنده ولم يزل على ذلك الى ان قضى نحبه، ولقي ربه، فقدس الله روحه، ونور ضريحه، ونصر مقاصده، وأيدقواعده، والله سبحانه يعلم حسن قصده وصحة علومه وورعانه دليله وهو ناصر الحق وأهله ولو بعد حين

وجميع ما وقع من هذه الامور فيه من الدلالة ان شاء الله على شمول أمره وظهور كلمة هذه العلوم الباهرة أكثر مما فيه من الدلالة على خلاف ذلك ولا قوة الا بالله غير ان الاشياء المقدورة فتقر الى أسبابها المعلومة ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في الرئس يوم بدر يجتهد على الاستغاثة بالله التي كانت أكبر أسباب النصره في ذلك اليوم بعد ان عرفه الله تعالى قبل ذلك جليلة مصارع القوم ولما التزمه أبو بكر من ورائه قائلاً له: يا رسول الله أهكذا مناشدتك ربك فانه واف لك بما وعدك؛ لم يترك استغاثته به لعله ان الأمور المقدرة لا بد ان تقع بأسبابها اللازمة لها المعروفة بها ومصداق ذلك ما أنزله سبحانه في تقرير هذا الامر وتحقيقه هذه القاعدة وهو قوله تعالى (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني مدمم بالف من الملائكة مردفين) وما جمعه الله الا بشرى والطمأنينة به قلوبكم وما النصر الا

من عند الله ان الله عزيز حكيم) لانه سبحانه بين حكم الاسباب المتقدمة والمتأخرة ورد الامر الى حقائق التوحيد بقوله (وما النصر الا من عند الله) وهذا هو نهاية مطالب هذا الباب واتباع هذه الاحكام الثابتة على هذه الصفة المؤيدة هو بلا شك أعلا مراتب العبودية واقفها وارفعها في حق مجموع البرية فأكثرها من استعمال هذا الامر الجليل وحسبنا الله ونعم الوكيل

الحمد لله وحده وصلّى الله على خير خلقه محمد وآله وسلام على جميع الصالحين



نموذج من انجيل برنابا

الفصل السبعون^(١)

- ١ وانصرف يسوع من اورشليم بعد الفضح ودخل حدود قيصرية
- فيلبس^(٢) ٢ فسأل تلاميذه بعد أن أنذره الملاك جبريل بالشغب الذي يحم بين العامة قائلاً : « ماذا يقول الناس عني ؟ »
- ٣ أجابوا : « يقول البعض انك ايليا وآخرين ارميا وآخرين أحد الانبياء »
- ٤ أجاب يسوع : « وما قولكم أنتم في ؟ »
- ٥ أجاب بطرس « انك المسيح بن الله »
- ٦ فغضب حينئذ يسوع وانتهره بغضب قائلاً : « اذهب وانصرف عني^(٣) لأنك أنت الشيطان وتحاول ان تسيء الي »
- ٧ ثم هدّد الاحد عشر قائلاً : « ويل لكم اذا صدقتم هذا لاني ظفرت بلعنة كبيرة من الله على كل من يصدق هذا »
- ٨ وأراد ان يطرد بطرس ٩ فتضرع حينئذ الاحد عشر الى يسوع

(١) سورة الفتن على النصار

(١) قابل هذا بما في مت ١٦ : ١٣ - ٢٠ (٢) مت ١٦ : ٢٣

لأجله فلم يطرده ١٠ ولكنه اتهمه أيضاً قائلاً : « حذار ان تقول مثل هذا الكلام مرة أخرى لان الله يلعنك »

١١ فبكى بطرس وقال : « يا سيد لقد تكلمت بنبأوة فاضرع الى الله ان يغفر لي »

١٢ ثم قال يسوع : « اذا كان الهنا لم يرد ان يظهر نفسه لموسى عبده ولا لايلىا الذي أحبه كثيراً ولا لىي ما أتظنون ان الله يظهر نفسه لهذا الجيل الفاقدا لايمان ١٣ بل ألا تظنون ان الله قد خلق بكلمة (١) واحدة كل شيء من العدم وان منشأ البشر جميعهم من كتلة طين ؟ ١٤ فكيف اذا يكون الله شبيهاً بالانسان ؟ ١٥ ويل للذين يدعون الشيطان يخدعهم » ١٦ ولما قال يسوع هذا ضرع الى الله لأجل بطرس، والآخر عشرة وبطرس سيكون وقولون : « ليكن كذلك أيها الرب المبارك آمين (ب) »

١٧ وانصرف يسوع بعد هذا وذهب الى الجليل إيماناً لهذا الرأي الباطل الذي ابتدأ أن يلقى بالعامية في شأنه

الفصل الحادي والسبعون (ت)

١ ولما بلغ يسوع بلاده (١) ذاع في جهة الجليل كلها أن يسوع النبي قد جاء الى الناصرة ٢ فتفقدهوا عندئذ المرضى بمجد وأحضروهم اليه متوسلين

(١) خلق الله كل شيء في كلام واحد بلا شيء منه (ب) يا الله سلطان

(ت) سورة اليفر

(١) ص ١٥٢- ١٢

اليه أن يلمسهم بيديه ٣ وكان الجمع غفيرا جدا حتى ان غنيا مصابا بالشلل لما لم يمكن ادخاله في الباب حمل الى سطح البيت الذي كان فيه يسوع وأمر القوم برفع السقف ودلي على ملاء أمام يسوع ٤ فتردد يسوع دقيقة ثم قال : «لأنخف أيها الاخ لان خطاياك قد غفرت لك»

٥ فاستاء كل أحد لسماع هذا وقالوا : «من هذا الذي يغفر الخطايا؟»

٦ فقال حينئذ يسوع : «لعمري إني لست بقادر على غفران الخطايا ولا أحد آخر ولكن الله وحده يغفر ٧ ٩ ولكن تكاد الله أقدر أن أتوسل اليه لأجل خطايا الآخرين ٨ لهذا توسلت اليه لأجل هذا المريض وإني موثق بأن الله قد استجاب دعائي ٩ ولكي تعلموا الحق أقول لهذا الانسان : «باسم الله (ب) أبائنا اله ابراهيم وأبناؤه قم معافي» ١٠ ولما قال يسوع هذا قام المريض معافي ومجد الله

١١ حينئذ توسل العامة الى يسوع ليتوسل الى الله لأجل المرضى الذين كانوا خارجا ١٢ فخرج حينئذ يسوع اليهم ثم رفع يديه وقال : ١٣ «أيها الرب اله الجنود والآلهة الحي والآلهة الحقيقي الآلهة القدوس الذي لا يموت (ت) ألا فارحهم ١٤ فأجاب كل أحد : «امين» ١٥ وبعد أن قيل هذا وضع يسوع يديه على المرضى فقالوا جميعهم صحتهم

١٦ حينئذ مجدوا الله قائلين : «لقد اقمنا الله بنيه فان الله أرسل لنا نبيا عظيما»

(١) قال عيسى أقمت (أقمت ٢) بالله الحي أنا لا أقدر ان يغفر ذنبا من ذنوب لا يغفر ذنوب الا الله منه (ب) ياخذ الله (ت) سلطان الله حي حق ولي وياق

الفصل الثاني والسبعون^(١)

١ وفي الليل تكلم يسوع سرّاً مع تلاميذه قائلاً: ٢ « الحق أقول لكم ان الشيطان يريد أن يربلكم كالخطة^(١) ٣ ولكني توسلت الى الله لأجلكم فلا يهلك منكم الا الذي يلقي الجبال لي » ٤ وهو انما قال هذا عن يهوذا لان الملاك جبريل قال له كيف كانت ليهوذا يد مع الكهنة وأخبرهم بكل ما تكلم به يسوع

٥ فاقرب الذي يكتب هذا الى يسوع بدسوع قائلاً: « يا معلم قل لي من هو الذي يسلمك ؟ »

٦ أجاب يسوع قائلاً: « يا ربنا يا ليست هذه الساعة هي التي تعرفه فيها ولكن يطن الشرير نفسه قريباً لاني سأنصرف عن العالم »
٧ فبكي حينئذ الرسل قائلين: « يا معلم لماذا تركنا لان الاخرى بنا ان نموت من ان تركنا »

٨ أجاب يسوع: « لا تضرب قلوبكم ولا تخافوا^(٢) ٩ لاني لست انا الذي خلقتكم بل الله الذي خلقكم يحميكم^(ب) ١٠ أما من خصوصي فاني قد أثبت لأهلي الطريق لرسول الله^(ت) الذي سيأتي بخلاص للعالم ١١ ولكن احذروا أن تفشوا لانه سيأتي أنبياء كذبة^(٣) كثيرون يأخذون كلامي ويغسسون انجيلي

١٢ حينئذ قال اندراوس: « يا معلم اذ كر لنا علامة لتعرفه »

(١) يسوع العلامة رسول الله (ب) الله خالق وحافظ (ت) رسول الله

(١) لو ٢٢: ٣١ (٢) يو ١٤: ٢٧ (٣) مت ٢٤: ١١

١٣ أجاب يسوع : « انه لا يأتي في زمنكم بل يأتي بعدكم بمدة سنين حينما يطل انجيلي ولا يكاد يوجد ثلاثون مؤمناً ١٤ في ذلك الوقت يرحم الله العالم فيرسل (أ) رسوله الذي تستقر على رأسه غمامة يضاء يعرفه أحد مختاري الله وهو سيظهره للعالم ١٥ وسيأتي بقوة عظيمة على الفجار ويبدد عبادة الاصنام من العالم ١٦ واني أسر بذلك لانه بواسطته سيعلمن ويمجد الله ويظهر صدقي ١٧ وسينتقم من الذين سيقولون اني أكبر من انسان ١٨ الحق أقول لكم ان القمر سيعطيه رقاداً في صباه ومتى كبر هو أخذه (١) بكفيه ١٩ فليحذر العالم أن يفذه لانه سيفتك ببعدة الاصنام ٢٠ فان موسى عبد الله (ب) قتل أكثر من ذلك كثيراً ولم يبق يشوع على المدن التي أحرقوها وقتلوا الاطفال ٢١ لان القرحة المزمنة يستعمل لها السكي ٢٢ » وسيجيء بحق أجل من سائر الانبياء وسيخرج من لا يحسن السلوك في العالم ٢٣ وستحيي طربا ابراج مدينة آباءنا بعضها بعضاً ٢٤ فتى شوهه سقوط عبادة الاصنام الى الارض واعترف بأني بشر كسائر البشر فالحق أقول لكم ان نبي الله (ب) حيثئذ يأتي

(المتار) وفي موضع آخر من هذا الانجيل بيان سبب تسمية سيدنا عيسى إلهنا وابن الله وهو أن الرومانيين الذين كانوا يحكون اليهود يومئذ رأوا آياته عليه السلام في إبراء البرص وغيرهم من المرضى فقالوا هذا إله إسرائيل قد افتقد شبه كعادتهم في إطلاق اسم الإله على كثير من المخلوقات الخ

(١) الله مرسل (ب) رسول الله

(١) الآية المهمة في القرآن سورة ٥٤

فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

ضحا هذا الباب لاجابة أسئلة المشركين خاصة ، اذ لا يسمع الناس طاعة ، وتشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه ويذكر عمله وظيفته (وله بعد ذلك ان يرمو الى اسمه بالحروف ان شاءه) وان تذكر الاسئلة بالتدرج قالوا وروى ما قدمنا من غير السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وروى ما أجبنا غير مشترك لئلا هذا . ولكن بعضي على سؤاله شهران او ثلاثة اذ يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر وصحيح لا لغفاله

حكم من قال أنا في جاء النبي وحديث توسلوا بجاهي

(ص ٤٨) من أحمد أفندي البدوي في (القناطر الخيرية)

ملخص السؤال ان بعض المجاورين في الأزهر عندهم انخذد كانا كبير البيع الخلاوة وقد وقف خطيباً على جمهور من الافاضل وقال لهم : من قال انا في جاء النبي فقد كفر ؛ فقال له اسائل قال عليه الصلاة والسلام « توسلوا بجاهي فان جاهي عظيم » فأجابه بأن هذا حديث مكذوب هات لي حديثاً من الكتب السنية أو آية من القرآن . ويطلب بلسان أهل البلد بيان الحق في ذلك

(ج) ان الرجل قد أخطأ في كلمة وأصاب في كلمة أعطى في تكفير من قال انا في جاء النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصاب في قوله ان عبارة « توسلوا بجاهي » الخ ليست حديثاً مروياً عنه صلى الله عليه وسلم بل هي من الموضوعات كما سبق لنا القول في المنازع مرة . أما الكفر بمعنى الارتداد عن الاسلام فهو انما يكون بانكار شيء مما جاء به صلى الله عليه وسلم علم من الدين بالضرورة إجماعاً كالقرآن كله أو بعضه وككون الصلوات المفروضة خمسة . ولعل الرجل ما قال بالتكفير الا وهو يظن ان من قال تلك الكلمة فهو يعني بها ان النبي صلى الله عليه وسلم ينفع أو يضر من دون الله . وهي ليست نصاً في ذلك واذا كان من لوازمها القرية أو البعيدة فلازم المذهب ليس بمذهب لاسيما في باب الردة . واتي أرى الناس يستعملون هذه الكلمة « انا في جاء النبي » لانشاء استعظام الأمر أو استغناءه يقول قائل : فلان شرير يخشى ضره انا في جاء النبي ؛ ويريد الآخر ان يبالغ في تصديقه

فيقولها أيضاً ولا يكاد قائلها يقصد الاستفانة بالنبي صلى الله عليه وسلم لينقذه من شر الرجل . هذا وإن الكلمة لم يرد بها كتاب ولا سنة ولا أئمة الصداقة أو الأئمة ، فتركها أسلم من استعمالها وإن لم تكن كفراً . فلا يلبق أن يحمل اسم النبي (ص) عنواناً على الاستغفار كما هو المستعمل وإن قصد قائلها أنه ينجون من العذاب والعذاب يصيب الخبير والثواب يحمل نفسه في جاء النبي صلى الله عليه وسلم قولاً قصده هذا مخالف لمهدي النبي وما جاء به من أن النجاة في الآخرة إنما تكون بالإيمان والعمل الصالح وأن أمر الدنيا مبني على الأسباب وسنن الله التي لا تتغير والتي بمراجعاتها انتصر المؤمنون معه صلى الله عليه وسلم يوم بدر وهم فئة قليلة ولولا أدهار يوم حنين وهم كثيرون وانكسروا كذلك يوم أحد .

صخرة بيت المقدس

(من ٤٩) من محمد أفندي عبدالكريم بمدرسة الناصرة في مصر
ما قولكم في الصخرة المقدسة الموجودة ببيت المقدس ببلاد الشام وفي أي زمن قدست ومن أطلق عليها اسم القديس وهل هي حقيقة متصلة بالجبل ومعلقة بين السماء والأرض وما هي الحقيقة فيها ؟ لا زلتم كهذا وأوردت من ملجأ قاصدين ودمتم (ج) لم يرد في كتاب الله ولا في أحاديث رسوله وصف الصخرة بالمقدسة وإنما وصفت تلك البلاد كلها بالأرض المقدسة لظهور الأنبياء والمرسلين فيها وبارشادهم تنقدس نفوس الناس من الشرك والذائل . وكانت الصخرة وما زالت قبلة اليهود فهي معظمة وممدودة من الآثار الشريفة لأنها من آثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وليست متصلة بالجبل ولا واقفة في الجو وإنما هي سقف إغاثة صناعية وقد سبق لنا وصفها فراجع من ٢٦٦ من المجلد السادس

مشكلتان في القضاء الاسلامي

(أحدهما واردة على حكم القاضي بجتهاده والثانية على تعدد المذاهب)
وجه الينا السوالين الآتيين بعض كبار علماء القوانين والفقهاء في بلادنا من فضلاء سامرين عنده ورغب الينا أن نجيب عنهما في المنار وقال أنه سأل بهما بعض الفقهاء المشهورين فلم يحسنوا جواباً وقد أجبتنا هناك جواباً بجملة تفصله هنا

﴿ السؤال الاول ﴾

(س ٥٠) قرر الفقهاء ان يكون القاضي مجتهدا ومعناه انه يحكم بما آداه اليه اجتاده ويلزم من هذا ان يكون المتحاكون جاهلين بالاحكام التي يحكم لهم أو عليهم بها وفي ذلك ما فيه وهو مما يمد على الفقه الاسلامي

(ج) ان الدين الاسلامي لم يأت بقوانين وأحكام مفصلة لجسيم ما يحتاج اليه الأمة في معاملاتها المدنية وإلما جاء ببعض القواعد العامة والاحكام التي احتيج اليها في عصر التنزيل وفوض القرآن الأمر فيها يحتاج اليه من أمور الدنيا السياسية والقضائية والإدارة إلى أهل الرأي والمعرفة بالمصالح من الامة بقوله (وأمرهم شورى بينهم) وقوله (٤ : ٨٣) ولو رده إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلموه الذين يستنبطونه منهم) ولهذا أمر بطاعة هؤلاء الذين ساهم أولي الأمر وهم أهل الشورى في الآية الأخرى فقال (٤ : ٥٩) يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) فهذا ما جاء به الاسلام وهو هداية تامة كاملة لاتعمل بها أمة الا وتكون مستقلة في أمورها مرتقية في سياستها وأحكامها يسير بها أهل الرأي والمعرفة في كل زمان ومكان بحسب المصلحة التي تقتضيها الزمان والمكان ومن ذلك ان يضموا القوانين وينشروها في الأمة ويلزموا القضاة والحكام باتباعها والحكم بها ولكن المسلمين لم يهتدوا بذلك على وجه الكمال أما أهل الصدر الأول فقد قاموا بما تقتضيه حال الزمان والمكان بقدر الإمكان لاسيا على عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقد كان ما هو معروف عندهم أنهم المعرفة من أحكام القرآن وأقضية الرسول وسننه في تحريم الدل والمساواة وأيا بمعظم حاجاتهم القليلة بمقتضى السذاجة الفطرية وشطف العيش والتسك بالدين ومن لوازمه قلة الاعتداء والاحتياط فكان يكتب في القاضي أن يكون عالما بما ذكر صاحب بصيرة فيه وعدالة في نفسه بحيث اذا عرض له قضية لم يرد فيها كتاب ولا نمض بها سنة - ولعل ذلك قليل أن يعمل رأيه تطبيقا على العدل وقياسا بما يشبهها مما ورد . ولم يكن الناس في ذلك العهد يشعرون بأنهم في حاجة الى معرفة ما عساه يعرض من أحكام القضايا غير المصوصة ليدون وينشر بل يكن ذلك

متيسرا لفظة لامية على المسلمين وتنفو يرضهم أمر الذين يدخلون في ذمتهم الى حكم أنفسهم بأنفسهم ونتيجة ذلك أنهم لم يكونوا محتاجين الى وضع القوانين ونشرها ولذلك صرفوا همهم الى الدعوة الى الاسلام وما يقيع ذلك من الفتوحات وما يدل على أن ما كانوا عليه كان كافيا في إقامة العدل وراحة الناس وأمانهم بحيث لا يشعرون بحاجة الى معرفة ما كانوا يحكمون به مارواه ابن سعد في الطبقات وابن راهويه عن عطاء قال : كان عمر يأمر عماله أن يوافوه بالموسم فإذا اجتمعوا قال (أي على مسمع الملاة من أهل الموسم الواردين من الجهات) : « يا أيها الناس إني لم أثبت عمالي عليكم ليصيبوا من أضراركم ولا من أموالكم ولا من أعراضكم إنما بئسهم ليحجزوا بينكم وليقسموا فيكم بينكم فمن فعل به غير ذلك فليقم » فما قام أحد إلا رجل قام فقال : يا أمير المؤمنين إن عاملك فلان ضربني مئة سوط : قال : فيم ضربته ؟ قم فاقتص منه : فقام عمرو بن العاص فقال يا أمير المؤمنين إنك إن فعلت هذا يكثر عليك وتكون سنة يأخذ بها من بعدك : قال (عمر) : « أنا لا أقيد وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيد من نفسه ؟ (١) قال (عمر) فدعنا لترضيه : قال « دونكم فارضوه » فافلدى منها بمئتي دينار عن كل سوط بدنيارين اه والشاهد في عدم قيام أحد من أهل الموسم بشكوى العمال غير هذا الرجل وقد كتبنا في المجلدين الرابع والخامس من المنار مقالات أو نبذة في القضاء في الاسلام وما كتبناه في أول النبذة الرابعة مانعه (ص ١٦٦ م ٥)

« أركان القضاء وأصول الحكم في الاسلام أربعة — الكتاب العزيز والسنة المتبعة والاجتهاد في الرأي والمشاورة في الأمر — وإنها لأركان عظيمة » وأصول قومية ، والاساس الذي بذت عليه هذه الاركان « درء المفاسد وجلب المصالح والمنافع » ولهذا كان الاجتهاد شرطاً في القاضي لوجوب تطبيق الاحكام على المنفعة في كل زمان ومكان بحسبه » وأقول الآن فقد كان قضاء المسلمين ممن يسمون بلسان الاوربيين الآن بقضاة العدل والانصاف . ثم أوردنا الاحاديث وآثار الصحابة الدالة على تلك الاركان وما أوردناه في سلفهم في الاستشارة

(١) التودد القصاص وأقاد من نفسه مكنه من القصاص وأقاد القتلى بالقتيل تلهيه

وعدم الاستبداد فيما لائس فيه ما جاء في (ص ١٧٢ م ٥)

« روى الدارمي والبيهقي عن ميمون بن مهران قال : كان أبو بكر إذا ورد عليه عصم نظري في كتاب الله فإن وجد فيه ما يقضي به قضى به بينهم وإن لم يجد في كتاب الله نظر على كانت من النبي صلى الله عليه وسلم في سنة فإن علمها قضى بها فإن لم يعلم خرج فسأل المسلمين فقال « أأثني كذا وكذا فخطرت في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجد في ذلك شيئاً فهل تعلمون أن النبي (ص) قضى في ذلك بقضاء ؟ » فربما قام الرهط فقالوا : نعم قضى فيه بكذا وكذا : فأخذ بقضاء رسول الله (ص) ويقول عند ذلك « الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا » وإن أعياء ذلك دعا رءوس المسلمين وعلماءهم أي القديين هم أولو الأمر في الآية فاستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على الأمر قضى به . وإن عمر بن الخطاب كان يفعل ذلك » وكان يرجع إلى أقضية أبي بكر الخ أقول فأنت ترى أن ماجروا عليه في الصدر الأول كان متعهي السجال الممكن في عمرهم السكاقل لحاجتهم

ولكن حدثت للمسلمين بعد ذلك حاجات أخرى فقد فتحوا المداخن والامصار ودخل الناس في دينهم أفواجا من جميع الأمم والمال فكثرت حاجات العمران وحدثت للناس أقضية كثيرة لم يكن لها نظير في الصدر الأول كما قال عمر بن عبد العزيز تحدث للناس أقضية بحسب ما أحدثوا ثم إن هؤلاء الناس لم يكونوا من فهم الدين والاعتداء به كما كان أهل مصر الأول ومن ثم احتيج إلى وضع قوانين عامة يعرفها الناس ويتقاضون بها وكان يجب بمقتضى هداية القرآن أن يجتمع لذلك أولو الأمر وهم المعبر عنهم في الآثار المذكور آنفا رءوس المسلمين وعلمائهم فيضوه وتجري ما يظاهرونهم إن الأمة الأحكام عليهم ما لم يروا تحويره وتثنيجه ولكنهم تركوا ذلك للأفراد يكتبون متفرقين محتاجة إليه فكثرت المذاهب والآراء وكان ينصب القاضي من هؤلاء الأفراد المتصرفين إلى وضع الأحكام برأيهم واجتهادهم حتى إذا ما ضعف العلم فشق وتقليد أفراد من المصنفين في الأحكام صار الحكم المستبدون يولون القضاء أفرادا من متعلمي مذاهبهم فكان ذلك قصافي القضاء عند المسلمين ، سببه عدم الاعتداء بما سبق تقريره من أصول الدين ، مع ما طرأ عليهم من الأمراض الاجتماعية

والفتن السياسية ، فتجبة التصغير على المسلمين لاشيء منه يلحق بهداية الاسلام
فوض القرآن لجماعة أولى لأمر أن يستنبطوا الأمة ما تحتاج اليه بالشورى
فلم يفعلوا ونهاهم من تقليد الأفراد قتلدهم ونهاهم في آيات كثيرة عن التفرق
والخلاف فتفرقوا واختلفوا ولو وضع لهم أولو الأمر قانونا مدونا لاختلاف فيه
بحيث يصرف الحاكم والمحكومون ما به يتون الحكم اكانوا مهتدين بهدي الاسلام
ولم يمنع ذلك من أن يكون القاضي مجتهدا كما كان في عهد السلف مع التزام أحكام
الكتاب والسنة فان ما يرضه أولو الأمر لمصلحة الدنيا واجب الاتباع بنص القرآن كما
يجب اتباع الله ورسوله وحينئذ يكون جل اجتهاد القاضي في تطبيق أحكام الكتاب
والسنة وقانون أولى الأمر على القضايا وأقله فيها عساه يعرض من القضايا التي أغفلها
القانون ولا نص فيها ويشترط في ذلك أن يقرن اجتهاده باجتهاد غيره كما يحصل
ظهير ذلك في محاكم الاستئناف على الطريقة الأوروبية

(السؤال الثاني)

(م ٥١) ان ماجرى عليه المسلمون من حكم القاضي بأحد المذاهب التي
قلدها الجمهور (وهو مذهب الحاكم العام في كل مملكة غالبا أو دائما) يستلزم اذا استبدل
قاض تابع لمذهب بقاض تابع لآخر أن يحكم القاضي الجديد بمذهبه بين المتناقدين مع
مراعاة مذهب من قبله وقد تكون الشروط الأولى التي التزموها ورضوا بها لموافقتهما
المصلحة باطلة عند القاضي الأخير فتضد المصلحة على أحد المتناقدين أو كليهما .
ومما يدخل في هذا الباب انتقال المتناقدين أو الشرعيين من بلد الى بلد آخر
يختلف مذهبه مذهب الأول . ومثل هذا مما صرحت قوانين الأوروبية بحكمه
(ج) هذا مما يرد على المسلمين وقههم ولا يرد على أصول الاسلام نفسه
وهي التي تلتزم في المنابر بان موافقتها لمصلحة الناس في كل زمان ومكان اذا أقيمت
على وجهها دون هذا الفقه ويسان ذلك يعلم مما تقدم في المسألة السابقة من ان
القرآن وكل ذلك الى أولى الأمر يستنبطونه بالمشاورة بينهم لا يلتزمون في ذلك
الا الأصول المنصوصة المجمع عليها من إقامة ميزان العدل ودرء المفاسد وحفظ
المصالح وهذا لا يمكن مع التقليد الذي هو التزام الأمة بمذهب أحد أفراد ائمتها

السابقين ولذلك نلحي دائماً على التقليد ونقول انه والاسلام ضدان . والحكم بما
يضمه أولو الأمر على ما ذكر ليس تقليدا بل هو عين الاجتهاد . ولا يرد عليه
ما يضمه جماعة منهم في ملكة وبراعية الناس في عقودهم ومعاملتهم ثم ينتقل بعضهم
الى ملكة أخرى وضع أولو الأمر فيها قوانين أخرى على فرض ان الاسلام يجيز
وجود ملكتين مختلفتين في الاحكام ولا ما يقع اذا مات واضع قانون وخلفه
آخرون رأوا تغيير بعض أحكامه فان مثل هذا واقع الآن في الأمم المرتقية
في علم الحقوق فان الأمم يخالف بعضها بعضاً وكل أمة تنسخ وتبدل بعض
أحكام قوانينها آناً بعد آناً ويراعون في ذلك مصلحة من تعاملوا من قبل هذا النسخ
والتبديل . وأي مانع يمنع المسلمين من ذلك غير هذا التقليد الذي خالفوا به
القرآن والسنة ، وأقوان جميع الأمم ،

وجلة القول ان كل بلایا المسلمين في علم الحقوق عندهم منبها للتقليد وهي
كثيرة جداً ولو اتبعوا هدي الكتاب والسنة ، لا نكشف عنهم كل غة ، فقد
وسع الله عليهم ، ولكنهم ضيقوا على أنفسهم ، ولا يمكن اخراجهم من هذه الهوة
أو انقاذهم من هذا المضيق الا بنزع أغلال التقليد من اعناقهم وكسر قيوده
التي في أرجلهم وحينئذ يتسنى لهم في أي ملكة لهم فيها حكم أن يولفوا لجنة
من أهل العلم والرأي والمكانة في الأمة تضع لهم القوانين والأحكام التي ندرأ
هذه المفاسد الكثيرة وتسهل لهم سبل المصالح التي تقتضيها طبيعة زمانهم ومكانهم
علا بهدي القرآن الحكيم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

﴿ حديث « ان للاسلام صوى ومناارا » في طرة المنار ﴾

(ص ٥٢) من م . ح . ن . بالحجاز

المرجو من حضرة الاستاذ الحكيم العالم الرباني سيدي السيد محمدرشيدرضا
أفندي ان يفيدني عن هذا الحديث « ان للاسلام صوى ومناارا كمنار الطريق »
في أي كتاب من الكتب الحديثية المعتبرة هو وفي أي باب هو فصحيح هو
أو ضعيف ويشرح لي معناه لازل في مقام شك ، على رغم أنف كل حاسد
لهم ، أمين

وقد رأيت في (الرحمة المهداة لمن يريد الزيادة على حديث المشكاة) لنجل المرحوم السيد صديق حسن خان ملك بهوبال في باب السلام حديثاً يخالف ما هو على طرة المنار الأغر « ان للاسلام صوى بينا كمنار الطريق » وهو طويل ما أعلم هل القى على طرة المنار له زيادة أم هو كما هو على طرة المنار أرجو الافادة عنه سيدي

(ج) نرون الحديث في الجامع الصغير بافظ الذي نرونه في المنار معزو الى الحاكم عن أبي هريرة وبجانبه علامة الصحة ونرون بعده حديثاً آخر « ان للاسلام صوى وعلامات كمنار الطريق ورأى وجهه شهادة ان لا اله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ونظامه وضوء » وهو معزو الى الطبراني عن أبي المرداء وبجانبه علامة الضعف . أما مثناه فالصوة بضم الصاد المهمة كالنوة حبر يكون علامة في الطريق يهتدى به المارة والجمع صوى ككوى وهو جمع قياسي ككفرقة وغرف . قال في لسان العرب : وفي حديث أبي هريرة « ان للاسلام صوى ومناراً كمنار الطريق » . . . قال أبو عمرو الصوى أعلام من حجارة منصوبة في الفياض والمنازة المبهوتة يهتدى بها . وقال الاصمعي : الصوى ما غلظ من الأرض وارتفع ولم يبلغ أن يكون جبلاً . قال أبو عبيد : وقول أبي عمرو أعجب الي وهو أشبه بمعنى الحديث : اه وقال في مادة (نور) : والمنار والمنارة موضع النور : ثم قال أيضاً : والمنار العلم يوضع بين الشيئين من الحدود وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم « لمن الله من غير منار الأرض » أي أعلامها والمنار علم الطريق . وفي التهذيب المنار العلم والحد بين الأرضين والمنار جمع منارة وهي العلامة نجعل بين الحدين ومنار الحرم أعلامه التي ضربها إبراهيم الخليل على نهينا وعليه الصلاة والسلام على أقطار الحرم وتوابعها وبها تعرف حدود الحرم — الى أن قال — وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه « ان للاسلام صوى ومناراً » أي علامات وشرائع يعرف بها : اه

ومنه يعلم أن تسمية ما بيني في المواني ووضع فيه النور لتهتدى به السفن ليلاً

بالنار له وجهان أحدهما أنه موضع لنور وثانيهما أنه علم بجندى به ولكن الناس بسمونه الفناء وهو لفظ أعجمي لا يمد أن يكون محرفاً عن النار . ويصح أن تسمى الأعلام الحديدية التي توضع في السكك الحديدية لهداية الوابورات بالمناور أيضاً هذا وإنا قد اقبلنا اسم النار من الحديث الشريف فثأولاً بأن يكون مينا لصوى الاسلام وقاصباً لأعلامه وموضماً لنور الحقيقة التي نحتاج اليها في حياتنا المليئة والاجتماعية والله الموفق والمعين

﴿ الرخصة لأصحاب الاشغال الشاقة بفطر رمضان والقديرة ﴾

(ص ٥٣) من أمين محمد افندي الشياشي بمصلحة السكة الحديدية بأبوترا (السودان)

فضيلة الاستاذ المرشد

بسم تقديم واجب الاحترام أوجوكم الجواب على السؤال الآتي وهو انا محال مصلحة السكة الحديد السودانية نشتغل باجهااد النفس في ورش جدرانها وأسقفها من حديد ولا يخفى على فضيلتكم أن موقع السودان وشدة الحرارة وتأثيرها في تلك الورش شديد جداً كالا يخفى على فضيلتكم ما للفقول الاحمال البدنية من نفشيط المهضم ومرعته فهل يرخص الشرع الشريف للمسلم القدي تحيطة مثل هذه الظروف بافطار شهر رمضان أم لا وإذا رخص الشرع الشريف فما القدي يجب على المفطر اذاؤه جزاء على هذه الرخصة أفيدونا على صفحات مناركم الاغر وفضيلتكم الثواب

(ج) جاء هذا السؤال قبل طبع المزمة الاخيرة من هذا الجزء فبادرنا الى الاجابة عنه من غير مراعاة ترتيب الاستفتاء فنقول : يباح لأصحاب الاحمال الشاقة التي عليها مدار معيشتهم اذا كانوا يتعبون مشقة شديدة بالصيام ان يفطروا ويعطوا عن كل يوم يفطرونه مسكيناً لأن الحرج مرفوع من الدين بنص القرآن وقد ذكر ذلك الفقهاء كما في شرح المنهاج للملي (ص ٣٣٩ ج ٢) وبه فسر الاستاذ الامام قوله تعالى (٢ : ١٨٤) وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) (راجع ٦٥١ م ٧) وأقل ما يطعمه المسكين مد من الطعام وقدر عمل كفي الرجل المعتدل من القمح واذا غداه أو عشاءه أو أعطاه ما يكفي ذلك من الطعام القدي يأكله هو وكفى

أَنَّ كَلِمَةَ الْحَبِيبَةِ

﴿المطبوعات الجديدة﴾

﴿كتاب غريب القرآن للسجستاني﴾

كتب علماء الاسلام في غريب القرآن كتباً كثيرة منها المطول والمختصر ومنها المنشور والمنظوم ومنها مختصر الشيخ أبي محمد بن عزيز السجستاني سماه زهرة القلوب وهو مرئب على حروف المجمع ترتباً خاصاً . وقد طبعه في هذه السنة محمد اخندي الحامحي وشركاؤه طبعاً جيلاً ضبطت فيه كلمات القرآن في الأكثر . فجاء كتاباً لطيفاً بشكل منبر يوضع في الجيب وهو مفيد بفسر الكلمات غالباً بالمعنى المراد وثارة بذكر أصل الاشتقاق

﴿غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب﴾

كتاب للشيخ محمد السفاريني الحنبلي المتوفى سنة ١١٨٨ شرح منظومة الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد القوي المرداوي الحنبلي المتوفى بالثام ٦٩٩ أحد شيوخ نقي الدين ابن تيمية في العربية . وهذا الشرح يدخل في مجلدين فیهما من الاخبار والآثار والفوائد والشوارد مالا يوجد الا في الاسفار الكثيرة فقد كان السفاريني واسع الاطلاع حسن الاختيار في الغالب . وقد طبع كتابه هذا الشيخ عبد الفتاح المجاوي التالسي باذن أحفاد المؤلف وضمن النسخة منه عشرون قرشاً وأجرة البريدي القطر المصري أربعة قروش وهو يطلب من مكتبة المنار وغيرها من المكتبات المشهورة

﴿كتاب الأماي لأبي علي القالي﴾

سبق لنا قول في هذا الكتاب النفيس وهو جزآن يتلوها جزء لطيف سماه ذيل الأماي وجزء آخر ألفت منه مياه التوادر وقد تم طبع الجميع في مطبعة بولاق لأمر به على فقه الشيخ اسماعيل بن يوسف بن صالح بن دياب التونسي القيم بمصر

قلنا في الجزء الأخير من السنة الماضية إن هذا الكتاب من أفضل كتب الأدب وقد عدّه ابن خلدون أحد أركانها الأربعة التي تعد سائر الكتب فروعاً منها .
والثلاثة الأخرى أدب الكاتب لابن قتيبة والكامل للمبرّد والبيان والتبيين
لجاحظ . ففي الكتاب من يختار المنظوم والمثثور للعرب والمختصر من وكبار المولدين
ومن مباحث الفقه والأدب ما هو خير عون على طبع ملكة البلاغة في نفس من
يؤول قراءته . وأما طبعه فنميد القول بأنه لم يطبع بمصر فيما نعلم كتاب بعد المخصص
مثله في الضبط والاتقان مع جودة الورق فحسب أن يقبل عليه عشاق الأدب ولا بد
أن تبشّاع نظارة المعارف طائفة من نسخه

﴿ سفينة النجاة ﴾

كتاب في النحو وضعه لتعليم في مدارس القرب أحد أسانذتها (الأخ بلاج)
وهو مؤلف من أربعة أجزاء لطيفة - الأولى والثاني ذكرت فيه المسائل بأسلوب
السؤال والجواب وضبط بالشكل الثام دون التقرينات الملحقة بها وهما لتعليم
البتدئين في السنة الأولى والثانية ومسائلها تليق بهم ووضع لثالث والرابع
شروح في هوامشها وقد أهدانا المؤلف نسخة من طبعة الكتاب الرابعة فإذا
هي بمكانة من الجودة والضبط والاتقان . ففي نحمد في الأزهر مثل هذه الكتب
لتسهيل التعليم التي سبق علماءنا إليها الأجانب ولولا أن نظارة المعارف سبقت
إلى مثل هذه الكتب وإن هذا المؤلف أخذ عنها وحذا حذوها لسأخ لنا أن نقول
أن الأجانب خير منا في خدمة لغتنا

﴿ سفينة البلغاء ﴾

وأهدانا هذا المؤلف أيضاً نسخة من رسالة في علوم البلاغة الثلاثة مباحها
سفينة البلغاء وهي نحو ستين صفحة ففشكر له هذا وذاك

(التقدّم) جريدة سياسية يومية أنشأها في تونس البشير الفورني وبين أن من
مقاصدها الدعوة إلى الاعتصام بالدين والدفاع عنه وخدمة الجامعة الإسلامية في
بذل النعمائح لأهل الوطن في جميع الشؤون والاعتدال في تنبيه الحكومة إلى ما يجب
فتمتحت القراء والكتاب على تعصيدها بالاقبال عليها واسما دها على هذه الخدمة الجليلة

باب الحجة في الإسلام

❦ سياسة إيطاليا بطامها في بلاد المسلمين ❦

دولة إيطاليا تحاول مجارة الدول الاستعمارية ولكنها تجهل الاستمرار فتسلك اليه غير طريقه وتأتيه من غير أبوابه . ومن المعروف المشهور أن لها طبعاً قديماً في ولاية طرابلس الغرب الصّانية وقد علمنا في هذه السنة أن أطامها قد نطقت بولاية اليمن وأنها منذ زمن غير قريب تدس الدسائس الى امام الزيدية فيها لتقوى عزيمته على محاربة الدولة العلية وتوهم أنها تدخل اليمن في ظلمات هذه الفتنة فلا يفتن لها أحد . وإن طمعها في اليمن لأدل على جعلها بطرق الاستعمار من طمعها في طرابلس الغرب لا لأن عرب اليمن أشجع وأصرن على الحرب من عرب طرابلس ولا لأن الزعيم الديني القوي في اليمن سياسي حربي بالفعل والزعيم الديني (وهو السنوسي) القوي في صحاري طرابلس ليس كذلك بل لأن اليمن والحجاز صنوان قالدولة التي يستقر سلطانها وقوتها في اليمن تكون خطراً متصلاً بالحجاز فأول من يثأب عليها إذا كانت غير مسلمة عرب الجزيرة ويجب على جميع المسلمين في جميع أقطار الأرض ان يكونوا عوناً لهم بكل ما يستطيعون فكان دولة إيطاليا بطمعها في اليمن تهدد المسلمين بهدم الكعبة والقضاء على الاسلام في حرم الله تعالى وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم

ومع هذا نرى لبعض خدمة هذه الدولة وسائل سياسية تضحك الشكلى يراد فيها غش المسلمين وقناعهم بأن إيطاليا محبة للإسلام والمسلمين منها تلك الهدية التي أرسلتها الى السنوسي وما أمكن ان ترسل اليه الا باسم رجل مسلم من مستخدميها ثم كتب اليه بعد ذلك بأن ملك إيطاليا دفع عنها حبه الشديد في الاسلام نفسه وفي المسلمين عامة والسنوسي والسنوسية خاصة!! . ومنها ما ذكرناه في بعض أجزاء منار هذه السنة من استخدام الشيخ عبد الرحمن عليش في بناء مسجد وإيقافه ليصل فيه على روح أمبروزو الأول ملك إيطاليا السابق ليشيروا ذلك بين جملة مسلمي طرابلس

والهبن والصومال والشيخ عيش يصفه بالإيمان ليوم الناس أنه كان مسلماً !!
ومنها إنشاء مجلة بمصر نصفها عربي ونصفها طلياني كتب عليها «عربية تليانية
إسلامية» ويدبر أعمالها وسياساتها رجل طلياني ويكتب فيها من الحبط والخلط
في الدين والتصوف ما يهيج المسلم الصادق، ويضحك المارق والمنافق، وأما الحب
الذي يضمه مدير سياسة هذا الفخ حوله ليجذب به إليه من يراه من أغرار المسلمين
الذين يشبهون الطير في غاراتها فهو مدح الاسلام ودعوى إقناع الأوربيين بفضل
وأبي فضيحة على المسلمين أشنع من ثقتهم بأن بعض الأجانب الذين يخدمون دولة
طامعة في بلادهم هو الذي يبين لأوربا والمسلمين جميعاً حقيقة الاسلام وفضله وهو
لا يعرف أحكامه ولا يستخدم إلا الجاهلين بها ؟ ولماذا لم يعمل هذه الخدمة للاسلام
بلغات الدول التي يقول أنها أعدى أعدائه كانتكلترا وفرنسا دولته أهل العرية
ولغة محبيه بزعمهم وهم الايطاليون ؟

وقد وقع لبعض جرائد المسلمين تقرير لهذه الصحيفة المخادعة ولله كان قبل
التأمل فيها، والتفطن لما في احشائها ومطاولها فافهمي أن لا تعودني ولا غيرها الى ذلك
(حزب الأمة)

انفقدت الجمعية العمومية لشركة (الجريدة) المصرية في ١٣ شعبان فخطب فيها
حسن باشا عبد الرازق (لا عذر لرئيس الجمعية محمود باشا سليمان عن الحضور بسبب
صحي) خطبة سياسية اجتماعية جمعت بين الحكمة والبلاغة وقد سقى فيها الجماعة
المؤسسة للجريدة بمحزب الأمة وبين مقاصده في ست جهل كلية فوافق من حضر
على ما قال باجماع عقب مناقشة . وقد ثقي القلاء ظهور هذا الحزب بالقبول وما
زال الناس يدخلون فيه فرادى وثبات ، وفقه الله للخير وأيده بالثبات ،
(رزء عظيم بمعظم من زعماء المسلمين)

روت الاهرام عن بعض الجرائد الانكليزية ان الممالك الهندية قد أصبحت
برفاة النواب محسن الملك الناظم الاعزازي لمدرسة العلوم الكلية في عليكره .
فوجلت منا القلوب لهذا النبأ العظيم ، والرزء الأليم ، الذي أصاب المسلمين عامة
في ذلك العقل الحكيم ، والقلب الرحيم ، والعلم الواسع ، والتدبير النافع ، والقلم

الكاتب ، والرأي الصائب ، وأصاب صاحب هذه المجلة بصديق صادق ، ومحِب
مخلص ، وإنني أكتب هذه الكلمات لأحشرها في المجلة وقد تمت موادها بعد
حذف شيء مما جمع منها وإن لنا لعودة إلى الكلام عن هذا الرجل العظيم وعسى
أن يمن علينا الدكتور ضياء الدين أحمد بترجمة حافلة له رحمه الله

ح الرد على فريد أفندي وجدي

قد علم قراء المنار أننا ما قصدنا الرد على ما يكتبه محمد فريد أفندي وجدي
إلا لأنه يشكك في أصول الدين وفروعه بغير علم (إلا ما يقتبسه من المجلات
والجرائد وبعض الكتب العربية والفرنسية التي ينظر فيها عند الحاجة) وأنه لما
رأى ذلك فرغ إلى جريدة اللواء فأوسعنا فيها سباً وشتماً وتهديداً ووعيداً ومزج
ذلك بشيء من المغالطة جعلها كالرد لما اتفقنا به كلامه في فلسفة التشريع .
ولكنه رأى أننا ردنا هذه المغالطة ردّاً محكماً لا يقبل المراء وأنشأ نبال تهديده
ووعيده بأنه سيتبع سقطات المنارخي لا يدعنا نرفع رأساً بل أظهرنا له السرور
بتصديده لتقد المنار (إن كان يقدر على ذلك) لأن النقد علينا ضائناً التي نتشدها
دائماً فهددنا وتوعدنا في مجلته بأنه قد كتب إلى كثير من علماء الدين يطلب منهم
الرد علينا وأنه سيطلع ما برده عليه من ذلك متى كثرت في كتاب وبرزعه كأنه موقن بأن
سيجيبونه إلى ما طلب !! وجعل ذلك خاتمة لمقالة في السب والشتم والهدوى والتبجيع
استغرقت أربع ورقات منهاها الدرس الأول وقال « وإني لن أزال أقمي عليه من
هذه الدروس ما دام لم يعرف قدره حتى يفيق من هواه وبنيء إلى أمر الله » !!
وعني بأمر الله فيما يظهر ترك نصيحته وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وإنما أمر
الله بالتواصي والتواصي بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يترك ذلك
وما رأيت أحداً من القلاء اطلع على كلامه هذا أو على مقالاته في اللواء
إلا وقال انه أهان بها نفسه اهانة لا يستطيع أن يلفها منه الاعداء وإنما أشد عليه
من نقد المنار لكلامه وكأن بعض محبيه يبين له ذلك ونصح له بأنه إذا لم
يستطع مقابلة المنار إلا بمثل هذه الدروس التي هي تبجيع وإطراء لنفسه وإزراء
بمناظره فالسكوت أجدر به وأحفظ لكرامته ولعله يسكت المنازعته فكتب اليها ما يأتي

مصر في ١٨ - ٩ سنة ١٠٧

الى حضرة الشيخ رشيد

أرجوكم أن لاترسلوا الي المثار مادتم تسبوننا فيه فقد عذمت ان لا أرد عليكم ولا بنم عزمي هذا الا اذا ابتعدت عن كل ما يثير نفسي ولو كنت أعلم ان فيا تقولون ظلا من الحق والصدق لقرأته صاغرا ولكنكم انخذتم اليوم خطة أتم أعلم بصبر السالكين فيها وقد تكلفت كتابة هذا الخطاب اليكم ابقاء على مجلتكم من الرد بالبوسة

كاتبه فريد وجدي

فينظر أهل الفهم والعقل الى هذا الكلام وليعجبوا من قوله - وكله مواضع عجب - «ولو كنت أعلم ان فيا تقولونه» الخ فهل يستطيع أحد من خلق الله ان يحكم على قول يقال في المستقبل بأنه ليس فيه ظل من الحق والصدق الا اذا كان موقنا بأنه يعلم التيب وأنه معصوم في كل ما يقول ويكتب ؟

لقد كان مما قلته ان موضوع علم الحديث كل ما يتعلق بالشي صلى الله عليه وسلم من الأقوال والافعال والصفات الخ وانه مخطئ في جملة موضوعه الأ أقوال فقط . ومنه تخطئته في قوله انه لم يصح عند البخاري الا كذا حديثا اذا نقلت عن البخاري نفسه انه صح عنده أكثر من ذلك . فاذا كان أعلم بما صح عند البخاري من البخاري والحفاظ الذين نقلوا عنه لأنه يعلم التيب مثلا فهل يأتي ذلك في الحكاية عن الاصطلاحات كموضوع علم الحديث الذي قال فيه عن الحديثين ما هم مجمعون على خلافه ؟ نعم كان مما قلت انه غير صادق في قوله ان مشيخة الازهر قررت كتابه كنز العلوم واقفة في الأزهر وملحقاته وإنما اشترت مكتبة الأزهر بعض النسخ منه . ثم تبين لي أن أمين المكتبة الأزهرية لم يشتره باستحسانه ولا بأمر شيخ الجامع شيئا من الكتاب وأن ما وجد في المكتبة وظننت أنا أنها ابتاعته منه فهو ما أرسله اليها ديوان الأوقاف فان بعض أصحاب فريد افندي سمي له في الديوان فاشترى الديوان بعض النسخ وأرسلها الى مكتبة الأزهر وله العادة في ذلك . وواقه انه لم يظهر لي أن شيئا مما كتبه يخالف الحق ولو بوجه ما الا ذلك الظن بأن مكتبة الأزهر ابتاعت بعض نسخ ذلك الكتاب . ولكن ظهور الحق في ذلك أشد على فريد افندي وجدي من خفائه .

فهم مبادئ الدين يستعملون القول فينبغون أن
أولئك الذين هداموا قلوبهم أولئك الذين

المسحاة

١٣١٥

في الحكمة من يتألمون في تلك الحكمة فقد أوتي
عجايبا وما يدركه إلا أولو الأبصار

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و « منارا » كشار الطريق ﴾

﴿ مصر رمضان سنة ١٣٣٥ - آخره الاثنين ٦ نوفمبر (ت ١) سنة ١٩٠٧ ﴾

﴿ نموذج من أنجيل برنابا ﴾

الفصل الرابع والتسعون^(١)

١ ولما قال يسوع هذا عاد فقال : « اني أشهد امام السماء وأشهد كل ساكن على الارض اني بريء من كل ما قال الناس عني من اني أعظم من بشر ٢ لاني بشر مولود من امرأة وعرضة لحكم الله^(ب) أعيش كسائر البشر عرضة للشقاء العام ٣ لعمر الله^(ت) الذي تقف نفسي بحضرته إنك أيها الكاهن لقد أخطأت خطيئة عظيمة بالقول الذي قلته ٤ ليلطف^(ث) الله بهذه المدينة المقدسة حتى لا تحل بها نعمة عظيمة لهذه الخطيئة »
٥ فقال حيثذ الكاهن : « لينقر لنا الله^(ج) أما أنت فصل لاجلنا »
٦ ثم قال الوالي وهيرودس : « ياسيد انملن الحال ان يفعل بشر ما أنت تفعله فلذلك لا نفقه ما تقول »

٧ أجاب يسوع : « ان ما أقوله لصدق ان الله يفعل صلاحاً بالانسان كما ان الشيطان يفعل شراً ٨ لان الانسان بمثابة حانوت من يدخله برضاه يشتغل ويبيع فيه ٩ ولكن قل لي أيها الوالي وأنت أيها الملك أنتم تقولان هذا لانكم اجنيبان عن شريعتنا لانكم الوقرأة المهدوميثاق^(١) الهنا^(٢) رأيتما ان موسى حول بعصاه البحر دما والنبار براغيث والندي زوبمة والنور ظلاما ١٠ أرسل الضفادع والجُرذان على مصر فغطت الارض وقتل الابل بكار وشق البحر وأغرق فيه فرعون ١١ ولم أفل شيئاً من هذه ١٢ وكل يعترف بأن موسى انما هو الآن رجل ميت ١٣ أوقف^(٢) يشوع الشمس وشق

(١) سورة المؤمنين (ب) الله حكيم (ت) الله حي (ث) أمنتفر الله

(ج) بلاه على فرعون وغرق ذكر منه

(١) خر ٧ (٢) يش ١٠ : ١٢ - ١٤

الاردن وهما مما لم أفعله حتى الآن ١٤ وكل يعترف بأن يسوع اتما هو الآن رجل ميت ١٥ وأنزل ايليا النار من السماء^(١) عياناً وأنزل المطر^(٢) وهما مما لم أفعله ١٦ وكل يعترف بأن ايليا اتما هو بشر ١٧ كثيرون آخرون من الانبياء والاطهار واخلاء الله فعلوا بقوة الله أشياء لا تبلغ كمها يقول القديس لا يعرفون معنا^(٣) القدير الرحيم المبارك الى الأبد «

الفصل الخامس والتسعون^(ب)

١ و عليه فان الوالي والكاهن والملك توسلوا الى يسوع ان يرتقي مكاناً مرتفعاً ويكلم الشعب تسكيناً لهم ٢ حينئذ ارتقى يسوع أحد الحجاره الاثني عشر التي أمر يسوع الاثني عشر سبطاً ان يأخذوها من وسط الاردن عند ما عبر اسرائيل من هناك دون ان تبطل أحذيتهم^(٤) ٣ وقال بصوت عال : « ليصعد كاهنتنا الى محل مرتفع حيث يتمكن من تحقيق كلامي » ٤ فصعد من ثم الكاهن الى هناك ٥ فقال له يسوع بوضوح يتمكن كل واحد من سماعه : « قد كتب في عهد الله الحي^(٥) وميثاقه أن ليس لاهلنا بداية^(٦) ولا يكون له نهاية^(٧) »

٦ أجاب الكاهن : « لقد كتب هكذا هناك »

٧ فقال يسوع : « انه كتب هناك ان معنا^(٨) قد برأ كل شيء

بكلمته^(٩) قطع »

(١) الله قدبر على كل شيء والرحمن (ب) - سورة لاله الا الله (ت) الله حي
(ث) الله قديم (ج) الله باق (ح) الله خلق (خ) خالق الله كل شيء في كلام واحد منه
(١) امل ٩٨ : ٣٨ و ٣٩ (٢) امل ١٨ : ٤١ (٣) يش ٤ : ٨ (٤) مز ٩٠ : ٢
(٥) مز ٣٣ : ٦

٨ فأجاب الكاهن : « انه لكذلك »

٩ فقال يسوع : « انه مكتوب هناك ان الله لا يرى ^(أ) وانه محبوب ^(ب) من عقل الانسان لانه غير متجسد ^(ت) وغير مركب وغير متغير ^(ث) »

١٠ فقال الكاهن : « انه لكذلك حقاً »

١١ فقال يسوع : « انه مكتوب هناك كيف ان سماء السموات لا تسعه ^(١) لان آلهنا غير محدود ^(ج) »

١٢ فقال الكاهن : « هكذا قال سليمان النبي يا يسوع »

١٣ قال يسوع : « انه مكتوب هناك ان ليس لله حاجة لانه لا يأكل ولا يشام ولا يمتربه نقص ^(ح) »

١٤ قال الكاهن « انه لكذلك »

١٥ قال يسوع : « انه مكتوب هناك ان الهنا في كل مكان وان لا اله سواه ^(خ) الذي يضرب ويشفي ويفعل كل ما يريد ^(٢) »

١٦ قال الكاهن : « هكذا كتب »

١٧ حينئذ رفع يسوع يديه وقال : « أيها الرب الهنا ^(د) هذا هو ايماني الذي آتني به الى دينوثك شاهداً على كل من يؤمن بخلاف ذلك »
١٨ ثم التفت الى الشعب وقال : « توبوا لانكم تعرفون خطيئتكم من كل ما قال الكاهن انه مكتوب في سفر موسى عهد الله الى الأبد ١٩ فاني

« أ » الله لا تذكره الا بمسار (ب) الله خفي (ت) لا بدن له (ث) لا يختلف الله منه (ج) الله عظيم (ح) الله غني (خ) قال عيسى لا غير الله إلا الله لا منه
« د » الله سلطان

بشر منظور وكتلة من طين تمشي على الارض وفان كسائر البشر ٢٠ وانه
 كان لي بداية وسيكون لي نهاية واني لا أقدر أن أبتدع خلق ذبابة
 ٢١ حينئذ رفع الشعب أصواتهم باكين وقالوا : « لقد أخطأنا إليك
 أيها الرب المتنا^(١) فارحمنا (ب) » ٢٢ وتضرع كل منهم الى يسوع ليعطي
 لاجل أمن المدينة المقدسة لكيلا يدفنها الله في غضبه لتدوسها الأمم^(٢)
 ٢٣ فرفع يسوع يديه وصلى لاجل المدينة المقدسة ولاجل شعب الله
 وكل يصرخ : « ليكن كذلك آمين »

الفصل السادس والتسعون^(٣)

١ ولما انتهت الصلاة قال الكاهن بصوت عال : « تعال يا يسوع
 لانه يجب علينا أن نعرف من أنت نسكيناً لامتنا »
 ٢ أجاب يسوع : « أنا يسوع بن مريم^(٤) من نسل داود بشرمات
 ويخاف الله وأطلب ان لا يعطي الاكرام والمجد الا لله »
 ٣ أجاب الكاهن : « انه مكتوب في كتاب موسى ان آلهنا سيرسل
 لنا مسياً^(٥) الذي سيأتي ليخبرنا بما يريد الله وسيأتي للعالم برحمة الله لذلك
 أرجوك ان تقول لنا الحق هل أنت مسياً^(٦) الذي ننتظره ؟ »
 ٤ أجاب يسوع : « حقاً ان الله وعد هكذا ولكني لست هو لانه
 خلق قبلي وسيأتي بعدي^(٧) »

« ا » الله سلطان « ب » استغفر الله « ت » الله قهار « ث » سورة المبرشر
 « ج » قال عيسى أنا عيسى بن مريم « ح » الله مرسل ورسول « ز » رسول « ح » رسول

٦ أجاب الكاهن : « انا نعتقد من كلامك وآياتك على كل حال انك نبي وقديس الله ٧ لذلك أرجوك باسم اليهودية كلها واسرائيل ان تهيدنا حباً في الله بأية كيفية سيأتي مسياً »

٨ أجاب يسوع : « لمر الله (١) الذي وقف بحضوره نفسي اني لست مسياً الذي تنتظره كل قبائل الارض كما وعد الله اباها ابراهيم (٢) قائلاً : بنسلك ابارك كل قبائل الارض : ٩ ولكن عندما يأخذني الله من العالم سيثير الشيطان مرة أخرى هذه الفتنة الملموسة بأن يحمل عادم التقوى على الاعتقاد بأنني الله وابن الله ١٠ فيتجسس بسبب هذا كلاي وتطليبي حتى لا يكاد يبق ثلاثون مؤمناً ١١ حيثئذ يرحم الله العالم ويرسل رسوله الذي خلق كل الاشياء لاجله ١٢ الذي سيأتي من الجنوب بقوة (ب) وسيبيد الاصنام وعبداء الاصنام ١٣ وسينزع من الشيطان سلطته على البشر ١٤ وسيأتي برحمة الله لخلاص الذين يؤمنون به ١٥ وسيكون من يؤمن بكلامه مباركاً »

الفصل السابع والتسعون (٣)

١ « ومع اني لست مستعقاً أن أحل سيرهذائه (٢) قد نلت نعمة ورحمة من الله لاواه »

٢ فأجاب حيثئذ الكاهن مع الوالي والملك قائمين لانهج نفسك يايسوع قدوس الله لان هذه الفتنة لاتحدث في زمنا مرة أخرى ٣ لاننا

(١) بالله هي « ب » في لسان لاثن لود ايليس « ت » سورة محمد رسول الله

(٢) تك ٢٧ : ١٨ (٢) مر ١ : ٧

سنكتب الى مجلس الشيوخ الروماني المقدس باصدار أمر ملكي أن لا أحد يدعوكم فيما بعد الله أو ابن الله»

٤ فقال حينئذ يسوع^(١) : « ان كلامكم لا يعزني لأنه يأتي ظلام حيث ترجون النور • ولكن تعزيتي هي في مجيء الرسول الذي سيبد كل رأي كاذب في وسيتمد دينه ويلم العالم بأسره لأنه هكذا وعد الله آبائنا ابراهيم^٦ وان ما يعزني هو أن لا نهاية لدينه^(ب) لأن الله سيحفظه^(ت) صحيحاً »
٧ أجاب الكاهن : « أيأتي برسل آخرون بعد مجيء رسول الله^(ث) »
٨ فأجاب يسوع : « لا يأتي بعده أنبياء صادقون مرسلون من الله • ولكن يأتي عدد صغير من الانبياء الكذبة وهو ما يحزني ١٠ لان الشيطان سيثيرم بحكم الله^(٢) العادل فيسترون بدعوى انجيلي »
١١ أجاب هيرودس : « كيف ان مجيء هؤلاء الكافرين يكون بحكم الله العادل ؟ »

١٢ أجاب يسوع : « من العدل ان من لا يؤمن بالحق لخلاصه يؤمن بالكذب للفتنة ١٣ لذلك أقول لكم^(ج) ان العالم كان يتمن الانبياء الصادقين دائماً وأحب الكاذبين كما يشاهد في أيام ميثع وأرميا^(٣) لان الشبهة يحب شبيهه »^(د)

« ا » قال عيسى صفاتنا حجة رسول الله لانه اذ جاء في الدنيا يرفع اعتقاد السوء من أهل الدنيا لنا ودينه يضبط جمع للدنيا لدينا منه « ب » دين رسول الله أبدي لانه تعالى يحفظ دينه منه « ت » الله حافظ « ث » رسول الله ختم الانبياء « ج » حكم الله عادل « ح » والى بني آدم « خ » الجنس مع الجنس منه

١٣ فقال حيثنذ الكاهن : « ماذا يسمى مسياً وماهي العلامة التي
تعلن مجيئه (١) »

١٤ أجاب يسوع : « ان اسم مسياً (ب) عجيب لان الله نفسه سماه
لما خلق نفسه ووضعها في بهامساوي ١٥ قال الله : « اصبر يا محمد (ت) لاني
لاجلك (ث) أريد أن أخلق (ج) الجنة والعالم وجا غفيراً من الخلائق التي
أهبها لك حتى ان من يباركك يكون مباركاً ومن يلنك يكون ملعوناً
١٦ ومتى أرسلتك (ح) الى العالم أجمعك رسولي للخلاص وتكون كلمتك
صادقة حتى ان السماء والارض تهان ولكن ايمانك لايهن أبداً ١٧ ان
اسمه المبارك محمد :»

١٨ حيثنذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين : « يا اللهم أرسل (خ) لنا رسولك (د)
يا محمد (ذ) تملأ سريماً خلاص العالم ا »

(د) الفصل الثامن والتسعون

١ ولما قال هذا انصرف الجمهور مع الكاهن والوالي مع هيرودس
وهم يحتاجون في يسوع وتلميذه ٢ لذلك رغب الكاهن الى الوالي ان يكتب

« ١ » جات طائفة من اليهود عيسى يسألون عن اسم النبي الذي يمت في آخر الزمان فقال
عيسى ان الله تعالى خلق النبي في آخر الزمان ووضعه في قنديل من نور وسماه محمداً
قال يا محمد اصبر لاجلك خلقاً كثيراً وحبب لك كله فن رضي منك فانا واضر منه
وينضك فانا بريد منه فاذا أرسلت يفوق كلامك على كل الكلام وشربنك باق الى
أبد الأبدين « ب » رسول « ت » محمد « ث » الله محب ووحاب « ج » الله خالق
« ح » الله مرسل « خ » الله مرسل « د » رسول الله « ذ » يا محمد
« ر » سورة طامع « طامع »

بالامر كله الى رومية الى مجلس الشيوخ فعمل الوالي كذلك ٣ كذلك
نحن مجلس الشيوخ على اسرائيل وأصدر أمراً أنه ينهي ويتوعد بالموت
كل أحد يدعو يسوع الناصري نبي اليهود إلهاً أو ابن الله ، فطلق هذا
الامر في الهيكل منقوشاً على النحاس « الخ



خطبة اسماعيل بك غصبرنسكي *

تلاها باقعة التربة في ردة فندق الكرنيل بالقاهرة على نحو ثلاث مئة
رجل من جميع الطبقات المتعلمة (ماعدا الامراء) وقرأ ترجمتها بالعربية الشيخ
عبد الوهاب التجار :

— شيء من أحوال المسلمين في البلاد الروسية —

نشأت لمسلمي روسيا في الأزمان السالفة دولتان كبيرتان ، أحدهما دولة
« آلتون أوردو » وكانت عاصمتها مدينة « سراي » قرب بحر قزوين والآخرى
الدولة التيمورية ، ولما سقطت هاتان الدولتان الكبيرتان وقامت على أنقاضها
خانات (امارات) صغيرة متعددة وهي إمارة سيبيريا وإمارة قزان وإمارة استراخان
وإمارة قريم وامارات القاقاز نشأت في آسيا الوسطى امارات بخارى وخيوا
وخوقند وعدة جمهوريات صغيرة - إذا صح هذا التعبير - في تخوم الدولة
الابرائية الشمالية .

ثم دار الزمان دوره وحمل لامارتي بخارى وخيوا أن نصيرا داخل حدود
الممالك الروسية وتدخلنا تحت حمايتها . وأما بقية الامارات فقد استولت عليها
الروس استيلاء كاملاً وصارت الآن ولايات روسية صرفه

أول الامارات سقوطاً هي إمارة قزان وسيبيريا وأما الجمهوريات التركانية
فلم تخضعها الروس الا في العهد الاخير

(* راجع باب الاخبار من هذا الجزء

نزل معظم مسلمي روسيا في آسيا وفي القافقاس وقسم عظيم منهم يقطنون الولايات الداخلية والشرقية من أوروبا الروسية وقليل في شبه جزيرة قزيم وعدد المسلمين الساكنين في القافقاس الشرقية ودافستان وفي تركستان تسعون في المائة بالنسبة لغيرهم من الشعوب هناك . وأما في سيبيريا فهم الأقلون . والساكنون منهم في الولايات الشرقية من أوروبا الروسية يمثلون بالروس وسائر الاجناس . وهم الأكثرون في ولاية أوبا اذ هم هناك سبعون في المئة بالنسبة لغيرهم . وأما عدد مجموعهم فهو يناهز - بحسب احصاء سنة ١٨٩٧ - سبعة عشر مليون نسمة . واذا ضمنا اليهم أهل بخارى وخيو جاوز عدد هم ٢٠ مليوناً . ولا ينبغي أن يفوتنا العشرة الملايين من الترك الساكنين في تركستان الصينية (كشمير) الذين تجمعهم ومسلمي روسيا أوامر اللغة والآداب وبذلك تألف هناك « مجتمع جنسي » مؤلف من ثلاثين مليون نسمة .

تسعة وعشرون مليوناً من هؤلاء سنويون ومليون واحد شيعيون . وأما من حيث الجنسية والغة فكلمهم ترك سوى ثمانمائة ألف من قبائل الشراكسة القاطنين في جبال القافقاس ولهم مع ذلك المأ بالغة التركية .

يشغل مسلمو روسيا بالزراعة وتربية المواشي وبالتجارة بحسب ما تسمح لهم مواطنهم ، وكانت لهم في سالف الأيام صناعات تذكر . ولكنها أخذت تسقط وريداً رويداً من مكائدها الأولى بمزاحة مصنوعات المايل الأوروبية الحديثة كما هي الحال في الأقطار الإسلامية قاطبة . والقرييون منهم معروفون بعمود البساتين وانما الفواكه المختلفة الطيبة

والقوقاسيون أو القافقاسيون يشغلون في الغالب بترية دود القز وصنع البسط والطنافس الجيدة . وقد انتشرت بينهم في العهد الأخير زراعة القطن انتشاراً عظيماً . وأما التركستانيون فيقومون على تربية دود القز وانما الفواكه وزراعة القطن . والجنابات الشمالية من آسيا الوسطى عبارة عن القفار والاراضي القاحلة ويندر فيها الماء العذب السائغ وتقلب في ارجائها قبائل رحالة بمواشيها وانعامها .

في الولايات أوروبا الروسية والقوقاس أربع مشيخات اسلامية . ثلاث منها

لستين وواحدة لشيعة ، ولدى كل مشيخة مفت (أوشيخ اسلام) وثلاثة لفضاء أو أعضاء . وننظر هذه المشيخات في الامور الدينية البحتة كالنكاح والطلاق والمواريث والنسب وتقسيم التركات . وتوزع السجلات على أئمة المساجد كي يثبتوا فيها المواليد والوفيات وعدد الطلاق والنكاح وما اليها مما يقع في أحيائهم . وتقسم التركات الاسلامية في روسيا على وفق الشريعة الاسلامية . وكذلك الوصايا الاسلامية لاجسها القانون الروسي بسوء

في كل قرية اسلامية - في أوربا الروسية وفي القريم - مسجد وكتاب . وأما القرى الكبرى ففيها عدة مساجد وعدة كتايب

وفي أوربا الروسية والقوقاس سبعة آلاف مسجد وعناية آلاف كتاب وما ينف على مائة مدرسة دينية وأكثر مسلمي روسيا عناية بأمور التعليم والمدارس المسلمون الساكنون في الولايات الداخلية الروسية

وعدد المتعلمين من البنات في الكتايب يساوي ثلث المتعلمين من الذكور . وما يحسن ذكره هنا ان جماعة من الفتيات المسلمات يتعلمن في مدارس البنات التحضيرية الروسية . وكذلك تعلم اليوم في القسم الطبي من « جامعة » بطرسبورغ أربع عشرة فتاة مسلمة . وقد كانت أكلت دروس الطب فيها فثانان مسلمتان وهما تمارسان اليوم صناعة الطب . وكان دخول السيدة « رضية » إحدى تينك الطبييتين في الجامعة بسعي المرحوم شاكرباشا السفير السابق للدولة العثمانية في بطرسبورغ

وليس لدي الآن تفصيل بشأن الكتايب والمدارس الاسلامية في آسيا الروسية ولكنني أعلم ان المدارس الدينية كثيرة ملأى بطلاب العلوم في مدينة بخارى وخوقند وسمرقند وغيرها من حواضر البلاد التركمانية

واني لأتمنى ان أذكر هنا بكل أسف ان تلك المدارس لا تبرح نسود فيها الفوضى والخلل في طرق التعليم . ومن أجل ذلك لا تأتي بفوائد يقتضيها هذا الزمان ونطاق برجراماتها أصيق من أفكار الاساندة القاعين فيها بالتعليم والتدريس وليست يبتنا الى الآن مدارس للمعلمين والمعلمات ولكن فكرة انشاء المدارس

من هذا القبيل قد حدثت في العهد الأخير
انتشرت بين مسلمي الروس فكرة الارتقاء والتقدم منذ ربع قرن انتشاراً
يذكر . ومن ثمرات هذه الفكرة أنهم جعلوا في العهد الأخير يصلحون كتاباتهم
ومدارسهم وينشرون المؤلفات المفيدة في العلوم المصرية والادبيات التركية وطفقوا
ينشئون المعاهد العلمية على الطراز الحديث وبرزوا التلاميذ الى المدارس الروسية
والاوروبية والى الاستانة ومصر لتلقي العلوم الحديثة المصرية والعلوم العربية والدينية .
ويناهز عدد الكتب المنتشرة بين مسلمي روسيا في العلوم المصرية والادبية
نحو خمس مئة كتاب

وعدد المطابع الاسلامية الموجودة في روسيا كما يأتي:

ثلاث في بطرسبورغ وثلاث في قزان وثلثان في تفليس وثلثان في باكو وواحدة
في باغجة سراي . وفي قزان ثلاث مطابع روسية ذات حروف عربية فيكون المجموع
ثلاث عشرة مطبعة . وأما الصحف المنتشرة الاسلامية في البلاد الروسية فهي
صحيفتان في بطرسبورغ واربع في قزان وثلاث في أورنبورغ وثلاث في باكو
وواحدة في طاشقند قاعدة تركستان اليوم وواحدة في تفليس وواحدة في باغجة سراي
واحدة من هذه الصحف تصدر باللغة العربية والبقية بالتركية . واحدى الصحف
التركية تكتب بلهجة تقرب من لهجة الترك العثمانيين والبقية تكتب الآن بلغات
تركية مختلفة باختلاف الاقاليم . والرجاء أن تتعدى هذه الصحف أو تقتارب كل
التقارب في مستقبل قريب أو بعيد . وهذا الاتحاد القوي غاية ما يرمي اليه المصلحون
والمثقفون منا وثلاث صحف من تلك الصحف علمية أدبية والبقية سياسية أيضاً . وأما
من جهة الخطه فثلاث عشرة صحيفة منها وطنية معتدلة وثلثان رومان الى غاية
«اشتراكية ديمقراطية»

وفي روسيا اثنا عشرة جمعية خيرية اسلامية غرضها اسعاف الموزرين والاخذ
بأيدي البائسين والمساكين ولها قوانين معدق عليها من الحكومة
ويتجاوز عدد الكتاتيب التي أصلح أمرها ألف كتاب تعلم فيها القراءة التركية
والكتابة والقرآن والعقائد الدينية ومبادئ الحساب والجغرافية والتاريخ الاسلامي

وشيء من علم حفظ الصحة

وأما المدارس الدينية فقد أصلحت منها مدرسة في قزان وأخرى في أودنوبورغ وثلاثة في أوكا . وفي تلك المدارس تدرس اليوم العلوم الرياضية والطبيعية وتقوم البلدان والتاريخ . دح عنك العلوم العربية والدينية بأنواعها

ولقد نشأ لمسلمي روسيا افراد جادوا بأموالهم وأنفس املاكهم في سبيل ترقية المعارف واعلاء قدر الامة والملة . وأخص بالذكر من بينهم المرحوم الحاج فمة الله قراميشف انسييري الذي بذل أموالا طائلة في سبيل انشاء مئة كتاب ومئة مسجد وأفق مبلغا عظيما لتأسيس مكتبة عامة أو دهما أنفس الكتب وأندرا الآثار . أكرم الله مشواه وأحلّه مقاما كريما . وأففق الناجر القزاني المرحوم أحمد الحسيني في انشاء معاهد العلم وتربية المعارف ثلثائة ألف روبل . وأنشأ شقيقه عبد الففي الحسيني مئتي كتاب على نسق حديث وقد نشر بهته الثما ففكرة اصلاح الكتابيب وكذلك الاصول الحديثة المعروفة بالاصول الصوتية التدريجية الى تخوم الصين وذلك بإنشاء الكتابيب في تلك الديار الثابتة كما أنشأ هافي الولايات الروسية التوسطة جزام الله عنا وعن العلم والفقراء جزاء حسنا

ومن تقضي علينا الانسانية ان نذكر اسمه مقرونا بالاجلال والاحترام الحاج زين العابدين تاضيف الباكوي لان خدمة هذا المئري الكريم في سبيل نشر العلم واسعاد الفقراء أكثر وأجزل

أنشأ هذا الرجل في داغستان مئة مسجد ومئة كتاب . وأنشأ في ضواحي مدينة باكو حقلا أعودجيا . وأنشأ لدفاع عن الحقوق الوطنية جرائد متعددة باللغة الروسية والتركية

وبذل ملايين من الروبلات لتعليم أناس كثيرين في الجامعات الروسية والاوروية . وما معظم الاحباء والمهايين والمهندسين المسلمين الذين فتنخر بهم الامن آثار همة هذا الرجل الكريم . ولم ينس هذا الرجل العظيم المسلمات أيضا فقد أنشأ في مدينة باكو مدرسة شامخة للبنات أففق على بنائها فقط عشرين ألف جنيه . ووقف عليها وقفا يأتي بإيراد قدره ثلاثون ألف جنيه سنويا ولا يهد أن

تصبح هذه المدرسة ذات يوم « المدرسة الجامعة » للأنات
ولم يجتزئ. هذا الرجل بمساعدة من في روسيا فقط بل مديد المعونة الى ايران
أيضاً . وقد طبع هناك كتب جمعة على نفقة هذا الرجل الكريم . ويقدر ما ساعد
به المنكوبين والبائسين في البلاد الفارسية بمليون روبل وزيادة
أيها السادة : شاركوني في الدعاء لهذا الرجل الناصح للإنسانية والخدام للفضيلة .
أطال الله بقاءه وحفظه من كوارث الزمان .

وأما الأغنياء الذين أنشؤا كتاباً أو كتابين ومدرسة أو مدرستين فهم كثيرون
جداً يتضرعون الآن أحصائهم وما الخطوة التي خطوها الى الامام في ميدان
التقدم الا بفضل هذه الكتابات والمدارس التي أسست ووصلت بهمة أمثال من
ذكرنا أفعالهم من أدلي المهمة العالية الى ما وصلت .

وهاتفان لنا أن توجه وجه الكلام الى الامور التجارية والاقتصادية .
ان لدى المسلمين السالكين في آسيا الوسطى وأوروبا الروسية قوة تذكر في هذا
الشأن . ولكنه لا يمدن أعدادها وتنميتها بنشر العلوم والمعارف بينهم . لان الاقوام
الذين يتفق للمسلمين ان ياروم في ساحة الاعمال التجارية أشداء أقوىاء فيما
يمارسون . فمسلمي روسيا — عدا من يسكنون منهم الولايات الداخلية — من
الاراضي ما يكفهم للاستغلال . وقد تولدت بينهم فكرة الحرص عليها وعدم تمكين
الآخرين منها تولداً ينشر بحسن الخبة ان شاء الله . وأهل تركستان بارعون جدا
في أمور الفلاحة والزراعة . لا يقدر على نزع الارض الغالة من أيديهم — من الوجهة
الاقتصادية — لا الروس ولا مهاجرو الالمان .

وم يكدهون في أمر الزراعة كدحاً لا يعرفون فيه المال والسامة . فهم
يشبهون المصريين من هذه الوجهة كل الشبه ولكن أراضيهم الغالة أكثر وأفسح
من أراضي القطر المصري . ونصف القطن الذي نحتاج اليها معامل المنسوجات
الروسية يرد من الخارج وأما النصف الآخر فهو ممرة كدح أهل تركستان وحدهم .
فزراع القطن في تركستان يجلبون من روسيا الاوروبية الى بلادهم مبالغ طائلة .

وأما المسلمون القاطنون في مدينة قزبان وما يتاخها من البلدان فلم كبير من معامل الصابون والجلد . ومن معامل الجوخ ما فيه ثلاثة آلاف عامل . ومن جعلها معامل « آقجورين » الأتري المسلم الشير . وتبيع هذه المعامل سنويا الى الجيش الروسي من الجوخ ما يناهز مليون مترو . والشوي الشير الحاج زين العاهدين لاضيف الذي تقدم ذكره معمل للمبوجات القطرية فيه أربعة آلاف عامل . وأكثرهم من المسلمين . وكذلك المهندسون وزعماء المال فيها . وأما مدبرها فكان من قبل انكليزيا ولم يبق اليوم حاجة الى الانكليزي اذ جعل صاحبها يديرها بنفسه وهناك بيوت تجارية اسلامية كبيرة تشتغل باستخراج النفط والبترويل يبلغ ما يتعامل به احدث عشرة ملايين روبل

وأكثر السفن التي تسير في بحر قزوين ملك للمسلمين والفواكه الطيبة التي تنفكه بهار روسيا كافة تاتي كلها في يدين المسلمين في القريم . لا يظن ظان ان ذلك ارتقاء عظيم وتقدم عظيم . لان كل ما ذكرناه عن مسلمي روسيا هو شيء لطيف ناه جدا بالنسبة الى الامم الراقية الحية التي تخطو في مهيج التقدم والارتقاء بخطا العفاريث ، وتنتهي الى أسباب النجاح والصلاح احتداء الحريث ، ونعنى في سبيل الخير والصلاح الاصليت ولكنه لا ينبغي لنا ان لانيأس وتقاعد عن النظر فيما يرقى شؤنا ويصلح حالنا اذ كل من سار على الحرب وصل

ولا شك ان مسلمي روسيا يستفيدون ويفيدون من الانقلاب الذي حدث في روسيا ومن دستورها الذي هو ثمرة ذلك الانقلاب استفادة كبيرة . وقد نهبت أفكار الأمة في السنين الثلاث الأخيرة تفها عظيما واتسع نطاق الآمال اتساعا جسيما . حقا ان انقلاب روسيا أثر تأثيرا بذاكر في مسلمي روسيا وأثامهم بفوائد جمة . ولست لأن بمكتف بتعداد تلك الفوائد جمة بل أحب أن أذكرها أمها وأعودها عليهم براءة

أيها السادة : ان مسلمي روسيا أنشأوا لأنفسهم حزبا سياسيا دستور ياد بمقرطابا باسم « اتفاق مسلمي روسيا » فاجتمع مندوبو المسلمين في الولايات المختلطة في

أغسطس سنة ١٩٠٥ في مدينة « نيجني نوفغورد » غير أن الوالي لم يسمح بمقد الاجتماع رسميا . ولم يكن الوقت لينسج لتحصيل الاذن من العاصمة . فقد المندوبون اجتماعهم على ظهر باخرة استأجروها لتنزه عليها في نهر « فولجا » . قررت الآراء في ذلك الاجتماع انشاء (حرب اتفاق المسلمين) وانشاء فروع له في الولايات فلذب عن حقوق المسلمين السياسية والاقتصادية والادبية .

وقد أنشئت لهذا الحزب الذي يتقوى يوما فيوما فروع في بعض الولايات بالفعل ورفضت قوانينها الى الحكومة لتصادق عليها . وكذلك عقد المسلمون سنة ١٩٠٦ اجتماعا غير رسمي في بطرسبورغ وآخر رسميا في « نيجني نوفغورد » وبلغ عدد الحاضرين في الاجتماع الثالث سبع مئة رجل وامتدت مدة المناقشة خمسة أيام

وبفضل هذه الاجتماعات انتشرت الافكار السياسية بين المسلمين انتشارا زائفا قسنى لهم أن ينتخبوا منهم أربعة وعشرين نائبا لهدوما الأولى ٣٦ نائبا لهدوما الثانية ولا يسعنا هنا الا الاعتراف بأن هذا النجاح الباهر في الانتخاب في لينك المرتين لم يحصل بهمتنا فقط بل كان فيه لقوانين العادة ومعاملة أحرار الروس لنا معاملة شريفة تأثير كبير لا ينكر

نعم ان أحزاب التقدم من الروس ينظرون الى « اتفاق المسلمين » نظرا المختلط المستشيط ولكنه غير خارج عن دائرة القانون حتى تكرهه الحكومة وليس حزبا يسمى لايقاع التفرقة بين الرعايا الروسيين حتى يفر منه الأحرار من الروس . وما يحسن ذكره هنا أن المسلمين يعيشون مع الروس على غاية من الوفاق والوثام . وأمة الروس كثيرة الجنوح الى الائتلاف والسلام . وهم لا ينظرون الى المسلمين نظرا الممتن المزدرى بل يعاملونهم معاملة القرنين لقرينه وأرباب الجمليات العلمية والادبية والاندية والمدارس كلها مفتحة في وجوه المسلمين اذا هم رغبوا في الحاق بأهلها نعم قد حدث في الايام الفائرة بتأثير الكنيسة وجماعة المبشرين بعض الحوادث المؤلمة ولكنها قد زالت أسبابها بعد أن أعلنت الحرية كل الزوال ونؤمل

أن تحسن أحوالنا في المستقبل أكثر مما نحتسب . رأينا كثيرين ممن أكرهوا زمن الاستبداد على التمسك قداموا الى الاسلام وكذلك اتحل الاسلام انفس من الروس الامليين رجالا ونساء . والفضل في ذلك كله الحرية التي ترقى بها الامم وتكمل الانسانية

﴿ مسألة التعليم العام ﴾

إذا أرادت معظم أمم الارض أن تدخل في دور التقدم والرفي يكفيها النظر في مستقبلها فقط وعلى العكس من ذلك الامة الاسلامية فانها مطالبة بأن تبتظرها الى الماضي أيضاً فليس في الامم الأخرى في غابر أزمانها ما يستدعي الالتفات نحوه . أما الامة الاسلامية فان أعوامها السالفة كلها عبر وحسنات رقي ونجاح . ولما كانت الامة الاسلامية الحاضرة تمتاز على غيرها في هذا المبدأ فلا بأس من أن تبذل نظرة الى الوراء خصوصاً في مسألة التعليم وانشاء المدارس

ان مصر هذه التي تعد منبرا للمعارف ومهدا للندية وان كانت في سالف أيامها أي منذ ٤٠ قرنا اشتهرت بارتقائها في العلوم الا أن هذه التهمة ما نمت اذ ذلك غير كونها آلة لتوسيع نفوذ طائفة الكهنة وواسطة لتقوية أهوائهم ثم انتقلت القراءة والكتابة الى ديار اليونان فظهرت فيها عدة مجامع علمية كمدارس سقراط وافلاطون وارسطاطليس الا أن هذه المجامع لم تكن على شكل مدارسنا اليوم ، بل كانت أشبه بمجالس المذاكرة خاصة يختلف اليها المؤلفون بالبحث والمناظرة وأعني بذلك أنها لم تكن عامة لتدريس يهرع اليها كل طالب . انتقلت المدينة اليونانية بعد ذلك الى الرومانيين ثم ظهرت النصرانية بظهور الدولة القسطنطينية فتقدمت معها قوانين ادارة الملك وعلم الحقوق تقدماعظيها ولم تنبئه فيهم أيضاً فكرة تعميم التعليم فبقيت هذه المسألة غامضة غريبة عن الافكار الى أن قيض الله تعالى لعالم الانساني الامة الاسلامية التي اهتدت الى هذه الفكرة لاول وهلة فأخذت مسألة التعليم العام بسبب عنايتها حفظها من التويع والانتشار . ومنشأ ذلك الاسلام نفسه لانه كما أتى بالتوحيد اتى بما يدعو الى وجوب تعليم العالم . فلقد كان من مقتضى ذلك ان المسلمين بنوا عند كل معبد تقام فيه الشعائر

الاسلامية كآبا او مدرسة لتعليم العام مجانا . فاصبح التعليم العام المجاني من جهة الخيرات التي انتجتها المدنية الاسلامية في العالم الانساني . ثم لم تلبث هذه النعمة العظمى في ايدي المسلمين زمنا طويلا حتى انتقلت منهم الى الامم الغربية وهناك نالت ما فاته من الحفاوة والاحلال فتقدمت قدما باهرا وانتشرت انتشارا عظيما فوا أسفاه على هذه الخسارة التي لحقت بنا ووا أسفاه على ذلك الاهمال الذي أنقص بنا الى ضياع هذه النعمة من أيدينا بعد أن ورثناها عن آباءنا . لقد قصرنا في حفظها تقصيرا لا مزيد عليه . فالمعارف التي تركها لنا الاسلاف بقيت طفلة في مهدها ولم تصل على أعناقها بل المدارس والمعاهد العلمية التي هي تذكارات المتقدمين لا لم نسع في ترقيتها فبدل أن نرفعها ونرفع أعلام مجدها السابق سمينا في تخريبها أو هدمها .

ان تلك المعاهد العلمية التي نشأ منها أمثال ابن سينا والفارابي وابن رشد والفرازي ومحيي الدين بن العربي أصبحت منذ عدة قرون دورا المعجزة الضعفاء ومسكنا للمطلبين

ولم يكن السبب في حالتنا هذه الا التكاثر والاهمال الذي أسبل ستار النفلة علينا وحال دون تقدمنا الى حالة الامم الاخرى

أما الآن فقد أقبل . والله الحمد والثناء — على الأمة الاسلامية دور النية فأخذت الرغبة في التعليم تنوء في كل جهة من الممالك الاسلامية فأصبحنا نسمع صدى بعض الافراد والحكومات لتفكير في شؤون التعليم والمدارس ولكن ذلك من سوء الحظ لم يبلغ الحطة المطلوبة نحن معشر المسلمين منذ ثمانية قرون قد تركنا لأوروبا غنائم كثيرة وخزائن من المعارف ولم نطالبهم أثناء هذه المدة بردها اليها . ولكن قد حان الآن وقت الاعادة فليتنا أن نستردها منهم استرداداً يحل ما توفر لديهم حتى الآن من انماها . ولا يقال هنا أن الشرق غريم للغرب اذ لا يقصد به الا الذهب الذي لا يساوي شيئا اذا قيس بالعلوم والمعارف التي هي حقوق الشرق على الغرب فغرامة الغرب لنا هي أعظم بكثير من غرامتنا له فلي الدائن أن يطالب المدين

وليست هذه الكلمات من بنات أفكارى الخاصة كلا بل يقولها فوالب
 المتقن الألماني ودراير العالم الأمريكي وما سأعرضه أيضاً مما يثبت تاريخ التعليم
 لا ينكر اليوم أحد من العقلاء المستبينين ضرورة التعليم العام لنوع البشري
 وخصوصاً للأمة الإسلامية فإن ديننا القويم يقضي علينا بتصديق هذا الأمر وقبوله
 وإبرامه ووضعه موضع الاجراء . وفي نظري أن هذا الأمر ليس من قبيل المسائل
 حتى يتناقش فيه بل هو أمر ديني قطعي فاعطينا ألا أن نتناقش في كيفية اجرائه
 وإيجاد الطريق القوية الموصلة الى هذا المقصد لتجنيه فقط .

وقد أثبتت تجارب أعظم الأمم المتقدمة في هذا العصر أنه لا يمكن تعميم
 التعليم ونشره الا بوجود كتاب واحد لكل ستين أسرة من الأمة
 وأما طريقة إجراء العمل فتكون بحسب الميزان الآتي .

لو فرضت مملكة من الممالك يسكنها نحو عشرة ملايين نسمة فقدر ما يلزمها
 من الكتابات هكذا . يتعين أن تقسم هذه العشرة الملايين على خمسة (أقسام) ثم
 تقسم الحاصل وهو مليونان على ستين فيبلغ عدد الكتابات على هذا الحساب نحو
 ثلاثة وثلاثين ألفاً وهذا هو المقدار الممين الكافي لعشرة ملايين نفس

فلو بلغت مصاريف كل كتاب مع نفقات الأدوات ومزونات المعلمين نحو
 ٤٠ جنياً يكون المجموع ١٣٣٠.٠٠٠ جنيه . فإذا أضفنا اليه مبلغ ٢٠٠.٠٠٠
 جنيه وهو ما يلزم للاتفاق على ارادة تلك الكتابات وغيرها من مدارس المعلمين
 نحتاج في إيجاد التعليم العام الابتدائي الى ميزانية قدرها ١٥٠٠.٠٠٠ جنيه

وهذا لا شك مبلغ جسيم إلا أنه لا ينبغي أن لا يروعنا بحجمه . لان الفائدة
 التي نستفيدها من هذا المشروع مادية كانت أو معنوية أعظم وأرقى بكثير من
 ذلك المبلغ . فانسبة مبلغ ١٥٠٠.٠٠٠ جنيه لعشرة ملايين نسمة الانسبة جزئية
 جداً تقضي بدفع ١٥ قرشاً على كل نفر في السنة و٧٥ قرشاً عن كل أسرة . وربما
 يقال هنا إن طائفة المال لا يستطيعون دفع ذلك . فنقول كلا لاننا لو فرضنا أن
 عاملاً يشتغل في السنة ٣٠٠ يوم فيكون حاصل قسمة ٧٥ قرشاً عليها ما يمين ونصفاً
 فقط وهو ما يطلب باقتصاده من مكسبه اليومي الذي لو بلغ خمسة قروش مثلاً

لا يكلفه إخراج ذلك منه الا أن يتنازل عن فئتان من القوة يتناوله يوميا وعن سبهارتين على الاكثر

فبقي علينا أن نبحث في النفقة اللازمة لبنائها فاذا فرضنا أن نفقة كل كتاب على حدته هو ١٥٠ جنيا تبليغ نفقات ٣٣ ألف كتاب ٥ ملايين من الجنيات . وحينئذ تقع في مشكلة عظمى أيضا وهي خلوايد من النقود . فالحيلة : الجواب سهل . وهو ان الأمة مادامت حية فالتقود توجد ألبنة أولا بد من وجودها . التقود التي وجدت عند تأسيس الاهرام الجسيمة لم لا توجد لبناء مدارس ؟ واذا كان يجوز للامم الحية اقتراض المال لانشاء السكك الحديدية والبرازخ والقروع فلماذا لا يجوز اقتراضها لانشاء المدارس ؟

هذا وهناك طريقة أخرى لسهولة اجراء هذا المشروع وهي تجزئة مدة الاكتاب الى عشر سنين لانه من البديهي أن مثل هذه المشروعات المهمة لاتتم دفعة واحدة كما انها لاتتم الا باكتساب ثقة الامة ورغبتها في المشروع .

﴿ الحاجة الى مؤتمر اسلامي عام ﴾

نرى المسلمين اليوم تنبوا بعض التنبه في الاقطار الاسلامية كافة . وهب فضلاؤهم لانشاء الصحف والجرائد التي لها أثر عظيم في تنبيه الافكار والارشاد الى الخير والصالح ونسمع ان مسلمي بعض البلاد ينشئون جمعيات خيرية وعلمية . هذه علامات خير تقربها عين كل ناصح للانسانية ولكن لا يجوز لنا ألبنة ان نتجهز بهذه العلامات الحسنه ثم نغفل الى ارض الدمة والكسل . فالمستقبل الحسن لمن يدأب ويعمل . لاجرم ان المرء يرى اذا جاء طرفه في الاقطار الاسلامية من مدينة قزاق الشالية الى مصر الجنوبية ومن مرا كش القرية الى جاوا الشرقية علامات الانحطاط أكثر من علامات الارتقاء

فقد عادت معظم المدارس ماثبة للعاجزين والبطالين . ودثرت الصناعات الوطنية أو أشرفت على الدثور . أصبح حفظنا قليلا من تجارة العالم وهذا ضئيلة في الصرف والشؤون المالية ونصينا عندما في التجارة البحرية . وليس لهذه الأمة التي ينف عدها على ثلاث مئة مليون شركة مؤلفة من ثلاثين سفينة كما آتيا

لا تملك مصرفاً رأس ماله خمسة ملايين جنيه مثلاً .

ليس في أيدينا ما نفيس به غير الأراضي الخصبة التي ورثناها عن آبائنا .
تأتي لنا هذه الأراضي بالقمح والفلل والبن واقطن والقز والفواكه وغيرها .
ولكننا نجهل أساليب بيع هذه الثروات يبيع هذه الثروات يبيعاً رابحاً . ويذهب جزء عظيم من ربح
ذلك الحاصلات من أيدينا إلى أيدي التجار الأجانب وجزء عظيم إلى شركات
تسيير السفن الأجنبية

ولا نكاد نجد تاجراً مسلماً في جميع البلدان الأميركية والأوروبية إلا في
النادر وإذا رأيت هناك تاجراً شرقياً فهو إما أرمني أو يهودي أو هندي أو صيني
إذا صرفنا النظر عن التجارة الخارجية فما بالكنا لا نعمل في بلادنا أيضاً . هانحن
أولاء نرى معظم التجارات المهمة في البلاد العثمانية والإيرانية ومصر والمغرب الأقصى
والهند بأيدي الزلاء الذين يتقاطرون إلى البلاد الإسلامية من أقطار العالم المختلفة
نحن لا نقول : أمطرت السماء فشر بنا وأبذت الأرض فأكلنا ولكن
ينبغي لنا أن نعرف أننا إذا عشنا على العمل بهذه القضية في الأيام الغابرة يستحيل
أن نبقى بها فيما نستقبل من الأيام

إذا فقدت أمة من الأمم استقلالها ووقعت تحت حكم الأجنبي فإنها تخسر
خسراً مائتاً . بيد أن هذا الخسران لا يقام له وزن - في مذهبي - في جانب
الخسارة التي تخسرها الأمة التي تقاعدت وتواكلت ثم سقطت من مكانتها في
ميدان العمل والاقتصاد

وما هو السبب في هذه الحالة اللئيمة التي وقعت فيها الأمة الإسلامية ؟ ليس
لنا أن نقول : إن السبب هو الجهل : ثم نسكت ؟ أذ يرد عليه سؤال آخر وهو : وما
هو سبب الجهل ؟

إذا أغضيت عن ترقى الأمم الأفريقية ألا يجب على كل مسلم ناصح لأمته
أن يسأل : كيف ارتقى الأرمن والروم والكرج والبلغار واليهود والمندوس الذين
كانوا قبل اليوم نصف قرن يعيشون بيننا ويشاركوننا في معظم عاداتنا وآدابنا
ونحن بقينا وراهم نلظر إليهم بعين الإعجاب ؟

حاشا أن يها السادة بما يرثي له ولكن لا يجوز لنا البتة أن نكتبها لاد، ذلك
الكتان هو عين الخطأ بل هو جناية عظيمة على نفوسنا
بل يحق لنا أن نجاهر بها في كل ناد ونسعى لتشخيص الهداء، حتى نصف له
الهواء، هل من الرأي أن يكتم الانسان مرضه اذا لم يكن عدو نفسه، وليست مقبة
من يكتم مرضه الا الملاك .

اذا كنتم تنتظرون الجواب عن الاسئلة السابقة من الخطيب فهو يبادر الى
القول بأنه أعجز من ان يجيب على أمثال هذه الاسئلة العظيمة . لأنه يبحث عن
الجواب ولا يجد

أيها السادة ان استعداد الأمة العربية للمدنية قد ثبت . عندنا بتاريخها
المثالي اللامع

وبرشدنا الى استعداد الأمة التركية للمدنية ما تركه لنا علماءهم من المؤلفات
الثافية . واطلال مرصد سمرقند تشهد بشرف هذه الأمة بالعلم والعرفان ثم الانرى
الفناندين والمجرب يبارون الاقوام المتدنية ومجاربهم في كل شؤنهم . ونحن نعرف
ان هاتين الامتين والترك يفرعون من أصل واحد *

القصد أيها السادة من سرد جميع هذه الادلة التاريخية اثبات أنه ليس سبب
انحطاط العرب والترك اليوم هو نقص في فطرتهم وضعف في استعدادهم . وأما المدين
الاسلامي القوي ندين به فهو دين يغضب العقل ويبحث على العمل والهدوء و ينوط
نجاح الانسان بسبله . ولكن سيرتنا تخالف هذه الاصول الكريمة الدينية مخالفة
ظاهرة . وما السبب في هذه المخالفة أيضاً ؟

اني أرى أيها السادة أن الجواب على تلك الاسئلة المهمة وكشف النقاب عن
اسباب انحطاط الامة الاسلامية لا يتيسر تيسراً كاملاً لفرد أو فردين بل لا مندوحة
للبحث في ذلك عن عقد مؤتمر اسلامي عام يجتمع فيه علماءنا وفضلاؤنا ثم
يتناوضون في الشؤون الاسلامية .

* قال الخطيب أنه سقط من الخطبة ذكر الفرس والهنود وأهل الافغان
وجاره المغرب والمواد ان فطرتهم قابلة للعلم والمدنية كالعرب والترك وسائر الاجناس

لا يفهم أحد اني ارمي باقتراح عقد مؤتمر على هذه الصورة الى غاية « بانسلاميزم » أي الجامعة الاسلامية التي ينشأ من الأورويون . وإنما غرضي الوحيد من عقد هذا المؤتمر هو البحث عن أسباب انحطاط الأمة الاسلامية وفتح أبواب النجاح في الأمور الاقتصادية والاجتماعية واختيار السبل القويمة التي نصل بنا الى أخذ نصيبنا من المدنية الغربية الحاضرة .

ولا ننكر أنه كان لاكتشاف أمير كاور في الصناعات والميكانيكات في الغرب تأثير يذكر في اختصار الشعوب الاسلامية وققدان وجوه الكسب . بيد أن العامل القوي في انحطاطنا — على ما أظن — هو الجحود على بعض الماديات والقواعد الواحية والادغام والخرافات التي ورثناها عن آباءنا وتسربت إلينا من الأمم الأخرى بحكم الزمان . ومن أجل ذلك أبدي وأعيد أن حاجتنا شديدة الى المؤتمر العام لكشف المحجب عن الحقائق

فاسمحوا لي أيها السادة والامر على ما ذكر ان أقترح عليكم عقد مؤتمر اسلامي عام لا يتطرق قط الى البحث في الأمور السياسية وتكون باب داره مفتوحة لكل أحد ممن يحبون اسماع المذاكرات وتنتشر خلاصات المناقشات في الصحف المنتشرة وأرى أن يقعد المؤتمر في عيد الفطر من السنة القادمة أو بعده . ويحسن ان ينقد هذا المؤتمر في الاستانة العلية أو في مصر المركز الثاني . ولا أرى سبباً يحلنا على عقد هذا المؤتمر القدي يتفاوض فيه بالمسائل المدنية (*) والعلية في جنيف مثلاً

أيها السادة : اذا واقتضوني على هذا الاقتراح فلا بد من التمسك لهذا الامر الخطير منذ الآن . فيتم علينا من اليوم تأليف لجنة من العلماء والمتورين تشغل بهذا التمسك مثلاً : فخير هذه اللجنة الحكومة العلية بمجلسية الامر وتضع للمؤتمر برنامجاً اجالياً وتبين زمن انعقاد زمن المؤتمر وتقول رسالة من يرجعون اليها من سائر الاقطار .

(*) لعل الاصل المراد « الدينية » فهي التي لا يليق تخصيص مثل جنيف بعقد

مؤتمرها

ولاريد ان هذه اللجنة تنظر إلى قدر من التثود . ولكني لا أعلن مطلقا
أن المانع يكون من الوجهة المالية
ومن منا يتمتع أيها السادة أن يتفضل على هذه اللجنة بما في استطاعته من المال ؟
هل يجيب المسلمون داعي هذا المؤتمر ؟ هذا سؤال أنا أجيب عن جزء
منه قائلا اني على ثقة من أن خمسة عشر أو عشرين مندوبا من روسيا ومن ايران
يجيبون الطلب .

أيها السادة : هذا ما أردت عرضه على حضراتكم في هذا الاجتماع . وقد
استوفتكم زمنا طويلا . فأسألكم أن نصفحوا عن هذا العاجز صفحا جميلا . اهـ



بحث في المؤتمر الاسلامي

(لتعارف المسلمين والبحث عن أسباب ضعفهم وطريق علاجه وتاريخ الدعوة اليه)
أول صوت سمعناه في هذا العصر يدعو المسلمين إلى التعارف والائحاد
والتعاون في الرأي والسعي على تدارك ما حل بالمسلمين من الرزايا الاجتماعية التي
هبطت بهم من ذك الأوج الذي كانوا فيه إلى الخفض الذي صاروا اليه
سيتمهم أهل الملل من الكتائب والثنيين في المدنية هو صوت الحكيم الفيورين
المجاهدين في سبيل الله الجهاد الذي لا يفضل جهاد في هذا العصر - السيد جمال
الدين والشيخ محمد عبده رحمهما الله تعالى وجزاها عن نفسها وعن الأمة والملة
خير الجزاء

السيد جمال الدين مقالات كثيرة في تنبيه المسلمين من رقتهم وإعلامهم
بأسباب تمزيق قوتهم ، ودعوتهم إلى الوحدة، ودلائلهم على وسائل القوة ، وله من
المرسوس والخطب والمحاورات في ذلك ما هو مشهور بين العارفين ، وإن لم يقيد بالتدوين ،
ولما اجتمع الشيخان في باريس وأصدر اجريلة « البررة الوثيق » كان قطب سياستها
دعوة علماء المسلمين وعقلائهم إلى النظر في أحوال المسلمين العامة وإرشادهم إلى

ما ينهض بهم الى عجايزة الأم العريضة وكان من رأيهما أن يشتغل بذلك أهل كل قطر في قطره بالتماون بينهم وان يكون لهم مجتمع عام في الحجاز يأمر فيه من يحضر الموسم من أعضاء جمعية العروة الوثقى فيما بينهم وما كانا يكتفيان في هذا الارشاد بما ينشر في جريدة العروة الوثقى بل كانا يكاتبان من يزونه أهلا لذلك في أقطار المسلمين . وفي الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام نموذج من كتبه لبعض أولئك الاعضاء (راجع ص ٤٨٨ - ٥١٢)

وقد جاء في قائمة العدد الأول من جريدة العروة الوثقى بعد ذكر تنبيه علماء المسلمين وسعيهم في معالجة عليهم مانعه :

« وبما أن مكة المكرمة مبعث الدين ، ومناط اليقين ، وفيها موسم الحجيج العام في كل عام ، يجتمع اليه الشرقي والغربي ، ويتآخى في مواضعها الطاهرة الجليل والحقير ، والفني والفقيير ، كانت أفضل مدينة تتوارد اليها أفكارهم ، ثم تنبت الي سائر الجهات والله يهدي من يشاء الى سواء السبيل »

وجاء في خاتمة مقالة نشرت في العدد الخامس عنوانها (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) إرشاد الى كيفية الوحدة في الإصلاح الديني ومنه « ويحصلون لهم مراكز في أقطار مختلفة يرجعون اليها في شؤون وحنهم يأخذون بأيدي العامة الى حيث يرشدون التزويل وصحيح الأثر ويجمعون أطراف الوشائج الى معقد واحد يكون مركزه الأقطار المقدسة وأشرفها مهد بيت الله الحرام حتى يتمكنوا بذلك من شد أزر الدين وحفظه من قوارع العدوان » الخ (فراجع ص ٢٥٤ من الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام)

وجاء في آخر مقالة منها نشرت في العدد العاشر عنوانها حديث « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » ما يؤتي (كما في ص ٢٩ من الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام)

« وأرى ان العلماء العاملين لو وجهوا فكرتهم لا يصلح أصوات بعض المسلمين الى بعض لأنهم ان يجمعوا بين أهوائهم في أقرب وقت وليس بسير عليهم ذلك بعد ما اختص الله من بقاع الارض بيه الحرام بالاحترام وفرض على كل

مسلم ان يصح ما استطاع وفي تلك البقعة بمحشر الله من جميع اجيال المسلمين
وعشائهم وأجناسهم الخ

هذه إشارة مما كتبه الاستاذ الامام ، باتفاق الرأي بينه وبين حكيم الاسلام ،
منذ ربع قرن فان العدد الاول من العروة الوثقى قد صدر في ٥ جمادى الاولى
سنة ١٣٠١

ثم اننا لما أنشأنا المنار في أواخر سنة ١٣١٥ كتبنا في العدد الثلاثين و ٤٠
من السنة الاولى مقالاتي (الإصلاح الديني) اقترحنا فيها على مقام الخلافة تأليف
جمعية اسلامية في مكة المكرمة يكون لها شعب في كل قطر اسلامي وفصلنا ما يجب
ان تقوم به هذه الجمعية من الإصلاح في العقائد والتعاليم الأدبية والأحكام
القضائية والمدنية والفقه ومن تلافى البدع والتعاليم الناسدة *

وانما جعلنا هذا الإصلاح مقترحاً على سلطان آل عثمان لبيان انه واجب
عليه لأنه هو القادر على تنفيذ ذلك ومنع من ينصدى له هناك من دونه

ثم ان السيد عبد الرحمن الكواكبي (رحمه الله تعالى) قدم الى مصر في
سنة ١٣١٨ ونشر فيها كتاب سبيل جمعية أم القرى الذي صور فيه انعقاد تلك
الجمعية المفتوحة خفية بدون علم الحكومة العثمانية وأمر مكة المكرمة (الشريف)
وان ذلك كان في موسم سنة ١٣١٦

كل ذلك كان الإصلاح الديني فيه ممزوجاً بالإصلاح السيامي على النهج
الذي جرى عليه المسلمون من اشغال الدين على كل شيء . وكذلك كانت فكرة
المقترح الأول السيد جمال الدين رحمه الله تعالى

ثم ان الاستاذ الامام وجه ذهنه بعد مفارقة السيد جمال الدين في أوروبا
وعودته هو الى سوريا ثم الى مصر يحاول الوصول الى إصلاح حال المسلمين
باقناع الحكومة بسلك الطريقة المثلى لتربية المسلمين وتعليمهم فكتب ثلاث

(*) قد مرق المرحوم ابراهيم بك نجيب من هذا المقال وغيره من فضول المنار
ما شاء وأودعه مقالاته التي كان ينشرها في جريدة اللواء تحت عنوان (حاة الاسلام)

لوائح (٥) احداها لاصلاح الملكية العثمانية عامة وقدمها الى شيخ الاسلام في الاستانة سنة ١٣٠٤ ليقدمها الى السلطان والثانية لاصلاح سوريا وقدمها الى واليا بعد ارسال الاولى الى الاستانة. والثالثة لاصلاح التربية الدينية والتعليم في مصر ولم تعمل الحكومة العثمانية ولا المصرية بما اقترحه عليهما ولو عملت احداها به لعملت ما يميز عن كل مثله جمية ومؤتمر لاصلاح الدين

ثم رأينا الاستاذ الامام في السنين الأخيرة من عمره قد استقر رأيه على اليأس من حكام المسلمين وحصر الرجاء في عقلاء أهل العلم والفضل يدعون الى الإصلاح حيث يجدون حرية مع تجنب السياسة ظاهرا وباطنا ومسألة أهل السلطة سرا وجبرا والرضي منهم بعدم معارضة الإصلاح في العقائد والأخلاق والآداب وروابط الاجتماع الأهلية والقومية. فان عارضوا فالرأي أن يئذل المجدفي إقناعهم وكان يرى أن هذا متيسر للمصلحين العقلاء مع حكام المسلمين الأوربيين اذا ظهر لهؤلاء أن الأمر لا سياسة فيه. ومن الأمثال المأثورة عنه « ما دخلت السياسة في عمل الا وأسفدت » واننا نرى عقلاء المسلمين يكادون يجمعون على هذا الرأي

جاء مصر في هذه الأيام اسماعيل بك غصبرنسكي صاحب جريدة ترجمان التركية التي تصدر في بنجه مرأي من بلاد القرم التابعة لروسيا وثلا على جمهور عظيم من سكان مصر الخطبة التي نشرنا ترجمتها قبل هذه المقالة واقترح في آخرها تأليف مؤتمر إسلامي ينتقد في مصر لبحث عن الاسباب التي كان بها المسلمون متأخرون عن غيرهم من الأمم واشترط أن لا تطرق مباحث باب السياسة بل تقتصر في الاسباب الاجتماعية والاقتصادية. وما هي هذه الاسباب الاجتماعية والاقتصادية؟ نحن نقول ان المسلمين كغيرهم من البشر مستعدون لكل ارتقاء و« حضارة وان المانع لهم من ذلك أمران اسبذاد السياسة والجود على التقاليد الدينية التي قيدهم في كل شيء حتى في تصرفهم في بيوتهم وأموالهم. واضرب لهم مثلا علماء الأزهر الذين يستكبرون أشد الاستكبار لبس الأحذية السوداء المعروفة

(٥) راجع فصل اللوائح في الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام (ص ٣٨٠)

هنا بالجزم (جمع جزمة) وقضاة الشرع الذين يأبون ان يكون في المحكة الشرعية
أجراس كبر بائية لطلاب الكتاب والمحضرين والخدم لأن هذا وذاك مما لا يليق بأهل
الدين أولاً ولا لا يتخلون كراحة شرعية. فهذا المثل الصغير، ينبئ عن أمر كبير، وإن هزى
به الجهلاء، أو اشتغل به عن الموضوع أهل الأهواء، فهو كمثل البعوضة والذباب في القرآن
فالمسلمون لا يقدرون على مجاراة أمة مطلقة من القيود التي تقيد الفكر أن يأخذ
مداه في كل علم ورأي وتقيد الإرادة أن تنفذ كل عمل يظهر لمفكرين انه نافع وم
مفيدون فكراً وإرادة إما بالتقاليد الدينية وإما بالسياسة الاستبدادية. فعمل
المؤتمر بخصوص الطبع في فك القيود التي تقيد المسلمين حتى يكونوا أحراراً مستقلين،
فاذا حذر أهل على أنفسهم البحث فيما هو سياسي منها بقي لهم ما هو ديني فقط
ومنه ما يتعلق بحكاهم ومنه ما لا يتعلق بهم

مثال ذلك الشركات المالية التي هي أعظم أو كان الثروة في هذا العصر ولا أذكر
فيها مسألة فضية بل مسألة واقعة هي في تاريخ مصر الحديث أصل الانقلاب
السياسي والعمراني، ولأفادت على المسلمين فيما أقوله فيها اقتبائاً، أو استنبط خلاصهم
فيها استنباطاً، وأما أروي فيها رواية تنبئ عما عليه المسلمون من القيود التي تمنعهم
من مجاراة غيرهم في تحصيل الثروة التي هي أساس العمران

زرت وزير مصر الأكبر رياض باشا فالتقيت في حضرته جماعة من أكابر
المسلمين منهم العالم الأزهرى والمهندس والمؤرخ والطبيب ومن كان ناظرًا لبعض
المدارس العليا وكل واحد منهم يمد من أكابر رجال طبقت وأعلمهم وهم يتناكرون
في مسألة شركة رعة السويس وأن شراء أسهمها غير جائز شرعاً لأن عملها غير
مشروع وكان أشد عارضة في ذلك العلامة الأزهرى (طبا) ولا أحب أن
أذكر شيئاً من أدلتهم المبني بعضها على ان الماء لا يملك وإن أوراق السهام لا قيمة
لها في نفسها الخ وما عجبت لقول أحد كمجبي من موافقة واحد منهم لهم في ذلك
أعهد منه الجبل الى كسر مقاطر التقليد ورأيت في هذه السنة يسعى في تأسيس
بنك أهلي وهو أشد من أعرف اهتماماً بمشروع المؤتمر الاسلامي. وقد جهرت
هناك باستغراب جل هذه المسألة موضعاً للبحث وجزمت بمجواز عمل الشركة

وشرأ سهامها مصرحاً بأن أوراق السهام ليست هي التي تقابل الثمن وإنما هي مثل أوراق الصكوك والحجج التي تكتب لمن يشتري عقاراً أو يقرض آخر مالاً. جبرت بهذا ولكنني لم أسمع من أحد كلمة موافقة ولكنني أظن أنه أعجب بعض الحاضرين ورأيت الوزير هش

فاذا كان أرق مسلمي مصر الذين يدعون الآن في مقدمة شعوب المسلمين علماً وقراباً من المدينة يباحثون حتى اليوم في أعلى محافلهم الاجتماعية في شركة ترعة السويس ويقولون بعدم جواز شراء سهامها وهي هي السهام التي براها وراثتها أميرهم اسماعيل وأعطاها لأوروبا فخار بشم بها واحتلت بلادهم وملكت عليهم أمرها، فهل يلام مسلموها كذا إذا قال عالمهم الكتابي إن شر عمل عمله محمد علي باشا هو بناء القناطر الخيرية وكان ينبغي أن ينفق المال الذي أضاعه في بنائها على بناء المساجد ؟؟ كلا إن علل المسلمين واحدة ولو كان محمد علي مقيداً بالتقاليد الدينية لما أنشأ القناطر الخيرية

إن شركة ترعة السويس وأمثالها من أمور العمران التي لم تكن معروفة في عصر التنزيل فيرد فيها كتاب أو تمضي بها سنة ولكن الفقهاء المستفيدين قد وضعوا أحكاماً للشركات وغيرها من المعاملات المتعارف عليها في عصرهم فجدد المسأخرون عليها اذ عدوها ديناً يجب النباءه في كل زمان ومكان فهل يسهل على المسلمين الذين يريدون مجاراة الأوربيين في الكسب ان يدسوا قبل كل عمل هذه الكتب الفقهية الضيقة الواسعة ويقيّدوا بها ثم يجرون وراء المطلقين من القيود فيلحقون بهم ويلطمعون في مساقتهم ؟ لا يسهل الجواب عن هذا على فقيه يعرف الاحكام المدونة في هذه الكتب ولا يعرف حال المصرف في الاعمال المالية والاجتماعية ، ولا على رجل مالي أو « منشد » كما يقال لم يقرأ كتب الفقه ، وإنما يسهل على من عرف الامر ان يجيب عنه بحق ولكن جوابه لا يكون الا سلباً

أعرف بمصر كثيراً من المسلمين المحدثين يرون انه لا علاج لتأخر المسلمين عامة الا بنشر العلوم المصرية ومحاولة تجميعها بقدر الطاقة وترك الدين وشأنه بحيث لا يتعلم ولا يدافع عنه ولا يتعرض عليه حتى يحكم العلم والزمان فيه حكمها ومن

هؤلاء من هو مسلم جنسية فقط يرى ان الدين عقبة يزيلها العلم ومنهم من يؤمن بالله ورسوله وكتابه ويرى ان الدين قد اصطبغ بشبر الصبغة التي أنزلها الله تعالى وان العلم المعصري ينتزعه من سلطة المحافظين على الصبغة الحادثة ويساعد على إعادته الى أصله فاذا قام مصالح ديني يمكنه ان يهدي المتعلمين للعلوم العصرية الى حقيقة الاسلام ولا يمكنه أن يهدي غيرهم من علماء الصبغة الحديثة للدين والمقلدين لهم وهم جماهير العوام الا أن يتعلموا على الطريقة الحديثة

ونحن نقول انه يمكن الجمع ابتداء بين حقيقة الاسلام وصبغته الإلهية وبين جميع العلوم والفنون والاعمال التي عليها مدار المدنية العصرية وان إصلاح حال المسلمين بشبر هذه الطريقة متعذر ونحن مستعدون بعون الله تعالى وتوفيقه لمناظرة كل من يخالفنا في هذا الرأي

وجهة القول ان المسلمين لا يجارون غيرهم من الامم في ميدان المدنية والعمران لا اذا أطلقوا من القيود السياسية والدينية التي قيدت استمدادهم الفطري وليس في نصوص كتاب الله المنزل ولا في سنة رسوله المتبعة القطعية شيء من هذه القيود الدينية بل فيهما الاطلاق المكلل لفطرة وانما القيود قسبان بدع محدثة وتقاليد مستنبطة من أقوال البشر وقواعدهم تعرف بالاحكام الاجتهادية

فاذا حظر المؤتمر على نفسه البحث في القيود السياسية انحصر عمله في القيود الدينية أي التقاليد والبدع التي فشت في المسلمين باسم الدين الا ان يكون غرض أهله الرقي الديني بدون دين

واذا انحصر عمله في حل القيود الدينية دون السياسية خشية أن تقاوم المسلمين حكومات أور بالمستعمرة لئلا يدم فيجب أن لا يدخل في أعضائه أحد من المستقبلين بالسياسة لتأييد ملك أو أمير لأن ذلك يجعل المؤتمر في موضع الرية والظنة عند تلك الحكومات ولذلك صرح الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد على مسمع من نحو خمسين رجلا ممن دعوا للبحث في المؤتمر بأن من مصلحة المشروع ان يخرج هو وحافظ أفندي عوض أحد صاحبي جريدة المنبر ونفر آخرون من لجنة المؤتمر فلا يكونوا من الاعضاء العاملين فيه

ثم أنه ينبغي أن تكون القاعدة الأساسية الأولى للإصلاح الديني في المؤتمر هي المحافظة على المجمع عليه من المسلمين لاسيما ما كان منه معلوماً من الدين بالضرورة وذلك هو القرآن وما استفيد منه بالنص القطعي وبعض السنن المتبعة - ونفي بالسنة معناها الفقري الذي كان فيه الصحابة ومنه ما هو فرض أو واجب ككون الصلوات المفروضة خمسا ركعات كل صلاة منها كذا يقرأ فيها كذا وبركع في كل ركعة مرة ويسجد مرتين، ومنها ما هو مندوب في اصطلاح الفقهاء كما هو معروف - ذلك أن المودة تمر عام لجميع المسلمين وفيهم السني السلفي وغير السني والشيعي والاباضي ومن السنة الحنفي والمالكي الحنفي ومن الشيعة الجعفري والزيدي فالذي يجمع بين هؤلاء ويوحد كلمتهم هو كتاب الله والسنن العملية المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم بالتلقي عن آله وأصحابه رضي الله عنهم وبذلك يكون المودة مرغوب مقيد بالتقاليد الاجتهادية التي تثير النزاع وتفرق الكلمة فلا يمنع أعضائه مانع من الاعتصام بحبل الله ودعوة سائر المسلمين الى الاعتصام به (راجع التفسير من هذا الجزء وما قبله)

ثم يمرض ما يقرره من الإصلاح الاجتماعي الموافق للاجماع على شعوب المسلمين مبيّناً لهم أن من عمل به لم يكن عمله منافياً لأصل الاسلام الذي لا خلاف فيه فمن اكتفى بذلك وعمل به فيها ونصت ومن حاول تطبيقه على المسائل الاجتهادية في مذهبه وتقيدها فهو وشأنه

بهذه الطريقة يفيد المودة تمر المسلمين أكبر فائدة دينية بما يعلمهم من الأصول المتفق عليها بين المسلمين التي بها يكون المسلم مسلماً أخاً في الدين ثلاث مئة مليون يوافقونه في اعتقاده وأكثر المسلمين يجهل ذلك بالتفصيل ولا يكون جانياً على مذهب أحد ولا حائلاً بينه وبين عالم يتفقد رأيه ولكنه يسله اذا كان متبعاً للمذهب ان ما ينفرد به في مذهبه لا ينافي أخوة الاسلام بينه وبين من لا يتبع مذهب

يتيسر هذا المسلك لأعضاء المودة تمر الا اذا كان فيهم العلماء بالكتاب والسنة وثار يخ الاسلام والعلماء بشؤون العصر وما تقتضيه المدنية من العلوم والفنون والاعمال بحيث يكون عند علماء الدين من علوم الدنيا وعند علماء الدين من العلم بالدين

ما يمكن الفريقين من الاتفاق على الجمع بين الدنيا والدنيا كالتقضييه مزيه الاسلام
الذي هو الدين الموافق لمصلحة البشر في كل زمان ومكان

يقول بعض الباحثين في مسألة المؤتمر انه يجب ان يكون في أعضائه بعض الشيوخ من
علماء الرسوم القلدين للمذاهب الأربعة ليشق بما يقرره عوام المسلمين، ويرد عليهم
آخرون قائلين ان الإصلاح لا يأتي من العوام وإنما يأتي من خواص العقلاء وان
هو لا القلدين اذا وجدوا في المؤتمر محافظين على تقاليدهم فهم الذين يحولون دون
الاستفادة منه ومن جهم عداوة العوام لا يأتي منه اصلاح اذ يكون العوام حينئذ أعمى في
الحقيقة وان كان يهيم انه سيؤمهم بالحيلة فالمصلح الحقيقي هو الذي لا يخاف في بيان الحق
قومة لائم ولا نفور عاوي ولا مقاومة خاصي بل يقرر الحق ويدعو أمثاله من العارفين
الى موازته وموالاه والحق يعلو ولا يعلى وأما بقا الباطل في غفلة الحق عنه

قلت قال عاقل من العقلاء اتني لأفهم معنى « مؤتمر اسلامي » بتصدى
لقيام به من لم يبحث في عمره يوما واحدا عن الإصلاح الديني ولا عن أسباب
مآل المسلمين وإنما يكون انشاء المؤتمر مقتولا اذا تصدى للدعوة اليه من جملة واجل
مهم البحث عن أحوال المسلمين في ماضيهم وحاضرهم وأسباب ما عرض لهم في دينهم مما
ليس منه كفلال وفلان فهم الذين يجب ان يختاروا من يروونه اهلا لأمثال هذه المباحث
ويقول بعض أهل البحث والرأي أن الشعوب الاسلامية لما تستدثل هذا
المؤتمر فهو غير ممكن الآن من حيث طبيعة الاجتماع وان كان ممكنا في نظر العقل
يفنى أن الإصلاح المطلوب يرجع الى مسائل يقل العارفون بها في بعض الاقطار
ويمز اجتماعهم واجتماع غيرهم لا يفيد المطلوب . واذا اتفق أن اجتماعا فلا بد أن
يعتزجوا بنفوسهم ممن لا يوافقهم على رأيهم فاذا كان لديهم من الشجاعة ما يحلهم
على الجهر بالحق يملونه غير مباينين بطعن الطاعنين فلا يرى أن يتقرر ما يروونه
وربما تقرر رفضه وإعلان مخالفته للدين فيكون ذلك مبعدا للإصلاح وعقبة في
طريقه يقيها المؤتمر فينعكس الأمر ويتبدل الوضع ويكون المؤتمر ضارا لا نافعا
ويقول آخرون ان أقل فائدة يجنيها المسلمون من المؤتمر وراء تعارف أهل
الفضل والرأي منهم هو ان ما يتفقون عليه يكون جديرا بالقبول ولا يمكن أن يتفقوا

كلهم أو أكثرهم على شيء صار فأذا لم يهتدوا الى كل المطلوب من الاصلاح فلا بد أن يهتدوا الى بعضه وما يفوتهم منه في الاجتماع الأول يرجى أن يهتدوا اليه في الاجتماعات التي تليه وأمر الاصلاح لا يكون الا بالتدريج . ولكن هذا يتوقف على أن يقوم بالأمر أهله

ومن الناس من يرى أن اجتماع المؤتمر يتوقف على اذن الحكومة ومساعدتها ولذلك اقترح داعيته اسماعيل بك فيما اقترح استثنائها وماضيتها من اجابة طائفة من الروسيين والابريانيين مبني ذلك والحكومة المصرية لا تأذن بهذا المؤتمر ولا تساعد القائمين به لاسيما اذا كان فيهم من يشتغل بالسياسة ومن يتهم بالفرص لأنه ممن لم يعرف عنه قط البحث في أمور الدين وطرق اصلاح المسلمين كبعض المعزولين والمتقاعدین (المهالين على الماش) واذا لم تأذن به الحكومة إذنا رسميا فان سائر الحكومات لا تأذن لمن يدعون اليه بالسفر لخصوره ، وأهل الرأي والفضل لا يسافرون لمثل هذا الأمر بدون إذن حكوماتهم لئلا يكونوا عندها في موضع التهمة ويقول آخرون ان هذا مؤتمر حر لا يتوقف على اذن الحكومة ولا على مساعدتها وإنما اذنها ومساعدتها مزهد كمال فيه اما اذا أرادت منه فلا شك في قدرتها على ذلك ولكنه مما لا يظن فيها أهم الا اذا حصل في الاجتماع شغب أو فتن مما يمنع منه كل حكومة مهما كانت عريقة في الحرية

أما سلطان المسلمين الأعظم فلم أر أحدا من أهل الرأي يشك في استيانه من هذا المؤتمر وحرصه على منعه اذا أمكن . وقد جاء من أخبار الامانة في بعض الجرائد ما يؤيد هذه الآراء وأن السلطان سيكتب الى الأمير والمتقدم الخاص (مختار باشا الفازي) بتلافي ذلك . وأنه أمر بمنع الحجاج بالتحريج على مصر . ويزعم بعض الناس أن الأمير كتب في ذلك بالفعل . وكراهة السلطان للمؤتمر مما يجعله عند كثير من المسلمين مكروها يخشون ضرره ولا يرجى نفعه ويحول دون نشر الجرائد الثمانية شيئا من أخباره قبل انعقاده به ما يقرره ان هو انقصد . فلا معنى لجملته تحت حمايته

هذا أم ما خطر لنا يباهه الآن من فكرة الدعوة الى مؤتمر اسلامي وتاريخها وما يجب أن يكون أساس المؤتمر المقترح الآن والآراء التي تستحق الاعتبار فيه .

﴿ النسخ في الشرائع الالهية ﴾

لقد كثور محمد توفيق أفندي صديقي الطيب في مستشفيات سجن طره

النسخ هو ابطال حكم ليدل أو لغير بدل . وهو واقع في جميع الشرائع الالهية والوضعية خلافا لمن أنكر ذلك من الجهلاء . اما الشرائع الوضعية فوقوعه فيها مشاهد معروف . وأما الالهية فتشاهد وقوعه فيها عديدة أغنتنا عن إيرادها مؤلفات كثيرة بين الأمة الاسلامية أشهرها كتاب (إظهار الحق) لمولانا العلامة المهدي رحمه الله الهندي . فقد أتى فيه بما يضم كل مكابر ويغرس كل عنيد .

يقع النسخ على ضربين ١ نسخ بعض شريعة رسول سابق بشريعة آخر لاحق (٢) ونسخ حكم في شريعة بحكم آخر فيها . والسبب في وقوعه اختلاف حال المكلفين باختلاف الزمان والمكان . فإيلائهم البشر في زمن طفولتهم قد لا يلائمهم في زمن كهولتهم أو شيخوختهم . كما أن ما يوافق الانسان في صحته قد لا يوافق في زمن مرضه . لذلك اقتضت حكمة الشارع العليم أن يفسخ من شرائعه ما أصبح غير مناسب . قال تعالى (٢٨:١٣) لكل أجل كتاب ٢٩ يحول الله ما يشاء . ويثبت وعنده أم الكتاب)

فالنسخ عندنا لا يقع إلا في الاحكام (الاوامر والنواهي) ولا يقع في القصص أو في القضايا العقلية إذ لا معنى لوقوعه في ذلك كما أنه لا معنى لوقوعه في الالفاظ . فلنستأمن بسلام القول بفسخ لفظ بلفظ كما يتوهمون . أو بنسخ لفظ وابقاء حكمه كما يزعمون إذ لو سلم ذلك لكان دليلا على جهل الشارع أو خطأه أو عبثه نسبجان بلك واسع العلم والحكمة عما يصفون

قدمنا ذلك لتعلم أن النسخ لمقتض أو لحكمة لا عيب فيه عند العقل ، وهو واقع بالفعل ، فأنكاره جهل ، أو مكابرة للمحسوس

كما وقع النسخ في الشرائع السابقة ، كذلك وقع في الشريعة الاسلامية ، لمقتضيات الاحوال في الامة العربية زمن التشريع . فكانت شريعة اذ ذاك صورتان :

(١) صورة تمهيدية وقتية

(٢) وصورة ثابتة باقية

فالصورة الاولى هي التي صارت منسوخة لا يعمل بها . والصورة الثانية هي التي لم تنسخ وطولب الناس أجمعون بالعمل بها . أما الصورة الاولى فشهد لها أمثلة عديدة في الاحاديث النبوية . وأما الصورة الثانية فأمثلتها كثيرة في الكتاب (القرآن الشريف) .

وإذا فقتنا الاحاديث المنسوخة وجدنا بعضها نسخ بأحاديث مثلها والبعض الآخر نسخ بالقرآن . وإذا فقتنا القرآن لانجديه ما نسخ بقرآن مثله ولا ما نسخ بحديث كما بينا ذلك في مقالة لنا نشرت سابقا في النار (في الجزء الثاني من المجلد التاسع صحيفة ١١٠) . فالقرآن لا يجوز أن ينسخ بالسنة ولو كانت متواترة وبه قال الامام الشافعي رضي الله عنه وليس فيه منسوخ مطلقا كما قال بعض أئمة المفسرين كأبي مسلم الأصمائي . وكما دل على ذلك الاستقراء والدليل

الكلام في الناسخ والمنسوخ في الشريعة الاسلامية نشأ بين المسلمين منذ نشوءها إذ لا يمكن الاستغناء عن البحث فيه بعد معرفة وقوعه فيها . فكان إذا سمع أحد الصحابة حكما وعلم ما يخالفه بحث في أيهما نسخ الآخر حتى يتضح له ما يجب العمل به فلا غرابة إذا سمعنا فيما روي عنهم أن فلانا منهم قال ان هذا الحكم منسوخ بذلك

وقد نمر في الروايات على قول من يقول بخلاف قوله وقد لا نمر . ولكن جميع هذه الروايات لا يمكن القطع بصحتها وخصوصا ما كان منها واردا في تفسير القرآن الشريف لكثرة المكذوب منها حتى قال أحد الأئمة وهو الامام أحمد « ثلاثة لأصل لها التفسير واللاحم والمغازي » ولا يخفى على أحد قدر أحد في علم الحديث . ولذلك لا يمكننا معرفة رأي الصحابة في موضوع النسخ في القرآن على سبيل اليقين . وغاية ما يظهر لنا من الآثار المختلفة على علانها أن بعضهم يقول بجواز وقوع النسخ فيه كعمر وابن عباس . والبعض الآخر كأبي بن كعب ينكر ذلك « أو على الأقل ينكر جواز نسخ أي عبارة من عبارات القرآن الشريف » ان سلم نسخ حكمها » راجع ما قلناه في المقالة السابقة . على أن رأي أي واحد منهم

لا يجوز الأخذ به بدون دليل .

والذي نراه نحن أن العقل لا يستقيم وقوع النسخ في القرآن الشريف اذا كان القرآن بين لنا نصاً جميع ما نسخ وجميع ما لم ينسخ . أو أن رسول الله صلى عليه وسلم بين ذلك بياناً يقل متواتراً ويتفق عليه مهملين المسلمين . واذا لم يكن هذا ولا ذلك فالقائل بالنسخ يعرض الدين لعلم الطاعنين واستهزاء الهازئين ، وعيب اللاعين ، الذين جعلوا القرآن عصبين ، فيعملون ببعضه ويتركون بعضه الآخر اتباعاً لأهوائهم وأهوائهم فما جزاء من يفعل ذلك منهم الا خزى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما يعملون ومن العجيب دعواهم النسخ في الآيات . مع عجزهم عن بيان الحكمة في نسخها وليس عندهم من دليل عليه عقلي أو قلبي . والله تعالى يقول في شأن القرآن (٢٧: ١٨) لا تبدل لكلماته ولن نجد من دونه ملتحداً) فلا يجوز أن يبدله الله بعد وعده بعدم تبدله اذ النكرة « أي لفظ مبدل » في سياق النبي تم

يقول المحققون منهم « إن النسخ خلاف الأصل ومنى أمكن التفسير بدون وجوب المصير الى ذلك التفسير » وأي آية في القرآن لا يمكن تفسيرها بدون هذه الدعوى الباطلة ؟ فهذا إقرار عظيم بأن القرآن لا نسخ فيه حيث إنه يمكن تفسير جميعه بلا حاجة إلى ما يزعمون . وكيف ينسخ وهو لا يجوز التبديل فيه ؟ واذا كان القرآن (١) لم ينص على الآيات المنسوخة (٢) ولم يرد عن رسول الله نص قاطع بذلك (٣) وما روي عن أصحابه مختلفاً وغير يقيني (٤) ولم يتفق المسلمون على الآيات المنسوخة بل ولا على القول بالنسخ (٥) واذا كان لا حاجة اليه في التفسير (٦) ولا حكمة تظهر فيه - اذا كان كل ذلك فبأي شيء ينمسون ؟ أما قوله تعالى (١٠٦: ٢) ما ننسخ من آية أو ننسها) وقوله (١٠١: ١٦) واذا بدلنا آية مكان آية) فقد فسرناهما في المقالة السابقة بما يشفي العلة وبروي الغلة . ونزيد الآن على التفسير أن الآية الثانية هي من سورة النحل . وقد نزلت هذه السورة قبل إيجاب القتال على المؤمنين أي في مدة أو في أوائل مدة المدينة (هـ) كما نل على (هـ) الظاهر أنها نزلت قبل السنة الثانية من الهجرة أي قبل إتيان النبي بأحكام الشريعة

ذلك الروايات الكثيرة وكذا قوله تعالى فيها (١٦: ٤١) والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبؤتهم في الدنيا حسنة ولا جرة الآخرة أكبر لو كانوا يظنون ٤٢ الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) وقوله في آخرها (١٦: ١٣٦) وان عاقبتهم فاقبوا بمثل ما عوقبتهم به ولئن صبرتم لهو خبير الصابرين ١٢٧ واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تلك في ضيق مما يحزنون) واذا كان نزولها في مكة فالمراد بالهجرة في الآية السابقة هجرة الحبشة . وعلى كل حال إذا كان نزولها في مكة أو في أول مدة المدينة فأعي حكم من أحكام الشريعة الاسلامية كان نزل في تلك المدة ثم نسخ حتى يرد فيها قوله تعالى (واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مقتدر) الظاهر أن القول بأنه مقتدر انما صدر من أهل الكتاب الموجودين بالمدينة أو القليل منهم الموجود بمكة حينما سمعوا أن محمدا صلى الله عليه وسلم يحل محارمته الشريعة الموسوية من المطعومات كما في سورة الانعام المكية الذي ورد فيها قوله تعالى (١٤٥: ٦) قل لا أجد فيها أوحي اليّ محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميثقا الى قوله - ١٤٦ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها الا ما حلت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جز ينهم يفهموا وانا لصادقون ١٤٧ فان كذبوك قل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسهم عن القوم المجرمين) . وقد أشار تعالى في سورة النحل الى هذه الآيات بقوله (١٦: ١١٨) وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) بعد الآية التي نحن بصدد الكلام عليها بقليل وقد كذبوه كما أخبر فما ذكرناه هنا وهناك يدل على أن تفسير الآية هكذا : واذا أتينا بحكم في الشريعة الاسلامية يدل حكم في الشرائع السابقة ووضعناه مكانه قالوا انما أنت كذاب تختلق الاحكام وتنسبها الى الله : الى آخر الآيات . أما تفسيرهم لهذه الآية وآية ما ننسخ فهو بخلاف السياق في كل منهما . وبنا في قوله تعالى (١٨: ٢٧) أتى ما أوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكتباته) الآية والخلاصة أن القرآن لا نسخ فيه مطلقا . أما السنة القولية (الاحاديث) في بعضها نسخ بالقرآن وبعضها الآخر نسخ بالاحاديث الاخرى . وعندنا أنه لم يبق منها شيء . يجب العمل به غير موجود في القرآن لانها لم تكن الاثريّة وقتية

تهدية لشريعة القرآن الثابتة الباقية ولذلك كانت قولية نهيت الصحابة عن كتابتها ولم يأمروا النبي عليه السلام ولا أصحابه بالعناية التي عومل بها القرآن لتزول من بين المسلمين وتندثر (٥) فلا يصلون بها كما بينا ذلك في مقالات لنا سبقت في المباح. وإن أنكر علينا منكر ونسبنا للمروق فلنا له :-

(١) إذا كان نسخ القرآن بالسنة غير جائز كما هو مذهب الشافعي (٢) وإذا كان تخصيص عموم القرآن بها لا يجوز كما هو مذهب داود وأهل الظاهر والخوارج (٣) وإذا كان العمل بالفن مذموماً في القرآن الشريف . وكل ما ورد فيها من الأحكام ظني باجتماع علماء الحديث لأنها أخبار آحاد - إذا كان كل ذلك مسلماً به بين المسلمين بعضهم أو جميعهم فأى شيء خالفته فيه الاجماع أو ابتدعة حتى أرى بالمروق ١٩

أنا لا أنكر مالاً أحاديث من الفوائد العلمية أو التاريخية أو القدسية أو الدينية ولكن كل ذلك لا يوجب العمل بها على المسلمين ولا يلحقها بالقرآن الشريف . الذين اتبعوا يكفرون بغير شيء : القرآن وما تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم . لأن أنكار التواتر مكابرة وجعود فلا يجب التمويل لإعليهما . ولا الرجوع إلا إليها (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول) والرد إلى الله يكون بالرجوع إلى كتابه . وإلى الرسول بالرجوع إليه في حياته أو إلى ما أيقنا أنه منه بعد وفاته . ولم يقل القرآن إلى من ظنتموه الرسول أو ما حسبتموه صدر منه . فلا يمكن الايقان إلا بالتواتر أو بالدليل القلبي

لم يتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم من أقواله إلا القليل الذي لا شيء فيه من أحكام الدين لأن الله أراد أن تكون سنن الأقوال شريعة زائلة . أما سنن الأعمال المتواترة فقد أراد الله أن تبقى بين المسلمين . لا يوضح الكتاب ولتصوير ما أراد به بالفعل ككيفية الصلاة والحج . لأن الإيضاح بالعمل أبلغ من كل قول . ولذلك أجل القرآن الكلام في هاتين المسألتين اكتفاء بعلم النبي صلى الله عليه

(٥) حاشية للمصنف - لا يرد على ذلك وجود الاحاديث الكثيرة بينهم لأنها كلها تقريباً مشكوك فيها

وسلم لما بين جواهر الناس الذين يؤمنون تواطؤهم على الكذب - وهما مما يحسن إتيانه في الجماعة - بل لا يصح إتيان أحدهما (أي الحج) إلا فيها - فلا خوف عليهما من الضياع أو التسيان - ولا يجوز أن يتفق المسلمون على تحريفها عن وضعها فقد بلغت والله الحمد من التواتر ما يمنع كل ذلك .

الحق أقول لا يمكن للمسلمين أن يرتقوا ماداموا جامدين على الأحاديث ، (وقد انقضى زمنها) كلفين بالروايات ، وهي ممثلة بالأكاذيب والأوهام والخرافات . وهي أعظم سبب ضلال كل أمة في عملها واعتقادها

ألا فلنحارب الترهات ، ولنقضي على الضلالات ، ولنت على ديننا : كتاب الله وما بين منه بالسنة العملية المتواترة ، فلا نجأ إليها في الدنيا والآخرة ،

(تذييل) ذكرنا في الصفحة ٩١٣ من المجلد التاسع من المنار ملخص معاملة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه للأحاديث . ونذكر الآن ملخص آراء أئمة المسلمين فيها ليعلم القارئون أننا لم نفتخر شيئاً في الدين فتقول : -

إن الأحاديث التي رويت متواترة لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة وهي مع ذلك لا تدخل لما في أحكام الشريعة الإسلامية كحديث « أنزل القرآن على سبعة أحرف » وحديث « اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم فن كذب عليّ » مشعراً فليتبوا مقدمه من النار » وسائر الأحاديث الأخرى رويت آحاداً . وبعضها عندهم منسوخ . وأما التي لم يقولوا بنسخها فهاك آراءهم فيها : -

(١) رفض أبو حنيفة مع قومه من زمن الرسول (ولد سنة ٨٠ وتوفي سنة ١٥٠) جميع الأحاديث لعدم صحتها عنده إلا بضعة عشر حديثاً (راجع كتاب روح الإسلام) . وعول هو واتباعه في مذهبيهم على الكتاب وافيأس فقدموها على الحديث (٢) قدّم مالك رضي الله عنه عمل أهل المدينة على الحديث . والسنة عند السلف هي الطريقة المثبة عملاً لا الأحاديث

(٣) أنكر الشافعي جواز نسخ القرآن بالأحاديث ولو كانت متواترة
(٤) أنكر الإمام أحمد صحة الأحاديث التي رويت في تفسير القرآن الحكيم
(٥) قالت الظاهرية إنه لا يجوز تخصيص عموم القرآن بها . وإن العمل بها فغير

واجب مطلقا بل هو مذهوم وظنية والعدل بالظن مذموم في القرآن الشريف
(٦) رأي المحققين من علماء المسلمين أنه لا يجوز الأخذ بها في العقائد،
فهذه هي آراؤهم فيها كما في كتب الأصول . فأني شيء ابتدئته أو أقمته
أو خالفته فيه الإجماع إذا كان ما ذكرت هو حكمها عند أئمة المسلمين . فليبرروا
المنصفون، وليتدبر العاقلون ، (و ذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) م
(المنار) ان لنا قولا في هذه المسائل نشره في جزء آخر وتقبل من العلماء
اباحين كل ما يرد لنا في ذلك لا يشترط فيه الا التزام ما يليق بالعلماء من الأدب
والتزامه وبناء المناظرة على احترام اعتقاد المناظر

خطبة اسماعيل بك عاصم

الحامي

التي ألقاها في الحفلة (*) التي أعدها في داره لطلما الكتاب اصحاب المجلات
المصرية ومحرريها احتفالا بتمام مجلة المنار للجنة العاشرة من عمرها
(مساء ١٢ شوال سنة ١٣٢٥ - ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٠٧)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أما بعد حمد الله، والصلاة والسلام على من اجتبهاء، فان براعة استهلاكي
هي تقديم الشكر والثناء لحضراتكم على اجابة دعوتي وتشرير هذا الاحتفال
الادبي باجمال مجلة المنار الزهراء لصديقنا السيد محمد رشيد رضا السنة
العاشرة من عمرها

(*) راجع خبر الحفلة في باب الأخبار والآراء

ولعل هذه أول مرة قام فيها انسان عربي مصري بمثل هذه الحفلة ودعا اليها أعظم أصحاب المجالات وأفاضل محرريها سروراً وإبتهاجاً بمجلة علمية أتمت العقد الأول من عقود الاعداد . وأرجو أن يكون هذا الاجتماع فاتحة لامثاله في المستقبل

اني يا حضرات الافاضل عرفت مجلة المنار في السنة الثانية من نشأتها اذ نبهني اليها صديقي المرحوم نقولا بك توما الاصولي الشير وكان في يده نسخة منها قال لي انها أحسن مجلة دينية، وأفصح صحيفة عربية أدبية ، فأنتمت النظر فيها فأعنيها جديرة بالمطالعة والادخار وحيثذا تأملت نفسي لمعرفة محرريها وقابله فوجدت منه انساناً فاضلاً أديباً ، وكاتباً مالم أرياً ، كما تشاهدون وتشهدون ، فعاشرته ثمانية أعوام وهو يزداد كمالاً في محاسن أخلاقه، وتزداد مجلته جمالاً بالمباحث الاخلاقية العالية، والافكار الصحيحة البعيدة عن التقليد الاعى ، وبالمقالات الحكيمة العمراية، من الوجهتين الدينية والمدنية ، فازداد حبي له كما ازداد إعجابي بثباته بالرغم من مقاومة الدين لا يفقهون ما يقول أو يفقهون قوله ولكنهم يثيرهم عليه الجبل النسي قد ثور بأهله البسطاء، على المصلحين الاذكياء، فازدادت مجلته انتشاراً، ولاقت عند أهل الحجا اعتباراً، حتى غبطه عليها محبوه، وانما يعرف الفضل ذووه

ومن المقرر أيها السادة ان الصحف هنا قسمان أحدهما سياسي وينلب عليه اسم الجرائد . وهي تبحث في القالب عن الحكومة وعلاقتها بالامة والدول ، وعن الامة وعلاقتها بالحكومة ، وعن حقوق كل منهما التي لها أو عليها للآخرى ، وتراقب ما يتجدد من التفتين والتشريع، وتنبه الى العدالة

والاعتدال، والانتصار للمظلوم، والأخذ بيد صاحب الحق المهضوم، ونحو ذلك . فهي نم المرشد الامين اذا أخلصت في النصيح والارشاد، ولم تسلك سبل التعيز والهوى والعناد

والقسم الثاني علمي أدبي وينطب عليه اسم المجلات . وهي تبحث عن قويم الاخلاق، وتهذيب النفوس، وتثقيف الطباع ، وتصحيح الافكار، واحياء اللغة التي بها حياة الامة ، وانماء الصنائع ، والتنبية الى المحترعات المفيدة، وبث روح العلوم النافعة الجديدة، الى غير ذلك مما يرقى الرفان ، ويزداد به العمران

وهذه ربما كانت أتمع للامم وخصوصاً للحدیثة المهد منها بالمدينة لانها مما تضاربت أفكارها، وتسابقت أقلامها ، فهي انما تكون للبحث في مسائل علمية اجتماعية، أو أمور صناعية عمرانية، فلا يحدث عن احتكاك بعضها ببعض غير اشعة تستضيء بنورها العقول

ولهذا وجب على أبواب المجلات ان يتبعوا الرذيلة فيطمسوا رسوماها، ويتعاونوا على قلع جذورها من النفوس الضالة، بأوتوا من الهداية والحكمة، والموعظة الحسنة وقوة البرهان (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) - وان يتبعوا الفضيحة من طريق الشرائع السماوية ، والنواميس الاجتماعية، ويثبتوها في النفوس حتى تطعم في مرآة اخلاق الامة وشعورها (والناس تسعد بالاخلاق ما صلحت)

فان هم فسدت أخلاقهم فسدوا)

فاذا أنتم قم بهذه الواجبات، وأديتم المطلوب من مجلاتكم حق الاداء، فاستنارت بها عقول الامة، وارتقت أفكارها ، وعظمت نفوسها، فعرفت

قيمة الاجتماع، وقوة التعاون، فوجدت المدارس والمستشفيات، والمصارف والكتليات، والجامعات العالية بقدر الحاجة إليها، ثم ذاعت لذة القيام بنفسها، وانفتحت اجابة كل داع يضلها عن السبيل السوي، - هنالك تيسر لها إيجاد المجالس النيابية، واللجان التشريعية، التي تطلبها الجرائد السياسية، ويتمناها كل حب لنفسه ووطنه

لا يخفى على حضراتكم ان من الادلة على حياة الامة وارتقائها أن تعرف قيمة رجالها العاملين لنفعها، فتقدرهم حق قدرهم، وتشجعهم على أعمالهم حساً ومعنى، فيذوقوا من حلاوة الاحترام والاكرام، ما يقوي منهم الآمال بالاصلاح العام، فيزدادوا نشاطاً وتفتناً في عملهم، ويقتدي بهم غيرهم، فيزداد ارتقاء الامة بقدر زيادة التابنين فيها،

لهذا رأيت من الواجب علي لصديقي «المرشد الرشيد» ان احتفل باكمال مجلته (المنار) للسنة العاشرة من ظهورها في هذا اليوم المبارك ٢٢ شوال سنة ١٣٢٥ فقد كان في مثله ظهور أول عدد منها سنة ١٣١٥ ويحسن بي ان أعرض على نظركم هذه النسخة من العدد الاول المذكور واقتطف منه زهرات متفرقة بتأرج نادينا بعرفها

قال في المقدمة الافتتاحية - أيها الشرقي المستغرق في منامه قد تجاوزت حد الراحة فتنبه من سباتك وانظر الى هذا العالم الجديد فقد بدلت الارض غير الارض واستولى أخوك الغربي المستيقظ على قوى الطبيعة ففرز بين الماء والنار، وأولدهما البخار، واستخدم الكهرباء والنور، واخترق الجبال، واختبر أعماق البحار، وعرف مساهة الهواء، وجمع بين أقطار الارض، بل عرج للعبة الفلكية فعرف الكواكب ومادتها - الى أن قال -

وان هذا العصر عصر العلم والعمل فلا تضيع أوقاتك بالتفكير
والاماني والتشهي (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فمليها)

ثم قال ان من وظيفة هذه المجلة الحث على تربية البنات والبنين
واصلاح كتب العلم وطريقة التعليم وشرح الدخائل التي مازجت عقائد
الامة وشبهت الحق بالباطل حتى صار انكار الاسباب ايمانا وترك الاعمال
المفيدة توكلا ومعرفة الحقائق كفرا والتسليم بالخرافات صلاحا واختبال
العقل ولاية والخنوع والذل تواضعا والتقليد الاعمى علما وإيقانا

ومن غرضها رد الشبهات الواردة عن الشريعة الاسلامية ودحض
مزاعم من زعم أنها حجاب بين الماملين بها وبين المدنية ، واتناع
أرباب النحل المتباينة ، بأن الله تعالى شرع الدين للتحاب والتواد والبر
والاحسان ، وان المعارضة والمناسبة تقضي الى خراب الاوطان ، وتضي
على هدي الاديان؛ فهذا ما أرادت أن أجيبه لكم من ازهار هذه المقدمة
ومن أبدع ما رأيته أن سعادة العالم الفاضل أحمد فتحي باشا زغلول استشهد
في مقدمة ترجمته لكتاب الاسلام المطبوع في سنة ١٣١٥ في الصفحة السابعة
بشذرات من فائحة أول عدد من المنار فهي حينئذ قد شبت في مهدها، وحازت
الثقة عند أكابر الامة منذ نشأتها

فهذا ما دعاني إليها الاخلاء لاتخاذ هذه المناسبة اللطيفة ، والمصادفة
الجميلة ، وسيلة حسنة للتشرف بدعوة حضراتكم لاجتماع على مائدة
السر الاديني فوق أرائك المحبة والصفاء فيهنىء بمضنا البعض على هذا
الاجتماع الاخوي المفيد ، ونهنيء كلنا هذا الاخ العزيز المحتفل به على
توفيقه لهذه الخدمات التي نوهنا عنها، ونسأل الله أن يمنحه الصحة ويزيد في

عمره وعمر مجلته ليزداد به النفع العام، وهذا جهد ما يستطيع مثلي عمله والسلام
(لا خيل عندي أهديها ولا مال فليسمع النطق إن لم تسعد الحال)

ثم اني أشكر حضراتكم بلسان الامة المصرية على جزيل فوائدها مجلاتكم
الزاهرة فاتها طالما نشرت من أريج دوحها ما تطورت به النفوس وأتقنى
ان يتكرر مثل هذا الاجتماع ولو مرة في كل شهر لتبادل الآراء في ما
يكون به زيادة ترقية الافكار

وفي الختام أبتل الى الله ان يؤيد مولانا الخليفة والسلطان الاعظم بروح
من عنده وان يوفق خديونا المعظم ورجال حكومته وعقلاء الامة لما فيه قمع
المباد وخير البلاد آمين

حجة الاسلام ابو حامد الغزالي

(٣)

﴿ رأيه في العلوم الدنيوية ﴾

قال في بيان العلم الذي هو فرض كفاية من الباب الثاني من كتاب احياء
العلوم الذي بين فيه العلوم المهمة والمذمومة
« اعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره الا بذكر العلوم . والعلوم بالاضافة الى
الفرض الذي نحن بصدده تنقسم الى شرعية وغير شرعية وأعي بالشرعية ما استفيد
من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ولا يرشد العقل اليه مثل الحساب ولا التجربة
مثل الطب ولا السماع مثل الفقه

فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم الى ما هو محمود والى ما هو مذموم والى
ما هو مباح فالمحمود ما ترتبط به مصالح الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم الى

ما هو فرض كفاية والى ما هو فضيلة وليس فريضة
 «أما فرض الكفاية فهو ما لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطلب اذ هو
 ضروري في حاجة بقاء الأبدان والحساب فانه ضروري في المعاملات وقسمة
 الوصايا والموارث وغيرهما . وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عن يقوم بها حرج
 أهل البلد واذا قام بها واحد كفي وسقط الفرض عن الآخرين . فلا يتعجب من
 قولنا إن الطب والحساب من فروض الكفايات فان أصول الصناعات أيضا من
 فروض الكفايات كالفلحاة والحياكة والسياسة بل الحجامة والحياطة فانه لو خلا البلد
 من الحجامة تسارع الملاك اليهم وخرجوا بترريضهم أنفسهم لهلاك (١) فان الذي
 أنزل الدواء أنزل الدواء (٢) وأرشد الى استعماله وأعد الأسباب لتعاطيه فلا يجوز
 النرض لهلاك بإهماله

«واما ما بعد فضيلة لافريضة فالنمق في دقائق الحساب وحقائق الطب وغير
 ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج اليه
 « وأما المذموم منه فعمل السحر والطلسمات وعلم الشعذة والتليسات
 « وأما المباح منه فالعلم بالاشعار التي لاسخف فيها وتواريع الاخبار وما
 يجري مجراه » اهـ

أقول لا يظهر وجه ما قاله في الاشعار والتواريخ الا فيمن يقرأهم المخص السلي والتفكه
 فاما قراءة الاشعار لاجل معرفة اللغة مفرداتها وأسايلها واكتساب ملكة البلاغة وتمييز
 الصحيح والفصيح من غيره فهو على قاعدته من فروض الكفاية بل ربما يستنبط من
 كلامه في كتاب إجماع العوام عن علم الكلام ان معرفة اللغة العربية فرض عين على
 كل مسلم بحيث يفهم الكلام البليغ ويميز بين الحقيقة والمجاز والكنائية فانه قال هناك

(١) كان هذا المثال مطابقا للحكم في زعمه . ذ كان الاطباء لا يعرفون علاجا
 لتبييض القدم في بعض الاحوال الا الحجامة أو الفصد وكان يتولى ذلك الحجامون
 (٢) هذا المعنى رواه البخاري مرفوعا بلفظ «ما أنزل الله داء الا أنزل له شفاء»
 ورواه غيره ولفظ ابن ماجه « الا أنزل له الدواء » وعند مسلم « فان أصبت دواء
 الداء برىء فان الله »

إن ما ورد في الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته وأفعاله لا يجوز أن يؤخذ بالترجمة فإن غير العربية لا تؤدّي ما يؤدّيه القول الوارد فيها على وجهه في كل صفة من تلك الصفات وضرب لذلك الامثال

وأما نواريخ الاخبار - ولعله يعني بها ما يقابل نواريخ المحدثين - فقد كانت في زمنه قليلة الفائدة وهي في هذا العصر مادة السباسة التي قال بأنها فريضة ويندوع العلوم الاجتماعية التي تشرح لنا سنن الله تعالى في الامم وهو يد العلم بسنن الله تعالى في خلقه كالمعلم بصفات الله وكالمعلم أعلى العلوم الدينية كما سيأتي عنه فلو كان في هذا العصر لقال في الشعر والنار يخ قولاً مفصلاً على نحو ما قلنا

﴿ رأيه في علوم الفلسفة ﴾

ثم تكلم عن العلوم الشرعية وأورد على نفسه هذا السؤال « فإن قلت فلم لم تورد في أقسام العلوم الكلام والفلسفة وتبين أنهما مذمومتان أو محمودتان » وأجاب عن علم الكلام بما سنذكره في الكلام عن العلوم الدينية وإن كان لا بعده منها وعن الفلسفة بما يأتي

« وأما الفلسفة فليست علماً برأسها بل هي أربعة أجزاء

(أحدها) الهندسة والحساب وهما مباحان كما سبق ولا يمنع عنهما إلا من يخاف عليه أن يتجاوزهما إلى علوم مذمومة فإن أكثر الممارسين لهما قد خرجوا منها إلى البدع فيصان الضعيف عنه لالمنته كما يصان الصبي عن شاطئ النهر خيفة عليه من الوقوع في النهر وكما يصان الحديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار خوفاً عليه مع ان القوي لا يندب إلى مخالطتهم

« و(الثاني) المنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه وهما داخلان في

علم الكلام .

« و(الثالث) الإلهيات وهو بحث عن ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته وهو داخل في الكلام أيضاً والفلاسفة لم ينفردوا فيها ينمط آخر من السلم بل انفردوا بمذاهب بعضها كفرو بدعة وكما أن الاعتزال ليس علماً برأسه بل أصحابه طائفة من المتكلمين وأهل البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة فكذلك الفلاسفة

«و (الرابع) الطبيعيات وبعضها مخالف للشرع والدين الحق فهو جمل وليس
يسلم حتى يورد في أقسام العلوم وبعضها بحث عن صفات الاجسام وخواصها
وكيفية استعالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر الأطباء الا ان الطبيب ينظر في بدن
الانسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح وهم ينظرون في جميع الاجسام
من حيث تتغير وتحرك ولكن للرب فضل عليه وهو آبه محتاج اليه وأما علومهم
في الطبيعيات فلا حاجة اليها » اهـ

وقد أوسع المجال لذلك في كتابه المنقذ من الضلال قال :

﴿ فصل في أقسام علومهم ﴾

اعلم ان علومهم بالنسبة الى الفرض الذي نطلبه ستة أقسام رياضية ومنطقية
وطبيعية والهيبة وسياسية وخلقية أما الرياضية فتتعلق بعلم الحساب والهندسة وعلم
هيئة العالم وليس شئ من هذه الامور الدينية ثبوتيا وإثباتيا بل هي أمور برهانية
لا سيول الى مجادتها بعد فهمها ومعرفتها وقد تولدت منها آثان (الاولى) من ينظر
فيها تتعجب من دقائقها ومن ظهور براهينها فيحسن بسبب ذلك اعتقاده في الفلاسفة
ويحسب ان جميع علومهم في الوضوح ووثاقة البرهان كذا العلم ثم يكون قد سمع
من كفرهم وتسطيلهم وتماونهم بالشرع ما تناوله الالسن فيكفر بالتقليد المنص
ويقول لو كان الدين حقا لما اختلف على هو لاء مع تدقيقهم في هذا العلم فاذا عرف
بالسمع كفرهم وجحدهم يستدل على ان الحق هو الجحد والانكار لدين وهم
رايت ممن ضل عن الحق بهذا القدر ولا مستند له سواء واذا قبل له الحائق في
صناعة واحدة ليس يلزم ان يكون حاذقا في كل صناعة فلا يلزم ان يكون الحاذق
في الفقه والكلام حاذقا في الطب ولا ان يكون الجاهل بالفتليات جاهلا بالنحو
بل لسك صناعة أهل يتوافها البراعة والسبق وان كان الحق والجهل قد يلزمهم
في غيرها فكلام الاوائل في الرياضيات برهاني وفي الالهيات تخميني لا يعرف
ذلك الا من جربه وخاض فيه فهذا اذا قرر على هذا الذي أعخذ (كنا) بالتقليد

لم يقع منه موقع القبول بل تحمله غلبة الهوى وشهوة البطالة وحسب التسكيس على ان يصير على محسب الفطن بهم في العلوم كلها فهذه آفة عظيمة لاجلها يجب زجر كل من يخوض في تلك العلوم فانها وان لم تتعلق بأمر الدين لكن لما كانت من مبادي علومهم يسري اليه شرم وشوه مهم قل من يخوض فيه الا وينخلع من الدين وينحل عن رأسه لجام التقوى

(الافقة الثانية) نشأت من صديق للاسلام جاهل ظن ان الدين ينبغي ان ينصر بانكار كل علم منسوب اليهم فانكر جميع علومهم وادعى جهلهم فيها حتى أنكر قولهم في الكسوف والحسوف وزعم ان ما قالوه على خلاف الشرع فلما قرع ذلك سمع من عرف ذلك بالبرهان القاطع لم يشك في برهانه لكن اعتقد ان الاسلام مبني على الجبل وانكار البرهان القاطع فيزداد قللة حبا وللإسلام بفضا . ولقد عظم على الدين جناية من ظن ان الاسلام ينصر بانكار هذه العلوم وليس في الشرع تعرض لهذه العلوم بالنفي والاثبات ولاني هذه العلوم تعرض للأمور الدينية وقوله عليه السلام «ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله تعالى والى الصلاة» ليس في هذا ما يوجب انكار علم الحساب المعروف بمسير الشمس والقمر واجتماعها أو مقابلتها على وجه مخصوص وأما قوله «لكن الله اذا تجل لشيء خضع له» فليس توجد هذه الزيادة في الصحاح أصلا فهذا حكمة الرياضيات وأقفا

(وأما المنطقيات) فلا يتعلق شيء منها بالدين فنيا واثباتا بل هو النظري طريق الادلة والقياس وشروط مقدمات البرهان وكيفية تركيبها وشروط الحد الصحيح وكيفية ترتيبها وان العلم إما تصور وسبيل معرفته الحد أو ما تصديق وسبيل معرفته البرهان وليس في هذا ما ينبغي ان يشكر بل هو من جنس ما ذكره المتكلمون وأهل النظر في الادلة وانما يفارقونهم بالعبارات والاصطلاحات وبزيادة الاستقصاء في التعريفات والتشخيصات ومثال كلامهم فيه قولهم اذا ثبت ان كل (١) (ب) لم ان بعض (ب) (١) أي اذا ثبت ان كل انسان حيوان لزم ان بعض الحيوان انسان ويبرهن عن هذا بأن الموجبة الكلية تنعكس موجبة جزئية . وأي تعلق

لهذا بهمت الدين حتى يحمده ويذكر فاذا أنكر لم يحصل من إنكاره عند أهل المنطق الأسوء الاعتقاد في عقل المنكر بل في دينه الذي يزعم أنه موقوف على مثل هذا الإنكار. فمهم نوع من الظلم في هذا العلم وهو أنهم يجمعون للبرهان شروطاً يعلم أنها تورث اليقين لاحتالة لكنهم عند الانتهاء إلى المقاصد الدينية ما أمكنهم الوفاء بتلك الشروط بل تساهلوا غاية التساهل وربما ينظر في المنطق أيضاً من يستحسنه وبراه واضحة فيظن أن ما ينقل عنهم من الكفریات مؤيدة بمثل تلك البراهين فاستعمل بالكفر قبل الانتهاء إلى العلوم الإلهية فهذه الآفة أيضاً منطوقه إليه

(وأما علم الطبيعيات) فهو بحث عن أجسام العالم السموات وكواكبها وما تحتها من الأجسام المفردة كالماء والهواء والثراب والنار ومن الأجسام المركبة كالحيوان والنبات والمعادن وعن أسباب تغيرها واستحالتها وامتزاجها وذلك يضاهي بحث الطبيب عن جسم الإنسان وأعضائه الرئيسة والخادمة وأسباب استحالة مزاجه وكما ليس من شرط الدين أنكار ذلك العلم إلا في مسائل معينة ذكرناها في كتاب تهافت الفلاسفة وما عداها مما يجب الخافاة فيها فندنا ما لم يدين أنها مندرجة تحتها وأصل جهلتها أن يعلم أن الطبيعة مسخرة لله تعالى لا تعمل بنفسها بل هي مستعانة من جهة فاعطرها والشمس والقمر والنجوم والطبايع مسخرات بأمره لأفعل لشيء منها بذاته عن ذاته (وأما الألهيات) ففيها أكثر أغاليطهم فما قدروا على الوفاء بالبراهين على ما شرطوا في المنطق ولذلك كثروا الاختلاف بينهم فيه ولقد قرب أرسطاطاليس مذهبه فيها من مذاهب الإسلاميين على ما نقله الفارابي وابن سينا ولكن مجموع ما غلطوا فيه يرجع إلى عشرين أصلاً يجب تكفيرهم في ثلاثة منها وتبديهم في سبعة عشر ولا بطل مذهبهم في هذه المسائل العشرين صنفتنا كتاب التهافت. أما المسائل الثلاث فقد خالفوا فيها كافة المسلمين وذلك في قولهم أن الأجساد لا تموت وإنما المثاب والمعاقب هي الأرواح المبردة والعقوبات روحانية لأجسامية ولقد صدقوا في إثبات الروحانية قائماً كائناً أيضاً ولكن كذبوا في إنكار الجسمانية وكفروا بالشرية فيها فطروا به ومن ذلك قولهم إن الله تعالى

يعلم الكلليات دون الجزئيات فهو أيضاً كفر صريح بل الحق أنه (لا يترتب عن علمه مقال ذرة في السموات ولا في الارض) ومن ذلك قولهم بقدوم العالم وأزليته فلم يذهب أحد من المسلمين الى شيء من هذه المسائل وأما ما وراء ذلك من تفهيم الصفات وقولهم أنه عليم بالذات لا يعلم زائد على الذات وما يجري مجراه فذهبهم فيها قريب من مذهب المعتزلة ولا يجب تكفير المعتزلة بمثل ذلك وقد ذكرنا في كتاب فصول التفرقة بين الاسلام والزندقة ما يقين فيه فساد رأي من يتسارع الى التكفير في كل ما يخالف مذهبه

(وأما السياسيات) فمجموع كلامهم فيها يرجع الى الحكم المصلحة المتعلقة بالامور الدنيوية السلطانية وإنما أخذوها من كتب الله المنزلة على الانبياء ومن الحكم المأثورة عن سلف الاولياء.

(وأما الخلقية) فجميع كلامهم فيها يرجع الى حصر صفات النفس وأخلاقها وذكر أجناسها وأنواعها وكيفية معاملتها ومجاهدتها وإنما أخذوها من كلام الصوفية وهم المتألمون المثابرون على ذكر الله تعالى وعلى مخالفة الهوى وسلوك الطريق الى الله تعالى بالأعراض عن ملاذ الدنيا وقد انكشف لهم في مجاهداتهم من اخلاق النفس وعيوبها وآفات أعمالها ما صرحوا بها فأخذوها الفلاسفة ومزجوها بكلامهم توسلاً بالتجمل بها الى ترويع باطلهم ولقد كان في عصرهم بل في كل عصر جماعة من المتألمين لا يخطي الله العالم عنهم فاتهم أوتاد الارض ببركهم تنزل الرحمة الى أهل الارض اه المراد منه

أقول هذا آخر ما استقر عليه رأي الامام أبي حامد في هذه العلوم لأن هذا الكتاب من آخر ما كتب . ومنه يعلم أنه لا ينكر من علومهم شيئاً يمدّه مخالفاً لدين الامسائل معدودة من الفلسفة الالهية وأنا نزيد المسألة بياناً بأبراد ما كتبه قبل ذلك في مقدمة كتابه تهافت الفلاسفة قال :

«أما بعد فاني رأيت طائفة يعتقدون في أنفسهم التميز عن الارباب والظراء ، بمزهد النطنة والذكاء ، قد رفضوا طوائف الاسلام والعبادات ، واستعقروا شعائر الدين ووظائف الصلوات ، والتوقى عن المحظورات ، واستهانوا بتعبدات الشرع

وحدوده ، ولم يقفوا عند توقيفاته وقيوده ، بل خلعوا بالكلية ربة الدين ، فنون من الظنون ، يفتون فيها رهطاً يصدون عن سبيل الله ويغيثونها عرجاً وهم بالآخرة هم كافرون ، ولا مسند لكفرهم غير سماع النبي كتقليد النصارى واليهود اذ جرى على غير دين الاسلام نشوءهم وولادهم ، وعليه درج أبائهم وأجدادهم ، ولا من بحث نظري صادر عن التمر بأذيال الشبه الصارقة عن صوب الصواب ، والانخداع بالخيالات المزخرفة كلام السراب ، كما اتفق لطوائف من النظار في البحث عن العقائد والآراء ، من أهل البدع والاهواء ، وإنما مصدر كفرهم سماعهم أسامي عائلة كقراط وبقراط وأقلاطون وأرسطاطاليس وأمثالهم ، وإطباب طوائف متبعيهم وضلائلهم ، في وصف عقولهم ، وحسن أصولهم ، ودقة علومهم الهندسية ، والمنطقية والطبيعية والالهية ، واستبدادهم بقرط الذكاء والنظنة ، واستخراج تلك الامور الخفية ، وحكايتهم عنهم أنهم مع رزائة عقولهم ، وغرارة فضلهم ، منكرون للشرائع والنحل ، وجاحدون للتفاصيل الاديان والمثل ، ويمتقدون أنها تواميس مؤفة ، وحيل عذرة ، فلما قرع ذلك سمعهم ، ووافق ما حكي لهم من عقائدهم طبعهم ، فقبلوا باعتقاد الكفر تمهيداً الى غمار الفضلاء برحمهم ، وانخرطوا في سلكهم ، وترفعوا عن مساعدة الجماهير والدعاة ، واستنكفوا من القناعة بأديان الاباء ، فلما بأن انظار التكليس في النزوع عن تقليد الحق بالشروع في تقليد الباطل جوال ، وغفلة منهم عن أن الانتقال الى تقليد عن تقليد غرق وخيال ، فأية رتبة في عالم الله أخس من رتبة من يتجمل بترك الحق المعتقد تقليداً ، بالسارح الى قبول الباطل دون أن يقبله خبراً ونقطة ، والله من العوام يعزل عن فضيحة هذه الموهبة ، فليس في سجيته حب التكليس بالشبه بذوي الضلالات ، والبلاهة أدنى الى الخلاص من فطانة بتر ، والصبي أقرب الى السلامة من بصيرة جولا .

فلما رأيت هذا العرق من الحماقة نابضاً على هؤلاء الاغبياء ، ابتدأت بتحرير هذا الكتاب رداً على الفلاسفة القدماء ، مبيناً تفاهات عقيدتهم ، وتناقض كلماتهم ، فيما يتعلق بالالهييات . وكاشفاً عن غوائل مذهبهم وعوراته التي هي على التحقيق مضاحك العقلاء ، وعبرة عند الأذكاء ، أعني ما اختصوا به عن الجماهير والدعاة ،

من فنون العقائد والآراء ، هذا مع حكاية مذهبهم على وجهه لذين لمولاه الملعنة
تقليداً أخاق كل مرموق من الاوائل والاواخر ، على الإيمان بالله واليوم الآخر ،
وان الاختلافات راجعة الى تفاصيل خارجة عن هذين القطبين اهلذين لاجلها
بعث الأنبياء المؤيدون بالمعجزات ، وأنه لم يذهب الى انكارها الاشرذمة يسيرة
من ذوي العقول المنكوسة ، والآراء المنكوسة ، الذين لا يوبه لهم ، ولا يعاب بهم ،
فيا بين النظار ، ولا يهدون الا في زمرة الشياطين الاشرار ، وفجار الاعبياء ، والأغمار ،
ليكف عن غلوائه ، من يظن أن التجمل بالكفر تقليداً يدل على حسن رائه ،
أو يشر بفعلته وذكائه ، اذ يتحقق أن مولاه الذين تشبه بهم من زعماء الفلاسفة
ورؤسائهم ، برآء مما قذفوا به من جحد الشرائع ، وأنهم مؤمنون بالله ، ومصدقون
لرسله ، ولكنهم اخطبوا في تفاصيل بعد هذا الاصول ، قد زلوا فيها فضلوا وأضلوا
عن سواء السبيل ، ونحن نكشف عن فنون ما اتخذوا به من التخاييل والأباطيل ،
ونبين أن ذلك تهويل ما وراءه تحصيل ، والله تعالى ولي التوفيق ، لاظهار ما قصدناه
من التحقيق ، ونصدر الآن الكتاب بمقدمات تعرب عن مساق الكلام في الكتاب

(مقدمة)

ليعلم أن الخوض في حكاية اختلاف الفلاسفة تطويل ، فإن حبلمهم طويلاً ،
وزاعمهم كثيراً ، وآرائهم منشرة ، وطرقهم متباعدة متدابرة ، فلتقتصر على اظهار
الناقض في رأي مقدمهم الذي هو الفيلسوف المطلق ، والمعلم الاول ، فإنه رتب
علومهم وهذبها بوزعمهم ، وحذف الحشو من آرائهم ، وانقضى ما هو الاقرب الى
أصول أهوائهم ، وهو ارسطاطليس وقد ردّ على كل من قبله حتى على أستاذه
الملقب عندهم بافلاطون الالمى ثم اعتذر عن مخالفته أستاذه بان قال افلاطون
صديق والحق صديق ولكن الحق أصدق منه (وإنما) نقلنا هذه الحكاية عنهم ،
ليعلم أنه لا ثبت ولا يقان لمذهبهم عندهم ، وأنهم يحكون بظن وتخمين ، من غير تحقيق
ويقين ، ويستندون على صدق علومهم لاهية ، بظهور العلوم الحسائية والمنطقية
ويستدرجون به ضعفاء العقول ولو كانت علومهم الالهية متينة البراهين ، نقية عن
التعدين ، كعلومهم الحسائية والمنطقية ، لما اختلفوا فيها كما لم يختلفوا في الحسائية ، ثم

الترجون لكلام ارسطاطاليس لم ينفك كلامهم عن تحريف وتبديل، محوج الى تفسير وتأويل، حتى آثار ذلك أيضاً نزاعاً بينهم وأقومهم بالنقل والتحقيق من المتفلسفة الاسلامية الفارابي أبو نصر وابن سينا . فلنقتصر على ابطال ما اختاراه ورواياه الصحيح من مذاهب رؤسائهم في الضلال فان ما هجروه واستكفاه من المتابعة فيه لا ينفرد في اختلافه، ولا يقتصر الى نظر طويل في ابطاله، فليعلم انما يقتصر على رد مذاهبهم بحسب قلة هذين الرجلين كيلا ينتشر الكلام بحسب انتشار المذاهب (مقدمة ثانية)

ليعلم أن الخلاف بينهم وبين غيرهم من الفرق على ثلاثة أقسام (قسم) يرجع النزاع فيه الى لفظ مجرد كنسبتهم صانع العالم تعالى عن قولهم جواهر مع تفسيرهم الجوهر، بأنه الموجود لافي موضوع أي القائم بنفسه الذي لا يحتاج الى مقوم يقوم ذاته ولم يريدوا بالجوهر التحيز على ما أراده خصومهم ولنا نخوض في ابطال هذا لأن معنى القائم بالنفس اذن صار متفقاً عليه. رجع الكلام في التعبير باسم الجوهر عن هذا المعنى الى البحث عن اللفظة وأكثروا لا يسمونه جوهرًا وان سوغت اللفظة اطلاقه. رجع جواز اطلاقه في الشرع الى المباحث الفقهية فان تحريم اطلاق الاسامي وابطاحتها يؤخذ مما يدل عليه ظواهر الشرع. ولعل قول هذا انما ذكره المتكلمون في الصفات ولم يورده الفقهاء في فن الفقه فلا ينبغي أن يلتبس عليك حقائق الامور باعادات والمراسم قد عرفت أنه بحث عن جواز التلغظ بلفظ صدق معناه على المسمى به فهو كالبحت عن جواز فعل من الافعال

(القسم الثاني) ما لا يصدم مذهبهم فيه أصلاً من أصول الدين وليس من ضرورة تصديق الانبياء والرسل صلوات الله عليهم منازعتهم فيه كقولهم ان كسوف القمر عبارة عن انحاء ضوء القمر يتوسط الارض بينه وبين الشمس من حيث انه يقتبس نوره من الشمس والارض كره والسماء محبط بها من الجوانب فاذا وقع القمر في ظل الارض اقطع عنه نور الشمس وكقولهم ان كسوف الشمس معناه وقوف جرم القمر بين الناظر وبين الشمس وذلك عند اجتماعها في المقتدين على دقبة واحدة . وهذا الفن أيضاً لستنا نخوض في ابطاله اذ لا يتعلق به غرض . ومن ظن أن

الناظرة في ابطال هذا من الدين فقد جى على الدين وضعف أمره فان هذه الامور تقوم عليها براهين هندسية وحسابية لا تقي معها رية فمن يطلع عليها ويتحقق أدلتها حتى يخبر بسببها عن وقت الكسوفين وقدرها ومدة بقائها الى الانهلاء اذا قيل له ان هذا على خلاف الشرع لم يستغرب فيه وانما يستغرب في الشرع وضرر الشرع ممن ينصره لا بطريقه أكثر من ضرره ممن يطن فيه بطريقه وهو كاقبل عدو عاقل خير من صديق جاهل

(فان قيل) قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياه فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله تعالى والصلاة » فكيف يلائم هذا ما قالوه (قلنا) وليس في هذا ما يناقض ما قالوه اذ ليس فيه الا نفي وقوع الكسوف لموت أحد أو لحياه والامر بالصلاة عنده والشرع الذي يأمر بالصلاة عند الزوال والغروب والطلوع من أين يعبد منه أن يأمر عند الكسوف بها استحبابا

(فان قيل) فقد روي انه قال في آخر الحديث « ولكن الله اذا تعجل لشيء خضع له » فيدل على أن الكسوف خضوع بسبب التجلي

(قلنا) هذه الزيادة لم يصح نقلها فيجب تكذيب نقلها وانما المروي ما ذكرناه كيف ولو كان صحيحا لكان تأويله أهون من مكابرة أمور قطعية فكمن ظواهر أولت بالادقة القطعية التي لا تنتهي في الوضوح الى هذا الحد وأعظم ما يندح به الملحدة أن يصرح ناصر الشرع بأن هذا وأمثاله على خلاف الشرع فيسهل عليه طريق ابطال الشرع ان كان شرطه أمثال ذلك وهذا لان البحث في العالم عن كونه حادثا أو قديما ثم اذا ثبت حدوثه فسواء كان كرة أو بسيطا أو مشنا أو سدسا وسواء كانت السموات وما تحتها ثلاثة عشر طبقة كما قالوه أو أقل أو أكثر فنسبة النظر فيه الى البحث الالهي كنسبة النظر الى طبقات البصل وعددها وعدد حب الزمان فالقصود كونها من فعل الله فقط كيفما كانت

(القسم الثالث) ما يتعلق التزاع فيه بأصل من أصول الدين كالتقول في حدوث العالم وصفات الصانع وبيان حشر الاجساد والابدان وقد أنكر واجمع

ذلك فهذا الفن ونظائره هو الذي ينبغي أن يظهر فساد مذهبهم فيه دون ما عداه
(مقدمة ثالثة) ليعلم أن المقصود ثنيه من حسن اعتقاده في الفلاسفة فظن
أن سالكيهم تقيين من التناقض بيان وجوه نهايتهم فلذلك أنالاً أدخل في الاعتراض
عليهم الا دخول مطالب منكر لا دخول مدع مثبت فابطل عليهم ما اعتقدوه مقطوعاً
به بالإزمات مختلفة فالزمهم ثارة مذهب المعتزلة وأخرى مذهب الكرامية وطورا
مذهب الواقفية ولا أنتهى ذابا عن مذهب مخصوص بل أجعل جميع الفرق إلباً
واحدا عليهم فان سائر الفرق ربما خالفونا في التفصيل وهو لا يتعرضون لاصول
الدين فلتظاهر عليهم فند الشذائد تذهب الاحقاد» (الكلام بقية)



بَابُ الْحَبِيبِ الْإِسْلَامِيِّ

سبحان المؤتمر الاسلامي

نشرنا في هذا الجزء خطبة اسماعيل بك غصبرنسكي صاحب جريدة ترجان
التي اقترح فيها على مسلمي مصر الدعوة الى مؤتمر إسلامي

جاء الرجل مصر لهذا الغرض فبدأ بزيارة اصحاب الجرائد اليومية وكاشف المسلمين
منهم بما جاء لأجله فوعده صاحب جريدة المؤيد منهم بالمساعدة ودعو الناس الى سماع
خطبته التي أعدها لذلك. وقد طبع أوراكالل دعوة ووزع على نحو ٦٠٠ ممن اختار من الوجهاء
والفضلاء وكان موعدهم ليلة السبت خمس عشرين من رمضان فأجاب الدعوة كثيرون وحضر
كثيرون لم يدعوا فازدحموا على بابة دار الكونفنتال وتعذر تقديم المدعوين على
غيرهم فكان السابق هو المقدم كأن كل واحد منهم كان يرى أن الداعي والمدعوين وغيرهم
من المسلمين سواء في حضور هذا الاجتماع الذي يبحث فيه عن أحوال المسلمين كافة

كان عدد المهتمين زهاء ثلاث مئة رجل قرئت عليهم الخطبة التركية ثم رجعتا العربية وبذلك قام صاحب المؤيد قد كر بمتميد وجيز في كون فكرة المؤتمر ناضجة قد استمدت لها النفوس - أسماء طائفة من شيوخ الأزهر ووجاه العاصمة قال لهم أذنوا له بأن يذكر عنهم أنهم أجابوا الدعوة وهم الأسماء المشهورون الشيخ سليم البشري والشيخ محمد توفيق البكري والشيخ محمد شاكر والشيخ محمد نجيت والشيخ محمد حسين العدوي والشيخ حسين والي والباشوات حسين واصف واسماعيل أبانغل والدكتور حسن رقي وعلي شعراوي والدكتور علوي وموسى خالب ، والبكرات أحمد تيمور وعبد العزيز فهمي الهامي ورفيق العظم وطلعت حرب وحفي العظم وابراهيم الحلواني الهامي واحمد زكي ويوسف صديق وعمر لطفي الهامي ومحمد فريد وعلي بهجت واسماعيل رأفت وحسن بكري المقاول ومحمد أحمد الشريف ثم ذكر من الصحافيين نفسه وحافظ أفندي عوض . وقد علمنا أنه كان كلم أكثر الشيوخ والباشوات من هؤلاء قبل ليلة الاحتفال ودعمهم الى ذلك دعوة خاصة فرضوا وأذنوا له بذلك أمماهم . وقد اعتقد بعض الناس هذا وقالوا أنه عبارة عن إجابة الدعوة قبل سماعها وظنوا أنه لا يخلو من تواطؤ خاص ثم أشيع في البلد أن وراء الستار إرادة تدبر أمر المؤتمر ونصرف كبار المستقلين به في علمهم ورأيت غير واحد ممن ذكرنا أسماءهم آفقا يظن هذا في بعضهم . واقترح بعض الوجاه على صاحب المؤيد أن يدعو كثيرا من الفضلاء الى حضور أول اجتماع يقدّمه لبحث في المؤتمر فدعا بعض من سمي له وأفرادا من غيرهم الى الاجتماع في دار الشيخ البكري في الساعة التاسعة من ليلة ٩ شوال فأجاب الدعوة زهاء خمسين رجلا

اجتمعوا في ردهة الحمار وكان صاحب المؤيد قد دعاهم حضر من ذكر أسماءهم من قبل وصام اللجنة التحضيرية الى مخرج بجانب لرددة ياتمرون ويختصمون في اقتراح عرضه عليهم وهو أن يخرج من اللجنة أناس منهم بعد اختيار من رضاه وبرضونه ليكون مكانهم فلم يتفقوا على ذلك اذ رأى بعضهم أنه لاحق لهم ان يستبدوا بالعمل هم ومن يختارونه

ولما طال الانتظار ومل الحاضار ظهر الغضب على بعض الحاضرين وقال بصوت جهوري ما معنى لأن ندعى الى مشروع عام ويتركنا القداعي ويخلو بفر من دوننا في مخدع يأتمرون بينهم سرا ؟ ما هذا الا إهانة وعمل غير مقبول؛ فأرى من القوم إرتياحا لقوله ومواقفة له عليه وصاروا يتناجون بينهم : إن البكري وصاحب المؤيد قد استبدوا بالمشروع ولا مراءى يريدان أن يختارا المؤتمر من رضىان ليتم ذلك الأمر وكان ذلك الغاضب قد درس على نفر المؤتمرين في مخدعهم واعاد عليهم ما قال آنفا فخرجوا وقام فيهم صاحب المؤيد فقال انه قد شاع بين الناس ان ارادة خاصة تدير أمر مشروع المؤتمر وهذا غير صحيح وانما خلونا لتتذا كرقينا نعرضه عليكم وهواننا رأينا من مصلحة المشروع أن أخرج أنا وحافظ أفندي عرض منه وحسن باشا رفقي وامبايل باشا أبانله وفلان وفلان فالمرجو منكم ان تتنبهوا بدلم من الحاضرين لانعام اللجنة التحضيرية للمؤتمر : أودا هذه خلاصته فبرأ نفسه بحجوجه مما ظن فيه الظانون

فقام كاتب هذه السطور وقال ان بقية من سيبثوهم اللجنة التحضيرية لم يُنتخبوا فالعدل أن ينتخب جميع الاعضاء ابتداء . فحاول صاحب المؤيد والسيد البكري ان يثبتا عدم الحاجة الى جعل أحد ممن ذكرت أسماؤهم ليلة الاحتفال بالخطبة موضعا للانتخاب لأنهم ذكروا أمام مقترح المؤتمر وجمهور من حضر خطبته ولم يعارض في أحد منهم أحد والسيد البكري سى ذلك انتخبا وقال صاحب المؤيد واننا نعرض أسماؤهم الآن على الحاضرين وتأخذ رأيهم فيهم . فقال كاتب هذه السطور انه ما كان لأحد ان يظن في كفاة أحد في وجهه ولا على مسمع الملا . ولذلك اتفقت الامم كلها جعل الانتخاب في مثل هذا الأمر سرا يا فتحن نبجل ونعترم كل واحد من أولئك المذكورين ولكننا ربما نرى أناسا آخرين أولى بهذا العمل من بعضهم فكل واحد ينتخب سرا من يعتقد كفاة . لهذا الامر مع حفظ كرامة الآخرين . وأما ذكر صاحب المؤيد أسماؤهم ليلة الاحتفال وسكوت السامعين فلا يسمى انتخابا اذ لم يخطر في بال أحد من السامعين ان تلك الاسماء ذكرت لأخذ رأيه فيها ولا ان له الحق في جرح أحد ممن ذكر

ثم اقترح بعض الحاضرين أن يكون البحث قبل كل شيء إمكان المؤتمر وعدمه ، وإذا ظهر أنه ممكن فهل الأولى أن يكون عاماً أو خاصاً بمصر وطال الجدل في ذلك . واقترح بعضهم بيان موضوع المؤتمر أولاً فكان السيد البكري أحسن من أجاب إذ قال مماثله موضحاً أن السيد جمال الدين قال أنه لا فرق بين المسلمين وبين سائر الشعوب إلا في الدين ولا يمكن أن يكون دين الإسلام في حقيقته هو السبب في تأخرهم لأنه هو الذي كان السبب أولاً في جهل كلمة العرب ونقلهم من الجبل والامية إلى العلم ومن البداوة إلى المدنية ومن الفقر والضعف إلى الفنى والسيادة فالشيء الواحد لا يكون سبباً لشيء ولضده مما فلا بد أن يكون فهم الدين قد تغير ودخل فيه ما ليس منه فكان أثره في الآخرين ضد أثره في الأولين ولا يصلح حال المسلمين إلا بالرجوع إلى حقيقة الدين (قال) هذا ما سمعناه من السيد جمال الدين وهذا ما سمعناه من الشيخ محمد عبده وعليه جميع العارفين من الكتاب والباحثين ومنه يعرف موضوع المؤتمر . وعند هذا قال بعض الحاضرين لبعض ومنهم أحمد بك زكي الأمين الثاني لأمراء مجلس النظائر أن هذا عمل قامت به مجلة المآر . وقام الشيخ اسماعيل خليل فقال قولاً جاء فيه إشارة إلى ما صرح به غيره من جواب هذا القول وهو أن ما يكتب في المآر وكذا في بعض الجرائد أحياناً من البحث في أسباب ضعف المسلمين وطرق علاجه يكون محلاً لانتقاد بعض الناس فإذا كان مثل ذلك معزواً إلى طائفة كبيرة من علماء المسلمين وفضلائهم وأهل الرأي فيهم يرجى أن يكون مقبولاً فافهم وقد أشرنا إلى ذلك في مقالتنا عن المؤتمر في هذا الجزء

وبعد كثرة الجدل انفض القوم ولم يتفقوا على شيء فزم من حضر ممن ساهم صاحب المؤبد اللجنة التحضيرية على أن يسموا أنفسهم اللجنة التأسيسية أو لجنة التأسيس للمؤتمر وأن يضموا اليهم من يختارونه لعمل معهم

ثم انهم بعد ذلك اجتمعوا واختاروا الشيخ سلبا البشري رئيساً للمؤتمر وعمر بك لطفي الهامى كاتباً للسر وناطوا بتحديد موضوع المؤتمر ونظامه بلجنة مؤلفة من الشيخ نوفيقي البكري وصاحب المؤبد إبراهيم بك البلباوي وحسن باشا رفي ورفيق بك العظم

رحمة مصر بحسن باشا عاصم

رؤيت مصر في ثالث شتوأل برجل الجد والعمل والثبات والاستقامة والعدل
والنظام خادم الأمة المحلص نابغة النوايغ نادرة مصر بنية العصامين العصاة
حسن باشا عاصم رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأحسن عزاءنا وعزاء البلاد عنه .
واننا نكتب في شأنه كلمات لا تقصد بها مجرد الزنا والتأبين ، ولا محض الترجمة
والتاريخ ، بل العبرة والموعظة للأمة ، عسى أن يكون فيها لاهل الاستعداد حسن الاسوء
من هو حسن باشا عاصم الذي يحليه المنار بهنقه الألقاب والتموت مخالفاً
عادته في ذكر الناس بأسمائهم ؟ من هو حسن باشا عاصم الذي يؤبته المنار وقد
مات كثير من الأصراء والباشوات وكذا العلماء ولم يذكر خبر موته ولا عزى
البلاد عنهم ؟

كلان حسن عاصم رجلا من الرجال الذين نهض بأمتهم الأم اذا كثروا
فيها ولو كثرت أمثاله في مصر لا ذهبت انكلترا بأن المصريين قادرين على أن
يحكموا أنفسهم كأرقى أمة أوربية فقد كلان اذاً روحاً من أرواح الحياة القومية ،
وركاناً من أركان النهضة المدنية ، وان كلان عمله مما كانت تبهله العامة ، وقلما
تهتف به ألسنة الخاصة ،

كلان ربما يزوره في البلاد السائح المؤرخ فيقرأ جرائدها ، ويغشى أنديةها
ومساردها ، ويتحدث مع الخواص والعوام ، والمكومين والحكام ، فيسمع ويقرأ
أخبار الأحزاب ومؤسساتها ، والتحزب لها أو عليها ، والمهاورات في التفاضل بين
أفراد ، يقال انهم هم الذين ينهضون بالبلاد ، ولا يسمع لحسن باشا عاصم في هذه
المواضع ذكراً ، ولا يقرأ عنه في هذه الصحف خيراً ، فكيف كان لحياة البلاد
روحاً مدبراً ، ولنهضتها ركناً مشيداً ، والأمة في مجموعها غافقة عنه ، جاهلة عمله ،
ويقتنازع زعامة النهضة فيها زيد وعمر ، وخالد وبكر ، ؟

الجواب من هذا ان الرجل كلان فعلاً ، ولم يكن قولاً ، وأمتنا في مثل هذا
الطور تشغلها الأقوال ، وتقرها الدعوى المرض الطوال ، ورب قول كبير
الدعوى ، قدبر على التفرير ، لو كثرت أمثاله في الأمة مازادوها الارهاق ، ولكن

ما كان يعرف حسن باشا عاصم أحد - وكل أهل الفضل في البلاد يعرفونه - إلا ويهجم بأنه لو كان فينا عشرون رجلاً مثله في صفاته وأعماله لتهضوا بنا تهضة لا تضطر في بال الدين يقولون مالا يضلون ولكأوا حجة لنا على الأجانب لا يكابر أحد في دعائها . ولكن يوجد في البلاد مئات أو آلاف يستطيعون أن يقولوا بأنهم وأقلامهم ما يشبه بمشبه المرء بين العامة قضت عليهم حال المعيشة بأن يكون كسبهم الذي هو قوام معيشتهم بأعمال أخرى

صفات حسن باشا عاصم وأخلاقه

(استقلال الفكر) من الصفات التي تهيئ بها هذا الرجل استقلال الفكر والرأي فقد كان لا يفتد أحداً في رأيه وأما ينظر في الأمر ويعطي فيه الفكر والتدبر حتى يظهر له الصواب وانما نرى أكثر الرجال قد درجوا على التقليد والتسليم حتى كأنهم لم يخرجوا من الطفولية ولم لا يشعرون بذلك لأنهم يظنون أنهم مستقلون فيما قبلوه بادي الرأي ولا يحمل هنا لكشف التلبس في ذلك

(استقلال الإرادة) كان رحمه الله تعالى مستقلاً لإرادة قوي العزيمة أعني أنه كان يعمل دائماً ما يعتقد أنه الصواب والخير والموافق للمصلحة في الواقع ونفس الأمر بحسب اعتقاده وإن كان مما يخشى أن يعود عليه بالضرر . وهذا الخلق فينا أضعف من سابقه ولو كان عندنا كثير من الحكماء والعلماء الذين يعملون بما يعتقدون أنه الخير والمصلحة لبلادنا لكنا من أرق الشعوب فإن فينا عدداً كثيراً من العارفين بما يجب ولكنهم ضعفاء المزاج فلا يعملون بما يعلمون

(الثبات والاستقامة) كان رحمه الله تعالى كالليل الراسخ في ثباته على رأيه وحمه واستقامته في سيره وهذا كان نافعاً في استقلاله وقوة إرادته . فإن العزيمة تكون في الخير والشر وفي المصلحة الخاصة والمصلحة العامة وتكون للرجل الثابت والرجل القلبي فإن الأمة التي ليس له رأي مستقر قد يكون ضعيفاً في العمل بالرأي قبل أن يتحول عنه وقد يكون قوياً . وكان رحمه الله لا يشك من شيء شكواه من التقلب والتحول في الناس فقد اقترحت عليه غير مرة مشروعات نافعة للأمة مما يكون بالاجتماع والتعاون وكان يجيبني في كل مرة : إنك حسن الظن في الأمة

أكثر مما يجب لأنك لانتخبها : وقال لي مرة أو غير مرة مامعناه انما اذا دعونا الى هذا العمل نحمد المهيمن اليه كثيرين في أول الأمر ثم يقتلون لو اذا حتى لا يبقى منهم من يمكن أن يستمر به العمل

(الصبر والاحتمال) كان على نخافة بدنه آية في الصبر على العمل واحتمال المشقة لا يمل ولا يسأم ولولا الصبر والاحتمال ما كان ثبات ولا استقامة . كان في كل عمل دخل فيه يعمل ما لا يعمل به عدة رجال حتى كان يمل ويتملل كل من يشتغل معه لاسيما اذا كان هو رئيسه ولكنه لا يستطيع أن يشكو من كثرة العمل مع من يراه يعمل أضفاف عمله . وقد كان يشتغل اخيرا في أربعة ادارات كبيرة في كل يوم فيمجب كل عاملها من صبره وجهده - وهي ادارة القصر العالي وإدارة تركة الأمير محمد ابراهيم وإدارة الجمعية الخيرية ومدارسها وإدارة الشركة الانسكيزية المصرية - هذا وهو غير مهمل لإدارة منزله بل مقبم لها على كل نظام

(النظام والانتان) كان عاشقا للنظام كلنا باتقان كل أمر يشتغل به . فكان كل عمله مرتباً منظماً متقناً حتى قال فيه سمداً باشا زغلول انه خلق منظماً بالطبع . ومن يخطر بباله أن صاحب تلك الأعمال الكثيرة كان يشغل ساعات من ليله ونهاره ويشغل معه فيها بعض أصحابه في البحث عن صحة كلمة أو عبارة فيها يطبعه لمدارس الجمعية الخيرية أو لشركة إحياء العلوم العربية ؟ خطره أن يطبع أجزاء القرآن الكريم لأجل التعليم في مدارس الجمعية بحسب قواعد الرسم لا برسم المصحف المتبع عن الصحابة عليه الرضوان فبدأ أولاً بالبحث عن جواز ذلك واستفتى فيه الاستاذ الامام فاذ . ووجد نصاً من الامام مالك يجوز في مصاحف التعليم ثم كان يستنسخ الأجزاء ويبحث بنفسه مع أهل العلم في الكلم الذي يشبه في رسمه بكلمة (الضحى) تكتبونها بصورة الماء أم ملساء والكلمات التي في آخرها ياء تحذف في قراءة حفص لأجل الوقف . فكانت نهرمه الهيالي ذوات العدد تتباحث في هذه الكلمات . ثم ناط ضبط ذلك كله ونصحيح الاصل بالشيخ حسين والي مؤلف كتاب الإملاء يطبقه على قواعد الرسم بعد مراجعة كتب القراءات لكي لا يخرج الرسم عن أداء المتواتر منها ثم انه كان يراجع

بنفسه كل ما يصححه الشيخ حسين

وقد عزم منذ أكثر من سنتين على طبع كتاب المدة في الأدب لابن رشيق بنفقة جمعية إحياء العلوم العربية فلما أرسلت إليه المطبعة الاميرية نموذج المزمة الأولى بعد تصحيح مصححيها لها ومراجعتها مقابل على النسخ قرأها فتوقف في فهم بعض عبارتها والاحاديث وآيات من الشعر فيها فراجع كاتب هذه السطور في ذلك في مكتب المنار غير مرة كنا نراجع فيه الأحاديث في كتبها والاشعار في مظانها من كتب الأدب واشترى هودوزان حسان بن ثابت (رضي الله عنه) لأن فيها شيئاً من شعره وراجع أيضاً غير واحد من أصحابه أهل العلم والأدب. وبعد هذا كله لم يأذن بالطبع لأنه بقي في المزمة عبارة غامضة يرجع أنها معرفة وطلق يسأل ويبحث عن نسخة أخرى من المدة ليطلبها أو يستنسها من القطر الذي يعلم أنها فيه . وأبى عليه خالق الائقان وامانة العلم ان يطبعها وهو ينتقد أن فيها تحريفاً شبارك من أنم عليه بهذه الاخلاق ، وبأيت الذين ينسجون بطبع الكتب الدينية والعلمية وغيرها يعنون بعض هذه العناية بالضبط والائتقان

(الجد والرصانة) كنا نرى كثيراً من الناس ينتقدون منه رصانته وجده في كل وقت وحال ونعجبهم الهزل والدمابة ونحاميهم المزاح والمفاكة في الحديث الا قليلا وهذا هو الواجب على من يريد أن يخدم شعباً ينتقدونه بكثرة في الطيش والخفة وينقلب على أكثر أفراد الهزل والهوا والعب في زمن بزاحه فيه أهل الجد والعمل من الشعوب الأخرى على بلاده وينازعونهم جميع مقومات حياته فلولا هذا الخلقان لما قدر على كل ما عمل . ولكننا لا ننكر مع هذا ان استغرق جميع الاوقات في الجد والتزام الرصانة في جميع الأحوال من المبالغة المنتقدة في الفضيلة ولكن لا يقبل انتقادها الا ممن يصرف أكثر أوقاته في الجد ويفرغ في أقلامه للاهل والمصحب بقا كهم ويمارحهم وينبسط اليهم في الحديث وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقاً (الاقتصاد والوفاء) اشتهر فقيدنا المبكي بأعين الفضلاء بالمبالغة في الاقتصاد حتى كان بعض الناس يثان فيه بالبخل والتميز وهو لم يكن بخيلاً ولا مقتر في النفقة بل كان في الانفاق على ما أمر الله تعالى في قوله (٧: ١٥) لينفق ذو سمة من سمته

ومن قدر عليه رزقه فليبتق ما أتاه) كان يكتب لبيته ميزانية السنة قبل دخولها فيجمل المخرج غير مستغرق للدخل كله ويخصي كل أنواع النفقات ويضيف إليها مبلغا احتياطيا ثم يؤدي كل شيء في وقته فكان يدفع اشتراكات الصحف العربية والفرنجية في أواخر شهر ديسمبر من كل سنة واشتراك الجمعية الخيرية في غرة المحرم فيأخذ أول وصل ما وصلات التحصيل وأجور الخدم في أول يوم من كل شهر ويمن كل شيء بشره في وقته . ولولا هذا الاقتصاد لما قدر على الوفاء الكامل في العامة بأداء كل حق في وقته ولا على الاستغناء عن الاقتراض والاستدانة بالربا نعم أن اقتصاده المبني على قواعد العلم الحديث والنزاهة النظام فيه ومن كل عمل كان يستلزم مخالفة أهل البلاد في بعض الأمور مخالفة يستنكرونها فيفسونها بغير اسمها . فمن ذلك أنه كان إذا دعا إلى طعامه نرا من أصحابه وزاره عند وقت الطعام أو يقيه صاحب آخر فإنه لا يدعوهم معهم بل كان بعض أصدقائه ربما يتقدم أن يقول: بلغني أن فلانا وفلانا سبأ كلان المشاء عندك وأحب أن أكون معهم : ليجيبه بحريته المهودة : أنه ليس لك كرمي على المائدة في هذه الليلة : وذلك أنه رحمه الله تعالى كان يعي الطعام على قدر حاجة الأكلين المعلومين بلا تفتير ولا تذبذب . وكيف يوصف بالتفتير من كان خدمه يأكلون من جميع ما يأكل منه أهل البيت وضيوفهم من الألوان والحلوى حتى الفاكهة في الشتاء

وبلغ من اقتصاده في مال الجمعية الخيرية أنه كان لا يرمي ورقة مكتوبة من الأوراق التي لم يبق من حاجة إليها إلا بعد أن يقص منها ما عدا المكتوب أن كان يتنعم به بإمكان كتابة شيء عليه . ووقع لي معه دقيقة من هذه الدقائق أذكرها مثالا وهي أنني جئت مرة قصر عابدين أبغني لقاء الأمير وكان هو رئيس القشريات فأرسلت إليه بطاقة الزيارة للاستئذان ولما هممت بالخروج من حجرته قال لي خذ هذه البطاقة - وكانت لا تزال في يده - فانها أدت وظيفتها الآن ويمكن أن تؤديها مرة أخرى : قلت له ذكرني هذه الدقيقة في الاقتصاد كلمة للإمام الغزالي وهي أن الميزان الذي لا يرجع بالحبة لا يرجع بالقطار لأن القطار مؤلف من الحب

فاذا ألقى في الميزان حبة بعد حبة لم يكن الرجحان الا بمحبة : فأعجبه هذا القول وكان يشغل به

ومن الناس من يهزأ بهذه الدقائق ويمدحها من الصغائر التي لا تنبغي لأهل النفوس العالية . وهذا خطأ وجعل يزينه لمصاحبه الاسراف والخرق واعتقاد الخل والحرمان من النظام فان الكاتب (الخطاط) الذي لا يعنى بكل حرف من الكلمة لا يكون مجموع خطه كامل الحسن، والبناء الذي لا يعنى بضبط كل حجر ينحته لا يكون بناؤه رصينا محكما، والمصور الذي لا يدقق في إحكام تصوير كل عضو لا تأتي صورته مطابقة لما صورته . وهكذا يضيع المال الكثير في غير فائدة من يفرط في حفظ القليل يوضعه في غير موضعه

ان كثيرا من المفسرين الذين يسميهم الحق أسخياء وأجواداً يطلون أصحاب الحقوق ويلوونهم وهم واجدون ما يفون به ولا يكادون يذلون شيئا في سبيل الله واذا خرج منهم الحق لا يخرج الا نكها ولكنهم يراون الناس باضاعة المال في أمور لا يحمدها فاعلها عند الغلاء ولا يؤجر عند الله . ومنهم الذين يضيئون ما هو ثواب من الثروة الواسعة أو غير الواسعة فيقعون في القل المولج ، والفقر المدقع ، وما كثرهم في هذه البلاد واكن أكثر الناس لا يعتبرون

قال الفقهاء يكره في الوضوء ان يفضل المتوضيء العضو أكثر من ثلاث مرات لان ذلك من الاسراف ولو كان بنوا من البحر الا ان يكون له حاجة أخرى في الزيادة كالبرد ولكن لا ينوي بها العبادة وقالوا ان حكمة الشرع في ذلك هي أن تعلم الأمة الاقتصاد في الامور كلها فلا تفرط في شيء وتضيئه في غير منفعة وان لم يكن في اضاعته ضرر

أي ضرر يتصور أن يصيب الأمة لو جرى جميع أفرادها على طريق حسن باشا عاصم في الاقتصاد . لا يضيئون شيئا بوضعه في غير موضعه ولا يؤخرون حقا عن مستحقه ويجهدون في السبق الى مساعدة الجمعيات الخيرية ، أما والله ان أمة يكثر فيها أهل هذا الخلق لجديرة بأن تكون أسعد الامم (لقرة بقية)

(بصدر هذا الجزء من المنار في صلب شوال وهو شهر صلب رمضان)

﴿ الاحتفال بالمقد الاول من عمر المنار ﴾

أنشئ المنار في سنة ١٣١٥ وصدر العدد الأول منه في مساء اليوم ٢٣ من شهر شوال من تلك السنة ثم زحزحنا أول سنته الى غرة ذي القعدة ثم الى أول المحرم فصارت السنة المعجزة هي سنة المنار الحسائية منذ سنه الخامسة أي سنة ١٣٢٠ وفي أوائل هذه السنة وهي العاشرة خطر لاسماعيل بك عاصم الخطيب والمحامي الشهير أن يقيم في داره احتفالاً ينوه فيه بلوغ المنار هذه السن من عمره ولكن عرض له سفر قضي بإرجاء ذلك وعاد الى مصر قبيل شهر رمضان وذا كرتني في ذلك فأخبرته بتاريخ انشاء المنار فسر بذلك وعزم على ان يجعل الدعوة الى الاحتفال في مثل اليوم الذي صدر فيه أول عدده وهو ٢٢ شوال فوزع دقاع الدعوة على أصحاب المجلات الشهيرة في مصر وعمرها ليجتمعوا مساء ذلك اليوم في داره بالبغاسية ويكون الاحتفال في ليلة ٢٣ وهي أول ليلة ظهر في مثلها المنار وكذلك كان

للمنار في مصر محبون كثيرون من علية القوم ومنهم من يقدر على مالا يقدر عليه اسماعيل بك عاصم من خدمة الاصلاح بالتنويه به والعون على زيادة انتشاره ولكن اسماعيل بك عاصم ابتكر هذا النوع من الاصلاح لا بأسخه عرضت أو فكرة سمحت كما ظن بعض من لا يعرف كنه الرجل بل أرشدته الى ذلك فطهرته وهدته اليه ملكة راسخة فيه هي حب الاجتماعات العلمية والادبية ونشر الآراء والحكم النافعة فكم سبق له من تأليف الجمعيات ومن مساعدة المؤلفين لها بالمال والقال على قدر الحال كما أخبرني الثقة وشاهدت في جمعية مكارم الاخلاق . ويدخل في هذا الباب مساعدته لفن التشخيص أو التمثيل بتأليف القصص وإبداعها ما يراه مناسباً لاهل البلاد من انتقاد العادات الضارة والترغيب في الآداب النافعة وبالعون على تمثيلها بالمال فقد سمعت الشيخ سلامة مدير دار التمثيل العربي وأشهر الممثلين يقول: انه كان يؤلف الرواية ويعطي (الجوق) سئين جنبها اعانة له على تمثيلها بمصر: على أن غيره لا يبيع القصة بأقل من هذا الثمن

ذكرت هذا قبل الكلا من كيفية الاحتفال ليان بعض مزايا المحتفل ان لا يعرفها من قراء المنار في الشرق والغرب وفي مصر أيضاً فأتيت سمعت كثيرين يقولون

بلمعة الاعجاب والتعجب كيف خطرت لفلان هذه الفكرة يظنون انها سامة عرضت ، لم تأت عن ملكة وصحت

اسماعيل بك حاصم يطالع المنار بدقة متنبها سير الإصلاح فيه وكثيرا مايدا كرني في مسائل منه يعجب بها فضل إعجاب ومماثل ينتقدها أويري فيها غرضاً أو إيهاماً فلهذه بخدمة المنار علم تفصيلي وله عنده منزلة خاصة عبر عنها بهذا الاحتفال الذي يجب أن يجعله سنة دائمة لجزاه الله عن عمله وعن نيته خير الجزاء

أجاب الدعوة الى الاحتفال عشرون مدعوا تجمعهم رابطة العلم والأدب اجتماعا لا يفرقه الاختلاف في الجنس فان منهم العربي (وهم الأ كثر بالطبع) والفارسي كالدكتور محمد مهدي خان صاحب مجلة (حكمت) والتركي كالدكتور جودت بك صاحب مجلة (اجتهد) ولا الاختلاف في الوطن فان منهم المصري والسوري وغير ذلك ولا الاختلاف في الدين فان منهم المسلم والنصراني القبطي وغير القبطي واليهودي وهو فرج أفندي مراد المهامي محرر مجلة التهذيب الدينية الأدبية لطائفة القرايين)

تم اجتماع القوم بعد العشاء الآخرة في الساعة السابعة مساءً وكانوا قد أقبلوا فرادى ومضى وثبات . وطفقوا يتسامرون بألفاظ الكلام والبشر يشدق من وجوههم سرورا بهذا الاحتفال ، الذي ألف بين الآلاف والاشكال ، وصاحب الدعوة كان يقابل كل واحد بالحفاوة وانبشروا حتى كأن سروره بهم يرجع بسرور مجموعهم . وفي أثناء الساعة الثامنة دعوا الى حجرة المائدة فانظموا حولها كعقد اللؤلؤ المنظوم ، أو كنقطة مؤلفة من النجوم ، ولا بدع فهم نجوم الهداية الى الآداب والعلوم ، وقد أعجبوا بذوق صاحب الدعوة ورب المدار ، فيما على المائدة من تنسيق الزاهين والأزهار ، واختيار أنواع الفاكهة والخمار ، مع حسن نظام المدار ، وما يزينها من تالق الأنوار ، فإنه جلب اليها صنوف الفاكهة السورية كالغلب الزيني والزعرور البناني وحب الالتمس وغير ذلك علما منه بأن المحتفل لاجله ونحو نصف المدعوين وهم سوربون يمنون بذلك الى ما ألفوا في سن الصبا ، وأن سائر المدعوين يسرون منه بمجد الطريف ، وما زال الانسان يمن الى غير المبدول المعروف ،

مكثرا نحو ساعة ونصف يمزجون أطايب الطعام ، بأطابيب الكلام ، ويجمعون بين أحاسن الفا كمة ، وأحسن الفا كمة ، ثم طافت القناني على الا كواب ، ثم رعا بالماء النازي (النازوه) الممزوج بأهل الشراب ، فأكلوا هنيئا كريها ، وشربوا حللا طيبا ، وبعد الطعام قام صاحب الدعوة خطيبا ، مرحبا بالقوم ترحيبا ، فألقى الخطبة التي نشرناها في هذا الجزء من النار ، وزاد عليها نحوها من عقائل الكلام وورقات الاشعار ، وهما أقول إن اسماعيل بك عاصم قد اعتاد ارتجال الخطب ولم يتعود تأليفها وحفظها ثم تلاوها كما يفعل كثير ممن يدعون الخطابة فضلا عن كتابتها وتلاوتها في الورق . ولكنه في هذه المرة خالف عادته وكتب الخطبة التي نشرناها وطبعها ليوزعها على من يحضر الاحتفال ولكنه غلب عليه ما تعود فألقاها بالمسنى غالبا وزاد فيها ما فتح عليه ارتجالا وكان مما زاده التناء على هذا العاجز بأكثر مما في الخطبة فأعجبني ذلك جدا

قلت بعد إتمامه ما جاد به لأشكره ولاخواني الحاضرين فضلمهم وأقول شيئا يناسب المقام فأوحى الي سلطان الحجل القدي كان يحكم في وجداني حكما استبداديا لا طاعة لي بدفعه أن كل ما يمكن أن أقوله من الشكر أو الكلام في الإصلاح والعلم فهو يتضمن الثناء على نفسي وأرتج علي أو كاد حتى لم أجدم من القول الا الاعتذار عن الشكر بالعجز عنه اذ لم أوتجراة الخطيب وطلاقة وعن الكلام في المسائل العلمية والادبية بأنني أفصح عيني فلا أرى أمامي الا العالم التحرير ، أو الكاتب البارع في التحرير ، أو الفيلسوف المدقق ، أو المؤرخ الحق ، فإذا عساني أفيد هؤلاء الفحول ، وم أعلم مني بكل ما يمكن أن أقول ، قلت ولو أنهم في مجتمع عظيم من سائر طبقات الناس لكان يقيس لي ان أصرف بصري عنهم ، وأخاطب بما يفتح علي غيرهم ، قبلوا بكرمهم العذر ، وأعجبهم الاعتراف بالعجز ، ولكنهم اتواضعم عدوه من التواضع

ثم قام يعقوب أفندي صروف الله كنور في العلم والفلسفة ومحرر مجلة المتكلمة المفيدة فألقى خطابا مفيدا افتتحه بقوله انه عند ما قدم السيد رشيد رضا الى هذه الديار كتب الي بعض أهل العلم (و ذكر اسمه) كتابا يقول فيه انه قد ظعن

الى مصر عالم واسع الاطلاع قادر على البيان والافصاح عن علمه حراً بخاف في ابداء ما يعتقد شيئاً . فلما اطلعت على العدد الاول والثاني من المنار جازمت برأي قلته وكتبته بعد ذلك غير مرة وهوان اخواننا المسلمين سينظرون في المستقبل الى صاحب المنار وكذا الى المرحوم المفني (يعني الاستاذ الامام) كنظر النصارى في أوروبا الى لوثير وكلفن

ذلك أيها السادة لأن الدين له أعظم تأثير في الاحوال الاجتماعية فما من مدينة قامت في العالم الا وكان أساسها الدين . اننا لانبعث في أمور الاديان لأننا كلنا نعتقد أنها من الله فهي فوق البحث ولكن فهم الناس للدين هو الذي يصدم عن المدنية أو يسوقهم اليها فقد كان أهل أوربا يظنون الدين المسيحي فهما حال بينهم وبين العلم والمدنية عدة قرون وبعد ان قام فيهم لوثير وأنصاره بالاصلاح الديني تغير فهم الناس للدين تغيراً كان مبدءاً لمدينتهم الحاضرة . وقد كان العرب من قبل يفهمون الاسلام فهما دفعهم الى المدنية والعلوم ثم اقلبت الحال وصار المسلمون محتاجين الى اصلاح يجمع بين الدين والمدنية وأن فلانا هو الذي أخذ على نفسه القيام بهذا الإصلاح في مجلته المنار التي اجتمعنا للاحتفال بها في هذه الليلة اجابة لدعوة صديقنا الخطيب الفاضل والمهامي الشهير اسماعيل بك عاصم . ان صاحب المنار يقاوم البدع والخرافات ويشرح الدين شرحاً يسهل سبيل المدنية ويهدم العقبات التي تعترض سالكها ويبين كيفية سلوكها فهو يهدم ويبني في وقت واحد ثم ذكر ان هذا العمل يسر المسيحيين وغيرهم من سكان الشرق ويعدونه خدمة عامة لا خاصة بالمسلمين لأنهم يعلمون ان الشرق لا دنى لا يرتقي الا اذا ارتقى المسلمون اذ هم العنصر الاكبر فيه وأنتني على هذا العاجز المحتفل لاجله وأشار الى ما لقيه من المصاعب وصبره عليها وعلى اسماعيل بك عاصم بما يليق بغيرته على العلم وجهه له وإكرامه لآله ،

هذه فحوى ما فاه به الدكتور الحكيم ملخصاً وقد كان موضوع الاعجاب والاستحسان كما يليق بما فيه من الابداع والاحسان ، نطق بذلك كل لسان بعد ما نطقت بالتصفيق اليه ،

ثم قام سيد أفندي محمد صاحب المجلة المدرسية (ونظر المدرسة التحضيرية الكبرى) وأرجل خطبة ضافية القبول، متدفقة السيول، مدح فيها العلم وأهله، وحمد فيها المحتفل وأطرى المحتفل لأجله، ومما قاله أنه عرف صاحب المنار، أول مقدمه لهذه الديار، وعلم أن سينشيء صحيفة إصلاحية فيها فذلك كان من المواظبين على قراءة المنار والاستفادة منه منذ ظهر إلى الآن. وأنه لم يكن قبل المنار يسمع صوتاً ولا يرى كتابة تنشر في مقاومة البدع والمخرفات. ثم ذكر مآلتي المنار من المقاومة والمعاداة وصبر صاحبه على ذلك حتى تم نوره وعم ظهوره وانتشر تعليمه وانفع الناس به وصرح بأن المقاومين له من العلماء وغيرهم قد اتفقوا هم أنفسهم به وصاروا ينكرون في حالهم ومآلهم وما ينبغي أن يكونوا عليه في هذا العصر. وقد بالغ في إطراء هذا العاجز وتخليته بالألقاب التي لا يستحقها إذ لم يكن يشير إليه إلا بكلمة «استاذنا» وما يصلح بها من التعمت العالية فجزاه الله عن حسن ظنه بأخيه خيراً. وقد أثني على المحتفل الكريم في فائحة القول وختامه، بل في كثير في أجزائه وأقسامه، وصفق له السامعون مراراً

ثم قام توفيق أفندي عزوز صاحب مجلة المفتاح خطيباً وهو من كتاب وخطباء القبط. أصفار الرسول صلى الله عليه وسلم فذكر أن مجلته قريبة من مجلة المنار في السن فهي في السنة التاسعة من عمرها وأفاض في تفضيل المجلات على الجرائد وأثنى على المحتفل وهنا المحتفل لأجله

وكان حسن بك حمادة صاحب مجلة الأحكام الشرعية قد أعد شيئاً وكتبه ليجهه أصلاً خطبة يلقيها فضاء الوقت باطالة الخطيبين الأخيرين فمنه كثيره عن الخطابة فأعطاني ما كان كتبه وهو بنصه :

«لومضت سنة الادب بأن لا يهنا الشخص بساراً، إلا بصارة تحيط بوصفه، مسبوكة في قالب من البلاغة مساو لبلاغته، لوجب على حضرة الاخ الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر أن يقوم بهتته نفسه وبودي هذا الغرض عن هذا العاجز ولكن الله سبحانه وتعالى يقبل شكر عباده على قصورهم عن أداء واجبه وصاحب المنار خير من تخلق بمخلق مولاه فأطلب إليه أن يتقبل

تهنئة هذا الضيف له على ثبات ارادته ومقابلته لما اعترضه من الصعاب في سبيل عمله الجليل الذي يوديه للعالم الاسلامي بل العالم الانساني .

اذا قضى واجب الوطنية والتابعة علينا مرة بمشاطرة صاحب المنار الاغر السروو بهذا الميدان الادبي فان واجب الدين الذي وقف صاحب المنار نفسه لخدمته، ومصرف مواهبه في القرب من حوضه، يوجب علينا ذكرا مرات كثيرة، وقد ضمنا من ورائها أدب أقتناه مقام والده .

واني أحس كما يحس كل صادق في خدمة العلم الصحيح ساع في خير الانسانية وبعبارة أجل كما يحس كل شخص ضمنه حاشيتنا هذا الحفل الزاهر بأن نجاح صاحب المنار الاغر، وقطعه لهذا المقد من السنوات خطوة واسعة في ارتقاء الآداب، ودرجة ثمينة في تاج المجالات التي تصدر في هذا القطر المبارك، بل غر لحياة المجالات التي تصدر في الشرق أجمع .

واني عن مجلة الاحكام الشرعية أحبي مجلة المنار الاسلامي بدخولها في المقد الثاني من حياتها المباركة وأسأل الله لصاحبها الفاضل النجاح والتوفيق فيما قصد . هذا وليس بمجيب أن يقوم حضرة الاصولي المفضل اسماعيل عاصم بك الخطيب الشهير بمظاهر هذا الميدان فطالما خدم العلم والآداب وكانت له اليد الطولى على الجمعيات الادبية في مواطن كثيرة وله مناجيا أجمل الشكر ومن الله تعالى جزيل الاجر والسلام » اهـ

وقدم الينا التلمذ النجيب محمود أفندي رمزي التاريخ الآتي فنشرناه شكر الله ونفسيطا

مؤسس عبد المنار على السمارف والسنن الطاهره

دعوت الجماهيرة العالمين وأهل المعارف في القاهرة

ومن كل شهم اذا ما محمد ث ينطق بالحرر الساحره

ليحي المنار ورب المنار وعاصم والسادة الحاضره

بسم المنار فأرخ الا يمين لقد بلغ العاشره

٣٢ ١٠٢ ١٣٤ ١٠٣٢ ١٠٧

وانصرف القوم منتصف الليل حامدين رب الدار، متهنين داعين بإطالة عمر المنار وصاحبه

الماتريشا

١٣١٥

فيهم جادى الدين يستنون القول فينبون آسنة
اولئك الذين جدام اعدوا ذلك هم اولوا الالباب

باني الحكيمين يشاؤون فيون الحكمة فقد اوتى
عها كتبوا وما يسكر الا اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كثار الطرق

(مصر شوال سنة ١٣٢٥ - آخره الخيس ٥ ديسمبر (١ ك) سنة ١٩٠٧)

الماديون والآلهيون (١)

فلسفة صحيحة

(ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم)

« تمهيد - غرور الماديين بمعلوماتهم - الجوهر الفرد - المكان - الزمان -
قوى المادة - ماهو البرهان الصحيح ؛ المعجزات - الفئات الطبيعية - مذهب
داروين - القضاء والقدر - أبسط الاحياء - الفعل المنعكس في السلسلة الحيوانية -
عمل المنع هو فعل منعكس متضاعف - الانسان مضطرب في صورة مختار - اختلاف
أحوال المادة - الظلم - تهرئة الخالق منه »

الانسان مفتون بنفسه ، مغرور بمقله ، لا يعرف من الأمور الا ظاهرها ، فيظن
أنه أدرك باطنها ، فيثبه إعجابا ، وينأى بجهانه تمردا واستكبارا ،
عرف الماديون شيئا من أسرار الوجود فوجدوا قدة وراحة عقلية ما كانوا
يشعرون بها من قبل وتوهموا أنهم فهموا هذا الكون وسبروا غوره وأمكنهم التمليل
عن منشأه وأصله بدون الاحتياج الى شيء ليسابهم تلك الالفة الفكرية التي حصلوا عليها

(١) للدكتور محمد توفيق افندي صديقي الطيب بسجن طره

قام المدين بناديبهم بالاذعان لعللة العلل ومسبب الأسباب ووصفه لهم بما لم يمكنهم إدراكه ولا يقدرّون على تصوّره فكبر عليهم مادعاهم اليه . وعز عليهم ترك ما هم فيه ، فأعرضوا عن الدين وأظهروا العداء له ، وقالوا ما لنا ولهذا الهذيان ونحن (والطبيعة الخمد) قد وصلنا الى درجة من العقل لا تتفق مع هذا البهتان الكبير شرب بعض المقلّدين لهم من حياض أفكارهم فثملوا بها ، وفاتهم أن الدين الصحيح يذهب بمتبعيه الى بساطين الحرية والراحة العقلية التي يرح فيها المؤمن ، ويصل على دوح التصورات الفكرية حتى يبلغ الملكوت الأعلى ويصل الى معرفة واجب الوجود فينزل الى المادة وقد عرف علتها الحقيقية التي لا يروها الوهم ولا يدنو منها الخطأ أو الشك

إن كان الماديون ينكرون وجود الله لأنهم لا يمكنهم أن يدركوا كنهه تعالى فأني شيء أدركوا؟ هل أدركوا المادة . أم هل أدركوا قواها ؟

أسمع صوتا من بعيد أظنه من بعض النافذين يقول « نعم قد أدركوا كل شيء ... أما قرأت علومهم؟ أما سمعت بمكتشفاتهم؟ فأني شيء لم يدركوا ؟ »
أذن متي با هذا ولا تعجل عليّ فأني أتيك بالخبر اليقين . وغيبوك بحقيقة علمهم .
ف فكر معي تفكيرا ، وتروّ في الأطرويل ،

خذ قطعة من أبسط الأشياء كالخجر مثلا واسحقها ثم خذ بين أصبعيك منها أصغر ذرة تقدر عليها ثم سر في تقسيمها الى أصغر منها بالعقل . فهل تقف عند حد أو لا تقف ؟ إن قلت أنك لا تقف قلت إذا هذه الذرة مركبة من ذرات (١) لا عدد لها وليس لها حصر . فكيف ذلك وهي محصورة بين أصبعيك تقلبها كيف شئت ، فهل يكون غير المتناهي متناهيا وغير المحصور محصورا ؟ أي تناقض أصرح من هذا ؟ وإن قلت أنك تقف عند حد سألتك هل الذرة التي تقف عندها لها امتداد أم ليس لها امتداد . فإن كان لها امتداد فلم لا تتصور تقسيمها ولم تقف عندها ؟ وإن لم يكن لها امتداد (وهو الصحيح) فهل يمكنك أن تدركها بمقلتك أو تتصورها

(١) هذا يقطع النظر عن نظريات علم الكيمياء واصطلاحاته فإنها لا تناقض

هذه المسألة

في فكره؟ كلا!! إذا أنت لاتدرك شيئا من مادة هذا الوجود الواقع تحت حسك؟ فكيف بواجب الوجود (واقع تعالى)!! ولم تشكر وجوده وقد قامت عليه الدلائل القاطعة. كاتي ينهاها في بعض مقالاتنا السابقة في المثار؛

نفكر ثانيا في تلك القدرات التي لا امتداد لها فهل يمكنك أن تتصور كيفية اجتماع بعض أجزائها ببعض حتى تتوحد منها الاجسام الشاغلة للفراغ؟ اذا وضع ثلاث منها بعضها بجانب بعض فهل تثبت للوسطى منها جانين أم لا؟ فان أثبت ذلك لها كان ذلك نقضا لقولك الأول انها لا امتداد لها وأمكنك قسمتها . وان لم تثبت لها الجوانب فهل تتصور كيفية وجودها واتصال بعضها ببعض؟ كلا إنه لا يمكنك ولا يمكنني ذلك اذا لا يمكننا أن نتصور حقيقة الاجسام ولا الفراغ ولا المكان لأن ما يقال في الاجسام يقال مثله في المكان وما قيل في القدرات التي لا تنقسم (وهي الجواهر الفردة عند الفلاسفة والمتكلمين) يقال في النقط الهندسية عند ارباطيين ثم نفكر ثالثا في وجود هذه القدرات منذ الازل على اعتقادك مع قولك بحركاتها التي ليس لها أول وخذ حركة منها لتشكل عليها . أليس قبل هذه الحركة حركات لا عدد لها لأنها أزلية كما نقول؟ واذا كان الأمر كذلك فكيف أمكن انقضاءها جميعا وكيف جاز أن تأتي تلك القدرة بحركات لا عدد لها قبل كل حركة . أليس ذلك قولاً بأن ما لا يعد أمكن عده؟ وما لا يمكن الاتيان عليه قد أمكن الاتيان به؟ أو ليس هذا تناقضا بيننا؟

ومثل الحركات الأزلية لحظات الزمان فإنه يستحيل وجودها منذ الازل فهل يمكنك بعد ذلك أن تقول بأنك تفهم الازل أو تفهم الزمان؟ إلى هنا قد تبين بأجلى برهان أن المادي لا يفهم كنه المادة ولا مكانها ولا زمانها

إنه كما خرج من تناقض سقط في آخر . فهل يفهم شيئا من خواص المادة وقواها؟ إن للمادة قوى كثيرة عرفنا بعضها كالسكر بآلية والمغناطيسية والجاذبية العامة بين الارض والاجسام التي عليها وبين الأجرام الكونية بعضها مع بعض أليست كل هذه الفاعلات لا تعرف لها معنى حقيقيا . وما مثلنا في ذلك الا كمثل الذي «فسر الماء بعد الجهد بالماء»

خذ مثلاً قوة الجاذبية التي بين الشمس وأحد السيارات كالأرض أو كزحل فما هو هذا الشيء الذي به الجذب ؟ هل هو مادة أو غير مادة ؟ فإن كان مادة فكيف يحصل به الجذب ؟ وإن كان غير مادة فهل يمكننا تصوره ؟ وكيف يحصل الجذب بين الحديد والمغنطيس ؟ وما الجواب الثاني عن مثل هذه الأسئلة ؟

فإذا كان الماديون لا يفهمون المادة ولا زمانها ولا مكانها ولا قواها فأى شيء يفهمون أو يدركون ؟ أنهم لا يملكون الاظهار من الحياة الدنيا وهم عن الحقائق غافلون وإذا لم يكن عدم إدراك الشيء عقبة في سبيل التسليم بوجوده فلماذا يشكرون وجود الله تعالى ؟ وأي فرق بين المادي والآتي في الحرية العقلية الآتية . يعتقد بوجود اشياء لا يدرك عقله كنهها لأنه قام عنده عليها الدليل . وكذلك المادي يعتقد ولا يمكنه أن يدرك كنه ما يعتقد ؟ فهل يكون أحدهما أكثر تشككاً بالحرية العقلية من الآخر ؟ كلا ! فإذا يفتمخرون ؟

أن عدم إدراك الشيء ليس دليلاً صحيحاً في نظر العقل على عدم وجوده وإلا لأمكننا أن نقول إننا لا ندرك شيئاً من كنه هذا العالم المحسوس فهو غير موجود . حينئذ تقع في السفطة . ومن بلغت به درجة المكابرة الى هذا الحد فلا يهم خطابه . ولا التكلم معه لأنه ليس بما قل

البرهان الصحيح على وجود الشيء أو عدمه (إن لم يكن محسوساً) هو ما نبني بناءً منطقياً صحيحاً ننتهي مقدماته الى البديهيات العقلية . وأشهر هذه البديهيات وأكثرها وروداً في الدلائل : أن الضدين لا يجتمعان وقد يرتفعان ، والنقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان : مثال الضدين البياض والسواد . ومثال النقيضين البياض وعدمه أو الاني والاثبات في كل شيء . فكل ما أدى القول به الى ما يخالف البديهيات كان باطلاً واستحال وجوده وكل ما لم يؤد الى ذلك كان جائزاً وامكن وجوده وإن لم يمكن للعقل ادراك كنهه ومعرفة كيفية وجوده . ويجب الايمان به إن قام عليه الدليل وإلا بقي في حيز الامكان

هذه المسألة هي أصل الاصول . ومرجع البشر قاطبة في جميع علومهم الصحيحة ومن لم يفهمها ولم يمكنه أن يميز بين ما يصادم البدهاة وبين ما لا يمكن

إدراك كنهه فهو غير أهل لأن يتلقى شيئا من العلوم العقلية . ولا يمكنه أن يعرف الحق من الباطل ولا أن يفرق بين الخطأ والصواب

وإذا كان عدم ادراك كنهه الشيء ليس موجبا لانكاره كما قررنا فن باب أولى فكون مخالفة الشيء لما اعتدناه لا تقتضي عدم تصديقه . فن انكر خوارق العادات (المعجزات) التي يدعيها أهل الملل لا ببيانهم ويجزم بعدم امكان وقوعها لذلك السبب (أي غرابتها واستبعادها) فهو تخفيف العقل جاهل إذ ليس كل غريب مستحيلا وإلا لما أمكن لبشر إنطاق الجماد (كما في الفووغراف) ونقل الكلام الى مسافات بعيدة كما في (التليفون) والسبر بسرعة عجيبة كما في الآلات البخارية والكهربائية الى غير ذلك من الاختراعات النورية التي ما كان يحلم بها الاولون ولو أخبروا بها لكذبها كثرة كما يكذب المعجزات بعض أهل هذا الجيل الحاضر الذين فتنوا بمعلوماتهم التي هي بالنسبة لما خفي عنهم ليست إلا جهالات مركبة

ولو عمل الانسان بهذا المبدأ السخيف وهو الجزم باستحالة الشيء لعدم اعتياده له لما تقدم خطوة الى الامام في سبيل الاختراع والاكتشاف . أما إذا كان انكار المعجزات مبنيا على ادعائهم استحالة خرق نواميس الطبيعة فهي دعوى لا يمكن اثباتها ويوجد في عالم الحيوان والنبات من الشواذ ما يكذبها ولا يمكن تعليلها ولا تبين سبب مخالفتها للمعهود كما في الاجنة التي تولد مختلطة بعضها ببعض أو ناقصة أو زائدة عضوا أو جزوا منه . فلم لم نهر هذه الاشياء على ما اعتدناه ؟ على أننا لا نعرف جميع نواميس الكون حتى نجهز بأن كل ما خالف ما علمناه منها يكون خارقا لما فاهم لا تكون تلك المعجزات تابعة لنا موص لا نعلمه الى الآن ؟ ونرى علمناه أمكننا تفسيرها تفسيراً علمياً صحيحاً

ألم تر الى العلماء قبل ان جاء داروين بنظريته في ارتقاء الانواع بعضها عن بعض كيف كانوا لا يفهمون معنى للاعضاء الاثرية ولا يدركون سببا لظهور بعض الاشياء في أجنة الحيوانات ثم انما علمنا قبل ان تقوم بأية وظيفة أو تؤدي أي عمل كالاسنان التي تظهر في طور التكوين في الفك الاعلى لأجنة الحيتان

والحيوانات المجترة ولا عمل لها اذ ذلك ثم نزول ولا يبقى لها أثر حتى ظن بعض الناس أن ظهورها هذا عبث ولو لم نشاهد بالحس لانكر المكابرون وجودها . فليأدب الانسان وليعلم أنه لم يؤت من العلم الا قليلا . ولا يفترن بما علم من ظواهر الامور

الانسان طائش . اذا جهل حكمة شيء اسرع بتكذيبه وانكاره . ولكن ذلك لا يفنيه عن الحق قليلا . جهل حكمة الخالق لهذا الوجود وكنهه فتسرع في انكار وجوده فويل أراحه ذلك مما أحاط به من المعضلات التي ينجيه بها عقله ويطلبه بعلمها ؛ أنت مسكين أيها الانسان ؛ وبعمقك حيوان ١١

نظر المادي نظرة سطحية في الكون . ودعاء الدين للإيمان باليوم الآخر وبقضاء الله وقدره . فقال : لو آمنت بذلك لآمنت بظلم مين ، فأنا أنكره كله لأستريح من هذا الداء الأليم ؛ والتجأ الى جحر التكبذب فالحق فيه ما فر منه ، ولكي نفهم ذلك يجب أن نصفي لما سأتلو عليك : -

إن أبسط الأحياء في هذا العالم ما كان ذاخلة واحدة كالحيوان المنسي « أميبيا » هذا الحيوان هو قطعة صغيرة من مادة حية تسمى البروتو بلاسم (١) ولها من خواص الحياة ما هو مملوم للفسولوجيين فاذا نهبت بأي منه تحركت

إذا ارتفعنا الى ما فوق هذا الحيوان في الرتبة وجدنا أن هذه الخاصية وهي إجابة التنبيه بالحركت أخذت في التضاعف في الحيوانات المركبة وامتاز بعض أجزائها (وهي أيضاً عبارة عن خلايا بروتو بلاسمية) بالقيام بها دون سواها . فيمد أن كانت « الأميبيا » هي التي تقابل بنفسها التنبيه فتتحرك بجملتها صافي الحيوانات الراقية بعض الأجزاء مخصصاً بمقاولة التنبيه فتعجب عنه أجزاء أخرى بالحركة . أما الاجزاء الاولى فهي الأعصاب الحساسة التي تحمل التنبيه إلى المراكز العصبية كالتي في النخاع الشوكي فيرتد فيها إلى أعصاب أخرى تسمى الأعصاب المحركة حتى يصل الى العضلات فيؤثر فيها تأثيراً مخصوصاً يظهر لنا بتنباضها . وهذا هو

(١) هي كلمة يونانية ومعناها المكون الأول لأنها عنصر الحياة ومنها ركب

كل حي

ما يسمى بالفعل المنعكس (ومن أراد زيادة التفصيل فليطالع بكتب الفسيولوجيا) وهو يشاهد في جميع الحيوانات حتى في الانسان نفسه . ولو أقمنا العلاقة بين المخ وبين النخاع حتى لا يبقى لارادة الانسان ساطان عليه ثم هذا الفعل أيضاً رغم أنه كما يشاهد في حالات البارابليجيا أي الشلل النصفي السفلي وكذا في إصابات النخاع العارضة إذا كانت فوق المراكز التي تقوم بالفعل المنعكس

أما ما يصل الى المخ من التنبيهات بواسطة الحواس فليس من الضروري أن يجيب عنها في الحال كما هو شأن النخاع وشأن الحيوانات الأولية . ولكنها تحدث فيه آثاراً مخصوصة عليها مدار ما يأتيه الانسان من أحوال وأفعال

قال العلماء الفسيولوجيون والبيكولوجيون إن أعمال الانسان هي أفعال منعكسة مركبة متضاعفة . والفرق بين ما يأتيه باختياره وبين ما يحصل بدون اختياره (كأفعال المنعكسة للنخاع) إنما هو في مدة حصول كل منهما كما صرح بذلك العلامة أغسطس د . والفار الفسيولوجي الشهير فالفعل القهري يتمكس بسرعة وما نسميه اختيارياً يتمكس ببطء وكلاهما في الحقيقة فعلان منعكسان . ولا يصدر عن الانسان إلا ما كان نتيجة ما وصل إلى مخه مما أحاط به من الظروف والأحوال وما لحقه بسبب الوراثة الطبيعية عن الآباء والاجداد

فالانسان في الحقيقة مضطرب في صورة مختار كما وصفه بذلك عندنا علماء الكلام كالامام غفر الله له الرازي . فهو ليس الآلة لانتمكس ما حوله ولا يصدر منه شيء ابتدائي مطلقاً . اذ جميع أعماله إنما هي نتيجة تربيته ومعلوماته وما ورثه وما أحاط به من ظروف وأحوال وغيرها أي هي نتيجة مزاجه والوسط الذي نشأ فيه وإلا فكيف نفهم ميل هذا الفس وميل ذاك للخير إذا كان كل شيء فيهما متساوياً ؟ على أن القول بتساوي البشر في الطباع والاخلاق والظروف مما يكذبه الحس والعيان . ولو كان صحيحاً ما وجد بينهم اختلاف مّا في الميل . ولو وجد الاختلاف لماز حصول المعلول بدون علة أو الترجيح بدون مرجع وهو محال

هذا هو تقرير العلم والعقل لهذه المسألة . فإذا كان البشر لم يخلقوا متساوين وليسوا في الظروف متقنين (ولا دخل لهم في ذلك) وجميع أفعالهم ليست الا نتيجة تركيبهم . والموتورات المحيطة بهم - اذا كان الامر كذلك فهل يقال أن لهم ارادة حقيقية متصرفة في شيء ؟

الحق أقول ان اختيارهم ليس إلا أمراً ظاهرياً . وإذا كان كذلك فلماذا نناقشهم على ما يرتكبون في هذه الدنيا وهم لا شك اليه مسوقون ، وعليه مدفوعون ؟ الجواب سهل وهو أن العقاب من العوامل المؤثرة في النفس فتزجج له وتتردد بسببه وكذلك يؤثر في نفوس غيرهم ممن رأوه أو سمعوا به ، فتقل الشرور في هذا العالم (ولكم في القصص حياة يا أولي الالباب) ولكن هل يسوغ لنا هذا ظلمهم بالعقاب مع علمنا بأنهم مكرهون ؟ ان كان هذا غير مسوغ فنحن اذاً جميعاً ظالمون !! وهناك مسألة أخرى أيها المادي . وهي لماذا كان بعض المادة جهادا لا يشعر وبعضها الآخر نباتا أو حيوانا يحس ويتألم ويظلم ؟ ولم كان الناس مختلفين ما بين في وقته وصحيح ومرضى ومنعم ومعذب وفرح وحزين الى غير ذلك من التباين والاختلاف بين اجزاء المادة ؟ أليس هذا ظلما في رأيك ؟ فان كان ظلما فالكون كله ظلم في ظلم ونحن ظالمون مظلومون ولا يخلصك من ذلك انكارك لوجود الخالق أو إفرادك به فأنت أنكرت ما أنكرت فوارا من القول بالظلم فوقمت فيه !!

قد يقول إنني بانكاري الخالق تكون تبعة هذا الظلم ليست واقعة عندي الا على الوجود ولكننا عندهم واقعة على الآلهة : ونقول ان الظلم أمر اعتباري فما نسميه أنت ظلما يراه الآخر عدلا وذلك اختلف الناس في ذبح الحيوان وأكله مثلا فبعضهم يستقيح ذلك وبعضهم لا يرى فيه عيبا فما عرفت به الظلم بخلاف ذلك فيه غيرك ويقول ان الظلم هو التصرف فيما ليس بحق التصرف . والعدل هو تصرف المالك في ملكه بما يرى . فإذا ملكت بضاً من الانعام قد بعته بعضها وأطاعت بعضها الآخر فلست بظالم وإذا خول القانون اقتاضي الحكم في مسألة باحدى عقوبتين فاختر ما شاء منها فليس بظالم . وان لم تسلم هذا

الترهف أو ما يقاربه وأمردت على القول بالظلم فنحن لا نرى فرقا حقيقيا بين قولك ان تبعة هذا الظلم عندك على الوجود أي ليست على أحد بهينه وبين زعمك ان تبعة عندنا على الله لأن الله تعالى فعل ما فعل حسب ما قضت به ارادته الازلية ولم يكن في الامكان غير ما كان . لان الارادة في جانب الله معناها تخصيص بعض الممكنات ببعض الممكنات الاخرى وهو ما يسمى بالترجيح . وهذا الترجيح حاصل منذ الازل أي لا أول لوجوده فلا يمكن أن يوجد غيره . أما دعوى أنه أزلي وأنه كان يمكن وقوع غيره كما يدعي بعضهم فهي مصادمة لبداية العقليّة . وان قيل ان الارادة سالحة لترجيح هذا على ذاك ولكن لم يقع الترجيح بالفعل الا في غير الازل أو كما يبرر المتكلمون في مثل ذلك ان لما نملتين : مطلقا صلوحيا قديما ومطلقا تنجزيا حادثا (١) ان قيل ذلك قلنا ان اختيار هذا الشيء دون ذلك مع أنها بالنسبة له تعالى سواء من كل وجه هو عين الترجيح بلا مرجح . ولا يصح أن يقال ان صفة الارادة هي المرجحة لان نسبتها أيضا لاحدهما كنسبتها الى الآخر تماما . ولو اختلفت النسبة لكان الترجيح أزليا والا لتخلف المعلول عن علته وهو محال . وان كان المرجح شيئا غير الارادة فاما أن يكون قديما أو حادثا فان كان قديما لا يمكن تخلف المعلول عن علته كما قلنا وان كان حادثا يحتاج هو لمرجح يرجح وجوده على عدمه وذلك يؤدي الى القول بالتسلسل وهو باطل . وان لم يكن هذا ولا ذاك بأن كان المرجح موجود في المستقبل (وهو غير معقول) فلم كان الترجيح لاجله حادثا ولم يكن أزليا ؟ فلا مفر اذا من القول بأن تعلق الارادة بالتنجز هو قديم أما التعبير عن الارادة بالمضارع بدل الماضي في نحو قوله تعالى (ذو العرش المجيد فعال لما يريد) فله شواهد كثيرة في اللغة وفي القرآن الشريف كقوله تعالى (لو يطيعكم في كثير من الأمر لنعم) بدل أطاعكم . ويراد به إفاضة استمرار الفعل . فمضى الارادة القضاء الأزلي الذي أوضحناه وقد قضى تعالى بما قضى ولا يزال قاضيا به . وجميع ماورد في حقه تعالى من أمثال ما يستعمل في حق البشر كالرحمة

(١) المسلمون يقولون إن كليهما قديم كما بين برهان ذلك في المتن (كذا في الاصل)

والغضب والكراهة ونحوها له معان في جانبه غير معناه في جانبنا . فتفسر هذه الألفاظ في كل مقام بما يناسبه وبما يليق بالله تعالى وصفاته . مثلاً إذا قيل « الله رؤوف بعباده » فمعناه أنه تعالى هو المنعم عليهم بكل خير أو نحو ذلك لأنه جل شأنه منزّه عن الانفعالات النفسية والاضطرابات المصيبة والجولات الفكرية . فليست رأفته أو غضبه كإفئتنا أو غضبنا تعالى عن ذلك علواً كبيراً وليست أفعاله مسبوقة بفكر أو تردد أو ما شابه ذلك من صفات المحدثين

والخلاصة أن ترجيح بعض الممكنات على بعض حاصل منذ الازل فما كان يمكن أن يحصل غيره اذ لم يسبق بعدم ولم يكن لوجوده أول . فان سلم أن فيما حصل ظلم فلا تبعة فيه على أحد لأنه تعالى هكذا موجود من القدم ولا بد من انفاذ ما كان بلا تردد . ومن تفكر فهم . ومن تعمق عرف . ولا أزيد عن ذلك فسر القضاء أو شك أن يتضح . بل هو لما عرف قد انضج . إذا فما يجده المادي من الحرية في جوده بجمده المؤمن في إيمانه . ولكن المؤمن يفوقه في كونه عرف حقيقة الوجود وما اقتضته . فخلص من التناقض الذي وقع فيه المادي بسبب زعمه قدم الجواهر الفردة على ما بينا هنا في صدر هذه المقالة وفي مقالتنا الأخرى في الالهيات التي سبق نشرها في المنار

فهذا هو ما أردت بيانه (وعلى الله قصد الدليل ومنها جائز ولو شاء لهداكم أجمعين)
الدكتور محمد توفيق صدقي طيب بسجن طره

(المنار) ما كتبه الدكتور في الإرادة والاختيار غير محرر وقد أطال في ذلك المتكلمون وأوردوا فيه ما قيل من أن تعلق الإرادة الالهية بفعل الشيء يقتضي وجوبه واستحالة مقابله وبذلك ينفي الاختيار واجابوا عنه بأن الإرادة لا تتعلق بالفعل الممكن لذاته وما كان ممكناً لذاته إذا صار واجباً بتعلق الإرادة به كان وجوبه عين الاختيار اذ لا معنى لاختيار الباري تعالى الاكون ما يصدر بقدرته من الافعال له انما يصدر بتخصيص ارادته لتلك الفعل على ما يقابله من الممكنات فالاختيار عند المحققين لازم للإرادة لزوماً عقلياً وبمعنى يجعلها بمعنى واحد وغاية ما فرق به المدققون بينهما هو ان المختار ينظر الى الشيء وإلى مقابله ويرجع احد المتقابلين أو

المقابلات على غيره والمريد ينظر الى الشيء الذي يريد فيحرك القدرة الى فعله . يعني ان كلا من الارادة والاختيار يفيد التخصيص والترويج ولكن الفاعل للشيء يسمى مريدا له باعتبار القصد المجرد ويسمى مختارا باعتبار ملاحظة شيء آخر غير ما قصد الى فعله منه كان يمكن ان يكون بدلا منه لولا الترويج والتخصيص

وأظهر من هذا ان يقال الاختيار عبارة عن كونه تعالى غير مكروه ولا مجبور على ما أراد وما يريد لانه ليس فوقه سلطان يلزمه بشيء ما فتكون ارادته تابعة لارادته فأرادته مستقلة بالتخصيص بحسب علمه . أما نحن البشر فانا قد علم ان المصلحة في فعل كذا وان مقابله مفسدة ونحب أن نفعل ما هو المصلحة ولكننا قد نخصص ونرجع المفسدة باكره من هو اقوى منا سلطانا فلا تكون ارادتنا مستقلة بالتخصيص ولا نحن مختارين في العمل وقوله ان فهم الارادة والاختيار بهذا المعنى يستلزم الترويج بلا مرجع مصادرة فان الارادة اذا لم تكن هي المرجحة لزم في الوجود الترويج بلا مرجع لا اذا كانت هي المرجحة يلزم ذلك كما يقول

نعم ان ما يخص بالارادة يكون على حسب الداعي وهو العلم والعلم ليس ملزما بالفعل (ونريد به ما يم الكف والترك) لانه عبارة عن انكشاف المعلوم فتوجه نفس الفاعل الى فعل بعض المعلومات دون بعض معنى آخر يسمى ارادة ومشيئة ومن اثبت الارادة المستقلة يكون مثبتا للاختيار . و ارادة العالم الفعل تكون عند الفعل حتما وقد تكون قبله بمعنى أن نفسه تكون متوجهة الى فعل كذا في زمن كذا من المستقبل ولذلك قالوا ان للارادة تعلقا قديما أزليا وتعلقا حادثا وما ذكره الدكتور صدقي في الهامش من كون الارادة ليس لها الاتصاف قديم غير صحيح لانه يلزم منه أن يكون تعالى غير مرید للشيء عند إيجاده بالفعل وهو بدیهي البطلان على أنه هو قد صرح باستمرار الارادة الازلية والمراد منه ومن التعلق الحادث واحد لكن ما يتبادر الى الفهم من مجموع كلامه في هذا المقام مخاف لما هو مقرر في العقائد ومن يتأمل فيه يقسم منه انه بما قرره من أزلية الارادة وعدم اسكان شيء غير ما قضت به في الازل حاول ان ينفي ما يبرر عنه القدرية بقولهم « الامر أفت » (بضم الميمزة والثون) أي ان الله لم يقدر الامور ولم يعلمها ازلا وانما

يأثفها علما حال وقوعها . والقائلون بهذا هم غلاة القدرة المتقدمون ويقرب من عقيدتهم ما يفهمه كثير من العوام من معنى الاختيار قياسا على اختيارهم الذي يكون بعد تردد وبعد مغالفة لقصد سابق

ومن مقاصد القدسية في مذهبهم نفي الظلم عن الباري عز وجل وهو ما قصدته الدكتور صدقي بتقيض مذهبهم ولكنه على موافقته لاهل السنة في الارادة الازلية من جهة قد خالفهم من جهة أخرى فجعل الارادة منافية للاختيار . وعلى موافقته لهم في نفي الاعتراض على الباري بالظلم خالفهم في طريق الاستدلال فوقع في شر مما هرب منه اذ جاء بما يوهم جواز وقوع الظلم الحقيقي مع الاعتذار عنه بكون علته أزلية وكل ذلك لعدم تحرير العبارة فيها أعلن

وجملة القول ان جميع الممكنات التي نعرفها وفي حكمها مثلها مما لم نعرفه من الموجودات صادرة عن الوجود الواجب الازلي أو قل عن واجب الوجود القديم ولما كانت مشتملة على النظام والاحكام دلت على أن لواجب الذي صدرت عنه قد أوجدها بعلم كامل وارادة مستقلة وأنه مختار في ذلك لا مجبور ولا مكره . ولما كانت ارادته للأشياء عن علم محيط وجب أن تكون افعاله كلها موافقة للحكمة البالغة والنظام التام والعدل العام فلا يقع منه الظلم لأن ما نفهمه من معنى الظلم إن وقع منه تعالى لم يكن ظلما كما يقول الشاعر فان هذا غير صحيح كما بيناه في التفسير من هذا الجزء ولا لأنه أزلي وارادته أزلية كما قال الدكتور صدقي فإنه تعالى منصف بالكمال في الازل وفيما لا يزال ، والظلم ينافي الكمال ، وهذا الذي ما قررناه هو ما كان عليه السلف الصالح في مسألة استحالة الظلم عليه تعالى . وما يظنه الجاهلون بالله وبسنة ظلال الخلق لا هوائم يسهل على العارفين بالله ان يبينوا لهم أنه ليس بظلم

وأما ما قاله في مسألة كون الانسان مجبورا غير مختار في افعاله فله فيها وجه فلسفي يقول به بعض فلاسفة الافرنج الآن وسبقهم اليه بعض أئمة المتكلمين والحكام من المسلمين والقرآني فيه أقوال من قبيل أقوال فلاسفة الافرنج من أوضحها وأبناها بما كتبه في كتاب التوحيد والتوكل من الاحياء . وقد اشتبه

على أكثر عدائنا الفصل بين هذا النوع من الجبر وبين الجبر الذي يستعرض به على أصل التكليف والفرق مثل الصبح ظاهر فدار التكليف على ما يبله الانسان من نفسه علما ضروريا من أنه متمكن من فعل هذه التكليف وتركها وهذا التمكن يسمى اختيارا ويسميه الاشاعرة كسبا ولا ينفيه كون الانسان لا يعمل حلا إلا بعد العلم بأن فيه خيره من تركه وكون هذا العلم منه الضروري وغير الضروري وان ما كان منه غير ضروري في بدايه يصير ضروريا بعد الجزم به كما هو ظاهر أو كون هذا العمل فعلا متمكنا بسرعة أو ببطء . وربما عدنا الى الاسباب في ذلك يوما هذا هو اعتقاد أهل الحق في هذه المسألة وما قبلها وأظن أن الدكتور

محمد توفيق افندي صدقي لا يخالفه وإن أوجمت عبارته الخلاف لعدم وضوحها

مختصر التدوين في الاسلام *

سادتي الكرام

حقاً أني حري بالفخر، حقيق بتقديم واجب الشكر، على ان تازلتم بقبولي هذه المرة خطيباً في ناديكم الجامع لتواضع الامة ونجدة أهل الفضل والعلم منها واني أعترف بأن موقفكم بينكم موقف صعب لا يجبر على الوقوف فيه ضيف مثلي ليس في مرتبتكم السامية في العلم والاطلاع فألتبس منكم لهذا السبب المعذرة اذا تلتمس لساني واضطرب جناني والكرام يهذر على كل حال

ولقد اخترت موضوعاً لبعثي هذه المرة أغلته لا يخلو من فائدة ثار بنجبة مع ما اعتقد في نفسي من العجز عن اعطاء مثل هذا الموضوع أو البحث حقاً من البيان والتدقيق لكن قاعدة « ما لا يدرك كله لا يترك كله » ربما سمحت لي بمرض معلوماني في هذا الشأن على مسامع سادتي الحاضرين مهما كانت قيمتها هينة في نظركم ونظر التاريخ

للموضوع - هو التدوين في الاسلام أو مبدأ الكتابة وتقييد العلم في الصحف

عند المسلمين

(*) خطبة ألقاها رفیق بك العظم في نادي المدارس العليا بالقاهرة

ان الذي دعاني الى اختيار هذا البحث على بعده عن أذهان كثير منا لهذا العهد هو تصدي بعض الباحثين لتطريق الوهن والتجريح الى العلوم التي وصلت اليها من أسلافنا في الصدر الاول كالحديث وآداب اللغة العربية والتاريخ فقد زعموا ان المسلمين لم يدونوا هذه العلوم الا في القرنين الثاني والثالث وان الاخبار التي تلقى بالرواية مدة قرنين ثم تكتب بعد ذلك الامد الطويل قلما يوثق بسلامتها من التحريف والتبديل وذلك قياس لاخبار العرب على غيرها من أخبار الامم الاخرى التي لم تكتب صحيحة في حينها وانما كتبت بعد مرور زمن طويل أو قصير عليها مشوكة بأفة التبديل والتحريف فسقط اعتبارها على ظنهم في التاريخ وهذا الزعم بالنسبة اليها مردود من وجهين:

الوجه الاول: ما عرف عن العرب من اتقان الحفظ والرواية وكونهم مطبوعين على ذلك

الوجه الثاني ثبوت التدوين وكتابة الاخبار في الاسلام من أوائل القرن الاول أي من عهد صاحب الرسالة وأبي بكر الصديق وثبوت عناية العرب المسلمين بالكتابة أو العلوم المدونة منذ ذلك القرن

أما الوجه الاول فيبانه ان قوى الانسان ومشاعره خاضعة كلها لحكم الفطرة اذ المشاهد ان الانسان اذا فقد اداة من قواه العاقلة أو مشاعره قويت فيه اداة أخرى . فضعف الذكرة يكون قوي التفكير بحكم الحاجة الى استحضار صور المعلومات التي تعيب عن حفظه . وفاقد البصر يكون قوي السمع والحفظ كذلك والعرب لما كانوا أمة أمية قليلي العناية بالكتابة التي هي أداة من أدوات الحضارة استعاضوا عنها لاستيقاظ أخبارهم وتداولها بقوة الحفظ فبنوا على هذه القوة حتى صارت لكثير منهم ملكة لا يحتاج صاحبها الى تكلف عناية في حفظ ما يرد على سمعه من الاخبار والاشعار فقامت عندهم مقام الكتابة وقيد الاخبار بالصحف لذلك كانت أخبار العرب وأشعارهم التي وصلت اليها الى هذا اليوم انما اتصلت بالمسلمين بالرواية ثم قيدها هؤلاء بالكتابة في العصر الاول وما بعده وكلهم تعلمون أيها السادة مبلغ قوة الحفظ عند العرب بما تقرأونه من أخبار.

حماد الراوية الذي كان ينشد عدة قصائد على قافية واحدة لعدة شعراء وكذا
تقرأون أخبار غيره التي من هذا القبيل وقد كان عبد الله بن عباس يحفظ القصيدة
الطويلة بجمعها مرة واحدة وهما أنا ذا أورد لكم خبراً من أخباره في الحفظ يستدعي
اعجابكم بذلك الرجل الجليل الذي كان يسئع ذهنه من شرائع الاسلام وأخبار
العرب وغيرهم ما لا تسعجه مكتبة من المكتبات الضخام

روى هذا الخبر صاحب الاغانى بسنده قال يينا ابن عباس في المسجد الحرام
وعنده نافع بن الازرق وناس من الخوارج يسألونه إذ أقبل عمر بن أبي هريرة في ثوبين
مصبوغين موددين أو مصبرين حتى دخل وجلس فاستند به ابن عباس فأنشده قصيدة
أمن آل نعم أنت غاد فبكر غداة غد أم رائح فبهجر

حتى أتى على آخرها . فأقبل عليه نافع ابن الازرق فقال الله يا ابن عباس ! ما
نضرب إليك أكباد الابل من أقصى البلاد نسألك عن الحلال والحرام فتناقل
وياًتلك متوفى من متوفى قرين فينشدك

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيخزي وأما بالعشي فينصر
فقال له ابن عباس ما هكذا قال وإنما قال

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيضحي وأما بالعشي فينصر
فقال ما أراك الا قد كنت قد حفظت البيت . قال أجل وإن شئت أنشدك
القصيدة كلها : قال فاني أماء ، فأنشده القصيدة حتى أتى على آخرها

فانظروا الى هذا الذكاء العظيم الذي اختص به أولئك القوم حتى لقد بلغ من
ثقتهم بقوة الحفظ والرواية ان كانوا لا يثقون بخبر مكتوب الا اذا كان مصرفاً
بالسند والرواية . ولما أخذ العلماء بتدوين الاخبار النبوية وأخبار الصحابة ثم تار يخ
الحلفاء دونوا هذه الاخبار مدعومة بالرواية ولم يكتبوها في الصحف مجردة
عن الاسانيد خوف دخول التحريف عليها واطمئنانا للرواية المعروفة بالسند المستوفية
لشروط الصحة على الترتيب المعروف عند المحدثين الى الآن

وفي اعتقادي أن الذي ذهب بالباحثين الى الظن بعدم تدوين الاخبار الا

بعد القرن الثاني هو تقييد المؤلفين في ذلك العصر بنقل الاخبار بالرواية مع فقد مادون قبل ذلك لفقده لحسن التنسيق والجمع وشروط الصحة عند المؤلفين لاسيما من جهة الترتيب والتخصيص الذي يروق أهل العصر الثاني ويناسب حالة الرقي في الحضارة كما سنتكلم عليه بعد

هذا بيان الوجه الأول وأما الوجه الثاني وهو ثبوت التدوين وكتابة الاخبار في الاسلام في أوائل القرن الأول فالادلة عليه كثيرة ونشتها في ثنايا الكتب وتفاصيل السطور لا يمكننا أن نجتزئ منها بالقليل المقنع الذي وسعنا جمعه . ولأقدم بين يدي ذلك مقدمة قصيرة فأقول

إذا قيل ان العرب أمة أمية فليس هذا القول على إطلاقه بل ربما أطلق هذا الوصف على عرب البادية إطلاقاً أم من إطلاقه على غيرهم من سكان المدن وأرباب الدول البائدة كسكان اليمن ومدن نجد والحجاز والعراق والجزيرة وأطراف الشام الذين عرفت لهم دول ذات حضارة ومجد كالتبابعة في اليمن والمناذرة في العراق والحوارث في أطراف الشام الذين منهم ملوك تدمر في شرقي سوريا الذين تنسب اليهم الزباء « زنوبيا » وزوجها أذينة (أودينوس) ومنهم ملوك غسان في جنوب سوريا وآريتهم مشهور معروف

فهؤلاء الشعوب لا يجوز أن يطلق عليهم وصف الأمية بالنسبة لحالة كل عصر كانوا فيه وإنما غرض تاريخهم وطموس آثارهم أضاف تاريخهم الى التاريخ القديم فكان مجهول الحقيقة الا قليلا مما وقف عليه الباحثون من آثار الكثائية للحميريين في اليمن والكتابات النبطية في شمال الحجاز وسيكشف دواهم على البحث وتقع الآثار أكثر من ذلك

وحسبكم شاهدا على أن الأمية لا يجوز إطلاقها على كل العرب ما كان موجودا من كتب أهل الحيرة الى أوائل القرن الثالث الهجري بدليل ما قاله مشام بن محمد ابن السائب الكلابي في كتاب الانساب وهو اني كنت استخرج أخبار العرب وأنسابهم وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أمار من ولي منهم لآل كسرى وتاريخ نسبهم من كتبهم بالحيرة

أما عرب الحجاز والمعروف عن الكتابة عند سكان المدن منهم قبيل البعثة أنها كانت موجودة ولو مع الندرة يدك عليه كتابة الملقات السبع التي كانت على الكعبة والصحيفة التي تماقدت فيها قرين على رد الحقوق وانصاف المظلوم وعلقوها على الكعبة والمعروف أنهم كانوا يكتبون العربية تارة بالخط النبطي وتارة بالخط الجبري الذي عرف بعد ذلك بالكوفي وتارة بالخط العبري وعن عرف منهم بكتابة هذا الخط ورقة بن نوفل بن عم خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم.

ولما جاء الاسلام كان النبي عليه السلام يحض على تعلم الكتابة وتعلم الفئات الأخرى فشاعت الكتابة بين الصحابة وأبناء الصحابة وبها ضبط الوحي وحفظ القرآن فكانت كلما نزلت آية كتبها الكاتبون في الحال ومن هؤلاء الكتاب عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ومعاوية بن أبي سفيان وخالد بن سعيد بن العاص وأبان بن سعيد والعلاء الحضرمي وحفظه ابن الريم وعبد الله بن سعد بن أبي سرح وعبد الله بن الأرقم الزهري وهؤلاء كتاب الوحي والرسائل كتبوا قلمي عليه السلام وأما من عداهم من كتاب الصحابة فكثيرون منهم عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وغيرهم ومن أبناء الصحابة عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العاص (هو صحابي) وعبد الله بن الحارث بن هشام وغيرهم

إذا علمت مما تقدم أن الكتابة كانت شائعة على عهد النبي عليه السلام بين المهاجرين والانصار وإن أول ما كتب بها هو القرآن الكريم وكانوا يكتبونه على الرقاع والاضلاع وسمف النخل والحجارة الرقاق البيض ثم جمعه أبو بكر رضي الله عنه ودونه في الصحف على ما هو معروف مشهور

أما الحديث وفيه تاريخ الصدر الأول وهو الذي عليه مدار بحثنا الآن فإنه كان يكتب كذلك على عهد النبي عليه السلام على نحو ما كانوا يكتبون عليه القرآن وقد رخص لهم النبي بكتابه كما أمرهم بكتابة العلم مطلقاً فقد أخرج ابن عبد البر في جامع بيان العلم بسنده عن أنس بن مالك قال - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قبدوا العلم بالكتاب » وروى بسنده عن عمر

ابن شعيب عن أبيه عن جده قال : قلت يا رسول الله أكتب كل ما أسمع منك ؟ قال نعم . قلت في الرضى والغضب ؟ قال نعم « فاني لأقول في ذلك كله لاحقاً » وروى بسنده عن أبي هريرة قال لما فتحت مكة قام رسول الله فخطب فقام رجل من اليمن يقال له أبو شاة فقال يا رسول الله أكتبوا لي . فقال رسول الله « اكتبوا لأبي شاة » يعني الخطبة - وروى ابن عبد البر أن رسول الله كتب كتاب الصدقات والديات والفرائض والسنن لمرو بن حزم وغيره . وأخرج عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول لم يكن أحد من أصحاب محمد أكثر مني حديثاً إلا عبد الله بن عمرو بن العاص فإنه كتب ولم أكتب . وروى عن عبد الله بن عمرو قال : كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله أريد حفظه فنهني قريش وقالوا انك كتب كل شيء نسمعه ورسول الله يتكلم في الرضى والغضب ؟ فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله فأومأ بأصبعه الي فيه وقال « اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه الا حق »

وأخرج الذهبي في تذكرة الحفاظ أن أبا بكر كتب أكثر من اربعمائة حديث . وفي تنوير الحوائك على موطأ مالك وغيره من كتب الحديث أن عمر حاول مرااراً أن يكتب السنن ثم عدل خوفاً من انكباب الناس على كتب السنن مع وجود كتاب الله

وأخرج ابن عبد البر عن سعيد بن جبير أنه كان يكون مع ابن عباس فيسمع منه الحديث فيكتبه في واسطة الرجل فإذا نزل نسخه . وأخرج عن من قال أخرج الي عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود كتاباً وحاف أنه بخط أبيه بيده

هذه الاخبار الصحيحة وما مائلها تدلنا على أن الحديث كتب ان لم يكن كله فجله على عهد الرسول وأصحابه الكرام والحديث يشتمل أكثر تاريخ الخلفاء كما تعلمون . وكتب فن النحو الذي أملاه علي بن أبي طالب على أبي الاسود الدؤلي . وكتب عبد الله بن عمرو بن العاص كتاباً في الاحداث وكتاباً فيما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعها منه شفي بن مانع الأصبحي فقد نقل

المقرئ من رواية أبي سعيد بن بونس صاحب تاريخ مصر عن حياة بن شريح قال : دخلت على الحسين بن شفي بن مالم وهو يقول فضل الله بقلان فقلت ماله فقال عد الى كتابين كان شفي (يعني أباه) سمعهما من عبد الله بن عمرو بن العاص ثم ذكر الكتابين قال فأخذهما فرمى بهما بين الحوة والرباب مركبين كبيرين من سفن الجسر مما يلي القسطنطينية

وأما في عصر التابعين وتلاميذهم فقد كانت العناية بكتابه الاخبار أكثر وأقبل الناس على اقتناء الكتب وجمع المكتبات ومن ذلك ما رواه ابن عبد البر عن هشام بن عروة عن أبيه أنه احترق كتبه يوم الحرة وكان يقول : وددت لو أن عندي كتي بأهلي ومالي وكانت وقعة الحرة في سنة ثلاث وستين في خلافة يزيد بن معاوية وكان ابن شهاب الزهري من علماء المائة الأولى ومولده في سنة إحدى وخمسين ووفاته بعد المائة إذا جلس في بيته وضع الكتب حوله فنزلته عن كل شيء كما ذكر ذلك ابن خلكان والزهري . هذا هو الذي كتب السنة في دفتار أو كتب وزعت على الأمصار بأمر عمر بن عبد العزيز

ولم يأت القرن الثاني من الهجرة حتى كثرت الكتب في فنون شتى خصوصاً فنون العربية والأدب فكان منها مكتبات لبعض الأفراد ما أعظمها توجد عند أحد منا الآن فقد ذكر ابن خلكان وغيره في ترجمة أبي عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة المولود بين سنة خمس وستين وسبعين للهجرة والمتوفى في منتصف القرن الثاني أنه كان أعلم الناس بالقرآن والأدب والعربية والشعر وكانت كتبه التي كتبت عن العرب انصحاء قد ملأت بيتاً له الى قريب من السقف ثم إنه تنسك فأخرجها كلها فلما رجع الى علمه لم يكن عنده الا ما حفظه بقلبه

هؤلاء الأشخاص أيها السادة هم الذين غفرت باسمائهم وكانوا ممن اقتنوا الكتب من منتصف القرن الأول الى منتصف القرن الثاني فما بالكم بما لم أغفر بهم وعن لم يأت ذكرهم في التاريخ لا جرم أنهم كثيرون جداً وربما لم يخل منهم مصر من الأمصار الإسلامية في ذلك العصر

ما هي هذه الكتب وما هي كتب عروة التي احترقت سنة ثلاث وستين ؟

أليست في علوم شتى من العلوم التي دونها العرب واشتغلوا بها؟ وهل احترقت كتب عروية في اليوم الذي دونت فيه؟ كلا بل كتبت هي وغيرها من الكتب في غضون القرن الاول أو على مدى هذا القرن. فاذا كان ذلك كذلك فهل يبقى مجال قريب في ان العرب دونوا علومهم في الصحف من ابتداء القرن الاول؟ وهل يستراب في صحة هذه العلوم مع ما ثبت معانين أنها كتبت مدعومة بالرواية لتكون أبعد من سهو الكائنين وتحرير الناسخين

لا جرم أن القوم الذين وجد فيهم من ينصرف عن الملك الى علوم الطب والكيمياء التي ندر من (كان) يشتغل بها من الامم الراقية في ذلك العصر ويؤلف في هذين العلمين حرون بتدوين اخبارهم والنهاية بأدبهم. فقد ذكر المؤرخون في ترجمة خالد بن يزيد بن معاوية المتوفي في سنة خمس وثمانين للهجرة أنه كان من أعلم قريش بفنون العلم وله كلام في صنعة الكيمياء والطب وكان بصيرا بهذين العلمين متقنا لهما وله مسائل دالة على معرفته وبراعته وأخذ الصنعة عن رجل من الرهبان يقال له مريانس وله فيها ثلاث رسائل تضمنت احداهن ما جرى له مع مريانس المذكور وصورة تطلعه منه والرموز التي أشار إليها وله فيها أشعار كثيرة مطولات ومقاطيع دالة على حسن تصرفه وسعة علمه. وكانوا يعميونه على اشتغاله بهذه العلوم وتركه حبل الملك والحلقة على الفارب حتى تمكن من سلبه منهم بنومر وان ومن المؤلفين في ذلك العصر أي العصر الاول غير خالد بن يزيد زيادة بن سمية الذي ألحقه معاوية في اولاد أبي سفيان فجعل الناس يطمعون عليه فألف كتابا في علم الانساب في مثالب العرب وطمع فيه في انسابهم فكفوا عنه كما ذكر ذلك ابن النديم

ومنهم زائدة بن قدامة الثقفي أبو الصلت الكوفي قال ابن النديم مات سنة احدى وستين وأوسنين وله من الكتب كتاب السنن وكتاب القراءات وكتاب الزهد وكتاب المناقب

ومنهم عبيد بن شربة الجرمي وكان في زمن معاوية وأدرك النبي ووفد على معاوية من اليمن فسأله عن الاخبار المتقدمة وملوك العرب والسجم وغير ذلك من

المسائل فأجابه عما سأل وله من الكتب كتاب الامثال وكتاب الملوك وأخبار الماضين
ومنهم سليم بن قيس الهلالي أحد أصحاب علي بن أبي طالب وله كتاب
في الحديث ويوجد هذا الكتاب الى الآن في مكتبة السيد ناصر حسين
الموسوي امام الشيعة في مدينة لكناو في الهند كما ذكر ذلك صاحب مجلة البيان
الهندية في العدد السادس من سنة الزاجعة وذكر غير ذلك عدة كتب لأصحاب
علي موجودة عن الشيعة الامامية يضيئ المقام عن ذكرها

وأظن أن في هذا كله بياناً كافياً يقتضيه القاهين الى ان المسلمين لم يدونوا
الحديث والسلم الا في القرن الثاني للهجرة أو بعده وإن رواية الاخبار والآثار
التي ألزمها المسلمون في كتبهم المكتوبة بعد القرن الثاني إنما كانت شرطاً في
صحة الاخبار التي نقلوها عن كتب قبلهم لوثوقهم برواية الرواة الكثيرين أكثر
من وثوقهم بخبر لكتاب الواحد

اذ الخبر الذي يكتب في صحيفة ثم يترك لأيدي السامخ والمهرفين
والدساسين ليس في الصحة بمنزلة الخبر الذي يكتب ثم ينقله الرواة قراءة
ورواية بحيث يأخذ الواحد من الآخر كما كتب بحرفه أو معناه الى ما شاء الله
وأظنكم ايها السادة تسلمون معي ان هذه الطريقة في النقل لا تعد ثلثة في
تاريخ الاسلام يتطرق منها اليه الوهن والتجريح بل تعد تحقيقاً للاخبار بالفاحد
الامانة والتحصيص لم تسبق اليه أمة من الامم غير المسلمين

بقي هنا اعتراض ربما يرد على ما تقدم من الكلام وهو قولهم : أين هي
تلك الكتب التي دونت في القرن الاول الى منتصف القرن الثاني مع انه لم
يصل اليها منها الا ما ذكرت من الكتب الموجودة عند الامامية وهي في الحديث
وفيا روي عن علي بن بعض الخطب والاخبار وان أقدم ما وصل اليها في التاريخ
كتاب فتوح الشام لابي اسماعيل الازدي البصري من علماء النصف الثاني من
القرن الثاني للهجرة . وأين هي كتب الزهري التي جمع فيها الحديث ووزعها
صهر بن عبد العزيز على الامصار

فالجواب على هذا سهل وهو أن المسلمين كانوا ينقلون كتب الاخبار قراءة

ورواية كما تقدم يأنه فلما استبحر العمران وترقت وسائل الحضارة واقتضى أن يترقى فن التأليف تنسيقاً وترتيباً وكتبت في ذلك الكتب الجامعة لاصول كل فن أو فروعه أدمجت تلك الروايات أو الصحف المشتتة على مسائل متفرقة في تلك الكتب الجامعة مع محافظة المؤلفين على اسانيدها وفاء بحق الامانة ونصيحاً للأخبار كما ترون ذلك في كل كتب الفنون التي اشغل بها العرب ودونت بعد القرن الثاني مدعومة بالرواية على طريقتهم السابقة البيان كالتاريخ والحديث وآداب اللغة العربية ولما انتهت الحاجة الى تلك الكتب القديمة قضت على اعيانها سنة بقاء الانسب بالهدور بضرورة الحال واما ما كتب فيها فهو هو بعينه ما كتب في الكتب الجامعة بعد ذلك العصر فاذا دثرت تلك الصحف التي خطتها أنامل العرب في العصر الاول فان ما كان فيها لم يزل باقياً يشهد بصحة تاريخ الاسلام والسلام اهـ

(المنار) نشرنا هذه الخطبة النفيسة بنصها لفائدتها واجابة لاقتراح من اقترح علينا نشرها مع كتابة شيء في الموضوع استدرا كما أو انتقاداً . وقد اقترح علينا من قبل غير واحد بأن نكتب شيئاً في مسألة كتابة الحديث منهم الدكتور صدقي ومنهم الشيخ صالح اليافعي في حيدرآباد فانه أرسل إلينا رسالة مطولة في الرد على ما كتبه الدكتور صدقي في السنة الماضية بعنوان (الاسلام هو القرآن وحده) ولكن سقط منها ورقات طلبناها منه فأجابنا بأنه لا يوجد عنده أصل لما فقد واقترح علينا ان نكتب في الموضوع

أما الانتقاد على خطبة رفيق بك فلا أرى فيها شيئاً يهيم انتقاده الا قوله بصحة الاخبار التي نقلها في تدوين الصحابة للحديث وستلم ملفيه وأما الاستدراك فبابه الواسع حتى يمكن وضع مؤلف خاص في هذا الموضوع من فصوله كون تعلم الكتابة لاخراج الرب من حجر الأمية الغالبة عليهم الى بصوحة العلم من مقاصد الاسلام ، وبعثة النبي عليه الصلاة والسلام ، كما قال ثمالى (٢: ٦٢) هو الذي بث في الأميين رسولا منهم إتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتابة والحسكة (الآية فالكاتبه مصدر كتب (كالكاتبه) ولكن في المصدر الأول أ كثر مصادر

«كتب» استعمالا كاتوى في المأثور وهذا التفسير هو المختار اقي جرينا عليه وينا ترجيحه في التفسير عن الاساذ لامام . ويدخل في ذلك ما ورد في تعليم الكتابة في الاخبار النبوية واستار الصحابة وذلك كثير

ومن فصوله مسألة كون أهل البدو أحسن حفظاً من أهل الحضر لاسيما العرب منهم وقد انتقد اليونانيون وأنكروا تلم الكتابة لاول عهدها بمجة ان الناس يتكلمون على ما يكتب فيضعف حفظهم وذاكرتهم . ومنها بحث الاحتجاج بالكتب وشرط الوثوق بها عند المحدثين ولا بن الصلاح في ذلك كلام حسن

وقد كتب السيد عبد الحميد 'فندي الزهراوي مقالته موضوعها الكتابة والتدوين والحفظ عند العرب نشرها في الجريدة (١٢٥٥ الصادر في ٢٤ جمادى ٢) بين فيها ان من يختبر عرب البادية اليوم والمهم من قوة الحفظ وكثرة المحفوظ لاضائهم ووقائهم وخطيهم وأنسابهم لا يسحب مما نقل في حفظ سلفهم وذكركم من كتابتهم في الجاهلية المملقات وقصص أبطال الفرس كرسن واستشهد على كتابتهم المعاهدات والمحالقات بقول الحارث بن حلزة البشكري في مملقته :

واذكروا حلف ذي المجاز وائتمسوا فيه اليهود والكفلاء

حذر الجور واتمدي وهل ينقض ما في المهارق الاهواء

فالمهارق جمع مهروق وهي الصحائف وقيل المهروق ثوب حرير أبيض يسمي الصمغ و يصقل ثم يكتب فيه . وذكر أيضاً منها قول هشام بن الكلبي كنت استخرج أخبار العرب وأنسابهم وأنساب آل نصر بن زبيعة ومبالغ أعمار من ولي منهم لآل كسرى وتاريخ نسبهم من كتبهم بالحيرة

وذكر من شواهد تدوينهم بعد الاسلام مسألة أمر عمر بن عبد العزيز بكتابة السنن نقلا عن ابن عبد البر وما جاء في اعلام الموقعين عن سفيان بن عيينة عن ادريس بن ادريس قال أنيت سعيد بن أبي بردة فسأته عن رسل عمر بن الخطاب التي كان يكتب بها الى أبي موسى الاشعري وكان أبو موسى قد أوصى الى ابن أبي بردة فأخرج اليه كتابا منها : قال كتب عمر الى أبي موسى الاشعري «أما بعد فان

التضام أربعة محكمة وستة متبعة « الخ

أقول لعل أول من كتب الحديث وغيره من الثابطين في القرن الأول وجعل ما كتبه مصنفًا مجموعًا خالد بن معدان الحمصي روي عنه أنه لقي ٧٠ صحابيًا قال في تذكرة الحفاظ وقال بحسب: ما رأيت أحداً أزم لعلم منه وكان علمه في مصنف له أزرار وعري : والمراد بالمصنف المصنف المكتوبة المجموعة ولا يوجد في العربية لفظ كهذا يدل على هذا المعنى بالنص فإن لفظ « الكتاب » المستعمل للدلالة على المصنف المجموعة في نحو جلد يطلق على الورقة أو الصفحة الواحدة ولذلك اتفقوا على تسمية القرآن المكتوب عند جمعه بالمصنف وكان قبل ذلك يسمى كتاباً ولا يسمى مصنفًا فخالد بن معدان جمع علمه في مصنف واحد جعل له وقاية لها أزرار وعري تسمى لثلاث يقع شيء من تلك المصنف وكان ذلك في القرن الأول طبعاً فإنه مات سنة ثلاث ومئة أو أربع ومئة

ولكن المشهور أن أول من كتب الحديث مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري القرشي ولعل سبب ذلك أخذ امرأته أبي أمية عنه :

قال أبو الزناد : كنا نطوف مع الزهري على العلماء ومعهم الألواح والمصنف يكتب كل ماسم : يعني من الحديث وغيره فقد روى أبو صالح عن أبيه قال ما رأيت عالماً قط أجمع من الزهري يحدث في الترهيب فنقول لا يحسن إلا هذا وإن حدث عن العرب والأنساب قلت لا يحسن إلا هذا وإن حدث عن القرآن والسنة فكذلك : وقال عبد الرزاق سمعت معمرًا يقول كنا نرى أبا عبد الله عن الزهري حتى قتل الوليد بن يزيد فإذا الفقار قد حملت على الدواب من خزائنه يقول من علم الزهري . اهـ من تذكرة الحفاظ

وجاء في ترجمته فيها أن هشام بن عبد الملك سأل الزهري أن يبلي على بعض ولده شيئاً فأبلى عليه أربع مئة حديث . . . ثم لقي هشاماً بعد شهر أو نحوه فقال للزهري أن ذلك الكتاب ضاع فدعا بكتاب فأملأها عليه ثم قابل بالكتاب الأول فما غادر حرفاً واحداً . (قال) ومن حفظ الزهري أنه حفظ القرآن في ثمانين ليلة . وفي هذا دليل على أن كتابة الحديث كانت شائعة في عصره أي

أواخر القرن الأول وأوائل الثاني فقد ولد الزهري سنة خمسين للهجرة وتوفي سنة أربع وعشرين ومئة ولا تنس ما كتبه آتفاً عن خالد بن ممدان وقال الحافظ في ترجمة عمرو بن دينار أنه كان يحدث علي المعنى ويقول لا أخرج علي من يكتب عني . وهو قد ولد سنة ست وأربعين ومن أراد تتبع تراجمهم في كتب المحدثين يجد من هذه المسائل شيئاً كثيراً وما رأينا أحداً وفي البحث في تدوين الصحابة والتابعين للحديث حقه مثل الحافظ أبي عمرو يوسف بن عبد البر ونا نقل ما كتبه في ذلك برمت ثم نستدرك عليه ما رواه غيره أو شايه على ما رواه ثم نبين رأينا فيه . قال في جامع بيان العلم (نقلاً عن مختصره)

﴿ باب ذكر كراهية كتاب العلم وتحليده في الصحف ﴾

عن أبي سعيد الخدري (١) رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن فمن كتب عني شيئاً سوى القرآن فليحبه . ودخل زيد بن ثابت على معاوية فسأله عن حديث وأمر أناساً أن يكتبه فقال له زيد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا أن لا نكتب شيئاً من حديثه ففحاه . وعن عبد الله بن يسار قال : سمعت علياً يخطب يقول : أعزهم علي كل من عنده كتاب إلا رجع فحاه فأما هلك الناس حيث تبعوا أحاديث علمهم وتركوا كتاب ربهم . وعن أبي نضرة (٢) قال : قلت لأبي سعيد الخدري : ألا نكتب ما نسمع منك قال تريدون أن تجعلوها مصاحف إن نبيكم صلى الله عليه وسلم كان يحدثنا فنحفظ فاحفظوا كما كنا نحفظ . وعن ابن وهب قال سمعت مالكاً يحدث أن عمر بن الخطاب (٣) أراد أن يكتب هذه الأحاديث أو كتبها ثم قال : لا كتاب مع

«١» هو سعيد بن مالك الصحابي الجليل ولأبيه صحبة وروى الكثير من الحديث بالمدينة سنة ٦٥ وقيل ٧٤ هـ من التقريب «٢» هو المنذر بن مالك بن قطعة العبدي الوقي مات سنة ١٠٨ هـ من التقريب «٣» أمير المؤمنين والخليفة الثاني ملأ طباق الأرض به . والله رضي الله عنه استشهد سنة ٢٣ من الهجرة ٨ هـ من التقريب مع زيادة

كتاب الله . قال مالك لم يكن مع ابن شهاب كتاب إلا كتاب فيه نسب قومه قال ولم يكن القوم يكتبون إنما كانوا يحفظون فمن كتب منهم الشيء فأنما كان يكتبه ليحفظه فإذا حفظه محاه . وعن عروة أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن فاستغنى أصحاب رسول الله في ذلك فأشاروا عليه أن يكتبها فطلق عمر يستخير الله فيها شهرا ثم أصبح يوما وقد عزم الله له . فقال : انني كنت أريد أن أكتب السنن وانني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله وانتي والله لأشوب (وفي نسخة لا أنسي) كتاب الله بشيء أبداً . وعن ابن عباس أنه قال : إنا لا نكتب العلم ولا نكتبه : وعن الشعبي (١) أن مروان دما زيد بن ثابت وقوما يكتبون وهو لا يدري فأعلموه فقال أندرون لعل كل شيء حدثكم به ليس كأحدثكم وعن ابن سيرين (٢) قال إنما ضلت بنو اسرائيل بكتب ورؤوها عن آباءهم

وعن الأسود بن هلال (٣) قال أتني عبد الله بن مسعود بصحيفة فيها حديث فدها بماء فمحاها ثم غسلها ثم أمر بها فأحرقت ثم قال أذكر الله رجلا يملأ عند أحد إلا أظني به والله لو أعلم أنها بدبر هند لبلغنا بهذا هلك أهل الكتاب قبلكم حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . وعن الضحاك قال يأتي على الناس زمان يكثر فيه الأحاديث حتى يبقى المصحف بفباره لا ينظر فيه . وعن ابن عباس أنه كان ينهي عن كتاب العلم وقال إنما ضل من قبلكم بالكتب

(١) هو أبو عمر عامر بن شراحيل الشعبي كوفي تابعي جليل القدر وافر العلم روي أن ابن عمر مر به يوماً وهو يحدث بالمغازي فقال شهدت القوم وإنه لأعلم بها مني . وقال الزهري العلماء أربعة ابن المسيب بالمدينة والشعبي بالسكوفة والحسن البصري بالبصرة ومكحول بالشام ويقال إنه أدرك خمسمائة صحابي ومات سنة (١٠٤) هـ فجاءه من ابن خلكان (٢) هو أبو بكر محمد بن سيرين البصري أحد فقهاء البصرة تابعي جليل مات سنة (١١٠) هـ بالبصرة . من ابن خلكان (٣) الحارثي الكوفي مخضرم ثقة جليل مات سنة (٨٤) هـ من الترمذي

وعن أبوب قال سمعت سعيد بن جبير (١) قال مكنا نخلف في أشياء فنكتبها في كتاب ثم أتيت بها ابن عمر أسأله عنها خفياً فلو علم بها لكانت الفيل في يده وعن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه قال أصبت أنا وائمة صحيفة فاطلق معي الى ابن مسعود فيها وقد زالت الشمس أو كادت نزول فجلسنا بالباب ثم قل الجارية انظري من بالباب فقالت ائمة والاسود فقال إئذني لما قد دخلنا فقال كأنك قد أطلت الجلس قلنا أجل قال فما منكما أن تستأذنا قالوا لا خشيتنا أن تكون نائمًا قال ما أحب أن نطاني هذا إن هذه ساعة كنا نقيسها بصلاة الليل قلنا هذه صحيفة فيها حديث حسن قل هاتهما يا جارية هاتي الطست واسكي فيه ماءً فجعل يحوها بيده ويقول (نحن نقص عليك أحسن القصص) قلنا انظر فيها فإن فيها حديثاً عجيباً فجعل يحوها ويقول إن هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بغيره قال أبو عبيد (أحد رواة هذه القصة) يرى أن هذه الصحيفة أخذت من أهل الكتاب فلذا كره عبد الله رحمه الله النظر فيها

وقال مسروق لملقة اكتب لي النظائر قال أما علمت أن الكتاب يكره قال بلى أريد أن أحفظها ثم أحرقتها وعن القاسم أنه كان لا يكتب الحديث وعن ابن شبرمة (٢) قال سمعت الشعبي يقول ما كتبت سواداً في ياض قط ولا استعدت حديثاً من إنسان مرتين. وعن اسحاق بن اسماعيل الطالقاني (٣) قال قلت لجربيع بن عبد الحميد أكان منصور يعني ابن المقهر يكره كتاب الحديث قال نعم منصور ومنيرة والاعمش كانوا يكرهون كتاب الحديث وعن الوليد بن مسلم قال سمعت الاوزاعي يقول كان هذا العلم شيئاً شريعاً إذ كان من أفواه الرجال يتلاقونه ويتذاكرونه

١٥ «الأسد بالولاء أحد أعلام التابعين أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر قتل بين يدي الحجاج سنة ٩٥ لهجرة بواسط هـ من ابن خلكان
٢٥ «هو عبد الله ابن شبرمة بن الطفيل بن حسان الضبي الكوفي القاضي ثقة فقيه مات سنة ١٤٤ هـ من القريب
٣ «نزيل بغداد يعرف بالينم ثقة تسكن في سماعه من جربير وحده مات سنة ٢٢ هـ من القريب

فلما صار في الكتب ذهب نوره وصار إلى غير أهله وعن الفضيل بن عمرو (١) قال قلت لآبراهيم إني آتيك وقد جئت المسائل فإذا رأيتك كأنما تختلس مني وأنت تكوه الكتاب قال لا عليك فإنه كلما طلب إنسان علماً إلا آتاه الله منه ما يكتفيه وقلما كتب رجل كتاباً إلا انشكل عليه

(قال أبو عمر) من كره كتاب العلم إنما كرهه لوجهين أحدهما أن لا يتخذ مع القرآن كتاب يضاهي به ولئلا يشكل الكتاب على ما يكتب فلا يحفظ فيقل الحفظ كما قال الخليل (٢)

(ليس يعلم ما حوى القمطر * ما العلم إلا ما حواه الصدر)
وأشدني بعض شيوخني لحمد بن بشير بإسناد لا أحفظه

(أما لو أعي كل ما أسمع * وأحفظ من ذاك ما أجمع)
(ولم أستاذ غير ما قد جمعت قليل هو العالم المقنع)
(ولكن نفسي إلى كل فسن من العلم نسمه نزع)
(فلا أنا أحفظ ما قد جمعت ولا أنا من جمعه أشبع)
(ومن يك في علمه هكذا * يكن دهره القهقري يرجع)
(إذا لم تكن حافظاً واعياً * فعدمك للكتب لا ينفع)
(أأحضر بالجهل في مجلسي * وعلي في الكتب مستودع)

وقال أبو الصاهية (٣)

«١٥» القبيعي أبو النصر الكوفي ثقة مات سنة عشر ومائة هـ من التقريب «٢٢» ابن أحمد الأزدي البجلي كان إماماً في النحو وهو الذي استنبط علم العروض قال حمزة الأصباني في حقه في كتابه الذي سماه التنبيه على حدوث التصحيف . وبعد فان دولة الاسلام لم تخرج أبدع للعلوم التي لم يكن لها عند علماء العرب أصول من الخليل مات سنة ١٧٠ وقيل ١٧٥ هـ من ابن خلكان

(٣) هو أبو اسحق اسمعيل بن القاسم النخعي بالولاء الشاعر المشهور والمتوفى ببغداد سنة ٢١١ وله ديوان جمعه ابن عبد البر صاحب أصل هذا المختصر هـ من ابن خلكان كذا في هامش الكتاب

﴿ من منيع الحفظ وعي • من ضيع العلم وهم ﴾
وقال أعرابي حرف في تأمورك خير من عشر في كتبك (وقال أبو عمر) التأمور
علقة القلب وسمع يونس بن حبيب رجلا ينشد

﴿ استودع العلم قرطاساً فضيحة • ويش مستودع العلم القرائيس ﴾
فقال يونس قاتله الله ما أشد صيائنه فلم وصيائنه للحفظ ان عليك من روحك وان
مالك من بدئك فمن عليك صيائتك روحك ومن مالك صيائتك بدئك
(قال أبو عمر) من ذكرنا قوله في هذا الباب فإذ ذهب في ذلك مذهب العرب

لأنهم كانوا مطبوعين على الحفظ مخصوصين بذلك والذين كرهوا الكتاب كابن
عباس والشعبي وابن شهاب والنخعي وقادة ومن ذهب مذهبهم وجبل جبلتهم كانوا
قد طبعوا على الحفظ فكان أحدهم يهزى بالسمة ألا ترى ما جاء عن ابن شهاب
أنه كان يقول اني لأمر بالقيم فأشد آذاني مخافة أن يدخل فيها شيء من الخنا
فوالله ما دخل آذني شيء قط فنسيت به جاء عن الشعبي نحوه وهو لا كلمه عرب
وقال صلى الله عليه وسلم « نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب » وهذا مشهور أن العرب
قد خصت بالحفظ كان بعضهم يحفظ أشعار بعض في سمة واحدة وقد جاء عن
ابن عباس أنه حفظ قصيدة عمر بن أبي ربيعة (أمن آل نعم أنت غاد فبكر) في سمة
واحدة فيما ذكروا وليس أحد اليوم على هذا ولولا الكتاب لضاع كثير من العلم
وقد أرخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتاب العلم ورخص فيه جماعة من
العلماء وحدوا ذلك ونحن ذا كروه بعد هذا بيون الله إن شاء الله وقد دخل على
ابراهيم النخعي (١) شيء في حفظه تركه الكتاب وعن منصور قال كان ابراهيم يحذف
الحديث فقلت له إن سالم بن الجعد يتم الحديث قال إن سالما كتب وأنا لم أكتب
(قال أبو عمر) فهذا النخعي مع كراهته لكتاب الحديث قد أقر بفضل الكتاب

﴿ باب الرخصة في كتاب العلم ﴾

عن أبي هريرة قال لما فتحت مكة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر

(١) أحد الأئمة المشهورين تابعي جليل ونسبته الى النخع قبيلة من مذحج

بالحين • من تاريخ ابن خلكان

الخطبة خطبة النبي صلى الله عليه وسلم قال فقام رجل من اليمن يقال له أبوشاة فقال
يا رسول الله اكتبوا لي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اكتبوا لأبي شاة» يعني
الخطبة وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قلت يا رسول الله اكتب كل
ما أسمع منك قال «نعم» فأت في الرضى والنضب قل «نعم فأنى لا أقول في ذلك كله
الاحقا» وعن همام بن منبه (١) أنه سمع أباهريرة يقول لم يكن أحدهم اصحاب محمد
أكثر حديثاً مني الا عبد الله بن عمرو فإنه كتب ولم أكتب وعن عبد الله بن عمرو
قال كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه
فنهني قريش وقالوا أنكتب كل شيء نسمعه ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يتكلم في الرضا والنضب فأمسكت عن الكتاب فذكر ذلك لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فأوى بأصبعه إلى فيه وقال «اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه
الا حق» وعن مطرف بن طريف (٢) قال سمعت الشعبي يقول أخبرني أبو جحيفة قال
قلت لعلي بن أبي طالب هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء سوى
القرآن قال لا والذي تلقى الحبة وبرأ النسمة الا أن يعطى الله عبداً فما في كتابه
وما في هذه الصحيفة قلت وما في الصحيفة قال: العقل وفكك الاسير وأن لا يقتل
مسلم بكافر: وقد روي عن علي رضي الله عنه في هذه الصحيفة وجهان أحدهما تحريم
المدينة ولعن من انشعب الى غير مواليه في حديث فيه طول وفيه «المسلمون تكافأ
دماؤهم» الحديث رواه عن علي يزيد التميمي وحلاس وكتب رسول الله صلى الله
عليه وسلم كتاب الصدقات والديات والفرائض والسنن لعمر بن حزم وغيره وعن
أبي جعفر بن علي قال وجد في قائم سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيفة
مكتوب فيها ملعون من أضل أمي عن سبيل ملعون من سرق تخوم الارض
ملعون من تولى غير مواليه أو قال ملعون من جحد نعمة من أنعم عليه وعن عبد الله
ابن عمرو قال ما يرغبي في الحياة الا خصلتان الصادقة والوهط (٣) فأما الصادقة

(١) بن كامل الصنعائي أخو وهب ثقة مات سنة ١٣٢ هـ تقريب (٢) فقه
فاضل مات سنة ١٤١ وقيل به - دها - تقريب التهذيب لابن حجر (٣) لوهط
المسكان المطعون من الارض وقيل موضع وقيل قرية بالطائف هـ لسان العرب

فصحيفة كتبها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الوهم فأرض تصدق بها عمرو ابن العاص كان يقوم عليها . وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قيدوا العلم بالكتاب » وعن عبد الملك بن سفيان عن عمه أنه سمع عمر بن الخطاب يقول « قيدوا العلم بالكتاب » وعن معمر بن زهير قال أخرجه إلى عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود كتابا وحلف لي أنه خط أيه بيده . وعن أبي بكر بن قال سمعت الضحاك يقول إذا سمعت شيئا فأكتبه ولو في حائط . وعن سعيد بن جبيرة أنه كان يكون مع ابن عباس فيسمع منه الحديث فيكتبه في واسطة الرجل فإذا نزل نسخته وعن أبي قلابة قال الكتاب أحب إلينا من النسيان . وعن أبي المبيع قال يبيعون علينا الكتاب وقد قال الله تعالى (٢٠: ٥٢) عليها عندوني في كتاب . وعن عطاء عن عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله أأقيد العلم قال « قيد العلم » قال عطاء قلت وما قيد العلم قال الكتاب . وعن عبد العزيز بن محمد الله وأوردني (١) قال أول من دون العلم وكتبه ابن شهاب . وعن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال كنا نكتب الحلال والحرام وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع فلما احتجج إليه علمت أنه أعلم الناس . وعن سوار بن حبان قال سمعت معاوية ابن قرة يقول من لم يكتب العلم فلا تعدوه عالما . وعن محمد بن علي قال سمعت خالد ابن خديش البغدادي (٢) قال ودعت مالك بن أنس فقلت يا أبا عبد الله أوصني قال عليك بتقوى الله في السر والعلانية والنصح لكل مسلم وكتابة العلم من عند أهله وعن الحسن أنه كان لا يروي بكتاب العلم بأسا وقد كان أملى التفسير فكتب

وعن الأعمش قال قال الحسن إن اكتبنا تعاهدها . وقال الخليل بن أحمد أجمل ما تكتب بيت مال وما في صدرك فتنقه . وعن هشام بن عروة عن أبيه أنه احترقت كتبه يوم الحرة (٣) وكان يقول وددت لو أن عندي كتيبي بأهلي ومالي . وعن سليمان ابن موسى قال يجلس إلى العالم ثلاثة رجل يأخذ كل ما سمع فذلك حائط ليل

١» صدوق كان يحدث من كتب غيره مات سنة ١٨٦ هـ تقريب

٢» أبو الهيثم المصنف هو لاهم البصري صدوق يخطى مات سنة ٢٢٤ هـ تقريب

٣» الحرة موضع بظاهر المدينة به كانت واقعة الحرة أيام يزيد هـ قاموس

ورجل لا يكتب (١) ويسمى ذلك يقال له جليس العالم ورجل ينتفي وهو خيرهم وهذا هو العالم . وعن اسحاق بن منصور قال قلت لأحمد بن حنبل من كره كتابة العلم قال كرهه قوم ورخص فيه آخرون قلت له لو لم يكتب العلم لذهب قال نعم لولا كتابة العلم أي شيء كنا . قال اسحاق وسألت اسحاق بن راهويه فقال كما قال أحمد سواء . وعن حاتم الفاخر وكان ثقة قال سمعت سفيان الثوري يقول اني أحب أن أكتب الحديث على ثلاثة أوجه حديث رجل أكتبه أو يدأن أنخذ ديناً وحديث رجل أكتبه فأوقفه لا أطرحه ولا أدين به وحديث رجل ضعيف أحب أن أعرفه ولا أعبا به . وقال الأوزاعي تعلم مالا يؤخذ به كما تتعلم ما يؤخذ به . وعن سعد بن ابراهيم قال أمرنا عمر بن عبد العزيز بجميع السنن فكثبناها دفقرا دفقرا فبعث الى كل أرض له عليها سلطان دفقرا . وعن أبي زرعة قال سمعت أحمد بن حنبل ويمحي ابن معين يقولان كل من لا يكتب العلم لا يؤمن عليه الخط . وعن الزهري قال كنا نسكبه كتاب العلم حتى أكرهنا عليه هو لاء الامراء فرأينا أن لا نمنه أحدا من المسلمين . وذكر المبرد قال قال الخليل بن أحمد ما سمعت شيئا الا كتبه ولا كتبه الا حفظه ولا حفظه إلا نفمي » اه كلام ابن عبد البر

استدراك علي ابن عبد البر

﴿ في الاذن بكتابة العلم والمنع منها ومن خرج أحاديثه ﴾

روى ابن النجار في تاريخه من حديث حذيفة « اكتبوا العلم قبل ذهاب العلماء وإنا ذهاب العلم يموت العلماء » والحديث لا يصح وهو عام في كل علم وروى الديلمي من حديث علي « اكتبوا هذا العلم فانكم تنفعون به إمامي

« ١ » المنار : كذا في الأصل والظاهر أن (لا) زائدة ليكون من الشواهد على الكتابة . وحاطب ليل مثل يضرب لمن لا يميز فيما يسمعه أو يأخذه بين غث وسمين ونافع وضار كن محتط لئلا يأخذ الأفي والحجر فيما يجمعه يظنها حطبا . والذي ينتفي هو الذي يمحس ما يسم فيميز بين الصدق والكذب والمقول وغير المقول

دنياكم واما في آخرتكم وان العلم لا يضع صاحبه « وفي سنده محمد بن علي بن الاشعث كذبوه فالحديث موضوع

وروى الحاكم وابو نعيم وابن عساكر من حديث علي « اذا كتبت الحديث عني فاكتبوه باسناده فان يك حقا كنتم شركاء في الاجر وان يك باطلا كان وزره عليه « وهو ينادي على نفسه بالوضع وان واضعه جاهل بالعربية الصحيحة به النصيحة فان الاسناد من اصطلاح الحديثين والكتابة عنه على الله عليه وسلم تنافي الاسناد

وروي ابن عساكر في تاريخه من حديث أبي بكر « من كتب عني «أما أو حديثاً لم يزل يكتب له الاجر ما بقي ذلك العلم والحديث « وهو ضعيف وفيه عطف الحديث على العلم وذلك يتضي المفايزة بينهما ولو بالعموم والخصوص وروى الحكيم الترمذي والطبراني وسمويه والخطيب في تقييد العلم عن رافع ابن خديج قال قلت يا رسول الله انا نسمع منك اشياء فنكتبها قال « اكتبوا ولا حرج « وهو حديث ضعيف كما علم من ايراد السيوطي له في الجامع الكبير وروى الحكيم الترمذي وسمويه من حديث أنس « قيدا العلم بالكتاب « وهو ضعيف ايضاً . أما سنده عند ابن عبد البر فنيه عبد الحميد بن سليمان عن عبد الله بن المشي وقد أورده الذهبي في الميزان وقال عبد الحميد وأخوه فليح ضعيفان . وذكر قبل ذلك تضعيف غير واحد لعبد الحميد . والحديث مروي عن عبد الله ابن عمرو كما تقدم عن ابن عبد البر

ومن الآثار ما رواه ابن عساكر عن الحسن بن جابر قال سألت أبا أمامة عن كتاب العلم فلم يره به بأساً . وهو عام في كل علم وسنده ضعيف . وروى الحاكم والدارمي عن عمر أنه قال « قيدوا العلم بالكتاب « وهو عام وأما رأيي في الحديث خاصة أو السنن وهي أهم من الاحاديث فقد تقدم فيها رواه عن ابن عبد البر انه ما كان يرى ذلك وروى عنه ابن سعد مثل هذا ايضاً

ومن الاستدراك عليه في النهي عن كتابة الحديث خاصة ما جاء في
كثر المال نقلا عن الجامع الكبير للسيوطي وهو :

« قال الحافظ حماد الدين ابن كثير في مسند الصحيح قال الحاكم أبو عبد
الله التيسابوري حدثنا بكر بن محمد الصيرفي بمرو حدثنا موسى بن حماد ثنا الفضل بن
غسان ثنا علي بن صالح حدثنا موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن عن ابراهيم
ابن عمرو بن عبيد الله التيمي حدثنا القاسم بن محمد قال قالت عائشة جمع أبي الحديث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت خمسمائة حديث فبات ليلة يتقلب كثيرا
قالت ففسي فقلت تتقلب لشكوى أو لشيء بالغك فلما أصبح قال « أي بنية هلمي
الاحاديث التي عندك فنجته بها فدعا بنار فأحرقها وقال خشيت أن أموت وهي
عندك فيكون فيها أحاديث عن رجل ائتمنته ووثقت به ولم يكن كما حدثني فأكون
قد قلت ذلك » وقد رواه القاضي أبو أمية الاحوص بن الفضل بن غسان القلايبي
عن أبيه عن علي بن صالح عن أبي موسى بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي
طالب وعن ابراهيم بن عمر بن عبيد الله التيمي حدثني القاسم بن محمد وأبوه عبد
الرحمن بن القاسم - شك - موسى فيهما قال قالت عائشة فذكره وزاد بمذوقه : فأكون
قد قلت ذلك : « ويكون قد بقي حديث لم أجده فيقال لو كان قاله رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما غيبي على أبي بكر ! إني حدثكم الحديث ولا أدري لعلي لم أسمع
حرفا حرفا » قال ابن كثير هذا غريب من هذا الوجه جدا وعلي بن صالح لا يعرف
والاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من هذا المقدار بألوف ولله
الاعناق له جمع تلك فقط ثم رأى ما رأى لما ذكر

(قال السيوطي) « قلت ولله جمع ما فاتته من النهي صلى الله عليه وسلم
وحدثه به عند بعض الصحابة كحديث الجدة ونحوه والظاهر أن ذلك لا يزيد على
هذا المقدار لأنه كان احفظ الصحابة وعنده من الأحاديث ما لم يكن عند أحد منهم
كحديث ما دفن نبي الا حيث يقبض ثم خشي أن يكون الذي حدثه وهم فكره
تقلده ذلك وذلك صريح في كلامه

حجج التعادل والترجيح بين روايات المنع وروايات الرخصة

- الأحاديث في باب الرخصة بكتابة الحديث أو العلم مروية عن نفر من الصحابة
- (١) حديث أبي هريرة «اكتبوا لأبي شاه» وهو في الصحيحين وموضوعه خاص وروى عنه البخاري قوله إن عبد الله بن عمرو كان يكتب وأنه لو لم يكن يكتب . وله حديث عند الترمذي أن النبي (ص) أذن لرجل سمي الحنظل بأن يستعين يمينه
- (٢) حديث أنس «قيدوا العلم بالكتاب» تقدم أنه ضعيف
- (٣) حديث أبي بكر «من كتب عني علماً أو حديثاً» تقدم أنه ضعيف أيضاً
- (٤) حديث رافع ابن خديج «اكتبوا ولا حرج» تقدم أنه ضعيف أيضاً
- (٥) حديث حذيفة «اكتبوا العلم قبل ذهاب العلماء» ضعيف أيضاً كما تقدم بل يشم منه رائحة الوضع

- (٦) حديث علي في الصحيفة وهو صحيح رواه أحمد والبخاري والثلاثة وموضوعها خاص ومنسوب إلى الوحي . وحديثه «إذا كتبتم عني الحديث» الخ تقدم مافيه وكذا حديثه «اكتبوا هذا العلم» الخ
- (٧) كتاب الصدقات والديات والفرائض لعمرو بن حزم رواه أبو داود والنسائي وابن حبان والداري وموضوعه خاص . وإنما كتب له ذلك ليحكم به إذ ولي عمل بجران

(٨) حديث عبد الله بن عمرو هو أكثر ما ورد في الباب وقد جاء بألفاظ مختلفة من طريقين فبما أعلم الآن عند أحمد وأبي داود والحاكم فالطريق الأول عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أي عبد الله بن عمرو بن العاص فهو جده . وهذا الطريق فيه مقال مشهور للمحدثين لم يمنع بعض المتأخرين من الاحتجاج به وهو تساهل منهم . وأما المتقدمون فقد قال في الميزان قال أبو داود سمعت أحمد بن حنبل يقول : أهل الحديث إذا شاؤوا احتجوا بعمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وإذا شاؤوا تركوه : يعني أتردهم في شأنه . وقال عبد الملك الميوني سمعت أحمد بن حنبل يقول : عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده له أشياء مناكير وإنما نكتب حديثه لنعتبر به فأما أن يكون حجة فلا : وقال أبو عبيد الآجري قيل لأبي داود : عن عمرو بن شعيب عن

أبيه عن جده حجة ؟ قال لا ولا نصف حجة . وقال ابن أبي شيبة سألت ابن المديني عن عمرو بن شعيب فقال ما روى عنه أيوب وابن جريج فذلك كله صحيح وما روى عمرو عن أبيه عن جده فانما هو كتاب وجده فهو ضعيف : فهذا قد ضعفه لأنه اعتمد على ما رآه مكتوباً وهو لم يروه رواية

والطريق الثاني عن عبد الله بن المؤمل عن ابن جريج عن عطاء عنه بلفظ « قيدا العلم » وعبد الله بن المؤمل قال أحد أحاديثه منا كبير وقال النسائي والدارقطني ضعيف . ولا حاجة إلى مراجعة طريق ابن عساكر فقد جزم السبوطي بضعفها أما ما رواه عنه ابن عبد البر من قوله « ما برغني في الحياة الا خصلتان » الخ ففي سنده ليث عن مجاهد . وليث هذا هو ابن أبي سليم ضعفه يحيى والنسائي وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أبي قال ما رأيت يحيى بن سعيد أسوأ رأياً في أحد منه في ليث ومحمد بن اسحق وهما لا يستطيع أحدان يراجعه فيهم . ذكره في الميزان وذكروا أنه اختلط في آخر عمره

وأما ما ورد في المنع فأقواء حديث أبي سعيد الخدري المتقدم عن كتاب العلم لابن عبد البر « لا تكتبوا عني شيئاً الا القرآن فن كتب عني غير القرآن فليحه » وهو في صحيح مسلم ومسنده الامام أحمد وهو أصح ما ورد في باب النهي عن كتابة الحديث والسنة . ولا يعارضه حديث « اكتبوا لابي شاه » وما في معناه من الأمر على تقدير صحته ولا يقوم حجة على من يقول إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كتابة حديثه لأنه لا يريد أن يكون ديناً عاماً دائماً كالقرآن

ولذلك وجوه (أحدها) أن ما أمر بكتابه لابي شاه - وهو خطبه ثاني يوم فنيج مكة - يحتل أن يكون خاصاً به . (ثانيها) أنه كان مما قال فيه « فليبلغ الشاهد الغائب » كخطبته يوم حجة الوداع . فلما طلب أبو شاه أن يكتب له ما قاله فبهم الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لا يقبسر له هذا التبليغ الا اذا كتبه ولله كان سيء الحفظ فأمر أن يكتب له كما طلب (ثالثها) أن حديثه النهي عن الكتابة مقيد ببقاء المکتوب وفيه الرخصة للمسلمة .

يمحوه . ويؤيد هذا المعنى ما رواه ابن عبد البر عن زيد بن ثابت وابن مسعود وعلي في نحو المكتوب وما رواه من قول مالك « فمن كتب منهم شيء » فالما كان يكتبه ليحفظه فإذا حفظه محاه .

وهذا الوجه يصلح جواباً عن حديث الأذن لعبد الله بن عمرو بالكتابة ويؤيده قول عبد الله : كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم « أريد حفظه » فصرح بأنه كان يكتب ليحفظ . وقد علمت ما قال أئمة الحديث في رواية حفيده عن النسخة المكتوبة . ويصلح أيضاً جواباً عن صحيفة علي وكتاب عمرو بن حزم

ولو فرضنا أن بين أحاديث النهي عن الكتابة والأذن بها تعارضاً يصح أن يكون به أحدها فاسخاً للآخر لكان لنا أن نستدل على كون النهي هو المتأخر بأمرين أحدهما استدلال من روي عنهم من الصحابة الامتناع عن الكتابة ومنعها بالنهي عنها وذلك بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم . وثانيهما عدم لدوين الصحابة الحديث ونشره ولو دونوا ونشروا لتواتر ما دونوه

فزعمة علي على من عنده كتاب أن يمحوه - وقول أبي سعيد الخدري « تريدون أن نجعلوها مصاحف ؟ » وقول عمرو بن الخطاب عند الذكر في كتابة الأحاديث أوجدهم الكتابة « لا كتاب مع كتاب الله » في الرواية الأولى - وقوله في الرواية الثانية بسد الاستشارة في كتابتها « والله اني لأشوب كتاب الله شيء أبداً » - وقول ابن عباس « كنا نكتب العلم ولا نكتبه » أي لا نأذن لأحد أن يكتبه عنا - ونهي في الرواية الأخرى عن الكتابة وقوله الذي تقدم في ذلك - ومحو زيد بن ثابت للصحيفة ثم احرقها وتذكيره بالله من يعلم أنه يوجد صحيفة أخرى في موضع آخر ولو لم يجد أن يخبر بها ليسى إليها ويحرقها . وقوله الذي تقدم في ذلك - وقول سعيد بن جبير عن ابن عمر أنه لو كان يعلم بأنه يكتب عنه لكان ذلك فاصلاً بينهما - ومحو عبد الله بن مسعود للصحيفة التي جاء بها عبد الرحمن بن الأسود وعلمة وقوله عند ذلك « ان هذه القلوب أوعى فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بغيره » - كل هذا الذي أورده ابن عبد البر وأمثاله مما رواه غيره كالحرق أبي بكر لما

كتبه وعدم وصول شيء من صحف الصحابة الى التابعين وكون التابعين لم يدونوا الحديث
 لنشره الا بأمر الامراء يود ماورد من أنهم كانوا يكتبون الشيء لأجل حفظه ثم يحونه
 وإذا أضفت الى هذا ماورد في عدم رغبة كبار الصحابة في التحديث بل في رغبته
 عنه بل في نهيه عن قوي عندك ترجيح كونهم لم يريدوا ان يجعلوا الأحاديث
 ديناً عاماً دائماً كالقرآن . ولو كانوا فهموا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه يريد
 ذلك لكتبوا ولا مروا بالكتابة ولجمع الراشدون ما كتب وضبطوا ما وثقوا به وأرسلوه
 الى عالم ليبلغوه ويعملوا به ولم يكتبوا بالقرآن والسنة المتبعة المعروفة للجمهور بحريان
 العمل بها . وبهذا يسقط قول من قال ان الصحابة كانوا يكتبون في نشر الحديث بالرواية
 وإذا أضفت الى ذلك كله حكم عمر بن الخطاب على أعين الصحابة بما
 يخالف بعض تلك الاحاديث ثم ما جرى عليه علماء الأمصار في القرن الاول
 والثاني من اكتفاء الواحد منهم كابي حنيفة بما بلغه ووثق به من الحديث وان قل
 وعدم تعنيه في جمع غيره اليه لفهم دينه وبين أحكامه قوي عندك ذلك الترجيح
 بل نحمد الفقهاء - بعد اتفاقهم على جعل الاحاديث أصلاً من أصول الأحكام
 الشرعية وبعد تدوين الحفاظ لها في الدواوين وبيان ما يحتاج به وما لا يحتاج به -
 لم يمتنعوا على تحرير الصحيح والاتفاق على العمل به فهذه كتب الفقه في المذاهب
 المتبعة لاسيما كتب الحنفية فالمالكية فالشافعية فيها مئات من المسائل المخالفة
 للأحاديث المتفق على صحتها ولا يعد أحد منهم مخالفاً لأصول الدين
 وقد أورد ابن القيم في اعلام الموقعين شواهد كثيرة جداً من رد الفقهاء
 للأحاديث الصحيحة عملاً بالقياس أو لتغير ذلك ومن أغربها أخذهم ببعض الحديث
 الواحد دون باقيه . وقد أورد لهذا أكثر من ستين شاهداً (فلتراجع في ج ١٤
 و ١٥ و ١٦ من مجلد المار السادس) . وسنورد في الجزء الآتي شيئاً مما ورد في نهى
 الصحابة عن الرواية وفي علمهم بالحديث كيف كان ، فقد أطلنا الآن ،

(نصحيح غلط مهم في ص ٧٥٢) في س ٢١ الواسع وصوابه « واسع »
 وفي س ٢٤ يتلوا عليهم : وصوابه « يتلو عليهم » وفيه الكتابة وصوابه « الكتاب »
 وفي أول س ٢٥ فالكتابة وصوابه « فالكتاب » وفيه : أكثر : وصوابه « كان أكثر »

❦ إصلاح الأزهر ❦

يرى أصحاب العقول الكبيرة من مصالح الأم ما لا يراه غيرهم من العقلاء
الابعد زمن طويل من دعوتهم اليه فقد رأى الأستاذ الامام في أواخر مدة
طلبه للعالم من حاجة الأزهر الى الإصلاح ما لم يكن يراه غيره من قومه وكان
يدعو الى ذلك في كل وقت بما تقتضيه حاله حتى كان في أول ولاية العباس ما كان
من مسيئه لديه في الإصلاح المعروف وكان من قواعد الإصلاح المثبتة عند الأستاذ
الامام ان يكون اصلاح الأزهر بشيوخه وان لا يكون للحكومة سلطان عليه في ذلك
حتى قال لي غير مرة : انني مادم في الأزهر لا أدع سبيلا للداخل الحكومة فيه
وكان للأثير رأي في الأزهر ذكره في خطابه الذي ألقاه على العلماء يوم خلع
على الشيخ عبد الرحمن الشريفي خاتمة مشيخة الجامع وهو ان يبق على حاله وان
لا يكون للحكومة شأن فيه الا حفظ النظام وتستعيض عن تربيته وتعليمه لقضاء
الشرع بانشاء مدرسة خاصة يخرجون فيها

وبعد ان أنشئت مدرسة القضاء الشرعي على أحسن وضع ممكن بدا للأثير
في إصلاح الأزهر فأمر بتأليف لجنة رئيسها ناظر الحقايق ومن أعضائها مدير
الاوقاف ورئيس الديون الحديوي فنظر في طرق الإصلاح ووضع تقرير فيه .
وقد بلغنا ان هذه اللجنة تستمد من تقرير ملخص من تقريرين للأستاذ الامام
رحمه الله تعالى قدم أحدهما الى المعية وموضوعه إصلاح التعليم في الأزهر والآخر الى
ديوان الاوقاف وموضوعه زيادة المرتبات الشهريه للعلماء على طريقة تساعد الإصلاح
وقد شاع أن أساس الإصلاح الجديد هو أن يكون للأزهر مجلس أعلى فوق
مجلس ادارته من أعضائه رئيس الديوان الحديوي ومدير الأوقاف وعضو من
أعضاء مجلس شورى القوانين وعضوان من المشتغلين بالتعليم في المعارف . وباقي
أعضائه شيخ الأزهر وهو الرئيس والمفتي وأحد أعضاء مجلس ادارته وأحد مشايخ
الأروقة فيه وهذان يختارهما الأثير . ومن الإصلاح الجديد أن يكون لشيخ الأزهر
وكيل من حقوقه أن يقوم مقام شيخ الأزهر عند غيبته في كل شيء . وقد اضطرب شيوخ
الأزهر لهذا النبا وطفقوا يكتبون عرائض الشكوى وربما استقال شيخ الجامع .

الأحزاب في مصر

كان يطرق مسامعنا في المجالس وتبصر أعيننا في الجرائد كلمة « الحزب الوطني » ولا نجد لها مدلولاً وما زالت الجرائد الانكليزية تقول ان في مصر حزبا وطنيا سياسيا حتى صار فيها عدة أحزاب وربما أخذت هذه الجرائد ذلك من الحركة الوطنية التي قامت في وجه الاحتلال في أوائل ولاية أمير البلاد لهذا العهد إذ كان كل متحمس بذلك الحركة يمدح بالوطنية والمنكر لشيء منها أو المتقاعس عن مشاركة ذويها يزن بالليل الى الاحتلال ثم صار يوصف أهلها بالحزب الوطني. وبغض بعض المفكرين ان للانكليزية غرضاً في وجود الأحزاب بمصر لا سيما النوع الذي يعرف عندهم بالمتطرف فكانت كتابة جرائدهم إغراء بذلك ودعماً اليه

ومن الناس من يقول أن نسبة أولئك الذين قاموا في وجه الاحتلال حزبا خطأ عرني أو لقوي اذ يفهم منه ان في البلاد حزبا آخر وأحزابا أخرى يناظر ويمارض بعضها بعضاً ولم يكن في البلاد شيء من ذلك وإنما كان السواد الأعظم مضبوطاً بما ظهر به أولئك الذين يكتبون في مقاومة المحتلين ويستميلون فرنسا لمساعدتها عليهم وما كان يوجد لهم معارض وكان يوجد أفراد يعتقدون ان ما قاموا به عقيم أو ضار لما أقامهم النظر في العواقب ولكن هؤلاء الأفراد لم يكونوا يمارضون ولا يقاومون وغاية ما كان يظهر من الواحد منهم أن يكشف صدقة من الآخرين برأيه. والصواب أن مثل أولئك يصح أن يطلق عليهم لفظ «حزب» لغة فإن الحزب كما في المعاجم جماعة الناس والصنف والطائفة منهم وقال الراغب: الحزب جماعة فيها غلظ: وفي لسان العرب «حزب الرجل أصحابه وجنده الذين على رأيه» ثم قال « وكل قوم تشاكست قلوبهم وأعمالهم فهم أحزاب وان لم يلق بعضهم بعضاً » فأنت ترى أن لتسمية أولئك القوم حزبا وجهاً في اللغة وجيهاً ولكن للأحزاب في أوربا معنى اخص وهو عبارة عن ارتباط المتشاكسين في القلوب — أي الشهور بالحاجة الى مصلحة عامة — وفي الأعمال لهذه المصاحبة بقانون معروف ولم يوجد

مثل هذا في مصر الا في هذا العام فقد تشكل فيه حزب الأمة والحزب الحر وحزب الاصلاح الدستوري والحزب الوطني وسمنا أيضا فئمة حزب آخر سمي الحزب الجمهوري . ولقد سمي هذا العام بهام الاحزاب وقال الشيخ عبدالمحسن في قصيدة يذكّر فيها مرضه وشيئا من العبارة بحال الزمان وأهله

وطوارق الاسقام ما برحت تناب كالأحزاب في مصر

أما موضوع هذه الأحزاب فهو بحسب ما صرح به زعماءها واحد المتصدمة خدمة البلاد بالوسائل الممكنة حتى قيل إن الخلاف بينها في الألفاظ والأشخاص فقط . والصواب أن لكل حزب منها قلبا يدور عليه وهو مؤسس الحزب ورئيسه الموثوق به عند المؤسسين المتحاربين المستعدين لشرب الحزب الا حزب الأمة فإن رئيسه ليس هو المؤسس له الذي تدور عليه سياسته وإتمامه منتخب انتخابا حقيقيا لرياسة شركة الجريدة قبل أن يسمى جمهور المؤسسين أنفسهم حزبا سياسيا . ولهذا يطعم سائر الأحزاب في سقوط هذا الحزب لأن الشرق لم يعود الأعمال المشتركة وإتمامهم أموره بالأفراد ولأن أفرادا ليسوا منفقين على مقاصده ولا متعاضدين فيه بل منهم من يترصص به لهداثره ويساعد غيره عليه ولا أنه ليس له سلطة بأوي اليها ويمتد على مساعدتها وإمدادها والسلطة في هذه البلاد سلطان سلطة الأمر الرسمية في الأحكام الحقيقية في نفوس الجمهوريلا وسلطة الاحتلال الحقيقية في الأحكام والأعمال . وهذا الحزب يريد أن يكون وسطا بين هاتين السلطتين باسم الأمة فلا هو مع الانكليز كما أشيع ولا مع الأمير فيما يحب الأمير ويرى في السياسة وإن كان مخلصا كخيرته لا خديوية نفسها . هذا هو مبدأ العاملين فيه الآن فهو لاسنده الامن ذاته فاذا نجح كان نجح فذلك من دلائل ارتقاء الأمة في الأمور الاجتماعية واذا هوسقط فسد قوطه برهان على أن الأمة لم تعد طور الطفولية في حياتها الاجتماعية

والحزب الحر مؤسسه محمد وحيد بك وهو رئيسه الداعي اليه والمدافع عنه بمساعدة صديقه محمد نشأت بك الذي كان من حاشية الأمير (معينه) وهو كاتب مجيد بالفرنسية وليس لهذا الحزب جريدة خاصة كغيره وإنما يكتب عنه محمد وحيد بك في المقطم ومحمد نشأت بك في بعض الجرائد الفرنسية كأكبر وغيره ولم

يدخل فيه أحد من أكتابر البلاد، وأفراده أقل من 'فرد سائر الأحزاب وهو يعتاز بكثرة الحش على مسألة المختلين واثناء على ما يستحسن من أعمالهم في البلاد فهجيره هذه الكلمة « سلامة المصري في مسألة المختلين » فهو لا يخالف غيره من الأحزاب الا في هذا وهو خلاف قولي اذ لا يقول حزب من الأحزاب بوجوب مقاومة المختلين ومعاداتهم بالعمل وانما قصاراهم أن يبالغوا في انتقاد ما يرونه منتقدا من أعمالهم ويكبروه ويسكتوا عن الثناء على ما يرونه حسنا فاعا أو يصغروه . فذاك يمدح ولا يذم ولا ينتقد وهم يذمون وينتقدون وقلما يمدحون ولا خلاف في سائر المطالب الاساسية بل في وقتها وطريق طلبها

وأما حزب الإصلاح الدستوري فهو سسه الشيخ على يوسف صاحب المؤيد وهو رئيسه وقد اختار له من الأعضاء من يجمعهم الرأي وترشدهم الروية ويثبتهم الركن الركبن القدي يأوون اليه فقاؤه أوضح قوانين الأحزاب ورجاله أدهى رجالهم والشيخ على نفسه أبعد المشتغلين بالسياسة المصرية غورا وأشد حزما وأحذهم في الدخول في الأمر والخروج منه . والفرق الحقيق بين هذا الحزب وغيره من الأحزاب التي تشاركه في الخدمة العامة للأمة انه مويد لسياسة الأمير لا يتحول عنها في حال من الأحوال يتهم اذا أنهمت وينجد اذا أنجحت وبوالى من والت ويمادي من عادت فهو حزب طبعي متين والرجاء في ثباته وبقائه أقوى من الرجاء في سائر الأحزاب بحسب ما عليه مصر من الحالة الاجتماعية والسياسة الآن ولا دليل على تغيرها في زمن قريب

وما صرح به هذا الحزب في قانونه من كرن طلب المجلس النيابي أصلا من أصله لا ينافي تأييده لسياسة الأمير صاحب الحكم الشخصي فان طلب المجلس النيابي مرضي للأمير أيده الله بتوفيقه كما علم من حديثه المشهور مع مكاتب جريدة الطان الفرنسية بل لا يبعد أن يكون هو أول من فكر بوجوب طلب الأمة له كما يقول بعض العقلاء وأما الحزب الوطني فهو سسه الآن مصطفى كامل باشا صاحب جريدة اللواء وهو رئيسه وهو جزء من الحزب الوطني الذي كان موجودا بالقوة أو بالفضل من قبل على ما بيناه في صدر هذا المقال والقسم الآخر من ذلك الحزب هو حزب الإصلاح

الدستوري . والفرق بين هذين الحزبين على ما أرى — وهو رأي يوافقني عليه كثير من العقلاء — هو أن حزب الإصلاح الدستوري يجمعه الرأي وبه يعمل والحزب الوطني يجمعه الاحساس والشعور وبه يعمل وأن شخص صاحب جريدة المويد ليس ركننا من أركان الحزب الأول — وإن كان قطبه وأقدر العاملين فيه — ولكن شخص صاحب جريدة القواء ركن من أركان الحزب الآخر مقصود بالذات منه ولذلك انفقوا على أن يكون رئيس الحزب مادام حيا بلا شرط ولا قيد . ويظهر لنا أن المعجبين بالحزب الوطني أكثر عددا من المعجبين بغيره من الأحزاب . لأن منهم فيها يقال أكثر تلاميذ المدارس والمحاضرين في السياسة من العامة وذلك معقول لأن هو لاهم الذين يتبعون داعي الشعور وبمخضون لسلطان الوجدان وبمحزون النلو أكثر عن عدام . وقد سلكت جريدة القواء طريقة تحريك الوجدان وتبهيج الشعور الوطني بعناية عظيمة تناسب الاستعداد الغالب على الشعب . ويظن أن غرض صاحبها من ذلك ومن نشر الدعوة الى حزبه في الأرياف هو أن يستميل رأي السواد الأعظم الى نفسه حتى يكون زعيما حقيقيا إذا دعا الى شيء . تؤيده الأمة بالمال والحال . . . وادعاه هذه الزعامة من قبل دليل على استعدادها فإنا قد تعودنا أن نرى كل رأي قواء معزوا الى الأمة برمتها حتى مثل العفو أو عدم مقاصة ذك المجرم القاتل في السودان . وقد أمدته في استعداد هذا الجرائد الانكليزية في أثناء حادثة العقبة إذ كانت تصفه بالزعيم المبهيج وغرضها من ذلك معلوم فإنا من دهاء الانكليز

هذا وإن في كل حزب من الأحزاب من الرجال المهيئين لخبر البلاد والمخلصين في خدمتها بحسب اعتقادهم من يعتمد عليهم في القيام بشؤونها . وقد جهل بعض الحقيقة من قال إن كل حزب قد أنشئ لتأييد جريدة ومدير تلك الجريدة هو منشئه ومسخره لجريده ومن أنه لا فرق بين هذه الأحزاب في المقصد ونرجوان يكون إنشاء الأحزاب في مصر آية من آيات الأخذ بالارتقاء الاجتماعي وإن يكون تعددها سببا لطول حياتها لما تقتضيه المباشرة والمزاخرة من نمسك كل حزب بما قام به ونسأله أنه الى أن يوفق الجميع لما فيه الخير والمصلحة للبلاد

أوروبا والاسلام

مقالة ومقابلة بين الاسلام والمسيحية في المدينة لوزير فرنسي

كتب السيد محمد الاصرم من فضلاء التونسيين والموسيو دوديانوس المراقب المدني الفرنسي في بلدة موسة من أعمال تونس بالاشتراك تقريراً في الاحوال التونسية . وقدم هذا التقرير الى مؤتمر الاستعمار الذي اجتمع في مرسيليا سنة ١٩٠٦ الموسيو ميلي الذي كان في منصب الوزير المقيم لفرنسا بتونس وجعل له مقدمة بقلمه تلاها في المؤتمر . وقد ترجمها في هذه الأيام بعض التونسيين ونشرها في جريدة الزهره فأرأينا أن ننشر الترجمة في العدد بعد تصحيح ما عابرتها وهي : هذا التقرير على صغر حجمه يبين مسأله من أكبر المسائل الحالية وهي العلاقة

بين أوروبا والاسلام

كانت هيئة الاجتماع المسيحية في خلال القرن السابع للمسيح على حالة محزنة تتنازعها من جهة غاية التوحش ومن أخرى ما أصاب الفكر من التعمق والتدقيق في مفاهيم الألفاظ، وعلى هبتات سياسية دخلت في سن الهرم وسفاسف دينية حلت محل اتساع انظار القرون الاولى . فالسلطة كانت تميل أحياناً إلى العاش وطورا الى مقتضيات الضعف لكنها في كلتا الحالتين كانت مثقلة لهياد فرومية كانت في جدال مستمر مع الاساتنة (بنى بابا روميه وبطرك الاسكندرية) ولم يشخص منصب البابا لسلطته ويشخلص من الروابط الملوكية والنفا في اعتقاد القديسين (المرابطين) الا وقد سقط في مهواة الوثنية ، وترك الواجبات العسكرية واستبدل المجاورون بالمسكن النظامي ، واضمحلت المائدة بالتجافي عن القيام بالواجب ولم تكن هناك حرية في الاعتقاد بل لم يكن رواج الاسلخ القسوس واضطهادهم لمن ينسب شقة للاثلام أغراضهم . وبالجملة فالحالة كانت في تلك المصور محفوفة بجميع موجبات التأخر والانحطاط فقلنا الاسلام والحالة هذه ونمجد في تقدمه العجيب بسبب ما أحدثت السلطة اليونانية في النفوس من السآمة والمقت

جاء الاسلام مخالفاً لكثير من الاديان التي ضاعت حقيقتها في غمرات الاوهام فان هذا الهدين تغرّوا عما لا يعقل من الخوارق وقام على الحجاج البينات التي لم تزل الى الآن موجودة غير أنهم في الغالب يحيدون به عن مقاصده لأنهم يريدون اختلاق الخوارق له مع أنها لم تكن وينضح كل الانضاح ان سلمنا ان الاسلام جاء مقاماً للمسيحية حسباً كان يفهمها اليونانيون أنه أي الاسلام جامع بين السلطتين الدينية والسياسية كما ان ملوك بيزانس أي ملوك اليونان كانوا يدهونهما وهو أي الاسلام قليل الفرافة في أصوله لأنه لم يكن المقصود منه في ذلك الوقت تجديد اعتقاد الناس بل تغيير انقيادهم الظاهري - فلما أثقلت كاهل المسيحية اليونانية فلسفة القوم المنكرة جاء الاسلام بفسخ التثليث وإزالة ادران الفلسفة الاسكندرية - ولما بعدت حقيقة المسيح الكنسية شيئاً فشيئاً عن البشرية وفشا اعتقاد وتظيم القديسين حتى انحدر بالناس الى عبادة بعض الاشياء من الكائنات جاء الاسلام بإرجاع المسيح - على تكريمه اياه - الى نسبة البشرية وبإنكار القديسين - ولما أضعفت أديار الرهبان الدولة والعسكرية جاء الاسلام باطلها - ولما كانت الغاية المسيحية إضعاف العائلات بإيثار المزة على التزوج جاء الاسلام بكراهة تعدد قطع النسل وبالحث على التناسل بأباحة تعدد الزوجات - ولما كانت الهيئة المدنية المسيحية منقسمة الى مراتب وراثية متشعبة وكانت الرتبة الاولى فيها للقديسين جاء الاسلام بإبطال سلطة القديسين وإزالة حق الوراثة في المراتب والاستعاضة عنها بالاستحقاق الذاتي (لا فضل لعربي على عجمي إنما الفضل بالعلم والتقوى) كما أنه أزال الوساطة بين الخلق والمخلوق وبين الرئيس والمرؤوس - ولما كان الملوك هم المحافظين على أصول الدين واستحوذوا بذلك على التصرف في العقائد والمعتقدين من رعاياهم جاء الاسلام بالتسامح والحرية في الدين على شرط قبول الداخلين تحت سيطرته من غير المسلمين بأداء الجزية وهو أداء خفيف جداً - ولما كانت الصدقة الانجيلية قد ضففت تقريباً تحت استئثار اصحاب الرتبة المفضلة من الهيئة جاء الاسلام بالحث على المعادلة والتعاضد الى حد لا نهاية بعمده - وبالجملة ان الهيئة المسيحية لم يكن تأسيسها الا على الخوارق فلا سلام قد عدل عنها تقريباً وجعل نبيه بشراً كسائر البشر

هكذا كانت طباع الاسلام الاولى وان اعترى فروعه تغيير بسبب ما اعترى المسلمين من الأوهام فأصوله لم تنزل ثابتة الى الآن وقد نحلى الاسلام مبسرا ومستكلا للانسانية ومنزها عن التموض بيد اطة الوجدانية المعقولة وبذلك تباعد عن قضايا المعارضة بأنواعها ، ولم يصد نموه ستة قرون مضت في المجادلات الدينية ، وأربعة مثلها مضت على الادارة الرومانية (١) ولم يكف ذلك حصنا للمسيحية بل حصل هذا الدين الجديد على كثر زعيمين بسرعة صعبة (٢) وهو رغم مأسطرتة كتبنا مستمر الدوام . واذا تمحض لترفح بتزحه عما ذكر من الادران أمكنه تقديم متبعه على متبعي المسيحية بنحو ثلاثة أو أربعة قرون فان معالم بفسداد وقرطية العلوية كانت منابع للأوار الساطعة عند ما كانت معالمنا المسيحية منحنية على الجهل المطبق فكل العلوم وكل الصنائع وكل الفنون كانت تأتي من الشرق وجمهوريات البحر المتوسط كانت تكسب بسطرتها من علاقتها مع مخالفتها في الدين

وان زهرة هذا التمدن النفسية المحفوظة في أوانيها الجميلة الانيقة تقصر إشبيلية وجرأ غرناطة لم تنزل تخجل اشراف المسيحيين حتى بعد اضمحلال العربية ببحرث ان مدة الاسلام للشدة دامت نحو ثمانية قرون نهايتها سقوط غرناطة ، وكانت بعد ذلك فتوحات العثمانيين الذين زام على عدم التفاتهم لانفتاح الزهرة الفكرية قد اثبتوا للاسلام مدة قرنين أو ثلاثة عظيمة سياسية وعسكرية

وعليه فان الديانة الاسلامية حافظت مدة ألف سنة على قوة انتشارها ونفاها ولذا يصح ان نقول بحسب المدة على الاقل ان وظائفها تعادل وظائف اليونان والرومان . وما هذا وبعد وقوف الشجرة الاسلامية عن النمو والازهار والأثمار لم تنزل عروقها آخذة في الامتداد الخفي وتنشق أرضها عن أخلاف غليظة في أماكن السودانين كما ان أخلافها في آسيا تحمل مع لراحة مادة التلقيح الهندي والملايزي والصيني (٣)

(١) كذا في الاصل ولعله يشير الى الحروب الصليبية (٢) لعله يعني « لكنز الفتوحات »
(٣) الأخلاف جمع خلفه بالكسر وهي مروة تروى بأن الاسلام لا يزال بهذا ذلك =

فإنه الحقائق هي التي ينبغي استحضارها في القهر عند ارادة التكلم عن الاسلام باستخفاف !!

فان قيل كيف طرأ السكون على أهل عقيدة شريعة معقولة مثل عقيدة الاسلام ولماذا وقفت في أفريقيا وآسيا الصغرى عن الأعمار الآن بعدما انثرت سائر باقي الفرس واسبانيا ثم لأي سبب كان هذا التقدم الاورباوي الحالي المترفعي مما سواه ؟

الجواب ان مسألة مثل هذه لا يمكن تفصيلها في هاته الاوراق لكن لنا ان نقدر على مجرد نتيجة فلسفية وهي ان نقول ان مدينتنا المسيحية الاصل قد فتحت مجالاً متسعاً لقنوم المادي وان نهضنا في القرن السادس عشر قد منحنا جسارة في الفكر واختباراً في الفحص العلمي ربما لم يعرفها المسلمون وإن الذي يهم في هذا المقام على كل حال هو اعتبار الحقيقتين عند ارادة الحكم في هذا الموضوع لان تفهيم المسلمين المشاهد اما ان ينسب الى نفس الاصول الدينية فيكون الاسلام محكوماً عليه بالانقراض على الحياة المادية، وإما ان ينسب الى أسباب خارجية عارضة فيكون قابلاً للنهضة والرجوع الى ما كان عليه لكن هناك من السذج والاغرار من يقضي عليه قضاء مطلقاً بدون مراعاة الحقيقتين المشار اليهما ولعمري إنه يصعب عليهم بيان كيف أمكن لهذا الدين الناصر على زعمهم انتاج ثمار عجيبة في الزمن الماضي وهم اناس لا يحسنون معرفة التاريخ ويقنعون في حكمهم على ما يشاهدون بأبصارهم

قد انتشر هذا الفكر بفرنسا مدة المسألة الجزائرية من حيث علاقتنا مع الاسلام ويوجد الى الآن هناك كثير من الفرنسيين بقوا عليه لكن وجدنا بعضهم ثم بتونس مسلمين من نوع آخر ولذا لم يكن من الممكن ولا المقنع الانتصار على حكم استبدادي بسيط ووجب الرجوع الى الشواهد التاريخية وقد يجب الاعتراف حينئذ بأن طابع المسلمين عامة اعتراها تغيير من القرن الثالث عشر الى القرن الخامس عشر وذلك تحت سلطة الانراك بالشرق وسلطة البرابرة بالمغرب ففي اسبانيا انقطعت العلاقات بين المسلمين والمسيحيين بعد سقوط غرناطة دفعة واحدة

= النمو الأول يعتمد في أفريقيا وآسيا فينتلجح بالابحاث به الهنود والماليزيون والصينيون ولكن عبارته مجازات واستعارات وترجمتها ضعيفة

والتعصب من الجهتين هو الذي حملهم على ذلك . واما من جهة الاستانة فالمعلاق السياسية قد استمرت ولكن العملية سقطت في العدم فالبرابرة بالمغرب والأتراك بالمشرق ضارا كأنهما جرمان أخينان بطرفي السلك . فمما سيلان الكهر باء فيه والحقيقة أنه من تاريخ عدم التفاهم بين المسلمين والمسيحيين قد اختارت كل فرقة من أساليب دينها ما يلائم إحساسها فمقيدة القضاء والتقدير ليست هي أساس الاعمال في الاسلام بدليل ان القرآن لا يرى ما نفع من تقدم الامم بتعاطي أسباب التدمر لكن عقيدة التقدير نسري بالعرض والتبعية الى فكر المسلم الساذج بمعنى أن تعترف الخالق في المخلوق يكون مباشرة (أي بلا سبب) ولذا ترى المرابطين علماء اللاهوت من البربرية يباغنون منذ ظهروا في التمسك ببعض النصوص الدينية مع خلوها عن الفائدة ويخطبون في الناس كعصا أهل المذاهب المسيحية مقاومين لكل عدن وأعاتهم على ذلك عر بان الخيام بأفريقية ونموها هذا المشروع المنتج لفصلية وليس مع كونه انتزع من الدين لينة ومساعدته على اكتساب التمدن وقصره على حركات بدنية - لكن الفرق المستندة التي يحايي لسان أفكارها لسان البحر المتوسط اندجبت مع أمواجه وتجمعت ببلدان السواحل لتفزعهم تعب المدافعة ومصادمة البربرية في الجزائر سابقا وفي مراكن الآن عروش الخيام يعني الذين ولد فيهم الجمل شدة التعصب الديني هم الذين وجدناهم عرضة لنا . ويجب أن تفاهم في معنى التعصب هنا هو ان هاته العروش اعماية مصرون لادى قتال والمهيجة فالدين عندهم هو الارية التي يتخذونها وسيلة للفتية بفضهم للاجنبي فالرحالون لم يكن أوتانهم مسلمين مع انهم كانوا يبدون مثل هذه الاحساسات بصيها نحو الفاتح الروماني وكان الامر يشبه علينا في الزمن السابق فيظهر لنا ان الاخذ بشارنا من هاته العروش أمر طبيعي وان ذلك يكون باغتنصاب أملاك المساجد والجوامع مطلقا حتى أوشدنا التجربة فيما بعد الى حقائق الامور فاملنا التونسيين بمزيد الاعتبار فاترنا دولتهم وعوائدهم وشرائهم وعدلينهم وجوامعهم وأملأكم وفي الحقيقة إن ما وجدناه بتونس لم نجد بالجزائر - وجدنا بتونس نخبة من الاعيان الاهلين ومجتما ازاولة السلم وهو جامع الزينة فانه وان انحطت شهرته عما كانت عليه في القديم لم تزل به مادة الحياة قوية تؤذن بقرب عود اخضراره

وهاته الحالة المساعدة أمكننا معها أن نخطو خطوة زائدة سنة ١٨٩٨ وهي تأسيس جمعية من شبان التونسيين المتعلمين تحت عنوان الخلدونية تذكارا للمؤرخ العربي ابن خلدون وتكملت هاته الجمعية بإدخال الفنون الاوربية بين طلبة الجامع الاعظم واقتتحت دروسها بمسامرة نظامية وقام أحد مدرسي الجامع الاعظم ببيان أن لا فقرة بين الاسلام والعلوم المصرية

وأخبرا وقع اقتداء الجزائر (كذا) بقبول بعض افراد من الاهلين به مجلس شورى المبررين ولم يسبق في الامكان أن نرجع فيما منحناه للاهالي من حق التكلم والمناضلة ولا ان نسد أفواههم وقد بادروا لاستعمال هاته الوسيلة بالانتقاد على عدم الاهتمام بشؤونهم وعضم جانبهم المتجدد في كل حين القدي يحملنا على ارتكابه العجب الاوروبي فمع كوننا نحترم عوائدهم سياسة فاننا لا يهمننا أن ندوس حقوقهم بما لنا من عدم الا تهرث الذي طالما انصف به الغالب المعتد بأفضليته المطلقة على المغلوب فهذه التقارير التي ستقرأ عليكم يتكون منها كراسة المطالب الاسلامية التونسية وأهم غرايتها كونها تؤذن بالمشاركة والتعاون بين العنصر الاوربي والعنصر الاهلي وفيما أعلن ان هاته أول مرة أصبح فيها لمسلم انتقاد آراء غيره زيادة على ابداء رأيه في تقرير رسمي على ان استعمال السيد محمد الاصرم لماته الحرية هو في نفسه أقوى برهان لتأييد رغائب بني جنسه ودينه ومن المستحيل ان يأتي هذا الكاتب بأكثر مما أتى به من التلطف في التعبير مع صحة المعنى واستقامة الدليل في عرضه التشكيكات المقبولة . كأن حجاباً يتمزق لبريتنا من ورائه باطن هيئة لازرى منها الا ظاهرها . اما قيمة النتائج التي يعرضها علينا فانها دون ما فاجأنا به من بيان مقاصد الديانة الاسلامية الحقيقية وبهاته المناسبة نبادر لزيادة الحث على قراءة الفصل ١٩ والفصل ٢٠ المتضمنين لما عليه الاسلام الآن بالإالة التونسية وما تأليه الطرق الدينية فيها

ولا يخفى ان الكاتب من المسلمين وهو القدي أفادنا ان عربان العروش هم من أردل المسلمين من حيث العقائد بخلاف سكان المدن فانهم متخلفون باخلاق المسألة وان الوسيلة الوحيدة لتغلب على هذا التمسك الاعمي هو الحث

على قراءة القرآن التي تركت الآن تقريباً وعلى نشر المعارف والرجوع الى اخلاق الاسلام التي منها فعل الخير والتعاقد واتساع وهو الذي يؤكد لنا اقبال المسلمين المسننين على العلوم الأوروبية وهو الذي يرينا ما في الطرق الدينية والافراط في الميل الى الدراويش من الاسباب المقيمة لوجبة الاسلام. ونرى مما ذكره لنا من قواعد بعض الطرق ان هناك شيئاً يشبه قواعد الجزويت اعصبة دينية ديدنها الثعلب والاسنان (وهو الاقياد الاحمى المبرع باللاتينية عندهم «كن كجثة»

فهذه الملاحظات حرية بالاعتبار في اسباب التفرع المعارضة للاسلام الذي جاء معارضاً للخوارق المسيحية فاسقطوه فيما جاء معارضاً له باحداث ما يدونه بالنصوف الذي تولدت منه أنواع من الخوارق ربما كانت أكثر خطراً من أمثالها في المسيحية. فالاسلام أمر بالمساواة والتوجه للعمل وعمل التمتع بنعيم الدنيا فطراً على هذه الاوامر ما اختلفت الطرق الدينية من التوكل الاحمى الباعث على عدم التبصر في العواقب ومن الفقر (الزهد) والطاعة العمياء والجود وهي كلها مهيئة لمناهج كل استبداد. ونزعه الاسلام عن الموان (فرقة من الرهبان) فجاءت الاوهام البربرية وأحيته في الدراويش ونفني بالموان هذا التوارث الذي يتعالي شيئاً من أنواع السحر والمرفوع عنه التكليف (كذا) وعليه ان كان المسلمون في تقهقر فلان الاسلام انحرف عن أصوله ووجه تغير مرماه لكن الجرائم اللازمة لنهضته لم تنزل كاسنة فيه ولذلك يلزم الرجوع الى القرآن بعد تفسيره واستخراج ثماره بطرق العلوم المصرية - فأول أمة أوربية تنجرد عن أوهامها القديمة وتغفم هذه الخطوة العالية يمكنها بذلك ان تتقدم على غيرها تقدماً عجباً فان تعاطيها لما ذكر يكون له أحسن صدى في قلوب ما تاتي مليون من المسلمين

فالذي الذي تشر فيه فرنسا عن ساعد الجدوتسى في تعليم وثرية الاهالي - ولا تقصد بذلك ان تلزمهم بنظام تناهل أن تدير بهم في مناهج التقدم الملائمة لطبائعهم - هو اليوم الجليل حسب قول مسيو جوفار الذي تحصل فيه على أكثر من فتح المالك اذ به تتحقق لها السلطة على الارواح اه

(المنار) منين في الجزء الآتي رأينا في هذه المقالة أو المندمة

أعمال حسن باشا عاصم

كتبنا في الجزء الماضي شيئاً عن أخلاق حسن باشا عاصم ونكتب في هذا الجزء شيئاً عن أعماله واعدتنا في هذا وذاك الاختيار، وغرضنا منه بيان طريق التأميم والاعتبار، وأنما قدمنا الكلام في الاخلاق، لأنها هي مصادر الاعمال، فهي الاصل الاصيل في تفاضل الرجال، ولم نسلك فيما كتبنا ولا فيما نكتبه الآن مسلك الاستعصاء بل نكتبني بما قل ودل

تمهيد في تربيته وتعليمه

بالثروة والتعليم يتفاضل المتساوون والمناربون في الاستعداد وقد اتفق لحسن عاصم منهما ما أظهر استعداده العظيم . كان والده من حاشية محمد باشا عاصم أحد كبار المديرين في هذا القطر ولم يكن لهذا نسل . وولد حسن في حجره فسر به ونزل تربيته بل تبناه وأضاف اسمه الى اسمه فعلمه التعليم الابتدائي والوسطي والدالي فانتقل من المدارس الابتدائية الى مدرسة الادارة (الحقوق) فكان في طليعة التابخين ثم أرسل مع بعض التابخين الى فرنسا على نفقة الحكومة لتتربي في علوم الحقوق والسياسة فلقاها بمجده واجتهاده حتى كان من خير التابخين وحلة الشهادات العالية فيها . وكيف لا وهو لم يكن يعرف اللهو والبطالة ولا يمن بمغفل بالهذات والشهوات البدنية وذلك هي قواطع طريق العلم على طلابه لاسيما في أوربا ولا سيما في فرنسا . وما أظن الا أن بيت محمد باشا عاصم كان ثقيلاً من اللوث الذي تلطخ به كثير من البيوتات كالكسرك وما يتصل به عادة وكأنني بذلك الرجل وأنا لم أعرفه ولم أعرف عنه شيئاً كان بصيراً بالمفاسد التي تدب الى الناشئين في السعة فخال بين ربيبه وبينها فلم تئذنس نفسه برذائل المترفين، ولا بدانة الموسرين، فهذه التربية النقية هي التي ساعدته على كمال تحصيل العلوم حتى كان وهو ابن الخادم مشرفاً للمخدوم بنسبته اليه ومحبباً لذكوره ولولاه لما عرفه مثلي ولا دون اسمه في هذه المجلة الإصلاحية . وكما أفسدت باريس من أولاد الأمراء والوجهاء الذين هم أرفع من محمد عاصم باشا ذكرنا في قلوبهم

عمله في القضاء والنيابة

لما عاد من أوربا جعلته الحكومة مساعدا للنيابة فوكيلا لفرنسا في الاسكندرية ثم في طنطا وكان قد مات محمد عاصم باشا فكان خير خليفة له في أهله حتى أنه كان يتفق معظم مرتبه الشهري على قلته في المرتبات التي كان يقوم بها مرتبه الذي مات ولا مال له . بل لم يجعل في العودة من أوربا الى مصر لا لأجل هذا فقد كان يبني الاستزادة من العلم الى ان يصير دكتورا في العلوم التي كان يشتغل بها بعد أن نال شهادتها العالية المبرر عنها عندهم بالقبول ففاجأه نفي مرتبه فاكتفى بما حصل ، ورجع عما كان أمل ، وقد كان في النيابة العامل المصلح لنظام ولحل الاجتاع إذ كان يتعقب الاشياء الفاسدين وحلبة الامن المعندين حتى طهر منهم المديريات التي مظلم بلاؤها بهم . وكان يزجي كل من نعت رياسته في الجبد والاجتاد فلا يكادون يجدون ساعة بطله

ولما جعل السير سكوت مستشارا قضائيا لمصر وجهه حته الى اصلاح المحاكم الاهلية وكانت مختلفة معتنة فكان يطوف على رجال القضاء والنيابة يسألهم عن رأيهم في اصلاح وما يشكون منه فما كان يسمع من الاكثريين الا عبارات التناء والاقرار بالرضى عن الحال الحاضرة . حتى ظفر بحسن عاصم فأخبره هذا بجميع العلل وطرق علاجها فجاء به وبصديقه علي بك فخري الذي رأى فيه مثل نباهته واستعداده وجعلهما مفتشين للقضاء ثم عضوين للجنة المراقبة التي أنشئت في نظارة الحفائية فكانا هما الواضعين لنظام المحاكم الحاضرو طريقة المراقبة القضائية المتبعة بل كان حسن عاصم هو الذي اقترح بموافقة رفيقه اختيار القضاة من أهل الكفاءة بالاستقامة والنباهة واختيار البلاد كالتي خرجين في دار العلوم وغيرهم ممن عرف بالعلم والفضل وان لم يكن متخرجاً في مدرسة الحقوق وبذلك تيسر للحكومة اصلاح المحاكم بقدر الامكان .

ومن خدمة حسن عاصم للقضاء وضع مشروع المحاكم الجزئية ثم السعي مع صديقه علي فخري في انفاذه عند سنوح الفرصة لهما بثقة السير سكوت المستشار المحب للاصلاح بهما . وله في ذلك أعمال أخرى ليس من غرضنا تفصيلها . وكان لسير سكوت

من الاعجاب ببلده واستقامته وقدرته على العمل ما أحله عنده في أعلى منازل الثقة والكرامة . وأراد ترقية فلم ترض الوكالة البريطانية بذلك بل حاولت أن تدليه لاتباعها إياه بمناصبها فغرقت عليه السياسة الاستعمارية عمله النافع في المهام وذات شأنها ما دخلت في عمل الا وأفسدته كما كان يقول الاستاذ الامام . وما كانت تهمة حسن عاصم بالسياسة محض اختلاق ولكن ربما كان بالغ فيها بنقله لوكالة عنه أو كانت الوكالة تنظر الى الامور بعين الاحتياط فتراها أكبر مما كانت عليه

كانت في البلد حركة وطنية قبلتها بل روحها الامير الجديد عباس حلمي باشا بنمشا الآمال، وتجدد بها الأقوال، حتى تزجها الى بعض الأعمال، التي كان يظن أنها وسائل لازالة الاحتلال، والتمتع بكامل الاستقلال، وكان أكثر أهل الفهم والرأي من رجال الحكومة وغيرهم منورين بتلك الحركة ولم يسلم من شيء من ذلك حسن عاصم على أناته وبصيرته وكان صديقه ورفيقه في العمل علي فخري بك أشد منه إعجابا بل نعمسا بها بل أقول أنه لم يسلم من الفرور بتلك الحركة أحد من أهل الرأي والظهور في البلد الا مادون عدد أقامل اليد الواحدة .

قد يظن بعض الشبان اليوم ان في البلاد حركة وطنية قوية لم تكن من قبل وما ذلك الا لانهم لا يعرفون شيئا من الحركة التي كانت من نحو خمس عشرة سنة اذا كان الرجال يجرّون عربة الامير بأيديهم واذا كان الأمير يعود من سياحته الصيفية فتكتظ الاسكندرية بمئات الألوف لقائه حتى قبل ان يدخل الاسكندرية في يوم واحد ثمانون ألفا من أهل الأرياف . وما ذلك الا لأن السلطة الأجنبية ثقيلة على النفوس البشرية تنفر منها بالطبع فاذا آمنت بصيصا من الأمل بالتخلص منها على يد من اتفق بهم من أبناء جنسها السياسي أو الديني فانها لاتنعم ان تعيشوا اليه، وتعمل عليه ، وقد كان الشعب يرى من الأمير الجديد منذ ولي ذلك البصيص بل كانت ترى من حاله ، وتسمع مما ينثر من درر أقواله، ما يجعل ذلك البصيص نورا ساطعا يملأ الجوانح آمالا ، ويفر بالنفوس الى الجهاد الوطني خفاقا وثقلا ، فلا عجب اذا كان مثل حسن عاصم وهو في شبابه ممن كان يظن أن في تلك الحركة بركة لاسبا وهو مطلع على ما كانت تدبره فرنسا وما تعد به مصر ونميتها

غرضنا من هذا البيان ومن سائر ما نكتبه عن الرجل ان تكون العبرة بسيرة رجل فاجع منا مبنية على أصل ثابت ورواية صحيحة في زمن لا يكتب فيه عن رجال العصر الا أصحاب الصحف السياسية في الغالب وهم لا يبينون من الحقائق الاما تسمح لهم به السياسة على الوجه الذي تحبه وترضاه

فابعلم الشبان المتحمسون في الوطنية الذين تهيجهم نفقات المتفنين بأشعارها ، والضارين على أوتارها ، ان هذا النابغة الذي يفخر الوطن به قد تحمس في شبابه بالسياسة أياما كانت دواعي التحمس فيها أوفر ، والآمال بالهياج أقوى ، ثم استقر رأيه بعد الاختبار على ان العاملين للوطن والمخلصين في خدمة الأمة يجب عليهم أن يتزهدوا عن شوائب التحسسات السياسية ، والهيجات الطبيعية ، وان يلتزموا السكينة والروية ، ويحملوا عذبتهم اتقان الأعمال ، ودون القروور بزخرف الاقوال ، والانخداع بالدعاوى العراض العوال ، لذلك كان يعمل ليله ونهاره من غير انقطاع ولا دعوى ، ولا تذمر ولا شكوى ، بل كان ذلك دأبه منذ كان

كان السيروسكوت المستشار المصلح الخالص على ما هو مشهور بين جميع العارفين قد وعده بان يجعله نائباً حمومياً بعد ان جملة الأفوكاتو العمومي ولكن لورد كرومر أمره بعزله كما يقال لخار في أمره وبعد العناء والجهاد قدر على ان يستبدل بالمرء جملة قاضياً في محكمة الاستئناف الأهلية بمرتب أقص من مرتبه قبله فلم يزد ذلك الا جدا في العمل ومضاء في الإصلاح . وما يؤثر عنه انه كان يسمع خبر عزله فلا يحدث عنده فتورا ولا مللا ولا يثنيه عن الابتداء بعمل جديد أو وضع مشروع لعمل مستقبل وان كان يتوقف تنفيذ هذا وإتمام ذاك على بقائه في عمله . وقد كان مما اقترحه في أثناء التحدث بعزله نقل طائفة من الكتاب باليومية في محكمة الاستئناف لخدمة الحاجة اليهم الى الحاكم الابتدائية التي هي في أشد الحاجة اليهم فأخبره رئيس الكتاب بان أمر عزله قد تقرر بل كتب ولم يبق دون تنفيذه الا ختمه فقال رحمه الله ما معناه ان هذه فرصة تحرر اضاعتها واني أعمل الواجب مادامت متمكناً منه وان هذا التمكن يستمر الى أن يبلغ الأمر بالمرء رسمياً .

عمله في المعية

عز على أصدقاء هذا العامل المصلح ان يكون ثلثينا على عمله عند القوة الفعالة في البلاد، وان لا يوضع في الموضع الذي يستحقه من ناصية القضاء ، ولما خلا منصب رئاسة التشریفات عند الأمير بنقل عباني باشا منه الى نظارة الحرية بادر الاستاذ الامام فرغب الى الأمير ان يجعل الفقيه رئيساً لتشریفات فذكره الأمير رجلاً آخر من المرشحين عنده لهذا المنصب فقال الاستاذ الامام رحمه الله - وكان الأمير أطال الله عمره يتدبر رأيه حتى قدره - كلا الرجلين كفوا ويمتاز عاصم بمعارفه القضائية وأفندينا تعرض عليه القوانين والوائح فيحسن ان يكون في معيته من يدرسها وييدي رأيه فيها : ذكر لي ذلك الاستاذ سيفي سياق عناية الأمير به وكونه هو الذي اقترح جملة مستشارا في الاستئناف ثم جملة مفتياً وما كان فضل عاصم ليخفي على الأمير لذلك فضله على غيره وولاه هذا المنصب

اننا نرى من المتعلمين من يختار أو يختار أولياؤه علم الحقوق ليكون قاضيا أو محاميا أو علم الهندسة ليكون مهندسا أو علم الطب ليكون طبيا مثلاً، ولكننا نرى النابغين فيما يوجهون جل عنايتهم اليه قليلين وأقل من هذا القليل من يبرع في العمل كما نبغ في العلم وأقل من هؤلاء من يعهد اليه عمل غير ما استعد له واشتغل فيه فينته بعد اتقان غيره والبراعة فيه، أولئك الذين اعطوا من المواهب العقلية ما أعدم لاقتان كل عمل يشغلون به وقد كان حسن عاصم من هذا الفريق النادر فإنه كان في أخلاقه وجل معارفه وسابق عمله أبعد الناس عن خدمة الامراء ولكنه على هذا عمل في خدمة الأمير ما عجز عن مثله كل من كان في خدمته وخدمته أسلافه كالعجز عن الزيادة عليه من جاء بعده

كان رجال التشریفات من قبل رياسته لا عمل لهم في غالب أوقاتهم فخلق لهم من الأعمال ما استغرق عامة أوقاتهم في القصر حتى انه استخرج دفاتر التشریفات القديمة من عهد محمد علي وعرف دافعي ذلك وحاضره ثم وضع لتشریفات نظاماً ثابتاً حدد فيه أوقات المقابلات الرسمية وغير الرسمية وكذلك

الدعوات وحفلة المرقص الحديري فقد كان كل ذلك محفوظاً بالفوضى والخلل . ومن ذلك أنه اشترط فيمن يقابل الأمير شروطاً في الزي للموظفين وغير الموظفين قد تختلف باختلاف المقابلات واختلاف زي الأمير العسكري والملكي فيها ونفذ ذلك كله على الوطنيين والأجانب على سواء . وما كان يسهل عليه أن يشذ عن نظامه ذلك أحد

وأذكر من تنفيذ النظام على الأجانب من كبار المحتايين وغيرهم أن بعض كبار الموظفين منهم جاء عابدين بلباس غير ما يجب في تلك المقابلة فنبهه إلى ذلك فنادى إلى بيته وغيره

وأعظم من ذلك أن المرقص الحديري كان يحضره من أوشاب الافرنج من يعرف ومن لا يعرف . وسبب ذلك أن ديوان التشرقيات كان يرسل إلى كل وكالة شهابية للدول عدة أوراق ليس عليها أسماء ليدعي بها وجهاء الأجانب فكان يأخذها من م أهل ومن ليسوا بأهل لحضور مجالس الأمراء والملوك فكان من النظام الذي وضعه له حسن عاصم أنه لا يحضر المرقص أحد إلا من دعاه ديوان التشرقيات دعوة خاصة باسمه وأنه لا يدعو من الأجانب إلا من كان معروفاً عند الأمير ولو يتقدمه إليه قبل المرقص بزمان قريب كما أنه لا يدعو من الوطنيين إلا من كانت صفته كيت وكيت ككونه من أصحاب الرتبة الثانية فما فوقها أو ما يقابل ذلك . فساء هذا النظام وكلاء الدول وقناصلها فهمدوا إلى لورد كرومر وهو أقدمهم أن يعترض على ذلك ويتلافاه فسلم حسن باشا فيه فاحتج عليه هذا بتفضيل النظام على الفوضى وأطلعه على إعلان من شركة كوك التي تؤول نقل السياح في مصر من مكان إلى آخر وفيها أن سياحها يشاهدون كذا وكذا من الآثار القديمة ويحضرون المرقص (البالو) الحديري . فقال له لورد أنني أجل النظام ولا يلقى بي ولا بدولي أن نعرض عليه ونحن دعائه ولكنني أعلم أن السراي لا يلتزم فيها نظام بل المستثنى فيها من القاعدة أكثر من المستثنى منه فنحن لا نرضى أن يكون النظام سارياً علينا وهو غير مطرد : فقال له القعيد : أنني أضمن لجنايكم بأنني أعقد هذا النظام ما دمت هنا بلا شذوذ قط وعليّ تبعة ذلك

الا أن بأمر ربّ المسكن بشيء فلا يمكن لحادته ان يعارضه فيه اذ يحتمل ان يقدم له شخص في غير السراي فيدعوه هو مثلاً فهل يمكن ان يسئل عن ذلك ؟ فالتنعن الورد بذلك ولم يسمه الا الرضى . سمعت هذا من الفقيد نفسه

وقد مكث في منصب رئيس التشريفات بضع سنين ثم رقاءه الأمير فجمعه رئيس الديوان الخديوي فكانت خدمته أجل وأوسم اذ تعدت خدمة الأمير الخاصة الى خدمة الأوقاف العمومية . ولكن قلب الأمير تغير عليه ففصله بعد ثلاث سنين من منصبه بالإحالة على المعاش . فكبر ذلك على الناس وأكثر حديثهم فيه وظهر أثر ذلك في الجرائد فكانت متفقة على اثناء على الفقيد فرأيت ان نجعل ذلك وسيلة للوعظة وسوق العبرة الى المستعدين الاقتداء بعقلاء الرجال وطلاب الفضيلة والاستقلال فكتبنا برقم في المنار نبذة في ذلك (راجع ص ٧٥٨م ٧)

وقد أشار المؤيد الى نحو ما قلناه يومئذ عن الواو مع زيادة اذ قال عند بيان سبب عزل الفقيد من رياسة الديوان الخديوي في ترجمته له ما نفعه :

« وقد أمضى الفقيد نحو سبع سنوات رئيساً لتشريفات الخديوية وثلاثاً رئيساً للديوان الخديوي مثلاً لا شرف موظف نزيه بخالص العمل والخدمة موالاه ويؤدي الوظيفة المنوطة به أشرف أداء . ثم فصل بعد ذلك لأمر حسب نفسه فيه مودياً واجباً كما ينبغي عليه وحسبه الجنب الخديوي متعتاً فيه . وزادت الرية منه كلمة قالها الورد كرومر لاحد رؤساء الدواوين الخديوية لبيانها للجنب العالي اذ قال الورد « انتي أهني الجنب الخديوي بوجود رجل مستقل قوي الارادة نزيه مثل حسن عاصم باشا في معيته » فخالج الجنب العالي ذلك الفكر الذي طاف قبلاً على خاطر الورد كرومر لان هذا الورد كان قد اعتقد ان شدة مراس الرجل في وظائفه القضائية أو ظاهر من آثار الانحياز الى جانب المعية السنية وهي التهمة التي كانت تاقى على كرام الوطنيين للتكيد بهم . ولذلك كان يحسب الفقيد من أشد اعداء الوكالة البريطانية . فلما جاء الوقت الذي تجلت فيه صفات الفقيد كما هي شهد تلك الشهادة العالية فأولت التأويل الطبيعي الذي كان نتيجة شدة انتفاخ بين قصر الدبارة وعابدين . ولذلك قال كثيرون

من الناس ان الورد أراد بحسن عاصم باشا سواء اذ شهد له هذه الشهادة وهو يعلم ماذا يكون وقعها من نفس مولاه في تلك الظروف اه ثم قال المولى انه لم يطل الامر بعد ذلك حتى رضي عنه الامير

ونحن نعلم ان الورد قال كلمته في التقيد عن إعجاب بمزاياه لا سيما بعد ما تبين له ان الحق عنده يعلو على كل شيء فلا يتحيز لغيره ولا براعي فيه مولاه الامير فضلا عن دونه ، وان الذين قالوا انه أراد به سوءاً يسيئون الظن بالامير اذ يعتقدون ان الورد يتقدم بكلمة واحدة ان يغيره على من يشاء وان ثبتت استقامته وكفائه بحيث صار أشهر بهما من علم في رأسه نارا ، وأظهر من الشمس في رابعة النهار ، والامير اذ كي ذهننا وأوسع فهمنا عما يعتقدون

هذه في الجمعية الخيرية الاسلامية

كان سبب تأسيس هذه الجمعية ان مشعوذا ممثلاً أجنبياً جاء مصر من نحو ست عشرة سنة فرجع منها مالاً كثيراً افراد ان يحمل ليله من ليالي الفقراء المسلمين وبلغ محافظ العاصمة ابراهيم باشا رشدي ذلك فاجتمع بعض أهل الخير والفضل واتمروا بينهم في ذلك فانفقوا على أن يزيتوا حديقة الازبكية في تلك الليلة ويضيئوا الى ألعاب المشعوذ فيها ضروبا أخرى من الالوان المباح ويحفظوا المال ليجمعوا اليه غيره بالبرع وغيره ويجعلوا ذلك أصلاً لجمعية خيرية اسلامية وكاشفوا المحافظ بذلك فوافقتهم عليه (وقيل ان زينة الحديقة كانت بعد) أولئك هم الاخلاء الصادقون في خلة بعضهم لبعض وفي حب أنفسهم وأمتهم منهم فبقينا اليوم الذي نستبره وسيرته وفقيدنا بالامس الاستاذ الامام رحمهما الله ومنهم سعد باشا زغلول وحشمت باشا ودروش بك السيد احمد واخوانهم من الاحياء أطال الله أعمارهم وقد وضع هو قانون هذه الجمعية بمشاركة على أساس من الحكمة متين وكان أحكم أصوله وجوب إضافة نصف الدخل (الارباح) السنوي الى رأس المال لأجل الاستقلال والنصف الآخر يكون للتعليم وأعانة الفقراء ، والسبب في هذا ضعف ثقتهم بأهل البلاد في كل ما يترجم بالتعاون والاجتماع لاسباب اذا كان لبعض الخبر وكان حسن عاصم أضمتهم ثقة حتى انه لم يكن يطلب من أحد معاونة ولا تبرعا الا نادرا وكان جل خدمت الجمعية في

الإدارة الداخلية لمآلتها ومدارسها فكان ينظر بنفسه في الأمور المالية والجزئية حتى ما كان من شأن الكتبة . قال لي درويش بك أمين سر الجمعية أنه ما كان يكلفني الا ضبط الحسابات ثم هو يقوم بسائر أعماله . وأما الأستاذ الامام فكان لا ينظر في الأمور الداخلية الا الى السكليات ونحو امتحان من يرشحون لتعليم في المدارس من الجزئيات وكذا أمور التنفيذ اذ كان رئيساً ولكنه كان يسمى في الخارج لتكثير مال الجمعية ويدعو الامراء والوجهاء حتى كهراء الاجانب الى التبرع لها أو الاشتراك فيها وهو الذي دفع الوشايات عنها ولولا ما بقيت فكانا ربحها الله تعالى بكل أحد ما ينصر فيه الآخر

وهنا نبين الحقيقة في مسألة ألم بها المؤيد فلم يحسن التعبير ولا وافق الصواب وكانت عبارته وهو يقصد بها مدح عاصم باشا ذماله بالاستعداد والشذوذ عن الآداب وهضمًا لحق رئيسه في الجمعية (الأستاذ الامام) وكذا لسائر أعضاء مجلس الإدارة اذ جعل وجودهم في المجلس كخدمهم من حيث أنهم لم يكن لهم رأي ينفذ اذا خالف رأي عاصم باشا . بل أقول ان هذه العبارة تنفي سلب أقوى مزايا عاصم باشا عنه وهي ميزة التزام النظام واتباع القانون كانه أمر إلهي . ولا شك ان صاحب المؤيد لا يقصد هذا ولكنها زلة قلم ولا عصية الا لكتاب الله تعالى . أما عبارة المؤيد فهي :

ولم يكن يسمح لاحد أن يتعدى على النظام الذي عمله لها حتى استبد بجميع شؤونها وله في كل سنة وقفة أمام مجلس إدارة الجمعية الخيرية الاسلامية في شيء ينتهي الامر فيها الى العمل برأيه ومع ما كان من صداقته للمرحوم الشيخ محمد عبده وخصوصا حيث كان رئيسا للجمعية الخيرية الاسلامية قد أراد هذا أن يتدخل سنة ١٩٠٤ في أمر مدرسة الحلة الكبرى فرأى الفقيه أن يتدخله هذا قد يشوش عليه عمله ويجعل لاساندة مدارس الجمعية وأهالي تلامذتها مندوحة الى مخاطبة غيره في أمرها فكتب اليه ثلثا فافا وهو في المنصورة يقول له (لانضم قدمك في الحلة الكبرى قبل أن تقابلني ولا أسمع لك بالتدخل في شؤون مدرستها) أو ما هو بعينه . فخرج الأستاذ المرحوم الى القاهرة وجري بينهما كلام أدى الى اختلافهما

في الرأي اختلافاً شديداً فإني المقتيد إلا أن ينفذ رأيه أو يعتزل عنه كله في الجمعية وتم له ما أراد ولم يكن قصده إلا أن يستقيم أمر المدارس على ما اعتقده أفيد لادارتها .
أما حقيقة المسألة التي أشار إليها المؤيد فهي أن بعض المؤسسين لدروس المهلة بما تبرعوا به من المال لهم أولاد نجحوا وروا السن التي يشترطها قانون مدارس الجمعية الخيرية في التلاميذ الذين يدخلونها . وهم ما بذلوا المال إلا رغبة في تعليم أولادهم في بلدهم أولاً وبالغات ثم المساعدة على تعليم الفقراء ثانياً وبالدراس فلما عمدوا بإدارة المدرسة إلى الجمعية كما هو المقصد الأول من تأسيسها أراد حسن باشا أن لا يقبل أولئك الأولاد في المدرسة التي أسسها أبائهم لأن اتباع النظام والالتزام القوانين عنده من الأمور الوجدانية التي لا يناقش فيها كما علم ذلك مما كتبتاه في أخلاقه رحمه الله . وكان من رأي الأستاذ الامام رضي الله عنه أن يقبل أولئك الأولاد لأن رأيه في القوانين أنها وسائل لدفع المضار وحفظ المصالح وإقامة العدل فتمنى عرض من الحوادث ما يكون التزام القانون فيه مخللاً بالمصلحة أو منافياً للعدل وجب أن يعمل في الحادثة التي هذا شأنها بما يقوم به العدل ويتحقق به المصلحة وهذا ما عناه حسن باشا عاصم نفسه بقوله في تأييده أنه كان في القضاء ما يعبر عنه الأفرنج « بقاضي العدل والانصاف » وأقول - والشئ بالشئ - يذكر - أنه كان قد وشي به إذ كان قاضياً لمستشار القضاء بأنه يخالف القانون عمداً في بعض أحكامه فسأله المستشار عما قيل فأجابته: هل القانون وضع لأجل العدل أم العدل وضع لأجل القانون ؟ فقال بل القانون وضع لأجل العدل فبين له حينئذ القضاء التي لم يلتزم فيها نص القانون وأنه لو التزمه لخرج عن العدل ورتب على ذلك من المقاصد آتت وكيت فشكره المستشار ذلك

وكان على هذا الاختلاف بين الصديقين في هذا الأصل أو المبدأ - كما يقال - قد حدث أن الأستاذ امر بشيء مخالف للقانون على سبيل الاستثناء لأجل المصلحة العارضة فأفنده حسن باشا منصفاً ثم قابل الأستاذ وقال له انني انفذت أورك الذي كتبت اليّ به لأن أمر الرئيس متى صدر بالفعل وجب تنفيذه كيفما كان وإلا فلا معنى للنظام ولا لورئاسة ولكنني أرجوك أن ترجي ما تراه من

مثل هذا الى ان نجتمع ونذاكر فيه . فلما عرضت مسألة مدرسة المحلة خاف حسن باشا ان يعد رئيس الجمعية آباء أولئك الاولاد أو يكتب اليه امرا بقبولهم بطريق الاستثناء وذلك صعب عليه جدا ولا بد من تنفيذه متى امضاء الرئيس فكذب اليه يرجوه ان لا يبت شيئا في المسألة لا بالامر ولا بالوعده بل يرجي ذلك الى الاجتماع وكان الامر كذلك فاجتمع مجلس الادارة وتناقشوا فيها وكان من رأي بعضهم تغيير ما فرضه قانون المدارس في السن فلم يحسن باشا بذلك فتشدد رحمه الله تعالى في المحافظة على القانون وعدم قبولهم وكتب الى الامام قائلا لا يمكن قبوله من ادارة المدارس ان تغيرت مادة تحديد السن في القانون - وبعد طول المناقشة نقرر بأغلب الآراء تنفيذ رأي الرئيس وهو الاستاذ الامام بقبول أولئك الاولاد بطريق الاستثناء وارضاء الوكيل ومدير المدارس وبعد المجلس له بأن يكون هذا الاستثناء قاصرا على هؤلاء الاولاد لا يتعداهم الى غيرهم ولا يطلب ادخال غيرهم باستثناء آخر

في ذلك اليوم الذي قرر فيه مجلس ادارة الجمعية ما ذكر ذهبت الى مكتب الجمعية لمقابلة الاستاذ الامام عند خروجه فرأيت خارجا مع بعض اعضاء المجلس وعلمت ما نقرر . ولما كتب المؤيد في ترجمة حسن باشا ما كتب كنت أشك فيما أعلم فراجعت درويش بك سيد احمد امين الجمعية (سكوتيرها) منذ وجدت فقلت له هل رأيت ما كتب المؤيد في ترجمة المرحوم حسن باشا قال نعم قلت له أن الذي علمته انا هو منذ مخالف لما في المؤيد - وذكرته له - فأبنا الناطق ؟ فقال ان الغلط هو ما جاء في المؤيد وما تذكره انت هو الذي وقع . وعجبت عما قال المؤيد ان حسن باشا كتب الى المرحوم الشيخ «لا تضع رجلك في المحلة» الخ وحسن باشا أعلى أدبا من ان يكتب ذلك لمن دون الشيخ في مكانته القدانية وفي صدائيه له فلا أدري من أين جاء المؤيد هذا

وجلة القول ان حسن باشا رحمه الله تعالى كان شديدا في المحافظة على النظام والقوانين كما كتبنا من قبل ولكن لم يكن مستبدا في الجمعية الخيرية ولا في غيرها وكيف يكون منبع النظام مستبدا ؟ وان اعضاء مجلس ادارة الجمعية كلهم من أهل

الاستئلال فما كانوا يتبعون له رأيا وإنما يقول كل واحد ما يظهر له أنه الصواب وكان كل شيء مختلفون فيه يقرر بأكثر الآراء ان لم يشفقوا كما هو نص القانون أقول سمعت حسن باشا رحمه الله تعالى يقول بعد ما بلغ أمر الأمير بمزله الحمد لله إني الآن صرت قادرا على ان أعطي الجمعية الخيرية حقها من الخدمة فان السراي كانت آخذة مقام وقي

وقد عين بعد ذلك وكيلاً لدائرة القصر العالي وكانت مختلة معئلة مسلوقة منهوبة فادارها بدقة ونظام يعجز عنها سواء ممن قضوا أعمارهم في ادارة الاعمال الزراعية والادارية والمالية . وعين مع ذلك مأمورا لخدمة الأمير محمد إبراهيم وهي قضاة دائرة القصر العالي ثروة وأعمالا ومشاكل فضاها أحسن ضبط . ولما تأسست الشركة الانكليزية المصرية الانجار بالاراضي الزراعية كان - وهو من مؤسسيها - وكيل أعمالها وأدهش الافرنج بأعماله فيها على كثرة أعماله في القصر العالي وفي تركة لأمير محمد إبراهيم وفي الجمعية الخيرية ومدارسها . ثم عين مع ذلك عضوا في اللجنة الارادية لمدرسة القضاء الشرعي فكان لها من خدمته العظيمة الحفظ العظيم . وقد أشرنا في الكلام عن اخلائه الى بعض عمله في جمعية احياء العلوم العربية التي كان وكيل رئيسها بل لم يكن لها بعد الاستاذ الامام رئيس سواء . كان يعمل هذه الاعمال كلها مع منتهى الدقة والاثقان ، فيأله ولهم الرجال

وهنا أقول انني كنت أتعقد عليه كثرة العمل وأخاف ان ينهكه فيقتله ، وأنني لجسمه النحيل ان يمتد ، وقد كان ماخفت ان يكون ، فانا لله وانا اليه واجهون ، أصابه منذ أشهر ضيف في المعدة ترك لاجله أكل اللحوم كلها حاشا السمك وقد كان صام رمضان الماضي كله على الوجبة اذ لم يكن يتسحر فكلمته في ذلك غير مرة فقال لي انني جربت مرة فأكلت في السحور شيئا من الكفاة والفاكهة فثقل علي وأصابني منه غثيان في النهار . وكنت أراه أحيانا بعد العصر من رمضان وقد ضمت قوته وخفت صوته ، حتى لو استفتاني في الفطر لأقنعه ، ولكن الله تعالى احب ان يكون ذلك خاتمة عمله فرحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وأحسن عزاءنا عنه ، ونفعنا بسيرته الحميدة بمنه وكرمه

حديقة روضة مصر بحسن باشا عبد الرازق

حق لمصر اليوم ان تمثل بقول الشاعر
 رمائي الدهر بالارزاء حفي فوادي في غشاء من نبال
 فصرت اذا اصابني سهام تكسرت النصال على النصال
 يحق لمصر ذلك وقد رزئت بفقد الرجل العظيم حسن باشا عبد الرازق ولم
 يحض على فقدتها لصديقه الكريم حسن باشا عاصم الا شهر ونصف وعلى فقدتها
 لصديقها الاستاذ الامام الا ستنان وأشهر
 أولئك هم الرجال الماقلون العاملون العاملون المخلصون في مصالح
 ومواطن لا خلف لهم فيها تفرى البلاد بادائه ما كانوا يؤدون كما كانوا يؤدون
 ولا تكفر نعمة الله على البلاد بمن بقي من اصدقائهم العاملين الصادقين القدي
 نجيل ابصارنا فلا نرى للواحد منهم كفوا ولا ندا يضارعه في عمله أو يفني
 غناؤه فيه بل يجب ان نشكر له تعالى هذه النعمة، مع الصبر على ما أصابنا من المصيبة،
 عسى أن يبارك لنا في أعمارهم، وينفعنا بأعمالهم، فإن الصبر بحيلة الرحمة، والشكر
 مدعاة المزيد، ولكن لا يشكر الله من لا يشكر الناس، كما ورد في الحديث الشريف.
 ليس المنار شاعراً يرثي ولا خطيباً يؤن، ولا ورعاً يدون، وإنما هو واعظ
 ومذكّر، يستخرج العبر من حيث يجدّها ويسوقها الى من غفل عنها أو جهلها،
 ولا عبارة أنفع بمدّ هداية الله من التذكير بفضل العاملين القابرين، على الوجه
 الذي يزيد الناس معرفة بفضل العاملين الحاضرين، وينضج بهم المستعدين
 للناسي بأولئك ونصر هو لا.

أما كان حسن باشا عبد الرازق رجلاً - والرجال قليل - باستمداده الفطري
 ونشأته الدينية، فأما الاستعداد فهو الأصل في نبوغ كل رجل في الشرق حتى اليوم
 الا ما عساه يكون في البابان من حسن التعليم والتربية النظامية التي تتمض بضعف
 الاستعداد حتى يبد من هو أعلى منه استعداداً اذا لم يصادف هذا من يربيه كثر يته
 نشأ من فقدنا اليوم نشأة دينية حتى أن الحكام المستبدّين عجزوا عن حمله على
 (المنار ١٠-١٠) ١٠٠٠ (المجلد العاشر)

السكر ونحوه وهو في ربهان شبابه ، وغضاضة إهابه ، وقد كان مرة مع اسماعيل باشا المفتش وأعوانه فأرادوه على الشرب معهم فتمنع فألحوا فاستصمم فأعطوه كأساً من الحمة (البيرة) باسم « افندينا اسماعيل باشا » وحلفوا عليه به ليشرى فأمصر على التمتع فاستكبروا ذلك منه وطلقوا يرجعون إليه القول ويهرس إليه بعضهم ما يراه وراء هذا التمتع من عاقبة إهانة الاسم الكريم (اسم الحديو) فسمعت له حيلة فأنخلص فاخذ الكأس فأدناها من شفثيه فألقاها منقرا مكفها وهو يثقل ويقول : قطعت الب . . . شاربوا : : فكيف تشرىون هذا الشيء المر البشع الطعم وكيف تطيقونه : فقابلوا ذلك بالضحك والسرور ولم يعودوا إلى عرضه عليه مثل هذه الواقعة بعدها بعض النابتة المتفرجة خشونة وحشية (وقفة ذوق أيضا) ولكن من أوتي نصيبا من الحكمة بعدها آية النبوة الكبرى لا لأن شرب كأس الحمة يهدم الدين فحفظ الرجل دينه بالامتناع عنه بل بدلائها على قوة الإرادة وعدم البلالة بلوم اللاتمين في السل بما يعتقد وإن كانوا كبارا فزده في دعامة الفضائل وأصل الكمالات التي يكون بها الرجال رجالا ولولا هذه المزية لما كان حسن باشا عبد الرازق ذلك الرجل الذي أحسن القول فيه أصحاب الجرائد التي تناهض حزبه السياسي الوطني وعدوه من أفراد الأمة العاملين الذي يقل نظيرهم . وما يقولونه هم وغيرهم من العارفين بأقدار الرجال بالسفهم أبلغ مما كتب وأكبر بموت هذا الرجل تكررت المبر التي ترشد الأمة والنابتة الجديدة منها خاصة إلى أن الشرف الحقيقي والمجد الصحيح لا يكونان للإنسان إلا بأخلاقه وصفاته النفسية ، لا بجماله ونشبه ، ولا بمشهورته ونسبه ، ولا بأوسمته ورتبه ، فقد مات في هذه السنين الثلاث الأخيرة غير واحد من أكابر الأمراء والملاء والاعبياء ولم تكتب الجرائد في أحد منهم ولا قال الناس فيهم مثل ما كتب وقيل في تأييد الاستاذ الامام ثم صدقته حسن باشا عاصم ثم صدقها حسن باشا عبد الرازق على أنه كان لكل واحد من هؤلاء حالة سياسية تقضي باختصاص بعض الجرائد وعدم إرخائها السنان فقل في تأييدهم سرضا أو مراعاة لمن هم في جانب منهم . فوصف كل واحد منهم بما وصفته تلك الجرائد به لا يمكن أن يعد من قبيل المبالغة بل كنا نعلم أن ما علم من فضلهم أكثر مما قيل ومما كتب

خدم حسن باشا عبد الرازق أمته في حسن سيرته في قوه وفي مجلس الشورى
وفي تربية أولاده النجباء وسنين ذلك في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى



سجني أقوال

(الجرائد اليومية في الاحتفال بالمنار)

علمنا ان بعض قراء المجلة في غير هذا القطر يحبون أن نقدر في المنار أقوال
الجرائد المصرية في الاحتفال بالمنار فرأينا ان نوافي الحب ولو ببعض ما يحب . وقد
كتب الجرائد الشيرة شيئا في ذلك قبل الاحتفال وبدءنا واكتننا لم نحفظه بل لم
نطلع على كل ما كتب . فما كتب قبل الاحتفال ما جاء في العدد ٢٢١ من الجريدة
الصادر في ٢١ شوال

عيد المنار

تهنيء الجريدة هذه المجلة العلمية التي كم لها من موقف مشهور في الدفاع
عن الحقائق العلمية والمذاهب المتينة في أبواب الشرح الشريف . وكم لها من
التنبيه الرشيد على وجوب التمسك بالأداب العالية ونبد الثقاليد التي ما أنزل
الله بها من سلطان

تهنيء العلم وفن الكتابة في شخص مجلة المنار التي ذبح الله عليها بالثبات
النادر لا مثالا في الشرق فانها ستتم بعد الند السنة العاشرة من عمرها . وندعو
لها بطول البقاء قائمة على خدمتها الارشادية حاملة على السخائل التي ظن القوم انها
من الدين وليست منه في شيء . ولا شك في ان من يقف مثل هذا الموقف
غير المألوف عند العوام كما وقف السيد محمد رشيد رضا نفسه على خدمة الحق من
غير مبالاة بمصادف مصاعب - لولا اثبات - تذهب بزيمة القائم بها . فمن يعلم مقدار

هذه الصعوبات كما فعل لا يتردد في ان يزف التهنئة للمناور بمناسبة هذا العيد
وقد كان زميلنا الاستاذ اسماعيل بك عاصم أول الشاكرين بهذا الواجب
فانه قد نوسس الاحتفال بهذا العيد اذ دعا الى منزله أصحاب المجلات العلمية
وكتابه في مساء الخميس ٢٢ شوال سنة ١٣٢٥ الموافق ٢٨ نوفمبر عام ١٩٠٧
فتسأل المناور ان يحياه الله اعواماً كثيرة ونشكر ثبات منشئه على الحق وفصل
المحتفل على حسن اعتداده باقامة منارات العلم والعرفان
ثم كتب في الجريدة بعد الاحتفال ما يأتي (نقل عن العدد الصادر في ٢٦ شوال)

الاحتفال بمجلة المناور

لعلنا كلمة واحدة على أن الديانات مصلحة لنفوس وناحية بها مناحي
الخير وكذلك اتفقوا على ان الديانات الثلاث المعروفة في ديارنا هذه لانقاذ
بينها في الحقيقة ونفس الأمر وإنما يوجد في كل متأخرة منها عن أختها بعض
زيادات اقتضاها تدرج الانسان أو بعض تفاسير لما غرض من نصوص ما قبلها
لا خلاف في هذا بين أولي الألباب من أصحاب هذه الديانات على مختلف
رسومها الظاهرة وتقاليدها في تلقين العقائد القلبية كما لا خلاف بينهم في ان
التقاليد التي هي في كل دين بمسند عن أصله وغريته عن طبعه هي مضرة بأهله
وان مقاومتها وازهاق روحها يسد اصلاً كبيراً في الأمم يستحق القانون به
أعظم شكر وأجزل مكافأة أدبية

ولهذا الآن مثال جاء يد على ما قدمنا فان حضرة الأصولي الفاضل اسماعيل
بك عاصم خطر في باله خاطر شريف وهو ان يقوم بخدمة جليلة للاصلاح بتكريم
أهله ووجد من المناسب لهذا ان يقيم احتفالاً لمجلة المناور الاصلاحية بإتمامها
عقداً من العمر (عشر سنين) فدعا لمنزله حضرات أصحاب المجلات العلمية
ومحوريها مساء يوم الخميس فلبوا دعوة وانتظم في منزله عتدم فيهم المسلمون
والمسيحيون والموسويون وقدم لهم مائدة فاخرة وبعد الطعام قام فألقى خطبة لينة
حتى اذا أممها قام حضرة العالم الفاضل منشئ المناور فأجابه بكلمات في مستوى
البلاغة فزاد رفعت في أعين الحاضرين ذلك التواضع الذي اشتملت عليه هذه

الكلمات . وتلاه حضرة الدكتور يعقوب افندي صروف منشى . المتكلم
 قد كرفى خطبته . مثل ما قدمناه من فوائد الديانات اذا احسن تفسيرها والقيام
 بها حق القيام ونوه كثيراً بفضل منشى المنار وحسن خدمته الانسانية بخدمة الدينية
 ثم خطب الأديب توفيق افندي عزوز صاحب المفتاح وأجاد . ثم الالاهب
 سيد افندي محمد صاحب المجلة المدرسية وذ كرفى خطبته ما لاقاه السيد رشيد
 من الصعوبات في نصرة الحق وقال ان مخالي المنار قد انتفوا به . وانهت هذه
 الحفلة باجماع الحاضرين وهم نحو عشرين فاضلاً على ان ما قام به حضرة اسماعيل
 بك من تكريم السلم على هذه الصورة يستحق أعظم شكران فخرجوا وهم بلسان
 واحد يلهمون بالثناء ويتحدثون باهتمامه بالعلم والعلماء
 ونحن نشارك بشكر حضرة الفاضل اسماعيل بك وتنمى ان تسرى وتمم
 هذه الروح الشريفة روح تكريم العلم بشكرهم وجاه وزجوا ان يكون عمل
 حضرة فائحة جميلة لأمثاله

وجاء في عدد الازهر القدي صدر في غد يوم الاحتفال مانسه :

(حفلة أدبية)

أقام أمس في داره العامة حضرة الكاتب الفاضل والمهامي المشهور
 اسماعيل بك عاصم مادبة شائقة اكراما لحضرة العالم الصامل السيد وشيد
 رضا واحتفالاً بمرور عشر سنوات كاملة على مجلته المشهورة «المنار» وقد دعا الى
 الحفلة اصحاب المجلات المصرية ومحروبيها وألقى عليهم خطبة فينيسة ذكر فيها ما أثر
 السيد رشيد في مباحث مجلته الزهراء التي هي اكبر أمثلة الاجتهاد المثاني لتقليد
 الجامد في الدينيات والدينيات وتطرق من ذلك الى ذكر خصال المومى اليه
 لكرامة من فضل وفضيلة وآداب وبعد نظر والى معاشرته اياه مدة ثماني سنوات
 متوالية . وبين ضرورة احتفاء الامة باصحاب المجلات الراقية بها ووجوب تنشيطها
 لهم وما يطلون به ويرجون له ازاء ذلك من كشف الحقائق وتأبيدها الاصلاح
 الوطني والاجتماعي

وجاء في آخر الخطبة قوله :

«ومن أبدع ما رأيته ان سعادة العالم الفاضل أحمد فتحي باشا زغلول استشهد في مقدمة ترجمته لكتاب الاسلام المطبوع في سنة ١٣١٥ في الصحيفة السابعة بشذرات من فائحة أول عدد من المنار فهي حينئذ قد شبت في مهدها وحازت الثقة عند أكابر الامة منذ نشأتها »

ونحن نشي على حضرة الداعي والمدعو ونسأل الله أن يكثر من هذه الاربحية في صدور وجهائنا وفضلائنا

وجاء في جريدة الظاهر ما نصه :

أرسل الينا حضرة عزتو الأصولي البارع اسماعيل بك عاصم المحامي الشهير خطبته التي ألقاها في الحفلة التي أعدها أخيرا في داره لعلماء الكتاب أصحاب المجلات المصرية ومحريها بأعنام مجلة المنار لسنة العاشرة من مهرها . وقد افتتحها حضرته بمقدمة أمل فيها ان تكون الحفلة فائحة لامثالها في المستقبل ثم استطرد منها الى ذكر مجلة المنار وخدمتها العلمية والدينية واخلاق صاحبها وعلمه وأدبه مبينا ان تقدير العالمين تنفع الامة وخدمتها ونشجعهم على أعمالهم حسا ومعنى مما يزيد في رقي البلاد وتقدمها وغنىها بالشكر على الذين أجابوا الدعوة وحضروا الحفلة فنشكره أجل شكر على حسن صنيعه هذا ونرجو ان يقتدي به أدباء الامة وأفاضها لتكون الفائدة أعم والنفع أنم

وجاء في المؤيد الذي صدر في ٢٥ شوال ما يأتي

احتفل حضرة القاتوني الفاضل عزتو اسماعيل بك عاصم المحامي ايلة الجمعة في داره بالدباسية بدخول مجلة المنار في سنتها العاشرة احتفالا شائفا دعا اليه أرباب المجلات المصرية وبعد الطعام خطبهم حضرة المحتفل في فضل المجلات واستطرد الى ذكر المجلة المحتفل بها وعدد فضل صاحبها فاجابه حضرة صاحب المنار بعبارة الشكر وأثنى على رصفائه الخافرين أطيب الثناء ثم قام بعض أرباب المجلات وخطبوا أيضا بما يناسب وقيل منتصف الليل انصرف المدعوون داعين اصحاب المنار

ومجملته ومثنيين على صروحة صاحب الدعوة ووفائه ومتواعدين أن يجتمعوا في خلال هذا الشتاء اجتماعات أخرى للبحث فيما ينفع البلاد وبرقي شأن العلم فيها

وجاء في جريدة مصر في غد يوم الاحتفال ما نصه

الاحتفال الادبي الكبير

دعا حضرة الأصولي الفاضل عزتو اسماعيل بك عاصم المحامي الشهير مساء أمس الى حفلة أدبية أقامها في منزله بالعباسية لحضرات أصحاب المجلات العلمية الأدبية لمناسبة دخول مجلة المنار في سنتها العاشرة وتمييداً لمواصلة هذه الاجتماعات الأدبية لتكون واسطة في زيادة التآلف والتعارف بين جماعة المشتغلين بالصحافة فلبى دعوته جميع أصحاب هذه المجلات الا واحداً أو اثنين اعتذرا عن عدم الحضور لأسباب قسرية فكان عدد الحاضرين منهم لا يقل عن العشرين وكلهم من كبار رجال الصحافة المشهورين وهم أصحاب المقتطف والملال والمتاح والمنار والمقتبس ومجلة نمركيس والهدى وحكمت ومرآة العلوم ومجلة الاجتهاد النورية ولما انتظم عقد اجتماعهم أخذوا يبادلون عبارات التهنئة والمودة ويقباحون في ما يبرقي شأن مهنتهم ويعلي مكانتها ثم دعاهم حضرة المحتفل الفاضل الى قاعة الطعام التي كانت في أبهى زخرفها وزينتها حيث اجتمعوا حول مائدة فاخرة على الطراز الأوربي فتناولوا ما قد وطاب ثم انبرى الخطباء منهم وهم حضرات اسماعيل بك عاصم والدةكتور يعقوب صروف وفارس نمر صاحب المقتطف ونوفيق افندي عزوز صاحب مجلة المتاح والسيد افندي محمد صاحب مجلة الهدى والمجلة المدرسية فتكلموا بما يناسب المقام فهنوا المحتفل به علي تقدم مجلته وارتقاءها وأثنوا على حضرة اسماعيل بك عاصم الذي كان واسطة عقد هذا الاجتماع وغموا جميعاً ان تكثر بينهم مثل هذه الاجتماعات الادبية المفيدة ثم نهض حضرة الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة المنار فألقى على المحتفلين به جميعاً وأظهر لهم خجله من احتفالهم به واكرامهم له عن تغيير جدارة واستحقاق ببارات كلها في منتهى البلاغة وحسن التعبير ومن ثم انصرف الجميع وكلهم أسنة تلهج بالشكر

والثناء على صاحب هذه الحققة بعد أن قرروا إعادة مثل هذا الاحتفال الصحافي مرة في كل شهر لما ينجم عن ذلك من الفائدة والنفع

وجاء في المقلم الذي صدر في غد يوم الاحتفال ما نصه :
أولم حضرة الخطيب الشير والاصولي الفاضل اسمعيل بك عاصم أمس مساء وليلة فاخرة في منزله بالمعبية لحضرات أصحاب المجلات العلمية والأدبية في هذه العاصمة احتفالاً بدخول مجلة المنار الفراء في سننها العاشرة ومدلهم مائدة مزانة بالآثمار من دمشق الشام وحلب وبيروت ولبنان وادار التذلل (هو بضم ثين خديم الدعوة) عليها ما قد وطاب من الطعام المتمدد الألوان ولما انتهى المدعوون من الشاء وقف سعادة الفاضل صاحب الدعوة وسط جمع كله من رجال العلم وأرباب القلم خطب عليهم خطبة غراء رنانة نشرناها يومها في هذا المدد ليطلع القراء الحرام عليها ثم وقف حضرة العالم الفاضل السيد رشيد رضي المحتفل به ورد على تلك الخطبة رداً كله انصاع واحتشام بكلام قلّ ودلّ ووقع في النفس وقفاً حسناً وتلاه آخرون من المدعوين خطبوا في مدح المحتفل والمحتفل به واظهروا فوائد مجلة المنار وشهدوا بالفضل لصاحبها الفضال ثم اتفق المدعوون على أن يجمعوا اللانور والسر وتوثق عرى المودة والصدقة صراراً في هذا الشاء ويحشوا في غضون ذلك عن أحسن الطرق التي تتجه مساهمهم فيها لحير الجمهور ونفع أهل القطر

وجاء في جريدة المنبر الصادرة في ٢٧ شوال ما نصه :
فاتنا أن نشير إلى الاجتماع الأدبي الذي عقد في منزله مساء الخميس الماضي حضرة صاحب العزة اسمعيل بك عاصم المحامي الشير احتفالاً بأعام مجلة المنار الفراء السنة العاشرة من سني حياتها لقد كان جامعاً لتخبة أهل الفضل من أصحاب المجلات المصرية ومحرميها حافلاً بالثائق والمجرب من الآراء والأفكار وقد استهل الاحتفال حضرة صاحب الدعوة بخطبة في اطراء حضرة المحتفل به وفي شؤون آخر ثم خطب على أثره بعض المدعوين في شكرهم حضرة الاستاذ النافع صاحب المنار وتأثير المجلات العلمية في ترقية الأفكار والآراء فمنهني شني على حضرة المحتفل وتمنى المنار ولسائر المجلات النافعة الحياة والنجاة

المسحاة

١٣١٥

بشر عبادي الذين يستمعون اقوال فينبون احسن
اولئك الذين عدواهم اعدوا وطلبهم اعدوا

بشر الحكمة من يتشاورون بوقت الحكمة فقد اوتي
خير اكثرا وما يفسد الا اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « متاوا » كتناو الطريق

(مصر في القعدة سنة ١٣٢٥ - آخره السبت ٤ يناير (ك) سنة ١٩٠٨)

كتابان سياسيان

﴿ الحكيم الاسلام السيد جمال الدين الافغاني (١) ﴾

الاول ارسله من البصرة الى رئيس المجتهدين في السامرة (متر من رأى)
وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

حقاً أقول : ان هذا الكتاب خطاب الى روح الشريعة المحمدية أينما وجدت ،
وحينما حلت ، وضراعة قرضها الأمة على نفوس زكية تحققت بها ، وقامت بواجب
شؤونها ، كيفما نشأت ، وفي أي قطر نبغت ، الا وهم العلماء فأحببت عرضه على الكل
وان كان عنوانه خاصاً ،

حبر الأمة ، وبارقة أنوار الأئمة ، دعامة عرش الدين ، واللسان الناطق
عن الشرع المبين ، جناب الحاج الميرزا محمد حسن الشيرازي صان الله به حوزة
الاسلام ورد كيد الزنادقة القمام

لقد خصك الله بالنبأ العظيم عن الحجة الكبرى واختارك من العصاة
الحقة وجعل بيدك أزمة سياسة الأمة بالشريعة الثراء وحراسة حقوقها بها
وصيانة قلوبها عن الزيغ والارتياب فيها وأحال اليك من بين الأنام (وأنت
وارث الانبياء) مهام أمور تسعد بها الملة في دارها الدنيا ونحظى بالعقبى وروضم
لك أريكة الرئاسة العامة على الأفتدة والنهي إقامة لدعامة العدل وإثارة للحجة
المهدى وكتب عليك بما أولاك من السيادة على خلقه حفظ الحوزة والذود عنها
والشهادة دونها على سنن من مضي

(*) منقولان من ترجمته في الجزء الأول من تاريخ الاستاذ الامام الذي يطبع الآن

وان الأمة قاصيها ودانيها وحاضرها وباديها ووضعها وعاليها قد
أذعن لك بهذه الرئاسة السامية الربانية جاثية على الركب خارة على الاذقان
تطامع نفوسها اليك في كل حادثة تمررها تطل بصائرنا عليك في كل مصيبة
تمسها وهي ترى ان خيرها وسعدها منك وان فوزها ونجاتها بك وان
أمنها وأمانها فيك

فاذا امح منك غض طرف ، أونيت (١) بمجانك لحظة ، وأملتها وشارها لمة ،
ارتجفت أذنتها ، واخلت مشاعرها ، واتكثت عقائدها ، وانهدمت دعائم إيمانها ،
نعم لا برهان للعامة فيما دانوا ، الا استقامة الخاصة فيما أصرروا ، فان وهن هؤلاء
في فريضة ، أو قعد بهم الضعف عن امانة منكر ، لا عتورا أولئك الظنون والادعاء ،
ونكس كل على عقبه مارقا من الدين القويم ، حائدا عن الصراط المستقيم ،
وبعد هذا وذاك وذلك أقول ان الأمة الايرانية بما دهمها من عراقيل
الحوادث التي آذنت باستيلاء الضلال على بيت الدين ، وتناول الأجانب على
حقوق المسلمين ، ووجرم الحجة الحق (اياك أعني) عن القيام بنصرها وهو
حامل الامانة ، والمسؤول عنها يوم القيامة ، قد طارت نفوسها شعاعا ، وطاشت
عقولها ، وتاهت أفكارها ووقفت موقف الحيرة (وهي بين انكار واذعان
وجحود وإيقان) لا تهتدي سبيلا وهامت في بيداء الهواجس ، في عتمة الوسواس ،
ضالة عن رشدها لا تجد اليه دليلا . وأخذ القنوط بمجامع قلوبها ، وسد دونها
أبواب رجائها ، وكادت ان تختار إياسا منها الضلالة على الهدى ، وتعرض عن محجة
الحق وتنبع الهوى ، وان آحاد الأمة لا يزالون بفساد لون شاخصة أبصارهم عن
أسباب قضت على حجة الاسلام (اياك أعني) بالسبات والسكوت ، وحنم عليه
ان يطوي الكشع عن إقامة الدين على أساطينة ، واضطره الى ترك الشريعة
وأهلها ، الى أيدي زنادقة يلعبون بها كيفا يريدون ، وبمحكون فيها بما يشاؤون ،
حتى ان جماعة من الضملاء زعموا أن قد كذبوا وظنوا في الحجة ظن السوء ،

(١) كذا في الاصل واليت هو التمايل من ضعف وفعله ككالم يكلم

وحبوا الامر أحبولة الماذق، وأسطورة المذق، وذلك لأنها ترى (وهو الواقع) ان لك الكلمة الجامعة، والمجبة الساطعة، وان أمرك في الكل نافذ، وليس لحكك في الامة منابذ، وانك لو أردت تجميع آحاد الامة بكلمة منك (وهي كلمة تنبثق من كيان الحق الى صدور أهله) قهرت بها عدو الله وعدوم، وتكف عنهم شر الزنادقة، وتزيح ماحاق بهم من العنت والشقاء، وتنشلهم من ضنك العيش الى ما هو أرغد وأهن، فيصير الدين بأهله منيعاً حريزاً، والاسلام بصحته رفيع المقام عزيزاً،

هذا هو الحق. انك رأس المعصاة الحقة (١)، وانك الروح الساري في آحاد الامة، فلا يقوم لهم قائم الا بك، ولا تفتح كلهم الا عليك، لوقت بالحق نهضوا جميعاً ولهم الكلمة العليا، ولوقدت ثبطلوا، وصارت كلمتهم هي السقلى، ولربما كان هذا السير والدوران حينما غش حبر الامة طرفه من شؤونهم، وتركهم هملين بلا راع، ومهملين بلا رادع ولا داع، يقيم لهم عذرا فيما ارتابوا، خصوصاً لما رأوا أن حجة الاسلام قدوفى فيما أطبقت الامة خاصتها وعامتها على وجوبه، وأجمعت على حظر الاقتناء فيه (٢) خشية لغوبه، الا وهو حفظ حوزة الاسلام القدى به يد الصيت وحسن الذكر والشرف الدائم والسادة التامة. ومن يكون أليق بهذه وأحرى بها من اصطفاه الله في القرن الرابع عشر، وجعله برهاناً لدينه وحجة على البشر، أبها الخبر الأعظم، ان الملك قد وهنت مريزته، فسادت سيرته، وضعفت مشاعره، فباحت سربرته، وعجز عن سيامة البلاد، وإدارة مصالح البلاد، فجعل زمام الامور كلها وجزئها بيد زنديقى أثيم، غشوم ثم بعد ذلك زعيم... يسبب الانبياء في المحاضر جهراً، ولا يذعن لشريعة الله أسراً، ولا يرى لزوماء الدين وقراً، يشتم العلماء، ويقذف الاتقياء، ويبين السادة الكرام، ويمامل الوعاظ معاملة القمام، وأنه بعد وجوعه من البلاد الفرنجية قد خلم العذار، وتجاهر بشرب العقار، وموالة الكفار، ومعاودة الأبرار، هذه هي أفضاله الخاصة في نفسه... ثم انه باع الجزء الأعظم من البلاد الابراية ومناضها لأعداء الدين - المهادن،

(١) الحقة الثابتة القوية والمراد طائفة العلماء لاسيما المهتدين منهم (٢) الاقتناء التقية

والسبل الموصلة اليها ، والطرق الجامعة بينها وبين قنوم البلاد ، والخانات التي بنى على جوانب تلك المسالك الشاسعة التي تشعب الى جميع ارجاء المملكة وما يحيط بها من البساتين والحقول .. نهر الكارون والفنادق التي تنشأ على ضفتيها الى النبع وما يستنبها من الجنائن والمروج .. والجادة من الاهواز الى طهران وما على أطرافها من العمارات والفنادق والبساتين والحقول .. والتنباك وما يتبعه من المراكز ومحلات الحرث ويوت المستحقين والحاملين والباقيين اني وجد وحيث فبت ، وحكر الضب والخمور وما تنسازمه من الخواثيت والمعامل والمصانع في جميع أقطار البلاد ، والصابون والشمع والسكر ولوازمها من المعامل ، والبثك وما أدراك ما البثك هو اعطاء زمام الأهالي كلية بيد عدو الاسلام واسترقاقه لهم واستهلاكه اياهم وتسليمهم له بالرئاسة والسلطان ،

ثم ان الخائن البليد أراد أن يرضي العامة براهي برهانه غبيق قائلا ان هذه معاهدات زمانية ، ومقاولات وقتية ، لا تطول مدتها أزيد من مائة سنة !! يا الله من هذا البرهان الذي سوله خرق الخائنين ، وعرض الجزء الباقي على الدولة الروسية حقا لسكونها (لو سكنت) مرداب رشت وأنهر الطبرستان والجادة من أنزل الى الحراسان وما يتعلق بها من الدور والفنادق والحقول ... ولكن الدولة الروسية صنعت بأنفها وأعرضت عن قبول تلك الهدية ، وهي عازمة على استملاك الحراسان والاستيلاء على الاذربيجان والمازندران ان لم تنحل هذه المعاهدات ولم تنفسخ هذه المقاولات القاضية على تسليم المملكة تماما بيد ذاك العدو الاله ، هذه هي النتيجة الاولى لسباسة هذا الاخرق ،

وبالحجة ان هذا المجرم قد عرض اقتطاع البلاد الايرانية على الدول يبيع المزايا ، وانه يبيع عمالك الاسلام ودور محمد وآله عليهم الصلاة والسلام للاجانب ولكنه لحسة طبعه ودنائة فظنه لا يبيعها الا بقيمة زهيدة ودراهم معدودة (نعم هكذا يكون اذا امتزجت الفئامة والشره بالحياة والسفه)

وانك ايها الحجة ان لم تقم بناصر هذه الأمة ولم تجمع كلمتها ولم تنزعها بقوة الشرخ من يد هذا الأثم لاصبحت حوزة الاسلام تحت سلطة الأجانب (يحكون

فيها بما يشاؤون ويفعلون ما يريدون) ، واذا فانتك هذه الفرصة أيها الحبيب ووقع الامر وأنت حي لما أقيمت ذكرًا جليلًا بعدك في صحيفة العالم وأوراق الثوار يتبع... وأنت تعلم أن علماء الايران كافة والعامة بأجمعهم ينتظرون منك (وقد خرجت صدورهم وضائق قلوبهم) كلمة واحدة ويرون سعادتهم بها ونجاتهم فيها... ومن خصه الله بقوة كهذه كيف يسوغ له أن يفرط فيها ويتركها سدى ،

ثم أقول للحجة قول خير بصير ان الدولة العثمانية لتتجبع بهضتك على هذا الامر وتساعدك عليها لتعلم أن مداخلة الافرنج في الاقطار الايرانية والاستيلاء عليها تحجب الضرر الى بلادها لاحتمالها ، وان وزراء الايران وأمرائها كلهم يبتغون بكامة تنبص بها في هذا الشأن لأنهم بأجمعهم يهافتون هذه المستحدثات طبعاً ، ويسخطون من هذه المقاولات جبلة ، ويمجدون بهضتك عجالاتاً لا يبالها ، وفرصة اكف شر الشره الذي رضي بها وقضى عليها ،

ثم ان العلماء وان كان كل صدع بالحق وجبه هذا الاخرق الخائن بسوء أعماله ولكن دعهم للزور وزجرهم عن الحياة ونهرم المهجرين ماقرت كسلسلة المعدات قراراً ، ولاجمعتها وحدة المقصد في زمان واحد ،

وهؤلاء لثقاتهم في مدارج العلوم وتشا كلهم في الرئاسة وتساوهم في الرتب غالباً عند العامة لا ينجذب بعضهم الى بعض ولا يصبر أحد منهم اصفاً للأخرولا يقع بينهم تأثير الجذب وتأثر الانجذاب حتى تتحقق هيئة وحدانية وقوة جامعة يمكن بها دفع الشر وصيانة الحوزة . كل يدور على محوره ، وكل يردع الزور وهو في مركزه ، (هذا هو سبب الضعف عن المقاومة وهذا هو سبب قوة المنكر والبغي) . وأنت وحدك أيها الحجة بما أوتيت من الدرجة السامية والمهولة الرفيعة علة فعالة في نفوسهم ، وقوة جامعة لقلوبهم ، وبك تنضم القوى المتفرقة الشاردة ، وتلتئم القدر المتشتتة الشاذة ، وان كلمة منك تأتي بوحداية ثامة يحق لها أن تدفع الشر المحذوق بالبلاد ، وتحفظ حوزة الدين وتصور بيضة الاسلام... فالكل منك وبك واليك .. وأنت المسؤول عن الكل عند الله وعند الناس

ثم أقول ان العلماء والصلحاء في دفاعهم فرادى عن الدين وحوزته قد قاسوا

من ذلك القتل شذائده ماسبق منذ قرون لها مثيل ، ونحملوا لصيانة بلاد المسلمين عن الضياع وحفظ حقوقهم عن التلف كل هوان وكل صفار وكل فضيحة .

ولا شك أن حبر الامة قد سمع ما فعله أدلاء الكفر وأعوان الشرك بالعالم الفاضل الصالح الواعظ الحاج الملا فيض الله الدر بندي . وسمع قريباً ما صنعته الجفأة الطفافة بالعالم المجهتد التي البار الحاج السيد علي أكبر الشيرازي وسحبط علماً بما فعله بحماة الملة والامة من قتل وضرب وكى وحبس . ومن جلتهم الشاب الصالح الميرزا محمد رضا الكرهاني الذي قتله ذلك المرتد في الحبس والفاضل الكامل البار حاج سياح والفاضل الاديب الميرزا فروغي والارباب النجيب الميرزا محمد علي خان والفاضل المتفتن اعتماد السامنة وغيرهم .

وأما قصتي ، وما فعله ذلك الكنود الظلوم معي ، فما يفتت أكياد أهل الايمان ، ويقطع قلوب ذوي الايقان ، ويقضي بالدهشة على أهل الكفر وعباد الاوثان ، ان ذلك القسيم أمر بسجني وأنا متحصن بحضرة عبد العظيم عليه السلام في شدة المرض على الثلج الى دار الحكومة بهوان وصفار وفضيحة لا يمكن أن يصور دونها في الشناعة (هذا كله بعد النهب والفار) « ان الله وانا اليه راجعون »

ثم حلني زبانيته الاوغاد وأمر بض علي برذون مسلا في فصل الشتاء وتراكم الثلج والرياح الزمهريرية وساقني جحفة من الفرسان الى خانقته وصحبني جمع من الشرط . . . ولقد كاتب الوالي من قبل والنفس منه أن يبعثني الى البصرة فلما أنه لو تركني ونفسي لا تبتك أيها الخير ويئت لك شأنه وشأن الامة وشرحت لك ما حاق ببلاد الاسلام من شر هذا الزنديق ، ودعوتك أيها الحجة الى عون الدين ، وحملتك على إغاثة المسلمين ، . . . وكان علي يقين أنني لو اجتمعت بك لا يمكنه ان يبق على دست وزارته الموسسة على خراب البلاد ، وهلاك العباد ، واعلاء كلمة الكفر وبما زاده لوما على لومه ودناءة على دناءته أنه دفعا لثورة العامة ونسكيناً لهماج الناس نسب تلك العصابة التي ساقها غيره الدين وحمية الوطن الى المدافعة عن حوزة الاسلام وحقوق الاهالي (بقدر الطاقة والامكان) الى الطائفة البائية . . . كما أشاع بين الناس أولاً (قطع الله لسانه) أنني كنت غير

مختون (وا إسلاماه) ما هذا الضعف؟ ما هذا الوهن؟ كيف أمكن أن يصلوا كذا ديني النسب، وورثوا خسيس الحسب، قد ران يبيع المسلمين وبلادهم بثمان بمخس دراهم معدودة ويزدري بالعلماء ويهين السلالة المصطفوية ويهين السادة المرتضوية البهتان العظيم، ولا يد قدرة تستأصل هذا الجذر الخبيث شفاء انيط الموءنين، وانقما لآل سيد المرسلين، عليه وآله الصلاة والسلام.

ثم لما رأيت نفسي بعيداً عن تلك الحضرة العالمة أمسكت عن بث الشكوى ولما تقدم العالم المجتهد القدوة الحاج السيد علي أكبر إلى البصرة طلب مني ان اكذب إلى الخبر الاعظم كتاباً أثبت فيه هذه الفوائل والحوادث والكوارث فبادرت إليه امتثالاً، وعلمت أن الله تعالى سيعيد بك أمراً، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

السيد الحسيني

....

(يقول محمد وشيد) إن هذا الكتاب نفخ روح الحاسة والغيرة في ذلك العالم العظيم صاحب النفوذ الروحي في الامة الفارسية فأثّر بحموة استعمال التذباك وزراعته واذاغ العلماء فثواه بسرعة البرق فخضعت لها أعناق الامة حتى قيل ان الشاه طالب في صبيحة يوم بعد وصول الفتوى إلى طهران التارجيله (الشيشة) فقيل له انه ليس في القصر تذباك لاننا اتلفناه فسأل عن السبب مبهوتاً فقيل له: فتوي حجة الاسلام: فقال لم لم نستاذوني؟ قيل انها مسألة دينية لا حاجة فيها إلى الاستئذان!! واضطر بعد ذلك إلى ترضية الشركة الانكليزية على أن تأخذ نصف مليون جنيه وتبطل الامتياز. وبهذا انقذ السيد جمال الدين بلاد ايران من احتلال الانكليز لها بابطال مقدمته وهو ذلك الامتياز أو الامتيازات التي قرأت شرحها في كتابه فهكذا تكون الرجال وهكذا تكون العلماء

هكذا هكذا والا فلألا ليس كل الرجال تدعي رجالا

وقد ظهر الآن تأثير نفوذ طائفة العلماء في بلاد فارس أتم الظهور بما كان قلب نظام الحكومة وتحوّلها عن الاستبداد المطلق إلى الشورى. ولعل تلك الحادثة هي المنبه للاول العلماء إلى ان الامر في ايديهم. فالسيد جمال الدين علي هذا هو

العامل الاول في هذا الانقلاب كما أنه سبب الانقلاب الذي حدث في مصر فان عمل جمعيته كان اول سعي في مقاومة سلطة اسماعيل باشا وتقويضها وفي نفخ روح الاصلاح في توفيق باشا حتى واثق السيد وخاصة بأنه اذا آل الامر اليه ليؤسسن مجلس نواب وليصان وليعلمن . ولكن تداخل الجند في السياسة أفسد العمل بعد ذلك ولم يكن نجاح العلماء بسعيه وارشاده في ابطال تداخل الاجانب في بلاد فارس هو المنبه وحده لكون سلطة العلماء والامة فوق سلطة الملوك بل كان تمام التذية قتل الشاه بعد ذلك وما قيل من ان قاتله من اتباع السيد جمال الدين لم يكن السيد بنحريض كبير المهتمين وسائر العلماء على الشاه ووزيره ولا بنجاحه في ندهم له بل ذهب من البصرة الى أوروبا وطفق يطن فيها بالقول والكتابة وقد أسس هناك مجلة شهرية تصدر باللغتين العربية والانكليزية باسم (ضياء الخافقين) أو سمي في تأسيسها وكان يكتب في كل عدد منها مقالة في أحوال فارس بتوقيعه المعروف (السيد) أو (السيد الحسيني) وكان الكلام في مصر من أهم مباحثها وقد فصح في مقالاته عن بلاد فارس حكومتها وشاها شر فضيحة حتى جاءه سفير المعجم في لندره يستميله ويسترضيه ليكف عن الكلام والكتابة في ذلك وعرض عليه مالاً كثيراً فقال له السيد «لا أرضى الا أن تزهد في روح الشاه ويقر بطلنه ويوضع في القبر» فكان هذا القول من الشبه على كون القاتل له من اتباع السيد . وانا نورد هنا بعض ما كتبه في ضياء الخافقين عن بلاد فارس تخليداً له في التاريخ . وهالك ما كتبه في العدد اثني عشر أيضاً لعلماء على خلع الشاه والقيام بشؤون الامة . وهذا العدد صدر في أول مارس (آذار) سنة ١٨٩٢

سجدة بلاد فارس

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

حجة القرآن ، وحفظة الايمان ، ظهراء الدين المتين ، ونصراء الشريعة المبين ، جنود الله الغالبة في العالم ، وحججه الدامغة لضلال الأمم ، جناب الحاج الميرزا محمد حسن الشيرازي . وجناب الحاج الميرزا حبيب الله الرشتي ، وجناب الحاج الميرزا أبي القاسم الكر بلائي ، وجناب الحاج الميرزا جواد الأقال تبريزي ، وجناب الحاج السيد علي اكبر الشيرازي ، وجناب الحاج الشيخ هادي النجم آبادي ، وجناب الميرزا حسن الأشتياني . وجناب السيد الطاهر الزكي صدر العلماء . وجناب الحاج آقا محسن العراقي ، وجناب الحاج الشيخ محمد تقي الاصفهاني ، وجناب الحاج الملا محمد تقي البجنوردي . وسائر هداة الأمة . ونواب الأئمة . من الاحبار العظام ، والعلماء الكرام ، أعز الله بهم الاسلام والمسلمين ، وأرغم أنوف الزنادقة المتجبرين ، آمين

طالما تاقت الامم الانجليزية الى الاستيلاء على البلاد الايرانية حرصا منها وشرها . ولستم سولت لها ما نيتها خدعا تتمكنها من الولوج في ارجائها وتمهد فيها سلطاتها على غرة من اهلها تخاشيا من المقارعة التي تورث الضغائن فتبث النفوس على الثورة كلما سنحت لها الفرص وقضت بها الفترات . واكتنفا علمت ان بلوغ الارب والعلماء في عز سلطاتهم ضرب من المهال لان القلوب تهوي اليهم طوا ، والناس جميعا طوع يدهم يأنمرون كيف أمروا ، ويقومون حينما قاموا ، لامرد لقضائهم ، ولادافع لحكمهم ، وانهم لا يزالون يدايون في حفظ حوزة الاسلام لانأخذهم فيه غفلة ، ولا تعرفهم غره ، ولا تميزهم شهوة ، فخنست وهي تنو بص بهم الدوائر ، وتترقب الحوادث ، ايم الله إنها قد اصابته فيما رأت ، لان العامة لولا العلماء وعظيم مكانتهم في النفوس لانجأت بطيب النفس الى الكفر واستظلت بلوائه خلاصا من هذه الدول الذليلة الجائرة المحرقى التي قد عدت القوة ، وفقدت

النصفه، وانفت المجاملة، فلا حازت منها شرفاً، ولا صانت بها لنفسها حقاً، ولا
انشرح منها صدرها فرحاً.

ولذا كلما ضعفت قوة العلماء في دولة من الدول الاسلاميه وثبت عليها طائفة
من الافرنج ويحت اسماها، وطمست رسمها،

إن سلاطين الهند وأسراء ماوراء النهر جدت في إذلال علماء الدين فساد
الوهاب عليهم سنة الله في خلقه... وان الافرنجيين ماصنوا بلادهم عن أطماع
الأجانب وما دموا هجمات الانكليز مرة بعد أخرى الا بقوة العلماء وقد
كانت في نصابها *

ولما تولى هذا الشاه (الحارثية ١٠) الطاغية (الطاغية) الملك طفق يستلب حقوق العلماء
تدريجياً ويخفض شأنهم ويقلل نفوذ كلمتهم حباً بالاستبداد يباطل أواصره ونواحيه،
وحرصاً على توسيع دائرة ظلمه وجوره، فطرد جملاً من البلاد بهوان، وبنه فرقة
عن إقامة الشرع صفار، وجلب طائفة من أوطانها الى دار الجور والحرق (طهران)
وقهرها على الإقامة فيها بذل لخلاله الجور قهر العباد وأباد البلاد وتقلب في
أطوار الفظائع ونجاها بأنواع الشنائع وصرف في أهوائه المملكية وملأه البهيمية
مامعه من دماء الفقراء والمساكين عصراً ونزع من دموع الأراذل والأيتام
قهر (بالاسلام)

فاذا اشتد جنونه بجميع فنونه فاستوزر وغداً أخيساً ليس له دين يردعه
ولا عقل يزرجه ولا شرف نفس يمنعه وهذا المارق ما قعد على دسسته الا وقام
بابادة الدين ومعاداة المسلمين وساقته دناءة الأرومة ونذالة الجرثومة الى
بيع البلاد الاسلامية بقيم زهيدة *

لخصبت الافرنج ان الوقت قد حان لاستملاك الأقطار الابراية بلا كفاح
ولا قتال وزعمت ان العلماء الذين كانوا يذبون عن حوزة الاسلام قد زالت
شوكتهم وفقد نفوذهم فهرع كل غراً فاه يبغي أن يسرط قطعة من تلك المملكة *
فغار الحق وغضب على الباطل فدمغه غخاب مسعاه وذل كل جبار عنيد .

(١) هي الحية كبرت فصغرت حتى بقي رأسها فيه سداً ونفسها وهي أخبت الافاعي

أقول الحق إنكم يا أيها القادة قد عظمت الاسلام بهزيمتكم وأعلتكم كلمته وملأتم القلوب من الرهبة والهيبه . وعلت الأجانب طرا ان لكم سلطانا لا يقاوم وقوة لا تدفع وكلمة لا ترد وانكم سباج البلاد ويديكم أزمة العباد ولكن قد عظم الخطب الآن وجلت الرزية لأن الشياطين قد تألبت جبرا للسكر وحرصا على الوصول الى الثاية . وأزمت على اغراء ذاك المارق الأثيم على طرد العلماء كافة من البلاد . وأهانته ان اقتاذ الأوامر انما هو باقتياد قواد الجيوش وان القواد لا يصون العلماء أمرا ولا يرضون بهم شرا فيجب لاحتباب الحكومة استبدادهم بقواد الأفرنج . وأرت ذلك البلد الخائن وآسة الشرطة وقيادة فوج (١) القزاق نموذجاً (كنت واضرا به) . وان ذاك الزنديق وزملاءه في الاتحاد يجهدون الآن في جلب قواد من الأجانب . والشاه مجنونه المطبق قد استحسن هذا واهتز به طربا . لعمر الله لقد نهال الجنون والزندقة وثماهد التواشيه على محق الدين واضمحلال الشريعة وتسلم دار الاسلام الى الأجانب بلا مقارعة ولا مناقرة . يا هداة الأمة انكم لو أهلمتم هذا الفرعون القليل ونفسه وأمهلتوه على سريره جنونه وما أمرعتم بخلعه عن كرمي فيه لقضي الأمر ففسر العلاج وتعذر التدارك . أنتم نصراء الله في الارض . ولقد تمحصت بالشريعة الالهية نفوسكم عن أهواء دنية ليمت على الشقاق وتدعو الى التفاف ويئس الشيطان بقذافات الحق عن تفريق كلمتكم . فأنتم جميعا يد واحدة يذود بها الله عن صياصي دينه الحصينة ويذب بقوتها القاهرة جنود الشرك وأعوان الزندقة . وان الناس كافة (الامن قضى الله عليه بالحية والحسران) طوع أمركم . فلو أعلتم خلق هذا (الحارثية) لأطاعكم الأمير والخفير وأذعن لحكمكم النفي والفقير (ولقد شاهدتم في هذه الأزمان عيانا فلا أقيم برهانا) خصوصا وان الصدوق قد خرجت وان القلوب قد فطرت من هذه السلطنة القاسية الحق التي ماسدت ثغورا ولا جندت جنودا ولا عمرت بلادا ولا نشرت علوما ولا أعزت كلمة الاسلام ولا أراحت يوما

(١) يطلق الفرس هذا اللفظ العربي على الطائفة من المسكرية التي يطلق عليها النرك لفظ طابورد (وصوابه بالعربية تابورد) ويطلق عليها في مصر لفظ أورطوه وهي أعجبية

ما قلب الأنام بل صمرت وأقوت وأقوت وأذلت ثم بعد ذلك وارتدت
وأنها سحقته عظام المسلمين وعجنها بدماهم فعملت منها لبنات (١) بنت بها قصورا
لشهراتها الدنية . هذه آثارها في هذه المدة المديدة والسنين العديدة فاعلموا
وتثبت يداها *

واذا وقع الخلع (وتكفيه كلمة واحدة ينبص بها لسان الحق بغيرة على دينه)
فلا ريب أن الذي يخلف هذا (الطاغية) لا يمكنه الحيدان عن أوامركم الإلهية
ولا يسمع إلا المصروع بمتبتكم حبة الشريعة الحميدة كيف لا وهو يرى عيانا ما لكم
من القوة الربانية التي تقبلون بها الطغاة عن كرمي غيا . وإن العامة متى سعدت
بالصلح تمت سلطان الشرع ازدادت بهم ولما وحامت حولكم هيما وصارت
جبيما جندا لله وحزبا لا وليانه العلماء *

ولقد وهم من ظن أن خلع هذا (الحارثية) لا يمكن إلا بهجات السامك
وطلقات المدافع والقنابر . ليس الأمر كذلك . لأن عقيدة إيمانية قد رسخت في
القول ، وتمكنت من النفوس ، وهي أن الزاد على العلماء راد على الله (هذا هو
الحق وطريقه المذهب) فإذا أعلنتم (يا حملة القرآن) حكم الله في هذا الناصب
الجائر وأبنتهم امرأة فعلى في حرمة إقامته لا نفص الناس من حوله فوقع الخلع بلا
جدال ولا قتال *

ولقد أراكم الله في هذه الأيام إنعاما لجبته ما أولاكم من القوة التامة ،
والقدرة الكاملة ، وكان الذين في قلوبهم زيغ في ريب منها من قبل . اجتمعت
النفوس بكلمة منكم على إرغام هذا الفرعون القليل وهامانه الذليل (مسألة التنبك)
فصبغت الأمم من قوة هذه الكلمة وسرعة نفوذها وبهت الذي كفر . قوة
أنعمها الله عليكم لصيانة الدين وحفظ حوزة الاسلام . فهل يجوز منكم إهمالها
وهل يسوغ التفريط فيها ؟ حاشا ثم حاشا *

قد آن الوقت لأحياء مراسم الدين ، واعزاز المسلمين ، فاعلموا هذا (الطاغية)
قبل أن يفتك بكم ، ويهتك أعراضكم ، ويثلم سياج دينكم ، ليس عليكم إلا أن تعلموا

(١) جمع لبننة من اللبن الذي يبنى به

على رؤوس الاشهاد حرمة إطاعته فإذا يرى نفسه ذليلاً فريداً يفر منه بطاقته
ويفر منه حاشيته ويذبحه العساكر ويرجمه الأصاغر *

انكم يا أيها العلماء والدين قاموا معكم لتأييد الدين بعد اليوم في خطر عظيم.
قد كسرت قرن فرعون بمصالح الحق وجدعتم أنف الخارية بسيف الشرع فهو
يبرص فرصاً تساعد على الانتقام شفاء لفيظه ومرضاة لطبيعت التي فطرت على
الحقد والجحاح فلا تمهلوه أياماً ولا تمكنوه أن يقبض زماماً اعلموا خلمه قبل
اندمال جرحه *

وحاشا كم أيها الراسخون في العلم أن ترتابوا في خلع رجل سلطانه غصب
وأفعاله فسق وأوامره جور وأنه بعد ان مص دماء المسلمين ونهش مضام
المساكين وترك الناس عراة حفاة لا يملكون شيئاً حكم عليه جنونه ان يملك
الأجانب بلاداً كانت للإسلام وزا ولدين المتين حرزا وساقته سورة السفه
الى اعلاء كلمة الكفر ولا سبطلال بلواء الشرك *

ثم أقول ان الوزاء والامراء وعامة الاهالي وكافة العساكر وأبناء هذا
(الطاغية) ينتظرون منكم جميعاً (وقد فرغ صبرهم ونفذ جلدكم) كلمة واحدة
حتى يخلصوا هذا الفرعون الدليل ويرموا العباد من ضره ويصونوا حوزة الدين
من شره قبل أن يحل بهم العار ولات حين مناص والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته *

﴿ السيد الحسيني ﴾

(يقول محمد رشيد) ان للعلماء من الاحترام والنفوذ الروحي في بلاد الأعاجم
ماليس لهم في البلاد العربية وان احترامهم في بلاد الفرس أشد منه في سائر بلاد
العجم فان الحكم ليس لهم عليهم من السلطة هناك مثل ما لغيرهم من حكام المسلمين. وما
أزال الملوك والأمرأ احترام العلماء ومحو نفوذهم - حاشا ما كان منه مؤيد لهم ومعزوا
لاستبدادهم - الا بما اخترعوه لهم من الرتب الملقية وكساوي الشرف الوهمية وبما
جعلوا من موارد أرزاقهم في تصرفهم. فصار رزق العالم وجاهه الديوي بيد الأمير
أو السلطان وهما الرسلان الذين يقدرون بهما طائب المال والجاه من العلماء الى حيث
شاؤا. فاذا أمكن الطلاب الاصلاح الاسلامي أن يبطلوا هذه الرتب العلمية

وما لها من الشارات ومخرجوا أرزاق علماء الدين من أيدي الحكم فأنهم يمحرون العلماء من رقب يكون مقدمة لا صلاح الامة كلها

الاسلام دين اجتماعي جمع بين مصالح الدنيا والآخرة وقد عبث الحكم المستبدون في أهله بانتحال الرئاسة فيه على كونهم قد أبطلوا اشتراط العلم الديني وغيره في الخليفة وفي السلطان والوالي بالأولى ثم جعل بعضهم الاحكام والأعمال والمناصب قسمين شرعية خاصة بعلماء الشرع كالتقضاء فيما يسمونه الامور الشخصية وغير شرعية وهي سائر الاحكام القضائية والادارية والسياسية ولا يشترطون في عمال هذه الاحكام والأعمال معرفة شيء من أحكام الشرع ولا الأخذ بشيء من أمر الدين كما أنه لا يشترط في الحاكم الاعلى من أمير أو سلطان ان يكون قد تاق علم التوحيد والفقه فضلاً عن التفسير والحديث . ومع هذا كله يجعل هذا الحاكم رئيساً دينياً ويجعل أمر علماء الدين في يده فهو الذي ينعم عليهم بالمرتب العلمية التي يعد بها بعضهم فوق بعض في الدين وعلموه من غير مبالاة بالقاعدة المشهورة التي لا يختلف فيها عاقلان وهي « فاقد الشيء لا يعطيه » فلها صار الدين أمراً ثانوياً في أكثر بلاد المسلمين لا يحترم عند حكامه الا بقدر تعلق العامة به على حسب ما عليه العامة كالاحتفال بالمواسم الدينية والمبتدعة ينهدم ركن من اركان الاسلام كالزكاة فلا يزال به الحكماء الذين جعلوا انفسهم رؤساء للدين ويسكت معهم العلماء عن ذلك فلا يقومون بفريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي سياج الدين لانهم على قسمين قسم مرتبط بالسلطين والامراء فهم تابعون لهم وقسم لاشأن له فهو يستصغر نفسه ان تقوم بالدعوة الى احياء الدين فاذا عرف لنفسه قيمة وظهر بالدعوة فطفت العامة تحترمه ففحه الامراء بشيء من الدنانير التي قاموا على خزانها - وهي الامة الهالم - وأقوا في عنقه ورأسه طوقاً من الفضة او الذهب (علامة الشرف) فكان لهوام من المنقادين

فلا صلاح للاسلام الا باستقلال العلماء وعدم ارتباطهم في التعلم والتعليم والارشاد ولا في الرزق بالامراء والسلطين كما تقدم

كتابان سياسيان

حجج للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده

(أو مطالب مصر من انكلترا)

للمستتر بلنت الانكليزي المستشرق الشهير كتاب سماه (التاريخ السري للاحتلال) جاء في الطبعة الثانية منه ترجمة كتابين ارسلها اليه صديقه الاستاذ الامام جوا بآعن أسئلة سأله عنها وقد ترجمتهما جريدة الاواء عن الانكليزية الى العربية ونقلهما عنها المؤيد وهذا نص الجريدتان:

سأل المستر «ولفرد سكاون بلنت» المرحوم المفتي رأيه في الحال السياسية الجديدة التي نشأت في مصر عن ابرام الاتفاق الودي عقب توقيع فرنسا وانكلترا عليه فأجابته فضيلته على ذلك السؤال في كتاب بعثه له في يوم ٦ مايو سنة ١٩٠٤ هذا نصه «ان رأيي في الادارة المصرية اذ اقبلت الخديوية في عائلة محمد علي هو كما يأتي ١ — أول وأهم قاعدة أساسية في تلك الادارة هو انه يجب أن لا يكون للجناب الخديوي أي سلطة تخوله التدخل في أعمال الهيئات التنفيذية للمنظارات ولا ادارة الاوقاف والازهر ولا المحاكم الشرعية بمعنى أنه لا ينبغي أن يجعل لتدخله الشخصي أثر مافي الادارة المصرية مطلقا

٢ — ويجب أن يشكل مجلس على نسق مجلس الشورى الحالي بوجه التقريب ولكن على نظام اقوم وترتيب أمثل منه وينبغي أن يكون الوزراء وكبار الموظفين أعضاء فيه . وليس هناك ما يمنع من انتظام بعض كبار الموظفين من الانكليز في الحكومة المصرية في سلك أعضائه ويكون من اختصاص هذا المجلس سن القوانين الجديدة

٣ — وينبغي أن توضع حدود لتدخل السلطات التنفيذية الذي يدعيه الموظفون الانكليز كالمستشارين وغيرهم لانفسهم حتى لا يكون الموظفون المصريون مجرد آلات صماء لا ارادة لهم ولا رأي يبدونه من تلقاء أنفسهم

٤- وأن بشكل مجلس اءارة فف كل نظارة من النظارات كالءقانة والءاءلة مئلا فئئئب اءضاؤه باسطة المجلس العام المئءم الءكر وئكون وظفمة كل مجلس من هءه المجالس الاءارة البءء فف فءصبلات المسائل المهمة ووضء المشروعات والقوائن والنظامات لكل مصلءة من مصلال المءومة

٥- وأن بوضء قانون لنظارة المارف فكون اءبارفا بالنسبة لاشؤون المئعلقة بالمارف العمومة والءطلم وفئفف أن فئصص قسم من الءءل العمومف فقام بفئقات الءلمف فكون كاففا لئئء مءارس لئلمف العام وأءرى لئلمف الفف فكفف لسا ءااءات الءلاء

هءا هو رأف فرفءه عام قء اءفء لكم ء

فكئب له المسءر ء بلئء ء بعء ذك بشهر فف فساله أن فئوسع فف آرائه هءه وفضء فموزالءسئور المروم ءءاله فف مءرفا ءابه الى طله بعء طول روبة ومشاورة أءءقائه فف ذك وأءء آرائهم فف هءا السوال وسوال آءر عرضه علفه المسءر بلئء أفضا فئلق بما فءففف أن فئءء من الاءفاءات ءء ما فئوقع ءءؤه من عءم فقة الءئاب الءءبوف بالءسئور كما وقع علف عهء المففور له والءه ءما فضى علف الآمال الوطنفة واسئفصر منه أفضا ءما اذا كان من الممكن أن فقبل المءرفون فعمفن أمفر أورف فصفة وال فئء سفاة ءلالة السلطان اذا صعب الءصول علف أمفر من العائلة الءءبوفة مئشبع فئبعا تاما من الافكار الءسئورفة

فلءاب المرفوم المففف علف ءفم ذك بالءئاب الآف

صءفف العزفر المءرم

أءءفك عظم فءففف وأءئءك عن اءطائف فف الرء علف كئابك الموءرخ فف ٨ روفه فافف كئء مشفولا ءءا بالامئءان فف مءرسة المءلفن والازهر وففرها ولم أءء وقئاً ءالفا لاءففكم فف علف كئابكم هءا لا سفا وان موضوعه ءقق لفافة وفعوزه مزفء فرو وءقق فظر

وقء ففكرء طوفا وئذا كرف مع بعض أفاضل المءرففن فوفءئهم بمءمفن علف أن من أول الضرورفا لئسن الاءارة المءرففة هو فقام المءومة

الاكتيابة بضمان النظام في البلاد وكما انه ومعنى ذلك أنها تراقب استنباها
والحفاظة على استمراره وعلى الدستور الذى يمنح لهر وان لا تدع ذلك الدستور
عرضة لنداخل الخديو بين

ومنى تمت هذه الضمانات ومنح الدستور لا تبقى حاجة الى نزع سلطة الحكم
من عائلة محمد علي ولا الى تعيين أمير أوروبي لا سيما وان تعيين أمير أوروبي
لا يصادف قبولاً من الاهالي ولا يساعدهم على تحسين حالتهم
أما من جهة الدستور فينبغي أن يراعى فيه ما سأذكره الآن من المسائل
الآتية بصفة خاصة

١ ان تناط جميع شؤون الحكومة بسلطة أو أخرى (كذا) من
السلطين الآتين :

أولاً - تناط بسلطة تشريعية سنن القوانين الادارية والقضائية

ثانياً - تناط بسلطة تنفيذية تكلف بتنفيذ تلك القوانين وان تهمصر السلطة
التشريعية في مجلس نواب أو وكلاء يزيد عدد اعضائه عن اعضاء مجلس
الشورى الحالى وتكون دائرة اختصاصاته الحالية بحيث تهمصر قراراته وتكون
واجبة التنفيذ وأن لا يسمح للوزراء بعدم احترامها وامرأها معها كانت ظروف الاحوال
وهذا المجلس هو الذى سنن القوانين كافة وتنتخب الوزارة من بين اعضائه
وان تهمصر السلطة التنفيذية في الوزارة التى تخول حق تقديم مشروعات
القوانين بحيث لا تتأثر بسنها وحدها لان حق سننها هو من اختصاص مجلس النواب
٢ وان تناط جميع مسائل الحكومة التى ليس لها ارتباط بسن القوانين
بالوزارة بما في ذلك منح الرتب والاشاين وأن لا يترك من اشغال الحكومة شيء
مطلقاً للجناب الخديوي وأن يناط بها أيضاً أمر المصالح المختصة بالعلم الديني
وغيره والمحاكم الشرعية والاهلية وتوزيع الرتب والاشاين دون أن يسمح لسموه
بأي تداخل فيها مطلقاً

٣ واذا فرض وكان بعض الوزراء من الانكليز وكان لهم مرءوسون من
المصريين فإنه ينبغي أن يعطى هؤلاء المرءوسون المصريون أو الوزراء اثنائون

سلطة تسمح لهم بان يضلوا في جميع المسائل المختصة بالدين وما اشبه ذلك تحت مراقبة الوزراء الاصليين بحيث لا يكون الموظفون المصريون مجرد العمولة في ايديهم كما هو الحال الآن

وينبغي أن تلغى وظائف جميع المستشارين اكتفاء بهؤلاء الوزراء وفي هذه الحالة تقضي الضرورة بان يكون رئيس الوزراء مسلما بحيث يكون مركزه الرسمي محدودا بوظيفة الرئاسة دون أن يشغل رئاسة نقابة من نقابات الحكومة ٤ وان يكون جميع الموظفين الآخرين في الحكومة من المصريين أعني أن المديرين وكلاء المديرات وقضاة المحاكم الاهلية ابتدائية كانت أو استئنافية وأعضاء النيابة وغيرهم يكونون مصريين ويميزون بتميز انكليز كفتشين وتمييزهم أيضا في بعض وظائف في المصالح الهندسية والمعارف وفي الوظائف الصناعية التي يحتاج الامر فيها الى معارف خاصة حين لا يوجد فيه مصري تتوفر فيه الاحاطة بتلك المعارف الفنية

على أنه يجب على كل حال أن يحضر عمل أولئك الموظفين الاجانب فيما هو داخل ضمن دائرة اختصاصاتهم فقط وأن يكونوا خاضعين لمراقبة الوزراء بحيث لا يهولون أقل سلطة ادارية أو قضائية تفصي الى اضاف نفوذ الموظفين المصريين (٥) وان يخول أعضاء مجلس النواب الحق في أن يسألوا النظار عن تنفيذ القوانين وينتقدونهم على ما يفرط منهم من الخطأ أو يقع من الخلل في الاعمال وينتقم على النظار أن يبينوا أسباب ما يقومون به من الاعمال واذا وقع خلاف بين النواب والنظار يוכל أمر حل ذلك الخلاف الى لجنة تشكل من خمسة أعضاء من مجلس النواب ينتخبون بالاقتراع السري وخمسة آخرين من أعضاء محكمة الاستئناف ينتخبون مثلهم بالاقتراع السري ورئيس المجلس ورئيس النظار ورئيس محكمة الاستئناف ويكون حكم هذه اللجنة بالاغلبية المطلقة ويجوز زيادة أعضاء هذه اللجنة باضافة أعضاء آخرين عليها من مجلس النواب ومحكمة الاستئناف

واني أعتقد أنه اذا وضع نظام دستوري على هذا النمط وضمتته الحكومة

الانكليزية لقيام بحاجة البلاد ولنالت حكومتها استقلالاً لم تعرف له مثيلاً
وينبغي أن لا ننسى إعادة تنظيم شؤون المعارف والتعليم فإن هاتين المسألتين
هما من أمس الأمور التي يبدأ مجلس النواب بمباشرة الاشتغال بها الامضاء
محمد عبده

وبعد فراغه من هذا الكتاب وضع في ذيله الحاشية الآتية
قد نسيت أن أتكلم على الحرية فأقول ان السردار الانكليزي وبعض
ضباط الانكليز يبقون في الجيش المصري ولكن يجب أن يشغل المصريون ما بقي
من وظائف الجيش وإذا فرض وقامت بعض صعوبات بشأن ذلك ورأت الحكومة
الانكليزية وجوب وجود قواد انكليز فيه أعني « باشاوات » فلا ضرر في ذلك

قول المنار في الكتابين

قد كثرت حديث الناس في هذين الكتابين لما نشر في جريدة الواثم المؤيد
وغيره ثم اتسع مجال الآراء فيما بعد أن استنبط الواثم منها ما استنبط ولخصهما
المؤيد بما لخصهما به وزعم أن ما لخصه هو رأي الكاتب وناهيك بتقليد الجرائد
في دهاء هذه البلاد

قال المنتقدون ان الكتابين يدلان على بعض كائنيهما للأسرة الخديوية كافة
ولأمر الحاضر خاصة . وقالوا ان فيهما تحسيناً للظن بالانكليز وقالوا بل فيهما
مشايمة لهم . وقالوا هذا رأي الكاتب في الدستور المصري وأطلقوا أي انه لو كان
الامر كله بيده لرضي لبلادهم ما كتبه فيهما . وقالوا ان كائنيهما على غير يئنة بالقوانين
الاساسية للأمم . وأغرب ما قدلوا وما كتبوا هو ما أنبأ عن استنكارهم سلب السلطة
الشخصية من الخديويين بحصر السلطة في مجلس النواب ومجلس الوزراء وهم من
هم المستنكرون لذلك ؟ هم الذين يزعمون أنهم طلاب المجلس النيابي والحكومة
الدستورية لمصر !!! يا لله العجب

وقد استحسن كثير من العقلاء المستقلين المطالب التي في الكتابين واستدلوا
بهما على غير كائنيهما على بلادهم وأهلها وسميه في اصلاح حالها سرا وجها من كل

طريق وكل منفذ . وأنكر آخرون صحة نسبة الكتابين الى الاستاذ الامام وقالو
نه ليس فيها شيء من روحه ولا من أسلوبه

وانا نبين حقيقة معناها الذي حرفه الاهواء عن موضعه الذي وضعته فيه الظروف
والاحوال بعد تمهيد تمهده لذلك فنقول :

(١) (يعلم القارىء قبل كل شيء ان ما نشر في الجرائد ليس هو الذي كتبه
الاستاذ الامام بل هو ترجمة لأحد محرري جريدة الاهواء عن الانكليزية . وما في
الاصل الانكليزي مترجم عن العربية . فاذا ظهر الاصل العربي الذي يقول حافظ
فندي عوض انه رآه عند مؤلف الكتاب يكون مراد الكاتب أعظم وأصح والحكم
عليه أعدل

(٢) ان المراد منهما لا يفهم تمام الفهم الا بقراءة ما كتبه المستر بلنت الى
الاستاذ الامام بالحرف لأن الفتوى تكون على حسب السؤال كما هو مشهور ومعروف
(٣) قد علم مما كتب الاهواء والمؤيد أن موضوع سؤال مستر بلنت يتعلق بالحالة
السياسية الجديدة التي نشأت في مصر عن ابرام الاتفاق الودي عقب توقيع فرنسا
وانكلترا عليه . فما رآه كان خاصا بتلك الحالة التي أمنت فيها انكلترا معارضة
أوربا لها في مصر . فاذا تذكرنا أن كل ما فلتناه من مقاومة الاحتلال أيام كان
ضلع أوربا كلها معنا ولا سيما فرنسا لم يزد الا قوة ورسوخا فانا يمكن ان نفعل ان
تلك المطالب التي طلبها الاستاذ الامام بعد اتفاق أوربا مع الاحتلال علينا كانت
كبيرة جدا وان الانتقاد على هذه المطالب ينبغي ان يكون محصورا في كثير منها أو عظمتها
حتى جعلت نجاح انكلترا يوافق ابريل ١٩٠٤ نجاحا لمصر وحرمانا لانكلترا
من معظم ما كان لها من النفوذ والسلطة

(٤) ذكر الاهواء والمؤيد من موضوع سؤال بلنت كلمة « الدستور المروم
إدخاله في مصر » فسلم أن هناك مشروعا لدستور يمد في انكلترا فما هو وما
موضوعه ؟ وأليس هذا نصا في الموضوع صريحا في أن ما كتبه الاستاذ الامام
في جواب مستر بلنت ليس مشروعا وضعه لما يحب أن يكون عليه بلاده مطلقا بل
هو مطالب وتنبهات لدستور معين يبحث فيه الانكليز أنفسهم ونحن الى الآن

لم تقف على مشروع دستوري لهم الا مشروع لورد كرومر بإنشاء مجلس تشريعي لمصر مؤلف من جميع الاجانب . وهل يمكن حينئذ أن يطلب لهم من انشكلوا أكثر مما طلب الاستاذ الامام ؟ وقد تقدم أن ما طلبه كثير

(٥) ذكر اللواء قالوا : أن مستر بلنت سأل الاستاذ الامام بالتصريح عما ينبغي اتخاذه من الاحتياطات لمنع ما يذوقه حدوده من عدم ثقة الحديوي بالدستور كما وقع في عهد والده أي بأن يكون الدستور مأمونا عليه من حل الحديوي له به تصرفه فيه باستقالة أعضائه الى ما يريد بالرئب والياشن أو بغير ذلك . وهذا السؤال لا يعقل له وجه الا اذا كان واضعوا مشروع ذلك الدستور لا يرضون أن يكون الحديوي بين سلطة عليه بل لا يعقل وجود دستور حقيقي يكون عرضة لعبث السلطة الشخصية به . وهل يمكن أن يجاب عن هذا الا بتعهد انشكلوا بحماية الدستور والحال ان انشكلوا في الواهة له لتأمين بحسن الادارة المصرية تحت مراقبتها على طريق الهند وتال في شرف إصلاح مصر وتنظيمها ؟

(٦) ونقل اللواء قالوا : أن مستر بلنت سأل أيضا هل يقبل المصريون تعيين وال اوربي عليهم تحت سيادة السلطان ؟ وهذا السؤال مبني على عدم ثقة أولئك المشغولين بمسألة الدستور المصري بحكم الامراء الشرقيين الذين يعتقدون أنهم أشربوا في قلوبهم الاستبداد حتى لا يكاد يوجد فيهم من يميل الى الحكم الدستوري ويرغب فيه . فهل تنتقد إجابة الاستاذ الامام عن هذا السؤال بأنه لا حاجة الى حاكم اوربي مع وجود الدستور المضمون ومنع الحديوي بين من السلطة الشخصية ؟ وهل من الانصاف والحق أن يعد طلبه إبقاء الامارة في بيت محمد علي دليلا على بفضهم ؟ وهل يستنكر عاقل الاحتجاج على من يريدون تولية أمير اوربي علينا بكوننا لا نقبل ذلك وكونه هولا يمكن أن يساعدنا على تحسين حالنا ؟ ما أغرب الرأي الذي يميله الهوى وتروجه الأغراض الخسيسة

(تلخيص المطالب التي طلبها الاستاذ الامام لمصر)

من الانشكل فيما كتب الى مستر بلنت

(١) أن يكون للمصريين مجلس نيابي تنحصر فيه السلطة التشريعية أي وضع القوانين كلها ويكون له حق سوء الالحكومة عن تنفيذها ومحاسبتها على خطأها

(٢) ان يكون للمصريين سلطة تنفيذية وهي الوزارة المسؤولة وتناط بها جميع امور الحكومة لا يترك منها للحدويين شيء خاص باشخاصهم كما هو شأن الحكومة النيابية في أوروبا لاسيما انكلترا

(٣) ان يكون رئيس الوزراء مسلما لا كما كان من قبل تارة وتارة

(٤) ان يكون جميع موظفي الحكومة من المديرين ووكلاء المديريات والقضاة ورجال النيابة وغيرهم - من المصريين بحيث لا يبقى من موظفي الانكليز الا بعض المفتشين ومن لا يوجد مصري يقوم مقامه في عمله

(٥) تنظيم شؤون المعارف والتعليم وجعلها أهم الامور التي يبدأ مجلس النواب بها

(٦) قيام المصريين بجميع وظائف الجيش بحيث لا يبقى فيه من الانكليز الا السر دار وبعض الضباط

(٧) الغاء وظائف المستشارين المسيطرين على الحكومة الآن

« ٨ » على انكلترا ان تكفل هذا الدستور وتضمن تنفيذه بايدي المصريين .
وفسر ذلك بأن تراقب استتبابه والمحافظة عليه مراقبة فقط حتى لا يطله الحدويون هذه هي المطالبات الإيجابية الأصلية وأنى لمصر بالوصول إليها وإلى الآن لم تنطمح الأحزاب بمثلها فلم يطلب حزب ولا جريدة شيئا يتعلق بالعسكرية ولا يعقل احد كيف يكون الاستقلال الحقيقي بدون جند وطني . وهم يشعرون الوطنيين وهناك مطلوب مهم مبني على فرض وقوع شيء لا يؤمن وقوعه مادام للانكليز شأن في سلطة البلاد بل قد وقع مثله في عهد اسماعيل باشا وهو جعل بعض الوزراء من الانكليز . طالب الاستاذ على فرض وقوع ذلك ان يكون المرءوسين لوزير الانكليزي من المصريين سلطة يفصلون بها في المسائل المتعلقة بالدين وما أشبه ذلك ولا يكونوا آلة في ايدي رؤسائهم من الانكليز . وهذا مطلب لسنا بمدركه اليوم فإنه لا يمكن لرئيس ولا مرؤوس في الحاقية ان يجري في المجامع الشرعية امر الا برضاه المستشار القضائي .

واغرب ماسعت من بنض الاغوار « البسطاء » أت الكثاين نضنا
طالب جبل بعض الوزراء من الانكليز فلما قيل له انه ليس فيها شي من ذلك
وانما فيها مطلب مهم مبني على فرض وقوع ذلك بالرغم منا قال انه ما كان ينبغي
ذكر هذا الفرض والتقدير لانه يذكرهم بهذا الامر !! فصعب ابها القاري من
هذه السذاجة والثورة والنفقة عن الواقع والاعتماد بالالفاظ دون الحقائق :

وما تقدم من البيان يعلم القاري انه ليس في الكثاين شي يتقدم . وقد
سمعت اشهر اعضاء الحزب الوطني حاسة واخلاصا يقول انه ليس فيها شي .
يتقدم الاجل انكثرا كافة للدستور لان هذا يعني الحماية ولكننا لانشكل
لاجله في اخلاص المرحوم الشيخ . قلت له كان يصح أن يقال هذا لو كانت هذه
الكفالة من مواد الدستور وكان الدستور مصدقا عليه من الدولة العلية فيكون
حينئذ حقا رسميا لها . وليس فيها كتب شي من ذلك وانما الموضوع ان نسمح
لنا انكثرا بهذا الدستور وتكتفي هي عن القبض على أزمة السلطة فينا بمراقبة
سيرنا على الدستور والنظام المطلوب ولا نسمح للتدوير ان يفره اذاحوا
ذلك . ومعلوم انما لا نسمح لهم الآن بتغيير ما في التشريع ولا مداخله ما في التنفيذ
مع قبضها على كل شي . وعدم جعلها لجة شي . فأبي الامر من أفضل ؟؟

وعلى ذكر رأي عضو الحزب الوطني ان تلك العبارة التي انتقدها من الكثاين لاندعو
الى الشك في اخلاص الكاتب؛ نفيه الى سيئة فاشية فينا هي من اقبح السيئات
واشدّها ضررا في الامة الا وهي اتهام كل من نراه أخطأ في مسألة من المسائل
العامة بسوء النية وعداوة البلاد وبنض الامة وحب الانكليز ومساعدتهم على
ما يقصدون بنا من السوء !! وتفرع عن هذه السيئة سيئة اكبر منها وهي اختراع
بعض الناس الخطأ او تكلفهم استنباطه من كلام من يكرهونه لاجل الصاق تلك
التهمة به .

فشو هذه السيئة مع اختنا اعظم اسباب تفرق الامة وضعفها واقسامها على
نفسها « كما يقولون » لاسباب عديدة توجه الجرائد هذه التهمة الى الجماعات والحزاب
وليت شعري اي قيمة لهذه الامة اذا صح ما ترجف به بعض الجرائد من اتهام

موجب الامة برمته بعدم الاخلاص للامة وبمشايعة المحتلين عليها بعد الارجاف بان ذلك الناجية العظيم «الاتاذ الامام» الذي اعترف بنبوته الشرق والغرب كان غير مخلص للامة اولاميعها؟ بل أي نمرض بالأمر اشد من اثبات ان نابغي المستقبلين بقاؤه ونه وان جهورا كبيرامن سرافالامة يؤلف حزباويفشي جريدة لمقاومة نفوذه؟؟

قد يقول سائل ان الناظر قد ابرز هذه المطالب بأسلوب يظهر منه ما لم يظهر من ترجمة الكتابين على كونه لم يأت بشيء جديد فها كتب المرحوم المتقي كتابيه بهذا الاسلوب الذي يتجلى فيه الاخلاص لمصر والثبات في خدمتها دون ذلك الاسلوب الذي يلوح منه ارضاء الانكليز واسترضائهم ان لم تقل محاباتهم وجوابه من وجوب «احدهما» اننا لم نطلع على ماكتبه المرحوم بنصه فنحكم على اسلوبه «وثانيها» انه لم يكتب ليمتن على قومه بحبه لهم ومقاومته لمحتلي بلادهم ولا ليطهر للانكليز انه ميارزهم وانما كتب لصديق له يسمى في خبر مصر على انه لو كتب للحكومة الانكليزية نفسها لوجب عليه في شرع البلافة ان يحمل تلك الكتابة بأسلوب يبرجى قبوله وعدم اتهام صاحبه بالانداء والمقاومة ولكل مقام مقال

وأى أحد الملوك في النوم ان اسائه سقطت فمعه الرويا معبر بقوله ان جميع اهلك واقاربك يموتون في حال حياتك فاستاء الملك وعاقبه عقابا شديدا . ثم جيء بمعبر آخر قصص عليه الرويا فقال له تأويل هذه الرويا ان الملك يكون اطول اهلك عمرا : فسر الملك واجازه اجازة سنية . فالبلغ مخاطب كل مخاطب بما يرجو ان يبلغ به مراده من نفسه

فن اصحاب الجرائد من يطلب من الانكليز مطالب بصفة الأمر صاحب صاحب السلطان وما مراده الا ارضاء من يقرأ هذه المطالب فيحمد كاتبها ويجهل لانه استعلى علي بريطانيا العظمى فأقال الامة من الاستلاء عليها باقول ماثلوه به اعن الفخر بالاستلاء أو المساواة بالفعل . ولكن لا يخطر في باله الاسلوب الذي يمكن ان يكون مقنعا او مقبولا عند الانكليز لانه لا يريد منهم شيئا

لو كان الاخلاص والغيرة على قدر كبير المطالب وان كانت من المحال ، والتعزز على القوي يشعق بزخرف وان كان غرورا لا يمكن كل كائب ان يكتب كل يوم في اثبات اخلاصه وغيرته وتعززه نحو هذه العبارة : اني آمرك ايها الدولة الانكليزية الظالمة المعتدية بان تردني مصر الي مصر بين قبرص الي الدولة العلية بل ان تردني الهند الي التوابين والرجاوات من اهلها وان تارزي الي جزائرك كما تارز الحية الي حجرها . فان لم تحفظي شرفك وتمثلي هذا الامر فانا نتفق مع بعض أعضاء برلمانك فنؤلف منه لجنة تشاغب المجلس أحيانا في هذه المطالب فتهزه هزا ، وتوزع أزا ، وتهز الشعور الوطني في هذه البلاد هزة تميد لها جزائر برطانيا ميدانا ، وتؤزل ذلزالا ، ربما كان من وراه البلاء النازل ، والخسف العاجل ؟

رأي الاستاذ الامام في السياسة

(أو سياسته)

في مصر افراد من الكتاب يغبون الملو والرقة بالغلو في دعوى حب الامة والتفاني في خدمتها بمقاومة المحتلين بالكلام ومن هو لاء من كبر عليه ماناله الاستاذ الامام من علو المكانة بطله وحكمته وخدمته قلعة ومنهم من يشغل عليه ان يحمله بعد وفاته خلق كثير فهو لاء يريدون ان يخدموا ذلك الصيت الحسن والشهرة الشريفة ليرفعوا انفسهم ويحطوا من قدر جماعة ذلك الامام العظيم ولم يجدوا بابا اوسع من السياسة التي يكثر فيها الابهام وتسهل فيها الدعوى ويقبل على مآذيتها كل طفيلي يطرد عن مائدة العلم والحكمة . وجد بعض هؤلاء في الكتابين منسما لقليل والقال ومشغبة حزب الامة لان رئيسه وكبار المؤسسين له كانوا من اصدقاء الاستاذ الامام والذين لا يزالون يصرون باجلاله وبكونهم انشأوا الجريدة عملا برأيه رأي مناهضو هذا الحزب انه يستفيد مما ذكر ميل مرديني الاستاذ الامام وهم أرفى الامة عقلا وعلماء وبلاغة فتنهم العقلاء والوجهاء والمدرسون والكتاب والشعراء فارادوا ان يخرجوه ليعبروا من الانبياء الي الاستاذ الامام في سياسته

فينفر منهم مريدوه ولكنهم سلكوا مسلك الحقى فخرضوا بالامام نفسه فجاء
سحبهم بنقبض ما ارادوا

وقد كتب بعض الكاتبين سؤال عن حقيقة سياسة الاستاذ الامام يطلب
من مريديه بيانها وهل هي عين سياسة (الجريدة) وحزب الامة وعين ماجاء
في الكتابين الذين نشرها مستر بلنت ام ما هي ؟

ونجيبهم عن ذلك بمثل ما قلناه في المتار غير مرة من انه استقر رأيه في اواخر
عمره على الاصلاح الديني والاجتماعي والفكري فقط وترك السياسة بقية وعندنا كتابة
في ذلك بمحطه لملنا نطبع صورتها الفوتوغرافية في تاريخه عند الكلام على سياسته
وعند ما كان يشغل بالسياسة كانت قاعدة عمله مقاومة الاستبداد وجعل

سلطة الامة في ايديها بحيث لا يبقى لحكامها منفذ للاستبداد فيها
أما الجريدة فهي تنفيذ لفكرته من حيث هي لجماعة من الامة لا لفرد منها
وقد كتبنا في الجزء الثاني من منار هذه السنة (ص ١٦٠) انها تنفيذ لرأيه وزدنا
على ذلك قولنا « وان لم تكن كما كان يريد من كل وجه » فقد كان يريد ان
تكون الجريدة التي دعا في آخر عمره الى انشائها اجتماعية ادبية زراعية اكثر مما
هي سياسية وان يكتب فيها كل يوم عن الاخلاق والمعادن والتقاليد القاشية في
البلاد وان لا يكتب فيها عن سياسة الدول اكثر من عود او عودين في المدد يلخص في
ذلك التابت الذي فيه عبرة وفائدة للجمهور . وسوضح هذا في الكلام عن رأيه في
السياسة والجرائد من جزء الترجمة الذي نولفه ونطبعه الآن فلينظر محبو الحقائق . ولا
مبالاة بأهل الاهواء . ونختم هذه الكلمات بجملة في سياسته كتبها حافظ افندي ابراهيم
الاديب الشهير في كتابه الذي سماه سطوح ونشرتها جريدة السياسة المصورة وهي :

بين سطوح واحل تلاميذ الامام

سطوح - أين أنت من القوم - التلميذ من أولئك الذين تقموا الرضى على العهدين ،
ولم يحمدا منية الحكيم ، عهد الدولة التركية ، وعهد الدولة البريطانية ، ففي أولها
فاضت المظالم وغاضت الاموال ، وفي ثانيهما أخصبت الارض واجدبت الرجال -
سطوح - وهل أنت في خفض من العيش ؟ - التلميذ - لا أشكو بحمد الله

عسراً، ولا أرجو يسراً، وإنما أنفياً ظل هذا البيت العربي، لذلك الشاعر الأبي،
 مذنب الرزق لا فقر ولا جدة حظ لعمرك لم يحرق ولم يكس
 قال - وابن مكانك من العلم، وابن منك منزلة العلم، قال حسبي اني من
 تلاميذ حكيم الاسلام، الاسناذ الامام، طيب الله ثراه، وجعل النعيم مثواه
 قال - اني لأرى رأياً حقيقاً، وأسمع قولاً شريفاً، فمن أي تلاميذه تكون
 وقد سمعنا ائمة فريقان - فريق قد اختصه بسياسة، وفريق قد اختصه بطب،
 وقد أثنى عليهما العميد، وتنبأ لهما بالطالع السعيد، قال - لا علم لي بما تقول .
 ولقد كنت ألصق الناس بالامام أغشى داره، وارد أنهاره، وألقت طمارة، فما سمعته
 ينحرف في ذكر السياسة قبجها الله ولكن كان يملأ علينا المجلس سحراً من آياته
 ويتنقل بنا بين مناطق الافهام، ومنازل الاحلام، ويسمو بأنفسنا الى مراتب العارفين
 بأمرار الخلائق، وحكم الخالق، وكان ربما ساق الحديث الى ذكر أحوال هذا
 المجتمع البشري فأفاض في شؤون الاجتماع وحاج العمران ووقف بنا على أسرار
 الحياة فان كانوا يسمون تلاميذه أحزاباً، ويقسمون تعاليمه أبواباً، فتلاميذه حزب
 العلم والعرفان، وتعاليمه سياسة التقدم والعمران

ولكنه كان يحثك بالسياسة ما دعت الى ذلك الحال فيرصد حركاتها، ويصد
 غاراتها، خشية أن تقطع على العلم سبيله، وان تقف عثرة في طريق الفضيلة، فلنك
 تلطف في ابتزاز قواعده، ونحامي جهده طريق أذاها، حتى اذا ظفر بطلته، وفاز برغبته،
 واستمد منها ما شاء، تحت حاية الاقواء، عطف على العلم بذلك الامداد، ورد عليه
 ما سلبت يد الاستبداد، ولولا أنه كان يمدح حبل الوداد، ويجاذبهم فضل النصيح
 والارشاد، لأصابه ما أصاب حكيم الافغان، وقفى على أمة النيل بالحرمان

مات النبي عليه الصلاة والسلام فازدت طائفة من جفأة العرب وكادوا
 يقتنون الناس لولا حكمة الصديق وعزيمة الفاروق فما غضت الردة من شرف
 النبوة ولا نالت من عصمة الرسالة ولبت الاسلام اسلاماً ومات الاسناذ الامام
 فصياً بعض حربه كما يدعون، واستنفر الله لهم مائة ولون، فما غض ذلك من كرامة
 حكيم الاسلام، ولا مس من سيرة ذلك الامام ، حافظ ابراهيم

﴿ الرجوع الى المنار في شأن الكتاين ﴾

طلب منا كثيرون بالقول والكتابة ان نبين رأينا في الكتاين ففعلنا ونشر الكتاب الآتي إجابة لطلب صاحبه

سيدى المحترم حضرة الفوذعي الفاضل والاساذ الكامل السيد محمد رشيد رضا مدير مجلة المنار الزاهي
دام مجرمًا

سيدى لا يعزب على علميتكم ما أتى على صفحات بعض الجرائد السيارة بخصوص جواب السيّد (بلنت) ورد استاذنا المرحوم المصالح العظيم الشيخ الامام عليه ولا يخفى على ذكائكم الفريد ما نقوله ويتقوله حزب الخرافات واعداء أنفسهم من ان الشيخ الامام كان يبنى نقل الاريكة الخديوية من آل محمد علي وأنه كان يريد أو يفكر في جعل ابناء التاميز مسيطرين على هيئة الحكومة ولا تسأل عن اعداء المرحوم بل اعداء الحق الصراح وما عليه عليهم جهلهم لأن الانسان عدو ما يحبه

وبعد فأرجو سيادتكم باسم المرحوم أن تشهدوا قلمكم الببال في سطاعة الحقيقة لأنكم من أعلم الناس بتاريخ المرحوم حتى يظهر الصريح في حلقه النورانية لدي عيني واستطعفكم بالرضى عن تطفلي على مائدة فضلكم لأن الكل يتفدى من دسامة علمكم المشيع ثم أرجو من فضيلتكم اثبات سوء الي هذا على صفحات مجلتكم الفيحاء وليعلم اعداء المرحوم أن في يدنا أقلاماً لنصر الحق لا تخشى في الحق لومة لائم وفي الختام اقبلوا أركى الاحترام السيد محمد الزيات

(المنار) إن المشاغبين في الكتاين من سوء النية وأتباع الهوى ما لا يخفى وهم لا بضاعة لهم الا التخريب في مثال ما ذكرتم . وإلا فهم يملكون ان الدولة الانكليزية مسيطرة على الحكومة المصرية بالواقع ونفس الامر وأنه لا مراض لها ولا منازع في هذه السيطرة كما يملكون انهم كاذبون في تقولهم وتقدم بيان الحقيقة ثم ان هؤلاء المخادعين يبيحون لأنفسهم ان يطلبوا من الانكليز باسم نصر بعض المطالب ويمنون بذلك على الامة ويفخرون بأنهم فعلوا وفعلوا ولم

يفعلوا شيئاً وإنما قالوا كلاماً يستطيع ان يقول مثله الأولف . ثم هم ينكرون على من يطلب لمصر شيئاً مما يطلبون وان كان خيراً مما يطلبون وأقرب الى القبول وذلك لانهم احتكروا الزعامة وخدمة الامة بالدعوى

فاذا كانت المطالب التي في الكتابين لا ترضيهم فلننظر منهم حتى يمنحوا مصر بمساعدتهم ما هو خير منها سواء كان ذلك بواسطة اللجنة البرلمانية التي لم نسمع منها الا كلمات في الهواء أو بواسطة التبجح والدعوى والاستطالة والتهديد والوعيد للانكليز . عند ذلك نقول لهم ان قولكم كان أنفع وانتم زعماء السياسة، واهل الرئاسة ، والمستقبل يكشف الحقائق لمن له عين تنظر ، وعقل يدرك ،

على ان جماعة الاستاذ الامام من اصدقائه ومريديه معجودون في خدمتهم على طريقتهم فمنهم محبي المعارف في الحكومة ومنهم دعاة الجامعة المصرية ومنهم المدرسون على الطريقة الاصلاحية ومنهم ومنهم ولا تبجح ولا دعوى ، ولا من ولا أذى ،
والعاقبة للمتقين



— نهي الصحابة ورغبتهم عن الرواية —

روى ابن عساكر عن محمد بن اسحاق قال أخبرني صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن ابيه قال قال والله امامات عمر بن الخطاب حتى يثبث الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فجمعهم من الآفاق - عبد الله بن حذيفة وابا الفرداء وابا ذر وعقبة بن عامر - فقال : ماهذه الاحاديث التي انشتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآفاق ؟ قالوا « تنهانا » قال اقيموا عندي لا والله لا تغارقوني ماعشت فتحن أعلم نأخذ منكم ونرد عليكم : فما فارقه حتى مات وروى ايضا عن السائب بن يزيد قال سمعت عمر بن الخطاب يقول لا يي هريرة : لتترك الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لألحقنك بأرض دوس : وقال لكعب (الاحبار) لتترك الحديث أو لألحقنك بأرض القردة : وروى عن ابي أوفى قال كنا اذا اتينا زهد بن ارقم فنقول حدثنا عن رسول الله (ص) فيقول كبرنا ونسينا والحديث عن رسول الله (ص) شديد

وروى عن عبيد الله بن عدي بن الحنبار قال بلغني حديث عن علي خفت ان أصاب أن أجده (١) عند غيره فرحلت حتى قدمت عليه العراق فسأله عن الحديث فحدثني وأخذ علي عهداً أن لا أخبر به أحداً ولو ددت لولم يفعل فأحدثكموه وروى عن عمرو بن دينار قال حدثني بعض ولد صهيب أنهم قالوا لا ييم ماك لا نحدثنا كما يحدث أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال اما اني قد سمعت كما سمعوا ولكني يمنعني من الحديث عنه اني سمعته يقول « من كذب علي متعمداً فلينبأ مقعده من النار » ولكني سأحدثكم بحديث حفظه قايي ورواه سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول « أيما رجل تزوج امرأة ومن نيته أن يذهب بصداقها لتي الله فهو زان حتى يموت وأيما رجل بايع رجلاً بيمينه

(١) كذا في كنز العمال ولعل الاصل : إن أصيب أن لا أجده : الخ

ومن ثبته أن يذهب بعنه فهو خائن حتى يموت « ورواه غيره والحديثان المرفوعان فيه مشهوران . وصهيب من السابقين الأولين رضي الله عنه

وروى احمد وأبو يعلى (وصحح) عن عثمان قال ما يعني أن أحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أكون أوعى اصحابه عنه ولكنني أشهداني سمعته يقول « من قال علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار »

وروى ابن سعد وابن عساکر عن محمود بن لبيد قال سمعت عثمان بن عفان على المنبر يقول : لا يهل لاحد يروي حديثاً لم يسمع به في عهد أبي بكر ولا عهد عمر فإني لم يعني أن أحدث عن رسول الله (ص) أن لا أكون أوعى اصحابه الا اني سمعته يقول « من قال علي ما لم أقل فقد تبوأ مقعده من النار

وروى احمد والدارمي وابن ماجه وآخرون من حديث أبي قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « يا أيها الناس إياكم وكثرة الحديث عني فني قال عني فلا يقولون الا حقاً وصدقاً فن قال علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار » وقد روي عن بعض الصحابة الاخذار بهذا الحديث المتواتر عن التحديث او كثرة وقد فتح الحافظ ابن عبد البر باباً في كتاب (جامع بيان العلم) لبحث ذم الاكثار من الحديث وقيد بقله دون التهم له والحقه فيه قال (كلني مختصرة) :

« عن الشعبي عن قرظة (١) بن كعب قال خرجنا فشيئنا عمر الى صرار (٢) ثم دعاء ففوضاً ثم قال لنا ائذرون لم خرجت معكم ؟ قلنا اردت أن نشيئنا وتكرماً . قال « إن مع ذلك لحاجة خرجت لها : انكم تأتون بلدة لا علمها دوي بالقرآن كدوي النحل فلا تمسك بالاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا شريككم » قال قرظة فما حدثت بعده حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعنه ايضاً قال قال لنا « ألقوا الرواية عن رسول الله (ص) وانا شريككم » وفي رواية عن قرظة ايضاً قال خرجنا زهد العراق فشيئنا معاً الى صرار ففوضاً ففلس اثنتين ثم قال ائذرون لما مشيت معكم ؟ قالوا نعم نحن اصحاب رسول الله (ص) مشيت معنا « لتكرماً » فقال « انكم تأتون أهل قرية لها دوي

(١) قرظة بالتحريك يوزن (خشبة) (٢) صرار بالكسر موضع قرب المدينة

بالقرآن كدوي التحل فلا تصدوم بالأحاديث لتفغولم جودوا القرآن وأقوا
الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم امضوا وانا شريككم « فلما قدم قرظة
قالوا حدثنا : قال نهانا عمر بن الخطاب

« وعن عروة بن الزبير عن عائشة قالت ألا يسببك أبو هريرة جاء فجلس
الى جانب حجرتي يحدث عن رسول الله (ص) يسمني وكنت أسبح (تعني
انها تصلي) فقام قبل ان أقضي نسيحي ولو أدركته لرددت عليه ان رسول الله
(ص) لم يكن يسرد الحديث كسر دكم

« وعن ابي الطفيل قال سمعت عليا على المنبر يقول : أمحبون أن يكذب الله
ورسوله لا تمحدثون الناس الا بما يملون

« وعن ابي هريرة أنه كان يقول حفظت عن رسول الله (ص) وعائش فأما
أحدهما فبثته وأما الآخر فلو بثته لقطعتم هذا العلوم (والعلوم الحلقوم) وعنه أنه
قال لقد حدثتكم بأحاديث لو حدثت بها من عمر بن الخطاب لضر بني عمر بالقرظة اه
أقول فلو طال عمر عمر حتى مات أبو هريرة في عصره لما وصلت اليها تلك
الأحاديث الكثيرة عنه ومنها ٤٤٦ حديثاً في البخاري ما عدا المكرر

وقد ذكر ابن عبد البر النهي عمر وهو امير المؤمنين عن التحديث تأويلات
(منها) أنه « إنما كان قوم لم يكونوا أحصوا القرآن فخشى عليهم الاشتغال بغيره
عنه اذ هو الاصل لكل علم « وأقول ان ما رواه في ذلك عن قرظة يتاني ذلك
فقد نهام عن تحديث قوم يحفظون القرآن يفتأون يتلونه لأصواتهم به دوي
كدوي التحل . ولو أراد نهياً مقيداً بهذا القيد لقال لا تمحدثوا الا من حفظ
القرآن . وقد عزا هذا القول لأبي عبيد قال « وقال غيره إنما نهي عمر عن
الحديث عما لا يفيد حكماً ولا سنة « وهذا أضغف مما قبله وقد عزا الى مجهول
وماذا يعني قائله بالحديث الذي لا يفيد حكماً ولا سنة ؟ أمهي الأحاديث عن
شأنه (ص) واخلاقه ؟ كيف وهي انفع من أحاديث الاحكام الفقهية ؟

ثم ذكر ان بعضهم رد حديث قرظة هذا لأن الآثار الثابتة عن عمر خلافة
وذكر من هذه الآثار أمر عمر أن يبلغ عنه أن الرجم مما أنزله الله على نبيه في

الكتاب . أقول وهذا الأثر لا يصلح دليلاً لأنه إنما نهى عن اشتغال الناس بالحديث عن الكتاب الذي هو أصل الدين . فإذا ادعى مدح أن عمر ما كان يريد أن يجعل الحديث أصلاً من أصول الدين يمكنه أن يقول أن حكم الرجم في رأيه من أحكام القرآن لا من أحكام الحديث غاية أن آيته نسخت تلاوتها فلا أمر بتليغها أمر بتليغ حكم قرآني فلا يعارض النهي عن التحديث

ثم ذكر وجهاً آخر لرد حديث قرظة وهو معارضة الكتاب والسنن له كقوله تعالى (٢١:٣٣) لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة (وقوله ٧:٥٩ وما آتاكم الرسول فخذوه) وقوله (٥٢:٤٢) وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم (قال ولا سبيل إلى اتباعه والتأسي به إلا بالخبر عنه .

وقد يجاب عن هذا بأن صراطه المستقيم هو القرآن والسياق يبين ذلك، وأن من يعمل بالقرآن يكون متأسياً به لحديث عائشة في صحيح مسلم وغيره « كان خلقه القرآن » وأن سنته التي يجب أن تكون أصل القدوة هي ما كان عليه وهو خاصة أصحابه عملاً وسيرة فلا تتوقف على الأحاديث القولية . وأما الأمر بأخذهم ما يعطيهم الرسول فهو في قصة النبي ونحوه ما في معناه والحديث الذي نحن بصدده لا يعارض ذلك

وذكر من أمثلة معارضته السنن حديث « نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها ثم أداها إلى من لم يسمها » بناء على جملهم الأحاديث القولية من السنن وهو اصطلاح العلماء توسعوا فيه بمعنى السنة فجعلوها أعم مما كان يريد الصحابة من هذا اللفظ (السنة) وهي الطريقة التبعية التي يجري عليها العمل . والحديث يصلح معارضاً للنهي عن التحديث وبينهما يطلب الترجيح . ويقول ابن عبد البر أن عمر كان يريد النهي عن الإكثار لا عن أصل التحديث وهو كما ترى وإن الأخذ بالمرفوع مقدم . أقول وهما شيء آخر وهو إقرار الصحابة لعمر على نهيه وقد يعارضه أنهم حدثوا فلم ينهوا وقد مر بك أن أبا هريرة كان يحدث بعده فكان اجتهادهم اختلف في المسألة

ومما ذكره ابن عبد البر عن عمر في معارضة حديث النبي قوله « تعلموا الفرائض والسنة كما تعلمون القرآن » فسوى بينهما وعن مودق العجلي عنه قال كتب عمر « تعلموا السنة

والفرائض والحن كاتملون القرآن» . والجواب عن هذا يعلم بما قبله وهو ان تعلم السنة غير التحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فان السنة سيرته (ص) وتعرف من الصحابة بالعمل وبالاخبار كنعنو « من السنة كذا » كما كانوا يقولون والتحديث عنه نقل كلامه كما هو المتبادر وان اصطلاح المحدثون بعد ذلك على تسمية كل كلام فيه ذكر النبي صلى الله عليه وسلم حديثا وستة . ومنه تسمية ابن عبد البر نفسه لرواية قرظة التي هي موضوع بحثنا حديثا . وفسر الحن في أثر عمر عن مورك قال « قالوا الحن معرفة وجوه الكلام وتصرفه والحجة به » .

ثم قال وعمر أيضا هو القائل « خير المهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم » وهو القائل : سيأتي قوم يجادلونكم بشبه القرآن فخذوم بالسنن فان أصحاب السنن أعلم بكتاب الله عز وجل . وأقول ان هديه (ص) ليس موضع اشتباه وأما سننه فلأريد بها أقواله لكان فيها من الشبهات ما في القرآن او أكثر لان القرآن أعلى يانا وقد نقل بالحرف والحديث كثيرا ما نقل بالمعنى . فالسنة لا يراد بها الاسيرة والطريقة المبتعة عنه صلى الله عليه وسلم بالعمل والعمل لا تنعزض فيه الشبهات فلذلك أمر بالاحتجاج عليهم بالسنن . ومثل هذا أمر علي لابن عباس لما بعثه للاحتجاج على الخوارج قال « لأخصمهم بالقرآن فان القرآن حال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن حاجهم بالسنة فانهم لن يجدوا عنها محيصا » اهـ من تهج البلاغة

ومن العجائب ان يبغي بعض المحدثين احيانا عن الفرق بين السنة والحديث في عرف الصحابة الموافقة لاصل اللغة فيحملوا السنة على اصطلاحهم الذي احدثوه بعد ذلك وليس لنا أن نلوم بعد هذا ذلك العالم الفرنسي المستشرق الذي قال لي مرة ان الصحابة كانوا يقدمون الاحاديث على القرآن وذكرك لي قول علي لابن عباس فقلت له انه لا يعني بالسنة الاحاديث فانها ذات وجوه فتمثل تأويل المجادلين كالقرآن وانما هي الطريقة المبتعة بالعمل . مثال ذلك احتجاج علي على معاوية وأصحابه بحديث عمار « قلله الفئة الباغية » فقد أوله عمرو بن العاص فقال : انما قلله من أخرجه : يعني عليا ولكن لاسبيل الى تأويل كيفية الصلاة وعددها وكيفية الحج

لأنها ناتجة بالسنة . ولا يخفى أن السنة بهذا المعنى تشمل ما هو مفروض وما هو مندوب وما هو مستحب كما مر جوابه

هذا وإن البحث كبير ولا سبيل إلى تحريره واستيفاء فروعه في هذا الجزء فنكتفي بما تقدم في الوفاء بما وعدنا به في الجزء الماضي

وليعلم القاري أن هذا البحث الأصولي يعمرل عن مسألة اعتداء المسلم بما يصح عنده من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم تلك الأقوال هي ينابيع الحكم ومصايح الظلم ، وجوامع الكلم ، ومنخر للامة على جميع الامم ، بل ان في الاحاديث التي لم تصح اسانيدھا من البدع ، والحكم الروثع ، والكلم الجوامع ، ما تنقصر عن مثله أعناق العلماء ، وتكبو في غاياته قوسان الحكاء ، ولا تبلغ بعض مداه قرائح البلغاء ، ولا غرو فان من الاحاديث ما صحت متونه ولم تصح اسانيدھ ، كما ان منها ما أشكلت متونه وان سلم من الطعن رواته ، وأني نعتبرنا بعض ما عندنا من الاسانيد لا أقوال - ككأنهم ، أو اكذب أنبيائهم ، فمن يسهل علينا من التمهيص والتحقيق ما لا يسهل على غيرنا ، فليتدبر المتدبرون ، وليعمل العاملون ،



حياة اللغة العربية

مختار ومبحث الترجمة والتعريب • ونادي دار العلوم

لكل لغة مقومات ومشتخصات تمتاز بها على غيرها من اللغات كما تمتاز أنواع الجنس وأشخاص النوع • وحياة كل لغة تكون بإداء وظيفتها مع حفظ مقوماتها ومشتخصاتها • ووظيفة اللغة محصورة في شي واحد هو تمثيل أهلها بها عما يعلمون مما اتسمت دائرة معارفهم وعلومهم • وقد كان لغة العربية حياة أدبية في عصر الجاهلية ثم ظهر بها الاسلام فجدد لها حياة أخرى أعلى عما كانت فيه إذ جدد لها ديناً وشرعاً وسياسة ومدنية قامت علوم لغوية وعقلية وصناعية فوسمت اللغة ذلك كله مع حفظ مقوماتها ومشتخصاتها في المفردات والأساليب

ان ما يتجدد للناس من المعلومات يحشم واكتشافهم وبما ينقل اليهم عن غيرهم يظهر في لغتهم بضروب من المظاهر فمنها ارتجال الاسماء ومنها الاشتقاق ومنها الترجمة ومنها التجوز ومنها التحويل للتخيل من الاسماء الاجنبية وإدخالها في لغتهم وجملة منها مع تركه على حاله أو مع ضرب من التعريف فيه يكون به مناسباً وملائماً لكتابتها في أوزانها ونحاجها وهو ما يسمى عندنا بالتعريب • وكل ذلك من مقتضى حياة اللغة فهو يحصل في اللغة الحية بلا تكلف كما يأكل كل من الانسان الأبيض والأسود أو الأصفر الشيء المختص بأرض الآخر فيتنفخ به بدنه ويبقى هو مع ذلك على لونه ومشتخصاته لا يمرض له تغير

ضعفت حياة اللغة العربية منذ بضعة قرون بعد أن صارت قسمين عامية وخاصة، فأما الخاصة وهي لغة العلم والكتابة فصارت متكلفة وخرجت عن كونها ملكة راسخة • وأما العامية وهي لا تكون الا ملكة حية في اللسان فصارت قاصرة على ما يصل اليه علم الاميين ومن في حكمهم من المتعلمين • وصار المشتغلون بالعلم والكتابة ضمافاً في ملكتها بقدر مزاولتهم للخاصة التي لم تصر ملكة لهم • فإذا عرض للعوام شيء جديد من المسميات بادروا الى تسميته بلا تكلف كما هو شأن أهل الملكة

في كل لغة فترى المشتغلين منهم بالطباعة (مثلاً) يسمون كل أداة من ادواتها الاعجمية باسم منه العربي ومنه العجمي ومنه المغرب (وسنين ذلك بعد) ولكن الخواص واعني بهم المشتغلين بالعلوم العربية فانهم يحارون فيما يعرض لهم من ذلك اذ ليس لهم ملكة العامية كالعوام الآن ولا ملكة الخاصية التي كانت لنا قلي علوم اليونان سكت هؤلاء الخواص على هذا النقص زمناً وبحث بعضهم فيه أبحاثاً لم يكن فيها غناء . وقد أنشأ في هذا العام جمهور من المتخرجين في مدرسة دار العلوم — وأكثرهم معلمون عربية في مدارس الحكومة — ناديا لهم رأوا أن يكون من فوائد اجتماعهم فيه خدمة اللغة العربية بأكثر مما يخدمونها به في المدارس . وقد رأوا أن يكون أول عمل يقومون به البحث في هذه المسائل واننا نورد لهم خطابين في مسألة أسماء الاجناس الأعجمية التي براد ادخالها في اللغة العربية هل تتركب تعريباً أم تؤخذ بالترجمة والوضع الجديد؛ وقد عرف رأينا في ذلك مما تقدم وسنزيده بياناً بعد ايراد الخطابين

خطاب الشيخ محمد الحضري المدرس

(بمدرسة القضاء الشرعي)

أيها السادة

يتبيننا التاريخ ان اللغة العربية كانت لآخر القرن الثاني عشر قد وصلت الى متعحي الضعة وكادت تصبح أثراً دارساً ولولا رجلاان فكرا في احياها ووجدا من خبرة الاعوان من كان شامرا بالاخلاص والجهد لكننا اليوم على ما كان عليه سلفنا في أواخر ذلك العهد

أما أولها فمحمد علي باشا مؤسس الاسرة الخديوية زادها الله تشریفاً وتكرماً فإنه وجد المرحوم رفاة باشا وتلاميذه بعد ان زج بهم في مضار الحياة فساروا شوطاً بعيداً ووضعوا الحجر الاول في نهضة القصة كتبوا وترجموا شيئاً كثيراً أبقتنا لانا أيام دليلاً على اخلاصهم ثم على مقدورهم واستعدادهم لم يتركوا فنا من الفنون التي كنا مستضعفين فيها الا كتبوا فيه ترجمة أو من عند أنفسهم .

وأما الثاني فهو صاحب الدولة المخلص في خدمة بلاده مصطفى رياض باشا
وجده الاستاذ المرحوم الشيخ محمد عبده وتلاميذه ورجال العزيمة من نابغي
السوربين قداموا بالنهضة الثانية. عهد الى المرحوم اصلاح الوقف المصرية والاشراف
على مايكتبه أرباب الدواوين في محاوراتهم فكان ذلك منها لهم أن يمتوا
باصلاح مايكتبون وتعلم مايحبون. ومن أكبر مساعد تلك النهضة الجرائد العربية
على اختلاف مذاهبها ومشاربها فهي التي رفعت من قدرها وساعدت على رقيها
بما كان يناله أصحابها من الهمة في اختيار اللفظ والاسلوب سواء في ذلك
فاضلهم ومفضولهم .

إذا دبت الحياة في جسم فانما لا تنف عند غاية فان صاحبها دائما يرجو
الكمال وهو أبدا بعيد من الانظار كذلك نحن الآن فانما في بدء نهضة نالتة يأخذ
ييدها ويشد ازدها ذو السعادة الوزير المخلص سعد زغلول باشا ناظر المعارف
المصرية في عهد مولانا وسيدنا أمير مصر عباس باشا حلى الثاني فهو مؤيد
النهضة الثالثة كما كان جده مؤيد النهضة الاولى

تلك النهضة أن تكون اللغة العربية لغة تعليم وتعلم وكتابة وتكلم ينبت فيها
الصغير ولا يحل يوزنها الكبير والاعوان اليوم أثمر منهم أسس فان البذور التي
غرست قد أثمرت في كثير من الانفس الطيبة فصارت من أنفسها تطلب الفايات
وترقب الكمال والموتة من مثل هؤلاء أعظم

هذا المطلوب أيها السادة عزيز المنال وعمر المسلك فلا بد للوصول اليه من
عزيمة صادقة يقودها العقل الصحيح لتبينة الطريق حتى لا تلتوي علينا المقاصد
فقط أنفنا سائرين للامام ونحن خلف واجبون . ننظر أمامنا فنجده عقبات
كثيرة لا بد ان تقدرها قدرها حتى يمكننا تذليلها عقبات كثيرة ليست في معرض
احصائها الآن لاني أقتصر على عقبة واحدة جعلت مجال البحث بين أيديكم

يبنتا محذرات كثيرة نصل بلادنا على أيدي المتحررين الذين قدروا بمجد
ان ينتفضوا من كل ما خلقه الله سبحانه للانسان ولم يكن آباءنا قد عرفوها حتى

يعود لها عدة من الاسماء المينة لمساها فقف امامها مبهوتين لا فدرى كيف
 لعبو عنها فذا كتبنا وقف بنا القلم عندها حائراً قننا من يكسب اللفظ الذي وضعه
 المتخوع ويحيطه بقوسين علامة على أنه ليس من لغتنا أو بمباراة أوضح علامة على
 نقص اللغة ونفورها من كل جديد ومنا من يخال ذلك فيؤدى المعنى بكلمة
 وضما العرب بأزاء مسمى آخر وما يحمده الكاتب محمد مثله التكم

لا يفتق الناس على شيء يقبونه وهذا نقص عظيم يجب أن نتلافاه وأن
 نتفق على ما نستعمله ذلك وضعنا موضع البحث هذا السؤال: ما هي الطريقة
 المثلى لدلالة على المحدثات؟ أتمر يب ألفاظها التي يضمها لها محدثوها وصقلها حتى تكون
 موافقة لهجات العرب أم التوسع في بعض الالفاظ العربية ووضعه بأزائها .
 وقبل الافصاح يرأى في هذه المسئلة أين لحضرائكم كيف كانت العرب
 المتقدمون يفعلون اذا عرض عليهم شيء محدث من طريق غيرهم

ولا أريد أن أتوسع في البحث الى ما وراء أسماء الاجناس فان اللغة العربية
 عندها من الثروة في الاسماء الدالة على المعاني ما لا تحتاج معه الى استعارة من
 غيرها أما أسماء الاجناس فانها بالضرورة تنجدد بمحدث مسمياتها والعرب كما
 نطون كانوا قراء جداً من هذه المواد فانهم أهل بادية وحاجات المتبدى قليلة
 اذ ليس امامهم الا سعادته وأرضه وبهمه وسلاحه ووجدانه فمن المعقول أن يفتن
 في وضع ما يدل على أجزاء ذلك من الاسماء. أما ادوات الحياة مما تخرجه الصناعة
 وتبدعه الفكرة فهو منها بعيد وقلما يلقى بأديهم شيئاً منها عن بلاد أخرى لانهم
 اقطعوا عن الامم أو كادوا

فاما الحاضر ون منهم وم سكان ريف العراق ومشارف الشام واليمن فقد
 كان لهم من جوار الفرس والروم ما جعلهم يثقلون كثيراً من الاداة فتسوقهم حاج
 التعبير والابانة صفاتي النفس الى ان يكون ذلك الشيء الذي استعملوه لفظاً يعبر
 عنه والمعقول في اختيار اللفظ للمعنى ثلاث طرق

الاول الوضع الجديد وهذا لا مجال للكلام فيه لان الاقدمين ما عولوا عليه
 وليس يفتنا من يقول به على ما أعلن وسبب هذا فيما أعلم ان أحرف اللغة العربية

قد شغلنا الاوضاع قليلا فركب ثلاثة أحرف الاوجدنا مجوعها قد وضع واستعمل
الهمم الاحرفا ثلاثا استنقل العرب جميعها سيفي كلمة واحدة ومثل الثلاثة
الاربعة والخمسة

الثاني التوسع في الاستعمال وهو المراد بالتجاوز بأن يكون اللفظ قد وضع
بإزاء مسمى ولما نسبة بين المسمى القديم والجديد يستعمل ذلك اللفظ في المعنى
الجديد ككلمة تأمور فانها في أصل اللغة القلب لأنه وعاء الدم ثم توسعوا فيها
فجعلوها لكل وعاء فاذا جاءهم أي وعاء على أي شكل استعمالوا فيه لفظ تأمور
ولا يأخذون عن غيرهم شيئا حتى يتركوا كلمة ابريق التي وضعها صانع لتدل على
شكله الخاص به ويبحثون في كلماتهم القديمة عن لفظ قديم يدل على ما يشبه
الدينار والدرهم فيستعملونه فيها ولا يأخذونها

الطريق الثالث التعريب وهو انه يأخذ من المخترع لشيء المسمى واسمه
بعد ان يصقلوه بالستهم حتى يكون خفيا عليها مناسباً لهجتها وهذا هو الطريق
المعقول الذي اتبعه العرب وكل أمة من امم العالم

مضى على الامة العربية زمن طويل قبل الاسلام وهي تناول الالفاظ
الذاتة على الاجتناس من واضعها وتلقاها بلغتها من غير ان يقف في طريقها معارض
أخذوا الدينار والدرهم وألقوها بأبنيتهم واشتقوا منهما فقالوا فرس
مدنرأي فيه نقط كالدينار وقالوا دنروجه أي تلاً ودينار مدنرأي مضروب
ودنر فلان كثر دناريه وقالوا رجل مدرهم كثير الدراهم ودرهمت الخبازي
صار ورقها كالدراهم وأخذوا اللجام واشتقوا فقالوا ألجم وملجم ولجهم ونجموزوا
في استعماله فقالوا: التي ملجم؛ لأنه يقيد اللسان ويكفه كما يفضل اللجام بالذابة

أخذوا من الصناعات الاستبرق والسندس والاساور والابريق والطلست والخوان
والطبق والحز والدجاج والسندس والهندسة والمهندس وأخذوا من النباتات
الزرجس والبنفسج والفسرين والسوسن والياسمين والجلنار والزنجبيل والقرفة
والفلفل والكراويا والعنبر والكافور والصندل الى غير ذلك مما أحصاه نقلة اللغة
وكانت قاعدتهم في التعريب على جهتين «الجهة الاولى» أن يلحقوا الكلمة

بأنيتهم ومتى صارت الكلمة كذلك عدت من اللغة وحكم عليها بما حكم على بقية الكلام فيشتقون منها وكانوا يبدلون حرفا مكان حرف لتقارب مخرجهما كما فعلوا في الجام وكان أصله لغام بالعين والجيم والفتن متقاربان مع سهولة الجيم وإذا كان الحرف بين كاف وجيم جعلوها جيا لتقربها منها ولم يكن بد من ابدالها لان ذلك الحرف ليس من كلامهم فقالوا جر بز وآجر وجورب وربما جعلوها قافا لانها قريبة أيضا فقالوا قربز ويبدلون مكان آخر الحرف الذي لا يثبت في كلامهم الجيم فقالوا كوسج وساذج وأصل ذلك كوسه وساده كما نطق به نحن الآن ويبدلون مكان الحرف الذي بين الفاء والباء الفاء فقالوا الفرند والفندق وربما جعلوها باء فقالوا برند فالبدل مطرد في كل حرف ليس من حروفهم يبدل منه ما قرب منه من الحروف الاعجمية

والجهة الثانية ان يبقوا الكلمة على وزنها عند الامة ذات الشأن في وضعها كما فعلوا في الابريسم والاهليج وكما فعلوا في كشير من الاعلام وقصدم من ذلك الا يبقى هالك كبير فرق في النطق بين القفطين الاصل والاعجمي وثنيه العربي حتى يكون الفهم والافهام الهم الامادعت اليه ضرورة الذي في النطق جاء القرآن الكريم وهو البالغ من الفصاحة مبلغ الاعجاز ووصفه الله سبحانه بأنه لسان عربي مبين فاستعمل كثيرا من الالفاظ التي عربتها العرب وهذا اقرار من الله سبحانه على طريقة التعريب

استعمل القسطاس والاستبرق والفردوس والمسك والكافور والزنجبيل والسندس والابريق والمشكاة واليم والطور وما شاكلها وقد الف فيها عرب واستعمله القرآن من الالفاظ استاذنا الحافظ القفوي الشيخ حمزة فتح الله كتابا جمع فيه من ذلك كثيرا . وقد نقل عن ابن عباس ترجمان القرآن وكثير من التابعين وأهل العلم والفقهاء ان هذه الالفاظ من لغات النجم سقعت الى العرب فاعربت بالسنها وحولتها عن الفاظ النجم الى ألفاظها فصارت عربية ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الكلمات بكلمات العرب وهذا الذي جعل لبعض أهل العربية ان يقول ان القرآن خلو من كلام غير العرب لان ملخصيته العرب من

الكلمات بعد تعريبه صار عربياً ميبناً وألحق بأحرف الالف فلا حرج في استعماله بعد
وما أزيدكم به يافاً أيها السادة ان بعض الالفاظ التي عربها العرب موضوعة
لأشياء تشابه ماله اسم عربي ولكنهم اختاروا الاسم الاعجمي لدلالته على شكل
خاص لا يسمى كأخذوا كلمة يريق وعندهم التامور وأخذوا كلمة البط وعندهم الاوز
والصغار والكبار وأخذوا الهاون وعندهم المهراس والمنحاز وأخذوا الطاجن وعندهم
المقل والميزاب وعندهم المثعب وهو مسير الماء في الوادي والسكرجة وعندهم الثنوة
والمسك وعندهم المشوم والجاسوس وعندهم التاطس والاترج وعندهم المسك
وذلك لأسباب قوية منها ان اللفظ الذي عندهم عام واللفظ الجديد خاص
فتكون دلالة ما عندهم على المعنى ضعيفة

هذا هديهم قبل الاسلام — أما بعد الاسلام فإن العرب حيناً جدوا في العلوم
وأرادوا أن تكون اللغة العربية لغة علم كما هي لغة قوم ولغة دين ترجعوا إليها
كتب العلم التي وصلت إليهم من أمم الروم والفرس وأبعموا تلك الطريقة نفسها
فكانوا يأخذون الاجناس كما هي ويستعملونها في كتبهم وينطقون بها كأنها من
لغتهم ووجدن هذا شيء كثير خصوصاً في الطب والحكمة والهندسة ولم يلتفتوا
الى الرأي الذي يقول بالرجوع الى الوراثة واستعمال الالفاظ التي أمانها الزمن
لعدم صلاحيتها للاستعمال أو المستعملة في معان أخرى

والفقهاء أنفسهم لم يجمعوا عن أخذ الالفاظ من غير اللغة العربية وتعريبها
يلزم من اتباع رأي التجوز مضار أهمها ان اللغة وضعت لتدل على ما في النفس
حتى يفهم السامع تمام ما تريد واشتراك الالفاظ في المعاني مما يخل بأصل المقصود
والتجوز لابد فيه من اعادة القرائن على ارادة ما استعمل اللفظ فيه وهذا وذلك
كثيراً ما وقفنا حيارى في فهم المراد من بعض الالفاظ فلم نريد بعد ذلك أن
نضيف الى آلامنا

يقولون ان الحق في التعريب انما كان لامة سلفت وبادت فلم يبق لها من
أثر وإن ما كان يباح للاعراب في بواقيهم على قلة حاجهم لا يباح مثله لنا في
القرن المتأخرة على كثرة الحاج وهذا كله بنوه على قاعدة لا أساس لها وهي

تشبيه اللغة بالدين في التمام فكما ان الله سبحانه أتم دينه الذي أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم فكذلك العرب قد آتت وضع لغتها ولم يبق من بدم من يحق له ان يضيف اليها كلمة جديدة كما أنه ليس لمسلم ان يضيف على دينه حكما جديدا

لكن الفرق بين الامرين ظاهر فان الذين وضع آلهي شرعه من له حق التشريع والالزام وهو الله سبحانه وأتم وضعه على قواعد راسخة وأساس ثابتة فلم يبق لاحد مجال أن يزيد على هذه القواعد أو ينقص منها أما اللغة فالمقصود منها الابانة والافصاح وهي من وضع الافراد تتجدد بتجدد الحاجات وليس من قصدي أن ابحت الآن في أمور اللغات أي توفيقية أم وضعية فان ذلك مما فرغ منه العلماء وانتهى بهم البحث الى الرأي الثاني حتى أن كثيرا من أصحاب الرأي الاول قالوا ان المراد بما وضع أولا هو الكلمات التي تدل على مثل السماء والارض والهواء مما هو موجود منذ وجد الانسان أما ادعاء ان الالفاظ الدالة على المخترعات والمحدثات مما عليه الانسان الاول آدم صلوات الله عليه فهو مكابرة للحسوس

ومنى ثبت انها تتجدد بتجدد الحاجة فاللغتناج من المتسكنين بها متى علم أصولها ولهجتها له حق التعريب بالضرورة كما كان هذا الحق لسلفه ولا أدري ما الفرق بين من علم اللغة تلقينا من أبيه وأمه وبين من علمها من معلم فبهما واعتادها بعد ذلك في كلامه وكتابتها حتى صارت له ملكة يمكنه أن يقف ساعة فينظم بها من غير ان يحيد عن طريقها ويكتب كتابا صحيحا يقرأ في ساعات أو أيام

ان اخواني الذين يخالفوني في الرأي ويقولون بالتوسع في استعمال المفردات لا ينجون من تغير الاوضاع والدلالات العربية فهم لا شك يتفقون معي في أن حق التغير للحاجة ثابت لنا ومعنى اتفقنا على نيل هذا الحق لم يبق الا التحير بين سهل وأسهل ومفيد وتام الافادة ولا مراد في أن اللفظ الذي وضعه واضعه للدلالة على شيء اخره أسهل في الدلالة وأتم في الافادة لانه وضع بأزائه تماما كما وضع

لفظ الا يرق بازاء تلك الاداة التي نرفها بخلاف الكلمة التي تصيدها من موات
الغة فانها اما أن تكون موضوعة لشيء هو أهم فنخصصها ويلمنا ايجاد القرينة
للدلالة على ما نريد فتحناج الى لفظ وقرينة واما أن تكون مستعملة في شيء فيه
مجرد مشابهة كما بين الانوميل والسيارة فنحتاج لاستعمال لفظ واحد للدلالة على
معنيين أو معان كثيرة فالسيارة استعملت للدلالة على معنى هو القافلة أو الركب
فاذا قلت جاءت سيارة هل يفهمني المخاطب بمجرد لفظي؟ أظن لا بل لابد مع
ذلك من كلمة أخرى مبينة للمراد

لا أدري ما المانع من أن يدخل في اللغة الترام و يقال أترم ومتروم كما قالوا الجام
والجهم وملجم. إن الكلمة التي تريد اصطليادها قد وضعا واضحا بالضرورة لتدل
على معنى خاص فاذا نحن أخذناها واستعملناها في شيء جديد لم تكن قد جرينا
على لغة العرب لاننا خالفنا أوضاعهم ومقامهم فهم وضعوا بشكى وجرى مثلا
للناقة السريعة فاذا جعلنا كلمة منهما بازاء الترام نكون بلا شك وضعنا وضعاً
جديداً لم يسبقنا اليه سابق واجتلاب مثل هذه الالفاظ بالنسبة لمحموظ اللغة كوضع
ألفاظ جديدة موهلة من أحرف اللغة فسيان في الاعتراض على رأيهم أن قول
للترام بَشَكَّى وإن نقول له ترام لان كلا استبداد بوضع اسم أسس لم يكن له
وجود قبل الآن إلا أن وجه القصر في الأول ظاهر كما يتضح وجه المنفعة في
الثاني فانا في الاول نجري على خطا لا أساس لها مع وصف الخروج عن أوضاع
المتقدمين وفي الثاني نجري على خطا اتبعها سلفنا مع الوضاحة اتمام في الاسم
والمسمى ولا أدري بمد ذلك ما الذي يدعونا الى نصف الطرق

لهم يرون في ذلك رأيا فيقولون انا باتباع الطريق الاول حافظنا على
ما بين دقتي القواميس فلم نحد عنه قيد شبر ولم نخرج مما نطق به العرب
في بواديهم وفي ذلك من احتياط الآباء واقناع الناس ببنى اللغة العربية وثروتها
حتى لا يروا بنا هازي. فيقول ان لغة تروبعة كلماتها على الثمانين ألفا محتاجة
الى ما يكملها ويسد ثلثة فيها

أما دعوى أن هذا محافظة على ما هو عندنا فهو صحيحة لأنها إنما تكون

بالمحافظة على الاسم والمسمى الذي وضع اللفظ بأزائه وإذا لم نفضل ذلك كنا قد خيلنا على الناس تخيلاً لا قيمة له وارتكبنا في التعبير من أوضاع القواميس مالا يغنى لانا إذا كتبنا لفظاً من هذه الالفاظ التي اخترنا التوسع فيها واستعمالها شيء جديد أنذ كر في قواميسنا معنيها القديم والحديث فتكون ابتدعنا وأوقعنا السامع والمتعلم في حيرة أم نترك ذكر المعنى القديم ونقتصر على الحديث ووصف هذا بالافساد في لغة المتقدمين واضح لا يحتاج الى بيان وخبر منه أن نذكر لفظ تروام مثلاً بعد الاتفاق على لفظها ونذكر بجانبها معناها وانها مما عرب للدلالة عليه ونبين تاريخ تعريبها فيكون ما وضعه المتقدمون معروفاً وحده وما الحقه باللغة المتأخرون معروفاً وحده وهذه هي المحافظة الحقيقية على ما ورثناه من سلفنا. واما أن يفتر مفتر بكثرة ألفاظ اللغة حتى لا نحتاج الى مزيد ففيه غلطان كبيران فإن الثروة المزعومة لا نقول بها لانا ان طرحنا منها المترادف ما وجد معنا بعد ذلك أكثر من الثلث لهذا العدد فكثيراً ما تجد المعنى الواحد له اسمان فأكثر الى خمسمائة اسم كما قالوا في السيف والخز والمهر والسل وما شاكل ذلك وهذه ليست بثروة

والثروة التي أسلم بها انما هي في أسماء المعاني وليست داخلة في موضوع بحثنا واما عدم الحاجة الى مزيد فهذا لا تدعيه لغة من لغات الأمم الحية لان الأمم كلما كثرت حاجاتها وتجددت اضطرت الى المزيد من الالفاظ في اللغة وهذا هو سر الحركة الدائمة في لغات الافرنج ترون مجامعهم في شغل دائم لا يأنفون أن يجهدوا يوماً ما في لغتهم كلمة زائدة دلت على معنى جديد وأكثر أحوالهم الاستعارة من غير لغتهم وإذا كنا نرى عقولنا قد وقفت عن الاختراع فانا نرى انفسنا في حاجة الى استعمال المختراعات والتعابير عنها

نرى رجال الجرائد وم الذين يرجع اليهم معظم الأمر في الاحياء والامانة للالفاظ قد عرض عليهم في بعض الاوقات كثير من الالفاظ فهجروه واستمروا على استعمال ما وضعه الواضعون في جرائدهم فلا يزالون يستعملون تلفون مع انه قد ترجم لم بكلمة «مسرة» ولم أرهاتي جريدة من الجرائد يوماً واحداً ويستعملون

أنوميل ولا يستعملون سيارة ثلاثية عليم الامران السيارات السماوية والسيارات الارضية الى كثير مما يماثل ذلك وهذا اعترف منهم أو على الاقل شعور بأن طريقة الترجمة والنوع ضررها اكثر من نفعها وأن طريق التعريب أوضح مسلكتا

(النتيجة)

بعد ان بينت لحضراتكم ما قام في نفسي على لزوم السير في طريق التعريب أقدم لحضراتكم مقترحاً حتى نقاولوه بالبحث لينمحص الحق (١) تكون مجمع يهد الى التعريب ينظم من حيث فيه ملكة اللغة والعربية وهو في معرفة مفرداتها ولحجتها واما لزوم وجود المجمع لانه لا ضرر علينا وعلى لغتنا أشد من استبدال الفرد بالوضع أو التعريب اذ هو مدعاة للاختلاف وهو أضر شيء

« ٢ » أن يكون اختصاصه محصوراً في دائرة أسماء الاجناس والاعلام فاذا جاءه مسمى حديث أو رأى شيئاً حديثاً بما هو موجود بيننا ولم يسبق ان وضع له لفظ ورأى أن في اللغة لفظاً دالاً عليه بنفسه أطلقه عليه وإلا عرّب الكلمة الاعجمية وصبرها موافقة لاوزان العرب سهلة على ألسنتهم وافق على حروفها وشكل كتابتها وأخرجها فناناً بواسطة الجرائد التي هي الحاكمة حكم رجال عكاز في العصر الاول وهي الواسطة في التعليم والاعلام

والواسطة الثانية رجال التعليم الذين اليهم ينظر من عنده أمل في تحسين اللغة واصلاحها وخصوصاً معلمي العربية منهم

(٣) ان يكون المجمع سجل تقيّد فيه هذه الكلمات وازادها مسمياتها موضحة تمام التوضيح وأحسن ذلك ما كان بالرسم وتشكيل المسمى ويكتب امامها التاريخ الذي وضعت فيه واذا كتب قاموس من القواميس تكتب هذه الالفاظ بصفتها ملحقات للكلمات العربية ويكتب معها تاريخ تعريبها لكي يقي الاصل محفوظاً على حدة والمعرّب وحده على حدة

هذا ما أمكنني أن أوردته لحضرتكم أيها السادة في هذا الأمر العظيم ورجيا أن تنظروا إليه بين عنايتكم حتى نخلصوا من شر نحن فيه وأننا وأنتم محبون به ولا نجهلونا في هذا المعجز من أدوار الحياة كالفرق بين الشمس ما يخلصه ولا يجمده هذا وأسأل الله سبحانه أن يؤيد بروح من عنده مولانا أمير البلاد وسيدنا الذي هو عضد كل نهضة ناضجة أيقاه الله وأطال عمره والسلام عليكم ورحمة الله محمد الحصري

المدرس بـ مدرسة القضاء الشرعي

(المنار) نشرنا هذا الخطاب بمصدا لا كلمات قليلة صححناها بالعزم بأنها كتبت خطأ بسبب من الناسخ ونحن نوافق صاحبه في جواز التعريب ونخالفه في منع ما عدلوه في جعل حمل الجمع لغوي محصورا في تعريف الاعلام واسماء الاجناس فإتينا في حاجة منلية للبحث في الاصطلاحات العلمية الكثيرة أيضا فلا بد من جعل موضوعه أعم مما ذكر كما علم ذلك من مقدمتنا التي قدمناها على الخطاب، ولا نبحث هنا فيما عدا الموضوع المقصود من الخطاب ومنها إغفال ذكر توفيق باشا عند الكلام على النهضة الثانية فإتينا أن حظنا منه لم يكن أقل من حظ النهضة الأولى من محمد علي باشا والنهضة الثالثة من عباس حلمي باشا. إن عهد كل أمير من الأمراء الثلاثة استلزم حلا فكان العمل بقدر استعداد العالمين وليان هذا موضع آخر وقد فصلناه في تاريخ الاستاذ الامام تفصيلا

(ومنها) قوله في كلمات لغة العربية أنها تروى على اللسان ألفا وقوله بعد ذلك أننا أخطأنا المترادفات ما وجدنا معنا بعد ذلك أكثر من الثلث لهذا العدد. وكأن القول الأول سبق الى قلبه من قول بعضهم ان مواد كتاب القاموس ستين ألف مادة وان ابن منظور زاد عليه في لسان العرب عشرين ألف مادة مع السهو كما في كل مادة عن الاسماء الجامدة والمشتقة والافعال. وقد نقل السيوطي في المزهرة ونقل عنه الزبيدي في مقدمة شرح القاموس ان المستعمل من الكلام نحو خمسة ملايين ونصف أو يزيد. ولا حاجة هنا للخوض في ذلك ولا في بحث المترادفات ونسبته الى سائر الكلام، ولا في غير ذلك مما يتعلق بهذا المقام، وسننقل في الجزء الآتي خطاب الشيخ احمد عمر الاسكندراني وثاني بعده بما يمين لنا ان شاء الله تعالى

أوروبا والاسلام

رأي المنار فيها كتبه موسيو ميلي ونشرناه في الجزء الماضي

كتب ذلك الوزير في الاسلام والمسلمين كتابه خير بصير وقد صدق في قوله ان جرائم الحياة كامنة في الاسلام وان الرجوع الى القرآن بعد تفسيره واستخراج ثماره بطرق العلوم المصرية هو القوي بيد الحياة الى المسلمين « وان أمة أوربية تنحدر عن أوهامها القديمة وتفهم هذه الحطة العالمة يمكنها ان تتقدم على غيرها تقدما عجيبا » وقد نصح لأمته اذنبها الى ذلك قوله بعدما تقدم وذلك في آخر مقاله « فاليوم الذي تشر فيه فرنسا عن مساعد الجدد ونسعى في تعليم وتربية الأمازيغ - ولا تقصد بذلك ان تلزمهم بنظاماتنا بل ان نسير بهم في مناهج التقدم الملائمة لطلابهم - هو اليوم الجميل حسب قول موسيو جوفار الذي تحصل به على أكثر من فتح المالك اذ به تتحقق لها السلطة على الارواح » ولكن هل تقبل فرنسا هذه النصيحة وتقدرها قدرها ؟

قرأنا لكثير من علماء فرنسا وساستها كلاما حسنا في الاسلام وأمازيغ حسنة في شأن المسلمين ولكن ما رأينا ذلك تأثيرا حقيقيا فصار أكثرنا يحمل ذلك الكلام وأمثاله على الحفلة والتمويه وخداعات السياسة ولكن الكلام المقول في نفسه اذا سمعه العاقل عن العاقل لا يمكن له ان يسبه تمويه وخداعا . فانا نعتقد ان جرائم الحياة كامنة في الاسلام وان رؤساء المسلمين هم المانعون لها من النمو واعتقد ان دولة أوربية تتمكن من إحياء مملكة إسلامية يرف لها فضلها جميع المسلمين ويكون لها منهم قوة تجعل لها مكانة عليا في الارض حتى في أوروبا نفسها وقد سبق لي كتابة في ذلك . واعتقد ان فرنسا من أقدر الدول الكبرى على ذلك وأحوجهم اليه . فكيف يمكن أن اعتقد مع هذا كله ان قول موسيو ميلي بخداعة أو خلافة ؟ أنا موقن بصحة كلامه وصدقه ووربما كان اعتقادي هذا اقوى من اعتقاده هو ولكنني أشك في أنه حقيقته ما يقول وقدرتها على الانسلاخ من الروم القديم الذي أشد اليه

يعدون الشعوب الاسلامية من الشعوب الميتة او الضعيفة ولكن منهم من يقول ان جراثيم الحياة كامنة فيها ، ويعدون فرنسا من اعظم الامم الحية ولكن منا ومنهم من يعتقد ان مكروبات الضعف والانهطاط كامنة فيها. فنقول على هذا وذلك ان المسلمين يحتاجون الى دولة كفرنسا تساعدهم على الحياة الجديدة في شمال افريقية وان فرنسا بحاجة الى حفظ حياتها القديمة وإمدادها بشعوب قابلة للحياة والقوة كالمسلمين . وان هذا المطلب ممكن في نفسه ولكن فرنسا غافلة عنه لأن القوي المميز قلما يفكر في حقيقة حال من يراه دونة فلهذه عتبة دون المطلب ومن وراثتها عتبة اخرى وهي ان الضعيف قلما يؤمن باخلاص القوي له فالمسلمون الى اليوم لا يظنون أن فرنسا تريد بهم خيرا وهم معذرون بهذا وإني أصرح به نصحا لفرنسا ورغبة في حسن التفاهم بيننا وبينها لعل في ذلك فائدة لنا ولها . فما قلته هو الحقيقة وان وجد في المسلمين من أحسن القول في فرنسا كما وجد في الفرنسيين من أحسن القول في المسلمين فذلك الاقوال لم تغير الحقيقة ولا يغيرها مثلها وانما تفسرها الاحمال والمسلمون الذين تسوسهم فرنسا لا يستطيعون ان يستيخواهم بسبل اكثر مما هم عليه من الطاعة لها ولكنها هي تستطيع ان تستبيلهم وان تلك قلوبهم وأرواحهم كما هي مالكة لاجسادهم وأوطانهم فهي التي يجب عليها الابتداء بالعمل

وعما يظن بعض المفرودين بقوتهم ان حال الجزائر خفية لا يعرف حقيقتها مسلمو مصر والشام والحجاز وسائر المشرق . الحق أقول لهم لا . ان تلك الحال ليست مخفية فانا نعرفها ونشعر بشعور أهلها ولكن ما كل ما يعلم يكتب وإنما كتبنا الآن هذه الكلمات لما رأينا من بارقة الامل في حسن التفاهم والسعي اليه بالعمل لا نطلب من فرنسا للمسلمين اكثر مما أشار اليه مسيو ميلي وهو السعي في تعليمهم وتزويجهم بالتعليم الذي ذكره والشرط الذي اشترطه وهو ان يكون القصد تقدمهم بما يلائم طابعهم لا إلزامهم بنظمات فرنسا وعاداتها فضلا عن شرائعها ودينها فالمطلوب مساعدتهم على احياء لغتهم ودينهم وإعلاء ثروتهم مع تعليمهم العلوم والفنون المصرية بالتدريج الملائم لحالهم

يسهل هذا على فرنسا اذا قنعت من الاستعمار والامتلاك بما دون تحويل

المسلمين عن لغتهم ودينهم ورقة بلادهم ولها بعد ذلك من موارد الأروة ومصادر القوة ماشاءت مع الرضى والحب

يعلم كل الملمين بأحوال السياسة من المسلمين أن فرنسا طامعة في الاستيلاء على المغرب الأقصى وتآلفت أمبراطورية إفريقية اسلامية وأهل الرأي منهم يعلمون أن شجاعة أهل المغرب واستبسالهم لا يدفان عنهم ما تريد فرنسا بهم مع جهلهم وتفريقهم وكون بأسهم بينهم شديداً ولكن سياستها يا هم مثل ما ساست به الجزائر في الماضي قديراها المفرورون أمراً يسيراً وهي في الحقيقة من أعصر الأمور وأشدّها تعقيداً وخطراً على فرنسا في المستقبل ويظن المفردون أن تغيير السياسة في الجزائر تغييراً حوريا كاف في إرضاء المسلمين في تلك البلاد وإقصاصهم في سائر البلاد بأن فرنسا تريد تروقيهم مع الحفلة على دينهم ولغتهم . والحق أنه لا يفيد في الامر الا الإخلاص في العمل وهو لا يخفي على أحد

أقول هذا لفرنسا وأنا ناصح أمين ، وإنما أنصح لها لاعتقادي أن في مصالحتها هذه خيراً للمسلمين بل أعتقد أن فرنسا لو جمعت لاهل الجزائر وإليها منهم لكثافت فئدتها من ذلك ، أكبر من فائدتهم فهل نلومني أمة الحرية اذا صرحت لها باعتقادي هذا وتماقني عليه بمنع هذا الجزء من المنار أن يصل الى الجزائر ؟ كلا بل أظن انها تقدر كلامي قدره فإن لم تقدره اليوم فلا بدان تقدره في يوم آخر بل نحن نعلم أن فرنسا مارضيت بأن يكون سلطانها على تونس سلطان حماية لاسلطان املاك رسمي الا لما استفادته من العبارة بحال الجزائر التي لها فيها نحن وهي أعرف بها منا . ولكن ما عنته في تونس منذ من وجوه كثيرة والمدة بما فيه من اصلاح أكبر منه . وقد شكرنا لها في هذه الايام ما ناكل من اللذيس عن حلة الانلام ، وإنشاء مجلس الشورى وإن كان دون المرام ، فسي أن يكون هذا بده سياسة مثلى يشكرها لها الاسلام .



أَنَّ كَلِمَةَ الْحَيَاةِ

﴿ الباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب ﴾

سئل الشيخ محمد مصطفى أحد علماء الجزائر عن حكم الزينة واللباس في الاسلام وعن حكم احتجاب المرأة فأجاب عن ذلك بنحو خمسين ورقة وطبع ما كتبه وأهدى اليها منه نسخة فقصصنا منها أوراها من مواضع مختلفة فلم نجد الا قولاً قوياً واختياراً في النقل حسناً والمؤلف ادام الله النفع به متبوعاً لحركة العلم واقف على سبر الاصلاح الديني والاجتماعي وهو ينقل في مقاله هذه وفي غيرها من تصانيفه عن كتب الاساذ الامام وعن المنار نقولاً تدل على دقة الاستقصاء وحسن الاستحضار ومراعاة حال العصر وتطبيق الاحكام على مقتضى الحال ومن قوله واختياره في مسألة المحتجب ما يأتي

« وقال (يعني الأوسي) في تفسير سورة النور المشهور من مذهب أبي حنيفة ان الوجه والكفين والقدمين ليست بمورة مطلقاً فلا يحرم النظر اليها . وقد اخرج أبو داود وابن مردويه والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال « يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح ان يرى منها الا هذا وهذا » وأشار الى وجهه وكفيه صلى الله عليه وسلم . وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى « الا ما ظهر منها » : رقعة الوجه وباطن الكف ، وأخرجنا عن ابن عمر أنه قال الوجه والكفان ، ولعل القدمين عندهما كالكفين الا انهما لم يذكرهما اكتفاء بالعلم بالمقابلة فان المخرج في سترهما أشد من المخرج في ستر الكفين لاسيما بالنسبة الى أكثر نساء العرب الغفيرات اللاتي يمشين قضاة مصالحهن في الطرقات » اهـ

« وقال المحقق ابن عابد بن في رد المحتار على الدر المختار ما نصه : وفي شرح
الكرخي « النظر الى وجه الأجنبية والحرة ليس بحرام وإن كان يكره غير حاجة » اه
ونقل عن السادة الحنابلة ان ستر وجه المرأة ويديها ليس واجبا . ويروى
عن القاضي عياض الاجماع على أن المرأة لا يلزمها في طريقها ستر وجهها وإنما هو
سنة وعلى الرجال غش البصر عنها لقوله تعالى « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم »
« وقال في شرح مختصر سيدي خليل عند قوله « ومع أجني غير الوجه
والكفين » ما يأتي: يجوز للأجنبي المسلم ان ينظر الى وجه المرأة وكفها من غير
عذر ولو شاة الاحوف فتنة أو قصد لذة وهل يجب عليها حينئذ ستر وجهها أو
لا يجب عليها ذلك ؟ خلاف بين ابن مرزوق وعياض وفصل الشيخ زروق في شرح
الوعلية بين الجلبة فيجب عليها وغيرها فيستحب اه

« وقال المحقق سيدي محمد الحارثي في سراج على المختصر المذكور ما نصه :
قال مالك « تأكل المرأة مع غير ذي محرم ومع غلامها وقد تأكل مع زوجها
وغيره ممن يؤاكله » (قال) ابن القطان : فيه (اي في قول مالك) إباحة إبداء
المرأة وجهها ويديها للأجنبي اذ لا يتصور الأكل الا هكذا اه

« وقال الفاضل عبد الحميد أفندي الجابري في مبداه ما نصه : ليس في
الأمر الشرعي أو فيما اعتاده المسلمون ما يمنع النساء عن مخالطة بعض الرجال
الاجانب عنهن بقدر الحاجة لفرض صحيح ومنفعة حقيقية كالتساحرة أو تجارة
تلائم حالهن أو تستدعي ضرورتهن أو تعلم علم بدون ان يتبرجن لم يزيهن
او يقعدن معهم مقعدا هو والطرب - الى ان قال - قد تكون المرأة لا معيل لها
من الرجال فاضطر لان تقوم بأود نفسها ويكون من مقتضيات كسبها مخالطة
الرجال او حضور بعض مجامعهم فن كانت كذلك فهي لا تمنع عن تلك المخالطة
ولا نقاب في عادة المسلمين عليها بقدر الحاجة للاكتساب لا سيما اذا لم تكن
شابة حسنة فأما يطلى لها في ذلك تمام الحرية اه

« نعم الخلوة بالأجنبية حرام أو مكروه . قال صاحب الدر المختار : وفي

الاشباه الخلوة بالأجنبية حرام الا للملازمة مدبونة هربت ودخلت خربة او كانت عجوزا شهوا او بمائل اه

«ونقل محشيه ابن عابدين عن القنية ان الخلوة بالاجنبية مكروهة كراهة مخوم . وعن ابي يوسف ليست بتحريم - الى أن قل - ان الخلوة المحرمة تنقضي بالمائل وبوجود محرم او امرأة ثمة قادرة وهل تنقضي أيضا بوجود رجل آخر أجنبي ؛ لم أره اه قلت ذكر بعض المالكية انها تنقضي بذلك »
ثم قال المؤلف بعد هذه القول :

« وكل من اطلع على الكتب التاريخية يعلم ان التبرقع ليس من مخترعات الاسلام (يعني أهله) فقد كانت نساء اليونان يستعملن التبرقع اذا خرجن من بيوتهن كما هو الآن عند المسلمات وعند غيرهن من النساء الشرقيات في الشام ومصر . ولا يخفى ان نساء قبائل البربر وغلب عرب البادية لا يسترن وجوههن من الاجانب ومع ذلك فهن لسن بمخارجات بهذه العادة عن دائرة الدين الاسلامي وقال بعض الحكماء قد يجزئ التشديد في الحجاب الزائد على أصل الشرع الى فساد صحة المرأة إذ بإلزامها القعود في مسكنها دائما تحرم من منافع الهواء والشمس وسائر انواع الرياضة الجسمية والعقلية ولذلك كان معظم نساء المدن عليلا ضيقا ومتى ولدت إحداهن مرة تضرعت ببيتها وبدت كأنها عجوز وهي في ريعان الشباب ولا يمكن ان تنتج أبناء أقوياء تقوم بمرئيتهم كما ينبغي اذا كانت مضطرة الى البطالة ممنوعة من جميع الحركات المفيدة في نموها بدنا وحمى بخلاف نساء البوادي فانهن لما كن يتعاطين الاعمال الشاقة من الاحتطاب والسقي وثقبة المزارع والمصاد وجمع لزيوتن وما أشبه ذلك صرن في الغالب أصح أجساد وأصفي لونا من المدنيات

« ولم يشدد في الاحتجاب الا السادة الشافعية وافق غيرهم من المتأخرين يقولهم وعلوا ذلك بفساد الزمان ولذلك قل عدة من متأخري الفقهاء الحنفية : حل النظر الى وجه المرأة مقيد بدم الشهوة ولا فحرام وهذا في زمانهم واما في زماننا فنحن النظر الى وجه الشابة ولو من غير شهوة لا لأنه عورة بل لحرف الفتنة »

(المنار) ان جمهور الشافعية اقدموا على ان ينظر الى الوجه والكفين غير محرم لانه ليس بصورة اتفاقا قال الرملي في نهايته في هذا القول الذي ضعفه النووي « ونسبه الامام لجمهور والشيخون لاكثرين وقل في المهابات انه الصواب واستدل لصحیح النووي بتحريم بانفق المسلمون على منع النساء ان يخرجن سافرات وبغضلة الفتنة . وما ادعوه من الاتفاق غير صحيح وإنما هو من فعل الامراء في المدن خاصة ولا حاجة فيه فيبقى مظنة الفتنة وقد أفتى بعض الشافعية بحرمه للنظر الى وجه الأمر لهذه العلة وهو ما صححه النووي في المنهاج وكل ذلك اجتهاد من المتأخرين وقد خالف كثير من الفقهاء المتأخرين أقوال من قبلهم بطله فساد الزمان ولطهم لا يعرفون حقيقة الفرق بين زمانهم وزمان أولئك السابقين فقد عهدنا أهل كل زمان يذمون زمانهم . والمؤلف لم يجعل بهذا الاجتهاد فقد قال بعد ما تقدم « والحاصل انه يحرم على الرجل نظره الى حرة أجنبية مشبهة ما عدا الوجه والكفين » ثم بين وجه هذا الاستثناء تبيننا وقد سلك نحو هذا المسلك في النقل والاختيار في سائر المسائل التي تقدمت الاشارة اليها فتحمد الله على وجود مثله في تلك البلاد

(بلوغ الارب . في مآثر الشيخ الذهب)

كتاب في جزئين للشيخ أحمد جمال الدين التونسي أحد مدرسي الطبقة العليا في جامع الزيتونة بتونس . والشيخ الذهب شيخه في الطريق . والكتاب محشو بالحرفات والدجل فيسوءنا ويحزننا والله ان يكون منسوباً الى أحد مدرسي الطبقة العليا في تلك المدرسة الدينية التي تلي الازهر في الشهرة وان نرى عليه تقاريف اشهر علماء تلك البلاد ومنهم من نجله عن تقرير الحرفات وانشأ على كتاب هي فيه وعلى مؤلفه ويقلب على ثلثنا من علماء الاسلام في تونس من يقرأ الكتاب من غير ان يطلع عليه اطلاعاً يكفي الحكم عليه اكتفاء ببيان مؤلفه لموضوعه وعلاجه من انظر فيه كما هو شأن أكثرهم في مصر وسوريا كما نعلم بالاختيار وقد رأيت تقريراً للشيخ محمد (المنايا)

الانباي شيخ الأزهر الشهير في زمنه على كتاب لبعض الرافعية كله طعن قبيح في الشيخ عبد القادر الجيلي وفي طريقته وأهلها وفيه من الجبل بالدين والتصوف العجب العجيب وهذا الكتاب هو الذي حملني على تأليف كتاب (الحكمة الشرعية في محاسبة القادرية والرافعية) وأنا يومئذ في حجر الاشتغال والتحصيل . فهذا ما نعتذر به عن تقریظ من نجل من أولئك العلماء

ولست الخرافات هي كل ما يتقد في هذا الكتاب بل تجد عبارته غامية الاسلوب كثرة العن والتلطوف من تحريف آي القرآن المزيج عن مواضعها مالا يصدر من عالم . واني اقل نموذجاً منه ليتمتع بعبارته ومعانيه وعقل مؤلفه المتبرون . جاء في ص ٣٩ وما بعدها من الجزء الاول ما نصه :

(لطيفة) كان ورد على الحاضرة (اي تونس) عالم جليل بصير يقول ان أصله من بني شريف أثناء مدة الامير الصادق باي وأنزلوه بجلوة النيفر الكابن ؟ بدرية غربال وهو في اية وخدمة له برره وهو في فصاحة الكلام وبلاغته آية من آيات الله يحفظ الف بيت كل كلامها شوارد الوعة ؟ متفتن حضرته ؟ يتكلم في علم الكلام والتصوف بكلام عجيب

ووافقني اني كنت عنده يوما فجاء المرحوم الشيخ محمد السنوسي الاديب فقال له الشيخ ابن الوعد قال له في محلي قال ما قيدت نفسي بمحك ثم التفت الي الشيخ وقال احكم بيننا قلت له ما عرفت الموضع فقال قرره الموضع فقال الشيخ السنوسي اني كنت عند السيد فسمع زكرة وطبلا فقال لي هذا سماع بلادكم قلت هذا سماع البوادي وسماع بلادنا ستسمه في محلي قلت لشيخ أو رضىتم بأن أحكم بينكما قال نعم قلت يا شيخ السنوسي ؟ بلزمك أن توفي الوعد ؟ في محل السيد لا في محلك فضحك متعجباً من هذه المعاملة المنافية للحكم في ظنه قلت له يا هذا ان هؤلاء اذا سمعوا السماع ؟ ربما صاحوا وربما مزقوا ثيابهم وربما طاروا في الهواء ولا يصلح بهم ؟ ان يحضروا معهم من لا يكون على حاله لاسيما النساء ودارك ملحوة بالاجانب عنهم فضرب السيد الكف على الكف وقل صوفي وورب الكعبة قلت له اامين يارب العالمين ؟

ثم حكى لنا ايجوبة في السماع حضرها عند ملك المسلمين في ذلك التاريخ الكاين في الصين وأصلهم من الاربعة آلاف الذين أرسلهم أبو جعفر المنصور المباسني بمطلب من سلطان الصين فنصروه على القائمين عليه ثم خيرهم بين الإقامة على الاكرام التام أو الرجوع فاختاروا الاول قال نزلت عنده ضيفا فاكرم نزلي ثم جاءني يوما وقال لي يا ابن بنت رسول الله هل لك شيء ترغبه ولم أوفيك به قال قلت له لقد نزلت عن ملوك المسلمين والتصارى وما أكرمني أحد بذلك ولكن بقي عليك شيء واحد وهو السماع فقام على قدميه وقال الامان يا رسول الله وغدا نستعمله ثم أرسل لي ولما جئت وجدت مجلسا محتفلا بالعلماء والوزراء وهو بينهم فاجلسني بازائه وامامهم نصف دائرة من الكراسي ثم اذن على الجوالي فخرج من تحت الستور واحدة يدها عود ويد الاخرة مزمرا ويد الاخرى طارة الخ وجلس على تلك الكراسي قال ثم اتفت الى وقال اي السماع تقدم العربي أو الصين فقلت الاول مرات فقلت عليه السلام فترعن وتنغن بالحن؟ تسري مسرى بنات الحان؟ وأصوات توقف الطير وتحرك الجبان أو مامنه ولما راني السماع وسري في الارواح سريان الراح أو معناه انشدت جارية منهن يبتين بدببتين واحادت في انشدهما قال فما راعنا والا واحدا من العلماء صاح وصق ورمى نفسه على الجارية قبلها وسقط مغشيا عليه فاشد غضب الملك عليه وامر بالجوالي ان يدخل تحت الستور وقال اني أريد ان اقله قل قلت له لا يحمل دمه بصفيرة ثم هو الآن في حال اندهش ولا اختيار له ثم دخل الملك محلا آخر وليس لباسا رسميا وخرج فوقف الوزراء الموقوف الرسمي واحاد الكلام عازما على قتل الرجل وانا الاطفه بدم الجواز فاذا بالرجل انبى من الدمشة وقال ما هذه الفوعة؟ قال له اني أريد ان أقتلك لانك نجاسرت على في مجلسي وقبلت جاريتي فقال ما فعلت ذلك شهوة في جاريته وانما براعة الكلام ورقة معانيه ذكرتني كل رسول الله صلى الله عليه وسلم قل ثم قل اللهم اقبض روح ثبينة وهي هذه الجارية فسمع ابكاء من وراء الستار واخبروا أن الجارية قد ماتت فاعزل الملك عند ذلك وتروح ثم قال له ذلك العالم انريد قتلي وانت لك ما يهف علي كذا وكذا سنة

في بركة دعائي وأقسم له أنه ما بقي براه وسعري ما يحل بك عدي ثم فقد العالم من المجلس فسط في يد الملك وعلم أنه هلك ومزق ملكه قال فترنته في حالة يرثى لها وغبر بعيد حل به ما حل وهكذا سمعت منه وهو حاصل المعنى اهـ

(المنار) نقلاً هذه الخرافة ينصها واشترنا الى بعض مواضع الانقياد فنظفي فيها بعلامة الاستفهام « ؟ » وكثير من الدجالين ينسبون الى البلاد المجردة عند من محدثوهم كما فعل ذلك الشيخ المغربي بحكايته الموهلة ولا يخطر في بال أحد منهما ان حال بلاد الصين معروفة لتبرهم وليس فيه ملوك ماسون ولا جوارع ريات اما المفاسد والضلالات الدينية في هذه الخرافة فلا حاجة الى شرحها فما زال هؤلاء المضلون يمثلون اولياء الله العامة بأنهم يتجهجون على المحرمات ويتصرفون فيمن ينكر عليهم بالايذاء ١١ فالملوك الذي ينشر هذا الدجل والتضليل جدير بأن يظن في شيخ الاسلام ابن تيمية وأمثاله من الائمة حماة الكتاب والسنة

البواقيت الشينة . في أعيان مذهب عالم المدينة

كتاب في تراجم التأخرين من علماء المالكية للشيخ محمد البشير ظافر الازهري صدر الجزء الاول منه مطبوعاً على ورق حسن وقد جعله ذيلاً لكتاب (نيل الابتهاج . بالقبيل على الدياج) للشيخ احمد بابا النيكيتي نزيل مرا كاش المرفى سنة ١٠٣٦ المطبوع بقاس .

قال الشيخ محمد البشير « اذكر فيه من أغفلهم من اهل القرن التاسع والعاشر ذا كراً من أنى بعده الى زماننا هذا » ولينه جملة رأساً او جسداً كاملاً ولم يجعله ذيلاً فان اهل هذه البلاد قلما يطلعون على كتاب طبع في فاس ومن يطلع عليه لا يقرأ لأنه لا يكون غالباً بخط مغربي فيبيع لانهم يطعون في مطابع الجعر . وقد نسب البشير في جمع تراجم من ذكرهم وراجع في ذلك كثير من الكتب فحمله هذه المهمة ونحت القراء على اقتداء كتابه فنشيطاً له على إكائه وتأليف غيره . ومن النسخة منه عشرة قرش واجرة البريد قرشان وهو يطلب من مكتبة لمار وغيرها من المكتبات المشهورة

شيء من سيرة حسن باشا عبد الرزاق

(علمه وادبه) ثبت حسن باشا في يات كرم وجاود في الازهر تسع سنين تلقى فيها من فنون العربية وعلوم الشريعة ما رأى نفسه غير محتاج الى تلقي غيره فيه . وهكذا اشأن التالخين تكون مدة تعلمهم قصيرة في الغالب وكم من طاب أقدام الازهر عشرات السنين ولم يستفد منه ما يعلمه في شهادة العالمية . وكان من شيوخه الشيخ نصر الموريني القوي الاديب الشير ولله هو الذي رغبه في الادبيات فكان يحفظ كثيرا من مختار الشعر ويورد في حديثه الشواهد والامثال منها فبعضها في مواضعه وكان لنا معه محاضرات أدبية يسمنا فيها أكثر مما يسمع منا . وقد نظم الشعر كثيرا ولكنه لم يبدله فلم يشتهر به .

أما علمه بأصول الدين واحكام الحلال والحرام فقد ظهر أثره في جميع ادوار حياته فلم تعبت بعقيدته الشبهات على اتصاله بأهله ولم تزل استقامته مباشرة المتربين المسافرين من الحكماء مع الشباب والجدد الذين هما اشد ثارات الافئدة . وأما علمه بالملق فقد ظهر أثره في مجلس الشورى اذ هو الذي أعانه على فهم القوانين ودقة النظر في انتقادها على كونه لم يتلق علم الحقوق بالدراسة

(مزيه في أمته ، بسياسة أسرته) لهذا الرجل مزية في بلاده لا يفضلها فيها أحد قط فيما أعلم ، مزية لوتبعه فيها أصحاب البيوتات ثلث البلاد بهم ما ينبغي لها محبوبها من الارتقاء في أقرب وقت ، مزية يمكن شرحها في مصنف خاص ولا يسعنا هنا الا الاكتفاء بالإشارة إليها بعبارة وجيزة

من المتفق عليه بين العقلاء ان الحياة الامة وارتقاها مبدأ وغاية فالبلد اهل التربية الحسنة في البيوت والتعاليم النافعة للأفراد وغايتها اتحاد من أوتوا المبدأ على العمل لرقبها المادي والمعنوي . فحينئذ نرى العقلاء يشكون من هوانهم في الحياة الحسنة في البلاد ومن فقد الاتحاد بين المتعلمين حتى كأن المتعلمين في الازهر امة والمعلمين في دار العلوم أمة والمتعلمين في سائر المدارس أمة - وكل أمة من هذه الامة بعيدة عن الاخرى في

اخلاقها وافكارها ولاز يدعى ذلك هنا . فكيف ربي هذا الرجل الحكيم وأولاده ؟
علم ابناءه حسنا وحسبنا وعمودا علم الحقوق وجعل الاول محاميا أهليا ومدرسا
بمدرسة البوليس وألزم الثاني بعد أن قبل محاميا في المحاكم المختلطة بأن يكون عمدة
في بلدة (أبو جرج) ولولا حسن التروية الادبية الدينية لما ترك الإقامة في العاصمة
مع أقران في العلم ورضي بأن يكون عمدة جل عمله مع الفلاحين طاعة لأبيه . وجعل عمودا
في الإدارة فكان معاوناً في قسم الأوبئة ثم رقي فصار مأمور الضبط في القويم
وجعل ابنه مصطفى وعلياً عموداً في الأزهر ولله لا يوجد فيه من أولاد
الباشوات الأغنياء غيرهما لأن كبارنا يمدون المجاورة في الأزهر ضياءاً .
وهما الآن في ذروة المجاورين تحصيلاً ويمتازان بالأدب العالي وحسن الانشاء والشيخ
مصطفى من المنظوم والمثور ما يحمله في بدايته مزاحاً للمجدين في نهائهم ،
وجعل ابنه إبراهيم في مدرسة الزراعة وابنه إسماعيل في مدرسة الناصرية
وهو صغيرهم القدي لا يزال في حجر التعليم الابتدائي فلا أدري أين كان يريد
أن يوجهه بعد ذلك ولله كان يرشحه للخدمة المعارف
وقد علم من هذا أنه كان يريد أن يجعل لكل واحد من أولاده السبعة في أفق
من آفاق أعمال البلاد ليكونوا قدوة يهتدى بهم في صدق الخدمة مع المحافظة
على مقومات الامة الدينية والاجتماعية ودعاة لوحدة وحسن التفاهم بين جميع
طبقاتها المختلفة في التروية والتعليم فيكونوا بذلك كالكواكب السبعة السيارة كل
يدور في فلكه مع حفظ النسبة بينه وبين غيره بالجاذبية العامة

أما الجاذبية العامة بين هؤلاء فهي التروية التي كان يمدحهم بها كبيرهم القدي كان منهم
بمنزلة الشمس من كواكب السماء يجمعهم بين الرعي المصري من الجبة والقباء والعامة ورتبة
الباشوية ، وبين إقامة شعائر الاسلام والآراء المصرية ، والمتحسّن من مظاهر
المدنية ، والقيام بالخدمة القانونية والسياسية ، فما كان أروع تلك المائدة التي يستدير
معه حولها حلة العامة والطربوش ، الذين صار بين أمثالهم من البعدي مصر ما هو معروف
بل كان ولا يزال - وإن يزال إن شاء الله - في ذلك البيت اجتماع أروع وأبدع وهو
الاجتماع الاسبوعي في كل ليلة جمعة لإلقاء الخطب الاجتماعية والاقتصادية ،

والمذا كرات العلمية والفنية ، وهذا الاجتماع عام لكل من يحضره من أسرة عبد الرزاق فالمحرم كان مرياً لا خوته وولدهم أيضاً . فاي تربية توجب البلاد أفضل من هذه التربية ؟ وما قولكم في أمة تتألف من مثل هذا البيت أو يكثر أمثاله فيها ؟
 (خدمته للامة) أما خدمة الرجل لأمته في مجلس الشياخات ، يدبره (المينا) وني شوري القوانين ثانياً عنها مدة ثمانية عشر سنة ثم في شركة الجريدة وحزب الامة فهو معروف مشهور . فقد كان عضواً عاملاً ومثلاً صالحاً في فهمه ودقته ، واستقلاله وحرية ، كما كانت قدرة في صلاحه واستقامته ، تفنده الله بمغفرته ورحمته ، آمين

(مصائب الامة الاسلامية بفقد رجالها)

وفاة ذكاه الملك

ما نفذت الامة الاسلامية يديها من غبار دفن التواب محسن الملك المصلح العظيم في الهند ولا رقأت دموعها عليه لا وفاجأها في ذكاه الملك العالم الاجتماعي والكاظم البليغ وداعية الاصلاح المؤثر صاحب جريدة (تربيت) الفارسية التي كانت تصدر في طهران عاصمة الفرس . وافاه الأجل المحنوم في رمضان وتأخر نعيه عنا وسنرجعه في الجزء الآتي أو ما بعده . وقد علم القراء ان حسن باشا حاصم توفي على أثره في أول شوال وتلاه حسن باشا عبد الرزاق وكلاهما من رجال الاصلاح وأركان النهضة في مصر

ابراهيم بك القفاني

ما زلنا بعد ذلك نتمثل بقول الشاعر « تكسرت النصال على النصال » أياماً وإذا بالمنية قد أقصدت بسهم آخر نايبة النابيين وأصبح الخطباء وابلغ المشتبين العالم القفاني صديقنا ابراهيم بك القفاني المحامي الشهير وهو أرقى تلاميذ السيد جمال الدين بعد الاستاذ الامام . وكان له في تلك النهضة لجالية المقالات الرائعة والخطب النافعة ، ولكن الامراض حالت بين الامة وبين مساعدتها بالاصلاح في هذه السنين حتى وافاه الاجل المحنوم فكان أكبر عزاء أهل العلم والادب عنه أنه كان من تبرج مرض

السل به لا راحة له في الحياة ولا نفع للأمة منه ولا أنس للاصداق به . وسنذكر
شيئا من ترجمته في جزء آخر
الشيخ علي حسين

ثم لم يلبث بعد دفن هذا الصديق الكريم إلا أياما حتى بنتنا بوفاته صدقنا الشيخ
علي حسين أحد مساعدي التعلّيش في نظارة المعارف بعد إمام مرض السل (الذي
اغتال القماني قبله) به زمانا قصيرا فيما تعلم وهو في شرح الشباب ومقتبل العمر .
تخرج في مدرسة دار العلوم واشتغل بالتعليم في المدارس زمانا ثم بتفتيش الكتائب
في الأرياف ثم في العاصمة . وكان من حزب الإصلاح الديني الاجتماعي ثابتا في
رأيه بصيرا في أمره هادئا ساكنا في عامة أحواله كثير البحث في الأمور العامة
والنعم للحوادث السياسية فلو سألته عن حوادث حرب الدولة العلية واليونان أو
حرب روسيا واليابان مثلا لسمعنا عليك سردا منقطا وذكر لك آراء وميول الجرائد
والقول فيها كأنما يقرأ من تاريخ مدون . وكان صادق الحديث صادق الود
دقيق النقد إلا أنه قليل البشاشة قليل الحركة والرياضة وكنت انتقد منه هذا
وأكثر عذله عليه . ولا ريب أنه هو الذي أعده للعرض الذي اغتاله وإذا أراد الله
أمرا هيا أسبابه

عني أخوه الكبير (لأمه) الشيخ محمد المهدي المدرس بمدرسة القضاء الشرعي
بتمريضه ولا عناية الوالد الرحيم بالولد البار النجيب وبذل من وقته وماله في خدمته
ما لم يفده إلا الاجر وحسن القدر دون ما كان يحرص عليه من صحته وعافيته فتوفاه
الله تعالى في بيته فجهره الجاهز الشرعي وبعد تشييعه ودفنه أوعز إلى بعض الجرائد
فشرت عنه أنه لا يقيم الاحتفال بالاعتاد المعروف بالمآتم لأنه ليس من السنة
وبأنما هو من العادات التي أوهمت بعض الجرائد العامة أن القيام بها ثلاث ليال
من السنة فرأى الشيخ المهدي موت أخيه فرصة يعلم الناس بها قولها وعملا
أن ذلك ليس من السنة في شيء . والعمل أبغ من القول ومنه الحذف وترك
القادر . وقد توهم بعض الناس بذلك أنه لا يقبل تعزية الناس ويمدحها بدعة وهو
توهم باطل فقد عز بناه في داره ، فلا زال مؤيدا للسنة في أقواله وأفعاله

فقر مبادئ الدين يستعملون القول فيتمون أحسنه
أولئك الذين هدانا الله فلهما ولكم أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

بؤنوا الحكمة من رضاء من يؤمن بالحكمة قدروا
نحو كبريا وما يذكركم إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كنار الطريق

(مصر في الحجة سنة ١٣٢٥ - آخره السبت اول فبراير (شباط) سنة ١٩٠٨)

﴿ خطاب الشيخ احمد الاسكندري في اللغة العربية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها السادة الافاضل

اني لاحسبني سيدياً موقفاً ان أقف القبة مبرراً بلسان جمهور عظيم من أبناء اللغة العربية وحراسها وكفأة حاجها وحياة ذمارها من حاضري مجلسنا هذا وغير حاضريه ومن كل من يصلي الى القبة أو ينطق الضاد . أولئك الذين سأري منهم من يشد أزرعي ويقم عذري اذا تنكبت عن محبتهم ، او قرهم دون استيجاب آرائهم ، واشتغاف ما في مرادتهم ، فان لكل فكر غاية ، ولكل رأي شرعة ، ورحم الله امرأ استدرك قائنا فبه اليه ، وأبصر ضائفا فدل عليه ، ولا تزال الجماعة من الناس يغير ما بقيت فيهم نصفة لأفسمهم ، وارتياح لحق أي جاءهم ، فان هم استمروا المرء والعنت وخطروا بمرءاتهم في مصارعة الحق غضبا لنفس وتعبا للهوى فلا والله ان افعلوا في أمر ، أو ابجوا في عدو هذا الذي اعرفه فيكم من النصفة في الحكم ، والمظاهرة للحق ، والحفاظ على سلامة اللغة ، والنصرة في تشريف الجنس ، هو الذي اطمعني في حسن الظن بأن مقال هذا سيستجيش عزائمكم ، ويستثير هممكم ، ويستنصر حفاظكم ، لمناهضة العجمة التي كادت تهيمن على لنتكم ، وتنازعكم وجودكم ، وتنتسخ من الدنيا جنسكم وملتكم ، وهو الذي هون عليّ ان ابدأ بالتكلم في ذلك فأقول :

﴿ حالة اللغة في زمنها الماضي والحال ﴾

شهد العدو قبل الصديق بان لغة العرب أفسح الفئات مجالا لقائل ، وأخفها جرساً على سامع ، واتها اجلي الفئات بيانا وأعذبها منطقا وأغناها لفظا وأوفرها أسلوبا وأخصرها عبارة وأوضحها تمييزا واعرابا . ولو حاولت الاستشهاد على ذلك بأقوال علماء الفئات من شريطين وغريبين لصرفت وجهة القول عن موضوع

الجنة ولا وسعتي لية أو ليال ولوقع ذلك مني في كتاب حافل . ولكنني اترك الحكم بصحته لتزبر علمكم وجيل انصافكم

هذه الفقه التي خدرها أهلها عن التبذل لسواها وصان حر وجهها أولياؤها عن مسألها غيرها منذ أزمان سحيقة وعصور متوغة في القدم يتضاد امامها التاريخ ويتصاغر دونها عدد المثبات والالوف قد تناوبها ما يتناوب كل طوبل المبرون سعادة وشقاء، وشدة ورخاء ، فلشد ما تنكر لها العصر فصايرته، وصارمها الصديق فحاسته ، كما طالما اشرفت لها أسارير الزمان ، وأطلق لها في كل شيء الرمن والعنان ، فرت بها عصور سمد كانت فيها لغة العلم والحكمة، لغة الخطابة والمحاضرة، لغة الجدل والمناظرة ، لغة الشعر والادب ، لغة الشريعة والدين ، لغة القضاء والاحكام ، لغة القرآن الكريم ، وهي بعد لم تفقد من هذه الخصائص والمزايا الا قليلا وما كانت سعادتها وشقاؤها الا باقبال ابناها وادبارهم فإنهم كانت لهم الدولة في الملك والعلم ضمت الفقه الى حضنها جميع العلوم والفنون وبسطت جناحها على سائر الماني والاغراض ولم تقف عند حد كفايتها لحاجات ابناها بل تمدتهم الى من دان لهم ودخل في عهدهم ، وان دالت دولتهم واسلم الفقه أهلها لغريب تقلص ظلها ونقبضت أطرافها وفترت عن مدافعة ذوي الطول والقلب . متبر ذلك بما دخل العربية من الالفاظ والمبالات واساليب التعظيم والتضخيم من الفارسية والتركية أيام غلبة الديلم والترك والفرس على دولة بني العباس واشتقاقهم منها ممالك وامارات عديدة ، وهي اليوم تقالب عصرا من عصور بوسها وشقاها هو أشد العصور بأسا وأصعبها مراسا ، ليس عصر غلبة أمة على أمة بل عصر غلبة الغرب على الشرق ، عصرا جلاب الغرب على الشرق بخيله ورجله وعدده واساطيله ولغائه المختلفة وعلومه وفنونه وصناته وكتبه وجرائده . دم الغرب الشرق منذ أ كثر من قرن بهذه القوة التي لا قبل له بها فوقفت العربية امام هذا القاهر المستأثر بكل خير ومتفمة وقفة عاجز بائس ، وقفة ظالآن على ينفوع عذب لاسبيل له الى ورده

لم يكن هذا الوجه والانكشاف عن خور فطري في العربية او جبن متأصل

فيها ولكن هذا شأن جميع اللغات امام كل انقلاب جديد وحادث عظيم وقد جرت سنة الوجود على ان مصير اللغات امام الانقلابات العظيمة والحوادث الجسام الى أحد حالين : اما ان تتسامح في قبول كل ما يطراً عليها من لغة غيرها لاسيما الالفاظ ذات المعاني التي لم تهدها من قبل فتندمج احداها في الاخرى على طول الزمان كما اندمجت لغة بقايا عرب الاندلس في اللغة الاسبانية وفي لغة جاوة في لغة الملايو واللغة القبطية ورومية سورية في العربية . أو يتخلف عنها خليط ليس من اللغتين كما فعلنا نحن في لغة المحدثات فنشأت العامية المختلفة اللهجات المتشعبة المتناحية وتبعها اختلاف الاجناس من مصري وشامي وعراقي ومغربي وسوداني وحجازي ويمني . وكما فعلت أمم أوروبا امام لغات المنفيين والغائبين فتجعت لغات فرعية وأمم مختلفة الاجناس . واما ان تنعزز عنها وتنصرف في استعمال الالفاظ لضم هذه المعاني الغربية اليها بطرق التجوز والاشتقاق واستعمال الغريب والعتيق منها فيما له ادنى ملازمة به فتحفظ بذلك كيانها وتبقى شكلها يداتها تعظم وتغمر وتزداد نشاطاً ورشاقة . وبعد فان هي آتست من اهلها روحاً قويا ومهيزة سليمة استطالت على اللغة الاجنبية وصادرتها على اعز عزيز عليها من علومها وفنونها

ففي أي طريق من هاتين نسير في تشجيع العربية على اقتحام المقاب وتذليل الصعاب التي تحول دون ورودها نهر العلوم والمعارف التي تحول مجرى الى جهة الغرب ؟

يقول قوم بسلوك الطريق الاولى ومنهم حضرة خطيبنا الاول وقد سمعتم أقواله ويقول قوم بسلوك الطريق الثانية وانتشرف ان اكون أنا منهم وها أنا الساعة آتي على الشبه والاعذار التي ينتحلها الفريق الاول ويشوهون انها تدفع عنهم نمة الاستسلام والخنوع لغة الاجنبي سواء تعرض لها زميلي السابق او لم يتعرض لها فأقول :

(الشبهة الأولى) - يقولون : ان لغة أي أمة ما هي الا اصوات مختلفة

(المجلد العاشر)

(١١٢)

(المنار)

تدل على المعاني التي تقوم بنفس كل فرد منها وتقع تحت أدراكه وإن هذه المعاني والمدركات لا تخرج عن دائرة احتياجاته ومرافقه ومشاهداته بحسب طبيعة المقر الذي نبت فيه والبيئة التي استوطنها فليس يطلب إلا ما يعرفه ولا يصف إلا ما شاهده من الأناسي وأنواع الحيوان والنبات والجماد فإن هو انتقل من وطنه الى وطن آخر يباينه طبيعة وسكانا اختلفت احتياجاته ومشاهداته ومعانيه التي كانت تقوم بنفسه واختلفت معارفه واغراضه بقدر مخالفة الوطن الجديد للقديم ، فهو لا يستعجم امام هذه المناظر الجديدة ولا يحرس دون التعبير عن اغراضه الحديثة بقلته لم يعدها في وطنه ولم يضع لها لفظ في لغته بل يجاري طبيعة وطنه الجديد ويساجل الجيل الذي يماشره فيقتبس من لغته كما اقتبس من معانيه ويتزود من الفاظه كما تزود من المعلومات الحديثة التي اضافها الى علمه . ومثل الامة في ذلك مثل الفرد وذلك طبعي في البشر . فإن العرب الذين نحن الآن بصدد البحث في لغتهم لم يشدوا عن هذا التاموس الطبيعي بل نقلوا الى لغتهم كثيراً من الالفاظ الفارسية والرومية والحبشية والهبر وغلغية والسنسكريتية الخ سواء كان ذلك في عصر جاهليتهم وبدأونهم او في عصر اسلامهم وحضارتهم فقد كان شعراؤهم ونحويهم يدخلون العراق والشام والحبشة ويأتون بالافاظ امما في شعرهم وحديثهم فلا تلبث ان تنشب بلغتهم وتلوكها السنتهم وتمزج بارقي طبقات الفصحى من كلامهم . وكفى لذلك دليلا ان القرآن الكريم جاء بهذه الالفاظ في نضعيف آياته وعباراته البليغة مثل السندس والاستبرق والقسطاس، ولم تنجاف عنها الاحاديث الشريفة وعبارات البافاء وسمر الخلفاء

بل تعدت تلك الالفاظ الى اطعمتهم وملابسهم وآيتهم كالسكاج والعليلسان والسكرجة ، على أنهم لم تقصر مهمتهم على نقل الاسماء فحسب ، بل تصرفوا فيها واشتقوا منها افعالاً وجمعوها جمعوا مختلفة فقالوا : ألجم الفرس اذا لبسه العجم ، وبهرج عمله اذا ابطله وجعله كالدرهم النهرج ، وجمعا استاذاً على استاذين ونموزجاً على نماذج ونموزجات مما عده أمة اللغة اصلا من اصول اللغة وسموه بالتعريب وافردوه بالمؤلفات الممتعة . فبعد هذا كله لو أدخلنا في اللغة العربية اسماء الآلات

الحديثة والجواهر للتكشافة والاصطلاحات العلمية كالوضعا أربابها أو بنوع من التعريف لم يحدث حدثا في اللغة ولم نجح فيه فضل منكر وإنما فضل ما فعلته العرب أنفسهم وتكون بذلك قد خرجنا من الضيق الذي نحن فيه وانجسنا بالغة منلجما فشمريعي به ويزيد في فراحتها . وما برحت اللغات يأخذ بعضها عن بعض ، فالانجليزية مثلا تنقل عن الفرنسية ما لم يكن فيها من أسماء المعاني والأدوات ولا سيما أسماء الأدوات واصطلاحات العلوم وكذلك الانجليزية عن هذه وعن غيرها

وقول في إزالة هذه الشبهة — لا يمنع أن اللغات يأخذ بعضها عن بعض ، وإن العرب أخذت من لغات غيرها ، وإن في القرآن والحديث الفاظا أعجمية الأصل ، وإن جميع هذا يسمى تعريبا وهو أصل من أصول اللغة . ولكن من هم الذين يأخذون ويضمون ويمزجون ويصرفون في اللغة العربية ، لا شك أنهم أهل ذلك اللسان وهم العرب أنفسهم ، فلا حق للغير في التصرف والتعريب والاشتقاق من الفاظ غيرهم . ولم يقل أحد من أئمة اللغة وقتلتها بجهواز إدخال الأعاجم والمؤدين شيئا من لغتهم في العربية النصحي وعده منها بل مقتوا ذلك وحاربوه ونهبوا الناس إليه في ما جهم فقالوا أنه مؤلف وأنه أصحى عربيه العرب أو عربيه المؤلفون ، وربما أفردوا ذلك كتبيا ككتاب العرب للجواليقي والشفاء للشهاب الخفاجي وغيرها كما قاموا بمنع كثير من الألفاظ التي تقابل ما شاع على السنة أهل زمانهم من المؤلف والمستجمل وسموه النصحيح كفنصبح ثعلب وغيرها فنقل هنا رأي الأئمة فمن له حق التعريب

قال الشهاب الخفاجي نقلنا عن الجواليقي : أعلم أن العرب تكلمت بشيء من الأعجمي والنصحيح منه (أي مما صار معربا) ما وقع في القرآن والحديث أو الشعر القديم أو كلام من يوثق برأيه . فنزول من ذلك التعريب حق للعرب وحدهم وأما ما عربيه غيرهم من المؤلفين فلم يعدوه من قديم العرب الذي يصلح استعماله في النصحيح . ولذلك قال الشهاب الخفاجي في آخر مقدمته في الشفاء وقد أترك بعض ما عربيه لعدم وروده عن يثد به نحو (يشفاه) للكامة التي يقولون لها ناموسية . . قال (وهو مؤلف)

بشخانة قد طرزت قالت بلفظ موجز

على الحريري سما قدري والمطرزي

وقال السيوطي نقلًا عن ابن دريد في الجمهرة : باب ما تكلمت به العرب من كلام المعجم حتى صار كاللغة فما أخذوه من الفارسية البستان والبهرجان الخ وقال نقلًا عن ابن الأنباري شارح المقامات : كثيرا ما تغير العرب الأسماء الأعجمية إذا استعملتها كتقول الأعشى (وكسرى شهنشا الذي سار ملكه) الأصل شاهان شاه : فترى أنه لم يستشهد إلا بكلام عربي وهو الأعشى

فالعر يب إذن هو كما قال الجوهري في الصحاح : تعريب الاسم الأعجمي هو أن تنفوه به « العرب » على منهاجها

ونبحث الآن عن م العرب الذين يمتد بعريتهم في استعمال الالفاظ التي هي من موضوع علم متن اللغة . قال البغدادي في كتابه خزنة الادب نقلًا عن ابن جابر : علوم الادب ستة اللغة والصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع والثلاثة الاولى لا يستشهد عليها الا بكلام العرب . ولا ريب في ان مبحث الالفاظ العربية هو من مباحث علم اللغة . وقال الكلام الذي يستشهد به نوحان ، شعر وغيره فتأمل الاول قد قسمه العلماء على طبقات أربع : الطبقة الاولى الشعراء الجاهليون الخ .. ثم استرسل في عد هذه الطبقات حتى اوصلها الى طبقة المؤلفين الفصحاء فقال ان سيبويه استشهد بشعر بشار بن برد ولم يفت بعضهم عند هذا فاستشهد بشعر مسلم بن الوليد والحسن بن هاني ، ورأى بعض أئمة النحو الاستشهاد بشعر ابني تمام والبحري والمثنبي ومنهم ابن جني والزمخشري والرضي ثم ذكر البغدادي من النثر المستشهد به القرآن الكريم ونقل اختلافات كثيرة في الحديث اصحها الاستشهاد بما كان رواه من اهل الصدر الاول قبل تدوين الحديث في آخر عصر بني امية الخ

واقول ان العرب الذين يمتد بعريتهم وينقل عنهم قولهم وكتابهم نقوا الى اواسط القرن الثالث من الهجرة ، فالشافعي وأمثاله من فقهاء العرب وأئمة اللغة وطبقة الكتاب والوزراء يعتبرون في كتابة رسائلهم ومؤلفاتهم عربا فصحاء

وقال الامام احمد بن حنبل : كلام الشافعي حجة في اللغة . وسئل غلام ثعلب عن حروف اخذت عن الشافعي مثل (مالح) قال كلام الشافعي صحيح . وقد صنف الازهرى وهو امام اللغة في عصره كتابا في ايضاح ما اشكل من مختصر المزني وقال في ديباجته : أفاظ الامام الشافعي عربية محضة ومن عجة المولدين مصونة . والمجبة التي اعتبرنا بها كلام الشافعي عربيا محضا هي التي نضربها كلام الاصمعي ومعاصريه كابي عبيدة وأبي محمد البزدي والكسائي وقطرب وغيرهم ، وكان الشنقيطي رحمة الله عليه يثق بفصاحة المأمون الخليفة العباسي ويحتج في العربية بما صرح عنه . ولا يعد عن هؤلاء كثيرا غول الكتاب من أهل زمانهم كالحسن بن سهل وسهل بن هرون والمجاظ ، فهؤلاء وأمثالهم عرائين الفصاحة ولهامهم العربية وزعماء العلم والكتابة والتصنيف واليهم يرجع كل ما وصل الى الناس من علم وأدب وفقه وكلام ولعل من الذين يمدحون هذا أن يقول انه بالقضاء عصر هؤلاء الاعلام انقضى عصر العربية الفطرية وفشت العجمة في جميع الامصار واستحالت اللغة الى صناعة من الصناعات يتلاقى فيها العربي والديلمي والرومي والبربري ، فلا يصح لمن خلف من هؤلاء أن يضغوا في اللغة شيئا جديدا او يمحوه لفظا عجيبا معربا اذ ليسوا من أهل هذا اللسان وإنما هم حكاية له وقلة لأصوله . ومن نظري كتب العرب والذخيل وجد ان كل ما اعتبر فيها معربا فهو اما وارد في كلام العرب القديم أو كلام الله الكريم أو الاحاديث النبوية أو شعر أهل مصر القدي وصفنا اورسائلهم ومصنفاتهم . يعرف ذلك كل من نظري في كتاب سيبويه وكتب المجاظ وكتاب الخراج لابن يوسف ومدونة مالك وكتاب الاغانى . وما يقع في كلام أهل الصناعة بعد هذه العصور البائدة من مثل الوجاق ولاردى والسوارى والطنبجة والصنجة والسلامك والنوايزة والعاملون فليس من العرب في شيء . وما هو الا اعجمي محض لا يصح استعماله في كلام العرب واذن فلا يصح لنا ان ندخل كلاما أعجميا في اللغة العربية ونزعم تعريبه اذ لسنا اعرابا بالفطرة حتى نملك حق التعريب . وكما لا يجوز لغوسي أو الطلياني أو الانجليزي ان يزبد شيئا جديدا في اللغة اللاتينية أو اليونانية

أولهندي الحالي ان يحدث حدثاً في السنسكريتية والفهلوية لا يجوز لنا بعد انقراض الالعرب بأحد عشر قرناً ان ندخل في لسانهم ما ليس منه . ولو جاز لنا ذلك في الالفاظ وهي اصل اللغة لجازلنا بالاولى في التراكيب والاساليب ، لأنها هيئات للالفاظ واحوالها ، وهي من اللفظ بمنزلة العرض من الجوهر أو القرع من الأصل وكنا استرحنا من الالعرب الذي اضجر كثيراً من مترجمي زماننا وجعلهم ينسخطون العربية وينقصون فضلها . وهو رأي لا يبرج على مثله ولا يقول به الا أهل الجسارة ممن لا يتصوّنون عن الشنعة ولا يكتفون بسوء الفاقة وبعد فما ورد من العرب في القرآن الكريم وكلام العرب الجاهليين والاسلاميين ليس الا شيئاً يسيراً من الكلام لا يبرج اللغة ولا يتضمنها وما هو بالاضافة الى جميعها الا كقطرة في بحر أو حصة في فلاة اذ كل ما صح انه عرب في القرآن الكريم لا يزيد عن ستين لفظاً غير الاعلام . وقد اصبحت جميع ما ورد من العرب في الكتب التي بايدنا كشفاء الفليل والمزهر وقته اللغة والالتقان ولف القماط ورسالة ابن كمال باشا بعد حذف المولد والاعلام فلم يرد على سنانة كلمة ؛ وهب أنها وصلت الى الف أو الف وخمسة اظم يكن اقتصار العرب على هذا القدر الضئيل مع ما كانوا عليه من التبدد والتعثر بين جميع اسم الارض برهانا ساطعاً على شدة احتفاظهم بانتمهم وحياطهم لها على ما منيت به من البلايا والمحن ورزقت من المزاخر والفنن مما لو تفحصت فيه لغة أخرى لغارت في غيرها وامست من العاديات والبوائد

فلو جرينا على شبهة القائلين باستعمال الالفاظ الاعجمية التي أحدثتها المدنية الاوربية من اسماء المصالح والادارات والشركات والآلات واصطلاحات العلوم لطرقنا في العربية لا أكثر من عشرين ألف كلمة فان ما نحتاج الى ترجمته من العلوم والفنون والصنائع لا يقل عن أربعين ولا أقل من ان يكون لكل منها خمسة اصطلاح وذلك خطب هائل يأتي ببيان الآفة من قواعده وتسنأسر له تلك الفلول التي بقيت في رءوسنا منها وما ظلك ببقاء ستة الآف لفظ تستعمل الآن في الجرائد والمؤلفات والرسائل امام هذا السيل الجارف ويزيد

الامر ضمنا على اபالة من يرى من أهل هذه الشبهات اشتقاق افعال ومصادر من الالفاظ الاعجمية مثل ما فعله العرب في لجام ونهرج وبريد فقالت الجلم العرب ونهرج المهرم وأبرد السفير فيقول هو : « تلفتنا بك انجولوا جبشان ليمتدبان أحد البنا كير تافره بسل برئسو علينا » كما يقول « اترمت الى اوتيل مينا هوس حيث رأينا تيلونوتوجرافين يلفجرون متش الجمال ثم رجعت مثبلا الى الككازينو لمشاهدة السينما نوجراف فأولجت ولم افهم » . وهي درجة لا تصل اليها الامة الا بمغفلان من الله تعالى . ولئن تم ذلك لا قدر الله لتكون الامة الماطية اقرب الى العربية من لغتنا . ولقد اذ كرني ذلك ما أخبرني به بعض ثقات الافاضل من حضر مؤتمر الجزائر منذ عامين انه سمع بعض متفرجة الجزائر يقول : « ركبت أنا والمدموازيل اناهي في الشانديفر وصلنا هنا به الساعة ثمانية سوار » وسأل أحدهم في باريس ابن نصلي الصلوات فقال « أصلي في الشاندي سيدي ماني موسكي » . واما ما يقال من ان أم أور بال لا تأنف ان تدخل في لغاتها لغة غيرها فإن ذلك لا يوطنها على تقليدها فإن اية القراءة والكتابة عندها هي لغة العامة وهي تبدل كل يوم . على انهم يأنفون ذلك بعض الالفة ولهذا تقل العلماء والمخترعون الاسماء الحديثة من اللاتيني او اليوناني القديم من حيث بادت أسمها ونفيت عصبتها وما لتأتبع غيرنا اذا اخطأوا صبتنا نحن ما بقي عندنا من ممثلات جنسنا الالهة الميزة وهي حفظ اللغة والقرآن الكريم . فليقل الله هؤلاء النفر في جنسهم ولغتهم وقرآنهم ولا يفسروا ان لغتهم لغة دين وان في تسليمها تسليما للذات وابادة لغوهم القرآن الكريم والبينة وتشبها بقراب النحس الذي اراد ان يهلكه المحجلة فلم تتبأ له مشيتها ونسي مشيته (الشبهة الثانية) - يقولون لو قلنا انها الآلات والاصطلاحات العلمية كما هي الى الامة العربية كنا جرينا على أم قاعدة ذلل بها المتمدنون شنوس الامور وحسبوا بها كثيرا من الخلاف والنزاع وهي توحيد لسان العلم في جميع اللغات وفي ذلك من تقارب الامم مالا يخفى ؛ وتقول في ازالة هذه الشبهة : انما قلت أم أور با ذلك لتقارب اصول لغاتها في الاساليب والبيان ولا اشتراكهم في الكتابة بالحروف اللاتينية ولعمري يحفظهم بلغة دين أو جنس

فالكلمة يكتبها الفرنسي بهجاءها الخاص كما يكتبها الانجليزي وكثيرا ما تكون مخارج حروفها عندها سواء . فما الفائدة لنا في مشاركتهم في لسان العلم مع ان كتابتنا غير كتابتهم وحروفنا غير حروفهم ولا مندوحة لنا من ان نحتمل الكلمات الاعجمية التي تزيد عن سبعة احرف ونرجعها الى سبعة او ما دونها علا بقاعدة التعريب . كما اننا نغير مخارج حروفها بحيث لا يمكننا استعمال الكلمة على مناج لغتنا الا بعد ان نسمح ونشوه ونعود كلمة اخرى لو قرعت اذن واضحا لما عرفها ولا قرب في الضحك من علمنا ونكون قد باعدنا لغة العلم باكثر مما نريد به التقرب منها واذا اردنا ان نعرف بالضبط ما يقابلون به هذه الكلمات منا فنتنظر الى ما فعلوه هم انفسهم عند ما ارادوا ان ينقلوا من لغتنا الى لغتهم فقالوا (الحسين) في ابن سينا و (سلاطين) في صلاح الدين و (ليزولا ما) في الماء . واظن ان عربيا يسمع هذه ولا ينكرها ابدا انكار اهد من الوجود من عناء مغرب

(الشبهة الثالثة) - يقولون : اننا نقلنا الالفاظ الاعجمية كما وضعها اربابها نكون قد احترمنا اعمال غيرنا وحفظنا لهم حقوقهم فيها سواء . فكما لا يحق لنا ان نقسب اختراع ما اخترعوه الى انفسنا لا يحق لنا ان نغير اسماءه .
ونقول في دفع هذه الشبهة : نحن نوافقكم على هذا الاصل فيها كل مناهلنا ومن تكلف تغيير اعلام البلدان والالاس قد ارتكب شططا اما وهي اسماء اجناس فلا معنى لاستعمالها في العربية على اصلها الا التشويه بلقنتا وربما بالقصور عن ان نسم هذه الكلمات بطريقة من طرق وضعها كالتصوير بالمرادف والتجوز والاشتقاق وكلها طرق قياسية في اللغة استعمالها العرب في وضع مصطلحات علومهم وعلوم غيرهم مما ترجوه من اليونانية وغيرها كما سنفصل ذلك بعد . واظن اننا لو سألنا مخترعا من القوم انجب ان يكون فنوع الذي اخترعه اسم واحد أو أن يكون له اسماء وألقاب في لغات متعددة ولتج به اسم مختلفة لاختار الثاني لان فيه تقليدا لاسم مخترعه فلا يبيد في لغة من اللغات المخترعة حتى يحيا في اخرى ولأن في كثرة الاسماء زيادة نهاية بالسمي

« الشبهة الرابعة » - يقولون : ان هذه الاصطلاحات في العلوم أصبحت تعد بالألوف في ألسنة العلم والصناعة والتجارة فكيف من الزمن يكفي لوضع أسماء عربية لها من جديد مع أننا محتاجون من الآن إلى النقل والترجمة ونقول في درء هذه الشبهة : ان هذه العلوم لا يمكننا نقلها إلى لساننا في سنة أو سنتين أو ثلاث بل لو أردنا إعادة طبع كتبها بلسانها وحروفها لما وسعنا هذا الزمن ولنسلم جدلاً بأنه يمكننا طبعها في أقل منه بألفئة العربية مع نقل أسماء الاجناس كما هي فكيف زمننا يضيع في استظهار هذه الألوف المؤلفة من الكلمات المستفكرة العربية وتأنقها على السمع والقول وكما الخ : لا بد من قضاء زمن طويل وبذل جهد عظيم وتذليل صعوبات ومشقات هائلة على كلتا الحالتين ولأن يكون هذا العناء في سبيل تنمية العربية وجعلها لغة علم وصناعة وتجارة بالطرق المشروعة خير لنا من ان نهجرها ونفقد نفوذها ونفقد عليها بالفناء قضاء لا نقض فيه ولا ابرام ونكون بهذا العقوق قد انسلخنا منها ويتلو ذلك انسلخنا من الجنسية العربية لا قدر الله

« الشبهة الخامسة » - يقولون : ان من الصعب جداً ترجمة المصطلحات واسماء الآلات الجديدة بالفاظ عربية أذ يلزم على ذلك ترجمة اللفظ الواحد بمدة الفاظ وفي ذلك من النقص والثقل على السمع مالا يحصى . ونورد هنا تفصيل هذه الشبهة من كلام حضرة الكاتب الاديب جرجي افندي زيدان المشهور بالبحث في مثل هذه المسائل . قال حضرته في صفحة (١٣٤) من العدد الرابع من السنة السادسة عشر في التفاضل بين الترجمة والتعريب : -

« فأول ما يتبادر إلى أذهاننا من الحكم في تفاضل الترجمة والتعريب ان الترجمة أفضلها صيانة لئلا من مفسد الجملة فنقول « بريد » بدل بوسطة و « نظارة » بدل تلسكوب و « سياوة » بدل أوتوموبيل و « التصوير الشمسي » بدل فوتوغراف . ولكن ذلك لا يتيسر الاجماع على اختيار الفاظه الا بجمع عامي لغوي فيه الكفاية وحسن الاختيار وان يكون له صفة رسمية تسهل اعتماد الكتاب على ما يضعه

او يختاره من الالفاظ . على ان هذا المجمع اذا تألف وعرضت عليه الالفاظ المطلوب ترجمتها فظنه يحكم بتعريب قسم كبير منها اي ببقائه على لفظه الافرنجي بصيغة عربية اذ يرى بعض المصطلحات الجديدة تسهل ترجمتها بما يسهل لفظه وحفظه والبعض الآخر لا يترجم الا ببضمة الفاظ يشغل استعمالها مع كونها بالاصل الافرنجي لفظة واحدة . فاذا ترجمنا فوتوغراف بقولنا « تصوير الشمس » او « التصوير الشمسي » فهاذا نترجم « تليفونوغراف » ومعناها « التصوير الشمسي عن بعد » واذا أردنا تعريبها في الاستعمال قلنا « آلة التصوير الشمسي عن بعد » . . . ولا يخفى مافي ذلك من الثقل على اللسان والفهم . والتعريب يكفيها مؤونة هذه الاثقال فلأبقينا اللفظة كما هي قلنا جاء التليفونوغرافي وفن التليفونوغراف الخ . ومن فروع التصوير الشمسي ايضا « الفوتوليتوغراف » ويراد به التصوير بالشمس على مطبعة الحجر ومثلها « تليياتوغراف » وهي آلة كبرائية لنقل الصور عن بعد باسلاك كبر بائية فكيف نترجم هذه المصطلحات وأمثالها وقس عليه الفوتوتيب أي الطبع بالشمس والفيسوتيب الطبع بلا حبر

« واذا ترجمنا « الميكانيك » بالحيل الروحانية أو علم الآلات فهاذا نترجم « تليبيكانيك » ويراد بها عديم نقل القوة الميكانيكية من مكان الى آخر . واذا ترجمنا « الفونوغراف » بالحاككي او الناطق فهاذا نترجم « التليفافون » وهو آلة مركبة من التلفراف والتليفون وتعمل عملها معاً . واذا ترجمنا « تلسكوب » بالنظارة المقربة فكيف نترجم هيدر وسكوب وهي التلسكوب القوي يكشف به عما في قاع البحار . واذا ترجمنا « سينما توغراف » بالصور المتحركة فكيف نترجم « سينما فون » وهو الآلة التي تريك الصور المتحركة وتسمعك اصواتها . وقس عليها امثلة لا تحصى . - لا نقول انها لا نترجم ولكننا نرى ترجمتها شاقة لا تخلو من التعقيد فضلاً عن مخالفتها ناموس الاقتصاد العام . لان المعنى الذي يؤدي بكلمة لا يجوز تأديته بكلمتين او أكثر »

ونقول في ازالة هذه الشبهة : ليهون جناب الفاضل عليه الامر فان الترجمة الحرفية ليست هي الطريقة الوحيدة لنقل اللفظ الاصجي الى العربية فان وراها

طريقة التسمية من جديد. وهذه إما أن يلاحظ فيها كل المعنى الأصلي أو بعضه أولاً يلاحظ شيء منه، ألا يرى أن العرب عندما أرادوا أن يسموا علم (القسووغرافيا) باسم عربي سموه (الهيئة) مع أنهم لو أرادوا ترجمته لقوالوا رسم السماء وأن علماء الطبقات الأرضية سموها نوعاً من الصخور لم يهتدوا إلى معرفة عناصره الأصلية باسم (المتجل) إذ لا مناسبة بين هذا الاسم وبين المعنى الطبيعي. وما المانع من تسمية (السينافون) بالطف أو (الطف الناطق) مثلاً. ولا يطالبني الآن جنابه بتسمية جميع ما ذكره فإن ذلك يحتاج إلى بحث ودراسة. ونحن الآن نبحث عن تقرير أصل تتبعه فإذا ترويض عليه كان له ما يجب.

(الشبهة السادسة) يقولون أننا بقبولنا طريقة التعريب نكون قد وافقنا جميع الأمم المشتغلة بالعلم في جميع بقاع الأرض وبهذا أياها نكون قد خالفنا والفرد إذا خرج عن الجماعة اعتبر عمله شذوذاً وانقطاعاً عن العالم

وقول في إزالة هذه الشبهة: ليس كل خلاف يعد شذوذاً أو يلحق بصاحبه ضرراً. على أن لنا في ذلك أسوة بأمة ألمانيا العظيمة فإنها خالفت هذا المبدأ ولم تستعمل مصطلحات اللغات الأخرى في لغتها وهي صاحبة المقام الأول في قارة أوروبا علماً وصناعة وسياسة. وبعد فإذا نستفيد من هذا الزفاق ما دنا نكتب بغير الحروف اللاتينية ونطلق الحروف بمخارج تباين مخارجها في اللغات الأوروبية

(الشبهة السابعة) - يقولون: إن لغتنا جامدة وكل معنى من معانيها لا يقوم إلا بمفرد خاص فاما اللغات الأجنبية ففيها كثير من الزوائد والانتهاءات الصغيرة ترويدي حمل الالفاظ الكبيرة خصوصاً في النفي والاثبات والافراد والجمع يعرف ذلك بالاطلاع على مصطلحات الكيمياء وكيف فرقوا بين كلودييك وكلورات وكلورور، وأن لها لاتيفايونانيا قديمين يوهن خدمتها أسماء المصطلحات الجديدة بحيث لا يحصل ادنى اشتراك في اللفظ

وتقول في إزالة هذه الشبهة: إن عدداً لا يمكن حصره من ألفاظ اللغة العربية كل منها له معنى لو اردت التعبير عنه بالتفصيل لا كفت الجمل به الالفاظ. وإن

الطلق بعلامات الثبوتية والجمع في اللغة العربية له أعظم أثر في التمييز ، وإن زوائد جواهر الكيمياء يمكن أن يستبدل بها في العربية كلمات قليلة الحروف أو حروفاً مثل (ذي - أو ذات - أو ياء النسب - أو النسب بالصيغة والاشتقاق) وغير ذلك مما لا يتعدى على جماعة تعني به ، وإن لنا أيضاً لاثنين قد بدا لا يحصل به الاشتراك هو الغريب القليل الاستعمال متى كان قليل الحروف خفيفاً على السمع (الشبهة الثامنة) - يقولون : إن هذه الأسماء الجديدة قد شاعت وذاعت بين العامة ومم السواد الأعظم وكثير من الخاصة ويشبه المستحيل أرجاعهم عنها إلى الفاظ عربية فصيحة

وقول في دفع هذه الشبهة : أما العامة فلهم لغة خاصة بهم ونحن نتكلم في لغة الكتابة والقراءة فإذا ما تعلم العامة القراءة والكتابة تعلموا الألفاظ الفصيحة . وبعد فقد كان ينبغي على هذا المبدأ أن نجاريهم في جميع الألفاظ العامية أو بالأولى نجعل لغة القراءة والكتابة هي العامية ونوحي أنفسنا من عناء تعلم الفصح والصدور تضيق بالرد على أمثال هؤلاء ممن لا يحفلون بسوء الحال عند الغلاء ولا يبالون بقبح القول وأما الخاصة فلا أسهل من الأخذ بهم في طريق الفصح وأنا نرى الكاتب في عصرنا يأنف من كثافة (بسكيت) ويكتب بدلها دراجة (الشبهة التاسعة) يقولون أن اللغة كائن حي وهي في ارتقاء مستمر ونجدد ودور وإن ناموس الارتقاء يستدعي بالطبع بقاء المناسب وكل ما حدث في اللغة من التخميل والمواد وما سيحدث فهو ضروري بطبيعة الحال ومبتدأ يحاول الإنسان مقاومة الطبيعة الأبرى أن العرب كانت لها أسماء لمسميات تعرفها ظلاً امتعت في الامتزاج بالفرس أخذت أسماء هذه المسميات عنهم وهجرت أسماء الأصلية . نظير ذلك الباذنجان وهو بلفظهم (الانب) والرصاص (الصرقان) والمهاون (المنخاز) وقول في دفع هذه الشبهة : إن هذا الأصل اللغوي يتفق به كثير من متفلسفة زماننا ويدخلونه في كل شيء وما مني الناس بشر أشد من اختلافهم في فهم هذا الأصل ولئن صرح على زعمهم أن اللغة كائن حي بكيفية الأحياء فما لاشك فيه أن حياتها بحياة أهلها ونحن نحب أن تكون لغتنا حية . إذن نجابتها وموتها وعزها

وذلك بأهدينا فلو شئنا ان نترجم في ناموس الارتقاء وتبع طريقة التجدد والدثور فلنحي كثيرا من الفاظها الجميلة التي بائت في بلون المعاجم تشكي العطلة وسوء الحال وكساد السوق ، ولنمت كثيرا من الالفاظ الدخيلة والمولدة التي صارت في وجهها كبثور الجدري الاسود فشوت محاسنها واوهنت قواها



اذانفينا جميع هذه الشبه وجب علينا ان نشرح طريقتنا في ترجمة الاصطلاحات والآلات الجديدة فنقول :

ان هذه الكلمات لا تخلو ان تكون اعلاما وأسماء اجناس . فاما الاعلام فلا مانع من نقلها اعجمية بعد صقلها بالنطق العربي واما اسماء الاجناس فاما ان تكون معروفة قديما عند العرب ولها في لغتهم أسماء تطلق عليها أو على ما يشبهها . وهذه يبحث عنها في اللغة ويعاد استعمالها في معانيها ككلمة قتال ١ خليج او قناة) وكلمة قباية (شركة) . واما ان تكون مجهولة لم وهذه لنا في نقلها ثلاث طرق :

(١) طريقة ترجمة اللفظ بمرادفه كترجمة سيناتور جراف بالصور المتحركة وترجمة كرافات برباط الرقبة

(٢) وطريقة الاشتقاق من الفعل الذي يعبر به عن عمل الكلمة او صفتها ان كانت من ذوات العمل والصفة . وهذه تسمية جديدة لا ترجمة مثل نسبة البسكليت بالهراجه والانومويل بالسيارة ونحوهما من مثل الدراعة والبارجة والباخرة والنفاسة والقطار الخ فان هذه الالفاظ قد وضعت لاسميائ افرنجية ولا يوجد من الفريق الخالف لنا من ينكر سهولتها وشهرتها وسبقها غيرها في حلبة الكتابة

(٣) طريقة التجوز . وهي طريق واسعة النواحي كثيرة الفجوج وعليها اعتمد الاوروبيين في نقلهم المصطلحات الحديثة من اللاتينية وما أغزر علاقات المجاز في لغتنا فملاقة المشابهة في حالة من الاحوال تكفيننا مودة التكلف والتعسف في انتقاء الالفاظ . هذا الى بقية علاقات المجاز المرسل كالسببية

والمسيبية والحالية والجلية واللازمة والمزومية واعتبار ما كثر وما يؤول وغيرها مما يكفي فيه ان يكون بين العربي والأعجمي أدنى ملاسة ومضى شاع اللفظ الجديد واشتهر فلا يوجد من يبحث عن أصل مأخذه كالمداغة والبارجة والقطار والمفتخر. والمجاز اذا اشهر صار حقيقة عرفية

وهذه الطرق الثلاث كلها قياسية في الاستعمال لا ينكرها أرباب العربية وكتبهم في البيان والاصول وعلم الوضع حافلة بشرح حقائقها وتفصيل مباحثها ولا يتحكمك بذلك الا مكابر وعلى هذه الطرق جرت العرب عند وضعها اصطلاحات العلوم الشرعية والادبية والعلمية وكلنا نعرف معنى التفاعل والمفعول والمبتدأ والخبر والحال والتمييز والظرف والاستثناء والدل عند التحويلين ، ونعرف أصل معانيها النغوية . ونرى العرب عند ما ترجموا المنطق والحساب والمهندسة والفلك لم يستعملوا في اصطلاحات هذه العلوم الا الالفاظ العربية وربما تفرق بعضهم فاني بعض الفاظ على أصاها مثل الفلسفة والافسطة ولكن ذلك لم يمنعه من استعمال مرادف لها عربي مثل الحكمة والمغالطة

هذا وان ماسقناه من أدلة الرد على الفريق الاول يكفي في اثبات فضل طريقتنا في الترجمة ولا يحتاج في نشرها والعمل بها الا تأليف مجمع علمي يتولى أمر البحث والوضع وهو ما نرجوه في هذا النادي اذا تقي من حضرات الافاضل أرباب الصحف والمؤلفين والكتاب والشعراء ما ننظره منهم من المؤازرة في البحث والوضع والتنبؤ به بنتائج علمه واذا عث للجمهور ليروارأهم فيه وليزودوا منه اه



(المنار) : هذا خطاب الشيخ احمد الاسكندري الذي أعده للاجتماع الاول من اجتماعات نادي دارالعلوم ولكنه لم يتمكن من اتمامه فيه . وقد رأى من المنكرين عايه منع التعريب ما حمله على كتابة خطاب آخر يرد فيه عليهم وعلى خطاب الشيخ محمد الحضري الذي نشرناه في الجزء الماضي وقد اتى هذا الخطاب الثاني في الاجتماع الثاني وهذا نصه

﴿ الخطاب الثاني للشيخ احمد الاسكندري ﴾

﴿ في نادي دار العلوم ﴾

أيها السادة الافاضل

اني أهتف الآن موقفي منذ أربع عشرة ليلة في سبيل اداء واجب من أقدس الواجبات عليّ وهو القدوة عن حياض الرية وكلاهما من ثمرات العجبة اليها وكان يودي أن أتناجز مناظري الفاضل في الموطن الاول وسكن حال دون ذلك ضيق الوقت وفيما حضر استدراك لما فات

أيها السادة : كنت عنت في الاجتماع الماضي أن أذكر أولاً شبه الفريق المخالف لي في الرأي ثم أشرح بعد ذلك طريقي في ترجمة الاصطلاحات العلمية واسماء المختبرات الجديدة ولكن الوقت ضاق عن تمام ادحاض الشبه وبيان الطريقة فلم آت الا على شبهة واحدة منها واكتفاء بما أوضحته في رسالتي التي طبعت ووزعت على حضراتكم وعلى كثير من أهل الذكر ولبثت الجرائد توالي نشرها عدة ايام . لا أريد اللبلة معاودة البحث في هذه الشبه إذ لا تحلو إعادة القول فيها من تكرار وأجل كلاسي اليلة قاصراً على شرح طريقي وعلى المناقشة مع مناظري الفاضل في خطبته التي أوضح فيها طريقته ورد بها على مخالفيه فأقول

بلفني ان قرا من يأخذون بالفتنة ويتقون بوجودهم لم يتوبوا في الحكم على طريقتنا فأرجفوا بأنها تقول ببقاء القديم على قدمه وأنها محارب كل جديد وأنها تمنع الاجتهاد في الفتنة كما منع من قبل الاجتهاد في الدين وأنها تفرق بين الفتنة وبين العلم والصناعة وأنها تقاوم الرقي الطبيعي للغات وغير ذلك مما لم يكن له موضع الا اخیلتهم فقط

يا حضرات الافاضل اني لم آت لحفظ لفتنا بأمر غريب وما جئت شيئاً نكراً فاني لم اسلك الا الطريقة التي سلكها أسلافنا عندما أرادوا أن يدونوا علومهم ويترجموا كتب غيرهم من الامم . كانوا رحم الله ايامهم يضعون

للمصطلحات علومهم أسماء منقولة من العربية المحضة بنوع من التساهل والتجزؤ في المعنيين القديم والجديد ولم ينكر أحد عليهم ذلك حتى أهل زماننا فوضوا مصطلحات النحر والصرف والمعاني والبيان والبدیع والعروض والقافية ومصطلح الحديث والتفسير وأصول الفقه وفروعه والتوحيد كما وضوا مصطلحات العلوم التي ترجوها مثل المنطق والحكمة الإلهية والطبيعة والحساب والمهندسة والذكاء وغير ذلك من العلوم التي لو أردت احصاء مصطلحاتها لعددت عشرات الألوف من الكلمات كلها عربية لها معان اصطلاحية ومعان لغوية ومثل ذلك آلات الصناعة والعلوم وكتاب المحصن وقته الفقه وكتاب العين للخليل وجمهرة ابن دريد وبنوادر ابن الأعرابي ومفردات ابن البيطار والمادة الطيبة للرشيد وقاموس نحاري يكملها بمحور زائفة باسماء النبات والحيوان والآلات

ولم يكن العرب ينتدعون ذلك من عند انفسهم بل أنهم اعتدوا فيه بهدى القرآن الكريم فأكثروا الفاظ القرآن الدينية لم تكن الرب تعرفها قبل الاسلام بهذه المعاني فقد جاء الاسلام وما تعرف الرب من معنى الصلاة الا الدعاء ومن معنى التيسم الا القصد ومن معنى الزكاة الا الطهارة ومن الفسق الا قولهم نسقت الرطبة ومثل ذلك كثير في القرآن فاستعملها في هذه المعاني الجديدة الدينية ولم تنكر العرب هذا الاستعمال. ولئن جاز ان ندخل مثل مباحثنا من الدين في باب الحظر والاباحة لقد جاز لنا ان نقول ان هذا اقرار من الله تعالى على صحة التوسع في استعمال اللفاظ اذ لو اثبتنا هذه الطريقة في تسمية الآلات والمصطلحات الجديدة لم نكون ناجين الا للغة التي سنها الله تعالى في تسمية كل جديد ولسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة الأئمة وواضي العلوم ومترجميها من سلف الامة واذا فصلنا هذه الطريقة أمكننا أن نقررها فيما يأتي

(١) لا يجوز النقل من غير لغة العرب الا الاعلام (٢) لا تأخذ الكلمة لشيء الجديد الا من غريب اللغة او القليل الاستعمال مما هو عندنا بمنزلة اللاتيني عندهم لتقليل الاشتراك بقدر الامكان (٣) ان كلفة الترجمة لا تخرج عن الطريقة الآتية :

(ثم قال بعد ان لحص طريقته اني ذكرها في الخطاب الاول)
وقد يصترض بعض المتحذلقين بقوله لاغني لنا عن أن نترجم بعض لاكآت
بكلمتين فأكثر مع أنها كلمة واحدة في الافرنجية . فنقول في الرد عليه أما الكلامان
فلا بأس باستعمالها اذا كانا لصفة وموصوف ومضاف ومضاف اليه لانهما كالشي
الواحد مثل (القياب الطيارة) و(المحراث البخاري) و(سكة الحديد) ومع هذا
فإن الامة الافرنجية نفسها لم تسلم من ذلك فالباخرة عندنا كلمة واحدة ومع عندهم
ثلاث كلمات (بائسواذا بور) ومثل ذلك كثير اماما زاد علي ثلاث فاننا لانتجني
اليه بل نسي الكلمة التي لا نترجم تسمية جديدة كما نسمي السينافون ومعناها
الصور المتحركة الناطقة بالحيال الناطق)

واذا قيل إن ذلك يستدعي عملا كثيرا وأزمانا طويلة ومن هم الذين يعملون
ملك لتحقيق هذه الامنية : أقول أني لا أريد أن أقتض هيكلأ وأبنيه في ثلاثة
أيام وكل عمل عظيم يستلزم صعوبة وبيننا الآن كثير من رجال العمل لا يوزم
الا مساعدات قليلة من رجال الصحف وسراة الإامة

إذا قيل : اننا نحشى أن لا نجد في الامة أسماء موافقة لبعض المسميات
الافرنجية أقول : هذا مستحيل مع ما قدمنا من الطرق الثلاث وإذا علمنا ان
أبا الاسود سي علم النحو نحووا لان عليا رضي الله عنه لقنه بعض قواعده وقال له
انح هذا النحو وان علماء طبقات الارض من الافرنج سموأ أحد الصخور باسم
(الحجل) لانهم لم يعرفوا له تركيبا نتقنا من أننا نجد حتما كل اسم والاصطلاح
وحده وضع آخر

واذ سمعتم يا حضرات الافاضل طريقي وجب علي ان أشرح لكم الادلة
والبراهين التي قامت عندي على صحتها

الدليل الاول - ان التعريب ليس من حقوقنا لاننا لم نر أحدا من أئمة الامة
انكر ان التعريب حق للعرب وحدهم وان زمنه ينتهي على أوسط تقدير الى أوائل
القرن الثالث وفي هذا المقام ندفع شبهة قد وهم فيها بعضهم عند تكلمي في هذا

المقام في الاجماع الماضي . وهي قوله : تقول انا لسنا عربا في مقام ثم ترجع وتقول في مقام آخر انا نحافظ بمنعنا دخول الكلمات الاعجمية في لغتنا على سلامة جنسيتنا العربية . فنقول له : انا نعمي بالعرب العرب الذين يندبر بيتهم في اللسان لا في النسب والجنس فقتل عترة وبلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبيب صاحبه والحسن البصري وابن سيرين وعطاء بن أبي رباح ومجاهد وسعيد بن جبير ونصيب وعبد نبي الحساس وابن المقفع كلهم عرب في ألسنتهم لا في جنسهم وانسابهم فمنهم المهجيني والزنجي والحبشي والفارسي والرومي ، ومثل عرب جاوه ومالطه وعرب اسبانيا وعرب المغرب والشام ومصر ليسوا عربا في ألسنتهم وان كانوا عربا في انسابهم وكلنا لا ينكر أن فينا الهاشمي الذي لا يحسن قراءة الفاتحة ومثله كثير في بلاد الترك وفارس والهند والصين واذا سمنا اثار ينع وعلم تقويم البلدان عربا فانما يعني علماءها العربية الجنسية واذا قالوا عند ذكر بلادنا ان لغتها العربية فانما يعنون ان لغة الكتابة والقراءة والعلم والتعليم هي العربية أو أنهم يتساهلون في إطلاق العربية على العامية لان أكثر الفاظها محرفة عن العربية وان أساليبها لم تزل بعد عليها مسحة الاساليب العربية ولذلك لم يحرمنا أمة اللغة حق الارتفاق بهذه الصلة اللسانية فسمونا مولدين أي انا نصف اعراب في اللسان نل لم تكن نصف اعراب في الجنس اذن فعنى العرب في كلامنا ما يقابل المولدين لا ما يقابل الرومي والصقلبي

الدليل الثاني — المحافظة على سلامة اللغة من فشو الدخيل فيها مع التوسع في استعمال الفاظها فاننا وجدنا العرب عند وضعهم العلوم وترجمتهم لكذب غيرهم واقتباسهم صنائعهم لم يرجعوا في تسمية المصطلحات وأسماء الآلات الا الى التوسع في استعمال الفاظ اللغة اقتداء بالقرآن في تسمية شعائر الدين باسماء استعملت قبل القرآن فيها يشبهها كما بينا ذلك آنفا

الدليل الثالث — المحافظة على صحة فهم القرآن لانا اذا أبجنا لنا ولاولادنا واحادنا ادخال الالوف المولفة من الكلمات الاعجمية وأبجنا لم كما يرى مناظري الفاضل اشتقاق جميع المشتقات منها كنا قد صبغنا اللغة بعصبة إفريقية

لا يتميز بها العربي من الخيل ولا خلط الامر وأثر الفساد في حالة مدارس القرآن وكتب السنة

الدليل الرابع - المحافظة على البقية الباقية عندنا من الجنسية العربية فان هذه الجنسية الميزة لنا عن سوانا والتي تصلنا بأعظم أمة فائحة ذات دين وشريعة ومدنية عظيمة لم ندم لنا الا بنسبة محافظتنا على القلب من اللسان العربي فان نحن حاربنا بهذا القلب ما نحتله من الاجنبي الذي سيستمر أخذاً في الزيادة وذلك في نقصان نسخ الجديد القديم ويولد ذلك نسخ جفنا وكفى بذلك ذلاً وفناء

الدليل الخامس - توسيع نطاق اللغة العربية وجعلها لغة علم وصناعة اذ ينقلنا أسماء عربية قديمة لمعان اصطلاحية تكون قد زدنا في مدلولات اللغة والفاظها شيئاً كثيراً من غير أن نحقق بهذا المصل الفريب المجهول التأثير الذي ان لم يجعل منيتها فلا أقل من ان يخلط ذنوباً في جسمها مع امكان مداواتها بغيره

الدليل السادس - عدم الاستغادة من التعريب لاننا على فرض تسليمنا جواز التعريب فما الفائدة لنا ولا ممل اوربا فيه . ان قلنا توحيد لسان العلم وتقريباً من أمم اوربا كما فعلوا هم بمنعنا منه عدة أمور (١) ان حروف كتابتنا عربية وحروف بمالك اوربا لاتينية وم يكتبون حروفهم من الشمال الى اليمين ونحن نكتب حروفنا من اليمين الى الشمال (٢) ان مخارج حروفهم غير مخارج حروفنا (٣) ان قاعدة التعريب تقتضي أن نكسر الكلمة ونهشها حتى نصير الى صورة عربية فان كانت من الكلمات التي تزيد حروفها عن سبع وجب أن نصغرها حتى نصل الى سبع ونغير بعض حروفها بأخرى ونضع في آخرها جيم اذا كان آخرها لا يستقيم كما قالوا في (لازا) طازج ثم نهجمها جوعا ليس في آخرها (٤) ولا (x) أضي أننا نصهرها في بودقة ونضربها بسكة أخرى فبعد أن تكون شلنا نصير قطعة بخمسة لا يتعامل بها في اوربا وإن كان حسب التقرب من اوربا يضطروننا الى استعمال كلماتهم في لغتنا لقد حق علينا أن نشمّل كلمات من هم أحق منهم بالعربي وهم العامة في مصر والشام والمغرب والعراق مع اتفاقنا جميعاً على قبضها وتعبير من بدرجوا في كتابته مع ان فيها من الالفاظ الدقيقة المعنى

ما ليس له نظير في الفصحى مثل كلمة (يادوب) فإلما نكون حرباً على أمتنا
وسلماً لغيرنا

هذه هي طريقتنا وتلك أولتنا وقد أزلت في مقامى هذا وفي الاجتماع الماضي
جميع الشبه التي يمكن أن تخطر على قلب من يرى غير رأينا . وأما خطبة حضرة
مناظري فإنها من حسن الخط لم تكلفنا كبير مؤونة في الرد عليها فإني بصدآن سمعتها
من حضرته وقرأتها صراخاً ومخضتها مخضاً لم نجد على با أكثر من ثلاثة احتجاجات
(الاحتجاج الاول) قال ان حجتنا في منشا التريب هو تشبيها الفقه بالدين
وهو احتجاج نظيره من نفسه ما قلناه أنا وما قاله أحد من يرى رأيي ، وعلى
هذا الحيال أخذ يفرق بين الدين والفقه وإن هذا وضع الله وهذه من وضع
الافراد الخ

(الاحتجاج الثاني) قال « ان طريقة التوسع في الاستعمال بالتجاوز مجزأ إلى
تغيير في وضع الكلمة الأصلي وهذا التغيير وضع من جديد » وأنكر ذلك أنكاراً
شديداً فقال « اننا اذا أخذنا الكلمة واستعملناها في شيء جديد (مع قرينة) لم
نكن قد جربنا على لغة العرب لاننا خالفنا أوضاعهم ومقاصدهم - الى أن قال
في طريقتنا - اننا نجري على خطة لا أساس لها مع وصف الخروج عن أوضاع
المقدمين » ونقول اننا لا نتكلف الرد على هذا الاحتجاج بأنفسنا بل نكل ذلك
لحضرته وكل من قرأ كلام العرب ويعرف ما هي أوضاع المتقدمين فالعرب أنفسهم
استعملوا طريق التوسع في الوضع والمجاز وكلهم يعرف ان المتقدمين وضعوا لهذه
المسألة وحدها عليين علم الوضع وعلم البيان وما ذاك الا أنها أصل من أصول الفقه
وكل الاصطلاحات الدينية والعلمية والصناعية واسماء الآلات من هذا القبيل وهو
يدرس كل يوم « معنى الكلمة لغة واصطلاحاً » وهذه الطريقة التي ينكرها ويقول انها
لا أساس لها وانها تخالف أوضاع العرب الخ قد نقض رأيه فيها في موضع آخر من
الخطبة فإنه قسم طرق الوضع الى ثلاث فقال والمقول في اختيار اللفظ للمعنى ثلاث
طرق (١) الوضع من جديد (٢) التوسع في الاستعمال وهو المراد بالتجاوز بأن
يكون اللفظ قد وضع بأزاء معنى ولتناسبة بين المسمى القديم والجديد يستعمل

ذلك اللفظ في المعنى الجديد . وترون انه لم يكتف بأن جعل طريقتنا معقولة حتى جعلها إحدى الطرق الثلاث التي هي طريقة الوضع من جديد وهذه منها بنة ونحن نمنعها معه . والثالثة طريقة التعريب وهو يحيزها وأنا أسنها فنيها خلاف فها بقيت الا طريقتي وهي باقراره معقولة أساسية

(الاحتجاج الثالث) وقد كرهه في عدة مواضع - ان طريقتنا في التجوز نجر الى الاشتراك واشترك الالفاظ في المعاني مما يخل بأصل المقصود منها والتجوز لا بد فيه من اقامة القرائن على إرادة ما استعمل اللفظ فيه

وقال عن نفسه وعن يرى رأيه « وهذا وذلك كثيرا ما وقفنا حيارى في فهم المراد من بعض الالفاظ فهل نريد بذلك أن نضيف الى آلامنا آلاما » فنقول جنبنا الله الحيرة وابعدا من هذه الآلام . فهم الحيرة وفيهم التالم لا توجد لغة في الارض الا والمشارك فيها قسم مهم من أقسام اللفظ . وبعد فأني لفظ بل جملة من الكلام تفهم بغير قرينة والقرائن في الحقيقة لا تتناهي ولئن كان المشترك يحول دون فهم المعنى أو يوقع القارىء في الآلام لقد ضل واضعو العلوم ضلالا مبينا وجنوا على الناس جناية لا تغفر بايقاعهم في الآلام والحيرة ولكننا والحمد لله لم نر مهندسا اشتبهت عليه زاوية المثلث بزواية الكاشفي ومفتشور الاجسام بمفتشور النظارة كما لم نر طييا اشتبه عليه مرض الاستسقاء بصلاة الاستسقاء

هذه هي كل ما في خطبة مناظري الفاضل في احتجاجه على طريقتنا وباقي ما فيها مقدمة ليست من موضوع البحث وحكاية الطريقة التي كانت العرب تتبعها في مثل الباء والفاء الناريتين وهي ليست من موضوع الخلاف . ثم نتيجة قررها فيها أنه لا يسمح بوضع اسم عربي لاسم حديث الا اذا دل عليه بنفسه (يعني لا بقرينة) وبذلك قد حرم طريقة التجوز بتاتا

هذا ما رأيته في شرح طريقتي ورد الشبه التي ترد عليها والله أسأل أن يبعثنا من الزوال وبجنبنا الخطأ وبعثنا بروح منه والسلام عليكم ورحمة الله احمد الاسكندر

﴿ رأي المنار في الخطبتين والتعريب ﴾

ان ما ذهب اليه صاحب هذا الخطاب في مسألة التعريب من كونه خاصاً بمن يحتاج بريتهم هو المقرر عند علماء هذا الشأن وقد توسع هو في القبح بتدبيريتهم . ولكن ما قرره في ذلك لم يمنع العلماء والادباء من اقتباس الكلم الكثير من الاعاجم عند ما ساقهم الحاجة الى ذلك . نعم ان علماء اللغة سوا ما استعمله من لا يعتد ببريتهم اصف الملكة فيهم مولداً لا ممر با كما سموهم المولدين فاذا كان الشيخ احمد الاسكندري يبيع لاهل هذا العصر ذلك ويمنع تسمية ما يستعملونه من كلام الاعاجم بالعرب ويخصه بلفظ المولد فالخلاف يكون لفظياً لان غرض من يقول بالتعريب هو اباحة ادخال الالفاظ الاعجمية في العربية عند الحاجة . مع التصرف بها كما تصرف الاولون ولا يبالون اسميت معربة أم سميت باسم آخر . وقد علمت أنه يمنع هذا الاستعمال مطلقاً وهو المنع الذي لاسلف له فيه . اما القول باجتباب الاكثار منها والوقوف فيها عند حد الضرورة فلا أرى أن أحداً غيره يخالف فيه

ولكم همت بأن أنظر فيما جمعه من الكلم المغرب والمولد وأرجعه الى قواعد عامة اذا أمكن ولم أجد سعة في وقتي لذلك . ولعلنا لو اطلنا على كتاب ابي منصور الجواليقي لوجدنا فيه غناء يكفينا في هذا المطلب كل غناء

انه لا خلاف بيننا وبين الاسكندري الا في التعريب فنحن نجيزه عند الحاجة اليه وهو يمنه مطلقاً ويدعي انه يجرى في ذلك على سنن سلفنا في ترجمة علوم اليونان ولا نسلم له ذلك فانهم قد عربوا كثيراً من الكلم . ومن قال ان المغرب خاص بما نطقت به العرب في جاهليتها ومن يبتد ببريتهم في الاسلام فذاك اصطلاح منه على تسميته لاحكم بمنه والا فقد قال الخفاجي في مقدمته شفاء القليل « فما عرب المتأخرون بعد مولداً وكثيراً ما وقع مثله في كتب الحكمة والطب وصاحب القاموس يذهبهم من غير تنبيه » فلم من هذا ان التعريب واقع من

المقدمين والمتأخرين ولكن علماء اللغة سموا ماسمع عن العرب قبل الثلاث
المجعة بالسنها مع بها وسوا ماسمع عن بعدهم مولدا وقد احسنوا بذلك كل
الاحسان اذ هو من مباحث تاريخ اللغة الذي يدل على معرفة تاريخ أهلها . وما
اقترحه الحضري من تمييز ما نر به في هذا العصر عن غيره يجري على هذه الطريقة
وأزيد عليه استحسان ! طلاق اسم خاص عليه (كالمحدث)

وجلة القول ان كلاما من الحضري والاسكندري قد أحسن فيها كتب واصاب
على ما رى فيها أثبت وأخطأ فيما نفي ولا ننسى فضل ما أطال به الثاني فأقاد . والذي رآه
هو أن يكون المجمع اللغوي الذي يراد تأليفه الحرية التامة في اتباع سلفنا في بداوتهم
وحضارتهم والزيادة عليهم اذا أمكن فإنه قد يحتاج في قتل الاصطلاحات العلمية الى
مجازاة الاوربيين في جعل اسماء الآلات الكثيرة التي من نوع واحد بحيث يعرف من
كل منها نوعها السكلي الذي تندرج تحته ويرى ان ذلك لا يتم الا بالتعريب
او الاقوال او النحت او غير ذلك

وقد كبر الاسكندري الخوف على اللغة من كثرة الاصطلاحات العربية
حتى جعله مفزعاجدا والامرأهون فيه مما تصوره فصوره في خطابه . على ان الاصطلاحات
الترجمة لو كثرت في الانشاء والخطابة لأفسدت أسلوب اللغة . وهذا ابن خلدون
قد بين ان مزاويل اللغة وفنون العربية لا تستحكم فيهم ملكة البيان ولا يكون منهم
البلاغاء فالفنون أسلوب أو أساليب خاصة بها لا تنجي على الأسلوب الفصيح اذا هو
أخذ على وجهه في اكتساب الملكة

لكلام ضرور كثيرة منفصل بعضها عن بعض لاجابة الى ادخال
اصطلاحات كل واحد منها في غيره . لكل فن من الفنون العربية والشرعية والعقلية
والرأضية والطبيعية والصناعية والمالية والعسكرية الفاظ خاصة بها لا يدخل بعضها
في بعض الا قليلا . وأقل من ذلك ما يحتاج اليه في الكتابة الادبية والخطابة
والشعر وهي ما به يكون التفاضل في البلاغة وسحر البيان . فاذا كان أساس العربية
في هذا النوع من الكلام هو القرآن الحكيم والاحاديث الشريفة وآثار
الصعابة والتأبين - وهي أساس الدين المتين - ثم اشمار الجاهلية وصدر

الاسلام فإذا يضر الفنة بعد ذلك إذا كثرت اصطلاحات الفنون المعربة أو قلت وإذا نحن قصرنا في حفظ هذا الأساس المتين فإذا يفيدنا جمل مصطلحات الفنون من المواد العربية ونحن نستعملها في غير ما استعملتها به العرب ؟
 اتنا بهذه الكلمات نقضنا أدلة منع التعريب وهدمنا هيكلها المسدس فاما الدليل الاول وهو اتفاق أئمة الفنة على أن التعريب ليس من حقوقنا فقد بينا أنه اتفاق على التسمية فلنسم ما نعبه الآن مولدا كما سموا ما عر به من قبلنا من العلماء المولدين او محدثا كما اختار

واما الثاني وهو المحافظة على سلامة اللغة والاقتداء بالعرب في وضع العلوم وترجمتها فقد بينا ان التعريب لا يعرض سلامتها لخطر واننا لا نخرج به عن اتباع سلفنا الذين ترجموا علوم اليونان . وإنما يرد علينا هذا اذا التزمنا طريقة الحضري وهي الاكتفاء بالتعريب عن الترجمة والوضع الجديد وما نحن بملغزيمها فاننا لم نقبل من طريقته الا جواز التعريب وقيدناه بقيد الحاجة اليه

واما الثالث وهو المحافظة على فهم القرآن وكتب السنة فقد علم مما قدمناه انه مما اتسمت دائرة الفنون عندنا وكنا نقيم القرآن والحديث ونجعلها أساس بلاغتنا وبنيوع هدايتنا فان ضعف أسلوب تلك الفنون لا يصعدنا عن كدسان ملكة البلاغة ولا فهم القرآن وكتب السنة والاهتداء بها . وأزيد على ذلك فأقول . إن العناية بالقرآن وكتب السنة إنما تقوى في المسلمين بقوة الدين وتضعف بضعفه فما دما مسلمين نعتبد بالقرآن ونحكي به وبكتب السنة فافنا لا نزداد من زيادة مآرنا الا قوة في ديننا وإنما نخشى أن يصعدنا عن القرآن والسنة بقاؤنا على التقليد . لا عى مع مهاجرة المدنية الغربية لنا بإباحة المخطورات وتقطيع الروابط المالية بشبهة الجنسية والوطنية ، وتلون السياسة ، لا باسماء المتخبرات وتعمدد الاصطلاحات العلمية التي يمكن لنا استعمالها مع المحافظة على كل ما عندنا وان عربنا بعض الفاظها فان التعريب لا يضعف الفنة وإنما يمددها ويقضيها

واما الرابع وهو المحافظة على الجنسية العربية فقد علم من كلامنا ان التعريب وهو جعل بعض الكلم السجى مرابا لا يضعف الجنسية بل يقويها ويوضحه

ما ذكرناه آنفاً في الكلام على الدليل الثالث . ونزيد عليه بأنه يجب علينا ان نجهد في تبصير التلميذ العربية بقدر الاستطاعة وان يكون حفظنا من اللغات الافرنجية نقل العلوم ونشرها بالسنتا وذلك لا يتم لنا الا بتسهيل طرق النقل ومنه التعريب فاحتاجه تأني بتقيض ما يحافظه الاسكندراني بالشرط الذي اشترطناه وهو ان يكون بقدر الحاجة حتى لا يسرع على نقله العلوم نقلها فاضطر الى تعلمها بلغات واضعها وأما الخامس وهو توسيع نطاق اللغة فأمره أظهر فاللوسمة انما تكون في تسهيل نقل العلوم لا في ضده

وأما السادس وهو عدم الاستفادة من التعريب فهو ممنوع على اننا نفوض الأمر فيه الى المهجم القوي مع جملة مباحاً



ترجمة الصناع وغيرهم من العامة

هذا وإننا نرى العامة نمرح الى وضع أسماء جديدة لكل ما يصل اليها من أجناس المتعوتات . وقد وقفت على أكثر أسماء أدوات آلات الطباعة وما يتعلق بها فأريتها عربية قد تجوز بها الصناع بالتشبيه بأعضاء الانسان وغيرها ومنها الأسماء الآتية : الترواح والفخذ والأصابع والاسنان ويشقون من الاسنان فيقولون مسنن . وفي آلة الخياطة هنة صغيرة يسمونها السنة ويعنون بها السن الصغيرة . ومنها ما يسمونه بالوجه وهو ما يقابل وجه العامل الذي يقف امامها . ومن التشبيه بغير أعضاء الانسان الترس والطنبور والسكينة والهدائرة والقمعة والحوض (لموضع الحبر من آلة الطب) وتراهم قد عربوا بعض الأسماء ترميماً إذ لم يهندوا بسليقتهم الى اسم مجازي لها وهو أقلها ومنه الشلندر والياي والصامولة

ولو عرضت هذه الأدوات والمعدات على الخاصة منا لحاروا في تسميتها وكانت عندهم موضع الخلاف والتزاع والقتال واتسع فيها مجال المناظرات . وما

سبب ذلك الا ان هؤلاء الخواص قد ضعت فيهم ملكة اللغة العامية بما
زاووه من فنون الاعراب والبيان ولم يصلوا الى احكام ملكة اللغة الفصحى فلكثرت
مذهبة بين صنعة الفنون وملكة العامية

فأما أهل البلاد التي تسمى عربية كالعراق وسوريا ومصر والمغرب يجوز
أن يسموا الآن عرباً بالجنس واللغة اذ ليس لهم لغة الا العربية ولا يمنع ذلك
ضعف اللغة في ألسنتهم بما فتكت بها السجدة فان ضعف الشيء لا يخرج من
ماهيته قال انسان الضعيف انسان والدولة الضعيفة دولة كذلك اللغة الضعيفة لغة
ومداواة الضعف مما يدخل في مقدور الناس اذا كانت كنه المرض معروفاً
ودواؤه معروفاً

واذني أرى ان جميع المفردات التي يتألف منها كلام أهل سوريا ومصر
عربية الأصل الا ما يعرف له أصل أعجمي من التركية أو الفارسية أو اللغات
الاfrنجية وهو الأقل وكذلك أساليب الكلام عندهم لا تزال كأساليب العرب
في الغالب . ولعل ألسنة أهل العراق والحجاز ، أقوم من ألسنة أهل مصر والشام
كما ان ألسنة أهل هذين القطرين أقرب الى العربية الفصحى ، من ألسنة أهل
المغرب الأدنى والأقصى ،

انني اعرف من نفسي الضعف في اللغة العامية حتى ان الكلمات التي يشكل عليّ
فهمها من كلام العوام تكاد تكون أكثر من الكلمات التي يشكل عليّ فهمها في
كتب الادب والتاريخ ولكنني قلّا اشكلت عليّ كلمة عامية فراجعت لها معاجم
اللغة الا وجدت فيها اصلها . ومن الكلم الصحيح ما يشكل عليك معناه بهذا المراجعة
في المعاجم وهو لا اشكال فيه عند العامة . اذكر انني راجعت مرة جميع ما عندي
من المعاجم لأفهم معنى البنية في قول مجنون ليلي

يفهم اليّ القليل ابناء حبا كما ضم ازوار القميص الباق
فما زادني ذلك الاحيرة ولم أفهم معنى البنية فما واضعاً يمكنني تعيينه
بالاشارة اليه ولكنني عرفت ذلك بعد من والذني
ألا ليت بعض أهل الفيرة يجمع لنا الكلم المعرف على ألسنة العامة ويرجمه

الى اصله النصيح له يسهل علينا بعد ذلك ان نضبط طرق التحريف فنستفيد من هؤلاء العوام ما يميز علينا ان نستفيدة من معاجم اللغة التي تفسر اللفظ في الغالب تفسيراً لا يحدد المعنى . وعند ذلك نعلم ان عندهم من اللغة ما لا يمكن الاستغناء عنه بالكتب التي تعتمد عليها في حفظها

من المشهور عندنا أنهم يبدلون القاف حمزة فاذا سمعناهم يقولون « بنيت الاميص » نعلم ان اصل العبارة بفتح القميص ولكن لهم ضرر بالآخرى من التحريف تخفى على غير المدقق فمن ذلك اتي كنت اسمع الفلاحين في بلدنا يقولون « فلان يحرق بسناو » اذا سمعنا بعض انبا على بعض من اللفظ حتى سمع له اصريف . وقد وقعت بعد هذا على قول العرب « حرق عليك الارم » ويحرق عليك الارم » كقول الشاعر
نبئت أحباء سليبي أما باتوا غضاها يحرقون الارما

فلم يفتني ما احفظ من استعمال العامة « حرط الاسنان » عن مراجعة حرق الارم وهو هو لاني لم اكن أعلم أنهم يبدلون القاف طاء في بعض الاحيان وجملة القول ان لغة عامتنا عربية فيها تحريف لا يخرجها عن كونها هي اللغة العربية ولا يفرجهم هم من عداد أهل اللغة . ويطلب على غني ان العرب المختص لم تكن تسلم من التفاوت في حديثها بحيث تلتزم الاعراب واظهار الحركات في الشعر والحطابة والماتنة والوصف دون الكلام العادي وحسبنا هذا الالمام الآن

واذا كانت لغة عامة أهل الامصار التي استمررت بعد عجة تعد عربية مريضة فلفة أهل جزيرة العرب عامة وقبائل الاعراب منهم خاصة عربية اقرب الى الصحة واننا في حاجة الآن الى فهم معاجمنا من الفريقين لتتمكن بعد ذلك من وضع معجم أو معاجم أخرى تحدد المعاني تحديداً موضعاً بالصور والرسوم على الطريقة التي تليق بمعارف هذا العصر وقد سبقنا اليها الغربيون الذين صرنا محتاجين للسبر على طرقهم في جميع ما يصل اليه كسب البشر وعدم

مختصر رأي كبار ساسة الغرب

في الحركة المدنية الجديدة في الشرق

قول كرومر في مصر والشرق

خطب لورد كرومر في مجلس الأعيان ببلدته خطبة في موضوع اتفاهل
انكسروا وروسيا الأخير فيها كثير من العبر لنا ان كنا نعتبر فأحييت أن ابه
الى ذلك ينقل جهل من ترجمة الخطبة ثم الاشارة الى مواضع العبارة فيها
قال : « ان الحال التي طرأت على الشرق منذ اعوام طوال وهي حال الانتقال
من طور الى طور قد اشتدت وفاضلت في هذه الأيام . فانا نرى الغرب يسمى
الى ادخال آرائه وأفكاره على الشرق في كل مكان أو الشرق يسمى من تقاضيه
لان يقتبس من الغرب نظاماً للأحكام لم يألفه ولم يكن يعرفه . فأفضى ذلك
الى إلقاء العناصر المتناقضة المتضادة كلها في بوتقة سياسية لاجتماعية ادارية واحدة
لتدرب وتصهر فيها ولا يعلم الا الله ما تكون نتيجة صهرها وامتزاجها معاً
» أما العناصر المتضادة المتضادة المشار اليها فاذكرها الآن بلا مجاز املاً بأنها السادة
ان أقنعكم بان لكلامي عنها دخلاً حقيقياً في مسألة الاتفاق الانكليزي الروسي .
فأولاً اننا نرى المواطنين الدينية المتأصلة في النفوس تصارع اللادرية أو ما يقرب
من اللادرية في كل مكان ولا ريب ان اتصال الغرب بالشرق يؤول الى زعزعة
الأركان الأدبية التي يقوم عليها بناء الهيئة الاجتماعية الشرقية كلها . وثانياً اننا
نرى في كل مكان تفرقاً اقواماً ذوي عادات قديمة وآراء وأفكار شائعة وميل
شديد الى بقاء القديم على قدمه يتكاثرون اليوم الجري في الأحكام على طرق
غريبة عن الشرقيين ولا سابق علم لهم بها .

وثالثاً ان بين الخاصة المتعلمين والعامة الأميين في كل مكان من الشرق
وخصوصاً في الهند ومصر يونياً يهدأ وهمة عظيمة اما العامة فلم يحصلوا في هذه

الأيام الأعلى قليل من المعارف التي تزعج حجب الطبل عن بصائرهم واما الخاصة المتخذون فعلى جانب عظيم من المعرفة ولكنها غير مختبرة بخمير الاختبار والعمل وهم يحاولون ان يحلوا بهذه المعرفة بعضاً من أعوص المسائل وأعسر القضايا التي يشغل حلها عقول الفحول من أهل السياسة والادارة

ولا نفس بعد ما ذكر اننا نلاقي في بلادنا هذه صعوبات كثيرة . فان نمو الديمقراطية وانتشارها في بلادنا زاد صعوبات القضية التي وصفها المستر برط منذ اعوام بقوله « انها قضية حكم شعب على شعب » يعني تدبير الشعب الانكليزي لأموال الشعب الهندي . فليت الذين يشتغلون منا بالسياسة في هذه البلاد وهم لا يشتغلون حمايتهم ، فيجزمون في الأمور ويبتون ، ويقولون ما يشاءون عن هذه المسألة الشرقية ولا يخطئون ، ولا يقدرعون عواقب ما يقولون - ليت هؤلاء يتذكرون احكاماً تحذير الدوق ولنجتون حيث قال مخاطباً القوم « ان كنتم تضيقون الهند يوماً فكفونا على يقين ان البرلمان هو الذي يضيئها لكم » (استحسن) والذي أذكركه ان دوق ولنجتون انما قصد مجلساً واحداً من مجلسي البرلمان وهو غير مجلس الاعيان (ضحك واستحسن) .

ولا ينبغي عن الاذهان أيضاً ان الحروب اليابانية الاخيرة أثرت في عقول الشرقيين تأثيراً عظيماً وخصوصاً عقول اهل الشرق الاقصى ولا عجب في ذلك كله فانما هو نتيجة اختلاط الشرق بالغرب وانتشار المدن وتقدم المعارف والتعليم واتباع سياسة العقل والكمال التي لاتبى الشعوب المحكومة غائصة في ظلمات الجهل حتى يسهل حكمها على الشعوب المتوسطة عليها . ولكن ذلك مما يوجب للتفكير والتدبر ايضا . لا اقول ان يوجب الهم والقلق وانما اقول انه يوجب على الامم التي لها املاك في الشرق ان تزيد عناية وسهرًا ويقظة وحذراً كما كانت عليه في كل ما غير من تاريخها اذ ليس يعلم أحد ما ستكون نتائج الاخبار التي تطرق الى افكار اهالي الشرق الاقصى بعد ما اضحي مبدأ الجنسية يتأصل في الشرق ويحل محل الروابط الاخرى التي كانت تربط الناس هناك معا . على اني استنتج منذ الآن نتيجة يؤمن الخطأ فيها وهي ان المنافسات والمنافرات التي بين الامم

التربية المحالطة للامم الشرقية قد زادت الصعوبة بمجدد في حل كل المسائل الشرقية .
 (وهنا ذكر مسألة المغرب الاقصى ومكدونية ثم قال)
 وتأملوا مصر ايضا فاني منذ نحو سنين ارسلت رسالة الى نظارة الخارجية
 البريطانية شرحت فيها اخطار حركة الجامعة الاسلامية على مصر فنوم قوم اني بالنت
 في امر تلك الاخطار . ولتدارك تلك الحركة في الحال وتسكينها بوجه السرعة ظنوا ان
 توهمهم لم يخل من الصحة . على انني لم ابالغ في ما قلت بل اني اشبه ما يسمونه بمحادثة
 سينا اليوم بصورة جليلة واضحة ألقيت من فانوس سحري على حجاب سياسي
فجئت الحقيقة لبصائر المتأملين وابانت ان الضغائن القومية يمكن ان تبيح وتعاظم
 بسرعة عظيمة واظهرت الصعوبات الحقيقية المستبطنة كل القضايا المتعلقة بالأحكام
 الشرقية فالنتيجة التي أستنتجها هي وجوب الترحيب بكل ما من شأنه تخفيف
 الخطر الذي ينجم عن تنافس الدول الاوربية وتناظرها في المسائل الشرقية .
 ولذلك ارحب بهذا الاتفاق بين انكلترا وروسيا لانه يؤدي الى توطيد اركان
 السلام في البلدان التي له علاقة بها ويسهل علينا حل القضايا الاوربية الاخرى
 التي يكون لهذه البلدان شأن عظيم فيها (استحسن) المراد من الخطبة
 وجوه العبارة في كلام لورد

العبارة في كلام لورد من وجوه (أحدها) قوله ان الغرب يسمي الى ادخال
 آرائه وأفكاره على الشرق . فيجب على المشتغلين بالمباحث الاجتماعية منا ان
 يفقهوا غرض الغرب من ذلك ليعرفوا هل هو خير لهم ام شرار هو بين ذلك
 (ثانيا) نمثله لحالنا في ذلك الانتقال بإلقاء العناصر المناهضة كلها
 في بوتقة سياسية اجتماعية ادارية لتذوب وتصهر فيها . فيجب علينا ان نفقه معنى
 هذا التمثيل . ما هي هذه العناصر ؟ من هم الملقون لها في هذه البوتقة لتذوب فيها ؟
 ما هو غرضهم من اذابة عناصرنا وما هو حفظنا منه ؟ هل نحن على بينة من هذا
 العمل وهل لنا اختيار فيه من حيث هو عمل اجتماعي كبير ننقل به الاممة من طور
 تعرفه الى طور نتخيله فتحسب انها تعرفه وهي لا تعرفه ؟ ؟
 (ثالثا) تبرؤ من العلم بنتيجة ذلك العمل الذي أبرزه في قالب التمثيل

وتفويضه الى الله وحده . فاذا كان مثله في طه وعمله ، وحكته واختباره ،
وكونه من أشهر صاغة البوتقة التي هي آفة صوغ الأمم والشعوب لا يدري نتيجة
عمله وحمل أمثاله فهل يسهل على المتأخر التي في البوتقة ان تكون أعلم بهذه النتيجة ؟؟
يجب التأمل الطويل وعدم الاغترار بالاحداث المسيحية بما أخذوا عن الافرنج
من الافكار والعادات التي هي علل الانقلاب

(رابعاً) قوله ان المواطف الدينية الراسخة في نفوس اهل الشرق امست
نصارح الاتحاد والتعطيل وجزمه بأن اتصال الغرب بالشرق يؤول الى زعزعة
الاركان الادبية التي يقوم عليها بناء الهيئة الاجتماعية الشرقية كلها . ويمكن
جعل هذين القولين مقدمتين لقياس منطقي ينتج نتيجة مزعجة جدا . فاذا كان
الاحداث الذين يتبعون كل ناعق بالوطنية والجنسية يحسبون ان هدم اركاننا
القديمة امر نافع لسهولة احداث بناء آخر من الجنسية الوطنية فان اصحاب العقل
والروية يرون ان البناء اصغر من الهدم واننا نستقبل اخطاراً كبيرة في التحول والانقلاب
أراها اشد هولاً مما تشير اليه هاتان المقدمتان من كلام اللورد اثنان اشار الى نتيجة
بد بقوله ان مبدأ الجنسية يتأصل في الشرق وبحمل محل الروابط الاخرى
« خامساً » قوله في خواص المنهذين والعارفين منا أن معرفتهم غير
مختصرة بخيرة الاختبار

« سادساً » بيان التفاوت بين عامة الشعب وخاصته ، وهذا التفاوت يكون دائماً
مثار الخالف والامة لا تقوى وتميز الا اذا تكونت من أفراد متقاربين في الافكار
والاخلاق والعادات . ألا ان هذا التفاوت بين افرادنا ويوتنا لثار خطر عظيم
« سابها » وهو بالنسبة الى المصريين انها قوله « ان الصفات القومية يمكن ان
تتهيج وتتعاظم بسرعة عظيمة » فهذا أقوى ما يبيح أهل أوروبا على أهل الشرق !!
« ثامناً » كلامه في الاخبار الذي تطرق الى اهل الشرق الاقصى - وهو الذي
حكم بحرمان اهل المعرفة والتهديب في الشرق الأدنى منه - وقد يوضح هذا النوع
من العبارة ما كتبه مكاتب التمس في بكين عاصمة الصين اليها في ذلك وهالك
موضع العبارة منه نقلاً عن المقطع بتصرف لفظي يسير وعنوان جديد وهو :

نهضة الصين

﴿ وسبب ارتقاء اليابان ﴾

قالت التيمس : « يؤخذ من رسالة مكاننا ان ملكة الصين الضخمة دفنت في هذه الأيام افكاراً قديمة مضي عن رسوخها في افهام ابنائها قرون هيبتوا اندست بعزم شديد لا يرد ولا يقاوم الى اقتباس العلم الغربي والاحداث بماله الى مناهج التقدم والارتقاء . ولا شك ان هذا النهوض بمد ذلك السبات بمد دليلاً على الشعور الحي في نفوس الصينيين ولا سيما الطبقات المتوسطة منهم . قد طلبوا من الحكومة بصوت واحد ان تنحدي اليابان في اقتباس التعليم الغربي . ولما رأت الحكومة هذه النهضة العامة لم يسعها الا ان تتأريهم وتجيهم الى مطالبهم لان الزمان الذي كانت تلك الطبقات تحترم فيه التقاليد القديمة وتنفذ الى الحكومة وذوي الشأن قد مضي وفات منذ انتصرت اليابان على روسيا بل منذ اشتبكت الحرب بين الصين واليابان فان هذه الحرب كانت عبرة وعظة للصينيين اخذتهم هلى ان قاعدتهم في التعليم عقيمة لا تأتبعهم ثمرة ولا تنشيء منهم رجالاً يدبرون دقة السياسة ويتفنون في نظام الجندية . أما الحرب الثانية بين روسيا واليابان فقد علمهم ان التعليم الغربي يضمن لامة شرقية فوزاً ميبكاً على أعظمه وقوة غربية . ولكنهم أخطأوا في نظرم لانهم نسبوا نجاح اليابان وفوزها الى هذا اقتبسها من علوم الغربيين وفنونهم والحال ان العلوم والفنون لم تقدمهم بقدر ما أخذتهم كفاءتهم وصفائهم الشخصية . والتقدم الأوديه اعلا يمد لقلعة وصلها اليابانيون بما أوتوه من شدة الذكاء والاستعداد الشخصي فتم لهم ما أرادوا وهدت دولتهم في مصاف الدول العظمى . ولو وقف الأمر عند جسد التقدم الذي اقتبسوه لما نجحوا ولا بلغوا هذه المرحلة . فليصلحون الصينيون يحسبون تقدم اليابان نتيجة التمدن الغربي فقط وبعبارة أجلي أنهم يريدون الاستمسك بأحد العاملين الذين ارتقى بهما اليابانيون والاضراب عن العاصل الآخر وهو أمر من الأول وادمي

الى العناية ولاستمسك فاذا اهتموا به وعالجوا أدواءهم الشخصية وقوموا المعوج من عاداتهم وتقاليدهم وكان لهم ذكاء اليابانيين وكفاءتهم فأنعم بدركون ما أدركه اخوانهم والا فان النمدن الا وربي والتعليم الغربي لا يفيدهم شيئاً ولا ينقلهم لمحلة

وهب ان هذه الحركة الجديدة تمود بالنفع على الصينيين لكن التعليم الغربي عزيز المثال على الشعب الشرقي الا اذا كان أفراده يستأصلون من نفوسهم ذلك الشعور الراسخ ويراعون مقتضى التعليم الغربي من كل وجه . فانه بغير العادات والاخلاق والعقليات والأديان ويقضي على التقاليد والحرفات قضاءً مبرماً . فاذا كان في وسع الصينيين ان يفعلوا ذلك كله فالجاح منهم على طرف التزم والا

فان انقسمت كلتهم واتصرو قوم لحديث وآخرون لتقديم أدى أمرهم الى فوضى عظيمة تحصد حصداً فيكون التعليم الغربي قد أفضى الى الهيجان والاضطراب بدلاً من ان يكون وسيلة الى التقدم والارتقاء . وهذا شأن كل أمة شرقية تتلقى التعليم الغربي قبل الاستعداد له والوثوق بكفاءتها لجري على مقتضاه

أما اليابانيون فلم ينجموا من هذه الفوضى الا في الزمان الاخير من تشبههم بالأوربيين فقد كان بين المصلحين منهم جماعة من أعضاء الاسرة المالكة تلقوا التعليم الأوربي ونشروا مبادئه من غير ان يشعروا بما يؤثر في عاداتهم واخلاقهم لأنهم كانوا مستعدين له بالفطرة وليس لتقاليد سلطنة على أفكارهم . فنجحوا ونفذوا روح التعليم الغربي في نفوس مواطنيهم ثم سرت هذه الروح ندر يجا من طبقة الى أخرى حتى كان من أمر اليابان ما نراه الآن . ولولا كفاءتهم وصفاتهم الأدينية وميلهم الغربي الى الأصول الأوربية لماد مساعهم في تحصيل التعليم الغربي وبالأعلى عليهم اه « النار » العبرة في هذا الكلام كله ظاهرة لمن له عين تبصر واذن تسمع وعقل يفكر وقلب يشعر قد سبق قومنا اليابانيين في هذه البلاد وفي الاساتنة الى اقتباس التعليم الغربي والمدنية الاوربية بنحو نصف قرن وهذه حالتنا في الانقسام والفرق . ففي مثل هذه المباحث فلتبحث الجرائد باقلام كتابها واقلام سائر الكتاتين المتبحرين

حجة الاسلام أبو حامد الغزالي

(٤)

ثمة الكلام في رأيه في العلوم الدينية

تابع لما في الجزء التاسع

(مقدمة رابعة) (١) من عظام حيل هؤلاء في الاستدراج اذا ورد عليهم اشكال في معرض المحاج قولهم ان هذه العلوم الالهية، غامضة خفية، وهي أعصى العلوم على الافهام الدكية، ولا يتوصل الى معرفة الجواب عن هذه الاشكالات، الا بتقديم الرياضيات والمنطقيات، فمن يقدم في كفرهم ان خطر هذه الاشكال على مذهبهم يحسن الظن بهم ويقول لا شك أن علومهم مشتملة على حله وانما يسر علي دركه لاني لم أحكم المنطقيات ولم أحصل الرياضيات

(نقول) أما الرياضيات التي هي نظري الكم المنفصل وهو الحساب فلا تعلق لها بالالهيات وقول القائل ان الالهيات تحتاج اليها خرق كقول القائل ان الطب والنحو واقعة يحتاج اليها الحساب والحساب يحتاج الى الطب. وأما الهندسيات التي هي نظري الكم المتصل يرجع حاصله الى بيان ان السوات وما تحتها الى المركز كروي الشكل و بيان عدد طبقاتها أو بيان عدد الاكرو المتحركة في الافلاك و بيان مقدار حركاتها فلنسلم لهم جميع ذلك جدلاً أو اعتقاداً فلا يحتاجون الى اقامة البراهين عليه ولا يتدح ذلك في شيء من المنظر الالهي وهو كقول القائل «العلم بأن هذا البيت حصل بصنع صانع بناء عالم مرید قادر حي يفكر الى أن يعرف أن البيت سدس أو ثمن وان يعرف عدد جذوعه وعدد لبناته» وهو هذيان لا يخفى فساد وكقول القائل «لا يعرف كون هذه البصلة حادثة مالم يعرف عدد طبقاتها ولا يعرف كون هذه الرمانة حادثة مالم يعرف عدد حباتها» وهو هجر من الكلام مستغث عند كل عاقل

« نعم قولهم ان المنطقيات لا بد من أحكامها هو صحيح ولكن المنطق ليس مخصوصا بهم وانما هو الاصل الذي نسميه في فن الكلام » كتاب النظر « وفيروا عبارة الى المنطق فهو لا وقد نسميه كتاب الجدول وقد نسميه مدارك العقول فاذا سمع المتكلمين والمستضيف اسم المنطق ظن أنه فن غريب لا يعرفه المتكلمون ولا يطلع عليه الا الفلاسفة ونحن ندفع هذا الخيال، واستئصال هذه الحيلة في الاضلال، نرى ان نفرد القول في مدارك العقول في غير هذا الكتاب ونهجر فيه ألفاظ المتكلمين والاصوليين بل نورد بها عبارات المنطقيين ونصيبها في قوايلهم وتقتني آثارهم لفظا لفظا ونناظرهم في هذا الكتاب بل نفهم أعني عباراتهم في المنطق ونوضح ان ما شرطوه في صورته في كتاب القياس وما وضوه من الاوضاع في ايساغوجي وقاطيجورياس (١) التي هي من اجزاء المنطق ومقدماته لم يتمكنوا من الوفاء بشي منه في علومهم الالهية ولكننا نرى ان نفرد مدارك العقول في غير هذا الكتاب فانه كالألة لمرك مقصود هذا الكتاب ونفرد له كتابا مفردا يرجع اليه ولكن وب ظاخر يستغني عنه في الفهم فهو اخره حتى يعرض عنه من لا يحتاج اليه ومن لا يفهم ألفاظنا في آحاد المسائل في الرد عليهم فينبغي أن يتدبره او لا يحفظ الكتاب الذي سميناه معيار العلم الذي هو الملقب بالمنطق عندهم « اه كلام ابي حامد في فائحة كتابه نهافت الفلاسفة . وذكرك بعد ذلك فبرس المسائل التي اظهر تناقض مذهب الفلاسفة فيها وهي عشرون مسألة ثم قال مانعه :

« فهذا اردنا ان نذكر تناقضهم فيه من جملة علومهم الالهية واما الرياضيات فلا معنى لانكارها ولا المخالفة فيها فانها ترجع الى الحساب والهندسة . واما المنطقيات فهي نظري في آلة الفكر في العقولات ولا يتفق فيه خلاف به مبالاة » وقد علم مما قلناه عن كتابه المنقذ من الضلال ان المسائل العشرين من

(١) لم يكديشتهر من الكلم اليوناني في المنطق العربي غير هاتين الكلمتين فالاولى (ايساغوجي) وهي علم على السكليات الخمس والثانية (قاطيجورياس) وهي مهارة عن المقولات العشر

الفلسفة الالهية التي بين في هذا الكتاب تناقضهم فيها ليست الا افلاطون
وابتداعات الاثلاث مسائل عددا من الكفر وهي ١١ تكارم البعث الجسائي
زاعمين ان الثواب والعقاب في الآخرة يكونان على الارواح المجردة . و (٢)
زعمهم ان العالم قديم أزلي . و (٣) زعمهم ان الله تعالى يعلم الكلليات دون
المجزئيات (راجع ص ٦٩٩) واما الرياضيات والمنطقيات فليس فيها شيء يسي
بدعة ولا كفرا بل هي علوم حقيقة فاهية وكذلك الطبيعيات وان كثرت فيقال
هذه النظريات

ولسرى انه لولا تساهله وتساهله لاستخرج اكثر من هذا من اغلاطهم البنية
على نظرياتهم الفاسدة . وما حمله على تلك الخلة عظيم الا ما رآه من كسر كثير
من الموردين بعلومهم قيود التقوى، وتبجحهم بضر وبالفقر وزخرف الحموى،
حتى كادت تمم مبتغيتهم البولي، ولم يكن لها في عصره قائمة دنيوية تذكر .
وقد كان زعمه الله فليسوقا عمليا لا نظريا قط ألم تركب جبل المسائل الطبيعية
من لباب الدين بما نفخ فيها من روحه في كتاب التفكير من الاحياء اذ يبحث
فيه عن اعضاء الانسان ووظائفها وحكمها وما تألف منه على طريقة الاطباء حتى انه يذكر
عدد عظام العضو . كذلك يبحث في الارض والهواء والبحار والحيوان والنبات بحثا
يعمل على انه كان واقفا على علوم التاريخ الطبيعي كما اتقى اليه علم الفلانة في
عصره الى ما له هو من الرأي المبكر فيه ومنه ان الماء ليس عنصرا بسيطا كما
كانوا يقولون بل هو مركب وقد حقق رأيه المتأخرون .

وبما يتنه من طبائع الحيوان قوله في الكلام على اصناف الحيوانات من
كتاب التفكير فلو اردنا ان نذكر عجائب البقة او النملة او النحلة او
المنكبوت وهي من صفات الحيوانات في بنائها وبيئتها وفي جسمها غذاءها وفي انشغالها
لزوجها وفي ادخالها لقوتها وفي حذقها في هندسة بيتها وفي هدايتها الى حاجتها لم
تقدر على ذلك قري المنكبوت يبنى بيته على طرف نهر فيطلب اولا موضعين
مستقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع فادونه حتى يمكنه أن يصل بالحيط بين
طرفيه ثم يلقى القباب القوي هو خيطه على جانب يلصق به ثم يقدو الى الجانب

الأخر فيحكم الطرف الآخر من الحيط ثم كذلك يتردد ثانيا وثالثا ويحمل بعد ما بينهما متناسبا تناسبا هندسيا حتى اذا أحكم ما قد انقطع ورتب الحيط كالسدى اشتغل بالعملة فيضع العملة على السدى ويراعي في جميع ذلك تناسب الهندسة ويحمل ذلك شبكة يقع فيها البق والذباب ويقعد في زاوية مترصدا لوقوع الصيد في الشبكة فاذا وقع الصيد بادر الى اخذه واكله فان عجز عن الصيد كذلك طالب لنفسه زاوية من حائط ووصل بين طرفي الزاوية بخيط ثم علق نفسه فيها بخيط آخر ورمى منكسا في الهواء ينتظر ذباة تطير فاذا طارت رمي بنفسه اليه (١) فاخذه ولف خيطه على رجله واحكمه ثم اكله .

« وما من حيوان صغير ولا كبير الا وفيه من الجانب ما لا يحصى . أفقرى أنه تعلم هذه الصنعة من نفسه او كونه آدمي أو علمه ؟ أولا هادي له ولا معلم ؟ افيشك ذو بصيرة في أنه مسكين ضعيف عاجز ؟ بل القيل العظيم شخصه ، الظاهرة قوته ، عاجز عن أمر نفسه ، فكيف هذا الحيوان الضعيف ؟ افلا يشهد هو بشكائه وصورته وحرركته وهدايته وعجائب صنفته لفاطره الحكيم ، وخاقه القادر العليم ؟ فالصبر يرى في هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق الدبر وجلاله . وكما قدرته وحكمته ما تنحير فيه الالباب والقول فضلا عن سائر الحيوانات . وهذا الباب ايضا لا حصر له فان الحيوانات واشكالها واخلاقيها وطباعها غير محصورة وإنما سقط تعجب القلوب منها لأنها بكثرة المشاهدة . نعم اذا رأى (الانسان) حيوانا غريبا ولو دودا تجد عجبه وقال : سبحان الله ما أعجبه ! والانسان أعجب الحيوانات وليس يتعجب من نفسه » اهـ

فعلم من كل ما تقدم أن رأي الفزالي في العلوم الدينية بطريق التفصيل هو أن كل علم يحتاج اليه الناس في معاشهم ومصالحهم فهو من فروض الكفاية وما زاد عن الحاجة من مباحثه انكالية بعد فضيلة لا فريضة كما صرح به في الكلام على علم الحساب من الاحياء . وما لا يحتاج اليه منها الا لنحو نسبية فهو

(١) هكذا ذكر الضمير مذكرا في هذه الكلمة وما بعدها ولعله قد سقط قبلها

كلام في ذكر الصيد مثل « جمالها (أي الذباة) صيدا » رمي بنفسه اليه بالبح

مباح مالم يكن فيه ضرر أو مفسدة دينية أو دنيوية . وأن ما كان ضاراً منها فهو محرم كالسحر والتلبس والنجل . وأن العلوم الرياضية لا ضرر في شيء منها وأن العلوم الطبيعية اذا قوت بالعبرة وتنبه الذهن الى ما فيها من الحكم الدالة على علم الخالق وحكمته ورحمته تكون من علوم الدين التي حث عليها القرآن واذا اتبعت فيها الطريقة النظرية اليونانية تكون قليلة الجدوى كثيرة الاغلاط ولكن الغلط فيها لا يصادم عقيدة الاسلام ولا يقتضي خروج صاحبه من الدين . وان في الفلسفة الالهية ثلاث مسائل تعد من الكفر الصريح . وقد ذكرناها آنفاً . وأن علم المنطق من مقدمات علم الكلام . وأما علم الكلام فهو ضار بالعوام ويجب ان لا يوجه الا لمن عرضت لهم الشبه في عقائدهم أو لمحادثة من يوجهون الشبه الى المسلمين لتشكيكهم في دينهم كما يأتني . وهو عنده وعند علماء الصوفية المارفين غير علم التوحيد ولذلك جعل التوحيد والتوكل كتاباً في الاحياء غير كتاب قواعد العقائد . على ان ما كتبه في قواعد العقائد ليس فيه من جدل المتكلمين الا قليل بقدر الضرورة . وقد علمت ان المتكلمين زجوا بين جميع العلوم الطبيعية والفلسفة اليونانية وبين العقائد الاسلامية وسدوا ذلك كله علم الكلام ولذلك قبل ان ان موضوع علم الكلام هو الوجود والفزالي لا يبعد من علوم الدين . بل من رأيه ان علم الاحكام الذي يسمونه الفقه من علوم الدنيا لا من علوم الدين وأن طلاب الآخرة يكتفون من هذا العلم بقدر ما يحتاج اليه في القضاء والافتاء ولا يشتغلون باستنباط مالا تدعو الحاجة اليه بل يصرفون سائر الوقت في علم الدين والعمل الذي يقرب العبد من ربه عز وجل كما فصل ذلك في الفصل الآتي

(رأيه في العلوم الشرعية)

قسم العلوم في الباب الثاني من كتاب العلم من الاحياء الى محمودة ومذمومة والمحمودة الى شرعية وغير شرعية . وقد تقدم بيان رأيه في العلوم غير الشرعية وأن منها ما هو فريضة وما هو فضيلة وما هو مباح . وقال « واما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات وعلم السموذة والتلبسات » ثم تكلم بعد ذلك في العلوم الشرعية

وقبل أن نذكر تفصيل رأيه فيما نذكر رأيه في العلم الذي هو فرض عين

العلم الذي هو فرض عين

وذكر في أول الباب الثاني اختلاف العلماء في العلم الذي هو فرض عين على كل مكلف وزعم كل من غلب عليه علم من التفسير والحديث والكلام والفقه والتصوف أن علمه هو فرض العين . وجزم هو بأن فرض الدين هو العلم بمعنى كلتي الشهادة وما يتبعها من العقائد السمية من غير شك ولا اضطراب والعلم بالطهارة وأحكام الصلاة عند دخول وقتها وأحكام الزكاة عند وجوبها على المكلف وكذلك الحج وأحكام الصوم عند مجيء رمضان وكذلك حكم كل ما يكون بصدد العمل به فإذا نصدى التجارة وجب عليه معرفة ما يمتنع به من الوقوع في الحرام بقدر الحاجة حتى أنه قيد وجوب تعلم الحذر من الربا بشيوعه في البلد . وكذلك تحريم أكل الخنزير ونحوه . وهو يقول في مواضع من كتبه أن المكلف إذا مات قبل أن يعلم شيئاً مما يذكره المتكلمون في صفات الله تعالى كلمه وكلامه هل هي عين القات أو غير القات وهل هي قدسية أو حادثة بأن لم يفكر في ذلك أصلاً ، وقبل أن يعلم بتحريم كثير من المحرمات التي لم يكن عرضة لوقوع فيها فلا يكون ناقصاً في دينه ولا مسوئلاً يوم القيامة عما جهله من ذلك ونحوه .

وبعد تفصيل في ذلك قال « وهذا هو الحق في العلم الذي هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب فمن علم الواجب وقت وجوبه فقد علم العلم الذي هو فرض عين

« وما ذكره الصوفية من فهم خواطر العدو (الشیطان) ولة الملك حق أيضاً ولكن في حق من يتصدى له فإذا كان الغالب أن الإنسان لا يفتك عن دواعي الشر والرياء والحسد فيلزمه أن يتعلم من ربيع المهلكات (١) ما يرى نفسه محتاجاً إليه . وكيف لا يجب وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث مهلكات شح مطاغ

(١) المهلكات هو الربع الثالث من كتاب الاحياء الذي يذكر فيه الاخلاق

المذمومة وكيفية معالجتها بعد التلبس بها والاحتراس عنها قبله

وهو يمتنع واعجاب المرء بنفسه « ١ » ولا ينفك عنها بشر . وبقية ما سذكروه من مذمومات أحوال القلب كالسكبر والعجب « ٢ » واخواتها تتبع هذه الثلاث المهلكات وإزالتها فرض عين ولا يمكن إزالتها إلا بمعرفة حدودها ومعرفة أسبابها ومعرفة علامتها ومعرفة علاجها فإن من لا يعرف الشر يقع فيه والعلاج هو مقابلة السبب بضده وكيف يمكن دون معرفة السبب والمسبب ؟ فأكثر ما ذكرناه في ربيع المهلكات من فروض الاعيان وقد تركها الناس كافة اشتغالا بما لا يعني »



(١) وفي نسخة الشارح زيادة لفظ « الحديث » وهي إشارة الى ان لهجة وهو بطوله كما رواه البزار في مسنده وابو نعيم في الحلية من حديث أنس « ثلاث كفارات ، وثلاث درجات ، وثلاث منجيات ، وثلاث مهلكات اما الكفارات فانتظار الصلاة بعد الصلاة ، وإسباغ الوضوء في البردات ، ونقل الاقدام الى الجماعات . واما الدرجات فاطعام الطعام ، وإفشاء السلام ، والصلاة بالليل والناس نيام . واما المنجيات فالعدل في الغضب والرضا ، والقصد في الفقر والغنى ، وخشية الله في السر والعلانية . واما المهلكات ففتح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه » ورواه بسابق المصنف غير واحد وله أسانيد كلها ضعيفة

(٢) العجب هو الإعجاب وله اراد الحسد أو نحوه فسبق قلبه ان لم يكن

الغلط من الناسخين

تعريف وكلام عام (*)

﴿ في العربية والاستعراب • والتعريب والاعراب ﴾

لا الاخذ بالتعريب يضرها ولا
الاعراب ينفعها وانما تنفعها
وضرورها على حسب همم رجالها

كلام يجر الى كلام ، وحديث يسوق الى حديث ، والشئ بالشئ يذكر ،
والند مع الند يقرر

ان مبحث التعريب القوي خطب فيه الفضلاء هذه الايام قد تدرج ببعضهم
الى ذكر العرب والاستعراب ، ثم مال بفكري الى غير ما ذكره من الابواب ، فاحسبت
ان اعرب الآن عن بعض ما جال بفكري مما يحوم حول هذا المبحث وهي
موضوعات متعددة احسب ان اُوحِد الكلام فيها وآتي به مستسكاً بمضه يعض
قلبك تعرف الكتاب من عنوانه ، وعساك تقف على ما يصحبك في شيء من بيانه

قال بعض الظرفاء اذا كان وطن العرب شبه جزيرتهم فرأس ما لهم لا يزال
كما هو والربيع من بعده كثير

ونحن نأخذ هذا الكلام على وجهه من الجدد صارفين النظر عن وجهه من
الظرف ونقول نعم اننا نجد في عرب اليوم عرب أمس وزيادة
نجد هذا في اللغة والاخلاق والماد والحالة الاجتماعية والسياسية والجغرافية
ولعل القاري اذا جلى امام نظره ما يشهد لهذا يظن نفسه في رواية تمثيلية ، بيد
أنها طبيعية لاصناعية ، وحقيقية لا خيالية ، ميادينها الثيافي والغدافد الواسعة ،
لادائرة صغيرة ضيقة ، وأبطالها الملايين الكثيرة لا نفر من الناس

(*) جاءتنا هذه المقالة من السيد عبد الحميد الزهرراوي بعد طبع مقالة الاسكندري
وتعليقنا عليها

ولو نشر اليوم احد الجدود الاقدمين في اوربا مثلاً لا نكر فيها كل شيء .
ولكن لو نشر احد الجدود الاوربيين في شبه جزيرة العرب لما انكر فيها شيئاً فان
كل مترك من مأوى ومركب وسلاح وماعون وكساء وغذاء وقبائل وملاحم
ومغازي ومقايير وفدافد يمجّد خلفاه لم يحدّثوا فيه حدثاً ولم يعددوا فيه الى تغيير
يمجّد الخيام من الاوبار والجلود ، ويمجّد السيوف والرماح والمجانيق والهدروع
ويمجّد الصافات والعاديات ، والقلائص والروامل والرواحل والشار والبعصات
ويمجّد الصاع والقصاع ، والبرم والقذور والقذاح ، ويمجّد القمصان والعائم والبرود ،
والخفاف ، ويمجّد العصائد والخزائر والمرائس والبر والشعير والتمر والزبد والابان ،
ويمجّد بني صخر وبني حرب وبني عامر وبني وائل وبني بكر وبني ملي .
وبني فلان وفلان ، ويمجّد حروبا بين هذه القبائل قائمة ، ونيراناً مسنعة ، يتواعدون
الايام لمنازلاتهم ، ويتربصون الفرص لمغازيهم ، ويمجّد يد الطبيعة لم تزل موضوعة
على حالها في تلك الطلول والديار وهاتيكَ المنازل والمناهل لم تدن منها يد الصناعة
في شيء من الاشياء .

كانت جزيرة العرب اقساماً وهي اليوم كما كانت : نهامة والحجاز واليمن
وحضرموت وظفار والبحرين ونجد وبادي الشام والعراق . كانت هذه البلاد
تختلف وهي الآن كذلك . فنهامة والحجاز لم يكن فيها حرث وزرع الا قليلاً
وكان اهلها اولى شغف في البشغال ولا يزال القوم على هذه الحال . واهل
اليمن مع محافظتهم على جميع عادات العرب كان لهم حرث وزرع وهم اليوم هكذا .
واهل حضرموت وظفار والبحرين كان لهم حظ بالتجارة والاتصال بالهند
مع المحافظة على سنن العرب ولا يزالون اليوم على هذا المنوال . وكانت نجد
كالحجاز الا في زيادة المزارع وهي الآن كذلك . وكانت بادي الشام والعراق
ما بين قريب الى المعمور وبعيد عنه وشأنهم مع اصحاب الممالك على حب القرب
والبعد وهي اليوم هكذا .

وبالجملة كان اهل هذه الجزيرة رواد معاش وطلاب اداة وماعون ويتفصل
من أجل ذلك كل قسم منهم بالبلاد القريبة منهم ويتقنسون منهم شيئاً من

العادات والاعتقادات ويكون لمعهم شأن من الشؤون في الروابط السياسية والاجتماعية وهذا الحال منه مشاهد اليوم فيهم بالتمام وزد عليه أنهم كانوا في أنفسهم شعباً واحداً في لغة واحدة، وبيئة واحدة، وعادات واصطلاحات تكاد تكون واحدة فاليقظة لم تتغير ولم يتطرق اليها اقسام جديد غير ما ذكر، والعادات والاصطلاحات لم تتغير ولم يطرأ اليها من الروابط الا ما كان بطراً مثلها من قبل . وكذلك اللغة لم تتغير . وكل من زعم تغيرها كانت زعمه مبني على الظن والتخمين وضف علم بالماضي والحاضر

فخارج الحروف في لغة هؤلاء لا تزال كما وصفنا لنا الناطلون كسيو وغيره والمصادر التي نجد هامقولة عن العرب هي موجودة اليوم في لغة هؤلاء العرب الا ما أوجده بعض مدوني العلوم أخذاً من اللغة نفسها وجرياً على سنتها

والاشتقاق من المصادر كله على حاله وجميع المشتقات تدور في لغة عرب اليوم على الوجه الصحيح واذا كنا نحن نتعلم بعض المشتقات ثلماً ويتكلف المتعلمون منا تصحيحها تكلفاً فانها موجودة لديهم بالقطرة يثقلونها وهم أطفال وتصبر المعرفة بها غريزية . قد سمعنا ذلك من صغارهم مثل كبارهم على حد سواء ولا يحتاج المحالف الا الى تجربة بسيطة

والالفاظ التي تدل على الأمور المحسوسة موجودة منها في لغتهم كل ما هو في المعاجم الا ما حدث في عهد حضارتهم واتساع دولتهم وهذا المستثنى ليس دليلاً على تغيرها بل هو دليل على عدم تغيرها لأن بعض ما حدث في الحضارة لم يحدث لديهم فهم من هذه الجهة قد بقي لديهم رأس المال لم يتغير وما حدث في الحضارة هو زائد .

وقواعد التركيب وقوانين الترتيب من التقديم والتأخير والوصل والفصل والمحصر ولاظهار والامتناع والافراد والجمع والأدوات ومواقفها وتأثيرها باقية أيضاً كما هي

فاذا كانت الخارج مخفوفة، والمصادر غلة على حالها، والاشتقاق لم يفسد طرائقه، وأسما الاشياء لم تتغير، وقواعد التركيب وقوانين الترتيب وصيغ

الأفراد والثنية والجوع والضايق كما هي تأتي تغيير طرا على لغة القوم ؟
 نجد الحضري في مصر والشام مثلاً يقول النساء «راحوا» وهو خطأ لأن
 الواو ضيق الذكور ، وأما البدوي أو ابن جزيرة العرب فإنه يقول النساء رعن
 وهو الصواب كما قلل عن الأولين

ونجد الحضري في مصر يقول «فلان يضرب» بفتح الراء ، وفي الشام يقولون
 «يضرب» بضم الراء ، وكلاهما خطأ وأما البدوي أو ابن جزيرة العرب فإنه يقول
 «يضرب» بكسر الراء وهو الصواب كما قلل عن الأولين .

ولو أردنا ان نورد الشواهد لهذا لاحتجنا الى مجلدات نحن نستني من
 هذا بأن نحيل من لم يثق بقولنا على التجربة ومخالطة هؤلاء العرب ولو قليلاً
 وأما يصح أن نعد من التغير تركهم حركات أو آخر السكلم . هذا اذا صح
 ان الأولين كانوا ينطقون بها دائماً وأما اذا صح ما يذهب اليه بعضهم من ان
 الحركات لم يكن الأولون يستعملونها الا في لغة الشعر وحالات مخصوصة فلا
 يكون هؤلاء مبتدعين تركهم سنة من سنن الأولين ويصح ان نعد من التغير
 إهمال ضمير المتني وإهمالهم بعض الأدوات التي يقوم مقامها غيرها أو يمكن
 الاستغناء عنها فيما تركه أكثر القبائل من الأدوات «هل» استغناءً عنها بهزة
 الاستغناء أو بقرينة الاستغناء . وما تركوه «قد» التي لتحقيق والتي لتقليل
 استغناء عنها بالقرائن . وما تركه أكثرهم «لم» التي تدخل على المضارع
 لتحيل معنى الفعل المنفي قاضي تركوها استغناءً عنها بما التي تدخل على الماضي
 مباشرة فإن «ما ضرب» مثل «لم يضرب» بالهم . وما تركوه «لما» التي
 تفيد استمرار النفي في الماضي الى الوقت الحاضر

هذا كل ما عرفت مما تركوه بعد امسائي زمناً طويلاً في مخاطبتهم وسامع
 شعربم ورأيتهم أيضاً لا يستعملون التنوين الا للتذكير ولا يحدقون النون لتاسب أو جازم
 ويديهي ان هذا التغير ليس من التغير المفسد ثم انه قلته غير جدير ان يعد
 قاسماً إهمال الحركات فهو جائز عند أهل الإعراب في حالة الوقف وماذا على القوم
 اذا أجروا الكلمات كلها مجرى الكلمات الموقوفة عليها واذا ضمت إلى هذا

المتزع ما تعرفه من اختلاف لغات الأولين في حالة الاعراب كما نقله الينا الناقلون لم يصعب عليك ان تعد اهل الحركات لغة من اللغات هي خير من بعض تلك اللغات التي تفسد كل ما نقلوه من قواعد الاعراب فقد نقلوا لنا ان بعض العرب كانوا يرفعون المفعول وينصبون الفاعل وليس شي فوق هذا مما يحق كل ما يرجوه من فوائد الاعراب . ومن أحاط علماً بكل ما نقل في هذا الباب أو أكثره لا يجد قاعدة ما بنوه الا وهي متقوضة بشيء آخر قد سموه من شواذ اللغات فأني ضرر يحدث من هذه اللغة التي تهمل فيها الحركات ويسد فيها باب الاعراب ألم تروا ان هؤلاء القوم يتفاهمون والحالة هذه تمام التفاهم ؟ ولقد تصعبت كثيراً من الدواوين المنسوبة الى شعراء الجاهلية والمختصرين فألفت فيها كثيراً ما قد خالفوا فيه قواعد الاعراب مخالفة ظاهرة واضحة لا تهتمل التأويل وإنما قلت انها ظاهرة لأنها واقعة في القوافي وسأفرد لهذا الموضوع بحثاً مستقلاً يد أني أني هنا بأشقة تؤيد ما قلته . قال جرير :

« حملت امرأ عظيماً فاصطبرت له وقت فيه بأمر الله يا حمرا »

والقاعدة تقتضي ان يقول يا حمرا بضم الراء . وقال :

« فالشمس كاسفة ليست بطالمة تبكي عليك نجوم الليل والقمر »

ولا وجه لنصب القمر . وما نكلفوه من التأويل في الاعراب غير مرضي لدى الاذواق التي سلمت من التحمل . وقال من قصيدة قافيتها نون مكسورة من بحر الوافر :

« عرفنا جعفرأ و بني عبيد وانكرنا زعاف آخرين »

بكسر النون والقاعدة تقتضي فتحها وليس كسرهما لمة لقومه بها روي . وبعد هذا البيت :

« أتوعدني وراء بني رياح كذبت للقمعدن يدك دوني »

وقال من قصيدة قافيتها باء مفتوحة من بحر الوافر :

« ألم تروا زبد مناة قوم قراسية نذل به الصماها »

والقاعدة تقضي رفع الصواب بعد قوله نذلّ بالياء . واذا خالفنا الموجود في النسخ المطبوعة والخطية وقرأناه « نذلّ » بنون المتكلمين قد يستقيم المعنى ولا يتأذى الاعراب فمسي ان تكون صحة الرواية على هذا الوجه . وقال من قصيدة قافيتها مكسورة من الوافر :

« لقد نادى اميرك بابتكار ولم يلوا عليك ولم نزار »

والقاعدة تقضي بأن تكون الكلمة التي بعد لم الثانية « نزر » لا نزار

وانا لا أقصد بهذا احداث مذهب جديد هو اهل الاعراب بل أقصد تأييد ان اللغة العربية التي كانت قبل ثلاثة عشر قرناً او اربعة عشر قرناً او أكثر هي باقية اليوم في وطنها كما هي لم يطرأ عليها تغير ولا سبأ عند أهل الحيا م العربية ن بها وأقصد ايضاً ان اذ كر الناس بأن اهل الاعراب لا يضر هذه اللغة كما يضر كل اللغات الخالية منه

واما اهلهم ضمير المتنى فلا أدري له سبباً بيد أنني لا أراه كبيراً من الامر بل هو يخفف الكلفة فيما لا حاجة اليه . أقول لا حاجة اليه لان الضمير لا يند كر الا من بعد معرفة الاسم الظاهر اما بذكر لفظه أو بسبق وجوده في ذهن المخاطب فمضى كان الظاهر معروفاً أنه متنى لم يبق لاجل الافادة حاجة الى ثنية الضمير ولم يكن من باس ان يدخل في حكم ضمير الجمع لأن الجمع يصدق على ما فوق الواحد فمضى قلت الرجلان لم يضر ك من حيث المعنى ان تقول جاءوا كما تقول ذلك في الرجال ومثل هذا اذا قلت الفارس والراجل تقابلوا بدل تقابلوا او اذا قلت الفارسان غلبوا بدل غلبوا . ولهذا شواهد وأمثلة من اقامة الفصيحة نفسها وكذلك لا أقصد بهذا احداث مذهب جديد في المرية ولكنني أقصد بيان ان هذا ليس من التغير المفسد بل هو استثناء عما لا حاجة اليه ومثل هذا يقال في اهلهم بعض الادوات تخففاً منها او احتقناً يفرها عنها ولا يبرز عن الذي تتبع القول ان كثيراً من القبائل عندها ما ليس عند غيرها ولا يمدت ترك الآخرين لثلاثا ضميراً لغة

أثبتنا بما قدمنا ان رأس المال باق على حاله والآن نذكر القارئ بتلك الحركة العربية التي ازدان التاريخ بأخبار همم رجالها فقد نقلت هذه الحركة رأس المال الى ديار كثيرة واسعة فربا فيها وزادت الديار العربية والمتكلمون باللغة العربية وصارت هذه اللغة لغة علم ودين وسياسة فدونت بها الدواوين التي لا تهمى في كل فن من فنون المعارف

واما الآن من هذا الراجح حواضر عظيمة في آسيا وافريقيا ففي آسيا ديار العراق استعربت بعد ان كانت فارسية وحواضر الشام استعربت بعد ان كانت سر بانية وعبرانية ورومية وفي افريقيا مصر استعربت بعد ان كانت قبطية وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش استعربت بعد ان كانت بربرية ولمسى مجموع هؤلاء مستعربي الاقطار

صارت هذه البلاد التي عددنا عربية ولكن ليست عربيها كذلك العربية الأولى بيدان هذا النقص لا يضيرها ولا يخرج بها عن كونها عربية ولا يعلم أهلها سهولة اصلاحها ما دام لهم مرجع من الكتب المنقولة التي نصف العربية الصحيحة او من العرب الاحياء الذين هم وارثون تلك العربية .

اقول ان هؤلاء العرب الاحياء مرجع للمستعربين اذا شاءوا اصلاح لغتهم لان حكمهم على ما اوضحنا كحكم آباءهم الاولين ولن يمكنك ان تحيط خبراً بمخارج الحروف بما يصفه لك كتاب سيبويه مثلاً كما تحيط بها خبراً اذا سمعتها من عربي من هؤلاء العرب الذين وصفناهم لك ولن نستطيع ان نأخذ من الكتب الهجعة العربية التي عليها المعول فانك تجد اليوم لطرالسي لهجة ولقنوسي لهجة ولقرافي والثامي والمصري ولا تجد واحدة منها صحيحة حتى اذا سمعت لهجة البدوي او الحجازي مثلاً رأيت جالاً في الهجة تعرفه الاذن ولا يستطيع ان يصفه لك أحد فاذا سمعت من هذا وذاك من اهل الحواضر سمعت من ذلك العربي ميزت وحكمت بالفرق وآمنت ان وجود العرب في وطنهم امان من ضياع العربية وأحب هنا ان انبه على امر ربما استدركه على بعض المطالعين وهو ان العرب الناجين بقايا خزاوي في الحواضر وأنه ينبغي ان لا يسلب هؤلاء صفة العربية

ماداموا حافظين سلسلة انسابهم فجوابي ان يقول هذا القول انتما الآن في صدد اللسان والفتنة لاني صدد علم النسب ولا يعني على الريب ان البلاد التي استعربت لم يكن كل اهلها من سلالة اولئك العرب بل هم خليط اكثرهم من اهل تلك البلاد الاقدمين قد غلبت العربية على لغتهم فاستعربوا من غير ان يتقنوا النطق بالعربية كالعرب وضاح ان العربي في هذا المجموع من جهة اللسان اذا كان لم يضع نسبه . ثم حفظ العلماء لكل فخرج العرب وصورة أدايم الكلمات وأساليب البيان

والخلاصة ان عربية المستعربين طرأ عليها فساد ولكن لها حواظ وان ذلك شأنها قبل اثني عشر قرناً وهذا شأنها اليوم وقد كان حفظها ينشطون حيناً وينون حيناً

ولعل المطالع يحب ان يعرف كيف نشاط المستعربين اليوم المنششرين في افريقيا الشمالية ثم سواحل البحر الاحمر وما وراءه شمالاً الى شواطئ القرات وغرباً الى شواطئ البحر المتوسط فنقول له ان ابراهيم الديار اليوم بالغة العربية هي مصر شأنها الله وبارك عليها وعلى اهلها وقبل أن نوضح له برها بالغة العربية نمر به مرة على جميع مساكن هذه الفتنة حتى يكون له نصيب من كل ما يحوم حوم مادة «عرب» كما سبقت الاشارة اليه في صدر هذا الكلام

من انحد من جزيرة العرب الى نجد ومنها الى العراق بعد ثلاث حواضر تقيمها بلاد كثيرة البصرة وبغداد والموصل فاهل ولاية البصرة كلهم يتكلمون بالعربية واهل ولاية بغداد اكثرهم يتكلمون بها واهل ولاية الموصل اكثرهم اكراد بيد ان حاضرة هذه الولاية عربية وفي عربية العراق في الجملة كثير من الفخيل ولا سيما في ولاية الموصل . والعربية في العراق والفتنة على ما ذكرنا اهل القرون الماضية من العامة لحومهم من الصحافة العربية ولولا العلماء والمتعلمون لاضر بها هذا الوقوف ومن سار من ولاية الموصل الى الغرب يلقي في طريقه من الديار العربية ولاية حلب وحلب محسوبة من الشام ولكن ولاية حلب شأنها في هذا الباب عجب فان فيها كثيراً من القرى التركية الى جانب القرى العربية وكل من اهل

هذه وتلك محافظون على لسانهم ولم أكثرهم بلسان جيرانهم فاما أهل حلب نفسها فمريتهم كمرية البلاد الشامية ومن اعمال هذه الولاية بلدة تحيط بها التركية والكردية من كل جانب واهلها لا يتكلمون الا بالعربية وهي لغة «ماردين» التي كان فيها الملك بنو أرتق وأغرب من هذه بلدة أخرى في ولاية بتليس اسمها «سرد» فان أهل ماردين قريون من الديار الخلية التي تغلب فيها العربية واما «سرد» فهي منقطعة عن الديار العربية أيما انقطاع ، ومتوغة ضمن الديار الكردية والأرمنية أيما توغل ، وهي مع هذا محافظة على لغة العربية ولعل كثيراً من عوامها لا يعرفون سواها ولكن عربة «سرد» هذه نط مستقل فاهم ندوا بعض الخارج كما ندوا قليلا من مفردات الاسماء واستبدلوا بها من لغات جيرانهم ومع ذلك فيها كل مميزات اللغة من الاشتقاق وأداليل التركيب وبالجملة هي عربة من كل وجه الا انهاديشة كلغات البرابرة المستعربين في المغرب .

ومن سار من ولاية حلب الى الجنوب باقي ديارا مصورة عربة محضة تنجزاً الى أربع ولايات ولاية سورية (دمشق) ومنصرفية لبنان وولاية بيروت ومنصرفية القدس ولا أعرف بلاداً تختلف لهجة أهلها بمقدار ما تختلف لهجة أهل هذه البلاد ولكن الدخيل في لغتهم قليل كما هو الشأن في مصر ولم يبق في الشام ممن يتكلمون بلغة قديمة الا قرية أو قرى يسكنون بالسرانية فجا بينهم على ما بلغنا ومثل هذه المحافظة على لغة ما أكثر من ألف عام في محيط كله أجنبي عن هذه اللغة من غريب الأمور

والعربية في الديار الشامية أمثل منها في العراق كله لأنها غير واقعة هناء على عاميتها الأولى كما هو الأمر هناك بل هي سائرة مع الارتقاء الذي أحدثته الصعابة في اللغة في مصر وسورية ومن عرف العامية في البلاد الشامية قبل ثلاثين سنة وعرفها اليوم يشمر بالفرق العظيم الذي أشرنا إليه

فاذا جاوزنا البر الاسيوي الى المدوة الأفريقية وهبطنا فيها مصر نجد أمامنا

العربية كما تركناها خلفنا فإذا سرنا من مصر الى الجنوب وجدناها في السودان المصري وإذا سرنا منها الى الغرب ألفيناها في طرابلس فتونس فالجزائر فالمغرب الأقصى

ومن غرائب المصادفات اننا كما نجد مصر واقعة في ملتقى جغرافي بين عرب المشرق وعرب المغرب نجد عربيتها أيضاً في ملتقى حيوي بين العربية المشرقية والمغربية فربية مصر أقرب الى العربية الصحيحة من سائر عربيات الاقطار المستعربة وما قرب منها أو بعد من المشرق أو المغرب كان قربه الى الصحة على نسبة قربه من هذا الملتقى فلفة الشام وان خالفت لغة مصر هي مثلها أو قريب منها في القرب من اللغة الصحيحة . ولغة العراق ليست كذلك . ولغة طرابلس وتونس قربية من لغة مصر وليست كذلك لغة الجزائر والمغرب الأقصى

وتمتاز مصر على سائر الديار العربية بأمور أجلاها كثرة العدد فليس هناك قطر عربي يقارب عدد أهله عدد أهل هذا القطر فالديار الشامية وهي جارة هذه الديار لا يتجاوز أهلها أربعة ملايين نسمة مع انها تمتد من حدود شبه جزيرة سيناء الى جزيرة ابن عمر جنوباً وشمالاً ومن شواطئ البحر المتوسط الى صحراء العرب على هذا الامتداد شرقاً وغرباً وهي مسافة ليست بقليلة ولكن هناك أسباباً كثيرة جعلت سكانها قليلين ومثل ذلك العراق باتساع المسافة ولا يبلغ أهله أربعة ملايين وجزيرة العرب على اتساعها أكثرها فدادن وليس لأهلها من اعضاء وسمي لان البداوة هي الغالبة على أكثر بقاعها لكن المشهور أن أهلها كلهم الحجازيين واليمنيين والنجديين لا يتجاوزون ثمانية ملايين وفي أفريقيا أقاليم عربية لا يبلغ أقليم منها في العدد مبلغ مصر فالمغرب الأقصى أكبرها لا يحوزونه الا ثمانية ملايين فأين هذا من اثني عشر مليوناً في مصر

ومما يمتاز به مصر حرية الطباعة والتأليف ونشر الافكار وسهولة الاجتماع وتيسر التعاون فإذا ضمنت الى هذه المزايا فوز لغتها بالمدح من العربية الصحيحة أكثر من سائر لغات الاقطار المشعربة تبين لك أن مصر جذبة ان تكون اليوم عاصمة اللغة العربية وأنها اجدر البلاد بأن تكون محط هذه الرحال ، ومناطق هؤلاء

الرجال ، فأزهرها المعصور يعلم لنا الالوف من الشبان قواعد اللغة وحوافظها من الضياع ، ومطابها الوافرة تهدي البناء نفس ذخائر الاوابين ، واهلاق النقلة والحفظة من التزام الكاتبيين . وعلاؤها الافاضل لا يرضون بأوقاتهم الثمينة بل يذلونها في العناية بها من كل وجه يقتضي العناية

ولقد تمهد رجال من افاضل دار العلوم ان يخلصوا اللغة العربية بناية زائدة وأهدونا باكورة مباحثهم وهو مبحث التعريب (جوازه اليوم أو عدهم) فالفينا ثمرات شبيهة من نتاج هاتيك الافكار الرائقة الراقية

وعندي ان جواز التعريب اليوم وغداً تجوازه اسفلتنا أمس بديهي بيد ان الذين لم يروه بديها اذ مالوا الى عدم تجويزه هم فضلاء كثر كبار العقول غزيرة المادة فلذلك اوجبت على نفسي ان ابحث عن سر خوفهم على اللغة الذي دعاهم للحذر والتحذير من التعريب وبعد الامعان الطويل وجدت سر ذلك هو شدة الحب للغة

قلت شدة الحب ولم اقل الحب لان الحب موجود عند جمهور أبناء اللغة واما شدة الحب فلا توجد الا عند بعض الافراد من ابناءها وشدة الحب تورث سوء الظن والقلق احياناً مما لا يوجب مثله التقاط ومن اقرب الأمثلة التي شاهدها في هذا الباب اني رأيت على شاطئ النيل رجلاً وزوجته ومعها اولاد ورأيت الاب نزل بأحد الاولاد الى حانة الماء ليسقيه من غير ان يراه الأم ولم يكن من خطر قط في المحل الذي نزل منه فلما صد به حديثها بنزولها فرأيتها قد اصفر وجهها كما انها تتوقع نزول مكروه ثم لامته لوما شديداً . هذا وهي ترى انها قد خرجا سالمين وتعلم ان الاب ليس اقل منها حقراً من سوء يصيب الولد ولكن شدة الحب قرين معها سوء الظن بالعواقب وان كانت سليمة

على هذا المثل نفهم سر حذر اولئك الافاضل من التعريب اي ادخال كلمات في اللغة ليست منها فانهم على معرفتهم بان مثل ذلك وقع في هذه اللغة نفسها فلم يضرها يحذرون ان يضرها اذا وقع بعد الآن

اني لا احب ان افهض في هذا المبحث على طريقة الجدل والمناظرة فان

محيز التعريب في غي عنه ومافه قد ذكرنا عذره في خوفه منه وسواء أرغبنا من التعريب ام رغبنا فيه مافه في الحقيقة من محض . ولكنني قد يث على غير طريقة الجدل والنظره لمانع التعريب أنه لا خوف من دخول كلات اجنبية هي قليلة معها ككثرت على لغة حية يتكلم بها نحو حسيين ما يونا متجاورين في المساكن لا يفصل بينهم من الماء الانزعة السويس . ومنهم نحو ثمانية ملايين هم اهلها العريقون القانسون في وطنهم الاصل وهي لغة علوم وتاريخ ودين وقد كسب فيها من الصعف الملايين .

لا خوف على لغة خضع اهلها لحكم الديلم والترك قرونا منطارة من بعد ما خضعوا لحكم اهلها مثل ذلك فلم يدخل فيها من لغاتهم الا نزر لا بعد قد ضاع وقتي فيها ومضم في احداثها

انما يخاف على اللغة اذا خلت من مزاياها المعنوية ، اذا خوت من العلم ، اذا خلت من الامل ، اذا قدت كل كتبها ، اذا حرمت في المجتمعات كلها كل حظ من حظوظ اللغات الاخرى

لو خيف على لغة من دخول الغرب فيها لكانت تركية الدولة العثمانية احق اللغات ان يخاف عليها لان نصف كلها دخيل من العربي وربعها دخيل من الفارسي والربع الرابع تركي واكثره ادوات ومشتقات ولكن لا خوف على لغة ما من مثل هذا اذا سلمت اساليب التركيب وضاع اصل الدخيل فيها عند الكائين والمنكلمين حتى صار كانه من اصل اللغة . واذا لم يخش على لغة هذا مقدار الدخيل فيها بالنسبة للاصيل بل لا يكاد يوجد الا اذا ترجمت اليها علوم اولئك القوم اصحاب اللغات الاخرى . واي خير على من يريد تعلم علم اذا سمع فيه كلمات غريبة لم يألها اليوم وسألها غداً اليس اصطلاحات علم النحو والصرف غريبة عند من لم يعرفها مع انها عربية

قد قلت اني لا احب ان اقبض في هذا البحث لهذا اكتفيت بما قدمت والخلاصة انه لا يضر المريسة التعريب ولا ينفعا الاعراب وانما نفعها وضررها على حسب همم رجالها فيرجوان يرقط الزمان مهمهم من سباتها

باب المراسلة والمناظرة

﴿ رأي الشيخ احمد المتوفي في الاصلاح ورجاله ﴾

كتب اليانا في ١١ ذي الحجة) ما يأتي من الشيخة أحمد موسى المتوفي امام المسجد الكبير في كلكتة الذي كان طعن فينا برسالة نشرت في جريدة الاواء ثم كتب اليانا ذلك الانتقاد والتعريض الذي نشرناه في الجزء الثالث (ص ٢٣٦) على ما فيه من دلائل سوء الظن بنا . وبعد ان قرأ كثير من اجزاء الماروكة كتاب محاورات المصلح والمقلد وكتاب شبهات النصارى وحجج الاسلام وجمع مما كان يظن فدل ذلك على اخلاصه وحسن نيته في ذمنا من قبل ومدحنا من بعد غفر الله له وأحسن متروجه قال :

سيدي المرشد السيد محمد رشيد رضا فضيلتو افندم

اقدم لسيادتكم نحية طيبة مباركة وارجوكم نشر ما يأتي ولكم الفضل

بما ان الانسان بطبيعته مجبول على حب وطنه وان بعدت الديار وشط المزار ولا ينبغي أن ما ينشأ عن تلك المحبة الطبيعية من السمي وراء مصلحة الوطن يكون بحسب المحبة قوة وضعفاً ولقد مكثت محبتي لوطن زماناً طويلاً كامنة في الغواء لا يظهر على أدنى أثر من آثارها وبعبارة اوضح ضعيفة جداً واذا بحثنا عن سبب ضعفها لم نجد شيئاً سوى اليأس من المصلحة والاصلاح مع الغفلة عن النهضة الاسلامية والحركة الوطنية التي قام بها أخيراً الامان الحكيمان الاستاذ السيد جلال الدين الافغاني والاستاذ المفتي الشيخ محمد عبده قدس الله أرواحهما وحشرنا في زهوتها وجزائهما عن الاسلام والمسلمين خيراً فلقد بثا في الأمة روح الحياة والشعور والفيرة وأيقظاها من الغفلة فيما أساس النهضة وكل من جاء بعدها لا يخرج عن كونه متمماً لهماهما مهما بلغت درجته في الاصلاح ولا أخذ بيد اتنا هذين وزد على هذا ودائاً أني كنت اهد الناس عن مطالعة الجرائد واشدم كراحة لمن يطالعها لزعمي

أنها خالية عن النفع أو تشتت على بعض منافع لا تقابل ما فيها من الضر وقد علمت عوائد الأزهر بين الدين مكثت بين ظهرانيهم بضع سنين في الأيام التي كانوا لا يسمعون فيها باسم الإصلاح فهذا كله كان سبباً في اقتصاري على محبة الوطن الطبيعية فقط وعدم ابداء شيء مما يلزمها ولكن مع هذا الجود كنت أميل بطبيعتي أيضاً إلى كل من أسمع عنه بأنه مجد في خدمة الوطن إلى أن سمعت أخيراً في العام الذي توفي فيه إمام النهضة المصرية بل الإسلامية الأستاذ الحكيم المقتي بأن رجلاً من الصحافيين وقف نفسه وماله على السعي وراء مصلحة الوطن والعمل على استنلاله وتخلصه من رق العبودية فيما يلي نحو ذلك الواقف إلى أن صار محبة والحببة حلتني على الاقبال على مطالعة الجرائد والاشتراك في جملة منها فعلمت أنني كنت في ضلال مبين لما في الصحف الحرة الخالية عن الأغراض القذائية من الفوائد التي أقلها الوقوف على أحوال الهيئة الاجتماعية ومعرفة آراء الرجال وغير ذلك ولكن للأسف وجدة سعادة الواقف المفضل يعتقد في نفسه واليافذ بالله الكمال المطلق يريد أن يسبح الخلق بحمده ويغضض الوجود لعظمته وإن لا يسئل عما يفعل وقد علمنا أن النصف بذلك الكمال المطلق فعبدناه وخضعنا لأوامر ما استطعنا..... الخ

وأسفاه كنا نظن أن حضرة الأستاذ المحاضر في عمله المهيم بصالح أمته السيد محمد رشيد رضا على عكس ما كنا فنقد في بطل وطنيتنا دولة الواقف ولكن لما بلونا الرجل وجدنا المسئلة معكوسة على خط مستقيم وجدناه حكماً يضع الأشياء في مواضعها لا تأخذ في نصرة الحق لومة لائم مع الروية والتعقل وجدناه ماهراً بتشخيص الداء ووصف الدواء ، وجدناه حليماً ذا أناة لا يجعل بالعقوبة على من ظلمه بل يبالغ في الظالم المعتدي معالجة خبير بكل ما لديه من الوسائل حتى يرجعه عن ظلمه واعتدائه وحينئذ يرشده إلى ما في صلاحه في الدنيا والآخرة ، وجدناه فيلسوفاً في معرفة طرق الإصلاح وما يصالح الوقت وأدله وبالجملة لو لم يكن له إلا كتاباً شبهات النصارى وحجج الاسلام ومحاورات المصلح والمفكر لكفاه شرفاً وفضلاً فهو الحق يقال المقتي يصح إطلاق الحكيم عليه الآن وقد

أصبح فضيلته بعد اطلاعي على كتابيه المذكورين أحب الناس إليّ ولقد أعجب بهما كذلك حضرة السري الوجيه العلامة المؤرخ الأديب محمد ييك المبري صاحب معمل السكاير المشهور بهاصمة الهند كالكتة وقال لي مراراً إنني لولا عدم سبق معرفة بيّ وبين الاستاذ لم يسعني الا ارسال تشكراتي للاستاذ مما نافع به عن الدين ورد كيد أعدائه في نهورم « هذا واقسم عليكم بشرف الحق وفضيلة العلم وعز الصدق الا ما نشرتم هذا تحت مسئوليتنا والله الموفق احمد موسى

« النار » قد نشرنا رسالتك وبررنا قسمه الا انا حذفنا منها تلك السطور التي يبين فيها اعتقاده الاخير في ذلك الصحافي فسي ان يمدونا في ذلك ونسأل الله الذي لم يخلق سوء ظنه فينا من قبل أن يجمعنا أهلاً لحسن ظنه من بعد من غير غرور ولا فتنة

وكتب اليك كتاباً آخر في ١٨ ذي الحجة قال فيه :

حضرة الاستاذ المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام وبعد فاني لا استطيع ان أجبر هنا حصل من السرور بوصول كتب الاسلام والنصرانية وشبهات النصارى وحيج الاسلام وتاريخ الاستاذ الامام المفتي عليه رضوان الله ولعمري الحق اقد صغر في صغى ماله من الكتب القديمة التي لا يخفى على فضيلتكم ما فيها من الحجب المانعة من العلم النافع فوا اسفاه قد ضاع العمر سدى غير اني احمد الله الذي منّ عليّ بطوشاد حكيم الاسلام واكبر خلفائه ثا لله انك سيدي ممدور فيما تبديه من الآراء المفيدة المناقضة لما عليه الناس من الجور والنفس الخبيثة نكره من يحاول دفعها عن ما اعتادت عليه ولو كانت عاداتها عبادة الاوثان نموذ بالله من الخذلان والتمادي في التي أقول قولتي هذا وما أبرئ نفسي فاني والحق يقال كنت كثيراً ما أنهمك بسوء القصد أما الآن فانا لله الحمد أول موافق على ترك التقليد والجو دعلى الخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان والفضل في ذلك لسيادتكم ومطالعة كلام الامام الحكيم باسان وانصاف وقتنا الله وياكم لما يحبه ويرضاه

أنا علي بن أبي طالب

(قاموس الامكنة والبقاع)

كتاب (فتوح البلدان) للبلاذري من أجل مختصرات التاريخ القديمة لا، منا وقد طبعته شركة طبع الكتب العربية منذ سنين . وبعد طبعه عادت الى علي بهجت بك وكيل دار الآثار العربية بأن يضع معجماً لما ورد فيه من أسماء الامكنة والبقاع لخدمة علمه بالتاريخ القديم والحديث فقام بذلك وطبعته الشركة ما كتبه فكانت صفحاته اكثر من مئتي صفحة وليست فائدة هذا الكتاب خاصة بمن يقتني كتاب فتوح البلدان ولا هو مما يستغنى عنه بالطولات التي استمد منها كمعجم ياقوت فان فيه فائدة لأهل هذا العصر لا تؤخذ من غيره وهي بيان حال تلك البلاد والبقاع الآن بحسب ما وصل اليه اجتهاد المؤلف فنحن ما خرب وعفا ومنها ما بقي وزاد صرنا ان نقص فشكر للمؤلف ولشركة هذا العمل النافع

(رسالة النفران)

لفيلسوف العربي الشهير ابي العلاء المصري رسالة كتبها الى الشيخ علي ابن منصور الحلبي المعروف بابن القارح جواباً عن رسالة بحثها اليه . والرسالة تروى لقارح قصة خيالية طاف رواها في العالم الآخر ودخل الجنة ورأى ما فيها من النعم فوصفه أحسن وصف وثاقف فيها الشعراء والأدباء وشرح ما دار بينهم من المحاورات والمنازعات . وأسلوب الرسالة هو أسلوب الأمازيغية التي كان علماء الفنون العربية يملونها على الطلاب في القرون الأولى وفيها من فرائد اللغة وغرائب الشجون ما طر بشهرتها في عالم الأدب فكانت طلبه الأدباء ورغبة البلغاء وقد طبعها امين افندي هندية طبعاً متقناً مضبوطاً بالشكل بعد ان صحح

أصلها معارضة على نسخة صحيحة ووقف على طبع أكثر من نصفها الشيخ إبراهيم اليازجي وخلفه بعد وفاته في تصحيح باقيها أحد علماء الأزهر . فبحث الأدباء على مطالعتها وهي تطلب من مكتبة هندية وثمنا عشرة قروش

(كتاب الاضداد في اللغة)

لما عني الأولون بنقل اللغة العربية وضبطها ووضع الفنون لما أكثروا من التصانيف في فروع كثيرة من فروعها كالمترادف والمشترك والاضداد وغيرها ومن الكتب النافعة في الاضداد كتاب محمد بن القاسم بن بشار الانباري النحوي ومن مزاياه انه تتبع قطرب فيما ذكره من الاضداد وبين غلطه في بعضها وقد اجاب في أوله من عاب التضاد في اللغة فقال

« هذا كتاب ذكر الحروف التي توقها العرب على المعاني المضادة فيكون الحرف منها مؤدياً عن معنيين مختلفين ويظن أهل البدع والتزيغ والازراء بالعرب ان ذلك كان منهم لقصان حكمتهم وقلة بلاغتهم وكثرة الالتباس في محاوراتهم عند اتصال مخاطباتهم فيسألون عن ذلك ويحتجون بأن الاسم منبئ عن المعنى الذي سمته ودال عليه وموضع تأويله فاذا اعتور اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف الخطاب أيهما اراد المخاطب وبطل بذلك تطبيق الاسم على المسمى : فلتبجوا عن هذا الذي ظنوه وسألوا عنه بضروب من الاجوبة أحدها ان كلام العرب يصحح بعضه بعضاً ويرتبط أوله بآخره ولا يعرف معنى الخطاب منه الا باستيفائه واستكمال جميع حروفه فجاز وقوع اللفظة على أحد المعنيين دون الآخر والابراد بها في حال التكلم والاخبار الا معنى واحد . فن ذلك قول الشاعر كل شيء ما خلا الموت جليل والفني يسعي ويليه الامل

فدل ما تقدم قيل « جليل » وتأخر بعده على ان معناه « كل شيء » ما خلا الموت يسير » ولا يتوهم ذوق عقل وتميز ان الجليل هنا معناه « عظيم » وقال الآخر ياخول ياخول لا يطمح بك الامل فقد يكذب ظن الامل الاجل ياخول كيف يدوق الخفض معترف بالموت والموت فيما بعده جليل

فدل ماضى من الكلام على ان جلا معناه يسير . وقال آخر
 فلن عفوت لأعنون جلا ولئن سطوت لأعزن عظمي
 قومي م قلوا أميم اخي فاذا رميت يصيبني سهمي
 فدل الكلام على انه أراد فلن عفوت عفوا عظيما لأن الانسان لا يفخر
 بصفحه من ذنب حقير يسير . فلما كان الهمس في هذين زائلا عن جميع السامعين
 لم ينكر وقوع الكلمة على معنيين مختلفين في كلامين مختلفين . وقال الله
 عز وجل وهو أصدق قيل « الذين يظنون أنهم ملائكة الله » أراد الذين يتيقنون
 ذلك فلم يذهب وهم عاقل الى ان الله عز وجل يمدح قوما بالشك في لقائه .
 وقال في موضع آخر « اني لا ظنك يا فرعون مسحورا » وقال تعالى حاكيا عن
 يونس « وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه » أراد رجا ذلك
 وطعم فيه ولا يقول مسلم ان يونس يتيقن ان الله لا يقدر عليه اه
 (الناظر) يحكم قارىء هذه العبارة ان الكتاب مفيد بأسلوبه البليغ كأنه
 مفيد بمباحثه . واكبر فائدته عندي أنه يجمعه لهذه الحروف (أي الكلمات)
 التي قيل انها متضادة المعاني قد سهل للمدقق سبيل الحكم في هذا النوع من
 اللغة بغير ما حكم به جمهور من سبقه فان استعمال الكلمة في معنيين متضادين
 خلاف المقول ويلوح لي ان اكثر ما عدوه من الاضداد يمكن تفسيره بما لا تضاد
 فيه وان القليل الذي يشعر او يتعسر فيه من غير تضاد في معانيه لا بد ان يكون مما
 استعملته قبيلة في معنى وقبيلة أخرى في ضد ذلك المعنى او مما وقع فيه الخطأ في الاستعمال
 من الحرب أنفسها فان خطأها في المعاني مما لا ينكر .
 واذا كان العربي القح بخطي في المعاني فالمرء أجدر بذلك . ومن خطأ نقله
 اللغة والمفسرين ما قاله بعضهم في تفسير الظن في الآيات التي تلوت فيها نقلناه عن
 هذا الكتاب قوله تعالى « ٢٤٩: ٢٢ » قال الذين يظنون أنهم ملائكة الله ليس مسوقا
 لمدحهم على غلهم حتى يقال انه يمتنع مدحهم بالظن . وما حكاه عن ظن فرعون
 لا يظهر فيه ارادة اليقين وقوله عز وجل في يونس « ٨٧: ٢١ » فظن ان لن نقدر عليه
 يظهر فيه معنى الظن جليا « وقدر » هنا بمعنى نصيب على حد « ٥٢: ٣٩ » يسقط الرزق

لم يشاء ويقدره فما المانع من ان يظن يونس ان الله تعالى لا يضيق عليه ؟
والكتاب يطلب من المكتبة الازهرية لشيخ محمد سعيد الراهي وثمنه ٧ قروش

﴿ انجيل برنابا ﴾

قد تم طبع الانجيل في مطبعة النار وقد نقلنا منه نموذجات لقراء من قبل ونذكر
هنا منه بعض ما ذكر في مسألة محاورة اليهود قتل سيدنا عيسى وأنجاه الله آياه وإلقاء
شبهه على يهوذا الاسخريوطي وذلك موافق لما يستقده المسلمون في الجملة قال

الفصل الخامس عشر بعد المئتين

١ ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع سمع
يسوع دنوهم فغير ٢ فلذلك انسحب الى البيت خائفاً ٣ وكان الاحد
عشر نياماً ٤ فلما رأى الله الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل ورفائيل
وأوريل سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم
٥ فجاء الملائكة الاطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على
الجنوب ٦ فخلوه ووضعوه في السماء الثالثة في صفة الملائكة التي تسبح
الله الى الابد

الفصل السادس عشر بعد المئتين

١ ودخل يهوذا بمنف الى الغرفة التي أصعد منها يسوع ٢ وكان
التلاميذ كلهم نياماً ٣ فأتى الله العجيب بأمر عجيب ٤ فغير يهوذا في النطق
وفي الوجه فصار شبيهاً بيسوع حتى اننا اعتقدنا انه يسوع ٥ اما هو فبعد
ان أيقظنا أخذ يفش لينظر أين كان المعلم ٦ لذلك تعجبنا وأجبنا : « انت
باسيد هو مطمناً ٧ أنسيتنا الآن ؟ »

- ٨ اما هو قال متبسما : « هل اثم اغياء حتى لا ترغبون يهوذا الاسخريوطي » ٩ « وينا كان يقول هذا دخلت الجنود والقوا ايديهم على يهوذا لانه كان شبيا يسوع من كل وجه
- ١٠ اما نحن فلما سمعنا قول يهوذا وراينا جمهور الجنود هربنا كالهائين
- ١١ ويوحنا الذي كان ملثما بلحفة من الكتان استيقظ وهرب ١٢ ولما اسكه جندي بلحفة الكتان ترك ملحفة الكتان وهرب مريانا^(١)
- ١٣ لان الله سمع دعاء يسوع وخلص الاحد عشر من الشر^(٢)

الفصل السابع عشر بعد المئتين

- ١ فلما اخذ الجنود يهوذا واوثقوه^(٣) ساخرين منه ٢ لانه انكر وهو صادق انه هو يسوع ٣ قال الجنود مستهزئين به : « يا سيدي لا تخف لا تقا قد اتينا لنجعلك ملكا على اسرائيل » وانما اوثقناك لا تا فلعلم انك ترفض المملكة » ٤ اجاب يهوذا : « لعلكم جنتم » ٥ انكم اتيتم بسلاح ومصابيح لتأخذوا يسوع الناصري كانه لص اقنوثقوني انا الذي ارشدتكم لتجعلوني ملكا »

(ثم قال في اواخر الفصل)

- ٧٧ وحكموا بالصلب على لصين معه ٧٨ فقادوه الى جبل الجحمة حيث اعتادوا شق الجرمين وهناك صلبوه مريانا مبالغة في تحقيره

٧٨ ولم يفعل يهوذا شيئاً سوى العراخ : « يا الله لماذا تركتني ^(١)
فان المجرم قد نجى اما انا فأموت ظلماً »

٨٠ الحق اقول ان صوت يهوذا ووجهه وشخصه بلغت من الشبه
يسوع ان اعتقد تلاميذه والمؤمنون به كافة انه هو يسوع ٨١ لذلك
خرج بعضهم من تعليم يسوع معتقدين ان يسوع كان نبيا كاذبا وانه انما
فعل الآيات التي فعلها بصناعة السحر ٨٢ لان يسوع قال انه لا يموت
الى وشك انقضاء العالم ٨٣ لانه سيؤخذ في ذلك الوقت من العالم المراد منه
وتمن النسخة ذات الورق المتوسط من هذا الانجيل ١٥ قرشا وذات
الورق الجيد ٢٠ قرشا واجرة البريد قرشان . وله مقدمة منها عشرة قروش

المصحف الشريف

قد اشتهرت طبعة مطبعة تروچان للمصحف الشريف وكثير الاقبال عليها لجمال
حروفها وصحتها . وقد ارسلنا منها ندخا الى بعض الاقطار من القطع الوسط والقطع
الصغير . فمن احب ان يرسل اليه شيئاً منها فليرسل لكل نسخة من القطع الوسط
فرنكين ومن القطع الصغير فرنكاً ونصفاً

جامع الثناء على الله

جمع الشيخ يوسف النبهاني كثيراً من الادعية والاذكار المأثورة عن النبي صلى
الله عليه وسلم وعن شيوخ الصوفية وسماها « جامع الثناء على الله » وما زال يذكره والدعاء
غذاء الایمان ومن رأينا انه ينفذ في المؤمن ان يتم قبل كل شيء باداء الفرائض
والحقوق التي عليه لله ولنفسه واهله وذوي القربى فاذا وجد وقتاً لنوافل العبادة
فليبدأ بتلاوة القرآن مع التدبر سواء كان ذلك في الصلاة او خارج الصلاة فان خاف

على نفسه الملل انتقل الى الاذكار الماثورة عن الشارع قلن وجد من الوقت ما يبعث
المزيد عليها فليقرأ بعض ما كتبه رجال الصوفية . واما الذين يتركون الفرائض
ويصرون على المآثم ويحصرون قلوبهم بقراءة أورداد الطريق قلن التصوف بل
التدين برئ من أهوائهم

وانني كنت في أول النشأة أقرأ بعض أورداد الصوفية ومنها ورد السحر
للبكري وكان يكون ذلك تأثير عظيم في نفسي ثم وجدتني بذلك هاضما لحق القرآن
عليّ ومشتغلا عنه بكلام لا يخلو عندي من الحق الذي نهت الآيات عنه وناهيك
بما في القصيدتين الجسيمة والمبينة من ذلك . ولما صرت أفهم مراد الصوفية
بمثل قوله « ولعل نوحا الخمار ابي السرج » واشرب واغرب » الخ لم أزد الا بعدا من
عن عبادة الله في السحر بهذا الشر الركيك . على ان هذا الكتاب امثل من
أكثر كتب النبهاني وثمنه أربعة قروش ويطلب من أكثر المكاتب المصرية

الراوي

« مجلة روائية ادبية تاريخية اسبوعية » يصدرها في الاسكندرية طائوس
افندي عبده الكاتب المعروف في عالم الصحافة والأدب فهو لما أوتي من
حسن الذوق في اختيار القصص الافرنيجية وحسن الترجمة جذبا بالنجاح في عمله هذا
غني عن تفريله وقيمة الاشتراك في مجلة الراوي مئة قرش في السنة لاهل مصر والسودان
وثلاثون فرنكا لغيرهم وعن العدد الواحد ثلاثة قروش

﴿ السياسة المصورة ﴾

جريدة اسبوعية سياسية مصورة بالألوان يصدرها في القاهرة عبد الجبسد
افندي زكي وصور هذه الجريدة كلها في السياسة المصرية وهي مطبوعة طبعا متقنا
في أوروبا ويكتب فصولها الافتتاحية حافظ افندي ابراهيم غالبا وقيمة الاشتراك
السني فيها ٥٠ قرشا بمصر و ١٥٠ فرنكا في سائر البلاد

باب الاخبار والآراء

﴿ نادي دارالعلوم الخديوية ﴾

أخذ المتخرجون في مدرسة دارالعلوم المعروفة الآن (بمدرسة المعلمين الناصرية) ناديا علميا ادبيا يتعارفون فيه ويتعاونون على ترقية شؤنهم الاجتماعية ويبحثون عن أقوم الطرق وأقربها لتعليم العربية وفنونها وتدریس آدابها وأحياء العلوم بها على النحو الآتي كما في المادة الثانية من قانون النادي

(١) التفتيح عن الكتب النافعة والسعي في نشرها (٢) تنقيح وتصحيح ما تدعو اليه الحاجة من الكتب المفيدة (٣) تأليف كتب سهلة فيما لم يهون فيه مؤلفات قديمة التناول (٤) وضع أسماء عربية للمسميات الحديثة التي ليس لها أسماء عربية معروفة (٥) البحث في ألفاظ العامة ورد ما له أصل عربي منها إلى أصله والتنبيه على الدخيل فيها (٦) الاصطلاح على طريقة لكتابة الألفاظ الأعجمية بحروف عربية (٧) تسهيل فن رسم الحروف (٨) تأليف رسائل في الآداب والأخلاق (٩) محاضرات علمية وادبية »

وقد عرف اقرءاء من الجزء الماضي ومن هذا الجزء ان النادي بدأ عمله بالبحث في مسألة أسماء الاجناس ومصطلحات العلوم الاعجمية . وانا لارجو من رجال هذا النادي العاملين ما لا أرجو من غيرهم فانهم أمة وسط في الشعب المصري الذي يجد بعض المتعلمين فيه على التقاليد المتبعة حتى في كيفية التعليم وأولع بعضهم بالتقاليد الحديثة حتى ما كان منها مقطعا لروابط الامة الاجتماعية . ولست أعني بهذا تفضيل كل واحد منهم على كل واحد من غيرهم وإنما أعني أنهم يترتبهم وتعليمهم وسط بين طرفين يوجد في كل منهما أفراد أقرب الى الاعتدال وأبعد عن الجور والتفرنج من كثير ممن هم في الوسط . ولكن طالب الإصلاح والتوقي يد في مجموع الأزهرين غريبا كما أن من ينكر شرب الخمر وترك الصلاة من المتعلمين في سائر المدارس يد في مجموعهم غريبا وإن كان الكثيرون منهم يصلون ولا يسكرون

ترجمة فقيد الإصلاح

﴿ ذكاء الملك ﴾

كل ما كنا نعرفه عن ذكاء الملك صاحب جريدة « تريت » هو أنه كاتب اصلاحي بليغ غير موثق الفكر بالتقاليد وأنه قد جمع الى استقلال الفكر استقلال الارادة وقوة المزيمة فقد كان يكتب ما يستقدون خالف أهواء الشعب . وما الكتاب الذين جمعوا هذه الصفات بكثيرين فينا فنقول مات ذكاء الملك فخلقه فلان وفلان . كلا بل تشعل بقول الشريف فيمن هو في عصره دون ذكاء الملك في عصره .

ويقول من لم يدركك انهم قدوا به عددا من الاعداد
هيات أدوج بن برديك الردي رجل الرجال وواحد الآحاد

كان ذكاء الملك لعنايته بالإصلاح يتتبع أخباره في جميع بلاد الاسلام ويشرف رجاله في جميع الاقطار لعرف السيد جمال الدين الافغاني وكان صديقه وعشقه المنار بالاستاذ الامام فكان بينهما مواد ومكاتبة وأنه احسن تأيين في جريدته وقد ترجمنا تأييه ونشرناه في تاريخ الاستاذ الامام : وكان يتغل عن المنار كثيرا . وآخر ما عرفناه من ذلك قله لما كتبناه في حكومة الشورى في بلاد فارس وقوله ان قول صاحب المنار اعظم تأثيرا في السلم الاسلامي من قول مئة مجتهد من علماء الشيعة أو ما هذا مناه

واعنا مصاب الشعب الفارسي بل الأمة الاسلامية بوفاته وتمنيينا لو وقفنا على ترجمة حياته بالتفصيل وما زلنا واقفين في موقف التضي حتى من علينا ميرزا محمد القزويني المصوبدار الترجمة الهايونية في طهران بنسخة من جريدة (الصبور) الفارسية مع كتاب عربي منه أرسله الينا من باريس برغب اليها فيه بما نحن أشد فيه رغبة وهو ترجمة العقيد لأنه من الحقوق التي تطالبنا بهزيمة طلب الإصلاح وتقريب طوائف

المسلمين بعضهم من بعض. وكان ذكاء الملك طيب الله ثراه وجزاه أفضل الجزاء من خير الاعوان على هذا الاصلاح . وانا ننشر كتاب هذا الفاضل القيور والصدوق الوفي للفقيد مع الشكر له ثم ننشر بعده ترجمة ما كتب في جريدة الصور . وهذا نص الكتاب الذي أرسله الينا من باريس :

غرة زانويه (يناير) سنة ١٩٠٨ و ٢٢ ذى القعدة سنة ١٣٢٥

حضرة السيد المفضل العلامة مفتي جريدة المنار الأغر أدام الله ظلكم العالي بعد إهداء كمال السلام وأسمى التحيات أظنكم تعرفون الكاتب الشاهر الشهير ذكاء الملك صاحب جريدة « ترييت » الفارسية المنطبعة بطهران ومنشأ منذ إحدى عشرة سنة . فقد كان بينه وبين الاستاذ الامام المرحوم الشيخ محمد عبده علائق ودية ومكاتبات متواصلة وكان الاستاذ الامام يقرأ جريدة ترييت ويقدرها أعظم الجرائد الفارسية نفوذا في الدوائر العالية وأشدها تأثيرا في قلوب المسلمين الذين يتكلمون بالفارسية ورأيت أنا بنفسي تأليف الاستاذ الامام التي كان أرسلها جميعها هدية الى ذكاء الملك بطهران مع كتاب ودِّي بخط يده يظهر فيه غاية الاعجاب ويشكر فيه ذكاء الملك عما كتبه في جريدته ترييت من خدمات الاستاذ الامام لعالم الاسلامي أجمع ومن جملة عباراته :

« ان الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده هو العالم الحقيقي الوحيد في كافة الانحاء الاسلامية من مرا كش الى الصين ومن تركستان الى اليمن والسودان الذي يعلم الفرض الأصلي من الاسلام ويعرف تطبيق قواعده على مقتضيات العصر ولاجل تربية امثل هذا الرجل بعث نبينا صلى الله عليه وسلم فان نبغ بين علماء الاسلام كثيرون امثله فان الاسلام يبقى ثابت الاركان والمسلمين يرتقون الى أعلى مدارج المدنية والسعادة والا فلوا استمر علماء الاسلام بالجمود على ظواهر الاحاديث ونصوص فتاوى المتقدمين كما هم عليه الآن فلى الاسلام السلام الخ » وبعد وفاة الاستاذ الامام كتب ذكاء الملك ترجمة حياته في جريدة ترييت

بنهاية التفصيل والاشباع ونهاية التوقير والتعظيم ثم بعد ذلك كتب ترجمة حاله
ثانياً مترجمة عن المنار الاغر أطول وأبسط من الأولى وكان غالباً يترجم مقالات
المنار الاغر في جريدته

والفرض من هذا الاطّلاع تذكار حضرتكم إن كنتم تعرفون ذكاء الملك
وتعرفكم اياه ان لم تكونوا تعرفونه . وما هو ذكاء الملك توفي أيضاً في شهر
رمضان الماضي ومضى الى جانب أستاذه السيد جمال الدين الافغاني والاستاذ
الامام الشيخ محمد عبده أفاض الله عليهم جميعاً شايب الفقراء . وبما أنني كنت
من تلامذة الفقيه ومن خواص أصدقه كتب إلي من طهران نجله جناب ميرزا
محمد علي خان الملقب بلقب آية ذكاء الملك وطلب مني أن أكتب الى حضرتكم
واستدعي منكم أن تكتبوا (ان استصوبتم ذلك) بضع أسطر في المنار الاغر في
الاعلام بوفاته رجل مسلم من أعظم كتاب اللغة الفارسية وشعرائها في هذا القرن
الاخير ونبد سيرة في ترجمة حاله . والامر اليكم فانظروا ما ذا تأمرون . وكان
المأسوف عليه من أخص أصدقاء المرحوم السيد جمال الدين الافغاني ومن أعظم
رجال الإصلاح ومن أكبر أركان النهضة السياسية الاخيرة في بلاد ايران فقد كان
قلبه يخلب الابواب ويسحر العقول بما آتاه الله من النفوذ والتأثير وأصابته صدمات
شديدة من أول شببته الى آخر وفاته بسبب شدة حرصه على الإصلاح وكتابته
المقالات النراء في حث الحكومة على ادخال النظامات المصرية في ادارات الدولة
وتحرير بعض العلماء علي نفق الأيدي من التقاليد الجامدة والتعاليم القديمة والمباحث
الفلسفية الضيقة والتأسي بأمثال السيد جمال الدين الافغاني والاستاذ الامام الشيخ
محمد عبده وحضرة العلامة السيد محمد رشيد رضا مفتي المنار الاغر وأشبالهم .
وأرسلت طية جريدة من جرائد طهران الاسلامية تتضمن ترجمة حياة الفقيه
وفي الختام اقبلوا باحضرة العلامة فائق احترامي وخالص سلامي

ميرزا محمد قزويني

المضو به دار الترجمة الهابرنى بطهران

فاجعة اديبي

قد توفي الى رحمة ربه فيلسوف إيران واديبها الشهير ذكاء الملك طاب ثراه
عصر يوم السبت ١١ رمضان فكان موته ثلثة في بناء العلم والأدب وهيات ان .
يفخر الايرانيون في وقت قريب بمثله

اشتغل المرحوم سبعين سنة بخدمة الوطن خدمة خالصة وإحياء موات أدبيات
اللغة الفارسية بحرارة الشبية ونجارب الشبخوخة وإذا كان الايرانيون بجمل جاهلهم
وعدم مساعدة حكومتهم المستبدة لم يعرفوا قيمته ولم يوفوه حقه من الاجلال كما
كان حفظ أمثاله من العظماء فانهم قد أبغوا ذلك تراثا خلفهم الذين يرجون ان يقدروا
أمثاله قدرهم . ولكن الافرنج قد قدروه قدره في حياته بالتثويه بفضل والتعريف
به لقومهم حتى ان الفرنسيين لقبوا هذا الرجل بفيكتور هوغو الشرق .

ونحن في هذا العدد نذكر خلاصة من ترجمة هذا الفيلسوف العظيم وان
انهل الزمان نقوم بما يجب علينا لهذا الرجل الكامل المحترم

(تختصر ترجمة المرحوم طاب ثراه)

هو المرحوم ميرزا محمد حسين خان المتخلص بفروغي (١) الملقب بذكاء
الملك . ولد في منتصف ربيع الثاني سنة ١٢٥٥ بمدينة أصفهان وتوفي يوم السبت ١١
رمضان سنة ١٣٢٥ بطهران فيكون عمر سبعين سنة وه أشهر ووالده هو المرحوم
الآقا محمد مهدي المعروف بأرباب من مشاهير أصفهان وكان على اشتغاله بالتجارة
على حظ عظيم من العلم والفضل لا سيما علوم التاريخ والجغرافية والهيئة فان له
فيها تصانيف عديدة . وقد سافر الى الهند وأقام فيها طويلا وعاشر فضلاء
الانكليز وأخذ حفظاً عقلياً من العلوم الحديثة والسياسة ولما رجع الى أصفهان قبل
خمسین سنة أراد ان يظهر معارفه ولكن الأذهان في ذلك الزمن لم تكن مستعدة

(١) فروغي معناه الضوء وهذا هو لقبه لادبي الشري الذي اختاره لنفسه ويعرف

عندهم بالخلص بوزن جعفر ويشتقون منه كما رأيت

لقبول هذه التفاسير الثينة فأكب على تحسين حال الزراعة والتجارة في أصفهان وكان يمكنه ان يفيد بلاده بما كثر مما افادها ولكن عموم الجبل يومئذ حال دون ذلك أما فقيدنا ذكاء الملك فإنه بعد ان حصل علوم العربية وأديانها ومبادئ سائر العلوم سافر من اصفهان الى العراق العربي لاجل تكميل تلك المبادئ فكثت هناك طائفة من الزمان ثم عاد الى أصفهان وكان والده قد عاد من الهند فكانت نتيجة تأليف الاب والابن بما كان أفتته كل منهما ظهور نهضة جديدة في العلم والسياسة فكان ما تولد في دماغه يومئذ من قوة النهضة العلمية هو ما نراه الآن في أدمغة شباننا . فأخذ يتبع بشغف عظيم دواوين الشعراء وكشهم الأديبة ليشجذ بها غرار استعداده الفطري للشعر حتى كان شعره في الخامسة والشرين مساويا لشعر اساتذة هذا الفن

وسافر للمرة الاولى الى شيراز وطن الشيخ السعدي فثبت عامئذ حرب أميركا الشهيرة وقتل ورود القطن الى معامل أوروبا فانهز الفقيد هذه الفرصة فاشترى بجميع ما يملكه قطناً وسافر به الى الهند ولكن ساوته الانواء الشديدة في البحر فاضطر الى إلقاء بضاعته كلها في البحر كغيره وعاد الى شيراز بخفي حنين . ثم سافر سائحاً الى كرمان ويزد والعراق المجي وكرمان شاه وحمدان والعراق العربي وغربها من الاقطار فلبث في سياحته هذه أربع عشرة سنة وكان في كل مكان موضع الحفاوة والاكرام من العظماء والأمراء مثل محمد حسين خان وكيل الملك وإمام قلي ميرزا عماد الدولة وأولاده وسائر أهل السكالك والقروى

ثم مل السياحة واتخذ طهران مقاماً له فصحبه المرحوم محمد حسن خان اعتماد السلطنة (١) وجعله مساعداً له في الترجمة وتحرير الجريدة الرسمية ولما كانت الجريدة الرسمية قليلة الفائدة حث صاحب الترجمة على إنشاء جريدة (اطلاع) الباقية الى الآن (٢) . وكان يساعده في تحرير الفشرات والرسائل والكتب

(١) هو وزير المطبوعات ورئيس دار الترجمة الخاصة الهايونية يومئذ وكان

من العلماء المصريين وله تصانيف شهيرة منها (مرآة البلدان) عدة مجلدات

(٢) جريدة شهرية تصدر بمقتضى الحكومة

الطبية . وثني ان اعداد الساطة كان يهيئ مواد التأليف من الكتب وغيرها
وصاحب الترجمة هو الذي يكتبها بقلمه . وكنت تراه دائماً متمللاً متألماً لبلاء
ابناء وطنه بالمستبدين وكان يفكر دائماً في الاصلاح لا برج ذلك من مخيلته قط
ومن الشواهد على ذلك أنه من نحو عشرين سنة كانت دت عقارب السماية
فيه الى الشاه ناصر الدين بسبب ظهور بواذر هذه الافكار الاصلاحية فأتعبوه
طائفة من الزمن أي حبسوه مدة مديدة (الى ان تولى المرحوم الشاه مظفر
الدين قافرج عنه . ولما استنشق نسيم الحرية أنشأ جريدة (تريت) وهي كما
لا يخفى اول جريدة حرة أسست في عاصمة ايران .

ومن خدمة هذه الجريدة انها ولدت في نفوس الايرانيين الرغبة في قراءة
الجرائد وكأوا الى ذلك المهذ بنفرون منها لركاكة عبارتها . وذلك بما جذبهم
به من انسجام عبارته وبلاغه اسلوبه . ومنها انه كان في زمن الاستبداد ينشر
فيها جميع الافكار الحرة بأسلوب لا يؤاخذ عليه القانون . وفي الجملة انه قضى
عشر سنين في نشر جريدته كان فيها عرضة لا يذء الاعداء والمهينين

وفي العام الماضي أصابه مرض شديد غلّ قواه وقد شفي منه الا ان صحته
لم تعد كما كانت قبله . ولما كان هو الذي يتولى تحرير الجريدة وإنشاءها اضطر
في آخر السنة الى إبطالها

ومن خدمته أيضاً اشتغاله بالتدريس والتعليم في مدرسة العلوم السياسية سبع
سنين وثلاث سنين أخرى في ادارتها . ولوجعت دروسه في تلك المدرسة
من المسائل الادبية والمعاني والبيان والبديع ومختصات الشعر وغير ذلك لكان
مولفًا كبيراً

وكان افقيده مؤلفات كثيرة طبع منها (١) تاريخ ساسانيان و (٢) ترجمة
كتاب السياحة حول الارض في ثمانين يوماً و (٣) كلية هندي و (٤) عشق وعفت
و (٥) ربحانة الافكار و (٦) قصة جورج الانكليز . وله كتب أخرى مترجمة
من اللغات الاجنبية . وله شعر كثير ولكن اكثره مفقود والباقي منه يدخل في
ديوان كامل

خاتمة المجلد العاشر

قد تم المجلد العاشر بحمد الله وحسن توفيقه وبه قطع النار مرحلة الاعداد المفردة ، واشرف على مرتبة الاعداد المركبة ، فازداد منشئه بصيرة فيها يدعو اليه ، ودرجة استعداد المسلمين له ، واقشع من امامه كثير من السحب ، وفتكت من دونه كثائف من الحجب ، التي كانت تلبس عليه القياس ، فيما يحكم به على الناس ، فرأى من احوال البشر ، ما يعدم آيات العبر ، وبهذا الاعتبار صدق على النار ما قلناه فيه منذ ثلاث سنين ، أنه قد دخل في سن التمييز ،

التقصير في إدارة النار

وقد عجزنا في هذه السنة عن اصدار المنار في اوقاته واقامة النظام في ادارته لاسباب طبيعية لا مندوحة عنها اهمها اتساع دائرة العمل وتشعبه مع قصر الساعد وعدم المساعد ، فزنى النار هو الذي يحرره وهو الذي يصحح نموذجات الطبع وهو الذي يكاتب المشتركين وينظر في محاسبتهم وهو الذي ينظر في ادارة المطبعة وهو الذي يتولى تصريف مطبوعاتها وينظر في تصحيح سائر ما يطبع فيها ثم انه يقرأ لبعض من الطلاب درسا في التفسير ودرسا في الحديث ويشغل احيانا بشي من التأليف مع قيامه بمعظم خدمة نفسه لانه يعيش عيشة الوحدة

ومن فروع هذه الشواغل انه أصدر في هذا العام جزئين من تاريخ الاساذ الامام ، واتم طبع جزئين من التفسير لم ينشرهما الى الآن ، لانه تمكن من استخراج فهرس لاحدهما ولم يتمكن من استخراج فهرس الآخر . واتم طبع انجيل برنابا . ولو يعمل في هذه الكتب كلها الا تصحيح كل كرامة منها مرتين او ثلاثا لما كان الوقت الذي اغتالته قليلا

ولولا اني في خجل من الاصدقاء والمحبين لي في النيب بما قصرت في مكاتبتهم لما أشرت الى هذا العذر واكبر خجلي ممن لم معاملة مالية كطلاب الكتب فقد كان في المكتبة مدير يتولى محاسبتهم وقد تركها من اوائل السنة ولم نوفق الى

من يقوم مقامه ولا الى وكيل لادارة المجلة والمطبعة يكفيننا امر هذه الجزئيات وبهذا
نعتذر ايضا عن تأخر اتمام تأليف وطبع جزء الترجمة من تاريخ الاستاذ الامام
فتاوى المنار

وبما قصرنا به أيضا في هذا العام الاجابة عن الاسئلة ومن أسباب
ذلك ان أكثر الاسئلة التي وردت علينا في هذا العام كانت في مسائل دينوية
ما يفضل فيه القضاة ويقتضي به المفتون الرسميون وأما لهم من علماء أحكام
المعاملات ومنها ما كان مرسله يطلب الجواب عنه من نصوص مذهب معين والمنار لم
يفتح باب الفتوى لأمثال هذه المسائل بل لبيان حكم الدين وأسراره وانفاق عقائده مع
العقل وأحكامه مع مصالح البشر ومنافعهم ولرد الشبه الفلسفية والمدنية عنه وما يشكل
من الآيات والأحاديث على القاري . فهذا ما نلتزم الجواب عنه من المسائل الدينية
وان باطنا وأرجأنا ونك الحيار في غيره . ومن سأل سؤالا من هذا القبيل وطال الزمن
على الجواب عنه فليعلم انه قد ضاع قبل وصوله الينا أو بعده فليدعه الينا ثانية
ومن أسباب ارجاء المجاوبة على بعض الاسئلة ابرادها من خلال كلام آخر
فحتاج الى نسخ السؤال فوجه الى وقت الفراغ وقلمنا نظفر به .

مكاتبات المنار

وهنا ننبه الى سبب من أسباب تأخير كل ما يطلب من المنار وهو خلط
المطالب فمضى ان يكتب السائل سؤاله أو أسئلته في ورقة لا يكتب فيها شيئا
آخر ليسهل علينا إقائه الى المطبعة عاجلا ولا نضيع شيئا من الوقت في استنساخها .
كذلك ينبغي لطالب الكتب أن يكتب ما يطلبه في ورقة مستقلة لا يذكر فيها
شيئا من الاسئلة ولا ما يتعلق بشؤون المنار فان كان هناك حساب مشترك
بين ما يطلب للمنار ولشمن الكتب واستغفل الكاتب كتابة ورقتين فلا بأس
بأن يفصل بين الحساين في الورقة الواحدة

حال المشتركين

أما حال المشتركين في هذا العام فقد كان كالأعوام الماضية الآن أهل

القاهرة كانوا أحسن أداء على ما عليه البلاد من المسرة المالية ولكن صائر أهل القطر كانوا أقل وفاء منهم في السنين الماضية والاعتذار بالمسرة كان في هذا العام نكاسة أهل المثل في أكثر المعاملات كما علمنا من هم أوسع اختباراً منا . وكذلك أهل تونس كانوا أشد تقصيراً في هذا العام على أنهم لم يقوموا في عسرة كسرة أهل مصر . على أن مصر في عسرتها أغنى وأقى وأيسر من تونس وغيرها من بلاد المسلمين زادها الله يسراً ووفقها لشكر عليه باستعماله فيها بزيدها علماً وارتقاءً . وقد كان نحمد المشتركين كثيراً أيضاً ولكننا لم نجيب إلا من أرسلوا القبية خلفاً إلا أفراداً متوا البنا بضمان بعض أصدقائنا على ما اشترطنا .

دعوة المنار والانتقاد عليه

أما دعوة المنار فلم تلق في هذا العام مقاومة شديدة ولكن بعض الجرائد حملت علينا حملة منكرة في أول العام لأننا كتبنا بعض مقالات في « الجريدة » التي أنشأها بعض السروات وكان الفرض من الحملة تنفيرنا من مساعدة الجريدة التي يقاومون سياستها ولم يتعرض الكاتبون إلى الانتقاد على المنار أو الرد على مسائله وإنما كان جلها نبذاً بالألقاب كلقب « الخليفة الكاذب » بمنون خليفة الاستاذ الامام . وكتب فريد أختدي وجدي أربع مقالات في جريدة اقواء يهرك فيها الاصفان الجنسية الوطنية على صاحب المنار لأنه غير مصري المولد وقد عرف القراء سبب ذلك ولم نر له الا التأثير الحسن في قراء المنار على ما نلغزات الجنسية من سوء التأثير وحل الرابطة الاسلامية . وهذه النزغة هي العقبة الكؤود في طريق الدين بمصر وقانا الله شرها وكفى البلاد أمرها . وكتب الشيخ احمد المنوفي من الهند انتقاداً على المنار وصاحبه . ثم دمج عن رأيه ذلك كما رأيت في هذا الجزء . وسنشير في فاتحة الجزء الآتي إلى موقف الإصلاح في مصر الآن .

هذا واننا نتم صفحات الجزء بمثل ما دعونا إليه في فاتحته من وجوب تقديم ما يراه أهل العلم خطأ في المنار والدعوة إلى ما يرونه من الصواب فيه والتعاون على هذه الخدمة ، والله الموفق وله الحمد على كل حال .



Bibliotheca Alexandrina



0551734